التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي

ت (٤٦٨ هـ)

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي

ت (٤٦٨ هـ)

الجزء الثامن

سورة الأنعام

تحقيق

الدكتور محمد بن منصور الفايز

دققه ونقحه وضبطه

الأستاذ الدكتور

عبد العزيز بن سطام بن عبد العزيز آل سعود

الأستاذ الدكتور

تركي بن سهو بن نزال العتيبي

العبيكان
Obeikan

ح شركة العبيكان للتعليم، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الواحدي، أبو الحسن علي أحمد
التفسير البسيط./ أبو الحسن علي أحمد
الواحدي.- الرياض، ١٤٣٨هـ-٢٥مج.
٤٩٨ ص؛ ١٦,٥ × ٢٤ سم

ردمك: ٠-٢٣-٠-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٤-١-٤١-٠-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٨)

١. الواحدي، علي بن أحمد، ت ٤٦٨هـ (المؤلف).
٢. آل سعود، عبدالعزيز بن سطام.
العتيبي، تركي بن سهو، (تدقيق وتنقيح وضبط).

ديوي: ٢٢٧,٣ - ٣٠٥٢ / ١٤٣٨

الطبعة الثانية

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

نشر وتوزيع العبيكان Obeikan

المملكة العربية السعودية - الرياض -
طريق الملك فهد - مقابل برج المملكة
هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ ١١ ٩٦٦+ فاكس: ٤٨٠٨٠٩٥ ١١ ٩٦٦+
ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧
www.obeikanpublishing.com

جميع الحقوق محفوظة لصاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن سطام بن عبدالعزيز آل سعود. ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الأمير.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة الأنعام

بسم الله الرحمن الرحيم

١. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : على كل فِعال ، وبكل لسان ، وعلى نعم الإسلام ، وعلى صحة الأبدان»[١] . قال أهل المعاني : «هذا في لفظ الخبر ومعناه الأمر ؛ أي احمدوا الله ، وإنما جاء على صيغة الخبر وفيه معنى الأمر ؛ لأنه أبلغ في البيان من حيث إنه جمع الأمرين ، ولو قيل : احمدوا الله ، لم يجمع الأمرين»[٢] . وقد ذكرنا في[٣] معنى قوله تعالى : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ في الفاتحة ما فيه مَقنع .

وقوله تعالى : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ ، قال الزَّجَّاج[٤] :

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٥ ، وأخرج عنه ابن أبي حاتم ٤/ ١٢٥٨ بسند ضعيف ، قال : «الحمد : هو الشكر والاستحذاء لله ، والإقرار بنعمه وهدايته وابتدائه وغير ذلك» . اهـ

(٢) انظر : تفسير الطبري ٧/ ١٤٣ ، وتفسير الماوردي ٢/ ٩١ ، وتفسير القرطبي ٦/ ٥٨٤ ، وذكره الخازن في تفسيره ٢/ ١١٧ عن أهل المعاني .

(٣) لفظ (في) : ساقط من (ش) .

(٤) أبو إسحاق إبراهيم بن السري البغدادي ، إمامٌ أكثرَ الواحدي من النقل عنه ، تقدمت ترجمته .

« ذَكَر أعظم الأشياء المخلوقة ؛ لأن السماء[١] بغير عمد ترونها ، والأرض غير مائدة بنا»[٢] .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ ، قد ذكرنا معاني جعل[٣] في قوله تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ ﴾ [المائدة :١٠٣] ، و ﴿ جَعَلَ ﴾ هاهنا بمعنى خلق ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ [الأنبياء :٣٠] . قال ابن عباس : «﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ : ظلمة الشرك ، وظلمة النفاق ، وظلمة الكفر ، وظلمة العصيان ؛ ﴿ وَٱلنُّورَ ﴾ يريد : نور الإسلام ، ونور الإيمان ، ونور النبوة ، ونور اليقين»[٤] . وقال الحسن : «يعني الكفر والإيمان»[٥] . وقال السُّدي : «يعني الليل والنهار»[٦] ، وهو اختيار الزَّجَّاج[٧] ، والأولى أن يكون هذا عامّاً في كل ظلمة ونور ؛ لأن جميع ذلك مخلوق لله تعالى[٨] . قال المفسرون : «الظلمة أقدم من

---

(١) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٢٢٧ .

(٢) في (أ) : (مائدة بناها) ، وعند الزَّجَّاج : (مائدة بنا) .

(٣) انظر : البسيط (النسخة الأزهرية ، جامعة الإمام) ٣/ ٧٩ أ .

(٤) ذكره الرازي في تفسيره ١٢/ ١٥١ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ٦٨ ، والسيوطي في الدر ٣/ ٦ . وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس قال : «الكفر والإيمان» .

(٥) ذكره المؤلف في الوسيط ١/ ٥ ، ٦ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٢٦ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٢ ، والرازي في تفسيره ١٢/ ١٥١ ، والقرطبي في تفسيره ٦/ ٣٨٦ ، والخازن في تفسيره ٢/ ١١٧ .

(٦) أخرجه الطبري ٧/ ١٤٣ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٢٦٠ بسند جيد .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٢٧ .

(٨) ذكر الرازي في تفسيره ١٢/ ١٥١ قول الواحدي ، قال : «هذا مشكل ؛ لأنه حمل للفظ على مجازه ، واللفظ الواحد بالاعتبار الواحد لا يمكن حمله على حقيقته ومجازه معاً» . اهـ . والظاهر حمل الآية على ظاهرها ، والمراد أنار النهار وأظلم الليل ، وهو اختيار الجمهور . قال الإمام أحمد في كتاب الرد على الجهمية والزنادقة : ١٠٧ : «يعني خلق الظلمات والنور» ، وقال ابن عطية ٥/ ١٢١ : «قالت فرقة : الظلمات : الكفر ، والنور : الإيمان ، وهذا غير جيد ؛ لأنه أخرج لفظٌ بيِّن في اللغة عن ظاهره الحقيقي إلى باطن لغير ضرورة ، وهذا هو طريق اللغز الذي برئ القرآن منه ، والنور أيضاً هنا للجنس فإفراده بمثابة جمعه» . اهـ . انظر : تفسير الطبري ٧/ ١٤٣ ، والسمرقندي ١/ ٤٧٣ ، والماوردي ٢/ ٩٢ ، والبحر ٤/ ٦٨ .

النور ، وهي مخلوقة قبل ؛ فلذلك قدمت في الذكر ، وكذلك السماوات خلقت قبل الأرض»[١] .

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يعني : عبدة الأوثان في قول عامة المفسرين[٢] . قال ابن عباس : «يريد : عدلوا بي من خلقي الحجارة والأصنام بعد أن أقروا بربوبيتي وبنعمتي»[٣] ، وقال الزَّجَّاج : «أعلمَ الله -تعالى- أنه خالق ما ذكر في هذه الآية ، وأن خالقها لا شيء مثله ، وأعلم أن الكفار يجعلون له عديلاً ، فيعبدون الحجارة [الموات[٤]] ، وهم مقرون بأن الله خالق ما وصف»[٥] ، وقوله تعالى : ﴿يَعْدِلُونَ﴾ : العدل : التسوية ، يقال : «عدل الشيء بالشيء إذا سوَّاه»[٦] . ومعنى ﴿يَعْدِلُونَ﴾ : يشركون به غيره ،

(١) هذا قول قتادة أخرجه الطبري ٧/ ١٤٣ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٥٩ بسند جيد . قال السمين في الدر ٤/ ٥٢٤ : «قُدِّمت الظلمات لأنه موافق في الوجود ؛ إذ الظلمة قبل النور عند الجمهور» . اهـ . والراجح عند الجمهور أن خلق الأرض كان قبل خلق السماء . قال ابن كثير في تفسيره ١/ ٧٣ : «هذا ما لا أعلم فيه نزاعاً بين العلماء إلَّا ما نقله الطبري عن قتادة وتوقف في ذلك القرطبي» . اهـ ملخصاً . انظر : تاريخ الطبري ١/ ٣٢-٣٦ ، وتفسيره ١/ ١٩٢-١٩٤ ، والكشاف ١/ ٢٧١ ، وزاد المسير ١/ ٥٧ ، وتفسير القرطبي ١/ ٢٥٥ ، ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشنقيطي : ١٤-١٦ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٧/ ١٤٤ ، والسمرقندي ١/ ٤٧٣ ، وابن كثير ٢/ ١٣٩ ، والظاهر أنها عامة في سائر أصناف الكفار ، وهو اختيار الطبري في تفسيره ، وابن عطية في تفسيره ٥/ ١٢٢ .

(٣) في تنوير المقباس ٢/ ٣ ، قال : «يعدلون به الأصنام» .

(٤) لفظ : (الموت) ساقط من (أ) ، وفي (ش) : (والموات) .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٢٧ .

(٦) انظر : العين ٢/ ٣٨ ، والجمهرة ٦٦٣ ، والصحاح ٥/ ١٧٦١ ، والمجمل ٣/ ٦٥١ ، ومقاييس اللغة ٤/ ٢٤٦ ، والمفردات ٥٥١ ، واللسان (عدل) ٥/ ٢٨٤٠ .

قاله[١] مجاهـد . وقال الأحمر[٢] : «عدل الكافر بربه عدلاً وعدولاً إذا سـوّى به غيره فعبده»[٣] .

وقال الكسائي[٤] : «عدلت الشيء أعدله عدولاً إذا ساويته [به][٥] ، وعدل الحاكم في الحكم عدلاً»[٦] . والآية توجب أنه لا تجوز العبادة إلَّا لِمَن له القدرة على خلق السماوات والأرض ، وهو الله وحده لا شريك له[٧] .

وقال صاحب النظم[٨] : «دخول ثم في قوله : ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ دليل على معنى لطيف ، وهو أنه -عز وجل- دلَّ به على إنكاره على الكفار العدل به ، وعلى تعجب المؤمنين من ذلك ، مثال[٩] أن تقول : أكرمتك وأحسنت إليك ثم تشكوني

---

(١) تفسير مجاهد ٢١١ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ١٤٤ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٦٠ من طرق جيدة .

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) تهذيب اللغة (عدل) ٣/ ٢٣٦٠ .

(٤) علي بن حمزة بن عبدالله الأسدي ، تقدمت ترجمته .

(٥) لفظ : (به) ساقط من (ش) .

(٦) معاني القرآن للنحاس ٢/ ٣٩٨ ، وتهذيب اللغة (عدل) ٣/ ٢٣٦٠ .

(٧) قال الشـنقيطي في تفسـيره ٢/ ١٨٠ : «في قوله تعـالى : ﴿ يَعْدِلُونَ ﴾ وجهان للعلـماء : أحدهما أنه من العـدول عن الشيء بمعنـى الانحراف والميل عنه ، وعـلى هذا فقولـه : ﴿ بِرَبِّهِمْ ﴾ متعلق بقوله : ﴿ كَفَرُواْ ﴾ . . .
والثـاني أن الباء متعلقة بـ«يعدلون» ، والمعنى يجعلون له نظيراً في العبادة ، وهذا الوجه هو الذي يدل عليه القرآن» ، وهذا اختيار ابن القيم كما في بدائع التفسير ٢/ ١٣٩ .

(٨) الحسن بن يحيى بن نصر الجرجاني ، أبو علي ، له كتاب نظم القرآن (مفقود) .

(٩) في (ش) : (مثل) .

وتشتمني ، منكراً لذلك عليه ومتعجباً منه[(١)] ، ومثل هذا في المعنى قوله في ما بعد هذه الآية : ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام :٢]»[(٢)] .

٢. قوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ ، قال ابن عباس[(٣)] والمفسرون : «يعني آدم والخلق من نسله ، ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ ، يعني أجل الحياة إلى الموت وأجل الموت إلى البعث وقيام الساعة» ، وهو قول الحسن[(٤)] ، وسعيد بن المسيب[(٥)] ، وقتادة[(٦)] ، والضحاك[(٧)] ، ومقاتل[(٨)] ، واختيار الزَّجَّاج[(٩)] ، ونحو ذلك قال ابن عباس في رواية

---

(١) أفاد الجمهور أن (ثم) تفيد الإنكار والتوبيخ والاستبعاد والتراخي بين الرتبتين ، فهي تفيد الإنكار والتوبيخ على قبح الكفر واستبعاد أن يعدلوا به غيره بعد وضوح آيات قدرته ؛ إذ يبعد من العاقل الناظر بعد إقامة الأدلة اختيار الباطل ، ولو كان العطف بالواو لم يلزم ذلك كلزومه بثم .
انظر : تفسير البغوي ٣/ ١٢٦ ، وابن عطية ٥/ ١٢٢ ، والرازي ١١/ ١٥١ ، والقرطبي في تفسيره ٦/ ٣٨٧ ، والبحر ٤/ ٦٨ ، والدر المصون ٤/ ٥٢٤ .

(٢) لم أقف عليه .
قال الكرماني في غرائب التفسير ١/ ٣٥١ : «ثم تتضمن الإنكار على الكفار والتعجب للمؤمنين ، وكذلك قوله : ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾» . اهـ ، وقال الزمخشري في الكشاف ٢/ ٤ : «﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ استبعاد لأن يمتروا فيه بعد ما ثبت أنه محييهم ومميتهم وباعثهم) . اهـ

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/ ٥٧ أ بسند جيد ، قال : «وروي عن مجاهد والسُّدِّي والضحاك وقتادة مثل ذلك» . اهـ ، وهذا هو قول الجمهور ، ورجَّحه ابن عطية ٥/ ١٢٤ ، والقرطبي في تفسيره ٦/ ٣٨٧ . انظر : تفسير الطبري ٧/ ١٤٦ ، والسمرقندي ١/ ٤٧٣ .

(٤) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٠٣ ، والطبري في تفسيره ٧/ ١٤٦ بسند ضعيف .

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٧ ، وابن الجوزي ٣/ ٣ .

(٦) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٠٣ ، والطبري في تفسيره ٧/ ١٤٦ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٢٦٢ من طرق جيدة .

(٧) أخرجه الطبري ٧/ ١٤٦ بسند لا بأس به .

(٨) تفسير مقاتل ١/ ٥٤٩ .

(٩) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٢٨ ، واختاره الطبري في تفسيره ٧/ ١٤٧ ، وقال شيخ الإسلام في الفتاوى ١٤/ ٤٨٩ : «قوله : ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ : الأجل الأول وهو أجل كل عبد الذي ينقضي به عمره . والأجل المسمى عنده هو أجل القيامة العامة» . اهـ

عطاء : «﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ ، قال : يريد من مولده إلى مماته ، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ ، يريد : من الممات إلى المبعث ، لا يعلم ميقاته أحد سواه» .

وقال : «وذلك أن الله -تعالى- قضى لكل نفس أجلين من مولده إلى موته ومن موته إلى مبعثه ، فإذا كان الرجل صالحاً واصلاً لرحمه ، زاد الله في أجل الحياة من أجل الممات إلى المبعث ، وإذا كان غير صالح ولا واصل نقصه الله من أجل الحياة وزاد في [أجل][1] المبعث» ، قال : «وذلك قوله تعالى : ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾[فاطر :١١]»[2] .

---

(١) لفظ : (أجل) ساقط من (أ) .

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٧ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٢٧ ، والخازن ٢/ ١١٨ ، والبحر المحيط ٤/ ٧١ ، وأخرج عنه الطبري في تفسيره ٧/ ١٤٧ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٦٢ بسند جيد ، قال : «﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ يعني : أجل الموت ، والأجل المسمى : أجل الساعة والوقوف عند الله» . وأخرج عنه الحاكم في المستدرك ٢/ ٣١٥ في هذه الآية ، قال : «هما أجلان : أجل في الدنيا ، وأجل في الآخرة ، مسمى عنده لا يعلمه إلا هو» . قال الحاكم : «حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه» ، ووافقه الذهبي في التلخيص .

وقال أهل المعاني : «في قولــه : ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ : يجوز أن يكون الحكم بهذا الأجل بعد خلق آدم ، ويجوز أن يكون قبله لِسـبق علمــه[١] بذلك قبل أن يخلق الخالق ، وعلى هذا يحمل قوله : ﴿ثُمَّ﴾ لسبق الخبر الثاني على الخبر الأول ، كقول الشاعر[٢] :

قلْ لِمَنْ سادَ ثمَّ سادَ أبُوهُ
ثُمَّ قدْ سَادَ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهْ

والجد سابق للأب ، والأب سابق للممدوح»[٣] .

(١) قال شـيخ الإسـلام في الفتاوى ١٤/ ٤٩٠-٤٩٢ في هذه الآية : «إن الله يكتـب للعبد أجلًا في صحف الملائكـة ، فإذا وصل رحمه زاد في ذلك المكتـوب ، وإن عمل ما يوجب النقص نقص من ذلك المكتوب ، والمحـو والإثبات في صحف الملائكة ، وأمَّا علم الله سـبحانه فلا يختلف ولا محو فيـه ولا إثبات» . اهـ ملخصاً

(٢) الشـاهد لأبي نواس في ديوانه ٢٢٢ ، وبلا نسـبة في رصف المباني ٢٥٠ ، والـدر المصون ٣/ ٢٢٠ ، والمغني لابن هشام ١/ ١١٧ ، وتفسير ابن كثير ٢/ ١٣٩ ، وفي الديوان :

قُـلْ لِـمَـنْ سَـادَ ثُـمَّ سَـادَ أَبُـوهُ قَـبْلَـهُ ثُـمَّ قَـبْـلَ ذَلِـكَ جَـدُّهْ

قال السـمين عن الشـاهد : «الترتيب يعود إلى الخبر لا إلى الوجود» ، وحكى ابن هشام «أن الجد أتاه السـؤدد من قبل الأب ، والأب من قبل الابن» . وظاهر كلام ابن القيم في مختصر الصواعق ٢/ ١٣٠ أن البيت لشاعر لا يحتج به ، قال ١٢٩ : «القول بأن (ثم) تأتي لترتيب الخبر لا لترتيب المخبر ، فيجوز أن يكون ما بعدها سـابقاً على ما قبلها في الوجود وإن تأخر عنه في الإخبار لا يثبت ولا يصح به نقل ، ولم يأتِ في كلام فصيح ، ولو قدر وروده فهو نادر ، لا يكون قياساً مطرداً تترك الحقيقة لأجله» .

(٣) انظر : إعـراب القرآن للنحاس ١/ ٥٣٥ . قـال ابن فارس في الصاحبـي ٢١٦ : «قوله جل ثناؤه : ﴿خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ وقد كان قضى الأجل ، فمعناه أخبركم أني خلقته من طين ، ثم أخبرك أني قضيـت الأجل ، كما تقول : كلمتك اليوم ثم قد كلمتك أمـس ؛ أي إني أخبرك بذلك ثم أخبرك بهذا» . اهـ

وقولــه تعــالى : ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ ؛ أي بعــد هذا البيان تشــكون يا معشر المشركــين ، وتكذبون بالبعث . والمرية[١] والامتراء : الشــك . والآية حجة على منكري البعث بأن الذي ابتدأ الخلق يصح أن يعيده كما ابتدأه وقدَّر الأجلين له[٢] .

٣. قوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ الآية . (الله) إذا جعلت هذا الاسم علماً ثم وصلته بالمحل أُوهم أن يكون الباري -سبحانه- في محل ، مثل قولك : «زيــد في البيت» ، وتعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ، وقد تكلــم أهل المعاني في هذا ، فقال أبو بكر[٣] : «إن وإن كان اســماً علماً ففيه معنى ثناء وتعظيم المعظم»[٤] ، ونحو هذا قال أبو إســحاق : «﴿فِي﴾ موصولة في المعنى بما يدل عليه اســم الله عز وجل ، والمعنى : هو المنفرد بالتدبير في الســماوات والأرض ، كما تقول : هو الخليفة في الشرق والغرب»[٥] .

---

(١) المرية والامتراء : الشك في الأمر . قال الراغب في المفردات :٧٦٦ : «المرية : التردد في الأمر وهو أخص من الشــك ، والامتراء والمماراة : المحاجَّة في ما فيه مرية» . اهـ . انظــر : العين ٨/ ٢٩٥ ، والجمهرة ٢/ ٨٠٦ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٣٨٤ ، والصحــاح ٦/ ٢٤٩١ ، والمجمل ٣/ ٨٢٨ ، ومقاييس اللغة ٥/ ٣١٤ ، واللسان (مرى) ٨/ ٤١٨٩ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٧/ ١٤٧ ، والسمرقندي في تفسيره ١/ ٤٧٣ ، والماوردي ٢/ ٩٣ .

(٣) تقدمت ترجمته .

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٩ ، وابن الجوزي ٣/ ٤ .

(٥) انظر : معاني القرآن ٢/ ٢٢٨ ، وهذا القول رجَّحه الجمهور كما أفاده الســمين في الدر ٤/ ٥٢٩ . قال ابن عطية في تفســيره ٥/ ١٢٧ : «هذا عندي أفضل الأقــوال وأكثرها إحرازاً لفصاحة اللفظ وجزالة المعنى» . اهـ ، وقال القرطبي في تفسيره ٦/ ٣٩٠ : «هذا القول أسلم وأبعد من الإشكال» . اهـ ، وقال ابن القيم في بدائع التفســير ٢/ ١٤٠ : «المعنى : وهو الإله وهو المعبود في كل واحدة من السماوات ، ففــي كل واحدة من هذا الجنس هو المألوه المعبود ، فذكر الجمع هنا أبلغ وأحســن من الاقتصار على لفظ الجنس الواحد ، وهذا قول محققي أهل التفســير» . اهـ ، واختاره ابن كثير في تفسيره ٢/ ١٣٩ ، والشنقيطي في أضواء البيان ٢/ ١٨١ـ١٨٣ ، وانظر : الفتاوى ٢/ ٤٠٤ .

وقال أبو علي : «الظرف منتصب الموضع عندي بـ يَعْلَمُ ، وهو عندي إضمار القصة والحديث ، كأن معناه الأمر لله بـ ﴿يَعْلَمُ﴾ في السماوات وفي الأرض سركم وجهركم» ، قال : «وإذا جعلت الظرف متعلقاً باسم الله جاز عندي في قياس قول مَن جعل اسم الله أصله الإله ؛ لأن المعنى يكون وهو المعبود في السماوات والأرض . [يعلم[١]] : أي الآمر المعبود ، يعلم سركم وجهركم» ، قال : «ومَن ذهب بهذا الاسم مذهب الأسماء الأعلام وجب ألَّا يجوز على قوله تعلق الظرف به ، إلَّا أن يقدر فيه ضرباً من معنى الفعل»[٢] . وقوله تعالى : ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ معنى : (الكسب)[٣] الفعل لاجتلاب نفع أو دفع ضرر ، ولهذا لم يوصف فعله القديم [جل ثناؤه][٤] بأنه كسب[٥] .

٤. وقوله تعالى : ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ ، ﴿مِّنْ﴾ في قوله : ﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾ لاستغراق الجنس الذي يقع في النفي ، مثل قولك : «ما أتاني[٦] من أحد» ، والثانية : للتبعيض ، فالأول خرج مخرج عموم الآيات كأنه قيل : «أي آية أتتهم هي بعض آيات ربهم»[٧] ، والمراد بالآيات الدلالات التي يجب أن يستدلوا بها على توحيد الله وصدق نبيه ﷺ من خلق السماوات والأرض وما بينهما مع المعجزات التي أتى بها

---

(١) لفظ : (يعلم) ساقط من (أ) .

(٢) الإغفال لأبي علي ٧٠٣ ، ٧٠٤ .

(٣) انظر : العين ٥/ ٣١٥ ، والجمهرة ١/ ٣٣٩ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣١٤٠ ، والصحاح ١/ ٢١٢ ، والمجمل ٣/ ٧٨٥ ، ومقاييس اللغة ٥/ ١٧٩ ، والمفردات ٧٠٩ ، والنهاية لابن الأثير ٤/ ١٧١ ، واللسان (كسب) ٧/ ٣٨٧ .

(٤) لفظ : [جل ثناؤه] ساقط من (ش) .

(٥) انظر : الرازي في تفسيره ١٢/ ١٥٦ ، والقرطبي في تفسيره ٦/ ٣٩٠ .

(٦) في (ش) : (ما أبالي من أحد) .

(٧) انظر : الكشاف ٢/ ٥ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ١٢٨ ، وتفسير القرطبي ٦/ ٣٩٠ ، والدر المصون ٤/ ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ونقل الرازي في تفسيره ١٢/ ١٥٧ قول الواحدي .

محمد ﷺ . قال أبــو العالية في قوله تعالى : ﴿مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ : «مثل الشمس والقمر والنجوم»[١] ، وقال ابن عباس : «ومن الآيات[٢] انشــقاق القمر بمكة» ، وقال عطــاء : «﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ : يريد القرآن»[٣] .

وقولــه تعــالى : ﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ؛ أي تاركين التفكــر فيها . ومعنى الإعراض[٤] : الانصراف بالوجه عن الشيء ، ثــم يبنى عليه الانصراف بالفكر عنه .

٥. قولــه تعالى : ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟﴾ يعني مشركي مكــة ﴿بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ ، قــال ابن عباس : «بما جاءهم [بــه][٥] الصادق الأمين»[٦] . ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ؛ أي أخبار استهزائهم وجزائه ، قاله ابن عباس[٧] والحســن[٨] ، وقال الزَّجَّاج : «المعنى : سيعلمون ما يؤول

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) نحوه في تنوير المقباس ٢/ ٤ ، وذكره الثعلبي في تفســيره ٦/ ١٧٥ ب ، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٢٨ بلا نسبة .

(٣) ذكره الواحدي في الوســيط ١/ ٩ ، والبغوي في تفســيره ٣/ ١٢٨ . والأولى العموم فتشمل الآيات الشرعيــة والكونية الآية من القرآن والمعجزة ، مثل انشــقاق القمر ونحــوه ، وهو اختيار الجمهور . انظر : تفســير الطبري ٧/ ١٤٨ ، والسمرقندي في تفسيره ١/ ٤٧٤ ، وابن الجوزي في تفسيره ٣/ ٤ ، والرازي في تفســيره ١٢/ ١٥٧ . وقد أخرج البخاري في صحيحه ٣٦٣٦ ، كتاب : المناقب ، باب : سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر . عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقين ، فقال النبي ﷺ : «اشهدوا» . اهـ

(٤) انظر : جمهــرة اللغة ٢/ ٧٤٨ ، وتهذيب اللغــة ٣/ ٢٣٩٤ ، والصحــاح ٣/ ١٨٢ ، ومقاييس اللغة ٤/ ٢٧١ ، والمفردات ٥٥٩ ، واللسان (عرض) ٥/ ٢٨٩٤ .

(٥) لفظ : (به) ساقط من (أ) .

(٦) تنوير المقباس ٢/ ٤ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٠ .

(٧) نحوه في تنوير المقباس ٢/ ٤ .

(٨) لم أقف عليه بنصه ، ولكن معناه موجود في عامة كتب التفســير . انظر : تفســير الطبري ١١/ ٢٩٢ ، =

إليه استهزاؤهم»(١) . ومعنى الاستهزاء : إيهام التفخيم في معنى التحقير(٢) .

٦. قوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ الآية . قال أبو إسحاق : «موضع ﴿كَمْ﴾ نصب بأهلكنا لا بقوله : ﴿يَرَوْا﴾ ؛ لأن لفظ الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله»(٣) . والقرن : الأُمَّة من الناس ، وأهل كل مدة قرن ؛ قال النبي ﷺ : «خيركم قرني»(٤) . واشتقاقه من الاقتران(٥) ، فالقرن : القوم المقترنون في زمان من الدهر(٦) ، وقال ابن عباس في تفسير

= وتفسير البغوي ٣/ ١٢٨ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ١٢٨ ، وزاد المسير ٣/ ٤ ، وتفسير القرطبي ٦/ ٣٩١ ، وتفسير ابن كثير ٢/ ١٤٠ .

(١) معاني القرآن ٢/ ٢٢٨ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة ٤/ ٣٧٥٥ ، والصحاح ١/ ٨٣ ، ٨٤ ، ومجمل اللغة ٣/ ٩٠٤ ، ومقاييس اللغة ٦/ ٥٢ ، والمفردات ٨٤١ ، واللسان (هزأ) ٨/ ٤٦٥٩ .

(٣) معاني القرآن ٢/ ٢٢٩ . انظر : إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٥٦ ، والمشكل لمكي ١/ ٢٤٦ ، والبيان لابن الأنباري ١/ ٣١٤ ، والتبيان للعكبري ١/ ٣٢٢ ، والفريد للهمداني ٢/ ١٢٠ ، والدر للسمين ٤/ ٥٣٥ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٦٥١ ، كتاب : الشهادات ، باب : لا يشهد على شهادة جور إذا شهد ، ومسلم في صحيحه ٢٥٣٥ ، كتاب : فضائل الصحابة ، باب : فضائل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال : «خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» . قال عمران : «لا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة» ، وانظر : شرحه في فتح الباري ٧/ ٥ .

(٥) انظر : الجمهرة ٢/ ٧٩٣ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٩٤٧ ، والصحاح ٦/ ٢١٨٠ ، ومقاييس اللغة ٥/ ٧٦ ، والمجمل ٣/ ٧٤٩ ، والمفردات ٦٦٧ ، والنهاية لابن الأثير ٤/ ٥١ ، واللسان (قرن) ٦/ ٣٦٠٨ .

(٦) أجمع الجمهور على أن القرن (مائة) سنة ، وأكثر المحققين يرون أنه غير مقدَّر بزمن معين ، لا يقع فيه زيادة ولا نقصان ، بل المراد أهل كل عصر ، فإذا انقضى أكثرهم قيل : «قد انقضى القرن» ، وهو اختيار الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٢٢٩ ، والنحاس ٢/ ٤٠٠ ، والرازي في تفسيره ١٢/ ١٣١ ، والقرطبي في تفسيره ٦/ ٣٩١ . انظر : معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٢٨ ، ومجاز القرآن ١/ ١٨٥ ، وتفسير غريب القرآن ١٥١ ، وتفسير البغوي ٣/ ١٢٨ ، وابن عطية ٥/ ١٢٩ ، وابن الجوزي في تفسيره ٣/ ٥ ، والبحر ٤/ ٦٥ ، والدر المصون ٤/ ٥٣٩ .

قوله تعالى: ﴿مِّن قَرْنٍ﴾: «يريد: من جيل ومن أُمَّة»[(١)]، وقوله تعالى: ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ قال ابن عباس: «يريد: أعطيناهم ما لم نعطكم»[(٢)]. يعني وسَّعنا عليهم في كثرة العبيد والمال والثمار والأنعام.

ومعنى التمكين[(٣)] من الشيء: إعطاء ما يصح به الفعل من الآلات والعدد والقوى، وهو أتم من الإقدار؛ لأن الإقدار إعطاءُ القدرة خاصة، والقادر على الشيء قد يتعذر عليه الفعل بعدم الآلة، والتمكن ينافي التعذر[(٤)] والانتقال من الخبر إلى الخطاب من الاتساع والتصرف في[(٥)] الكلام، مثل قولك: «قلت لعبدالله -وقد كان شكره زيد- : ما أكرمك!»؛ أي واجهته بهذا الخطاب، وإن شئت قلت: «ما أكرمه!» على الإخبار[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ﴾، ثم قال: ﴿مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ ولم يقل: نمكِّنكم، وهما لغتان؛ تقول العرب: «مكَّنته، ومكَّنت له»، مثل قولك: «نصحته، ونصحت

---

(١) انظر: تنوير المقباس ٢/ ٤.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٠، وابن الجوزي ٣/ ٦.

(٣) انظر: الجمهرة ٢/ ٩٨٣، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٤٣٦، والصحاح ٦/ ٢٢٠٥، والمجمل ٣/ ٨٣٧، والمفردات ٧٧٣، واللسان (مكن) ٧/ ٤٢٥٠.

(٤) هذا قول أبي هلال العسكري في الفروق اللغوية ٩٠، وانظر: البحر ٤/ ٦٦.

(٥) قال بعض أهل التفسير: «في الآية رجوع من الغيبة في قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ إلى الخطاب في قوله ﴿لَّكُمْ﴾ للاتساع وتلوين الخطاب». قال السمين في الدر المصون ٤/ ٥٣٨: «فيكون على هذا التفاتاً فائدته التعريض بقلة تمكن هؤلاء ونقص أحوالهم عن حال أولئك، ومع تمكينهم وكثرتهم فقد حل بهم الهلاك، فكيف وأنتم أقل منهم تمكيناً وعدداً». انظر: معاني القرآن للأخفش ٢/ ٢٦٩، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٣٦، وغرائب التفسير للكرماني ١/ ٣٥٢، وتفسير البغوي ٣/ ١٢٨، وابن الجوزي ٣/ ٦، وتفسير القرطبي ٦/ ٣٩١.

(٦) أي يجوز قلت لزيد: «ما أكرمك!»، أو «ما أكرمه!». انظر: تفسير الطبري ٧/ ١٤٩، وابن عطية ٥/ ١٣٠، والبحر ٤/ ٧٥.

لــه» . قال صاحب النظم : «العرب تتسـع في الأفعال التـي تتعدى بحروف[(١)] الصفـات فربما عدَّوهـا[(٢)] بغيرها كقولـه تعـالى : ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير :٢٦] ، المعنى : فإلى أين ؛ وربما زادوها في ما يتعدى بغيرها كقوله تعالى : ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف :٤٣] ، وقوله تعـالى : ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف :١٥٤] ، وقوله تعالى : ﴿رَدِفَ لَكُم﴾)[(٣)] [النمل :٧٢] ، ونحو هذا» . قال أبو علي في قوله تعالى : ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف :٢١] وقوله تعالى : ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف :٨٤] ، قال : «يجوز أن تكون اللام هاهنا على حد التي هي في قوله تعالى : ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ ، ﴿لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾»[(٤)] .

وقوله تعالى : ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾ قـال ابن عباس : «يريد بالغيث والبركة»[(٥)] .

---

(١) في : (ش) : (بحرف) ، والصواب ما أثبته .

(٢) في : (أ) : (أعدوها) ، والصواب ما أثبته .

(٣) قال السمين في الدر ٤/ ٥٣٧ : «قال أبو علي الجرجاني : مكَّنَّاهم ومكَّنَّا لهم لغتان» . اهـ

(٤) الحجة لأبي علي ٤/ ٤٢٩ . قال العسكري في الفروق ٩٠ : «الصحيح أنَّ مكَّنت له : جعلت له ما يتمكَّن به ، ومكَّنته : أقدرته على ملك الشيء في المكان» اهـ ، وقال السمين في الدر ٤/ ٥٣٦ ، ٥٣٧ : «الفرق بينهما أن مكَّنه في كذا أثبته فيها ، وأمَّا مكَّن له فمعناه جعل له مكاناً» . اهـ ملخصاً . انظر : المسائل العضديات ٦٧ ، والكشاف ٢/ ٥ ، والأكثر على التسوية بينهما ، ويتعدى مكَّن بنفسه وبحرف الجر ، والأكثر تعديته باللام . انظر : أيضاً مجاز القرآن ١/ ١٨٦ ، ونزهة القلوب ٣٩٩ ، وغرائب الكرماني ١/ ٣٥٣ ، وتفسير البغوي ٣/ ١٢٨ ، وابن الجوزي ٣/ ٦ ، وتفسير القرطبي ٦/ ٣٢٩ ، والبحر ٤/ ٧٦ .

(٥) لم أقف عليه بهذا اللفظ ، وأخرج عنه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٢٦٤ بسند جيد ، قال : «يتبع بعضها بعضاً» . اهـ ، وأخرج عنه أبو عبيد في كتاب اللغات : ٩٤ ، وابن حسنون ٢٤ ، والوزان ٣ ب بسند جيد ، قال : «متتابعاً بلغة هذيل» ، وذكر البغوي في تفسيره ٣/ ١٢٨ عنه أنه قال : «متتابعاً في أوقات الحاجات» . اهـ

والسماء [معناه][١] : المطر هاهنا ، والمدرار : الكثير الدر ، وأصله من قولهم : «درَّ اللبن» إذا أقبل على الحالب منه[٢] شيء كثير ، فالمدرار يصلح أن يكون من نعت السحاب[٣] ، ويجوز أن يكون من نعت المطر ، ويقال : «سحاب مدرار» إذا تتابع إمطاره ، ومِفعال يجيء في نعت يبالغ فيه . قال مقاتل : «مدراراً : متتابعاً»[٤] ، وقال المؤرِّج[٥] : «مرة بعد أخرى»[٦] ، ويستوي في المدرار المذكر والمؤنث .[٧]

وقوله تعالى : ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ قال ابن عباس : «يريد بكفرهم وجرأتهم عليَّ»[٨] . وقوله تعالى : ﴿وَأَنشَأْنَا﴾ معنى الإنشاء ابتداء الإيجاد من غير سبب[٩] تقدم . والآية احتجاج على منكري البعث ، من جهة أن الذي أَهلك مَن قبلهم وأنشأ بعدهم قرناً آخرين قادر على أن يُهلك العالم بأسره ، ويُنشئ بعده عالماً آخرَ ، وقادر على الإعادة بعد الإهلاك .

٧. قوله تعالى : ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾ . قال الكلبي : «قال مشركو مكة : يا محمد ، لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ،

---

(١) لفظ : (معناه) ساقط من (أ) . انظر : الزاهر لابن الأنباري ١/ ٢٣٨ .

(٢) انظر : جمهرة اللغة ١/ ١١ ، وتهذيب اللغة ٢/ ١١٧١ ، والصحاح ٢/ ٦٥٥ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٢٥٥ ، والمفردات ٣١٠ ، واللسان (در) ٣/ ١٣٥٧ .

(٣) مثله قال الرازي ١٢/ ١٥٩ ، والأكثر على أن ﴿مِّدْرَارًا﴾ حال من السماء ، وهو الظاهر ؛ لأنه بعد معرفة . انظر : إعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٣٧ ، والمشكل ١/ ٢٤٦ ، والبيان ١/ ٣٨١ ، والفريد ٢/ ١٢١ ، والبحر ٤/ ٧٦ ، والدر المصون ٤/ ٥٤١ . ولعل مراد الواحدي بالنعت الحال ؛ لأن أصله صفة . انظر : الأصول لابن السراج ١/ ٢١٣ ، وشرح شذور الذهب ٢٤٤ .

(٤) تفسير مقاتل ١/ ٥٥٠ .

(٥) تقدمت ترجمته .

(٦) ذكره الرازي ١٢/ ٧٦ عن مقاتل ، وانظر : مجاز القرآن ١/ ١٨٦ ، وغريب القرآن لليزيدي ١٣٤ ، وتفسير غريب القرآن ١٥٠ ، ونزهة القلوب ٤٤٠ .

(٧) انظر : معاني القرآن للزَّجاج ٢/ ٢٢٩ ، والنحاس ٢/ ٤٠١ .

(٨) انظر : تنوير المقباس ٢/ ٤ .

(٩) انظر : تهذيب اللغة ٤/ ٣٥٦٧ ، والصحاح ١/ ٧٧ ، والمفردات (نشأ) ٨٠٧ .

ومعه أربعة من الملائكة يشهدون أنه من عند الله ، وأنك رسوله ، فنزلت هذه الآية»[(١)] . والقرطاس[(٢)] : كاغدٌ[(٣)] يُتخذ من بردي[(٤)] يكون بمصر ، وكل كاغدٍ قرطاس ، سواء كان من جنس القراطيس المصرية أو من غيرها ، وإن كان قد غلب هذا الاسم عليها ، وأراد بالكتاب المصدر[(٥)] .

قال ابن عباس[(٦)] والسُّدِّي[(٧)] وقتادة[(٨)] : ﴿فِى قِرۡطَاسٍ﴾ : «يعني : الصحيفة» ، وروي عن ابن عباس أنه قال : «﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَـٰبًا﴾ مُعلَّقاً من السماء إلى الأرض»[(٩)] .

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ٢١٦ ، والوسيط ١/ ١١ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٢٩ ، وابن الجوزي ٣/ ٧ .
انظر : تفسير ابن عطية ٥/ ١٣٢ ، وتفسير القرطبي ٦/ ٣٩٣ ، والبحر ٤/ ٧٧ .

(٢) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٥١ ، وجمهرة اللغة ٣/ ١٢٧٥ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٩٣٥ ، والصحاح ٣/ ٩٦٢ ، والمفردات ٦٦٦ ، واللسان (قرطس) ٦/ ٣٥٩٢ .
والقرطاس : الصحف التي يُكتب فيها ، وهو بكسر القاف أكثر استعمالاً وأشهر من ضمها . انظر : البحر المحيط ٤/ ٧٧ ، والدر المصون ٤/ ٥٤٣ .

(٣) الكاغد (بالفتح) : القرطاس . انظر : تاج العروس ٥/ ٢٢٥ .

(٤) قوله : (من بردى) عليه طمس في (أ) ، والبردي (بفتح الباء وسكون الراء) : نبات معروف . انظر : اللسان (برد) ١/ ٢٥١ .

(٥) أي بمعنى الكتابة . انظر : تفسير القرطبي ٦/ ٣٩٣ ، والدر المصون ٤/ ٥٤٣ .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ١٥١ بسند ضعيف .

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ١٥١ بسند جيد .

(٨) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٠٣ ، والطبري في تفسيره ٧/ ١٥١ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٦٤ بسند جيد ، قال ابن أبي حاتم : «وروي عن السُّدِّي نحو ذلك» .

(٩) ذكره القرطبي في تفسيره ٦/ ٣٩٢ .

وقولــه تعالى : ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ قال قتــادة : «فعاينوا ذلك معاينة ومسُّــوه بأيديهم»[(١)] ، وقال أهل المعاني : «اللمس[(٢)] باليد أبلغ في الإحساس من المعاينة ، لذلــك قيل : ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ من دون أن يقال : «لَعاينوه»[(٣)] ؛ لأن اللمس باليد يتضمن[(٤)] المعاينة وزيادة»[(٥)] .

وقولــه تعــالى : ﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أخــبر الله تعالى أنهم يدفعون الدليل ، حتى لو أتاهم الدليل مدركاً بالحس لنسبوه إلى السحر . قال أبو إســحاق : «لو رأوا الكتاب ينزل من السماء لقالوا : سحر ، كما [أنهم][(٦)] قالوا في انشقاق القمر : ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر :٢] ، وكذلك يقولون في كل آية يعجز عنها المخلوقون[(٧)]»[(٨)] .

٨. وقوله تعالى : ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ . قال المفسرون[(٩)] : «طلبوا ملكاً يرونه [يقول[(١٠)]] : إنه رســول الله ، فقال الله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي لأهلكوا بعذاب الاستئصال» ، وهو معنى قول

(١) أخرجــه الطبري في تفســيره ٧/ ١٥٠ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٦٤ بســند جيــد ، وأخرج الحاكم في المستدرك ٢/ ٣١٥ عن ابن عباس في هذه الآية ، قال : «مسوه ونظروا إليه لم يؤمنوا به» .

(٢) في (أ) : (المس) .

(٣) في النسخ : لعاينوه ، والأولى «فعاينوه» .

(٤) في (ش) : (تضمن) .

(٥) انظر : تفســير الماوردي ٢/ ٩٥ ، وتفسير البغوي ٣/ ١٢٩ ، والزمخشري ١٢/ ١٦٠ ، وتفسير الرازي ١٢/ ١٣٣ ، والبحر ٤/ ٧٧ .

(٦) لفظ : (أنهم) ساقط من (ش) .

(٧) في (ش) : (الخلوقات) ، وهو تحريف .

(٨) معاني القرآن للزَّجّاج ٢/ ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ونحوه قال النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٠٢ .

(٩) انظر : تفسير الطبري ٧/ ١٥١ .

(١٠) في (أ) : (يقولون) .

الحسن[١] وقتادة[٢] والسُّدِّي[٣] ، وقال مجاهد[٤] وعكرمة[٥] : «لقامت الساعة»[٦] ، وقال الزَّجَّاج : «معنى قُضِي الأمر : أتِمَّ إهلاكهم[٧] ، وقُضي على ضروب كلها ترجع إلى معنَى انقطاع الشيء في تمامه»[٨] . وقدَ ذكرنا معاني القضاء في سورة البقرة .

قال أهل العلم : «إنما لم يُنظروا ولو نزل الملك ؛ لأنه يجب أن يجروا على سُنَّة مَن قبلهم ممن طلب الآيات فلم يؤمنوا ، فأُهلكوا بعذاب الاستئصال كثمود وعاد ، لحكم الله في خلقه بذلك ؛ لأنه أزجر عن التحكم في طلب الآيات ، وأدعى إلى الإيمان خوفاً من الإهلاك»[٩] . وقال الضحاك : «لو أتاهم ملك في صورته لماتوا»[١٠] .

---

(١) ذكره الماوردي في تفسيره ٢/ ٩٥ ، والقرطبي في تفسيره ٦/ ٣٩٣ عن الحسن وقتادة .

(٢) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٠٤ ، والطبري في تفسيره ٧/ ١٥١ ، ١٥٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٢٦٥ من طرق جيدة عن قتادة .

(٣) أخرجه الطبري ٧/ ١٥١ بسند جيد ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٢٦٥ عن السُّدِّي .

(٤) تفسير مجاهد ١/ ٢١٢ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ١٥١ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٦٥ من طرق جيدة .

(٥) عكرمة بن عبدالله البربري ، أبو عبدالله المدني مولى ابن عباس ، تقدمت ترجمته .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ١٥١ بسند ضعيف ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٢٦٥ ، وذكر هذا القول ابن عطية ٥/ ١٣٢ عن مجاهد وضعَّفه ، وذكره النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٠٢ عن مجاهد ، وقال : «والمعنى عند أهل اللغة : لحتم بهلاكهم ، وهو يرجع إلى ذلك القول» . اهـ

(٧) في (ش) : (أتم هلاكهم) ، وفي معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٣٠ : «لتم هلاكهم» .

(٨) كذا في النسخ ، وعند الزَّجَّاج : «انقطاع الشيء وتمامه» .

(٩) انظر : تفسير الماوردي ٢/ ٩٧ ، وتفسير البغوي ٣/ ١٢٩ .

(١٠) ذكره البغوي في تفسيره ٣/ ١٢٩ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ١٥٢ بسند ضعيف عن الضحاك عن ابن عباس .

وقولــه تعالى : ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ قال ابن عباس : «لا يؤخرون لتوبة ولا لغير ذلك»[(١)] .

٩. وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا﴾ ؛ أي لو جعلنا الرســول ملكاً ، أو الذي ينزل عليه ليشهد له بالرسالة كما يطلبون ذلك .

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾[(٢)] . قــال ابن عباس[(٣)] والمفسرون[(٤)] : «لأنهم لا يســتطيعون أن يروا الملك في صورتــه ؛ لأن أعين الخلق تحار عن رؤية الملائكة إلَّا بعد التجسم بالأجسام الكثيفة»[(٥)] .

قال الزَّجَّاج : «قيل : إن المَلَك لو نظر إليه ناظر على هيئته لصعق ، ولذلك كانت الملائكة تأتي الأنبياء في صورة الإنس ، كجبريل -عليه السلام-[(٦)] يأتي النبي ﷺ[(٧)]

---

(١) أخرجه الطبري في تفســيره ٧/ ١٥٢ ، وابن أبي حاتم في تفســيره ٤/ ١٢٦٦ بســند ضعيف ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٢ ، وابن الجوزي في تفسيره ٣/ ٨ .

(٢) لفظ : (لجعلناه) عليه طمس في (أ) .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ١٥٢ ، ١٥٣ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٢٦٦ بسند ضعيف .

(٤) انظر : تفســير الطبري ٧/ ١٥٢ ، وذكره ابن عطية في تفســيره ٥/ ١٣٣ عن ابــن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وابن زيد .

(٥) قــال القرطبي في تفســيره ٦/ ٣٩٣ : «أي لا يســتطيعون أن يروا الملك في صورته إلاَّ بعد التجســم بالأجسام الكثيفة ؛ لأن كل جسم يأنس بجنسه وينفر من غير جنسه» . اهـ ، وقال ابن عطية ٥/ ١٣٣ : «أهل التأويل مجمعون أنهم لم يكونوا يطيقون رؤية الملك في صورته ، فالأولى في قوله : ﴿لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي لماتوا من هول رؤيته» . اهـ ملخصاً ، وانظر : البحر المحيط ٤/ ٧٨ .

(٦) في (ش) : (كان يأتي) .

(٧) أخرجــه البخاري في صحيحــه ٣٦٣٣ ، كتاب المناقب ، باب : علامات النبوة ، ومســلم في صحيحه ٢٤٥١ ، عن أســامة بن زيد -رضي الله عنه- قال : «إن جبريل -عليه السلام- أتى النبي ﷺ وعنده أم ســلمة فجعل يحدث ثم قام . فقال النبي لأم سلمة : « من هذا ؟» قالت : هذا دحية» ، وقال ابن حجر في الإصابة ١/ ٤٧٣ ، والمناوي في الفتح السماوي ٢/ ٦٠٠ : «أخرج النسائي بسند صحيح عن ابن عمر قال : كان جبريل يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي» . انظر : الكافي الشاف لابن حجر ٦٠ ، ٦١ .

في صورة دحية[١] الكلبي ، وكقصة نبأ الخصم إذ تسوَّروا[٢] المحراب ، وكما أتَوا إبراهيم[٣] ولوطاً -عليهما السلام- في صورة الضيفان من الآدميين»[٤][٥] ، وكذلك قصة جبريل مع النبي ﷺ حين أتاه يسأله عن الإيمان والإسلام والإحسان والقدر . والخبر صحيح مشهور[٦] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ : يقال : «لبست الأمر على القوم ألبِسه لبساً إذا شبهته عليهم وجعلته مشكلاً»[٧] . قال ابن السكيت[٨] : «يقال : لبَست عليه الأمر إذا خلطته عليه حتى لا يعرف جهته»[٩] .

قال أهل اللغة[١٠] : «معنى اللبس : منع النفس من إدراك المعنى كما هو[١١] كالستر له ، وأصله من الستر بالثوب ومنه لبس الثوب ؛ لأنه ستر النفس به» .

---

(١) دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي ، صاحب النبي ﷺ ورسوله بكتابه إلى قيصر الروم ليوصله إلى هرقل ، وهو صحابي جليل مشهور ، وكان جميلاً يضرب به المثل في حسن الصورة ، أسلم قبل بدر ، وتوفي في خلافة معاوية . انظر : الاستيعاب ١/ ٤٧٢ ، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٥٥٠ ، والإصابة ١/ ٤٧٢ ، وتهذيب التهذيب ١/ ٥٧٣ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥/ ٢٢١ .

(٢) قصة دواد -عليه السلام- مع الخصم مذكورة في سورة الآية ٢١ وما بعدها .

(٣) قصة إبراهيم -عليه السلام- مع الرسل مذكورة في مواضع من القرآن ، منها : سورة هود ، الآية ٦٩ وما بعدها ، وسورة الحجر ، الآية ٥١ وما بعدها ، وسورة الذاريات ، الآية ٢٤ وما بعدها .

(٤) قصة لوط -عليه السلام- مع الرسل مذكورة في مواضع من القرآن ، منها : سورة هود ، الآية ٧٧ وما بعدها ، وسورة الحجر ، الآية ٦١ وما بعدها .

(٥) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٣١ ، وانظر : أيضاً : «ما اتفق لفظه واختلف معناه» للمُبرِّد ٣٢ .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ٥٠ ، كتاب : الإيمان ، باب : سؤال جبريل ، ومسلم في صحيحه ٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وأخرجه مسلم عن عمر رضي الله عنه .

(٧) هذا قول الأزهري في تهذيب اللغة ٤/ ٣٢٢٨ .

(٨) تقدمت ترجمته .

(٩) إصلاح المنطق : ٢٠٦ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٢٢٨ .

(١٠) انظر : العين ٧/ ٢٦٢ ، والجمهرة ١/ ٣٤١ ، والصحاح ٣/ ٩٧٣ ، والمجمل ٣/ ٨٠١ ، ومقاييس اللغة ٥/ ٢٣٠ ، والمفردات ٧٣٤ ، واللسان (لبس) ٧/ ٣٩٨٧ .

(١١) في (ش) : (بما هو) .

قال الضحاك[١] في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾: «ولخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكوا فلا يدروا أملك هو أم آدمي».

قال الزَّجَّاج[٢]: «وكانوا هم يلبسون على ضعفتهم في أمر النبي ﷺ فيقولون: إنما هو بشر مثلكم، فقال[٣] الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾، فرأوا المَلك رجلاً لكنَّا قد لبسنا عليهم؛ لأنه كان يلحقهم فيه من اللبس مثل ما لحق ضعفتهم منهم»؛ أي فإنما طلبوا حال لبس لا حال بيان، وهذا احتجاج عليهم بأن الذي طلبوه من إنزال المَلك لا يزيدهم بياناً، بل يكون[٤] الأمر في ذلك على ما هم عليه من الحيرة بإعمالهم الشبهة.

وذكر صاحب النظم في هذه الآية وجهاً آخرَ، فقال: «إنهم خلطوا على أنفسهم في التماس ما التمسوا، وتكلفوا منه ما لم يحتاجوا إليه، فالتمسوا نزول ملك يخبرهم أنه نبي، وقد كان لهم في ما مع النبي ﷺ من الآيات والدلائل[٥] كفاية وغُنية عن نزول مَلك، فقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا﴾ الآية».

يقول: «لو أجبناهم إلى ما سألوا من ذلك فأنزلنا ملكاً لجعلناه رجلاً مثلهم في الخلقة والصورة، فيكون نزوله مثل طلوع الشمس من مغربها أو قيام الساعة، فلا يقبل مع ذلك إيمان، ولكن يجعله[٦] على صورة رجل، فلبس بذلك[٧] عليهم؛

---

(١) ذكره في الوسيط ١/ ١٢، وأخرجه الطبري في تفسيره نحوه الطبري في تفسيره ٧/ ١٥٣١، وابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٢٦٦ بسند ضعيف عن الضحاك عن ابن عباس.

(٢) انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٣١.

(٣) في (ش): (وقال)، وهو تحريف.

(٤) في (ش): (بل يكون في الأمر في ذلك)، وهو تحريف.

(٥) في (ش): (والدلالات).

(٦) في (ش): (لجعله).

(٧) في (ش): (فلبس في ذلك).

أي يعمى[١] عليهم ؛ معاقبة لتكلفهم ما لم يكلفوا ولم تكن بهم حاجة إليه» ، وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [المنافقون :٣] ، وكان[٢] الطبع معاقبة لهم على الكفر بعد الإيمان ، فكذلك قوله تعالى : ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ ؛ أي نعاقبهم باللبس بما لبسوا على أنفسهم ، فيكون اللبس نقمة من الله ، وعقوبة لهم على ما كان منهم من التخليط في السؤال[٣] .

١٠. قوله تعالى : ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ الآية . قال المفسرون[٤] : «هذه الآية تعزية للنبي ﷺ وتسلية له عما يرى من تكذيب المشركين إياه واستهزائهم به ؛ إذ جعل إسوته في ذلك بالأنبياء الذين كانوا قبله ، وتحذير المشركين الذين فعلوا بنبيهم ما فعل مَن قبلهم من مكذبي الرسل ، فحل بهم العذاب» .

وقوله تعالى : ﴿فَحَاقَ﴾ قال النضر[٥] : «يقال : حاق بهم العذاب كأنه وجب عليهم» . قال : «يقال : حاق العذاب يحيق ، فهو حائق»[٦] .

---

(١) في (ش) : (لعمى معاقبة لهم) .

(٢) في (ش) : (فكان) .

(٣) لم أقف عليه . انظر : تفسير الماوردي ٢/ ٩٧ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ١٣٣ ، وبدائع التفسير ٤/ ١٤٢ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٧/ ١٥٣ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٤٧٥ ، وتفسير البغوي ٣/ ١٣١ ، وتفسير الزمخشري ٢/ ٧ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ١٣٤ ، وتفسير القرطبي ٦/ ٣٩٤ ، وتفسير ابن كثير ٢/ ١٤١ .

(٥) النضر بن شميل المازني ، أبو الحسن البصري ، توفي سنة ٢٠٤هـ ، تقدمت ترجمته .

(٦) تهذيب اللغة ١/ ٧٠٨ .

وقال الليث[١] : «الحيق : ما حاق بالإنسان من مكر أو سوء بعمله فنزل ذلك به ، كقول : أحاق الله بهم مكرهم ، وحاق بهم مكرهم[٢] . سلمة[٣] عن الفرَّاء في قوله : ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ [الأحقاف :٢٦] هو في كلام العرب عاد عليهم»[٤] .

قال ابن عباس في رواية[٥] عطاء في قوله تعالى : ﴿فَحَاقَ﴾ : «يريد : فحَلَّ» .

وقال الربيع[٦] : «نزل»[٧] .

وقال الفرَّاء[٨] : «يقال : حاق بهم يحيق حيقاً وحيوقاً وحيقاناً ، بفتح الحاء والياء»[٩] .

---

(١) الليث بن نصر بن سيار الخراساني ، ويقال : الليث بن المظفر بن نصر بن سيار ، إمام لغوي ، صاحب نحو وغريب وشعر ، ومن أصحاب الخليل ، ويقال : إنه هو الذي ألف كتاب العين . انظر : تهذيب اللغة ١/ ٤٧ ، وإنباه الرواة ٣/ ٤٢ ، ومعجم الأدباء ١٧/ ٤٣ ، وإشارة التعيين ٢٧٧ ، ولسان الميزان ٤/ ٤٩٤ ، والبلغة ١٧٨ .

(٢) تهذيب اللغة ١/ ٧٠٨ ، وانظر : العين (حاق) ٣/ ٢٥٦ .

(٣) سلمة بن عاصم البغدادي ، أبو محمد ، إمام لغوي نحوي ، تقدمت ترجمته .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٣/ ٥٦ ، وزاد فيه : «وجاء في التفسير نزل بهم» .

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٧٥ ب ، والواحدي في الوسيط ١/ ١٣ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٣٠ عن عطاء فقط .

(٦) الربيع بن أنس بن زياد البكري البصري نزيل خراسان ، تقدمت ترجمته .

(٧) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٧٥ ب ، والواحدي في الوسيط ١/ ١٣ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٣٠ .

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٣ من دون (وحيقاناً) ، ولم أقف عليه في معناه ، ولعله من كتاب المصادر المفقود .

(٩) انظر : تفسير الطبري ٧/ ١٥٤ ، وتفسير القرطبي ٦/ ٣٩٤ ، والبحر ٤/ ٨٠ ، والدر المصون ٤/ ٥٤٦ ، والقاموس ٨٧٧ ، قال : «حاق به يحيق حيقاً وحيوقاً وحيقاناً أحاط به» . انظر : الصحاح ٤/ ١٤٦٦ ، والمجمل لابن فارس ١/ ٢٥٩ ، ومقاييس اللغة ٢/ ١٢٥ ، والمفردات ٢٦٦ ، واللسان (حاق) ٢/ ١٠٧٢ .

قال الضحــاك : ﴿فَحَاقَ﴾ : «أي أحاط»[١] ، وهو اختيــار الزَّجَّاج ؛ لأنه قال في قوله تعالى : ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [هود :٨] : «أي أحاط بهم العذاب الذي هو جزاء ما كانوا[٢] يســتهزئون به ، كما تقول : أحاط بفلان عمله وأهلكه كَسْبُه ؛ أي أهلكه جزاء كَسبِه»[٣] .

قال الأزهري : «جعل أبو إســحاق حاق بمعنى أحــاط ، وكأن مأخذه من الحوق[٤] ، وهو ما استدار بالكمرة»[٥] . قال : «وجائز أن يكون الحوق فعلاً من حاق يحيق كأنه كان في الأصل حيقاً فقلبت الياء واواً لانضمام ما قبلها»[٦] .

وأكثر المفسريــن جعلوا الآية من باب حذف المضــاف ؛ لأنهم قالوا : «نزل وأحاط بهم عقوبة ما كانوا به يســتهزئون ، وجزاء ما كانوا به يســتهزئون» . قال الزَّجَّاج : «ومنــه قوله تعــالى : ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر :٤٣] ؛ أي لا يرجــع عاقبة مكرهم إلَّا عليهم»[٧] ، وهــذا إذا جعلت ﴿مَا﴾ في قوله تعالى :

---

(١) ذكره الثعلبي في تفســيره ١٧٥ ب ، والواحدي في الوســيط ١/ ١٣ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٣٠ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ٨٠ .

(٢) في (ش) : (ما كانوا به) .

(٣) معــاني القرآن للزَّجَّــاج ٢/ ٢٣١ ، ٣/ ٤١ ، وتهذيب اللغــة ١/ ٧٠٨ ، وفي معاني القــرآن للزَّجَّاج ٤/ ٢٧٥ قــال : «يحيق : يحيط» . والأقوال متقاربة ، وأكثرها جــاء بمعنى نزل وأحاط بهم العذاب . قال الرازي ١٢/ ١٦٣ : «في تفســيره وجوه كثيرة وهي بأسرها متقاربة» . اهــ . انظر : مجاز القرآن ١/ ١٨٥ ، وتفســير الطــبري ٧/ ١٥٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٠٣ ، وتفســير الســمرقندي ١/ ٢٧٥ ، والكاشف ٢/ ٧ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ١٣٤ .

(٤) قال الســمين في الدر ٤/ ٥٤٦ : «حاق ألفــه منقلبة عن ياء ، بدليل يحيق كبــاع يبيع ، والمصدر حيق وحيوق وحيقان ، وزعم أنه من الحوق وهو المستدير بالشيء ، وهذا ليس بشيء ؛ لاختلاف المادة ، إلَّا أن يراد الاشتقاق الأكبر ، وأيضاً هو دعوى مجردة من غير دليل» . اهـ ملخصاً ، ونحوه قال أبو حيان في البحر ٤/ ٨٠ ، وانظر : روح المعاني ٧/ ١٠٢ .

(٥) الكمرة (بالفتح) : رأس الذكر . انظر : القاموس ٤٧١ .

(٦) تهذيب اللغة (حاق) ١/ ٧٠٨ .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٣١ ، وفيه : «أي لا ترجع عاقبة مكروهة إلاَّ عليهم» . اهـ

﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ القرآن والشريعة وما جاء به النبي ﷺ، وإن جعلت ﴿مَّا﴾ العذاب الذي كان[1] يوعدهم به النبي ﷺ إن لم يؤمنوا استغنيت عن تقدير حذف المضاف، ويكون المعنى: فحاق بهم الذي كانوا يستهزئون به من العذاب، وينكرون وقوعه[2].

١١. قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ . قال ابن عباس: «سافروا في الأرض، ﴿ثُمَّ ٱنظُرُواْ﴾، فاعتبروا ﴿كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ﴾ مكذبي الرسل»[3].

قال قتادة[4]: «دمَّر الله عليهم، ثم صيَّرهم إلى النار»، وقال مقاتل: «يحذِّر كفار مكة عذاب الأمم الخالية»[5].

قال أهل المعاني: «والمكذب قد صار صفة ذم، وإن كان يجوز أن يكذب بالباطل فلا يكون ذماً؛ لأنه من أصل فاسد، وهو الكذب، فصار الذم أغلب عليه، كما أن الكفر صفة ذم، مع أنه قد يكفر[6] بالطاغوت؛ لأنه من أصل فاسد، وهو كفر النعمة»[7].

---

(١) في (أ): (الذي كانوا).

(٢) انظر: الرازي في تفسيره ١٢/ ١٦٣، وذكر السمين في الدر ٤/ ٦٥٤٧ قول الواحدي، و(ما) في قوله: ﴿مَّا كَانُواْ﴾ موصولة ولا حاجة إلى الإضمار، والمعنى: نزل بهم العذاب الذي كانوا يستهزئون به، وهو ظاهر كلام الطبري في تفسيره ٧/ ١٥٣، والزمخشري ٢/ ٧، ورجَّحه أبو حيان ٤/ ٨٠، وذكر الألوسي في روح المعاني ٧/ ١٠٢ أن هذا اختيار الواحدي، وقال بعضهم: (ما) مصدرية، والمعنى: نزل بهم عاقبة، أو جزاء، أو وبال استهزائهم. انظر: أيضاً إعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٣٧، والمشكل ١/ ٢٤٦، والبيان ١/ ٣١٤، والتبيان ٣٢٣، والفريد ٢/ ١٢٤.

(٣) انظر: تنوير المقباس ٢/ ٦، ففيه نحوه.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ١٥٤، وابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٢٦٨ بسند جيد.

(٥) تفسير مقاتل ١/ ٥٥١.

(٦) في (أ): (تكفر)، وهو تصحيف.

(٧) لم أقف على مَن ذكر مثل هذا المعنى. قال القرطبي في تفسيره ٦/ ٣٩٥: «والمكذِّبون هنا مَن كذَّب الحق وأهله لا مَن كذَّب بالباطل». اهـ

١٢. قوله تعالى : ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ . قال أهل المعاني : «هذا أمر من الله تعالى لنبيه –عليه السلام– بسؤال قومه ، وذلك أن السؤال يبعث النفس على طلب الجواب ، وتبين ما سئل عنه»(١) .

وقوله تعالى : ﴿قُل لِّلَّهِ﴾ قال صاحب النظم : «جاء السؤال والجواب من جهة واحدة ، وهو محمول على أنه لما أنزل : ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ قيل لهم ذلك كما أمر به ، وأنهم أجابوا وقالوا : فلمَن هو ؟ فجاء الجواب : ﴿قُل لِّلَّهِ﴾ ، فهذا جواب عن سؤال مضمر دل عليه الكلام»(٢) .

وقوله تعالى : ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ قال ابن عباس : «قضى لنفسه أنه أرحم الراحمين»(٣) .

وقال أهل المعاني : «لمَّا أخبر عن عِظَم ملكه بأن له ما في السماوات والأرض ذكر أنه أوجب على نفسه الرحمة ؛ تلطفاً في الاستدعاء إلى الإنابة ، واستعطافاً للمتولين عنه إلى الإقبال إليه»(٤) .

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٧/ ١٥٤ ، والرازي ١٢/ ١٦٤ .

(٢) ذكره الكرماني في غرائب التفسير ١/ ٣٥٤ ، والسمين في الدر ٤/ ٥٤٩ عن صاحب النظم ، وهو قول أحمد بن فارس في الصاحبي ٣٩١ ، وقال السمين : «هذا قول بعيد ؛ لأنهم لم يكونوا يشكون في أنه هو الله ، وإنما هذا سؤال تبكيت وتوبيخ ، ولو أجابوا لم يسعهم أن يجيبوا إلَّا بذلك» ، والأكثرون قالوا : إن ﴿قُل لِّلَّهِ﴾ أمر بالجواب عقيب السؤال نيابة عنهم ، تقريراً لهم ، وتنبيهاً على أن الجواب متعين بالاتفاق ، ولأنه أبلغ في التأثير ، وآكد في الحجة . انظر : الطبري في تفسيره ٧/ ١٥٤ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٣٠ ، والزمخشري في تفسيره ٢/ ٧ ، وابن عطية في تفسيره ٥/ ١٣٦ ، والرازي في تفسيره ١٢/ ١٦٤ ، والبحر ٤/ ٨١ .

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٤ ، وابن الجوزي ٣/ ٩ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٧/ ١٥٥ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٣١ ، وتفسير البغوي ٣/ ١٣٠ .

وقوله تعالى: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾، أجمع الأكثرون على أن هذا ابتداء كلام، واللام فيه لام قسم مضمر، كأنه: والله ليجمعنكم[١]، وجعل الزَّجَّاج ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ متصلاً بما قبلُ، فقال في معنى قوله: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾: «الله -عز وجل- تفضَّل على العباد بأن أمهلهم عند كفرهم به وإقدامهم على كبائر ما نهى عنه، بأن أنظرهم وعمَّرهم وفسح لهم ليتوبوا، فذلك كتبه على نفسه الرحمة»[٢]، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ يكون موضعه [نصباً][٣] بدلاً من ﴿ٱلرَّحْمَةَ﴾؛ ذلك أنه مفسر للرحمة بالإمهال ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾. وذكر الفرَّاء المذهبين[٤] جميعاً، فقال: «إن شئت جعلت ﴿ٱلرَّحْمَةَ﴾ غاية الكلام، ثم استأنفت بعدها ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾، وإن شئت [جعلته][٥] في موضع نصب كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ﴾ [الأنعام: ٥٤]». وعلى هذا يكون قوله تعالى: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ جواباً لقوله: ﴿كَتَبَ﴾؛ لأنه بمعنى أوجب، والقسم يوجب كما يوجب ﴿كَتَبَ﴾، فلمَّا كان معنى قوله: ﴿كَتَبَ﴾ مثل معنى القسم حمل الجواب على معنى القسم؛ قاله الجرجاني[٦].

---

(١) أي جواب قسم محذوف، والجملة لا تعلق لها بما قبلها من حيث الإعراب، وإن تعلقت به من حيث المعنى، وهو اختيار الطبري في تفسيره ٧/ ١٥٧، وابن عطية في تفسيره ٥/ ١٣٩، والسمين في الدر ٤/ ٥٥٠، وابن هشام في المغني ٢/ ٤٠٧.

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٣١، ٢٣٢.

(٣) لفظ: (نصبا)، ساقط من (أ).

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٢٨، ونحوه قال الزَّجَّاج ٢/ ٢٣٢، وانظر: إعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٣٨، والتبيان ١/ ٣٢٥، والفريد ٢/ ١٢٥.

(٥) (جعلته)، ساقط من (ش).

(٦) لم أقف عليه، وهذا القول هو ظاهر كلام الأخفش في معاني القرآن ٢/ ٢٦١، وابن الأنباري في البيان ١/ ٣١٥، وانظر: المشكل ١/ ٢٤٦، وتفسير الرازي ١٢/ ١٦٥، وتفسير القرطبي ٦/ ٣٩٥، والبحر ٤/ ٨٢.

وقوله تعالى : ﴿ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [قال الزَّجَّاج](١) : «معناه : ليجمعنكم إلى اليوم الذي أنكرتموه ، كما تقول : قد جمعت هؤلاء إلى هؤلاء ؛ أي ضممت بينهم في الجمع»(٢) .

وقال صاحب النظم : «التأويل : ليؤخرن جمعكم إلى يوم القيامة ، وقوله : ﴿ إِلَىٰ ﴾ دليل على معنى التأخير في الجمع إلى هذا اليوم»(٣) ، وهذا القول غير ما قال الزَّجَّاج في ﴿ إِلَىٰ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾ ؛ أي بالشرك بالله أوبقوا أنفسهم ، وكانوا كمَن خسر شيئاً يهلكه . واختلفوا في إعراب ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ ، فزعم الأخفش(٤) : «أن موضعه نصب على البدل من الضمير في : ﴿ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ ﴾ ، والمعنى : ليجمعن هؤلاء المشركين ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾»(٥) .

قال أبو إسحاق : «والذي عندي أن قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾ في موضع رفع على الابتداء ، وخبره : ﴿ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ ؛ لأن قوله : ﴿ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ ﴾ مشتمل على الجميع ؛ على ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾ وغيرهم»(٦) .

---

(١) (قال الزَّجَّاج) : ساقط من (ش) .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٣٢ .

(٣) لم أقف عليه . و(إلى) لها معانٍ عدة ، كما في حروف المعاني للزَّجَّاجي ٦٥ ، ومعاني الحروف للرماني ١١٥ ، والمغني لابن هشام ١/ ٧٤ ، والأظهر هنا قول الجمهور أنها على بابها للغاية ؛ أي ليجمعنكم منتهين إلى يوم القيامة . وقيل : هي بمعنى في ، وقيل : بمعنى اللام ، وقيل : زائدة . انظر : تفسير البغوي ٣/ ١٣١ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ١٣٩ ، وتفسير الرازي ١٢/ ١٦٦ ، وتفسير القرطبي ٦/ ٣٩٥ ، والبحر ٤/ ٨٢ ، والدر المصون ٤/ ٥٥٠ .

(٤) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٢٦٩ ، وهو قول الطبري في تفسيره ١١/ ٢٨١ .

(٥) هنا وقع اضطراب في النسخة (أ) ١٠٢ ؛ إذ جاء باقي التفسير في : ١٠٣ ب .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٣٢ ، وهو اختيار أكثرهم . انظر : إعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٣٨ ، والمشكل ١/ ٢٤٧ ، وغرائب الكرماني ١/ ٣٥٤ ، والبيان ١/ ٣١٥ ، والتبيان ١/ ٣٢٥ . قال الهمداني في الفريد ٢/ ١٢٦ : «هذا فيه تأخير السبب وتقديم المسبب ، فالأحسن كونه خبر مبتدأ محذوف ، أي هم الذين ، والفاء على هذا للعطف» . اهـ بتصرف ، وأكثرهم ضعَّف الوجه الأول ؛ لأن =

والفاء في قوله ﴿فَهُمْ﴾[(١)] تتضمن[(٢)] معنى الشرط والجزاء، مثل قولهم: «الذي يكرمني فله درهم»، دخلت الفاء؛ لأن الدرهم وجب بالإكرام، فكأن الإكرام شرط والدرهم جزاء، مثل قولك: «مَن يأتني فله درهم»[(٣)]، ويجوز أن يقال: «إن الفاء زائدة، فإنها تزاد في مواضع»، وقد ذكرنا ذلك في ما تقدَّم[(٤)]. من ذلك قولهم: «زيداً فاضرب»، وقوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ٤: ٥]؛ فالفاء هاهنا زائدة[(٥)].

١٣. وقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾. قال الكلبي: «إن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ: قد علمنا أنه ما يحملك على ما تفعل إلَّا الحاجة،

= القاعدة العامة عند النحاة ألَّا يبدل مظهر من مضمر بدل كل من غير إحاطة وشمول، وقوله تعالى: ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾ مشتمل على سائر الخلق الذين خسروا أنفسهم، فلا وجه لاختصاصه بهم، ولا يقال: «رأيتك زيداً» على البدل؛ لأن ضمير المخاطب في غاية الوضوح، فلا حاجة إلى البدل منه، أفاده الهمداني في الفريد ٢/ ١٢٦، والسمين ٤/ ٥٥١. انظر: أيضاً الكتاب ٢/ ٣٨٥_٣٨٩، والمقتضب ٤/ ٢٩٥_٢٩٨، والأصول ٢/ ٣٠٤، ٣٠٥، والمقرب ١/ ٢٤٢، والبحر ٤/ ٨٢.

(١) ذكر هذا القول كل مَن رجَّح قول الزَّجَّاج. انظر: تفسير ابن عطية ٦/ ١٣، وتفسير الرازي ١٢/ ١٦٦.

(٢) في (ش): (يتضمن).

(٣) الفاء تربط شبه الجواب بشبه الشرط، فيجوز دخول الفاء في خبر الموصول. انظر: معاني القرآن للأخفش ١/ ١٨٧، والأصول ٢/ ٢٧٢، والمغني ١/ ١٦٥.

(٤) انظر: البسيط (النسخة الأزهرية) ١٧١ ب، و١/ ٢٢٣ أ.

(٥) هذا قول ابن جني في سر صناعة الإعراب ١/ ٢٥٨_٢٦٠ بتصرف واختصار، والأكثرون أجمعوا على أن الفاء في ﴿فَهُمْ﴾ رابطة وليست زائدة، وقد اختُلِف في زيادة الفاء، فأجازه الرماني في معاني الحروف ٤٣_٤٧، وابن هشام في المغني ١/ ١٦٥، ١٦٦.

قال ابن هشام في الإعراب عن قواعد الإعراب ١٠٩، : «وينبغي أن يتجنب المعرب أن يقول في حرف في كتاب الله تعالى إنه زائد؛ لأنه يسبق إلى الأذهان أن الزائد هو الذي لا معنى له، وكلام الله سبحانه منزه عن ذلك، والزائد عند النحويين معناه الذي لم يؤتَ به إلا لمجرد التقوية والتوكيد لا المهمل، وكثير من المتقدمين يسمون الزائد صلة، وبعضهم يسميه لغواً، لكن اجتناب هذه العبارة في التنزيل واجب». اهـ. انظر: البرهان للزركشي ١/ ٣٠٥، والدر المصون ٥/ ٢٦٣، وموصل الطلاب إلى قواعد الإعراب لخالد الأزهري ١٦٧_١٧٠.

فنحن نجمع لك من أموالنـــا حتى تكون من أغنانا ، فأنزل الله تعالى : ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾»[١] .

قال ابن الأعـــرابي[٢] : «وله ما حل في الليل والنهار»[٣] ، وهذا موافق لقول ابن عباس : «وله ما استقر في الليل والنهار من خلق»[٤] .

قال أبو العباس أحمد[٥] : «أراد الساكنَ من الناس والبهائم خاصة ، وسكن : هدأ بعد تحرك ، وإنما معناه -والله أعلم- الخلق»[٦] ، وهذا مذهب جماعة أن المراد بهـــذا ما كان من ذي روح ، وبه قال مقاتل : «وله ما اســـتقر في الليل والنهار من الدواب والطير في البر والبحر»[٧] .

قـــال أبو روق : «من الخلق ما يســـتقر نهاراً وينتشر ليـــلاً ، ومنها ما هو على الضد»[٨] .

---

(١) تنوير المقبـــاس ٢/ ٧ ، وذكره الثعلبي في تفســـيره ١٧٦ أ ، والواحدي في أســـباب النزول ٢١٦ عن الكلبي عن ابن عباس ، وذكره ابن الجوزي في تفسيره ٣/ ٩ ، ١٠ عن ابن عباس .

(٢) ابـــن الأعرابي : محمد بن زياد الهاشـــمي مولاهم ، أبو عبدالله الأعرابي الكـــوفي ، إمام ورع ثقة ، كثير السـماع والرواية ، عالم باللغة والنحو والأدب والتاريخ والنســـب ، له كتب منها : النوادر ، ومعاني الشعر ، وتاريخ القبائل ، وتفسير الأمثال . توفي ســـنة ٢٣١هـ وله ٨٠ سنة . انظر : طبقات الزبيدي ١٩٥ ، وتاريـــخ بغداد ٥/ ٢٨٢ ، وإنباه الرواة ٣/ ١٢٨ ، ومعجم الأدباء ١٨/ ١٨٩ ، وســـير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٨٧ .

(٣) تهذيب اللغة (سكن) ٢/ ١٧٢٤ .

(٤) تنوير المقباس ٢/ ٧ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٦ .

(٥) تقدمت ترجمته .

(٦) تهذيب اللغة (سكن) ٢/ ١٧٢٤ .

(٧) تفسير مقاتل ١/ ٥٥٢ .

(٨) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٧٦ أ ، وهو قول مقاتل ١/ ٥٥٢ .

وقـــال بعضهم : «هذا عام في جميع المخلوقات ؛ لأنه لا شيء من خلق الله إلّا وهو ســـاكن في الليل والنهار ، على معنى أنهما يشملانه ويمران عليه»[١] ، وهذا مذهب عبدالعزيز بن يحيى[٢] ومحمد بن جريـــر[٣][٤] ؛ قال عبدالعزيز : «كل ما طلعت عليه الشمس وغربت فهو من ساكني الليل والنهار»[٥] ، وعلى هذا فليس المراد بالســـكون في الآية الذي هو ضد الحركة ، بل المراد به الحلول ، كما قاله ابن الأعرابي من قولهم : «فلان[٦] يسكن بلد كذا» إذا كان يحله[٧] .

وقال جماعة من أصحاب المعاني : «في الآية محذوف ، والتقدير : وله ما سكن وتحرك في الليل والنهار ، كقوله تعالى : ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل :٨١] أراد : الحر والبرد ، فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر ؛ لأنه يعرف ذلك بقرينته ، كذلك هاهنا حذف ذكر الحركة واقتصر على الســـكون ؛ لأن ما يعمه الســـكون أكثر مما تعمه الحركة»[٨] .

---

(١) (عليه) ســـاقط من (أ) ، وقال القرطبي في تفســـيره ٦/ ٣٩٦ : «هذا أحسن ما قيل ؛ لأنه يجمع شتات الأقوال» . اهـ

(٢) عبدالعزيز بن يحيى بن عبدالعزيز بن مسلم الكناني المكي ، إمام فاضل فقيه مناظر من تلاميذ الشافعي ، يُنسب إليه كتاب الحيدة (مطبوع) ، توفي سنة ٢٤٠هـ . انظر : تاريخ بغداد ١٠/ ٤٤٩ ، وميزان الاعتدال ٢/ ٦٣٩ ، وطبقات السبكي ٢/ ١٤٤ ، وطبقات الأسنوي ١/ ٤١ ، وتهذيب التهذيب ٢/ ٥٩٨ ، والأعلام ٤/ ٢٩ .

(٣) محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير .

(٤) تفسير الطبري ٧/ ١٥٨ .

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٧٦ أ .

(٦) انظـــر : العـــين ٥/ ٣١٢ ، والجمهرة ٢/ ٨٥٥ ، والصحـــاح ٥/ ٢١٣٦ ، ومقاييـــس اللغة ٣/ ٨٨ ، والمفردات ٤١٧ ، واللسان (سكن) ٤/ ٢٠٥٢ .

(٧) هـــذا القول هو الراجح عند أكثر المفسرين . انظر : الكشـــاف للزمخشري ٢/ ٨ ، وتفســـير ابن عطية ٥/ ١٤١ ، وتفسير الرازي ١٢/ ١٦٨ ، وتفسير القرطبي ٦/ ٣٩٦ ، وتفسير ابن كثير ٢/ ١٤١ ، وقد ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٦ عن أهل المعاني .

(٨) لم أجـــده بنصه في كتب المعاني ، ولكن معناه عند أكثرهم . انظر : تفســـير الماوردي ٢/ ٩٧ ، وغرائب التفسير للكرماني ١/ ٣٥٤ ، وتفسير البغوي ١/ ١٣١ ، وزاد المسير ٣/ ١٠ ، والبحر المحيط ٤/ ٨٣ ، ٨٤ ، والدر المصون ٤/ ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، وتفسير البيضاوي ١/ ١٣٤ .

قال أبو إسـحاق : «هذا أيضاً احتجاج على المشركين ؛ لأنهم لم ينكروا أن ما استقر في الليل والنهار لله الذي هو خالقه ومدبره ، والذي هو كذلك قادر على إحياء الموتى»[١] .

١٤. قوله تعالى : ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ؛ أي خالقهما ، ابتدأ على غير مثال سبق ، والفطرة ابتداء الخلقة . قال ابن عباس : «كنت ما أدري ما فاطر السماوات حتى احتكم إليَّ أعرابيان في بئر ، قال أحدهما : أنا فطرتها ، وأنا ابتدأت حفرها»[٢] .

وقرأت على أبي الفضل العروضي -رحمه الله[٣]- فقلت : «أخبركم الأزهري قال : أخبرني المنذري[٤] عن أبي العباس أنه سمع ابن الأعرابي يقول : «أنا أول مَن فطر هذا ، أي ابتدأه»[٥] . وقال ابن الأنباري[٦] : «أصل الفطر شق الشيء عند ابتدائه»[٧] .

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٢٣٢ ، وذكر نحوه النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٠٥ .

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ٢٠٦ ، وفي غريب الحديث ٢/ ٣٨٨ ، والطبري في تفسيره ٧/ ١٥٩ . قال ابن حجر في الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ٦١ ، والمناوي في الفتح السماوي ٢/ ٦٠٢ : «إسناده حسن ليس فيه إلَّا إبراهيم بن مهاجر» . اهـ . وإبراهيم بن مهاجر البجلي الكوفي مختلف فيه ، قال ابن حجر في التقريب ٢٥٤ : «صدوق لين الحفظ» . اهـ ، وقد أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ٤٤ من طريق آخر ضعيف ، ومن طريق إبراهيم بن مهاجر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٢٦٩ عن ابن عباس ، قال : «فاطر السموات والأرض ؛ أي بديع السماوات والأرض» . اهـ ، وذكر الأول أكثرهم . انظر : الجمهرة ٢/ ٧٥٥ ، والصحاح (فطر) ٢/ ٧٨١ ، وتفسير الثعلبي : ١٧٦ أ ، وتفسير الماوردي ٢/ ٩٧ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ١٤١ ، وابن الجوزي ٣/ ١١ ، وتفسير الرازي ١٢/ ١٦٨ .

(٣) أبو الفضل العروضي : أحمد بن محمد بن عبدالله الصفار ، إمام تقدمت ترجمته .

(٤) المنذري : محمد بن أبي جعفر المنذري ، أبو الفضل الهروي ، تقدمت ترجمته .

(٥) تهذيب اللغة (فطر) ١٣/ ٣٢٦ .

(٦) ذكره الرازي في تفسيره ١٢/ ١٦٨ .

(٧) أجمع أهل اللغة والتفسير على أن الفطر بمعنى الشق والخلق والإنشاء . انظر : مجاز القرآن ١/ ١٨٧ ، =

وقولــه تعالى : ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يريد : خالقهما ومُنشــئهما بالتركيب الذي ســبيله أن يكون فيه الشق والتأليف عند ضم بعض الأشياء إلى بعض ، فلمّا كان الأصل للشق جاز أن يكون في حالٍ شق إصلاح ، وفي حالٍ أخرى شق إفساد ، ففاطر الســماوات من الإصلاح لا غير ، وقوله : ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك :٣] ، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار :١] من الإفساد ، وأصلهما واحد[(١)] .

وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ قال السُّدِّي : «وهو يَرزق ولا يُرْزَق» .[(٢)]

وقوله تعــالى : ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ؛ أي قيــل لي ذلك ، وصارت ﴿أُمِرْتُ﴾[(٣)] بــدلاً من ذلك ؛ لأنه حين قال : ﴿أُمِرْتُ﴾ أخــبر أنه قيل له ذلك ، فقولــه : ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ معطوف على مــا قبله في المعنى ؛ لأن معنى ﴿أُمِرْتُ﴾ : قيل لي[(٤)] . والآية حجة على المشركين من جهة أن مَن يُطعِم هذا العالَمَ الذي فطره ، ولا يُطْعَم لغناه عن كل شيء ، فواجب أن يستنصر منه ويؤمل النفع منه لا من غيره[(٥)] .

= وغريب القرآن لليزيدي : ١٣٤ ، والجمهرة ٢/ ٧٥٥ ، والمجمل ٣/ ٧٢٣ ، ومقاييس اللغة ٤/ ٥١٠ ، واللســان (فطر) ٦/ ٣٤٣٢ . قال السمين في الدر ٤/ ٥٥٦ : «الفطر : الشق مطلقاً ، وقيَّده الواحدي بشق الشيء عند ابتدائه» . اهـ ، والأكثرون قيَّدوه بذلك . انظر : أيضاً العين ٧/ ٤١٧ ، وتفسير غريب القرآن ١/ ١٥١ ، وتفســير الطبري ١/ ١٥٩ ، ونزهة القلــوب ٣٥٢ ، والصحاح (فطر) ٢/ ٧٨١ ، وتفسير الماوردي ٢/ ٩٨ ، والنهاية لابن الأثير ٣/ ٣٥٧ .

(١) ذكر نحــوه الزَّجَّاج في معاني القــرآن ٢/ ٢٣٣ ، والراغب في المفردات ٦٤٠ ، والرازي في تفســيره ١٢/ ١٦٩ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ١٥٩ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٢٧٠ بسند جيد .

(٣) (أمرت) ساقط من (ش) .

(٤) هــذا قول الأخفش في معــاني القرآن ٢/ ٢٧٠ ، والطبري في تفســيره ٤/ ١٥٩ ، وذكــره أكثر أهل التفســير . انظر : غرائب التفســير للكرماني ١/ ٣٥٤ ، وتفســير الزمخشري ٢/ ٨ ، وتفسير البغوي ٣/ ١٣٢ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ١٤٣ ، وزاد المســير ٣/ ١١ ، والتبيان للعكبري ١/ ٣٢٦ ، وتفسير القرطبي ٦/ ٣٩٧ ، والبحر المحيط ٤/ ٨٦ ، والدر المصون ٤/ ٥٥٨ .

(٥) هذا معنى قول الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٢٣٣ .

١٦. قولــه تعــالى : ﴿مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ﴾ ، وقرأ[١] حمزة والكسـائي : (يَـصْرِفْ) بفتح الياء وكسر الراء ، وفاعل الـصرف على هذه القراءة الضمير العائـد إلى ﴿رَبِّي﴾ من قوله تعـالى : ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي﴾ ، على تقدير : مَن يصرف هو يومئـذٍ عنه العذاب . وحجة هذه القـراءة قوله في ما بعـده : ﴿فَقَدۡ رَحِمَهُۥ﴾ ، فلمَّا كان مـا بعده فعلاً مسنداً إلى ضمير اسم الله سـبحانه ، وجب أن يكون هذا أيضاً مسنداً إليه ، ليتفق الفعلان في الإسـناد إلى هذا الضمير . والضمير العائد إلى العـذاب محذوف ، والمعنى : مَن يصرف عنه كما هو في قراءة أُبيٍّ : «مَن يصرفه»[٢] بإثبـات الهاء ، وليس حذف هذا الضمير بالسـهل ؛ لأن ﴿مَّن﴾ هاهنـا جزاء وليس بموصول ، فيحسـن حـذف العائد من الصلة ، على أن الضمير إنما يُحذف من الصلة إذا عاد إلى الموصول نحو قوله تعـالى : ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان :٤١] ، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓ﴾ [النمـل :٥٩] ؛ أي بعثـه واصطفاهم ، ولا يعود الضمير المحذوف هاهنا إلى موصول ولا إلى ﴿مَّن﴾ التي للجزاء ، إنما يرجع إلى العذاب من قوله تعالى : ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ ، والذي يحمل عليه حذف هذا الضمير من يصرفه أنه لمَّا كان في حيِّز الجزاء ، وكان ما في حيِّزه في أنه لا يتسلط على ما تقدَّمه بمنزلة ما في الصلة في أنه لا يجوز

---

(١) قرأ حمزة والكسـائي وأبو بكر عن عاصم (يَصِرْفْ) بفتح الياء وكسر الراء ، وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الراء . انظر : السـبعة ٢٥٤ ، والمبسـوط ١٦٦ ، والتذكرة ٢/ ٣٧٥ ، والتيسير ١٠١ ، والنشر ٢/ ٢٥٧ .

(٢) ذكرها أكثرهم ، ففي الحجة لأبي علي ٣/ ٢٨٦ : «مَن يصرفه عنه» ، وفي مختصر الشواذ ٤٢ ، والكشف لمكي ١/ ٤٢٥ ، وتفسـير القرطبـي ٦/ ٣٩٧ : «مَن يصرفه الله عنه» ، وفي الكشـاف ٢/ ٩ ، والبحر ٤/ ٨٦ ، والدر المصون ٤/ ٥٥٩ : «مَن يصرف الله عنه» ، وذكر ابن عطية في تفسـيره ٥/ ١٤٤ : «مَن يصرفه الله عنه . وقيل : مَن يصرف الله عنه» . اهـ

تسـلطه على الموصول ، فحسن حذف الهاء منه ، كما حسن حذفها من الصلة .

ومَـن قرأ ﴿يُصۡرَفۡ﴾[(١)] فالمسـند إليه الفعل المبني للمجهـول ضمير العذاب المتقـدِّم ذكره ، ويقوِّي هذه القراءة قوله تعـالى : ﴿يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ﴾ [هود :٨] ، ألا ترى أن الفعل بُني للمفعول به[(٢)] . قال أهل المعاني في هذه الآية : «مَن يصرف عنه العذاب يومئذٍ فقد أوجب الله له الرحمة بالثواب لا محالة ، فذكر الرحمة مع صرف العذاب ؛ لئلا يتوهم أنه ليس [له][(٣)] إلَّا صرف العذاب عنه فقط»[(٤)] .

١٧ . وقوله تعالى : ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ﴾ الآيـة . [إن][(٥)] قيل : إن المسَّ من صفة الأجسـام ، فكيف قـال تعـالى : ﴿يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ﴾ ؟ والجواب أن يُقال : إن البـاء في (بالضُّر) للتعدية ، والبـاء والألف يتعاقبان في التعدية ، والمعنى : إن أمسَّك ضُرّاً ؛ أي جعله يمسك ، فالفعل للضُّر ، وإن كان في الظاهر قد أسند إلى اسم الله تعالى كما أنك إذا قلت : «ذهب عمـر وزيد» ، كان الذهاب فعلاً لزيد غير أن عمراً[(٦)] هو المسـبب له والحامل عليه . كذلك هاهنا المسُّ للضُّر ، والله تعالى جعله ماسّاً[(٧)] .

---

(١) أي بضم الياء وفتح الراء .

(٢) ما تقدم قـول أبي علي في الحجـة ٣/ ٢٨٥_٢٨٧ ، مع بعض التصرف والاختصار . انظر : تفسـير الطـبري ٧/ ١٦٠ ، وإعـراب القرآن للنحـاس ١/ ٥٣٩ ، ومعاني القـراءات ١/ ٣٤٦ ، وإعراب القراءات ١/ ١٥٢ ، والحجة لابن خالويه ١٣٦ ، والحجة لابن زنجلة ٢٤٣ ، والكشـف ١/ ٤٢٥ ، والدر المصون ٤/ ٥٥٩ .

(٣) (له) ساقط من (ش) .

(٤) لم أقف على مَن ذكر هذا المعنى . انظر : تفسير ابن عطية ٥/ ١٤٤ ، وتفسير الرازي ١٢/ ١٧٠ .

(٥) (إن) ساقط من (ش) .

(٦) في (أ) : (أن عمرواً) .

(٧) رجَّح أبو حيان في البحر ٤/ ٨٧ ، والسمين في الدر ٤/ ٥٦٤ أن الباء هنا للتعدية ، وذكر قول الواحدي السمين ، وانظر : تفسير القرطبي ٦/ ٣٩٨ .

والضُّر اسم جامع لكل ما يتضرر به الإنسان من فقر ومرض[١] وزمانة ، كما أن الخير جامع لكل ما ينتفع به الإنسان[٢] .

١٨ . وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ . قال الليث : «القهر : الغلبة والأخذ من فوق ، والله القاهر القهار ، قهر[٣] خلقه بقدرته وسلطانه ، فصيَّرهم على ما أراد طوعاً وكرهاً . يقال : أخذت الشيء قهراً إذا أخذته دون رضا صاحبه» . ومعنى ﴿ٱلْقَاهِرُ﴾ في صفة الله تعالى يعود إلى أنه القادر الذي لا يعجزه شيء[٤] .

ومعنى ﴿فَوْقَ﴾ هاهنا أن قهره قد استعلى عليهم ، فهم تحت التسخير والتذليل بما علاهم من الاقتدار الذي لا ينفك منه أحد[٥] .

---

(١) قال أهل اللغة : «الضر ، بالضم : سوء الحال ، وبالفتح : ضد النفع» . وبعضهم قال : «هما لغتان» . انظر : العين ٧/ ٦ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٢١٠٨ ، والصحاح ٢/ ٧١٩ ، ومقاييس اللغة ٣/ ٣٦٠ ، ومجمل اللغة ٢/ ٥٦١ ، والمفردات : ٥٠٣ ، واللسان (ضر) ٥/ ٢٥٧٣ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة ١/ ٩٦٠ ، والصحاح ٢/ ٦٥١ ، ومجمل اللغة ٢/ ٣٠٨ ، والمفردات ٣٠٠ ، واللسان (خير) ٣/ ١٣٠٠ .

(٣) في النسخ : ـوهو خلقهـ وهو تحريف ، والصواب ما أثبته من نص قول الليث في تهذيب اللغة ٣/ ٢١٠٨ . انظر : الجمهرة ٣/ ٧٩٧ ، والصحاح ٢/ ٨٠١ ، ومقاييس اللغة ٥/ ٣٥ ، والمجمل ٣/ ٧٣٦ ، والمفردات ٦٨٧ ، واللسان (قهر) ٦/ ٣٧٦٤ .

(٤) انظر : تفسير أسماء الله الحسنى للزَّجَّاج ٣٨ ، والأسماء والصفات للبيهقي ٨٢ ، و٥٢٥ـ٥٣٠ ، والمقصد الأسنى للغزالي ٧٧ ، وشرح أسماء الله الحسنى للرازي ٢٢٠ ، والحق الواضح المبين للسعدي ٧٥ ، وشرح أسماء الله الحسنى للقحطاني ١٢٨ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٧/ ١٦١ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٤٧٧ ، وتفسير الماوردي ٢/ ٩٩ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ١٤٧ ، وتفسير القرطبي ٦/ ٣٩٩ . وما ذكره الواحدي مجاز ، وهو قول المُؤوِّلة الذين ينفون عن الله تعالى العلو الذي أثبته لنفسه ، ومذهب أهل السُّنة والجماعة أن حقيقة الفوقية علو ذات الشيء على غيره ، فالحق أنه تعالى مستعلٍ على كل شيء بذاته وقدرته وقهره . انظر : أيضاً مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ٢/ ٢٠٥ـ٢١٧ .

و﴿ٱلۡخَبِيرُ﴾ العالم بالشي ، وتأويلـــه : إنه العالم بما يصح أن يخبر به ، والخبر[(١)] علمـــك بالشيء ، تقول : «لي به خبر» ؛ أي علم ، وأصله[(٢)] من الخبر ؛ لأنه طريق من طرق العلم .

١٩. قوله تعـــالى : ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ﴾ الآية . قال المفسرون : «قال أهل مكة للنبي ﷺ : ائتنا بمن يشـــهد لك بالنبـــوة ، فإن اليهود والنصارى ينكرونك[(٣)] ، فنزلت هذه الآية»[(٤)] .

قال أصحاب المعاني : «في هذه الآية دلالة أن (شـــيئاً) من أســـماء الله[(٥)] عز وجل ، وأنه يجوز أن يســـمى شـــيئاً ؛ لأن قوله : ﴿أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ﴾ جاء جوابه ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ﴾[(٦)] ، ومعنـــى الشـــهادة البيِّنة مـــن طريق المشـــاهدة ، ونظم هذه الآية

---

(١) جاء في اللســـان (خبر) ٤/ ١٠٩٠ : «بكسر الخاء وضمها : العلـــم بالشيء» . انظر : العين ٤/ ٢٥٨ ، والجمهرة ١/ ٢٨٧ ، والصحاح ٢/ ٦٤١ ، والمجمل ٢/ ٣١٠ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٢٣٩ ، والمفردات (خبر) ٢٧٣ .

(٢) قال أبو علي الفارسي في تفسير أســـماء الله الحسنى للزَّجَّاج ٤٥ : «الخبير عندنا من الخبر الذي يسمع ؛ لأن معنى الخبير العالم» . اهـ . انظر : اشتقاق أسماء الله للزَّجَّاجي ١٢٧ ، والأسماء والصفات للبيهقي ١/ ١٢٥ ، والمقصد الأسنى للغزالي ٩٣ ، وشرح أسماء الله الحسنى ٣٤٨ .

(٣) في (ش) : (ينكرون) ، وهو تحريف .

(٤) انظر : تفسير الســـمرقندي ١/ ٤٧٧ ، وتفسير الثعلبي ١٧٦ أ ، وتفسير الماوردي ٢/ ١٠٠ ، وأسباب النزول للواحدي ٢١٦ ، وتفسير البغوي ٣/ ١٣ ، وتفســـير الرازي ١٢/ ١٧٥ ، وأكثرهم ذكره عن الكلبي ، وبعضهم عن ابن عباس والحسن .

(٥) في (ش) : (الله تعالى) .

(٦) انظر : غرائب الكرماني ١/ ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، وتفســـير ابن عطية ٥/ ١٥٠ ، وتفسير الرازي ١٢/ ١٧٦ . قال البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ﴾ : «وســـمى الله تعالى نفســـه شـــيئاً ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ﴾» . اهـ . انظر : أيضـــاً شرحه في فتح الباري ١٣/ ٤٠٢ ، وحكـــى الغزالي في المقصد الأسنى ١٤٨ ، والرازي في شرح أسماء الله الحسنى ٣٥٤ الاتفاق على ذلك .
«والظاهر أنه من باب الإخبار فيصح أن يخبر عنه بالشيء لكنه شيء كامل ، ولا يقال شيء على ســـبيل الإطلاق فقط ، فهو ليس من أســـماء الله تعالى ؛ لأنه لا بد أن تتضمن أســـماء الله معاني حسنى ، لكن يصح أن يخبر عن الله بأنه شيء ، ولكن لا يدعى به ولا يسمى به» . أفاده ابن تيمية في الفتاوى ٦/ ٧٣ ، =

مثـــل نظم قوله تعـــالى : ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية [الأنعام :١٢] ، وقد ذكرناه»[(١)] ، وقال مجاهد : «أمر أن يسأل قريشاً ، ثم أمر أن يخبرهم فيقول : ﴿ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾»[(٢)] .

وقال أبو إسحاق : «أمر الله -عز وجل- نبيه بأن يحتج عليهم ويعلمهم أن شهادة الله -عز وجل- بأنه واحد ، وإقامة البراهين في توحيده ونبوة نبيه أكبر شهادة ، وأن القرآن الذي أتى به يشـــهد له أنه رسول الله ، فقال : ﴿قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ ؛ أي الله الذي اعترفتم بأنه خالق السماوات والأرض والظلمات والنور»[(٣)] .

وقوله تعـــالى : ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ ، هـــذا احتجاج للنبي ﷺ على مَن أنكر نبوتـــه ؛ لأنه لم يأتِ أحد بمثله في إخباره عما ســيكون وكان حقاً ، مثل قولـــه تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائـدة :٦٧] ، فعصمه حين لم يُقتل مع تظاهر أعدائه عليه ، وقوله تعالى : ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة :٣٣] ، ثم أظهر دين الإسلام على سائر الأديان ، وقال لليهود -وكانوا أعز قوم في وقتهم- : ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ [البقرة :٦١] ، فهم أذلاء إلى يوم القيامة[(٤)] .

وقوله تعالى : ﴿وَمَنۢ بَلَغَ﴾ قال ابن عباس : «يريد من أُمَّتي إلى يوم القيامة»[(٥)] .

= وابن القيم في بدائع الفوائد : ١/ ١٦٢ ، ومحمد بن صالح العثيمين في شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ١٠١ .

(١) جاء في النسخ (وقد ذكرنا) ثم صحح في أعلى السطر من (أ) .

(٢) تفسير مجاهد ١/ ٢١٢ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ١٦٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٢٧١ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ٤٣ من طرق جيدة ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٢ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٣٤ .

(٤) هذا قول الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٢٣٤ .

(٥) ذكره المؤلف في الوسيط ١/ ٢٠ بلا نسبة ، وأخرج عنه الطبري في تفسيره ٧/ ١٦٣ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٢٧١ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ٢٤ بسند جيد في هذه الآية ، قال : «يعني أهل مكة ومَن بلغه هذا القرآن فهو له نذير» . اهـ

قال الفرَّاء : «والمعنى : ومَن بلغه القرآن من بعدكم . و﴿بَلَغَ﴾ : صلة لِمَن ، ونُصبت ﴿مَن﴾ بالإنذار»[(١)] ، والعائد إلى الموصول محذوف[(٢)] ، مثل قولك : «الذي رأيت زيد» ، و«مَن ضربت عمرو» ، وقد مرَّ شيء من هذا القُبَيل ، ويرى العلماء أن مَن بلغته آية من كتاب الله فهو ممن بلغته الدعوة[(٣)] .

وكان مجاهد يقول : «حيث ما يأتي القرآن فهو داعٍ ونذير» ، ثم يقرأ هذه الآية[(٤)] .

وقال القرظي[(٥)] : «مَن بلغه القرآن فكأنما رأى محمداً ﷺ وسمع منه»[(٦)] ، وقال النحاس[(٧)] : «[و][(٨)] فيه قول آخر : ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ أي [و][(٩)] مَن احتلم»[(١٠)] ،

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٢٩ .

(٢) هذا قول الجمهور والتقدير : ولأنذر الذي بلغه القرآن ، حذف العائد لاستعمال العرب ذلك ، ولدلالة الكلام عليه . انظر : تفسير الطبري ٧/ ١٦٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٥٨ ، والمشكل ١/ ٢٤٧ ، وابن عطية ٥/ ١٥١ ، والبحر ٤/ ٩١ ، والدر المصون ٤/ ٥٦٨ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٧/ ١٦٣ ، وتفسير البغوي ٣/ ١٣٣ ، وتفسير ابن كثير ٢/ ١٤٢ .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ١٦٣ بسند ضعيف ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٧٦ أ ، والواحدي في الوسيط ١/ ٢٠ ، والسيوطي في الدر ٣/ ١٣ .

(٥) تقدمت ترجمته .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ١٦٣ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٢٧١ من طرق يقوِّي بعضها بعضاً ، وهو في تفسير مجاهد ١/ ٢٣١ عن محمد بن كعب ، وانظر : الدر المنثور ٣/ ١٣ .

(٧) أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي ، أبو جعفر المصري المشهور بالنحاس .

(٨) لفظ : (الواو) ساقط من (ش) .

(٩) لفظ : (الواو) ساقط من (أ) .

(١٠) معاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٠٦ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٣٩ ، والقطع والائتناف ١/ ٢٢١ ، وذكر هذا القول مكي في المشكل ١/ ٢٤٧ ، وابن عطية في تفسيره ٥/ ١٥٢ ، والقرطبي في تفسيره ٦/ ٣٩٩ .

فلا يكون إضمار الهاء . والعلماء[(١)] والمفسرون على القول الأول [وهو منفرد بهذا القول[(٢)]] .

وقوله تعالى : ﴿[أَئِنَّكُمْ][(٣)] لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ﴾ هذا استفهام معناه الجحد والإنكار .

وقال الفرَّاء : «ولم يقل أُخر ؛ لأن الآلهة جمع ، والجمع يقع عليه التأنيث ، كما قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف :١٨٠] ، وقال : ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه :٥١] ، ولم يقل : الأول ، ولا الأولين ؛ وكل ذلك صواب»[(٤)] .

وقوله تعالى : ﴿قُل لَّآ أَشْهَدُ﴾ إلى آخر الآية . قال العلماء : «المستحب لِمَن أسلم ابتداء أن يأتي بالشهادتين ، ويتبرأ من كل دين سوى دين الإسلام»[(٥)] .

ونص الشافعي على استحباب ضم التبرؤ إلى الشهادة لقوله تعالى : ﴿وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ عقيب أمره نبيه -عليه السلام- بالتوحيد[(٦)] .

٢٠. قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية . نصف هذه الآية مفسر في سورة البقرة ، والنصف الثاني مفسر في هذه السورة .

---

(١) انظر : تفسير الطبري ١٦٣١٧ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٤٧٧ ، وتفسير الماوردي ١/ ٥١٤ ، وتفسير الرازي ١٢/ ١٧٨ ، والبحر ٤/ ٩١ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٣) جاء في النسخ «قل أئنكم» بزيادة قل ، وهو تحريف .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٢٩ ، وانظر : تفسير الطبري ٧/ ١٦٣ ، والبحر المحيط ٤/ ٩٢ .

(٥) انظر : تفسير الرازي ١٢/ ١٧٩ ، والخازن ٢/ ١٢٥ .

(٦) ذكره في روضة الطالبين ٧/ ٣٠١ عن الشافعي ، وزاد : «وقال في موضع : إذا أتى بالشهادتين صار مسلماً ، وليس هذا باختلاف قول عند جمهور الأصحاب ، بل يختلف الحال باختلاف الكفار وعقائدهم» . اهـ . انظر : المغني لابن قدامة ١٢/ ٢٨٨-٢٩١ ، ونيل الأوطار ٧/ ٢٣٠-٢٣٥ .

وقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾ ؛ أي يعرفونه بالنبوة والصدق بها يجدونه[١] مكتوباً عندهم في صفتــه ونعته ، والمراد بهــؤلاء الذين يعرفونه : اليهــود والنصارى ، و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ : التــوراة والإنجيل ، وهذا قــول ابن عباس[٢] ، والحســن[٣] ، وقتادة[٤] ، وابن جريج ، والسُّدِّي[٥] .

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ قال الزَّجّاج : «﴿ٱلَّذِينَ﴾ يجوز أن يكون رفعاً على نعت : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ، وجائز أن يكون على الابتداء ، ويكون ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ خبره» ، قال : «والأشــبه أن يُعنى بالذين خسروا أنفسهم أهلُ الكتاب ، وجائز أن يُعنى به جملة الكفار»[٦] .

---

(١) في (أ) : (لما يجدونه) .

(٢) تنوير المقباس ٢/ ٩ ، وذكره ابن الجوزي في تفسيره ١/ ١٥٨ .

(٣) ذكره الماوردي في تفسيره ٢/ ١٠٠ ، والقرطبي في تفسيره ٦/ ٤٠٠ .

(٤) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٠٦ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٢٧٢ بسند جيد .

(٥) أخرجه الطبري في تفســيره ٧/ ١٦٤ من طرق جيدة عن قتادة وابن جريج والسُّــدِّي . وهذا هو قول الجمهور ، ورجَّحه أكثرهم . انظر : معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٢٩ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٠٧ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٤٧٨ ، وتفسير البغوي ٣/ ١٣٤ ، وتفسير الزمخشري ٢/ ١٠ ، وابن الجوزي ١٢/ ١٤ ، وتفســير الرازي ١٢/ ١٧٩ ، وبعضهم حمله على العمــوم ؛ أي يعرفون التوحيد والقرآن ونبــوة محمد ﷺ . وهو اختيار الطــبري ٧/ ١٦٤ ، وابن كثير ٢/ ١٤٣ ، وأفاد ابن عطية في تفســيره ٥/ ١٥٤ ، والســمين في الدر ٤/ ٥٧٠ بصحة عودة الضمير على الكل من دون تخصيص ، كأنه قيل : «يعرفون ما ذكرنا وقصصنا» . انظر : تفسير الماوردي ٢/ ١٠٠ ، والبحر ٤/ ٩٢ .

(٦) معاني القرآن للزَّجّاج ٢/ ٢٣٥ ، ومثله ذكر النحاس في إعراب القرآن ١/ ٥٣٩ ، والرازي في تفسيره ١٢/ ١٧٩ ، والقرطبــي في تفســيره ٦/ ٤٠٠ ، ورجَّح الطبري في تفســيره ٧/ ١٦٤ الوجه الأول ، والســمين في الدر ٤/ ٥٧٠ الوجه الثاني . انظر : المشــكل ١/ ٢٤٧ ، وتفســير ابن عطية ٥/ ١٥٥ ، والتبيــان ١/ ٣٢٧ ، والفريد ٢/ ١٣٣ ، والبحر ٤/ ٩٣ ، وأشــار أبو حيان والســمين إلى «أن الفاء في قوله : ﴿فَهُمْ﴾ على الوجه الأول لعطف جملة اســمية على مثلهــا ، والمراد بالذين خسرو ا أهلُ الكتــاب خاصة ، وعلى الوجه الثاني الفاء رابطة لما عرف من شــبه الموصول بالشرط ، والمراد بالذين خسروا جملة الكفار من أهل الكتاب وغيرهم» .

٢١. وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ . قال ابن عباس : «ومَن أكفر ممن اختلق على الله كذباً فأشرك به الآلهة»[١] .

وقال أهل المعاني : «هذا استفهام معناه الجحد ؛ أي لا أحد أظلم منه ؛ لأن جوابه كذلك ، فاكتفى من الجواب بما يدل عليه ، والمراد بالمفتري على الله الكذب الذين ذكرهم الله في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾[٢] [الأعراف :٢٨]» .

وقوله تعالى : ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ﴾ قال ابن عباس : «يعني القرآن ومحمداً»[٣] ، وقال أصحاب المعاني : «المكذِّب بآيات الله الجاحد لها بقوله ما نصب الله آية على نبوة محمد ﷺ كاليهود والنصارى الذين كذبوا بالقرآن ومعجزاته»[٤] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ قال عطاء عن ابن عباس : «يريد لا يسعد مَن جحد بربوبية ربه ، وكذَّب رسله»[٥] .

وقال أهل المعاني : «معنى ﴿لَا يُفْلِحُ﴾ : لا يظفر بطلبه من النجاة في آخرته ، ومَن لم يظفر بالنجاة هلك بالعذاب»[٦] .

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢١ ، وفي تنوير المقباس ٢/ ٩ ، ١٠ نحوه .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٧/ ١٦٥ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٤٧٨ ، والمشكل ١/ ٢٤٧ ، والبيان ١/ ٣١٦ ، وتفسير البغوي ٣/ ١٣٥ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ١٥٦ .

(٣) تنوير المقباس ٢/ ١٠ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٧/ ١٦٥ ، وتفسير القرطبي ٦/ ٤٠١ ، وتفسير الخازن ٢/ ١٢٥ .

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢١ .

(٦) الفلاح لغةً : الفوز والنجاة والبقاء في النعيم والخير . انظر : العين ٣/ ٢٣٣ ، والجمهرة ١/ ٥٥٥ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٨٢٦ ، والصحاح ١/ ٣٩٢ ، والمجمل ٣/ ٧٠٥ ، ومقاييس اللغة ٤/ ٤٥٠ ، والمفردات ٦٤٤ ، واللسان (فلح) ٢/ ٥٤٧ .

والمراد بالظالمين الذين وُصفوا بالافتراء على الله والتكذيب بآياته، فبيَّن أنهم ظالمون لأنفسهم بإهلاكهم إياها.

٢٢. وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ العامل في ﴿يَوْمَ﴾ محذوف على معنى: واذكر يوم نحشرهم. وقيل[(١)]: «إنه معطوف على محذوف، كأنه قيل: ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ أبداً ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾».

وقوله تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ﴾ اختلفوا في وجه هذا السؤال، فقال مقاتل: «إن المشركين في الآخرة لمَّا رأوا تجاوز الله تعالى عن أهل التوحيد قال بعضهم لبعض: إذا سُئلتم فقولوا: إنَّا مُوحِّدون، فلمَّا جمعهم الله قال [لهم][(٢)]: ﴿أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾»[(٣)]، فعلى هذا إنما سُئلوا ليعلموا أن الله تعالى يعرف أنهم أشركوا به في دار الدنيا، وأنه لا ينفعهم الكتمان.

وقال غيره من المفسرين: «إن المشركين كانوا يزعمون أن آلهتهم تشفع لهم عند الله، فقيل لهم يوم القيامة: ﴿أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنها تشفع لكم»، فكأن معنى هذا السؤال التوبيخ[(٤)]؛ لأنه سؤال في وقت الحاجة إلى الإغاثة عمن كان يدَّعي أنه يغيث، وأضاف الشركاء إليهم؛ لأنهم اتخذوها وافتعلوها من عند أنفسهم، ومعنى ﴿تَزْعُمُونَ﴾: تكذبون[(٥)].

---

(١) هذا قول الطبري في تفسيره ٧/ ١٦٥، وبذا يكون الكلام متصلًا. قال الكرماني في غرائبه ١/ ٣٥٦: «هذا قول غريب»، والأكثرون يرون أن قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ كلام مستأنف. انظر: القطع والائتناف ١/ ٢٢١، والمكتفي للداني ٢٤٨، وتفسير ابن عطية ٥/ ١٥٦، والتبيان ١/ ٣٢٧، والفريد ٢/ ١٣٣، والبحر ٤/ ٩٤، والدر المصون ٤/ ٥٧١.

(٢) لفظ: (لهم) ساقط من (ش).

(٣) تفسير مقاتل ١/ ٥٥٥.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٧/ ١٦٥، وتفسير السمرقندي ١/ ٤٧٨، وابن الجوزي ٣/ ١٦، وتفسير القرطبي ٦/ ٤٠١.

(٥) الزَّعْم: القول من غير صحة ولا يقين. قال الراغب في المفردات ٣٨٠: «الزعم حكاية قول يكون =

قال ابن عباس : «وكل زعم في كتاب الله كذب»[(١)] . والعائد إلى الموصول من قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾ محذوف ، والتقدير : ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾ أنهم شفعاء ، فحذف مفعول الزعم ، لدلالة الكلام ، وإحالة[(٢)] السؤال عليه[(٣)] .

٢٣. قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ﴾[(٤)] قُرئ (يَكُن) بالياء والتاء ، و﴿فِتۡنَتُهُمۡ﴾ رفعاً ونصباً[(٥)] .

وجملة القول في هذا أنه يجوز تذكير الفتنة ؛ لأنه بمعنى الافتتان ، ويجوز تأنيث ﴿أَن قَالُواْ﴾ لوجهين : أحدهما أنه بمعنى المقالة ، والثاني أن قوله تعالى : ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ هو الفتنة في المعنى ؛ لأن ذلك القول هو فتنتهم ، فإذا أسند الكون إليه جاز تأنيثه ، مثل قوله تعالى : ﴿فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام :١٦٠] ، فأنَّث الأمثال وواحدها مثل ، حيث كانت الأمثال هاهنا في المعنى[(٦)] الحسنات ، ومثل هذا في الشعر قول لبيد :

منهُ إذا هِيَ عَرَّدَتْ إقْدامُها[(٧)]

= مظنة للكذب ، ولهذا جاء في القرآن في كل موضع ذم القائلون به» . اهـ . انظر : العين ١/ ٣٦٤ ، وتهذيب اللغة ٢/ ١٥٣٢ ، والصحاح ٥/ ١٩٤١ ، ومقاييس اللغة ٣/ ١٠ ، واللسان (زعم) ٣/ ١٨٣٤ .

(١) ذكره الرازي في تفسيره ١٢/ ١٨١ ، والقرطبي في تفسيره ٦/ ٤٠١ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ٩٤ .

(٢) في (ش) : (وحاله) ، وهو تحريف .

(٣) انظر : غرائب الكرماني ١/ ٣٥٦ ، والتبيان ١/ ٣٢٧ ، والفريد ٢/ ١٣٣ ، والبحر ٤/ ٩٤ ، والدر المصون ٤/ ٥٧٢ .

(٤) في (أ) : (ثم لم يكن فتنتهم) : قُرئت (تكن) الأولى بالياء ، والثانية بالتاء .

(٥) قرأ حمزة والكسائي (يكن) بالياء على التذكير ، وقرأ الباقون بالتاء على التأنيث ، وقرأ ابن عامر وابن كثير وحفص عن عاصم (فتنتهم) برفع التاء ، وقرأ الباقون بالنصب . انظر : السبعة ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، والمبسوط ١٦٧ ، والتذكرة ٢/ ٣٩٥ ، والتيسير ١٠١ ، ١٠٢ ، والنشر ٢/ ٢٥٧ .

(٦) في (ش) : (في معنى) .

(٧) ديوان لبيد بن ربيعة ١٧٠ ، وجمهرة أشعار العرب ١٣٢ ، والخصائص ٢/ ٤١٥ ، وسر صناعة =

فأنَّث الإقدام لَمَّا كان[(١)] العادة في المعنى . وإذا كانت الفتنة مؤنثة وجاز تذكيرها ، وإن قالوا : مذكر وجاز تأنيثه ، وهما[(٢)] معرفتان ، كان لك أن تقرأ ﴿يَكُنْ﴾ بالتاء والياء ، وتجعل أيهما شئت من الفتنة . و﴿أَن قَالُواْ﴾ الاسم أو الخبر ، إلَّا أن الاختيار قرأه من جعل ﴿أَن قَالُواْ﴾ الاسم (أو) الخبر ؛ لأن ﴿أَن﴾ إذا وصلت بالفعل لم توصف ، فأشبهت بامتناع وصفها المضمر ، فكما أن المضمر إذا كان مع المظهر كان الاسم أحسن ، مثل قولك : «كنت القائم» ، كذلك إذا كانت (أن) مع اسم غيرها كان الاسم أولى[(٣)] .

واختلفــوا في معنى الفتنة هاهنا ، فالأكثرون أجمعوا على أن معناه : ثم لم يكن جوابهم ؛ ذلك أنهم حين سُئلوا اختبر ما عندهم بالسؤال ، فلم يكن الجواب عن ذلك الاختبار[(٤)] إلَّا هذا القول ، وهـــذا قول أبي العالية ، والقرظي[(٥)] ، واختيار عبدالله بن مســلم[(٦)] . قال أبو العالية : «﴿فِتْنَتُهُمْ﴾ : مقالتهم» ، وقال القرظي :

= الإعراب ١/ ١٣ ، ومقاييس اللغة ٤/ ٣٠٥ ، وأمالي ابن الشــجري ١/ ١٩٧ ، والإنصاف ٢/ ٦٢٠ ، واللسان (عرد) ٥/ ٢٨٧٢ ، والدر المصون : ٤/ ٥٧٣ ، وصدره :

قمضى وقدَّمها كانتْ عادةً

قمــضى : الحمار الوحشي ، وقدَّمها : الآتان ، وعرَّدت : حادت عن الطريق ، وأصل التعريد : الفرار ، وإقدامها : تقدمها .

والشاهد : وكانت عادة إقدامها ، حيث أنَّث كانت مع أن المسند إليه إقدمها ، وهو مذكر ؛ لأنه ذهب إلى تأنيث العادة ، أو لأن الإقدام بمعنى التقدمة . انظر : شرح القصائد للنحاس ١/ ٣٩٢ .

(١) لفظ : (لما كان) مكرر في (أ) .

(٢) انظر : الكتاب ١/ ٥١ .

(٣) هذا معنى قول أبي علي الفارسي في الحجة ٣/ ٢٨٨ـ٢٩٠ . انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٥/ ١٨٨ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٣٥ ، وتفســير الطبري ٧/ ١٦٧ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٤٠ ، ومعاني القراءات ١/ ٣٤٧ ، وإعراب القراءات ١/ ١٥٣ ، والحجة لابن خالويه ١٣٦ ، والحجة لابن زنجلة ٢٤٣ ، والكشف ١/ ٤٢٦ ، والمشكل ١/ ٢٤٨ ، والدر المصون ٤/ ٥٧٢ .

(٤) في (ش) : (الاختيار) بالياء ، وهو تصحيف .

(٥) ذكره أبو حيان في البحر ٤/ ٩٥ عن أبي العالية ومحمد بن كعب القرظي .

(٦) تفسير غريب القرآن ١٥٢ ، وتأويل مشكل القرآن ٤٧٢ .

«إجابتهم» ، وقال قتــادة[1] : «﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن ﴾ معذرتهــم ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ ﴾ ، وهذا راجع إلى معنــى الجواب ، وروي هذا القــول عن ابن عباس ، [ثــم قال][2] : «﴿لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ ﴾ يعني معذرتهم حين يســألون عن آلهتهم ﴿ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾»[3] .

وقال أبو إسحاق : «تأويل هذه الآية تأويل حسن في اللغة لطيف ، لا يعرفه إلَّا مَن عرف معاني الكلام وتصرف العــرب في ذلك ، وذلك أن الله تعالى ذكر في هذه الأقاصيص التي جرت [من][4] أمر المشركــين ، وأنهم مفتونون بشركهم ، ثم أعلم أنه لم يكن افتتانهم بشركهم وإقامتهم عليه إلَّا أن تبرؤوا منه وانتفوا منه ، فحلفوا[5] أنهم ما كانوا مشركين» . قال : «ومثل ذلك أن ترى إنســاناً يحب غاوياً فإذا وقع في هلكة بسببه تبرأ منه ، فيقال له : ما كانت محبتك لفلان إلَّا أن انتفيت منه»[6] .

فالفتنة هاهنا بمعنى الــشرك والافتتان بالأوثان ، ويؤيد هذا الوجه ما روى عطاء عــن ابن عباس في هذه الآية في قوله تعــالى : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ ﴾ ، قال : «يريد شركهم في الدنيا»[7] ، وهذا القــول في التأويل راجع إلى حذف المضاف ؛

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ١٦٧ من طرق جيدة ، وأخرج عنه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٠٦ ، والطبري في تفسيره بسند جيد ، قال : «مقالتهم» .

(٢) (ثم قال) : ساقط من (ش) ، ولعل الصواب : قال .

(٣) ذكره البخاري في صحيحه كتاب التفسير (الفتح) ٨/ ٢٨٦ : باب :في تفسير سورة الأنعام ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٢٧٣ بسند ضعيف ، وفي رواية أخرى ضعيفة قال : «حجتهم» ، وأخرج عنه الطبري في تفسيره ٧/ ١٦٦ بسند ضعيف ، قال : «قولهم» ، وفي أخرى ضعيفة ، قال : «كلامهم» .

(٤) (لفظ) : (من) ساقط من (أ) .

(٥) في (ش) : (فحلوا) ، وهو تحريف .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

(٧) ذكره الرازي في تفسيره ١٢/ ١٨٢ ، وقال ابن القيم كما في بدائع التفسير ٢/ ١٤٤ : «أي لم تكن عاقبة شركهم إلَّا أن تبرؤوا منه وأنكروه» . اهـ

لأن المعنى : لم تكن عاقبة فتنتهم إلَّا البراءة ، ومثله قولك : «ما كانت محبتك لفلان إلَّا أن انتفيت منه» ؛ أي عاقبة محبتك[(١)] .

واختلفوا في قوله تعالى : ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا﴾ فقُرئ ﴿رَبِّنَا﴾ بالنصب والخفض[(٢)] ، فمَن خفض جعل الاسم المضاف وصفاً للمفرد ، مثل قولك : «رأيت زيداً صاحبنا ، وبكراً جاركم» ، ومَن نصب جعله منادى مضافاً ، وفصل به بين القسم والمقسم عليه ، والفصل بالنداء كثير في كلامهم ، وذلك لكثرة النداء في الكلام ، ومثله قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ﴾ [يونس :٨٨] ، والمعنى : آتيتهم أموالاً ليضلوا فلا يؤمنوا ، ففصل بالمنادى بين فعله ومفعوله[(٣)] .

٢٤. قوله تعالى : ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأنعام :٢٤] قال قتادة : «باعتذارهم بالباطل»[(٤)] .

وقال عطاء : «بجحد شركهم في الآخرة»[(٥)] .

(١) انظر : تفسير الرازي ١٢/ ١٨٢ .

(٢) قرأ حمزة والكسائي (ربنا) بنصب الباء ، والباقون بجرها . انظر : السبعة ٢٥٥ ، والمبسوط ١٦٧ ، والتذكرة ٢/ ٣٩٦ ، والتيسير ١٠٢ ، والنشر ٢/ ٢٥٧ .

(٣) هذا معنى قول الفارسي في الحجة ٣/ ٢٩١ . انظر : معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٣٠ ، ومعاني القرآن للأخفش ٢/ ٢٧٠ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٣٦ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٤١ ، ومعاني القراءات ١/ ٣٤٧ ، وإعراب القراءات ١/ ١٥٣ ، والحجة لابن خالويه ١٣٧ ، والحجة لابن زنجلة ٢٤٤ ، والكشف ١/ ٤٢٧ ، والتبيان ١/ ٣٢٨ ، والدر المصون ٤/ ٥٧٤ .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ١٦٨ بسند جيد .

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٢ .

وقوله تعـالى : ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ عطف على قوله تعـالى : ﴿ٱنظُرْ﴾ ، تقديره : وكيـف ، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾[١] بعبادته من الأجسـام والأوثان فلم تغن عنهم شيئاً ؛ ذلك أنهم كانوا يرجون شفاعتها ونصرتها لهم .

٢٥. قوله تعالى : ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ . قال المفسرون[٢] : «إن نفراً من مشركي مكة -منهم النضر بن الحارث[٣] وغيره- جلسـوا إلى رسول الله ﷺ وهـو يقرأ القـرآن ، فقالوا للنضر : ما يقـول محمد ؟ فقال : أسـاطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية ، فأنزل الله هذه الآية»[٤] .

وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ ، الأكنَّة : جمع كنان ، وهو ما وقى شيئاً وستره ، مثل عنان وأعنَّة[٥] .

---

(١) أجمـع أكثرهم على أن «وضل عنهم» معطوف على جملة «كذبوا» ، فيكون داخلًا في حيِّز النظر ، ويجوز أن يكون اسـتئنافاً فلا يندرج في حيِّز المنظور إليه . انظر : تفسير الرازي ١٢/ ١٨٥ ، وتفسير القرطبي ٦/ ٤٠٢ ، والبحر ٤/ ٩٦ ، والدر المصون ٤/ ٥٧٥ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٧/ ١٦٨ ، وتفسير البغوي ٣/ ١٣٥ .

(٣) النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبدمناف ، شـيطان قريش ، وصاحب لواء المشركين ببدر ، مشرك مجاهر بالعداوة (والأذى) لرسـول الله ﷺ ، قُتل في بدر سـنة ٢هـ . انظر : سـيرة ابن هشام ١/ ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٢/ ٢٨٦ ، وجوامـع السـير ٥٢ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، والكامـل لابـن الأثير ٢/ ٤١٤ ، والأعلام ٨/ ٣٣ .

(٤) انظر : سـيرة ابن هشام ١/ ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، وتفسـير الثعلبي ١٧٦ أ ، وتفسـير الماوردي ٢/ ١٠٣ ، وتفسـير الزمخشري ٢/ ١١ . ذكـره الواحدي في أسـباب النزول ٢١٧ ، وابن الجوزي في تفسـيره ٣/ ١٨ ، والرازي في تفسيره ١٢/ ١٨٥ ، والقرطبي في تفسيره ٦/ ٤٠٥ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ٩٧ عن ابن عباس ، وذكره البغوي في تفسيره ٣/ ١٣٦ عن الكلبي .

(٥) انظر : العين ٥/ ٢٨١ ، والمجمل ٣/ ٧٦٦ ، ومقاييس اللغة ٥/ ١٢٣ ، والمفردات كَنَّ ٤٤٢ .

قال الليث: «كل شيء وقى شيئاً فهو كِنانة وكِنَّة، والفعل من ذلك كننتُ وأكننتُ»[(١)]. وأنشد أبو عبيدة لعمر بن أبي ربيعة:

أَيُّنا باتَ ليلةً بَيْنَ غُصْنَينِ يُوْبَلُ[(٢)]
تَحتَ عَيْنِ كِنَانُ[(٣)] ظِلُّ بُرْدٍ مُرَحَّلُ

يعني غطاءهم الذي يكنُّهم[(٤)]. فأمَّا ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ فقال[(٥)] الزَّجَّاج: «موضع ﴿أَن﴾ نصب على أنه مفعول له، والمعنى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾؛ لكراهة ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾، فلمّا حذفت اللام نصبت الكراهة، لمَّا حذفت الكراهة انتقل نصبها إلى ﴿أَن﴾»[(٦)].

---

(١) تهذيب اللغة (كن) ٤/ ٣١٩٦.

(٢) ليس في ديوانه، وهما في اللسان (كنن) ٧/ ٣٩٤٣، وبلا نسبة في الجمهرة ١/ ١٦٦، والبيت الأخير في الصحاح ٦/ ٢١٨٨، وتاج العروس ١٨/ ٤٨٤، وبلا نسبة في تفسير الطبري ٧/ ١٦٩.

(٣) في (ش): (كناننا)، وهي رواية أكثرهم.

(٤) مجاز القرآن ٨/ ١٨٨.

(٥) في (ش): (قال).

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٣٦. انظر: إعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٤١، والبيان ١/ ٣١٧، والتبيان ١/ ٣٢٨، والفريد ٢/ ١٣٥، والبحر ٤/ ٩٧، والدر المصون ٤/ ٥٧٧.

وقوله تعالى : ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗا﴾ : قال ابن السكيت : «الوقر[١] : الثقل في الأذن ، يقال : قد وقرت أذنه توقر ، فهي موقورة . ويقال : اللهم قِرَّ أذنه ، ويقال أيضاً : قد وقرت أذنه توقر وقراً»[٢] . وأنشد الزَّجَّاج[٣] :

وكَلامٍ سيِّئٍ قَدْ وُقِرَتْ
أُذُنِي عَنْهُ وَمَا بِي مِنْ صَمَمْ[٤]

فأمَّا التفسير فقال ابن عباس : «﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ﴾ يعني القرآن ، ﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ﴾ ؛ أي غطاء كي لا يعوه»[٥] .

وقال السُّدِّي : «يعني الغطاء يكن قلوبهم فلا يعرفون الحق»[٦] .

وقال الحسن : «﴿أَن يَفۡقَهُوهُ﴾ لئلا يقبلوه ، كقوله تعالى : ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ [المنافقون :٧] ؛ أي لا يقبلون عن الله تعالى»[٧] .

﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗا﴾ قال ابن عباس : «صمماً»[٨] .

---

(١) قال الطبري في تفسيره ٧/ ١٧٠ : «الوقر عند العرب بفتح الواو : الثقل في الأذن ، وبكسرها : الحمل» . انظر : مجاز القرآن ١/ ١٨٩ ، ومعاني القرآن للأخفش ٢/ ٢٧٢ ، والجمهرة ٢/ ٧٩٦ ، والصحاح ٢/ ٨٤٨ ، والمجمل ٣/ ٩٣٣ ، ومقاييس اللغة ٦/ ١٣٢ ، والمفردات ٨٨٠ ، واللسان (وقر) ٨/ ٤٨٨٩ .

(٢) إصلاح المنطق ٣ـ٤ ، وتهذيب اللغة (وقر) ٤/ ٣٩٣١ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٣٧ .

(٤) الشاهد للمثقب العبدي في ديوانه ٢٣٠ ، والمفضليات ٢٩٤ ، وبلا نسبة في العين ٥/ ٢٠٦ ، ومعاني القرآن للأخفش ٢/ ٢٧٢ ، والصاحبي ٤٣٧ ، وابن عطية في تفسيره ٥/ ١٦٢ ، وابن الجوزي ٣/ ١٩ .

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٣ ، وفي تنوير المقباس ٢/ ١١ نحوه .

(٦) أخرجه الطبري ٧/ ١٦٩ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٧٥ بسند جيد .

(٧) لم أقف عليه .

(٨) تنوير المقباس ٢/ ١١ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٣ .

وقال الضحاك: «ثقلاً»[١].

وقال قتادة: «يسمعون[٢] بآذانهم فلا يفقهون منه شيئاً، كمثل البهيمة تسمع القول ولا تدري ما يقال[٣] لها»[٤].

قال أبو إسحاق: «وإنما فعل بهم[٥] ذلك مجازاة لهم بإقامتهم على كفرهم، وليس المعنى أنهم لم يسمعوا ولم يفقهوا، ولكنهم[٦] حرموا الانتفاع به لَمَّا عدلوا عنه وحرَّفوا فكرهم عما عليهم[٧] في سوء العاقبة، فكانوا بمنزلة مَن لم يعلم ولم يسمع». قال أصحابنا: «وهذه الآية دلالة صريحة على أن الله تعالى يُقلِّب القلوب، فيشرح[٨] بعضها للهدى، ويجعل بعضها في أكنَّة، فلا يفقه أصحابها كلام الله تعالى ولا يؤمنون، كما جعل على قلوب القدرية أكنَّة فلم يفقهوا آيات القدر، كما لم تفقه قلوب المشركين الإيمان»[٩].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٣.

(٢) في (أ): (يستمعون).

(٣) في (ش): (ما يقول).

(٤) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢٠٩، والطبري في تفسيره ٧/ ١٧٠، وابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٢٧٦ بسند جيد.

(٥) في (ش): (وإنما فعل ذلك بهم).

(٦) في (ش): (ولكن حرموا).

(٧) كذا في النسخ، ومثله عند ابن الجوزي في تفسيره ٣/ ١٩، وعند الزَّجَّاج ٢/ ٢٣٧ «عماهم عليه».

(٨) في (ش): (فيشرح الصدر للهدى).

(٩) انظر: معاني القرآن للنحاس ٢/ ٤١٠، وتفسير البغوي ٥/ ١٦٣، وتفسير ابن عطية ٥/ ١٦٣، وتفسير الرازي ١٢/ ١٨٦، والبحر ٤/ ٩٧. قال ابن القيم في بدائع التفسير ٢/ ١٤٤ في تفسير الآية: «هذه الأكنَّة والوقر هي شدة البغض والنفرة والإعراض معها سمعاً لا عقلاً، والتحقيق أن هذا ناشئ عن الأكنَّة والوقر، فهو موجب ذلك مقتضاه، فمَن فسَّر الأكنَّة والوقر به فقد فسَّرها بموجبها ومقتضاها، وبكل حال فتلك النفرة والإعراض والبغض من أفعالهم وهي مجعولة لله سبحانه، كما أن الرأفة والرحمة وميل الأفئدة إلى بيته هو من أفعالهم، والله جاعله فهو الجاعل للذوات وصفاتها وأفعالها وإرادتها واعتقاداتها، فذلك كله مجعول مخلوق له، وإن كان العبد فاعلاً له باختياره وإرادته». اهـ

وقوله تعالى : ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ﴾ . قال ابن عباس : «يريد كل عبرة»[١] .

وقال الزَّجّاج : «أيْ علامة تدلهم على نبوتك»[٢] .

﴿لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ قال ابن عباس : «لا يصدقوا بها ؛ وذلك لأن الله تعالى جعل على قلوبهم أكنَّة»[٣] .

وقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ﴾ إلى آخر الآية . فصل آخر متصل بما قبله ، والمعنى : أنَّ حالهم في البُعْد عن الإيمان ما ذكره الله تعالى من منعهم وصدهم عن تصديق محمد ، حتى إذا جاءوه مجادلين إياه في الأصل : فيقول مَن كفر منهم لما يسمع من القرآن : ﴿مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ . قال الزَّجّاج : «أعلم الله -عز وجل- مقدار احتجاجهم وجدلهم ، وأنهم لا يعارضون ما احتج به عليهم من الحق ، حيث قيل لهم : ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة :٢٣] إلَّا بأن يقولوا : هذا أساطير الأولين ، ويقولون : ﴿افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [المؤمنون :٣٨]»[٤] .

فأمَّا معنى الأساطير وتفسيرها فأصلها من السطر ، وهو أن يُجعَل شيءٌ ممتدّاً مؤلَّفاً ، ومن ذلك : سطر الكتاب ، وسطر من شجر مغروس ، ونحو ذلك[٥] .

---

(١) ذكر الرازي ١٢/ ١٨٧ عن ابن عباس في هذه الآية ، قال : «وإن يروا كل دليل وحجة» . اهـ

(٢) معاني القرآن للزَّجّاج ٢/ ٢٣٧ .

(٣) ذكره الرازي ١٢/ ١٨٧ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزَّجّاج ٢/ ٢٣٧ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤١٠ ، وتفسير الرازي ١٢/ ١٨٨ .

(٥) انظر : العين ٧/ ٢١٠ ، والجمهرة ٢/ ٧١٣ ، ١١٩٣ ، والصحاح ٢/ ٦٨٤ ، والمجمل ٢/ ٤٦٠ ، ومقاييس اللغة ٣/ ٧٢ ، والمفردات (سطر) ٤٠٩ .

قال ابن السكيت : «يقال : سَطْر ، وسَطَر ، فمَن قال : سَطْر فجمعه في القليل أَسْطر والكثير سُطُور ، ومَن قال : سَطَر جَمَعَه أسطاراً»(١) . وأساطير جمع الجمع ، قاله اللحياني . [قال](٢) : «وواحد الأساطير أسطور وأسطورة وأسطير وأسطيرة إلى العشرة ، ثم أساطير جمع الجمع»(٣) .

واختار الزَّجَّاج أن يكون واحدها أسطورة مثل أحدوثة وأحاديث ، قال ذلك في قوله تعالى : ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا﴾ [الفرقان : ٥](٤) ، وهو قول أبي عبيدة(٥) ، وذهب الأخفش(٦) وأبو زيد(٧) إلى أنه لا واحد لها ؛ مثل عباديد(٨) وأبابيل(٩) . قال أبو زيد : «لا أرى الأساطير إلَّا من الجمع الذي لا واحد له ؛ مثل عباديد ، ولا يكون هذا المثال إلَّا جمعاً»(١٠) .

(١) إصلاح المنطق ٩٥ ، وتهذيب اللغة ٢/ ١٦٨٣ ، وأفاد أكثرهم «أن سطر بسكون الطاء جمعه في القلة أسطر وفي الكثرة سطور ، وبفتح الطاء جمعه أسطار ؛ لأن فَعْل بالسكون يجمع في القلة على أفعل وبالفتح على أفعال» .
انظر : البيان ١/ ٣١٧ ، والتبيان ٣٢٨ ، والفريد ٢/ ١٣٥ ، والبحر ٤/ ٩٨ .
(٢) (قال) : ساقط من (ش) .
(٣) تهذيب اللغة ٢/ ١٦٨٣ ، وليس فيه -أسطيرة- وهي في اللسان (سطر) ٤/ ٢٠٠٧ عن اللحياني .
(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٥٨ ، وانظر : ٢/ ٢٣٧ .
(٥) مجاز القرآن ١/ ١٨٩ .
(٦) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٢٧٢ .
(٧) أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري ، أبو زيد البصري ، تقدمت ترجمته .
(٨) في (أ) : (عناديد) ، ولم أقف عليها ، والذي في أكثر المراجع عباديد ، والعباديد لا واحد لها من لفظها ، وهي الفرق من الناس والخيل الذاهبين في كل وجه . والعباديد أيضاً : الآكام والطرق البعيدة . انظر : القاموس (عبد) ٢٩٦ .
(٩) الأبابيل : جمع لا واحد له ، وقيل : جمع إبيل وإبول ، وهي الفرق والجماعات المتفرقة والفرق التي يتبع بعضها بعضاً . انظر : اللسان (أبل) ١/ ١١ .
(١٠) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٤ ، والرازي في تفسيره ١٢/ ١٨٨ ، وهو نص كلام الأخفش في معاني القرآن ٢/ ٢٧٢ ، وحكاه ابن دريد في الجمهرة ٣/ ١٢٧١ عن الأصمعي ، وأجمع أكثرهم على أن أساطير جمع أسطورة ، ويحتمل أنه جمع أسطارة أو أسطار . انظر : تفسير الطبري ٧/ ١٧١ ، ونزهة =

ومعنى ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ : ما سطره الأولون[١] .

قال ابن عباس : «أحاديث الأولين التي كانوا يسطرونها ؛ أي يكتبونها»[٢] .

فأمَّا قول[٣] مَن فسَّر الأساطير بالتُّرَّهات[٤] والبسابس[٥] فهو معنى وليس بتفسير ، وتفسيره ما ذكرنا[٦] . ولمَّا كانت أساطير الأولين مثلَ حديث رستم[٧] وإسفنديار[٨] كلاماً لا فائدة فيه ولا طائل تحته فُسِّرت أساطير الأولين هاهنا بالتُّرَّهات والبسابس[٩] .

= القلوب ٧١ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٤١ ، والألفات لابن خالويه ٧٦ ، والعضديات ٥٥ وسر صناعة الإعراب ٢/ ٦١٠ ، والمشكل ١/ ٢٤٨ ، وعمدة الحفاظ ٢٤١ ، وتاج العروس (سطر) ٦/ ٥٢٠ .

(١) انظر : غريب القرآن ٢٤٣ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ١٧١ بسند جيد .

(٣) هذا قول أبي عبيدة في المجاز ١/ ١٨٩ ، وانظر : تفسير السمرقندي ١/ ٤٧٩ .

(٤) التُّرَّهات بالضم وفتح الراء المشددة جمع ترهة : وهي الأباطيل ، وفي الأصل الطرق الصغار المتشعبة عن الطريق الأعظم . انظر : تهذيب اللغة ١/ ٤٣٧ ، والصحاح ٦/ ٢٢٢٩ ، واللسان (تره) ١/ ٤٣١ .

(٥) البَسَابس (بالفتح) : الباطل ، ويقال : ترهاتُ البَسَابسِ بالإضافة . انظر : الصحاح ٣/ ٩٠٩ ، واللسان (بسس) ١/ ٢٨٢ .

(٦) انظر : تفسير الماوردي ٢/ ١٠٤ . قال الرازي ١٢/ ١٨٨ : «الأول قول الجمهور وتفسيرها بالتُّرَّهات معنى وليس بتفسير» . اهـ بتصرف

(٧) رستم الشديد بن دستان بن بريمان من ملوك الفرس . انظر : أخباره في تاريخ الطبري ١/ ٥٠٤ ، والروض الأنف ٢/ ٥٢ ، والكامل في التاريخ ١/ ١٣٧ .

(٨) إسفنديار بن بشتاسب من ملوك الفرس . انظر : أخباره في تاريخ الطبري ١/ ٥٦٢ ، والروض الأنف ٢/ ٥٢ ، والكامل في التاريخ ١/ ١٥٤ .

(٩) أفاد أكثرهم «أن النضر بن الحارث صاحب أسفار وقصص ، فسمع بالحيرة وغيرها قصص الأعاجم وأحاديث رستم وإسفنديار ، وكان يحدث بها ويقول : أنا أحسن حديثاً من محمد ، أحاديثه أساطير الأولين» . انظر : سيرة ابن هشام ١/ ٣٢٠ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٤٧٩ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ١٦٤ ، وتفسير القرطبي ٦/ ٤٠٥ .

٢٦. قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ يعني: المشركين ينهون الناس عن اتباع النبي ﷺ، قاله ابن عباس[١] والحسن[٢] والسُّدِّي[٣]، فالكناية على هذا تعود إلى النبي ﷺ، وكذلك في ﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾؛ أي يتباعدون عنه فلا يؤمنون به، وهو قول الكلبي[٤] قال: «ينهون عن محمد ﷺ مَن سألهم عنه[٥] أن يقربوه ويتبعوه»، ونحو هذا قال الضحاك[٦] ومحمد بن الحنفية[٧].

وقال قتادة[٨] ومجاهد[٩]: «ينهون عن القرآن ويتباعدون عن سماعه؛ لئلا يسبق إلى قلوبهم العلم بصحته».

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ١٧١ بسند جيد، وانظر: الدر المنثور ٣/ ١٥.

(٢) ذكره هود الهواري في تفسيره ١/ ٥٢١، والماوردي في تفسيره ٢/ ١٠٤، والواحدي في الوسيط ١/ ٢٥، والقرطبي في تفسيره ٦/ ٤٠٥.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ١٧١ بسند جيد.

(٤) تنوير المقباس ٢/ ١٢، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٥.

(٥) لفظ: (من سألهم عنه) ساقط من (ش).

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٧٦ ب، والواحدي في أسباب النزول ٢١٨، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٣٦، وابن عطية في تفسيره ٥/ ١٦٥، وابن الجوزي في تفسيره ٣/ ٢١.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ١٧١ بسند ضعيف، وانظر: الدر المنثور ٣/ ١٥.

(٨) أخرج عنه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٠٥، والطبري في تفسيره ٧/ ١٧٢ من طرق جيدة، قال: «ينهون عنه القرآن وعن النبي ﷺ ويتباعدون عنه». اهـ، وانظر: الدر المنثور ٣/ ١٦.

(٩) تفسير مجاهد ١/ ٢١٤، وأخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ١٧٢ بسند جيد عن مجاهد وابن زيد، وهو اختيار الرازي ١٢/ ١٨٩.

والنأي : البُعْد ، ويقــال : «نأى ينأى إذا بَعُد ، وأنأيتــه إذا أبعدته» ، ويقال أيضاً[(١)] : «نأيته بمعنى نأيت عنه»[(٢)] ، وأنشد المُبرِّد :

أعاذِلُ إنْ يُصْبِحْ صدايَ بِقَفْرةٍ
بَـعِيداً نـآنِي زائِـري وَقرِيبـي[(٣)]

بمعنى نأى عني . وحكى الليث : «نأيت الشيء ؛ أي أبعدته» ، وأنشد :

إذا ما التقينا سالَ مِـنْ عَبَرَاتِنـا
شآبِيبُ يُنْأى سَيْلُها بالأصابِعِ[(٤)]

أي يُنحى ويبعد[(٥)]

---

(١) لفظ : (أيضاً) ساقط من (أ) .

(٢) انظر : مجاز القرآن ١/ ١٨٩ ، ومعاني القرآن للأخفــش ٢/ ٢٧٣ ، وغريب القرآن ١٥٢ ، والجمهرة ١/ ٢٤٩ ، ونزهة القلوب ٤٨٧ ، والمفردات (نأى) ٨٣٠ .

(٣) الشاهد للنمر بن تولب العكلي في طبقات فحول الشعراء ١/ ١٦١ ، والكامل للمُبرِّد ١/ ٤٧٩ ، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ٤/ ٣٤٧٥ ، واللسان (نأى) ٧/ ٤٣١٤ ، والدر المصون ٤/ ٥٨٢ .
والصدى هنا ما يبقى ، وهو جسده الملقى . والشاهد : نآني : أصله نأى عني ؛ أي بَعُد ، فأخرجه مخرج المتعــدي . قال المُبرِّد ١/ ٤٨٢ ، ٤٨٣ : «وقوله : «نآني» ؛ أي أبعدني ، والأحســن أنآني لأن الوجه في فَعَل أفْعَلته ، وهو المطرد ، ويكون نآني : نأى عني» . اهـ بتصرف

(٤) لم أقــف على قائله ، وهو في العين ٨/ ٣٩٢ ، والصحــاح ٦/ ٢٤٩٩ ، والمجمل ٣/ ٨٥١ ، ومقاييس اللغة ٥/ ٣٧٧ ، واللسان (نأى) ٧/ ٤٣١٤ ، والدر المصون ٤/ ٥٨٢ .

(٥) تهذيب اللغة ٤/ ٣٤٧٥ .

وقال عطاء[(١)(٢)] ومقاتل: «نزلت في أبي طالب، كان ينهى قريشاً عن أذى النبي ﷺ، ويتباعد عنه فلا يتبعه على دينه»[(٣)].

قال الزَّجَّاج: «والقول الأول أشبه بالمعنى؛ لأن الكلام متصلٌ بذكر جماعة أهل الكتاب والمشركين»[(٤)]، والقول الثاني عدول عن الظاهر، وما يقتضيه الكلام الأول، والوجه أن يقال: «أبو طالب من هؤلاء الذين ذكرهم الله»[(٥)].

---

(١) عطاء بن دينار الهذلي مولاهم، أبو الريان المصري، إمام مفسر صدوق، أخذ صحيفة في التفسير عن سعيد بن جبير ولم يسمع منه، توفي سنة ١٢٦هـ. انظر: الجرح والتعديل ٦/ ٣٣٢، وميزان الاعتدال ٣/ ٦٩، وتهذيب التهذيب ٣/ ١٠٠، وتقريب التهذيب ٤٥٨٩.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ١٧٣ بسند جيد عن عطاء بن دينار الهذلي.

(٣) تفسير مقاتل ١/ ٥٥٥، وهذا قول جماعة، منهم: سعيد بن جبير، وعمر بن دينار، والقاسم بن مخيمرة كما في الوسيط ١/ ٢٥، والدر المنثور ٣/ ١٥، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٨٧، قال: «رواه الطبراني عن ابن عباس، وفيه قيس بن الربيع، وثَّقه شعبة وغيره، وضعَّفه يحيى بن معين وغيره». اهـ، وأخرجه الحاكم ٢/ ٣١٥، والبيهقي في الدلائل ٢/ ٣٤٠، والواحدي في أسباب النزول ٢١٨ من طريق واحد، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. قال الحاكم: «حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وبهذا يكون هذا تمثيلاً، وهو داخل في جملة الكفار، ولعل الرواية عن ابن عباس لا تصح؛ لأن السند فيه عبدالله بن منده الأصبهاني، رواه عن بكر بن بكار القيسي، وبكر ضعيف كما في لسان الميزان ٢/ ٤٨٥، وابن منده ضعَّفه بعضهم، ولم يسمع من بكر كما يظهر من الجرح والتعديل ٨/ ١٠٨، واللسان ٥/ ٧٠. ولأن روايته بسند منقطع أقوى؛ فقد أخرجه سفيان الثوري في تفسيره ١٠٦، وعبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٠٦، والطبري في تفسيره ٧/ ١٧٣، والحاكم ٢/ ٣١٥، والبيهقي في الدلائل ٢/ ٣٤٠ من طرق صحيحة عن حبيب بن أبي ثابت عمن سمع ابن عباس، وانظر: الدر المنثور ٣/ ١٥.

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٣٨، ٢٣٩، وهو الأظهر والأشبه بالمعنى واختيار الجمهور. انظر: تفسير الطبري ٧/ ١٧٣، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤١٠، وتفسير ابن كثير ٢/ ١٤٤.

(٥) انظر: تفسير ابن عطية ٥/ ١٦٦، والبحر ٤/ ١٠٠.

وقوله تعالى : ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ قـال ابن عباس : «يريد بتماديهم في معصية الله ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أنهم يهلكون أنفسهم ويذهبونها إلى النار بما يرتكبون من المعاصي»[١] .

٢٧. قوله تعـالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ الآية . قال أصحاب العربية : «المراد بقوله : ﴿إِذْ وُقِفُواْ﴾ الاستقبال ، وإن كان بلفظ المضي ؛ لأن هذه القصة كائنة ، ولمَّا تكن بعدُ ، وجـاز لفظ المضي ؛ لأن كل ما هو كائن يوماً مما لم يكن بعدُ ، فكأنه عند الله -عز وجل- قد كان ، لسـبق علمه ونفوذ قضائه وقدره به ؛ إذ علمه موجب لكونه لا محالة»[٢] . وأنشدوا في مثل هذا النظم[٣] :

سَتَنْدمُ إِذْ يَـأْتِى عَلَيْـكَ رَعِيلُنَـا ... بأرْعَـنَ جَـرَّارٍ كثـيرٍ صَوَاهِلُـه

---

(١) ذكره الرازي في تفسيره ١٢/ ١٩٠ . انظر : تفسير الطبري ٧/ ١٧٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤١٢ .

(٢) انظر : الكتاب لسيبويه ٤/ ٢٣٢ ، وتفسير الطبري ٧/ ١٧٤ ، والأضداد لابن الأنباري ١١٨ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٩٣٧ ، والمغني لابن هشام ١/ ٨١ ، ٩٥ . قال ابن فارس في الصاحبي ١٩٦ : «إذ تكون للماضي . . . فأمَّا قوله جل ثناؤه : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ فـ(ترى) مستقبل ، وإذ للماضي ، وإنما كان كذا لأن الشيء كائن وإن لم يكن بعد ، وذلك عند الله -جل ثناؤه- قد كان ؛ لأن علمه به سابق وقضاءه به نافذ ، فهو كائن لا محالة ، والعرب تقول مثل ذا وإن لم تعرف العواقب» . اهـ ملخصاً

(٣) لم أعرف قائله ، وهو في : الصاحبي ١٩٦ ، والمجمل ١/ ١٧٠ ، ومقاييس اللغة ١/ ٤١١ . الرعيل : القطعة المتقدمة من الخيل ، والأرعن : الجيش العظيم ، والجرار : الثقيل السير لكثرته ، والصواهل : شدة الصوت والصيال .

فوضع إذ في موضع إذا . وقد(١) يوضع إذا في موضع إذ ، مثل قول الشاعر(٢) :

وَنَـدْمَـانٍ يَـزِيدُ الـكَـأْسَ طيبـاً   سَـقَيْتُ إِذا تَعَرَّضَـتِ(٣) النُّجُومُ

وقد سبق لهذا(٤) نظائر(٥) .

وقولـه تعالى : ﴿وُقِفُواْ﴾ : يقـال : وقفته(٦) وقفاً فوقـف وقوفاً ، كما يقال : رجعته رجعاً فرجع رجوعاً(٧) .

قال أبو إسحاق : «ومعنى ﴿وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه : جائز أن يكون عاينوهـا ، وجائز أن يكونوا عليها وهي تحتهم . قال : والأجود أن يكون معنى : ﴿وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ أُدخِلُوها ، فعرفوا مقدار عذابها . كما تقول في الكلام : قد وقفت على ما عند فلان ، تريد : قد فهمته وتبيَّنته»(٨) ، هذا كلامه .

---

(١) انظر : الأضداد لقطرب ١٥٠ ، والمدخل للحدادي ٥٧٥ .

(٢) البيت لبرج بن مسهر الطائي في مجاز القرآن ١/ ٢١ ، وتفسير الطبري ١/ ٥٨ ، واللسان (ندم) ٧/ ٤٣٨٦ ، وشرح شواهد المغني للسيوطي ١/ ٢٨٠ ، وبلا نسبة في الأضداد لقطرب ١٥٢ ، والأضداد لابن الأنباري ١٩٩ ، والصاحبي ١٩٧ ، والمدخل للحدادي ٥٧٦ ، والمغني لابن هشام ١/ ٩٥ .

(٣) جاء في (أ) : علامة ضرب على (تعرَّضت) ، ولعلها تحريف عن تغوَّرت كما في المصادر السابقة جميعها ، ويروى (سقيت وقد تَغَوَّرَت) . وندمان : نديم ، وتغـوَّرت : غارت ، وتعرَّضت : أبدت عرضها للمغيب .

(٤) في (ش) : (سبق لها نظائر) .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) انظر : العين ٥/ ٢٢٣ ، والجمهرة ٢/ ٩٦٧ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٩٣٧ ، والصحاح ٤/ ١٤٤٠ ، والمجمل ٣/ ٩٣٤ ، والمفردات ٨٨١ ، واللسان (وقف) ٨/ ٤٨٩٨ .

(٧) الفعل (وقف) متعدٍّ ولازم ، وفُرِّق بينهما بالمصدر اللازم (وقوف) على فعول ، والمصدر المتعدي وقف على (فعل) ، وسُمِع في المتعدي أوقف ، يقال : «أوقفت عن الأمر» إذا أقلعت عنه . انظر : إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٦١ ، والتبيان ٣٢٨ ، والفريد ٢/ ١٣٦ ، والدر المصون ٤/ ٥٨٤ .

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٣٩ .

وشرح هذا أن قوله : «جائز أن يكون عاينوها» معناه أنهم وقفوا عندها وهم يعاينونها ، فهم موقوفون على أن يدخلوا النار ، وقوله : «وجائز أن يكونوا عليها وهي تحتهم» معناه أنهم وقفوا فوق النار على الصراط ، وهو جسر بين ظهري جهنم ، والوجه الثالث معناه أنهم عرفوا حقيقتها تعريفاً من قولك : «وقفت فلاناً على كلام فلان» ؛ أي علمته معناه وعرفته . وجماعة يقولون ﴿عَلَىٰ﴾ هاهنا بمنزلة[١] (في) ، والمعنى : وقفوا في النار ، مثل قوله تعالى : ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ﴾ [البقرة :١٠٢] ؛ أي في ملك[٢] .

قال أبو إسحاق : «والإمالة[٣] في ﴿ٱلنَّارِ﴾ حسنة جيدة ؛ لأن ما بعد الألف مكسور[٤] ، وهو حرف كأنه مكرر في اللسان ، فصارت الكسرة فيه كالكسرتين»[٥] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يقتضي ﴿لَوْ﴾ جواباً ، وقد حُذف ؛ تفخيماً للأمر وتعظيماً ، وجاز حذفه لعلم المخاطب بما يقتضي ، وأشباهه كثيرة في القرآن

---

(١) قال ابن هشام في المغني ١/ ١٤٤ ، والسيوطي في الإتقان ١/ ٢١٤ : «(على) تكون ظرفية كـ(في) نحو قوله تعالى : ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ﴾ [البقرة :١٠٢] ، وقوله : ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ ﴾ [القصص :١٥] أي في حين» . اهـ

(٢) هذا قول الطبري ٧/ ١٧٤ ، والبغوي ٣/ ١٣٧ ، وضعَّفه السمين في الدر ٤/ ٥٨٤ ، والظاهر أن ﴿عَلَىٰ﴾ على بابها ؛ أي حبسوا عليها . والنار طبقات فيصح معنى الاستعلاء ، وهذا هو قول الجمهور . انظر : معاني القرآن للنحاس ٢/ ٤١٢ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٤٧٩ ، وتفسير الماوردي ٢/ ١٠٥ ، والكشاف ٢/ ١٢ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ١٦٨ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٢ ، وتفسير الرازي ١٢/ ١٩١ ، وتفسير القرطبي ٦/ ٤٠٨ ، والبحر ٤/ ١٠١ ، والدر المصون ٤/ ٥٨٤ .

(٣) (الإمالة) لغة : فصيحة صحيحة ، ويقصد بها تقريب الفتحة من الكسرة والألف من الياء ، وهي مذهب لبعض القرَّاء كما في السبعة ١٤٩ ، والمبسوط ١٠٣ ، والنشر ٢/ ٣٠ ، وانظر : التكملة للفارسي ٥٢٧ ، وسر صناعة الإعراب ١/ ٥٢ ، ٦٣ ، والمشكل ١/ ١٦٨ .

(٤) في (أ) : (مكسورة) .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٣٩ ، وانظر : ١/ ١٢٣ ، ومعاني القرآن للأخفش ١/ ٣٩ .

والشـــعر، ولو قدَّرت الجواب كان على تقدير: لرأيت سوء منقلبهم، أو لرأيت أسوأ حال[١]. ومن هذا قول امرئ القيس[٢]:

فَلَوْ أنها نَـفْسٌ تَـمُوتُ سـويـــةً ... ولكنَّـها نَـفْسٌ تَـــساقَطُ أَنْفُسا[٣]

ولم يقل: لفنيت ولا لاستراحت[٤]، وكذلك قول جرير:

كَـذَبَ العَوَاذِلُ لَوْ رَأَينَ مُنَاخَنَا ... بَحزِيزِ رَامَةَ والمَـــطِيُّ سَوَامِي[٥]

ولم يقل: لرأين ما يشجيهن ويسخن أعينهن.

قال أبـــو الفتح الموصلي[٦]: «ذهب أصحابنـــا إلى أن حذف الجواب في هذه الأشـــياء أبلغ في المعنى من إظهاره، ألا ترى أنك إذا قلـــت لغلامك: والله لئن قمت إليك، وسكتَّ عن الجواب، ذهب تفكره[٧] إلى أنواع المكروه من الضرب والقتل والكسر وغير ذلك، فتمثلت في فكره أنواع العقوبات، وتكاثرت عليه، وعظمت الحال في نفســـه، ولم يدرِ أيها يتقي. ولو قلـــت: والله لئن قمت إليك

---

(١) حـــذف جواب (لو) لدلالة المعنى عليه جائز فصيح، وهو أبلغ في التخويف؛ لأن الســـامع يترك مع غاية تخيله، ولـــو صرح له بالجواب وطَّن نفســـه عليه. انظر: الكتاب ٣/ ١٠٣، وتفســـير البغوي ٣/ ١٣٧، وتفسير ابن عطية ٥/ ١٦٧، والبحر ٤/ ١٠١، والدر المصون ٤/ ٥٨٢.

(٢) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو الكندي، شاعر جاهلي، تقدمت ترجمته.

(٣) ديوانه ٨٧، وسر صناعة الإعراب: ٦٤٨، واللســـان (جمـــع) ٢/ ٦٧٩، والدر المصون ٤/ ٥٨٣، وفي المصادر: جميعة بدلاً مِن سوية، والمعنى أنه مريض لا تخرج نفسه مرة، ولكنها تموت شيئاً بعد شيء.

(٤) في النسخ: (ولا لاسترحت).

(٥) ديوان جرير ٥٤٢، وسر صناعة الإعـــراب ٢/ ٦٤٨، والدر المصون ٤/ ٢٨٣. الحزيز: المكان الغليظ، وهو اسم لأماكن عدة في بلاد العرب. انظر: معجم البلدان ٢/ ٢٥٦، وفيه ذكر البيت وصدره عنده:

ولقدْ نظرْتَ فردَّ نظرتَكَ الهوى

والسوامي: الرافعة؛ أبصارها وأعناقها.

(٦) عثمان بن جني النحوي اللغوي، إمام مشهور، تقدمت ترجمته.

(٧) في سر صناعة الإعراب ٢/ ٦٤٩ (وذهب بفكره).

لأضربنك . فأتيت بالجواب ، لم يتقِ شيئاً غير الضرب ، ولا خطر بباله نوع من المكروه سواه ، وكان ذلك دون حذف الجواب ؛ لأنه يوطِّن نفسه على المتوعَّد به في الجواب إذا عرفه ، ومن وطَّن نفسه على شيء هان . ألا ترى قول كثير(١) :

فَقُلْتُ لها : يا عَزَّ ، كُلُّ مُلمةٍ إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النَّفسُ ذلَّتِ»(٢) .

وقوله تعالى : ﴿يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ اختلف القرَّاء في قوله : ﴿وَلَا نُكَذِّبَ﴾ ، و﴿وَنَكُونَ﴾ ، فقُرئ رفعاً ونصباً(٣) .

وللرفع وجهان : أحدهما أن يكون معطوفاً على ﴿نُرَدُّ﴾ ، ﴿وَلَا نُكَذِّبَ﴾ ، ﴿وَنَكُونَ﴾ داخلاً في التمني دخول ﴿نُرَدُّ﴾ فيه ، فعلى هذا قد تمنَّوا الرد ، وألَّا يكذبوا ، والكون من المؤمنين . [و](٤) الوجه الثاني أن تقطع ﴿وَلَا نُكَذِّبَ﴾ وما بعده من الأول ، فيكون التقدير على هذا : ﴿يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ﴾ ونحن ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ضمنوا أنهم لا يكذبون ، والمعنى : يا ليتنا نرد ونحن لا نكذِّب بآيات ربنا رددنا أو لم نردَّ . ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ؛ أي قد عاينا وشاهدنا ما لا نكذب معه أبداً .

---

(١) ديوان كثير عزة ٥٥ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٩١١ ، والدر المصون ٤/ ٥٨٣ ، وفيها : مصيبة بدل ملمة ، وقد وردت (ملمة) في بعض نسخ سر صناعة الإعراب ٢/ ٦٤٩ .

(٢) سر صناعة الإعراب ٢/ ٦٤٩ بتصرف يسير . انظر : معاني القرآن للأخفش ١/ ١٣٦ ، والمدخل للحدادي ٢٣٩ .

(٣) قرأ ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم : ﴿نُكَذِّبَ﴾ ، ﴿وَنَكُونَ﴾ بنصب الباء والنون فيهما ، وقرأ الباقون بالرفع فيهما ، وقرأ ابن عامر : (نُكَذِّبُ) بالرفع ، و﴿وَنَكُونَ﴾ بالنصب . انظر : السبعة ٢٥٥ ، والمبسوط ١٦٧ ، والتذكرة ٢/ ٢٩٦ ، والتيسير ١٠٢ ، والنشر ٢/ ٢٥٧ .

(٤) لفظ : (الواو) ساقط من (أ) .

قال سيبويه : «هو على قولك : فإنَّا لا نكذِّب كما تقول : دعني ولا أعود ؛ أي فإني ممن لا يعود ، فإنما[١] يسألك الترك ، وقد أوجب على نفسه أن لا يعود ، تُرِك أو لم يُترك ، ولم يُرد أن يسألك أن يجمع له الترك وأن لا يعود»[٢] .

والوجهان ذكرهما الزَّجَّاج[٣] ، وشرح أبو علي[٤] كما حكيت .

والوجه الثاني أقواهما[٥] ، وهو أن يكون[٦] الرد داخلاً في التمني ، ويكون ما بعده إخباراً عنهم أنهم قالوا ذلك على ما بيَّنَّا ؛ ذلك أن الله تعالى كذَّبهم في الآية الثانية ، فقال : ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام :٢٨] ، وهذا يدل على أنهم أخبروا بذلك عن أنفسهم ولم يتمنوه[٧] ؛ لأن التمني لا يقع فيه الكذب ، إنما يقع في الخبر دون التمني . وهذا اختيار أبي عمرو[٨] ، وهو استدل بقوله : ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام :٢٨] على خروج التكذيب والكون من التمني[٩] . ومَن قرأ ﴿وَلَا نُكَذِّبَ﴾ ، ﴿وَنَكُونَ﴾ نصباً ، قال الزَّجَّاج : «نصب على الجواب بالواو في التمني ، كما تقول :

---

(١) في (أ) : (وإنما) .

(٢) الكتاب ٣/ ٤٤ ، وزاد فيه : «الرفع على وجهين : فأحدهما أن يشرك الآخر الأول ، والآخر على قولك : دعني . . .» . اهـ

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٣٩ ، والوجهان ذكرهما أكثرهم . انظر : إعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٤٢ ، والتذكرة لابن غلبون ٢/ ٣٩٦ ، والبيان ١/ ٣١٨ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ١٦٨ .

(٤) الحجة لأبي علي الفارسي ٣/ ٢٩٣ .

(٥) وهو اختيار الأخفش في معاني القرآن ٢/ ٢٧٣ ، والطبري في تفسيره ٧/ ١٧٥ ، ١٧٦ ، والنحاس في معاني القرآن ٢/ ٢٧٣ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٣٧ . انظر : الخاطريات لابن جني ١٣٢ ، والمحتسب ١/ ٢٥٢ .

(٦) في (أ) : (وأن لا يكون) ، وكأن لا ملحقة ، وعليها علامة تصحيح ، ولعله تحريف من الناسخ ؛ لأن سياق الكلام يرده .

(٧) في (ش) : (ولم يتمنوا) .

(٨) زبان بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي المازني البصري ، تقدمت ترجمته .

(٩) ذكره عنه أكثرهم . انظر : الحجة لأبي علي ٣/ ٢٩٣ ، والكشف ١/ ٤٢٨ ، والمشكل ١/ ٢٤٩ ، وتفسير الرازي ١٢/ ١٩٢ ، وتفسير القرطبي ٦/ ٤٠٩ ، والدر المصون ٤/ ٥٨٧ .

ليتك تصير إلينا ونكرمك ، والمعنى : ليت مصيرك يقع وإكرامنا ، ويكون المعنى : ليت ردَّنا وقع وأن لا نكذب»[١] .

قال ابن الأنباري : «في نصب ﴿ نُكَذِّبَ ﴾ وجهان ، أحدهما : أن تكون الواو مبدلة من الفاء ، والتقدير : يا ليتنا نُرد فلا نكذب ونكون ، فتكون الواو هاهنا بمنزلة الفاء في قوله تعالى : ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر :٥٨] ، يؤكد هذا الوجه ما روي أن ابن مسعود وابن أبي إسحاق[٢] كانا يقرآن (فلا نكذب) بالفاء منصوباً»[٣] . قال : «والوجه الآخر في نصب ﴿نُكَذِّبَ﴾ ﴿وَنَكُونَ﴾ الصرف[٤] ومعناه الحال ؛ أي يا ليتنا نرد غير مكذبين ، كما تقول العرب[٥] : لا نأكل السمك ونشرب اللبن ؛ أي لا يأكل السمك شارباً للبن»[٦] .

وشرح أبو علي كلام أبي إسحاق في هذه القراءة ، فقال : «مَن نصب ﴿نُكَذِّبَ﴾ ﴿وَنَكُونَ﴾ أدخل ذلك في التمني ؛ لأن التمني غير موجب ، فهو كالاستفهام والأمر والنهي والعرض في انتصاب ما بعد ذلك كله من الأفعال إذا

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

(٢) عبدالله بن زيد بن الحارث الحضرمي ، أبو بحر البصري ، تقدمت ترجمته .

(٣) ذكر قراءة ابن مسعود أكثرهم . انظر : تفسير الطبري ٧/ ١٧٥ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٤٢ ، والحجة لابن خالويه ١٣٨ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ١٦٨ ، ١٦٩ ، وتفسير الرازي ١٢/ ١٩٢ ، وتفسير القرطبي ، والبحر ٤/ ١٠٢ ، وذكرها السمين في الدر ٤/ ٥٩٠ عن ابن مسعود وابن أبي إسحاق ، وحكى أكثرهم عن ابن أبي إسحاق أنه يقرأ : «نكذب ونكون» بالنصب بلا فاء . انظر : الكتاب ٣/ ٤٤ ، وطبقات ابن سلام ١/ ١٩ ، ٢٠ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٤٢ ، وطبقات الزبيدي ٣٣ .

(٤) يسمي الكوفيون هذه الواو واو الصرف ؛ إرشاداً بصرفه عن سنن الكلام إلى أنها غير عاطفة ، وشرط هذه الواو أن يتقدمها نفي أو طلب . انظر : معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٣ ، ٣٤ ، ٢٣٥ ، وتفسير الطبري ١/ ٢٥٥ ، والمغني لابن هشام ٢/ ٣٦١ .

(٥) انظر : الكتاب ٣/ ٤٢ .

(٦) ذكره السمين في الدر ٤/ ٥٩٠ ، وقال الطبري في تفسيره ٧/ ١٧٦ : «المعروف من كلام العرب النصب على الجواب بالفاء والصرف بالواو» ، ونحوه قال ثعلب كما في معاني القراءات ١/ ٣٤٩ ، وانظر : المدخل للحدادي ٣٣٣ .

دخلت عليها الفاء على تقدير ذكر مصدر الفعل الأول، كأنه في التمثيل: يا ليتنا يكون لنا رد وانتفاء التكذيب وكون من المؤمنين»[١]، فإن قيل على هذه القراءة: كيف أَكْذَبهم الله، فقال: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾، والتمني لا يدخله الكذب؟ قال ابن الأنباري: «أكذبهم في معنى التمني؛ لأن تمنيهم رجع إلى معنى نحن لا نكذب إذا رددنا، فغلَّب -عز وجل- تأويل الكلام، فأكذبهم ولم يستعمل لفظ التمني؛ لأن القائل إذا قال: ليت لي مالاً فأتصدق به، يريد أنا أتصدق بالمال إذا وجدته وقدرت عليه، فمتى كذب أو صدق في حال التمني؛ فلأن الكلام راجع إلى معنى الإخبار»[٢].

وكان ابن عامر يرفع ﴿وَلَا نُكَذِّبَ﴾ وينصب ﴿وَنَكُونَ﴾، وقد ذكرنا وجهين في رفع ﴿وَلَا نُكَذِّبَ﴾، وذكرنا وجه مَن قرأ بالنصب فيهما، فيحتمل أن ابن عامر أدخل ﴿وَلَا نُكَذِّبَ﴾ [في التمني][٣]، وإن كان رفعاً على ما بيَّنَّا والكون داخل فيه إذا نصب، ويحتمل أنه أراد الإخبار في ﴿وَلَا نُكَذِّبَ﴾، وأدخل الكون في التمني[٤].

---

(١) الحجة لأبي علي ٣/ ٩٤، وانظر: المسائل المنثورة ١٤٩، وهذا قول أكثر البصريين. انظر: أيضاً معاني القرآن للنحاس ٢/ ٤١٣، والجمل للزَّجَّاجي ١٩٤، والمشكل ١/ ٢٥٠، والبيان ١/ ٣١٨، والفريد ٢/ ١٣٧، والدر المصون ٤/ ٥٨٧-٥٩٠.

(٢) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٢٤، والسمين في الدر ٤/ ٥٨٨ مختصراً، وأكثرهم قال: «إن القول بأن التمني لا يدخله الكذب ليس بقوي؛ لأن هذا تمنٍّ تضمن معنى العدة، فجاز أن يدخله التكذيب، أو يكون قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ إخبار عن سجية الكفار وحكاية عن حالهم في الدنيا، فلا يدخل الكذب في التمني». قال السمين في الدر ٤/ ٥٨٦: «هذان الجوابان واضحان، وثانيهما أوضح». اهـ. انظر: الحجة لأبي علي ٣/ ٢٩٤، والكشاف ٢/ ١٣، وتفسير ابن عطية ٥/ ١٦٨، ١٦٩، وتفسير الرازي ١٢/ ١٩١، ١٩٢، والفريد ٢/ ١٣٨، والبحر ٤/ ١٠٢.

(٣) لفظ: (في التمني) ساقط من (أ).

(٤) انظر: معاني القراءات ١/ ٣٤٩، وإعراب القراءات ١/ ١٥٤، والحجة لابن خالويه ١٣٨، والحجة لأبي علي الفارسي ٣/ ٢٩٣، والحجة لابن زنجلة ٢٤٥، والكشف ١/ ٤٢٧، والمشكل ١/ ٢٤٩.

٢٨. قوله تعـــالى : ﴿بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُ﴾ معنى ﴿بَلۡ﴾ هاهنا : ردٌّ لكلامهم وإضراب عن توهم صحة عزيمتهم على الإنابة التي كان[(١)] تمني الرجعة لأجلها ، يقول الله تعالى –ليس على ما قالوا– : ﴿بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُ﴾ ، فلذلك اعتذروا وتمنوا الرد ؛ أي إنما اعتذروا حين افتضحوا[(٢)] . واختلفوا في معنى قوله تعالى : ﴿بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ﴾ ، فقال أبو روق : «إن المشركين في بعض مواقف القيامة يجحدون الشرك فيقولون : ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام :٢٣] ، فيُنطق الله جوارحهم فتشهد عليهم بالكفر ، وذلك حين ﴿بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ﴾»[(٣)] ، وعلى هذا أهل التفســير[(٤)] . وحُكي عن المُبرِّد أنه قال : «بدا لهم وباله وســوء عاقبته ، وكأن كفرهم لم يكن بادياً لهم إذ خفي مضرته ، وهذا كما تقول لِمَن وقع في مـــا كنت حذرته قبل ظهر لك الآن ما قلت لك . وقــد كان ظاهراً له ذلك القول قبلُ : هــذا»[(٥)] . وقال الزَّجَّاج : «بدا للأتباع ما أخفاه الرؤســاء عنهم من أمر البعث والنشــور ، قال : لأن المتصـــل بهــذا ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾[(٦)] ، وهذا قول الحســن قال : بدا ما كان يخفيه بعضهم عن بعض»[(٧)] ، وكل هذا بمعنى ظهرت فضيحتهم في الآخرة ، وتهتكت أستارهم[(٨)] .

---

(١) في (أ) : (كانت يتمنى) .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٧/ ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٣) ذكره الثعلبي ١٧٦ ب ، والرازي ١٢/ ١٩٣ ، والقرطبي ٦/ ٤١٠ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ١٠٣ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٧/ ١٧٦ ، ١٧٧ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٤٨٠ ، وتفسير الرازي ١٢/ ١٩٣ .

(٥) ذكره الثعلبي ١٧٦ ب ، والبغوي ٣/ ١٣٨ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٣ ، والقرطبي ٦/ ٤١٠ ، وابن القيم كما في بدائع التفسير ٢/ ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٤٠ ونحوه قال النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤١٤ .

(٧) ذكره الماوردي في تفسيره ٢/ ١٠٦ ، وابن عطية في تفسيره ٥/ ١٧٢ ، وابن الجوزي في تفسيره ٣/ ٢٣ ، والرازي في تفسيره ١٢/ ١٩٤ ، والقرطبي في تفسيره ٦/ ٤١٠ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ١٠٣ .

(٨) قال الرازي ١٢/ ١٩٤ : «اللفظ محتمل لوجوه كثــيرة ، والمقصود منها بأسرها أنه ظهرت فضيحتهم =

وقوله تعـالى : ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ قال ابن عباس : «يريد إلى ما نهوا عنه من الشرك»[(١)] .

قال أبو إسـحاق : «المعنى : أنَّ أكثر أهل الكتاب والمشركين عاندوا بعد أن علمـوا أن أمر الله حق[(٢)] ، فركنوا إلى الرفاهية ، وأن الشيء متأخر عنهم إلى أمدٍ ، كما فعل إبليس الذي قد شـاهد من براهين الله مـا لا غاية بعده ، فأعلم الله -عز وجل- أن هؤلاء لو رُدُّوا لعادوا كما أنهم كفروا في الدنيا بعد قيام الدليل ووجوب الحجة عليهم»[(٣)] .

وهذه الآية من الأدلة الظاهرة على تكذيـب القدرية ؛ ذلك أن الله -تعالى- أخبر عن قوم جرى عليهم قضاؤه في الأزل بالشرك ، فقال : لو أنهم شاهدوا النار والحساب وسألوا الرجعة وردوا لعادوا إلى الشرك ، وذلك للقضاء السابق فيهم ، وإلَّا فالعاقل لا يكاد يرتاب في ما شاهد[(٤)] .

= في الآخرة وانتهكت أسـتارهم» . اهـ . ومعنى الآية والله أعلم : ظهرت في الآخرة فضيحتهم وعاقبة أعمالهـم وما كانوا يخفون من علمهم أنهم على باطل وأن الرسـل على حق ، فعاينـوا ذلك عياناً بعد أن كانوا يخفونه ويتواصَون بإخفائه . انظر : إعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٤٢ ، والكشـاف ٢/ ١٣ ، وبدائع التفسير ٢/ ١٤٥ ، وابن كثير ٢/ ١٤٤ ، ٤٤٥ .

(١) تنوير المقباس ٢/ ١٢ ، وذكره الواحدي في الوسـيط ١/ ٢٦ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٤ ، وأخرج عنه ابن أبي حاتم ٤/ ١٢٧٩ بسـند جيد ، قال : «أخبر الله سبحانه أنهم لو ردوا لم يقدروا على الهدى ، فقال : ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾» . اهـ ، وفي الدر المنثور ٣/ ١٦ ، قال : «أخرج ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية قال : أي لو ردوا إلى الدنيا لحيل بينهم وبين الهدى كما حلنا بينهم وبينه أول مرة وهم في الدنيا» . اهـ

(٢) في (أ) : (أن الأمر لله حق) .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٤٠ . انظر : تفسـير الطـبري ٧/ ١٧٦ ، ١٧٧ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤١٤ ، وبدائع التفسير ٢/ ١٤٦ .

(٤) ذكره الرازي ١٢/ ١٩٤ ، وأبو حيان ٤/ ١٠٤ عن الواحدي .

٢٩. قوله تعالى : ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا﴾ كان ابن زيد[١] يقول : «هذا عطف على قوله : ﴿لَعَادُواْ﴾ ، والمعنى : لعادوا إلى الشرك ، لقالوا : ما هي إلَّا حياتنا الدنيا ، وأنكروا البعث»[٢] . والآخرون : «على أن هذا ابتداء ، إخبار عنهم أنهم كذلك كانوا يقولون في الدنيا»[٣] .

٣٠. قوله تعالى : ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ﴾ ليس يصح في هذه الآية شيء من الوجوه التي ذكرناها في قوله تعالى : ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأنعام :٢٧] إلَّا وجهاً واحداً ، وهو أن المعنى هاهنا : عرفوا ربهم ضرورة كما تقول : «وقفته على كلام فلان» ؛ أي عرَّفته إياه[٤] .

وقال أصحاب المعاني في هذه الآية : «وقفوا على مسألة[٥] ربهم لتقريرهم بما فيه توبيخ لهم على ما سلف من جحودهم ، فخرج الكلام مخرج ما جرت به

(١) عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العدوي ، تقدمت ترجمته .

(٢) أخرجه الطبري ٧/ ١٧٧ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٨٠ بسند جيد ، وذكره أكثرهم ، وهو ظاهر كلام الزمخشري ٢/ ١٣ ، والبيضاوي ١/ ١٣٦ . قال القرطبي ٦/ ٤١١ : «يحمل هذا على المعاند . . . أو على أن الله يلبس عليهم بعد ما عرفوا ، وهذا شائع في العقل» . اهـ

(٣) هذا قول الجمهور واختيار الطبري ٧/ ١٧٧ ، والجمع بينهما حسن ، فيقال : لمَّا كان ديدنهم في الدنيا هو التكذيب بالآخرة الذي كانوا يُعبِّرون عنه بتلك المقولة : ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا﴾ فإنهم لو ردوا إلى الدنيا لعادوا إلى ديدنهم ذلك ، ولقالوا المقولة نفسها . انظر : تفسير ابن عطية ٥/ ١٧٢ ، ١٧٣ ، وتفسير الرازي ١٢/ ١٩٤ ، والفريد ٢/ ١٣٨ ، والبحر ٤/ ١٠٥ ، والدر المصون ٤/ ٥٩٢ .

(٤) ذكره الرازي ١٢/ ١٩٦ ، وفيه نظر ؛ لأنه تحصيل حاصل ، والكفار يعرفون ربهم ، ويُقِرُّون بوجوده ، وإنما ينكرون توحيد العبادة حيث يعبدون مع الله غيره ، فالأولى حمل الآية على ظاهرها ؛ أي حبسوا على الله تعالى في الآخرة للفصل والقضاء ، وأن هذا حق وليس باطلاً كما يظنون . قال السمرقندي ١/ ٤٨٠ : «أي عرضوا وسيقوا وحبسوا عند ربهم وعند عذابه» ، وقال ابن كثير ٢/ ١٤٥ : «أي أوقفوا بين يديه» . اهـ

(٥) أجمع أكثرهم على أن المعنى : «حبسوا على ربهم ؛ أي على حكم الله وقضائه فيهم ومسألته» . انظر : تفسير الطبري ٧/ ١٧٨ ، وتفسير البغوي ٣/ ١٣٨ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ١٧٣ ، وتفسير القرطبي ٦/ ٤١١ .

العادة من وقوف العبد بين يدي سيده، لما في ذلك من البلاغة بإخراج المعنى على ما جرت به العادة»[(١)].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي هذا البعث، فيقرون حين لا ينفعهم ذلك، ويقولون: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾، فيقول الله تعالى[(٢)]: ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾، وخص لفظ الذوق[(٣)]؛ لأنهم في كل حال يجدونه وجدان الذائق في شدة الإحساس من غير أن يصيروا إلى حال مَن يشم الطعام في نقصان الإدراك. وقوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٠]؛ أي بكفركم[(٤)].

٣١. قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ الآية. قال أصحاب المعاني: «إنما وُصِفوا بالخسران؛ لأنهم باعوا الإيمان بالكفر، فعظم خسرانهم في ذلك البيع؛ لأنهم خسروا أنفسهم بإهلاكها بالعذاب، وأعظم الخسران في العمل هلاك النفس، كما أن أعظم الخسران في التجارة ذهاب رأس المال»[(٥)].

---

(١) انظر: الكشاف ٢/ ١٣، وتفسير الرازي ١٢/ ١٩٦، والفريد ٢/ ١٣٩، والبحر ٤/ ١٠٥، والدر المصون ٤/ ٥٩٤، والبيضاوي ١/ ١٣٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٧/ ١٧٨، وتفسير السمرقندي ١/ ٤٨٠، وتفسير البغوي ٣/ ١٣٨.

(٣) انظر: تهذيب اللغة ٢/ ١٣٠٢، والمفردات ٣٣٢، واللسان (ذوق) ٣/ ١٥٢٧، وقال بعضهم: «الذوق في العذاب استعارة بليغة، والمعنى: باشروه مباشرة الذائق، إذ هي أشد المباشرات». انظر: تفسير ابن عطية ٦/ ٢٥، وتفسير الرازي ١٢/ ١٩٦، والبحر ٤/ ١٠٦.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٧/ ١٧٨، وتفسير السمرقندي ١/ ٤٨٠، والدر المصون ٤/ ٥٩٥.

(٥) انظر: نحوه في تفسير الطبري ٧/ ١٧٩، والمفردات (خسر) ٢٨١، وتفسير البغوي ٣/ ١٣٨، وتفسير ابن عطية ٥/ ١٧٥، والبحر ٤/ ١٠٦.

وقوله تعالى : ﴿بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس : «يريد بالبعث والثواب والعقاب والمصير إليه»(١) ، وقد أحكمْنا شرح هذا عند قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة :٤٦] ، وقال بعضهم : «المعنى هاهنا : كذبوا بلقاء جزاء الله ، إلَّا أنه قحم اللقاء بإضافته إلى الله ، وهذا كما يُقال للميت : لقي فلان عمله ؛ أي لقي جزاء عمله»(٢) .

وقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ ، معنى ﴿حَتَّىٰٓ﴾ هاهنا : بيان أن منتهى تكذيبهم الحسرة يوم القيامة ، والمعنى : كذبوا إلى أن ظهرت الساعة بغتة(٣) ، والمراد بالساعة(٤) القيامة ، وقيل : «يوم القيامة الساعة ؛ لسرعة الحساب للجزاء فيها ، كأنه قيل : ما هي إلَّا ساعة الحساب للجزاء حتى يجعل أهل المنزلين في منازلهم من الجنة والنار» ، هذا قول بعض أهل المعاني(٥) .

---

(١) نحوه في تنوير المقباس ٢/ ١٣ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٧ بلا نسبة ، وهو قول أكثرهم . انظر : تفسير الطبري ٧/ ١٧٨ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٤٨٠ ، وتفسير البغوي ٣/ ١٣٨ ، وابن الجوزي : / ٣/ ٢٤ ، وتفسير الرازي ١٢/ ١٩٧ .

(٢) ذكر أبو علي الفارسي في الحجة ٢/ ٢٦ نحوه ، قال في هذه الآية : «المعنى بالبعث يقوِّي ذلك ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ [الأنعام :٣١] ؛ أي ملاقو ثواب ربهم وملاقو جزائه إن ثواباً وإن عقاباً» ، وذكر نحوه أكثرهم .
انظر : الكشاف ٢/ ١٣ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ١٧٥ ، وتفسير القرطبي ٦/ ٤١١ ، والبحر ٤/ ١٠٦ .
وهذا التقدير في الآية محتمل ، وإن قصد به نفي الرؤية فهو مردود ، والأَولى حمل الآية على ظاهرها وعدم صرفها عنه .

(٣) وعلى هذا تكون حتى غاية لكذبوا ، والمعنى : منتهى تكذيبهم الحسرة ، ولا يجوز أن تكون غايةً لِخسر ؛ لأن خسرانهم لا غاية له ، أفاده أكثرهم . انظر : الكشاف ٢/ ١٣ ، وتفسير الرازي ١٢/ ١٩٧ ، والفريد ٢/ ١٣٩ ، والبحر ٤/ ١٠٦ ، والبيضاوي ١/ ١٣٦ .

(٤) هذا قول أكثرهم . انظر : تفسير الطبري ٧/ ١٧٨ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٤٨٠ ، وتفسير البغوي ٣/ ١٣٨ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٤ .

(٥) هذا قول الراغب في المفردات ٤٣٤ ، والقرطبي في تفسيره ٦/ ٤١٢ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ١٠٦ ، والسمين في الدر ٤/ ٥٩٥ ، وعمدة الحفاظ ٢٥٤ .

وقال غيرهم: «الساعة[(١)]: الوقت الذي تقوم فيه القيامة، سميت ساعة لأنها تفجأ الناس في ساعة»[(٢)]، وهذا القول أصح. ألا ترى أنه قال: ﴿بَغْتَةً﴾ والبغت والبغتة[(٣)]: الفجأة.

قال ابن عباس: «يريد أن الساعة لا يعلمها أحد إلّا هو»[(٤)] -يعني أنها تأتي فجأة-؛ لأنه لا يعلم أحد متى إبَّانها فينتظرها.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَحَسْرَتَنَا﴾ قال الزَّجَّاج[(٥)] وابن الأنباري[(٦)]: «معنى دعاء الحسرة: تنبيه الناس على ما وقع بهم من الحسرة، والعرب إذا اجتهدت في المبالغة في الإخبار عن عظيم يقع فيه جعلته نداء، كقوله تعالى: ﴿يَحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ [يس:٣٠]، و[(٧)] ﴿يَحَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ [الزمر:٥٦]، و﴿يَوَيْلَتَى ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾[(٨)] [هود:٧٢]، وهذا أبلغ من أن يقول: الحسرة علينا في

(١) جاء في (أ): تكرار لفظ: (الساعة).

(٢) هذا قول الأزهري في تهذيب اللغة ٢/ ١٥٩٧، وابن منظور في اللسان (سوع) ٤/ ٢١٥١، والقاسمي في تفسيره ٦/ ٢٢٨٥، والأقوال متقاربة. قال الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٢٤٦، ٣/ ٢١٤: «الساعة اسم لإماتة الخلق وإحيائهم». انظر: الرازي ١٢/ ١٩٧، والخازن ٢/ ١٢٨.

(٣) انظر: مجاز القرآن ١/ ١٩٣، وتفسير الطبري ٧/ ١٧٨، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٤١، ٣/ ١٣١، والزاهر ٢/ ٥، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤١٥، وتهذيب اللغة ١/ ٣٦٤، واللسان (بغت) ١/ ٣١٧.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) أطال الزَّجَّاج في تقرير هذا الوجه في مواضع من معاني القرآن ٣/ ٣٥٤، ٤/ ٢٨٤، فقال: «معنى الحسرة: أن يركب الإنسان من شدة الندم ما لا نهاية له بعده حتى يبقى حسراً، والفائدة من مناداتها كالفائدة في مناداة ما لا يعقل؛ لأن النداء باب تنبيه، وحرف النداء يدل على تمكن القصة من صاحبها، إذا قال القائل: يا حسرتاه ويا ويلاه فتأويل الحسرة والويل قد حلّا به، وإنهما لازمان له غير مفارقين». انظر: تهذيب اللغة ١/ ٨١٤، ٨١٥.

(٦) لم أقف عليه بعد طول بحث عنه في مظانه.

(٧) في النسخ: (يا حسرتا ...)، وهو تحريف.

(٨) في النسخ: (يا ويلتا ...)، وهو تحريف.

تفريطنا»[١] ، ومثله : ﴿يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف :٨٤] ؛ تأويله : يا أيها الناس ، تنبهوا على ما وقع في زمان الأسف ، فوقع النداء على غير المنادى في الحقيقة ؛ لاتساع العرب في مجازها[٢] ، وهذا مثل قولهم : «لا أريتك هاهنا» ، وقع النهي على غير المنهيِّ في الحقيقة .

وقال سيبويه : «إنك إذا قلت : يا عجباه[٣] ، فكأنك قلت : احضر وتعال يا عجب ، فإنه من أزمانك ، وتأويل يا حسرتاه : انتبهوا على أنَّا قد خسرنا»[٤] ، فقد حصل للنداء هاهنا تأويلان : أحدهما أن النداء للحسرة ، والمراد به تنبيه المخاطبين على قول الزَّجَّاج وأبي بكر ، وعلى قول سيبويه دُعيت الحسرة على معنى أن هذا وقتك فتعالي[٥] .

وقوله تعالى : ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ قال أبو عبيد : «يقال : فرطت في الشيء ؛ أي ضيعته»[٦] .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٤١ .

(٢) هذا من كلام الواحدي ، وذكره الرازي في تفسيره ١٢/ ١٩٧ . انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٣٥ .

(٣) جاء في (أ) : (يا عجباً) .

(٤) النص عند الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٢٤١ ، والنحاس في معاني القرآن ٢/ ٤١٥ ، والرازي في تفسيره ١٢/ ١٩٨ ، والفريد للهمذاني ٢/ ١٤٠ . قال سيبويه في الكتاب ٢/ ٢١٧ : «وقالوا : يا للعجب لَمَّا رأوا عجباً ؛ كأنه يقول : تعال يا عجب ، فإنه من أيامك وزمانك» . اهـ ملخصاً ، وانظر : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٤٢١ ، ومعاني القرآن للأخفش ١/ ٢٠٤ ، والمقتضب للمُبرِّد ٤/ ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(٥) الظاهر أن الجميع مراد في ذلك ، فنداء الحسرة للتنبيه وتعظيم الأمر وتشنيعه ، وكأنه يقول : «اقربي واحضري فهذا وقتك وزمانك ، وفي ذلك تعظيم للأمر على نفس المتكلم وعلى سامعه وهو المقصود بنداء ما لا يعقل» ، وهذا ظاهر كلام أكثرهم . انظر : المدخل للحدادي ٥٨٨ ، وتفسير البغوي ٣/ ١٣٨ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ١٧٦ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٥ ، والتبيان ٣٢٩ ، وتفسير القرطبي ٦/ ٤١٢ ، والبحر ٤/ ١٠٧ ، والدر المصون ٤/ ٥٩٥ ، وروح المعاني ٧/ ١٣٢ ، والتحرير والتنوير ٧/ ١٩٠ .

(٦) تهذيب اللغة ٣/ ٢٧٧٢ ، ٢٧٧٣ ، وفي غريب الحديث ١/ ٣٦ قال أبو عبيد : «قال الأصمعي : الفرط والفارط : المتقدم في طلب الماء . . . ويقال : أفرطت الشيء ؛ أي نسيته» . اهـ ملخصاً

وقولــه : ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا﴾ ؛ أي تركنا وضيَّعنا فيها ، وهــو قول أبي عبيدة[(١)] وأكثر أهل اللغة[(٢)] ، وبه قال الحســن ، فقال : «على ما ضيَّعنا»[(٣)] ، والتأويل : يا حسرتنا على ما تركنا من عمل الآخرة .

وقال الزَّجَّاج : «﴿فَرَّطْنَا﴾ : قدَّمنا العجز»[(٤)] ، جعله من قولهم : «فرَّط فلان إذا سبق وتقدَّم ، وفرَّط الشيء إذا قدمه» ، فالتفريط عنده تقديم التقصير[(٥)] .

---

(١) مجــاز القرآن ١/ ١٩٠ ، وهو قول أكثرهم . انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٠٨ ، وغريب القرآن ١٦٣ ، وتفسير الطبري ٧/ ١٧٩ ، وتفســير الســمرقندي ١/ ٤٨٠ ، والعمدة لمكي ١٢٦ ، والتحرير والتنوير ٧/ ١٩١ ، وقال بعضهــم : «التفريط هو التقصير في الشيء مع القدرة على فعله» ، وهو قريب من المعنى الأول . انظر : الكشــاف ٢/ ١٤ ، وتفســير البغوي ٣/ ١٣٨ ، وتفســير ابن عطية ٥/ ١٩٤ ، والخازن ٢/ ١٢٨ ، والبحر ٤/ ١٠٧ ، والبيضاوي ١/ ١٣٦ ، والثعالبي ١/ ٥١٤ ، والقاسمي ٦/ ٥٠٢ .

(٢) قال أهــل اللغة : «فرط بفتح الراء المخففة ســبق وتقدم ، وفرط بتشــديد الــراء المفتوحة في الشيء وفرطــه : ضيعه وقــدم العجز في التقصير ، وأكثرهــم على أنه بمعنى : تقدم . ومنهــم مَن قال : هو بمعنى قصر وضيع» . انظر : العين ٧/ ٤١٨ ، والجمهرة ٢/ ٧٥٤ ، والصحاح ٣/ ١١٤٨ ، ومقاييس اللغــة ٤/ ٤٩٠ ، والمجمل ٣/ ٧١٦ ، والمفــردات ٦٣١ ، والنهاية لابن الأثير ٣/ ٤٣٤ ، واللســان ٦/ ٣٣٨٩ ، والتاج (فرط) ٥/ ١٩٥ .

(٣) ذكــر المــاوردي ٢/ ١٠٦ عن الحســن في قولــه تعــالى : ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ [النحــل :٦٢] ، قال : «مضيعــون» . انظر : ابن الجوزي ٧/ ١٩٢ ، والقرطبي ١٥/ ٢٧١ . أخرجه الطبري ٧/ ١٧٩ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٨١ بســند جيد عن السُّــدِّي ، وذكره السيوطي في الإتقان ١/ ١٥١ عن ابن عباس ، وهو قول مقاتل في تفسيره ١/ ٥٥٧ .

(٤) معاني القــرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٤٢ ، قــال في ٣/ ٢٠٧ : «الفرط في اللغة : التقديــم» . اهـ ، وهو قول السجستاني في النزهة ٣٥٢ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٥ .

(٥) المعــاني كلهــا متقاربة ، فيقال : فــرط ؛ أي ضيع وقدم العجــز والتقصير في ما يقــدر عليه . انظر : التصاريف ليحيى بن سلام ٣١٨ ، والأضداد لقطرب ١١٤ ، وما اتفق لفظه واختلف معناه لليزيدي ١٨٣ ، وثلاثة كتب في الأضداد للأصمعي والسجســتاني وابن الســكيت وبذيلها أضداد الصاغاني ١٤١ ، وص٢٤١ ، والزاهــر ١/ ٣٠٩ ، والأضداد لابن الأنبــاري ٧١ ، والألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى للرماني ٧٧ ، وتفسير الرازي ١٢/ ١٦٤ ، وتفسير القرطبي ٦/ ٤١٣ ، وعمدة الحفاظ ٤٢٠ .

وقوله تعالى :﴿فِيهَا﴾ قال ابن عباس : «في الدنيا»[١] .

وروي عن الحسن أنه قال : «في الساعة»[٢] ، والمعنى : على ما فرَّطنا في العمل للساعة والتقدمة لها .

وقال السُّدِّي في الجنة[٣] ؛ «أي في طلبها والعمل لها ، ويحتمل أن تعود الكناية إلى معنى ﴿مَا﴾ ، وفي قوله : ﴿مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ ؛ أي يا حسرتنا على الأعمال والطاعات التي فرَّطنا فيها»[٤] .

وروي عن ابن جرير أنه قال : «الكناية تعود إلى الصفقة ؛ لأنه لمَّا ذكر الخسران دل على الصفقة»[٥] ، فعنده الكناية تعود إلى مدلول عليه .

---

(١) تنوير المقباس ٢/ ١٤ ، وذكره الرازي ١٢/ ١٩٨ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ١٠٧ ، والألوسي ٧/ ١٣٢ ، وهو قول بعضهم . انظر : تفسير مقاتل ١/ ٥٥٧ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٤٨٠ ، وتفسير الزمخشري ٢/ ١٤ ، والخازن ٢/ ١٢٨ ، والبيضاوي ١/ ١٣٦ ، وظاهر كلامهم عودة الضمير على الدنيا .

(٢) ذكره الرازي ١٢/ ١٩٩ ، والقرطبي ٦/ ٤١٣ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ١٠٧ ، ورجَّحه ابن عطية ٥/ ١٧٦ ، والعكبري في التبيان ١/ ٣٢٩ ، والقرطبي ٦/ ٤١٣ . قال الهمداني في الفريد ٢/ ١٤٠ : «هذا هو الوجه لجَرْي ذكرها مع صحة المعنى ، وإذا صح العائد إلى مذكور فلا وجه للعدول عنه إلى غيره بغير دليل» . اهـ

(٣) أخرج عنه الطبري ٧/ ١٧٩ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٨١ بسند جيد ، قال : «ضيعنا من عمل الجنة» ، وقال أبو حيان ٤/ ١٠٧ ، والسمين في الدر ٤/ ٥٩٦ ، والألوسي ٧/ ١٣٢ : «لا يخفى بعده» . اهـ

(٤) هذا قول ابن الأنباري في البيان ١/ ٣١٩ ، وقال الكرماني في الغرائب ١/ ٣٥٧ : «العجيب (ما) موصولة (وفيها) كناية عن (ما) وأنث حملاً على الأعمال وهذا حسن» . اهـ

(٥) تفسير الطبري ٧/ ١٧٩ ، وزاد : «معلوم أن الخسران لا يكون إلاَّ في صفقة بيع قد جرت» ، وعَدَّه الكرماني في غرائبه ١/ ٣٥٧ من الغريب ، والظاهر -والله أعلم- عودة الضمير على الدنيا ؛ لأنه ظاهر الآية ، ولكونها معلومة ، والمعنى يقتضيها ، وهي موضع التقصير ، والظرفية فيها أمكن ، وعودته على الساعة قويٌّ ، إلَّا أنه لا بد فيه من تقدير مضاف ؛ أي في شأنها والإيمان بها . انظر : تفسير ابن عطية ٥/ ١٧٥ ، والبحر ٤/ ١٠٧ ، والدر المصون ٤/ ٥٩٦ .

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾، الأوزار: الأثقال من الإثم، قال ابن عباس: «يريد آثامهم وخطاياهم»[(١)].

قال أهل[(٢)] اللغة: «الوزر الثقل، وأصله من الحمل، يُقال: وزرت الشيء؛ أي حملته أزره وزراً، ثم قيل للذنوب: أوزار؛ لأنها تثقل ظهر مَن يحملها». وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾ [الأنعام: ١٦٤]؛ أي لا تحمل نفس حاملة.

وقال أبو عبيد: «يقال للرجل إذا بسط ثوبه فجعل فيه المتاع: احمل وزرك»[(٣)].

وأوزار الحرب: أثقالها من السلاح، ووزير السلطان: الذي[(٤)] يزر عنه أثقال ما يُسند إليه من تدبير الولاية؛ أي يحمل، وقال الزَّجَّاج: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾: «أي يحملون ثقل ذنوبهم»[(٥)].

واختلفوا في كيفية حملهم الأوزار، فقال المفسرون[(٦)]: «إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن شيء صورةً وأطيبه ريحاً، فيقول: أنا عملك الصالح،

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٧، والرازي في تفسيره ١٢/ ١٩٩، وأبو حيان في البحر ٤/ ١٧٠، وأخرج عنه الطبري ٧/ ١٧٩ بسند ضعيف، قال: «ذنوبهم»، وفي تنوير المقباس ٢/ ١٤: «آثامهم».

(٢) قال أهل اللغة: «الوزر، بكسر الواو وسكون الزاي: الإثم والحمل والثقل على الظهر؛ وبفتح الواو: الملجأ». انظر: الجمهرة ٢/ ٧١٢، ١٠٦٤، والصحاح ٢/ ٨٤٥، ومقاييس اللغة ٦/ ١٠٨، والمجمل ٣/ ٩٢٤، والمفردات ٨٦٧، والنهاية لابن الأثير ٥/ ١٧٩، واللسان (وزر) ٨/ ٤٨٢٤.

(٣) ذكره الثعلبي ١٧٧، والقرطبي ٦/ ٤١٣، ولم أقف عليه عند غيرهما عن أبي عبيد، وجعله الرازي ١٢/ ١٩٩، والشوكاني ٢/ ١٥٩ عن أبي عبيدة، ولعله الصواب؛ لأنه في مجاز القرآن ١/ ١٩٠.

(٤) هذا قول الأزهري في تهذيبه ٤/ ٣٨٨٣، وانظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٥٧، والاشتقاق لابن دريد ٣٩٦.

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٤٢، وانظر: غريب اليزيدي ١٣٥، وتفسير غريب القرآن ١٥٢، ونزهة القلوب ٧١، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤١٦.

(٦) ذكره أكثرهم. انظر: تفسير مقاتل ١/ ٥٥٧، وتفسير السمرقندي ١/ ٤٨١، وتفسير البغوي ٣/ ١٣٩، وابن الجوزي ٣/ ٢٦، وتفسير الرازي ١٢/ ١٩٩، والدر المنثور ٣/ ١٧.

طالما ركبتك في الدنيا ، فاركبني أنت اليوم ، فذلك قوله تعالى : ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم :٨٥] ، قالوا : ركباناً . وإن الكافر إذا خرج من قبره استقبله أقبح شيء صورةً وأخبثه ريحاً فيقول : أنا عملك السيئ ، طالما ركبتني في الدنيا ، فأنا أركبك اليوم ، وذلك قوله تعالى : ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۚ﴾» ، [و](١) هذا قول قتادة(٢) والسُّدِّي(٣) .

وقال الزَّجَّاج : «هذا مثل جائز أن يكون جعل ما ينالهم من العذاب بمنزلة أثقل(٤) ما يتحمل ؛ لأن الثقل كما يستعمل في الوزن(٥) يستعمل في الحال أيضاً ، كما تقول : ثقل عليَّ خطاب فلان ، تأويله : كرهت خطابه كراهةً اشتدت عليَّ»(٦) . فعلى هذا ، المعنى : أنهم يقاسون عذاب آثامهم مقاساة يثقل عليهم ذلك . وقال أهل العربية : «معنى قوله : ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾ : لا تزايلهم أوزارهم ، كما تقول : شخصك نصب عيني ؛ أي ذِكرُك ملازم لي»(٧) .

---

(١) لفظ (الواو) ساقط من (ش) .

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٨ ، والرازي ١٢/ ١٩٩ ، والخازن ٢/ ١٢٩ .

(٣) أخرجه الطبري ٧/ ١٧٨ ، ١٧٩ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٨١ من طرق جيدة عن السُّدِّي وعمرو بن قيس الملائي ، وأخرجه الطبري ١٥/ ٩٦ (طبعة الحلبي) بسند ضعيف عن زيد بن أسلم العدوي .

(٤) في (ش) : (الثقل) ، وهو تحريف .

(٥) كذا في النسخ ، وعند الزَّجَّاج ٢/ ٢٤٢ : «الوزر» ، ولعله تحريف .

(٦) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٤٢ ، وزاد : «فتأويل الوزر الثقل من هذه الجهة» . انظر : أيضاً معاني القرآن للنحاس ٢/ ٤١٦ ، وفيه : «الوزر : الإثم ، وهو تمثيل» . اهـ

(٧) ذكره الثعلبي ١٧٧ أ عن الزَّجَّاج ، وذكره بعضهم عن فرقة . انظر : الرازي ١٢/ ١٩٩ ، والخازن ٢/ ١٢٩ ، والصواب حمل الآية على الحقيقة ؛ لأن كلام الله تعالى يحمل على حقيقته ، ولا يصرف عنها إلَّا بدليل . انظر : تفسير ابن عطية ٥/ ١٧٧ ، والثعالبي ١/ ٥١٤ ، والألوسي ١/ ١٣٢ .

وقولــه تعــالى : ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ : ذكرنا معنــى ﴿سَآءَ﴾[(١)] عند قوله : ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ في [النساء :٢٢] . قال ابن عباس : «يريد بئس الحمل حملوا»[(٢)] ، وقال الزَّجّاج : «بئس الشيء شيئاً[(٣)] يزرونه ؛ أي يحملونه»[(٤)] .

٣٢. قوله تعــالى : ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ . قال المفسرون : «هذا رد لقول الكفار : ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[(٥)(٦)] ، فقال الله تعالى : ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾»[(٧)(٨)] . قال ابن عباس : «يريد حياة المشركين وأهل النفاق وأهل الكفر بالله : ﴿إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ يريــد : باطل وغرور»[(٩)] ، وإنما خص ابن عبــاس هذا بحياة الكافر ؛ لأن حياة المؤمن فيها أعمال صالحة لا تكون[(١٠)] لعباً ولهواً .

وقال مقاتل في قوله تعالى : «﴿إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ يلهون في الدنيا»[(١١)] .

---

(١) انظر : البسيط (النسخة الأزهرية) ١/ ٢٣٧ أ .

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٨ ، والبغوي ٣/ ١٣٩ ، والخازن ٢/ ١٢٩ .

(٣) في النسخ : (شيء) .

(٤) معاني القــرآن للزَّجّاج ٢/ ٢٤٢ ، وهــو قول أكثرهم . انظــر : إعراب القــرآن للنحاس ٢/ ٦٣ ، والسمرقندي ١/ ٤٨١ ، والبغوي ٣/ ١٣٩ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٦ .

(٥) في النســخ (ما هي) بدلًا من (إن) ، وهو تحريف ، وفي سورة الجاثية ، الآية ٢٤ ، قال تعالى : ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ .

(٦) في (أ) : (حيوتنا) بدلًا من (حياتنا) .

(٧) في (أ) : (الحيوة) حسب رسم المصحف .

(٨) ذكره عامة المفسرين أن الآية رد على منكري البعث . انظر : الطبري ٧/ ١٨٠ ، وابن عطية ٥/ ١٧٩ ، والرازي ١٢/ ٢٠٠ ، والقرطبي ٦/ ٤١٤ ، والخازن ٢/ ١٢٩ ، والبحر ٤/ ١٠٨ .

(٩) ذكره الرازي في تفســيره ١٢/ ٢٠٠ ، والقرطبي ٦/ ٤١٥ ، والخــازن ٢/ ١٢٩ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ١٠٨ .

(١٠) في (ب) : (يكون) . انظر : تفسير الرازي ١٢/ ٢٠٠ .

(١١) تفسير مقاتل ١/ ٥٥٨ ، وفيه قال : «﴿إِلَّا لَعِبٌ﴾ إلا باطل ، ﴿وَلَهْوٌ﴾ يكون في الدنيا» .

وهذا يؤكد أن المراد بهذا حياة الكافر ؛ لأن المؤمن لا يشتغل باللهو في الدنيا عن عمل الآخرة .

وقال آخرون : «هذا عام في حياة المؤمن والكافر ، والمراد بقوله : ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ أنها تنقضي وتفنى ولا تبقى كاللعب واللهو ، يكون لذة فانية عن قريب»[(١)] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ قال ابن عباس : «يريد الجنة»[(٢)] ، وهو قول الكلبي[(٣)] . ﴿وَٱلْآخِرَةُ﴾ : صفة ﴿وَلَلدَّارُ﴾ ، وسميت ﴿ٱلْآخِرَةُ﴾ لأنها بعد الدنيا[(٤)] . وقرأ ابن عامر : «ولدار الآخرة» بالإضافة[(٥)] .

قال الفرَّاء : «يضاف الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان ، كقولهم : بارحة الأولى ، ويوم الخميس ، وحق اليقين ؛ فإذا اتفقا لم تقل العرب : هذا حق الحق ولا يقين اليقين ، وذلك أنهم يتوهمون إذا اختلفا في اللفظ أنهما مختلفان في المعنى ، ولا يتوهمون ذلك إذا اتفق اللفظ»[(٦)] .

---

(١) انظر : الطبري ٧/ ١٨٠ ، والرازي ١٢/ ٢٠٠ ، والقرطبي ٦/ ٤١٤ .

(٢) ذكره الرازي في تفسيره ١٢/ ٢٠٣ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ١٠٩ .

(٣) تنوير المقباس ٢/ ١٤ ، وهو قول السمرقندي ١/ ٤٨١ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٧ ، والقرطبي ٦/ ٤١٥ ، وغيرهم .

(٤) انظر : «تفسير القرطبي» ٦/ ٤١٥ .

(٥) قال ابن الجزري في النشر ٢/ ٢٥٧ : «قرأ ابن عامر : (ولدار) بلام واحدة وتخفيف الدال . (الآخرة) بخفض التاء على الإضافة ، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام . وقرأ الباقون بلامين مع تشديد الدال للإدغام وبالرفع على النعت ، وكذا هو في مصاحفهم» . اهـ . انظر : السبعة ٢٥٦ ، والمبسوط ١٦٧ ، والتذكرة ٢/ ٣٩٧ ، والتيسير ١٠٢ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٣٠ ، ٣٣١ ، وقال الأزهري في معاني القراءات ١/ ٣٥١ : «مَن قرأ : (ولدار الآخرة) فإنه أضاف الدار إلى الآخرة ، والعرب تضيف الشيء إلى نعته ، وهو كثير فصيح جيد» . اهـ بتصرف ، واختار هذا التوجيه البغوي ٣/ ١٣٩ .

وعند البصريين[١] لا يجوز إضافة الشيء إلى نفسه وإن اختلف اللفظ، وقالوا في قراءة ابن عامر: «لم يجعل ﴿ٱلْآخِرَةُ﴾ صفة ﴿وَلَلدَّارُ﴾؛ لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه، ولكنه جعلها صفة الساعة، وكأنه قال: ولدار الساعة الآخرة، وجاز وصف الساعة بالآخرة كما جاز ذلك في اليوم في قوله تعالى: ﴿وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ [العنكبوت: ٣٦]، فإن قيل: على هذا التقدير الذي ذكرتم يكون قد أقام ﴿ٱلْآخِرَةُ﴾ التي هي الصفة مقام الموصوف الذي هو الساعة، وذلك قبيح! قيل: لا يقبح ذلك إذا كانت الصفة قد استعملت استعمال الأسماء و ﴿ٱلْآخِرَةُ﴾ صارت كالأبطح[٢] والأبرق[٣] في استعمالها[٤] أسماء. ألا ترى أنه قال تعالى ذكره: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٤]، فليست ﴿ٱلْآخِرَةُ﴾ كالصفات التي لم تستعمل استعمال الأسماء[٥]، ومثل ﴿ٱلْآخِرَةُ﴾ في أنها استعملت استعمال [الأسماء][٦] الدنيا».

والاختيار قراءة العامة[٧]؛ لأن الأَولى أن تجعل ﴿ٱلْآخِرَةُ﴾ صفة ﴿وَلَلدَّارُ﴾، وإذا كانت صفة لها وجب أن يجري عليها في الإعراب ولا يضاف إليها، والدليل

---

(١) انظر: الأصول ٢/ ٨، وأمالي ابن الشجري ٢/ ٦٧، والإنصاف ٣٥٣، والمغني لابن هشام ٢/ ٦٢٦، واختار هذا التوجيه أكثرهم. انظر: المشكل ١/ ٢٥١، والبيان ١/ ٣١٩، والفريد ٢/ ١٤١.

(٢) الأبطح: مسيل واسع فيه دقاق الحصى. انظر: القاموس (بطح) ٢١٣.

(٣) الأبرق: كثير التهديد والتوعد. انظر: القاموس (برق) ٨٦٦.

(٤) في (أ): (استعمالها).

(٥) قال السمين في الدر ٤/ ٦٠٠، في توجيه كلام البصريين: «وحسن ذلك أيضاً في الآية كون هذه الصفة جرت مجرى الجوامد في إيلائها العوامل كثيراً. وكذلك كل ما جاء مما توهم فيه إضافة الموصوف إلى صفته، وإنما احتاجوا إلى ذلك لئلا يلزم إضافة الشيء إلى نفسه وهو ممتنع، لأن الإضافة إمَّا للتعريف أو للتخصيص، والشيء لا يعرِّف نفسه ولا يخصصها»، وانظر: التبيان للعكبري ١/ ٣٣٠.

(٦) لفظ: (الأسماء) ساقط من (أ).

(٧) واختار قراءة العامة أيضاً الأزهري في معاني القراءات ١/ ٣٥١، ومكي في الكشف ١/ ٤٣٠.

على كونها صفة ﴿وَلَلدَّارُ﴾ قوله تعالى : ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ ، فقد علمت بإقامتها مقامها أنها هي وليست غيرها فيستقيم أن يضاف إليها[(١)] .

وقوله تعالى : ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ قال ابن عباس : «يريد اتقوا الله ولم يشركوا به شيئاً»[(٢)] .

وقال مقاتل : «للذين اتقوا الشرك»[(٣)] .

وقال الكلبي : «للذين يتقون الكفر والشرك والفواحش»[(٤)] .

وقوله تعالى : ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾[(٥)] معناه : أفلا يعقل الذين يتقون أن الدار الآخرة خير لهم من هذه الدار ، فيعملوا لما ينالون به الدرجة الرفيعة والنعيم الدائم ، فلا يفترون في طلب ما يوصل إلى ذلك[(٦)] .

---

(١) هذا معنى قول أبي علي في الحجة ٣/ ٣٠٠-٣٠٢ ، لكنه لم يذكر اختيار قراءة العامة . انظر : حجة القراءات لابن زنجلة ٢٤٦ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ١٧٩ ، وتفسير الرازي ١٢/ ٢٠٣ ، وتفسير القرطبي ٦/ ٤١٥ ، والبحر المحيط ٤/ ١٠٩ .

(٢) ذكر الرازي : ١٢/ ٢٠٣ ، وأبو حيان في البحر : ٤/ ١٠٩ . . . . . إلى "خير لمن اتقى الكفر والشرك والفواحش" . انظر : تفسير القرطبي ٦/ ٤١٥ .

(٣) تفسير مقاتل ١/ ٥٥٨ .

(٤) تنوير المقباس ٢/ ١٥ ، والمعاني متقاربة ، وهي من باب التنبيه على بعض أجزاء التقوى ، فأول ما يتقى الكفر ، ثم الشرك ، ثم الفواحش والمعاصي . انظر : الطبري ٧/ ١٨٠ ، والسمرقندي ١/ ٤٨١ ، والبغوي ٣/ ١٣٩ ، والقرطبي ٦/ ٣١٥ .

(٥) في (ش) : (تعقلون) ، وهي قراءة سبعية .

(٦) هذا قول أبي علي الفارسي في الحجة ٣/ ٢٩٧ ، في توجيه القراءة بالياء ، وانظر : الطبري ٧/ ١٨٠ ، والبغوي ٣/ ١٣٩ .

وقُـرئ : (أَفَلا تَعْقِلُون) بالتـاء[(١)] على معنى قل لهم[(٢)] : (أَفَـلا تَعْقِلُون) ، أو يكـون قد وجَّه الخطاب في ذلك إلى الذين خوطبـوا ؛ أي (أَفَلا تَعْقِلُون) أيها المخاطبون أن ذلك خير[(٣)] .

٣٣. قولـه تعـالى : ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ . معنى ﴿قَدْ﴾ هاهنا التوقع[(٤)] ، مثل قولك : «قد ركب الأمير» ، لقوم يتوقعون ذلك ، كأن النبي ﷺ لمَّا سـمع تكذيب قومه إياه توقع مـا يخاطبه الله -تعالى- في ذلك فقال : ﴿قَدْ نَعْلَمُ﴾ ذلك تسلية وتعزية عما يواجه به قومه[(٥)] .

قال ابن عباس في هـذه الآية : «يريد تعزية النبي ﷺ وتصبيره في ما تقول[(٦)] قريش من تكذيبهم إياه»[(٧)] .

---

(١) قرأ ابـن عامر ونافع وحفص عن عاصم : «تعقلون» بالتاء ، والباقون بالياء . انظر : السـبعة ٢٥٦ ، والمبسوط ١٦٧ ، والتذكرة ٢/ ٣٩٧ ، والتيسير ١٠٢ ، والنشر ٢/ ٢٥٧ .

(٢) في (أ) : (على معنى وقل لهم) .

(٣) هذا قول أبي عـلي في الحجة ٣/ ٢٩٧ـ ٣٠٠ ، وانظـر : معاني القـراءات ١/ ٣٥٠ ، وإعراب القراءات ١/ ١٥٥ ، والحجة لابن خالويه ١٣٨ ، والحجة لابن زنجلة ٢٤٦ ، والكشـف ١/ ٤٢٩ ، وتفسـير ابن عطية ٦/ ٣٨ ، والبحر ٤/ ١١٠ ، والدر المصون ٤/ ٦٠٠ ، ونقل الرازي قول الواحدي ١٢/ ١٦٧ .

(٤) قـد : للتوقع مع المضارع ، وكذلك مع الماضي عند الأكثر . قال ابن هشـام في المغني ١/ ١٧١ : «هي مع المـاضي للتقريب ؛ لأنها تدخل على ماضٍ متوقع» . انظـر : المقتضب ٢/ ٣٣٤ ، وحروف المعاني للزَّجَّاجي ١٣ ، ومعاني الحروف للرماني ٤٤٥ ، ورصف المباني ٤٤٥ . قال السمين في الدر ٤/ ٦٠١ : «قد هنا حرف تحقيق» . اهـ ، وانظر : أيضاً الكشـاف ٢/ ١٤ ، وتفسـير ابن عطية ٥/ ١٨٠ ، والبيان ١/ ٤٩١ ، والفريد ٢/ ١٤١ ، والبحر ٤/ ١١٠ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٧/ ١٨٠ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٨ .

(٦) في (أ) : (يقول) : بالياء .

(٧) لم أقف عليه ، وانظر : تنوير المقباس ٢/ ١٥ .

وقوله تعالى : ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ . دخلت الفاء[١] في (إنهم) لاقتضاء الكلام الأول هذا[٢] ، كأنه قيل : «إذا كان قد يحزنك الذي يقولون فاعلم أنهم لا يكذبونك» . واختلفوا في معنى قوله : ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ ، فقال ابن عباس : «﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ في السر قد علموا أنك صادق : ﴿وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ بمحمد والقرآن في العلانية»[٣] ، وهذا قول أكثر المفسرين : أبي صالح[٤] ، وقتادة[٥] ، والسُّدِّي[٦] ، ومقاتل ، قالوا : «هذا في المعاندين الذين عرفوا صدق محمد ﷺ ، وأنه غير كاذب في ما يقول ، ولكن عاندوا وجحدوا» .

يدل على هذا ما قال مقاتل : «نزلت في الحارث بن عامر[٧] ، كان يكذب النبي ﷺ في العلانية ، فإذا خلا مع أهله قال : ما محمد من أهل الكذب نعلم أن الذي يقوله حق ، ولا يمنعنا من أن نتبعه إلَّا المخافة من أن يتخطفنا الناس من أرضنا -يعني العرب- فإنَّا أكلة رأس ولا طاقة لنا بهم ؛ فأنزل الله تعالى : ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ في العلانية أنك كذاب ومفترٍ ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ في السر يعلمون أنك صادق ، وقد جرَّبوا منك الصدق في ما مضى ، ﴿وَلَٰكِنَّ

---

(١) لم أقف على مَن تكلم عن الفاء هنا . وفي الجدول في إعراب القرآن ٤/ ٧/ ١٠٠ ، قال في هذه الآية : «الفاء للتعليل ؛ لأن القول السابق يفيد النهي ؛ أي لا تحزن إنهم لا يكذبونك» . اهـ

(٢) في (ش) : (هذه) .

(٣) تنوير المقباس ٢/ ١٥ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٩ .

(٤) أخرجه الطبري ٧/ ١٨١ بسند جيد ، وذكره أكثرهم .

(٥) أخرجه عبدالرزاق ١/ ٢/ ٢٠٧ ، والطبري ٧/ ١٨١ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٨٣ بسند جيد .

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٩ عن ابن عباس ، وقتادة ، والسُّدِّي ، ومقاتل .

(٧) الحارث بن عامر بن نوفل بن عبدمناف بن قصي ، مشرك كان يؤذي النبي ﷺ وأصحابه بمكة ، قُتل في بدر مع المشركين . انظر : السيرة لابن هشام ٢/ ٣٥٧ ، وجوامع السير ١٤٧ ، وعيون الأثر ١/ ٢٨٥ .

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ بالقرآن بعد المعرفة»[(١)] ، ونحو هذا قال الكلبي[(٢)] سواء .

وقال السُّدِّي[(٣)] ، وأبو ميسرة[(٤)(٥)] ، وأبو يزيد[(٦)] المدني[(٧)] ، وناجية بن كعب[(٨)(٩)] : «نزلت الآية في أبي جهل قال : يا محمد ، ما نكذبك ولا نتهمك

---

(١) تفسير مقاتل ١/ ٥٥٨ .

(٢) تنوير المقباس ٢/ ١٥ ، وذكره الماوردي ٢/ ١٠٨ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٩ ، والبحر ٤/ ١١١ ، وذكره ابن الجوزي عن أبي صالح عن ابن عباس .

(٣) أخرجه الطبري ٧/ ١٨٢ بسند جيد ، وذكره أكثرهم . انظر : الثعلبي ١٧٧ أ ، وأسباب النزول للواحدي ٢١٩ ، والبغوي ٣/ ١٣٩ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٨ .

(٤) عمرو بن شرحبيل الهمداني ، أبو ميسرة الكوفي مشهور بكنيته ، إمام تابعي عابد جليل صالح ثقة مخضرم . وقال بعضهم : له صحبة ، توفي سنة ٦٣هـ . انظر : طبقات ابن سعد ٦/ ١٠٦ ، والجرح والتعديل ٦/ ٢٣٧ ، والحلية ٤/ ١٤١ ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٣٥ ، والإصابة ٤/ ١١٤ ، وتهذيب التهذيب ٤/ ٥٩٦ .

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٩ ، وأسباب النزول ٢١٩ ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٨ ، قال : «أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه» . اهـ

(٦) نزل البصرة ، ولا يعرف اسمه ، وهو تابعي ثقة ، روى عن أبي هريرة وابن عمر وابن عباس وغيرهم ، وروى عنه أيوب السختياني وغيره ، وأخرج له البخاري والنسائي ، توفي بعد المئة . انظر : الجرح والتعديل ٩/ ٤٥٨ ، والكاشف ٢/ ٤٧٢ (٦٩٠٢) ، وتهذيب التهذيب ٤/ ٦٠٩ ، وتقريب التهذيب ٦٨٥ (٨٤٥٢) .

(٧) أخرجه ابن حاتم ٤/ ١٢٨٣ بسند رجاله ثقات سوى بشر بن مبشر الواسطي ، فقد قال ابن حجر في اللسان ٢/ ٣٢ : «ضعَّفه الأزدي وذكره ابن حبان في الثقات» . انظر : ميزان الاعتدال ١/ ٣٢٤ ، والمغني للذهبي ١/ ١٠٧ ، وذكر ابن كثير :٢/ ١٤٦ الرواية عن أبي يزيد ، والسيوطي في الدر ٣/ ١٨ ، وزاد نسبته إلى أبي الشيخ .

(٨) تابعي ثقة ، روى عن علي وعمار -رضي الله عنهما- وغيرهما ، وروى عنه أبو إسحاق السبيعي وغيره ، أخرج له أبو داود والترمذي والنسائي ، توفي بعد المئة . انظر : تاريخ الثقات للعجلي ٢/ ٣٠٨ (١٨٣٠) ، والجرح والتعديل ٨/ ٤٨٦ ، وميزان الاعتدال ٤/ ٢٣٩ ، وتهذيب التهذيب ٤/ ٢٠٤ ، والتقريب ٥٥٧ (٧٠٦٥) .

(٩) أخرجه الترمذي ٣٠٦٤ ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الأنعام ، والطبري ٧/ ١٨٢ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٨٢ من طرق جيدة عن ناجية ، وأخرجه الترمذي وابن أبي حاتم ، والنحاس =

وإنك عندنا لمصدق ، ولكنَّا نكذب ما جئتنا به ، ولا نكون تبعاً لعبد مناف ، فأنزل الله هذه الآية» .

وقال قتادة : «يعلمون أنك رسول ، ولكن يجحدون»[(١)] .

وقال ابن جريج : «لا يكذبونك بما تقول ، ولكن يجحدون بآيات الله» .

وقال عطاء : «لا يكذبونك ، ولكن جحدوا ربوبيتي وقدرتي وسلطاني»[(٢)] .

ومعنى الجحد إنكار المعرفة ، وهو ضد الإقرار[(٣)] . كانوا[(٤)] قبلُ عرفوا ذلك ولم يقروا ، وهذا مذهب هؤلاء المفسرين وعليه أكثر[(٥)] أهل المعاني .

وذكر الزَّجّاج وجهين يوافقان هذا التفسير الذي ذكرناه : «أحدهما ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ بقلوبهم ؛ أي يعلمون أنك صادق ، وإنما جحدوا براهين الله جل وعز» ، قال : «وجائز أن يكون ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ ؛ أي أنت عندهم صدوق ؛

= في معاني القرآن ٢/ ٤١٨ ، والحاكم ٢/ ٣١٥ ، عن ناجية عن علي -رضي الله عنه- ، قال الحاكم : «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ، ووافقه الذهبي قائلاً : «لم يخرجا لناجية شيئاً» ، وصحَّحه الشيخ أحمد شاكر في حاشية عمدة التفسير ١/ ٧٧٠ ، قال : «حديث علي صحيح ؛ لأن الوصل زيادة من ثقتين ، فهي مقبولة على اليقين» . اهـ ، وقال الترمذي : «الموقف على ناجية أصح» ، وضعَّفه الألباني في ضعيف الترمذي ٣٥٤ ، رقم : ٥٩٠ ، ٥٩١ ، وفي المشكاة ٣/ ١٦٢٢ ، رقم ٥٨٣٤ ، قال : «الموقوف أصح» . اهـ . انظر : الدر المنثور ٣/ ١٨ .

(١) سبق تخريجه .

(٢) لم أقف على مَن ذكره عن ابن جريج وعطاء .

(٣) انظر : العين ٣/ ٧٢ ، والجمهرة ٢/ ٤٣٥ ، وتهذيب اللغة ١/ ٥٤١ ، والصحاح ٢/ ٤٥١ ، ومقاييس اللغة ١/ ٤٢٥ ، والمفردات ١٨٧ ، واللسان (جحد) ١/ ٥٤٧ .

(٤) في (ش) : (كأنه قيل) .

(٥) جاء في (أ) : تكرار لفظ : (أكثر) .

لأنه ﷺ كان يسمى فيهم الأمين قبل الرسالة، ولكنهم جحدوا بألسنتهم ما تشهد قلوبهم بكذبهم فيه»[(١)] .

وقال أبو علي الفارسي في قوله تعالى: ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ : «لأنهم يعرفونك بالصدق والأمانة، ولذلك سمي الأمين، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ بألسنتهم ما يعلمونه يقيناً؛ لعنادهم وما يؤثرونه من ترك الانقياد للحق، وقد قال جل وعز في صفة قوم: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]»[(٢)] .

ونحو هذا قال ابن الأنباري[(٣)] ، وهذا الذي ذكرنا مذهب الجمهور في هذه الآية[(٤)] .

وقال الضحاك في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ : «لا يقدرون على أن تكون رسولاً[(٥)] ، ولا على أن لا يكون القرآن قرآناً، وإنما يكذبونك بألسنتهم»[(٦)] ، فعلى هذا معنى ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ لا يستطيعون أن يجعلوك كذاباً، [حرَّر أبو بكر هذا القول، فقال: معناه فإنهم لا يصححون عليك كذاباً][(٧)] ، إذا كان الذي يظهر منك يدل الناس على صدقك، وإن كذبوا كمَن لم يكذب، ألا ترى أنك

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٤٢ .

(٢) الحجة ٣/ ٣٠٣ .

(٣) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة ٤/ ٣١١٤ ، وابن الجوزي في تفسيره ٣/ ٢٩ ، وابن منظور في اللسان (كذب) ٧/ ٣٨٤١ .

(٤) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١/ ١٥٧ ، وتفسير الطبري ٧/ ١٨١ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤١٧ـ٤١٩ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٤٤ ، ومعاني القراءات للأزهري ١/ ٣٥٢ .

(٥) في (ش): (يكون) بالياء .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٤/ ١٢٨٢ بسند ضعيف عن الضحاك عن ابن عباس، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٨ ، وزاد نسبته إلى أبي الشيخ والطبراني، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٨٧ ، قال: «رواه الطبراني عن ابن عباس، وفيه بشر بن عمارة وهو ضعيف» . اهـ

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) .

تقول لَمَن يقول ولا يجيد القول : «لم يقل هذا اليوم شـيئاً» ، لَمَّا لم يُجد كأنَّ قوله كلا قول[١] .

وقال غيره ما يؤكد هذا المعنى : «معناه ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ بحجة ؛ أي فلا يعتد بتكذيبهم ، فإنه لا حقيقة له»[٢] .

واختلف القرَّاء[٣] في قوله : ﴿يُكَذِّبُونَكَ﴾ ، فقرؤوا مشـدداً ومخففاً . قال الفرَّاء : «معنى التخفيف –والله أعلم– : لا يجعلونك كذاباً ، ولكن يقولون : إن مـا جئت به باطل ؛ لأنهم لم يجربوا عليه كذباً فيكذبونه ، وإنما أكذبوه ؛ أي قالوا : إن ما جئت به كذب . قال : والتكذيب أن يقال : كذبت»[٤] .

وقال الزَّجَّاج : «معنى كذبته : قلت له : كذبت ، ومعنى أكذبته : أُريت[٥] أن ما أتى به كذب» . قال : «ومعنى التخفيف : لا يقدرون أن يقولوا لك كذبت»[٦] .

---

(١) لم أقـف عليه ، وقريـب منه ما نقله الأزهـري في تهذيب اللغة ٤/ ٣١١٤ ، وابن منظور في اللسـان ٧/ ٣٨٤١ عن ابن الأنباري في معنى الآية أنه قال : «ويمكن أن يكون ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ بمعنى لا يجدونك كذاباً عند البحث والتدبر والتفتيش» . اهـ

(٢) ذكر هذا القول الماوردي في تفسـيره ٢/ ١٠٧ عن أبي صالح وقتادة والسُّـدِّي ، وانظر : زاد المسـير ٣/ ٢٩ .

(٣) قرأ نافع والكسـائي (لا يُكْذِبونك) بسـكون الكاف وتخفيف الذال من أَكْذَبَ ، وقرأ الباقون بفتح الكاف وتشـديد الذال مـن كذَّب . انظر : السـبعة ٢٥٧ ، والمبسـوط ١٦٨ ، والتذكرة ٢/ ٣٩٧ ، والتيسير ١٠٢ ، والنشر ٢/ ٢٥٧ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٣١ .

(٥) كذا في النسخ ، وعند الزَّجَّاج ٢/ ٢٤٢ : «ادعيت» .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٤٢ بتصرف يسير ، ولم يشر الزَّجَّاج إلى أن ذلك معنى التخفيف .

وكان الكسائي يقرأ بالتخفيف ويحتج: «بأن العرب تقول: كذبت الرجل إذا نسبته إلى الكذب وإلى صنعة الأباطيل من القول[١]، وأكذبته إذا أخبرت أن الذي يحدث به كذب ليس هو الصانع له»، حكاه ابن الأنباري عنه[٢].

ونحوَ هذا حكى عنه أحمد بن يحيى، قال: «كان الكسائي يحكي عن العرب: أكذبت الرجل إذا أخبرت أنه جاء بكذب لم يضعه هو، كأنه حكى كذباً، وكذبته إذا أخبرت أنه كذاب»[٣].

وقال أبو علي: «لا يجوز أن يكون معنى القراءتين واحداً؛ لأن معنى التثقيل النسبة إلى الكذب، بأن تقول له: كذبت، كما تقول: زنيته وفسقته وخطأته؛ أي قلت له: فعلت هذه الأشياء، وسقيته ورعيته قلت له: سقاك الله ورعاك الله، وقد جاء في المعنى أفعلته قالوا: أسقيته قلت له: سقاك الله[٤]. قال ذو الرمة:

وأُسْقيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبُثُّهُ ... تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ ومَلاعِبُهْ[٥]

أي أنسبه إلى السقيا بأن أقول: سقاك الله. فيجوز على هذا أن يكون معنى القراءتين واحداً وإن اختلف اللفظان، إلَّا أن فَعَّلْتَ إذا أرادوا أن ينسبوا إلى أمر أكثر من أَفْعَلْتَ[٦]. قال: ويجوز أن يكون معنى ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾: لا يصادفونك

---

(١) لفظ: (من القول) ساقط من (ش).

(٢) تهذيب اللغة ٤/ ٣١١٥.

(٣) مجالس ثعلب ٢٧١، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤١٩، والحجة لأبي علي ٣/ ٣٠٤.

(٤) جاء في (ش): تكرار: «ورعاك الله... سقاك الله».

(٥) ديوانه ٢٨٨، والكتاب: ٤/ ٥٩، والنوادر لأبي زيد ٢١٣، وأدب الكاتب ٣٥٦، والممتع في التصريف ١/ ١٨٧، واللسان (سقى) ٤/ ٢٠٤٢، وقال الخطيب التبريزي في شرحه ٢٨٩: «أبثه، أي أخبره بكل ما في نفسي، وأسقيه؛ أي أدعو له بالسقيا، وملاعبه: مواضع يلعب فيها». اهـ.

(٦) انظر: الكتاب لسيبويه ٤/ ٥٨.

كاذباً ؛ لأنهم يعرفونك بالصدق والأمانة ، كما تقول : أحمدت الرجل إذا أصبته محموداً ، وأجبنته وأبخلته وأفحمته إذا صادفته على هذه الأحوال»[١] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ قد مضى تفسيره[٢] ، ودخلت الباء في الآيات ، والجحد تعدى بغير الجار ؛ لأنه أريد بالجحد التكذيب ، وبهذا يطابق المعنى الأول ، كأنه قيل : ﴿فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ ، ولكن يكذبون بآيات الله .

وقال أبو علي : «﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ ؛ أي برد آيات الله أو إنكار[٣] آيات الله ، ﴿يَجۡحَدُونَ﴾ ؛ أي يجحدون ما عرفوه من صدقك وأمانتك ، ومن ذلك[٤] قوله تعالى : ﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ﴾ [الإسراء :٥٩] ؛أي ظلموا بردها أو الكفر[٥] بها ، فكما أن الجار في قوله : ﴿فَظَلَمُواْ بِهَاۚ﴾ من صلة ظلموا ، كذلك يكون من صلة الظلم في قوله : ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ ، و﴿يَجۡحَدُونَ﴾ محذوف المفعول للدلالة عليه»[٦] .

---

(١) الحجة ٣/ ٣٠٢-٣٠٥ ، ولم يذكر قوله : «وأجبنته وأبخلته وأفحمته . . .» . انظر : الحجة لابن خالويه ١٣٨ ، وإعراب القراءات ١/ ١٥٥ ، والحجة لابن زنجلة ٢٤٧ ، والكشف ١/ ٤٣٠ ، والمشكل ١/ ٢٥١ ، والدر المصون ٤/ ٦٠٣ .

(٢) هي آية لم ترد قبلُ ، ولعله يريد ١٧٤ من هذا البحث .

(٣) في (ش) : (وإنكار) .

(٤) في (أ) : (ذلك قوله) .

(٥) في (أ) : (بردها والكفر بها) .

(٦) الحجة لأبي علي ١/ ٣٣٩ ، وقال السمين في الدر ٤/ ٦٠٤ ، ٦٠٥ : «يجوز في هذا الجار وجهان : أحدهما : أنه متعلق بيجحدون ، وهو الظاهر الذي لا ينبغي أن يعدل عنه ، وجوَّز أبو البقاء أن يتعلق بالظالمين ، قال : كقوله تعالى :﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ﴾ ، وهذا الذي قاله ليس بجيد ؛ لأن الباء هناك سببية ؛ أي ظلموا بسببها ، والباء هنا معناها التعدية ، وهنا شيء يتعلق به تعلقاً واضحاً فلا ضرورة تدعو إلى الخروج عنه» . اهـ ، وانظر : التبيان ١/ ٣٢٠ ، والفريد ٢/ ١٤٢ .

٣٤. قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ الآية . قال الزَّجَّاج : «عزَّى الله نبيه ﷺ وصبَّره[(١)] بأن أخبره أن الرسل قبله قد كذبتهم أمم من قبله»[(٢)] ، وقال ابن عباس : «من لدن نوح إليك ﴿فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟﴾ رجاء ثوابي ، ﴿وَأُوذُوا۟﴾ حتى نُشِروا بالمناشير وحُرِّقوا بالنار»[(٣)] .

وقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ : معنى النصر : المعونة على العدو[(٤)] ، قال المفسرون : «معنى النصر هاهنا : تعذيب الأمم المكذبة وإهلاكهم»[(٥)] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ قال الكلبي[(٦)] وعكرمة : «يعني الآيات التي وعد فيها نصر الأنبياء على أعدائهم ، كقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات :١٧١] ، وقوله تعالى : ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة :٢١]»[(٧)] . قال ابن عباس : «يريد لا ناقض لحكمي»[(٨)] ، يعني أنه قد حكم في كتابه بنصر أنبيائه ، فليس ينقضه أحد ، ولهذا قال الزَّجَّاج في قوله تعالى :

---

(١) في (ش) : (فصبره) .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٤٣ ، وانظر : تفسير الطبري ٧/ ١٨٣ ، وتفسير السمرقندي ٣/ ٢٢٣ .

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٣٠ ، وابن الجوزي ٣/ ٣٠ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ١١٢ .

(٤) انظر : العين ٧/ ١٠٨ ، والجمهرة ٢/ ٧٤٤ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٥٨٤ ، والصحاح ٢/ ٨٢٩ ، والمجمل ٣/ ٨٧٠ ، ومقاييس اللغة ٥/ ٤٣٥ ، والمفردات ٨٠٨ ، واللسان (نصر) ٧/ ٤٤٤٠ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٧/ ١٨٣ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٤٨٢ ، وتفسير البغوي ٣/ ١٤٠ ، وابن الجوزي ٣/ ٣٠ ، وكلهم اقتصر على هذا المعنى .

(٦) ذكره الثعلبي ١٧٧ أ ، وفي تنوير المقباس ٢/ ١٥ نحوه .

(٧) لم أقف عليه ، وانظر : الماوردي ١/ ١٠٨ ، وابن الجوزي ٣/ ٣١ . قال ابن القيم في بدائع التفسير ٢/ ١٤٧ : «أي لا مبدل لعذاب الله أو لا مبدل لمقتضى عذاب الله» ، والظاهر العموم ، وحمل الكلمات على الحقيقة ؛ أي لا مبدل لكلام الله تعالى الذي به يأمر وينهى ويشرع ، وهو صفة من صفاته العلية التي لا تتناهى كسائر صفاته .

(٨) ذكر عنه ابن الجوزي ٣/ ٣١ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ١١٢ في هذه الآية ، قال : «لا خلف لمواعيده» ، وانظر : ابن عطية ٥/ ١٨٥ ، والقرطبي ٦/ ٤١٧ .

([و][١] لا مبدل لكلمات الله) : «أي لا يخلف وعده ، ولا يغلب أحدٌ أولياءه»[٢] .
وتفسير ابن عباس يدل على أن قوله : ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ معناه : لا ناقض لحكمه في كل ما حكم به من وعد ووعيد وثواب وعقاب ، فليس يخص هذا الحكم الواحد ، وهو نصر المرسلين ، وإذا كان كذلك فالتقدير عند النحويين في الكلمات : ذوي الكلمات ؛ أي يخبر بها عنه . يقول : «لا مبدل لما أخبرت عنه بكلماتي» ليس يريد أنه لا مبدل للكلمات التي هي عبارات ؛ هذا معنى قول أبي علي[٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ؛ أي خَبَرُهُمْ في القرآن ، كيف نجيناهم ودمرنا قومهم[٤] .

قال الأخفش : «﴿مِن﴾ هاهنا صلة كما تقول : أصابنا من مطر»[٥] .

---

(١) لفظ : (الواو) ساقط من (ش) .
(٢) معاني القرآن للزَّجّاج ٢/ ٢٤٣ ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٤٤ .
(٣) الحجة ٢/ ٣٤ ، وفيه قال : «والكلمات تقديرها : ذوي الكلمات ؛ أي ما عبرَّ عنه بها من وعد ووعيد وثواب وعقاب» ، وانظر : تفسير ابن عطية ٥/ ١٨٥ .
(٤) انظر : تفسير الطبري ٧/ ١٨٣ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٤٨٢ .
(٥) معاني القرآن ٢/ ٢٧٤ ، وفيه : «كما تقول : قد أصابنا من مطر ، وقد كان من حديث» . اهـ ، وانظر : المصدر نفسه ١/ ٩٨-٩٩ ، ٢٢٣ ، واقتصر على هذا القول البغوي في تفسيره ٣/ ١٤٠ .

وقال غيره[١]: «لا يجوز ذلك؛ لأنها لا تزاد في الواجب[٢]، وإنما تزاد مع النفي، كقولك: ما أتاني من أحدٍ[٣]. و﴿مِن﴾ هاهنا للتبعيض وفاعل جاء مضمر، أُضمر لدلالة المذكور عليه، تقديره: ولقد جاءك من نبأ المرسلين نبأ»[٤].

٣٥. قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾. قال المفسرون: «كان رسول الله ﷺ يحرص على إيمان قومه ومتابعتهم إياه أشد الحرص، وكان إذا سألوه آية أراد أن يريهم الله ذلك؛ طمعاً في إيمانهم، فقال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾»[٥]، قال ابن عباس: «أي عن الإيمان بك وبالقرآن»[٦].

وقال الزَّجّاج: «عظم عليك أن أعرضوا إذ طلبوا منك أن ينزل عليك[٧] ملك فلم ينزل»[٨].

---

(١) انظر: الكتاب ٢/ ٣١٥-٣١٦، ٤/ ٢٢٥، والمقتضب ٤/ ١٣٦-١٣٨، والأصول ١/ ٤٠٩-٤١١، وحروف المعاني للزَّجّاجي ٥٠.

(٢) الواجب ما تقع له حالة الوجوب، والموجب الكلام المثبت غير المنفي، وهو المراد هنا. انظر: معجم المصطلحات النحوية والصرفية لمحمد اللبدي ٢٣٨-٢٣٩.

(٣) انظر: معاني الحروف للرماني ٩٧، والصاحبي ٢٧١، والمغني ١/ ٣٢٢-٣٢٥. قال المالقي في رصف المباني ٣٩١: «وقد تكون من زائدة عند الكوفيين في الواجب، وحكوا: قد كان من مطر وهو عند البصريين غير الأخفش مؤول، أي حادث من مطر أو كائن من مطر، وبعد فهو قليل لا يقاس»، وحكى ابن فارس في الصاحبي زيادتها في الواجب عن أبي عبيدة أيضاً.

(٤) انظر: غرائب الكرماني ١/ ٣٥٧، والبيان ١/ ٣٢٠، والتبيان ٣٣٠، والفريد ٢/ ١٤٣، والبحر ٤/ ١١٣، والدر المصون ٤/ ٦٠٦، وعندهم التقدير: «ولقد جاءك نبأ من نبأ المرسلين».

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٤/ ١٢٨٤ بسند جيد عن ابن عباس، وانظر: البغوي ٣/ ١٤٠.

(٦) لم أقف عليه، وهذا معنى ظاهر، ولم يختلف فيه. انظر: الطبري ٧/ ١٨٣، والسمرقندي ١/ ٤٨٢، والبغوي ٣/ ١٤٠، والقرطبي ٦/ ٤١٧.

(٧) لفظ: (عليك) ساقط من (ش).

(٨) معاني القرآن للزَّجّاج ٢/ ٢٤٣، وفيه تصرف واختصار.

وقوله تعالى : ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ، النفق[(١)] : سرب في الأرض له مَخلَص إلى مكان آخر[(٢)] .

وقوله تعالى : ﴿أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ ، وجواب ﴿أَن﴾ مضمر تقديره ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ﴾ ذلك فافعل[(٣)] .

قال الفرَّاء : «وإنما تفعله العرب في كل موضع يُعرف فيه معنى الجواب ، ألا ترى أنك تقول للرجل : إن استطعت أن تتصدق . إن رأيت أن تقوم معنا . تترك الجواب لمعرفتك بمعرفته [به][(٤)] ، فإذا جاء ما لا يُعرف جوابه إلَّا بظهوره أظهرته ، كقولك للرجل : إن تقم تُصِبْ . خيراً لا بد في هذا من جواب ؛ لأن معناه لا يعرف إذا طرح»[(٥)] .

وقال الزَّجَّاج : «أعلم الله -عز وجل- أنه بشر لا يقدر على الإتيان بآية إلَّا بإذن الله تعالى»[(٦)] ، وفي تعجيزه عن الإتيان بما سألوه أمر له بالصبر إلى أن يدخل وقت الآيات ووقت العقاب .

وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ أخبر الله تعالى نبيه ﷺ أنهم إنما تركوا الإيمان وأعرضوا عنه بمشيئة الله ونافِذ قضائه

---

(١) انظر : العين ٥/ ١٧٧ ، والجمهرة ٢/ ٩٦٧ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٦٣٥ ، والصحاح ٤/ ٥٦٠ ، والمجمل ٣/ ٨٧٧ ، ومقاييس اللغة ٥/ ٤٥٤ ، والمفردات ٨١٩ ، واللسان (نفق) ٨/ ٤٥٠٨ .

(٢) هذا قول أهل اللغة والتفسير ، وقد أخرجه الطبري ٧/ ١٨٤ من طرق جيدة عن ابن عباس وقتادة والسُّدِّي . انظر : مجاز القرآن ١/ ١٩٠ ، وغريب القرآن ١٣٦ ، وتفسير غريب القرآن ١٥٣ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٤٤ ، والزاهر ١/ ١٣٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤١٩ .

(٣) انظر : الطبري ٧/ ١٨٤ ، والسمرقندي ١/ ٤٨٢ ، والبغوي ٣/ ١٤١ ، وابن عطية ٥/ ١٨٨ ، والتبيان ١/ ٣٣١ ، والفريد ٢/ ١٤٣ ، والدر المصون ٤/ ٦٠٧ .

(٤) لفظ : (به) ساقط من (ش) وكذا في بعض نسخ «معاني القرآن للفرَّاء» ١/ ٢٣١ كما في حاشيته .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٣١ ، ٣٣٢ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٤٤ ، وانظر : معاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٢٠ .

فيهم، وأنه لو شاء [الله][(١)] لاجتمعوا على الإيمان، كما قال الله تعالى[(٢)]: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾[(٣)] [يونس:٩٩].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾، قال أهل التفسير: «أي فإنه يؤمن بك بعضهم دون بعض، وأنهم لا يجتمعون على الهدى»[(٤)].

وقال أهل المعاني: «معناه: لا يشتد تحسرك على تكذيبهم ولا تجزع من إعراضهم عنك، فتُقارِبَ حال الجاهل. غَلَّظ الخطاب تبعيداً وزجراً له عن هذه الحال»[(٥)].

٣٦. قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾. قال مجاهد وقتادة: «يعني: المؤمنين الذين يسمعون الذكر فينتفعون به»[(٦)]. قال قتادة: «المؤمن حيُّ القلب، سمع كتاب الله فعقله ووعاه وانتفع به، والكافر لا يصغي إلى الحق؛ لأن الله -تعالى- ختم على سمعه»[(٧)]. وقال الزَّجَّاج: «يعني: الذين يسمعون سماع قابلين»[(٨)]، وقال بعض أهل اللغة: «الاستجابة: الجواب بما يوافق الداعي، والإجابة قد تكون

---

(١) لفظ (الجلالة) ساقط من (أ).

(٢) في (أ) (كما قال تعالى).

(٣) انظر: تفسير الطبري ٧/ ١٨٥، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٤٤، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٢٠، وتفسير السمرقندي ١/ ٤٨٢.

(٤) انظر: تفسير ابن عطية ٥/ ١٨٩، وابن الجوزي ٣/ ٣٣.

(٥) انظر: تفسير الماوردي ٢/ ١٠٩، وابن الجوزي ٣/ ٣٣.

(٦) تفسير مجاهد ١/ ٢١٤، وأخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ١٨٦، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٨٥ من طرق جيدة عن مجاهد.

(٧) أخرجه الطبري ٧/ ١٨٦، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٨٥ بسند جيد، وانظر: الدر المنثور ٣/ ١٩.

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٤٥، وانظر: معاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٢٠، ٤٢١.

بالمخالفة ، ولا يقال استجاب إلّا لمَن قَبِل ما دُعي إليه»[١] ، ويؤكد هذا أن ابن عباس -رحمه الله- فسّر الاستجابة هاهنا بالإيمان[٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ قال الحسن[٣] ومجاهد وقتادة[٤] : «يعني الكفار» ، وهو قول مقاتل : «يعني : كفار مكة ، يقول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ﴾ للحق المؤمنون ، وأمّا[٥] ﴿وَٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ وهم الكفار فإن الله يبعثهم في الآخرة ثم إليه يردون فيجزيهم بأعمالهم»[٦] .

٣٧. قوله تعالى : ﴿وَقَالُواْ﴾ يعني : رؤساء قريش ، ﴿لَوۡلَا﴾ : هلّا ، ﴿نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ : يعني نزول الملك يشهد لمحمد ﷺ بالنبوة وصحة ما أتى به[٧] . وقوله تعالى : ﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ : قال المفسرون[٨] : «لا يعلمون ما عليهم في الآية

---

(١) ذكره الرازي ١٢/ ٢٠٩ ، وأبو حيان ٤/ ١١٧ عن علي بن عيسى الرماني ، وهو قول الهمداني في الفريد ٢/ ١٤٤ . قال العسكري في الفروق ١٨٤ : «أجاب معناه فعل الإجابة ، واستجاب طلب أن يفعل الإجابة ؛ لأن أصل الاستفعال لطلب الفعل ، وصلح استجاب بمعنى أجاب ؛ لأن المعنى فيها يؤول إلى شيء واحد ، وذلك أن استجاب طلب الإجابة بقصده إليها ، وأجاب أوقع الإجابة بفعلها» . اهـ ، وقال الراغب في المفردات ٢١٠ ، والسمين في العمدة ١٠٥ : «الاستجابة قيل : هي الإجابة ، وحقيقتها هي التحري للجواب والتهيؤ له ، لكن عُبِّر به عن الإجابة لقلة انفكاكها منها» . وفي اللسان (جوب) ٢/ ٧١٦ : «هما بمعنى واحد» . اهـ

(٢) تنوير المقباس ٢/ ١٦ .

(٣) أخرجه الطبري ٧/ ١٨٦ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٨٥ بسند جيد ، وانظر : الدر المنثور ٣/ ١٩ .

(٤) سبق تخريج قول مجاهد وقتادة .

(٥) في (ش) : (فأما) .

(٦) تفسير مقاتل ١/ ٥٥٩ .

(٧) انظر : تفسير السمرقندي ١/ ٤٨٣ ، والبغوي ٣/ ١٤١ ، وابن الجوزي ٣/ ٣٤ .

(٨) انظر : الطبري ٧/ ١٨٧ ، والماوردي ٢/ ١١٠ ، والمصادر السابقة .

من البلاء لـــو أنزلناها ولا ما وجه ترك إنزالها» ، وقال بعض أصحاب المعاني : «لا يعلمون أن الله قادر على إنزالها لا يقدر سواه عليها»[(١)] .

٣٨. قوله تعــالى : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ﴾ الآية . قال ابن عباس : «يريد : كل ما دب ، وجميع البهائم فهو دابة»[(٢)] .

قال الزَّجَّاج : «وجميع ما خلــق الله جل وعز لا يخلو من هاتين المنزلتين : إمَّا أن يدب ، وإمَّا أن يطير»[(٣)] .

وقال غــيره من أهل المعاني : «خصَّ مــا في الأرض هاهنا بالذكر دون ما في السـماء ، احتجاجاً بالأظهر ، وإحالة بالدليل على ما هو ظاهر ؛ لأن ما في السماء -وإن كان مخلوقاً له مثلنا- فغير ظاهر»[(٤)] .

وقوله تعــالى : ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ قال الفرَّاء والزَّجَّـاج : «ذكر الجناح هاهنا تأكيد[(٥)] ، كقولــك : نعجة أنثى ، وكلَّمتُه بِفِي ، ومشـيت برجــلي»[(٦)] ، وقال

---

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٤٥ ، والمصادر السابقة .

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٣٢ ، وابن الجوزي ٣/ ٣٤ .

(٣) معاني القرآن ٢/ ٢٤٥ .

(٤) ذكره الرازي ١٢/ ٢١٢ .

(٥) في (ش) : (توكيـد) ، وهذا هو قول قطـرب كما في الزاهر ١/ ٥٨ ، ٥٩ ، ونقــل عن أبي العباس أنه قال : «ليس (يطير بجناحيه) توكيداً ، ولكنه دخل ؛ لأن الطيران يكون بالجناحين ويكون بالرجلين ، فطيران الطائــر من البهائم بجناحيه ، ومن الناس برجليه ، ألا ترى أنك تقول : زيد طائر في حاجته ، معناه : مسرع برجليه» . اهـ

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٣٢ ، وهو قول عامة أهل التفسـير ، ومنهم الطبري ٧/ ١٧٩ ، والنحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٢٢ ، والسمرقندي ٣/ ٢٢٧ ، والبغوي ٣/ ١٤١ ، وابن عطية ٥/ ١٩٣ .

الزَّجَّاج : «وقد تقــول للرجل : طِرْ في حاجتي ، وأنت تريــد أسرع»[١] ، وأراد بهذا : أنَّ الطيران قد يستعمل لا بالجناح ؛ كقول العنبري[٢] :

طاروا إليه زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانَا[٣]

فذكر الجناح ليتمحض[٤] في الطير .

وقوله تعالى : ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ﴾ قال الفرَّاء : «يقال : إن كل صنف من البهائم أُمَّة»[٥] .

وجاء في الحديث : «لولا[٦] أن الكلاب أُمَّة تنبح لأمرت بقتلها»[٧] ، فجعل الكلاب أُمَّة .

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٢٤٥ .

(٢) قُرَيط بن أنيف العنبري التميمي ، شاعر جاهلي . انظر : الأعلام ٥/ ١٩٥ .

(٣) الحماســة لأبي تمام ١/ ٤ ، وفي عيون الأخبار ١/ ١٨٨ لرجل من بلعنبر ، وبلا نســبة في مجالس ثعلب ٤٠٥ ، والصناعتــين ٢٨٥ ، والرازي ١٢/ ٢١٢ ، والدر المصون ٤/ ١١٢ ، وروح المعاني ٧/ ١٤٣ ، وصدره :

قَوْمٌ إذا الشرُّ أبْدَى نَاجِذَيْهِ لَهُمْ

وهو من قصيدة تُعَدُّ من عيون الشعر ، اختارها أبو تمام أول مقطوعة في الحماسة . الزرافات (بالفتح) : الجماعات ، والوحدان (بالضم) : جمع واحد . وفي الحماسة فقط : قاموا بَدَل مِن طاروا .

(٤) قوله : ليتمحض غير واضح في النسخ ، واللفظ نفسه عند الرازي ١٢/ ٢١٣ ، والقرطبي ٦/ ٤١٩ .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٣٢ .

(٦) في (أ) : (ولولا) .

(٧) أخرجه أحمد في المســند ٥/ ٥٤ ، ٥٦ ، وأبو داود ٢٨٤٥ ، كتــاب : الضحايا ، باب : في اتخاذ الكلب للصيــد وغيره ، والترمــذي ١٤٨٦ ، كتاب : الصيد ، بــاب : ما جاء في قتل الكلاب ، والنســائي ٧/ ١٨٥ ، كتاب : الصيد ، باب : صفة الكلاب التي أمر بقتلها ، وابن ماجة ٣٢٠٥ ، كتاب : الصيد ، باب : النهي عــن اقتناء الكلب إلَّا كلب صيد أو حرث أو ماشــية ، والدارمي ٢/ ١٢٧٧ (٢٠٥١) عن عبدالله بن مغفــل ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ﷺ ، قال : «لولا أن الكلاب أُمَّة من الأمم لأمرت بقتلها ، ولكن اقتلوا كل أســود بهيم» . اهـ ؛ أي خالص الســواد . قال الترمذي : «حديث حســن صحيح» .

واختلفوا في أن البهائم والطير في ماذا شُبِّهت بنا وجُعِلت أمثالنا، فقال ابن عباس في رواية عطاء يريد: «يعرفونني ويوحدونني ويسبحونني ويحمدونني، مثل ما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وكقوله تعالى: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [النور: ٤١]»[١]، فعلى هذا جُعلت أمثالنا في التوحيد والمعرفة والتسبيح.

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾: «أصناف مصنفة تُعرف بأسمائها»[٢]، يريد أن كل جنس من الحيوان [أمّة][٣] يعرف باسمه كالطير والظباء والذئاب والأسود، وكل صنف من السباع والبهائم مثل بني آدم يعرفون بالإنس والناس.

وقال أبو هريرة في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾: «يحشر الله -تعالى- الخلق يوم القيامة: البهائم والدواب والطير وكل شيء، فيبلغ من عدل الله يومئذٍ أن يأخذ للجمّاء من القرناء، ثم يقول: كوني تراباً»[٤]، وعلى هذا إنما جُعِلت أمثالنا في الحشر والاقتصاص، واختار الزّجّاج هذا، قال «يعني: أمثالكم في أنهم يبعثون؛

---

(١) ذكره عن الواحدي الرازي في تفسيره ١٢/ ٢١٣، وأبو حيان في البحر ٤/ ١٢٠، وفي تنوير المقباس ٢/ ١٧ نحوه، وذكر الرازي بعده أن هذا قول طائفة عظيمة من المفسرين.

(٢) أخرجه الطبري ٧/ ١٨٧١، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٨٥ بسند جيد، وانظر: الدر المنثور ٣/ ٢٠.

(٣) لفظ: (أمة) ساقط من (أ).

(٤) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ١/ ٢٠٦، والطبري ٧/ ١٨٩، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٨٦، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣١٦، والواحدي في الوسيط ١/ ٣٣. قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي في التلخيص، وأخرج أحمد ٢/ ٢٣٥، ٣٦٣ من طرق جيدة عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «يقتص الخلق بعضهم من بعض حتى الجماء من القرناء وحتى الذرة من الذرة». اهـ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٥٢، وقال: «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح»، وله شواهد. انظر: المسند ١/ ٧٢، ومجمع الزوائد ١٠/ ٣٥٢-٣٥٣. القرناء: ذات القرون، والجماء: التي لا قرون لها.

لأنــه قال عز وجل : ﴿وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنعام :٣٦] ، ثم أعلَمَ أنه ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ في الخلق والموت والبعث»[١] .

واختار الأزهري قول ابن عباس ، فقال : «معنى قوله : ﴿إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ في معنى دون معنى -يريد والله أعلم- أنه تعبدهم بما شــاء أن يتعبدهم [به][٢] من تسبيح وعبادة علِمَها منهم ، ولم يفقِّهنا ذلك»[٣] .

وقال ابن الأنباري في هذه الآية : «يســأل السائل عن هذا فيقول : ما في هذا من الاحتجاج على المشركين ؟ فيُقال له : الاحتجاج أن الله -عز وجل- قد ركَّب في الناس عقولاً ، وجعل لهم أفهاماً ، ألزمهم بها ، تدبر أمر الأنبياء ، والتمســك بطاعته ، وأنه -تعالى- قد أنعم على الطير والــدواب بأن جعل لها[٤] فهماً يَعْرف بعضها به إشــارةَ بعض ، فهــدى الذَّكر منها لإتيان الأنثى . فصح التشــبيه[٥] ؛ لأن الأمــم من غير الناس يفهم[٦] بعضها عن بعــض ، كما يفهم الناس بعضهم عن بعض ، ويلزمهم بما يتبيَّنونه من فهمها وهدايتها أن يســتدلوا على نفاذ قدرة خالقها المركِّــب ذلك الفهم فيها ، وعلى هذا جُعِلــت أمثالنا في فهم البعض عن البعض»[٧] .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٤٥ .

(٢) لفظ : (به) ساقط من (ش) .

(٣) تهذيــب اللغة ١/ ٢٠٥ ، وهذا قول أبي عبيدة أيضاً في مجاز القــرآن ١/ ١٩١ . قال النحاس في معاني القــرآن ٢/ ٤٢١ : «وأكثر أهل التفســير يذهب إلى أن المعنى : أنهم يخلقــون كما يخلقون ويبعثون كما يبعثون» . اهـ ، ورجَّحه الطبري في تفسيره ٧/ ١٨٨ ، والسمرقندي ١/ ٤٨٣ ، وابن عطية ٥/ ١٩٢ ، والقرطبي في تفسيره ٦/ ٤٢٠ ، والتذكرة ٣٢٩ .

(٤) في (أ) : (جعل لهم) .

(٥) في (ش) : (أن الأمم) .

(٦) في (أ) : (تفهم) .

(٧) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٣٥ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ١١٨ ، ١١٩ عن ابن الأنباري .

وقال بعض أهل التأويل: «إنما مثلت الأمم من غير الناس بالناس في الحاجة وشـدة الفاقة إلى مدبر يدبرهم في أغذيتهم وكِنِّهم ولباسهم ونومهم ويقظتهم وهدايتهم إلى مراشدهم، إلى ما لا يحصى[١] كثرة من أحوالهم ومصالحهم، وقد تقدم في الآية الأولى أن الله قادر على أن ينزل [كل][٢] آية، فجاء في هذه الآية ببيان أنه القادر على تدبير كل أُمَّة وسد كل خلة»[٣]. وإلى قريب من هذا ذهب ابن قتيبة، فقال: «يريد أنها مثلُنا في طلب الغذاء وابتغاء الرزق وتوقِّي المهالك»[٤].

فهذه أقوال المفسرين وأهل التأويل في هذه الآية. وبعد هذا كله فقد أخبرونا عن أبي سليمان البستي الفقيه رحمه الله، أنبأ[٥] ابن الزئبقي[٦]، نبَّأ موسى بن زكريا[٧] التُّسْتَري، نبأ أبو حاتم[٨]، نبأ العُتبي[٩] قال: «كنَّا عند سفيان بن عيينة فتلا هذه الآية: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾

(١) في (ش): (في ما لا يحصى).
(٢) لفظ: (كل) ساقط من (ش).
(٣) انظر: تفسير الرازي ١٢/ ٢١١، ٢١٣، والبحر المحيط ٤/ ١٢٠.
(٤) تأويل مشكل القرآن ٤٤٥.
(٥) في (ش): (أخبرنا).
(٦) محمد بن أحمد بن عمرو الزئبقي البصري، روى عن يحيى بن أبي طالب، وحدَّث عنه غير واحد من البصريين، قاله ابن ماكولا في الإكمال ٤/ ٢٢٨: «لم أجد له ترجمة عند غيره». والزئبقي بكسر الزاي، وسكون الياء، وفتح الباء، وبعدها قاف نسبة إلى الزئبق وبيعه، انظر: اللباب ٢/ ٨٥.
(٧) موسى بن زكريا التُّسْتَري أبو عمران متروك، توفي قبل سنة ٣٠٠ هـ. انظر: سؤالات الحاكم للدارقطني ١٥٦، وميزان الاعتدال ٥/ ٣٣٠، والمغني في الضعفاء ٢/ ٦٨٣، ولسان الميزان ٧/ ١٠٥. والتُّسْتَري نسبة إلى بلدة تُسْتَر من كور الأهواز من خوزستان. انظر: أيضاً اللباب ١/ ٢١٦.
(٨) سهل بن محمد السجستاني، تقدمت ترجمته.
(٩) محمد بن عبيدالله بن عمرو الأموي، أبو عبدالرحمن البصري، إمام علاَّمة فصيح راوية للأخبار والأدب وشاعر مشهور، توفي نحو سنة ٢٢٨ هـ. انظر: المعارف ٥٣٨، وتاريخ بغداد ٢/ ٣٢٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٩٨، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٩٦، والأعلام ٦/ ٢٥٨. والعُتْبي (بالضم، وسكون التاء، وبعدها باء): نسبة إلى جده عتبة بن أبي سفيان الأموي. انظر: اللباب ٢/ ٣٢٠.

فقال : ما في الأرض آدمي إلَّا وفيه شبه من البهائم ، فمنهم مَن يهتصر اهتصار[١] الأسـد ، ومنهم مَن يعدو عدو الذئب ، ومنهم مَن ينبح نباح الكلب ، ومنهم مَن يتطوس[٢] كفعل الطاووس ، ومنهم مَن يشبه الخنازير التي إذا قُدِّم[٣] لها الطعام الطيب عافته ، فإذا قام الرجل عن رجيعه[٤] وَلَغَتْ[٥] فيه ، فكذلك[٦] تجد من الآدميين مَن لو سمع خمسين حكمة لم يتحفظ[٧] واحدة منها ، وإن أخطأ رجل أو حكى خطأ غيره تَروَّاه وحفظه»[٨] .

قال أبو سليمان : «ما أحسن ما تأول أبو محمد هذه الآية واستنبط منها هذه الحكمة ، وذلك أن الكلام إذا لم يكن حكْمُه مطاوعاً لظاهره وجب المصير إلى باطنه ، وقد أخبر الله تعالى عن وجود المماثلة بيننا وبين كل طائر ودابة ، وذلك ممتنع من جهة الخلقة والصورة ، وعُدِمَ من جهة النطق والمعرفة ، فوجب أن يكون منصرفاً إلى المماثلة في الطباع والأخلاق[٩] ، وإذا كان الأمر كذلك فاعلم يا أخي أنك إنما تعاشر[١٠] البهائم والسباع ، فليكن حذرك منهم ومباعدتك إياهم على حسب ذلك»[١١] .

---

(١) المهتصر : الأسد ، والهصر (بالفتح) : الجذب والإمالة وعطف شيء رطب وكسره من غير بينونة ، واهتصر النخلة : ذلَّل عذوقها وسوَّاها . انظر : القاموس (هصر) ٤٩٨ .

(٢) تطوست المرأة : تزينت ، والمطوس : الشيء الحسن . انظر : القاموس (طوس) ٥٥٥ .

(٣) في (ش) : (التي ألقى إليها الطعام) ، وفي العزلة للخطابي ٧٥ : «التي لو ألقي لها الطعام» .

(٤) الرجيع : الروث . انظر : القاموس (رجع) ٧٢١ .

(٥) ولغ السبع في الإناء : شرب ما فيه بأطراف لسانه . انظر : القاموس (ولغ) ٧٩٠ .

(٦) في (ش) : (وكذلك) .

(٧) في (ش) : (يحفظ) .

(٨) في (ش) : (يرويه ويحفظه) .

(٩) في (ش) : (بلا خلاف) ، وهو تحريف .

(١٠) في (ش) : (يعاشر) بالياء .

(١١) العزلة للخطابي ٧٦ ، وروايته عن سفيان بن عيينة ضعيفة لمكان موسى التُّسْتَرِي كما سبق . وذكره عن سفيان الرازي ١٢/ ٢١٤ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ١٢٠ . قال القرطبي ٦/ ٤٢٠ بعد ذكر قول سفيان : «استحسنه الخطابي ، وهو أيضاً حسن ، فإنه تشبيه واقع في الوجود» . اهـ بتصرف

وقوله تعالى : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ قال ابن عباس : «يريد : ما تركنا من شيء إلَّا وقد بيَّنَّاه لكم»[(١)] .

قال العلماء : «هذا من العام الذي أريد به الخاص ؛ لأن المعنى : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ بالعباد إليه حاجة إلَّا وقد بيَّنَّاه إمَّا نصاً ، وإمَّا دلالةً ، وإمَّا مجملا ، وإمَّا مفصلاً ، فالمجمل كقوله تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر :٧] ، والمفصل ما فصل بيانه مما لا يحتاج فيه إلى بيان الرسول ، وهذا مثل قوله تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[(٢)] [النحل :٨٩] ؛ أي لكل شيء يُحتاج إليه في أمر الدين وما خفي على الناس فلم يعرفوا فيه دلالة من الكتاب فذاك[(٣)] ، لقصور علمهم ، وإخراج كل ما يحتاج إليه في أمر الدين من كتاب الله ، كما يروى عن ابن مسعود أنه قال : «ما لي لا ألعن مَن لعنه الله في كتابه» يعني : الواشمة والمستوشمة[(٤)] والواصلة والمستوصلة[(٥)] ، فروى أن امرأة[(٦)] قرأت جميع القرآن ثم أتته فقالت : «يا ابن أم عبد[(٧)] ، تَلَوْتُ البارحة ما بين الدفتين فلم أجد فيه لعن [الله][(٨)] الواشمة» . فقال : «لو تَلَوْتِهِ[(٩)] لوجدتِهِ ، قال الله تعالى :

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٣٤ ، وابن الجوزي ٣/ ٣٥ .

(٢) في (أ) ، (ش) : (وأنزلنا) ، وهو تحريف .

(٣) في (ش) : (فذلك) .

(٤) في (ش) : (والموشومة) ، قال ابن الأثير في النهاية ٥/ ١٨٩ : «الوشم : أن يغرز الجلد بإبرة ثم يحشى بصبغ فيظهر أثره . والمستوشمة والموتشمة التي يفعل بها ذلك» . اهـ بتصرف

(٥) قال ابن الأثير في النهاية ٥/ ١٩٢ : «الواصلة : التي تصل شعرها بشعر آخر زور ، والمستوصلة : التي تأمر مَن يفعل بها ذلك» . اهـ

(٦) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١٠/ ٣٧٣ ـ عند كلامه على هذا الحديث ـ : «المرأة هي أم يعقوب من بني أسد بن خزيمة ، ولم أقف لها على ترجمة» . اهـ

(٧) الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، قد ينسب إلى أمه أم عبد بنت عبد بن سواء من هذيل ، صحابية رضي الله عنها . انظر : تهذيب التهذيب ٢/ ٤٣١ .

(٨) لفظ : (الجلالة) ساقط من (أ) .

(٩) في (أ) : (لو تلوتيه لوجدتيه) . قال ابن حجر في الفتح ١٠/ ٣٧٣ ـ عند كلامه على الحديث ـ : «روى =

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر :٧] ، وأن ممَّا أتانا رسول الله ﷺ أنْ قال : «لعن الله الواشمة والمستوشمة»[١] .

و[٢] كما يروى أن الشافعي -رضي الله عنه- قال ذات يوم وهو جالس في المسجد : «لا تسألوني عن شيء إلَّا أجبتكم فيه عن كتاب الله ، فقال له رجل : ما تقول في المُحرِم إذا قتل الزنبور[٣] ، فقال : لا شيء عليه ، فقال : أين هذا في كتاب الله ؟ فقال : قال الله تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ الآية [الحشر :٧] ، وأخبرنا[٤] فلان . . . وذكر الإسناد إلى رسول الله ﷺ [أنه][٥] قال : «عليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين من بعدي»[٦] ، وأخبرنا فلان . . . وذكر الإسناد

= مسلم : لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه بإثبات الياء ، وهي لغة ، والأفصح حذفها في خطاب المؤنث في الماضي» . اهـ

(١) الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه ٥٩٣١ ، كتاب : اللباس ، باب : المتفلجات للحسن ، ومسلم ٢/ ١١٨٠ ، ١١٨١ ، حديث رقم ٢١٢٤ ، ٢١٢٥ ، كتاب : اللباس والزينة ، باب : تحريم فعل الواصلة والمستوصلة . انظر : شرحه في فتح الباري ١٠/ ٣٧٢-٣٨٠ ، ٨/ ٦٣٠ .

(٢) لفظ : (الواو) ساقط من (ش) .

(٣) الزنبور (بضم الزاي المشددة ، وسكون النون ، وضم الباء) : ذباب لسَّاع ، انظر : القاموس (زنبور) ٤٠١ .

(٤) في (أ) : (وأخبر فلان) .

(٥) لفظ : (أنه) ساقط من (ش) .

(٦) حديث صحيح ، أخرجه أحمد ٤/ ١٢٦ ، ١٢٧ ، والدارمي ١/ ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، وأبو داود رقم ٤٦٠٧ ، والترمذي رقم ٢٦٧٦ ، وابن ماجة رقم :٤٢-٤٤ ، وابن أبي عاصم في السُّنة ١/ ٢٩ ، ٣٠ ، والحاكم ١/ ٩٥-٩٧ من طرق عن العرباض بن سارية رضي الله عنه ، وقال الترمذي : «حديث حسن صحيح» ، وقال الحاكم : «حديث صحيح على شرطهما ، ولم أعرف له علة» ، وصحَّحه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السُّنة لابن أبي عاصم .

إلى عمر[١] -رضي الله عنه- أنه قال: «للمحرم قَتْلُ الزنبور»[٢]، فأجابه عن كتاب الله مستنبطاً بثلاث درجات»[٣].

ومن هذا ما روي في حديث العسيف[٤] الزاني وأن أباه قال للنبي ﷺ: اقضِ بيننا بكتاب الله وأْذَنْ لي فأقول، قال: «قل»، قال: إن ابني كان عسيفاً على هذا... وذكر القصة، فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لأقضين بينكما

---

(١) الأثر عن عمر -رضي الله عنه- أخرجه عبدالرزاق في المصنف ٤/ ٤٤٣، رقم ٨٣٨٠، ٨٣٨١، وابن أبي شيبة ٣/ ٣٣٤، والبيهقي في سننه ٥/ ٢١١ بسند جيد عن سويد بن عفلة الجعفي. انظر: المغني لابن قدامة ٥/ ١٧٥-١٧٧.

(٢) روى هذه القصة البيهقي في سننه ٥/ ٢١٢ عن عبيد الله بن محمد بن هارون الفريابي، قال: «سمعت الشافعي بمكة يقول: سلوني ما شئتم أجبكم من كتاب الله -عز وجل- ومن سنَّة رسول الله ﷺ، قال: فقلت له: أصلحك الله! ما تقول في المحرم يَقتُل زنبوراً؟ قال: نعم، بسم الله الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾. حدثنا سفيان بن عيينة عن عبدالملك بن عمير عن ربعي عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «اقتدوا باللذينِ من بعدي أبي بكر وعمر»، وحدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنه أمر المحرم بقتل الزنبور». اهـ

وحديث «اقتدوا باللذينِ من بعدي أبي بكر وعمر» هو حديث صحيح أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٦/ ٣٥٢ (٣١٩٣٣)، والترمذي في المناقب ٥/ ٦٠٩، ٦١٠، حديث ٣٦٦٢، ٣٦٦٣، وحسَّنه، وابن ماجة في المقدمة ١/ ٣٧، حديث ٩٧، وابن أبي عاصم في كتاب السُّنة ٢/ ٥٤٥، ٥٤٦، وصحَّحه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السُّنة.

(٣) نقل قول الواحدي الرازي في تفسيره ١٢/ ٢١٦، قال: «وأمَّا الطريق الذي ذكره الشافعي فهو تمسك بالعموم على أربع درجات:

أولاها: التمسك بعموم قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾، وأحد الأمور الداخلة تحت هذا أمر النبي -عليه السلام- بمتابعة الخلفاء الراشدين.

ثانيتها: التمسك بعموم قوله -عليه الصلاة والسلام-: «عليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين من بعدي». ثالثتها: إن عمر -رضي الله عنه- كان من الخلفاء الراشدين.

رابعتها: الرواية عن عمر أنه لم يوجب في هذه المسألة شيئاً». اهـ

(٤) العسيف: الأجير، سمي بذلك؛ لأن المستأجر يعسفه في العمل. انظر: النهاية ٣/ ٢٣٦، وفتح الباري ١٢/ ١٣٩.

بكتاب الله»(١) ، ثم قضى بالجلد والتغريب على العسيف ، وبالرجم على المرأة إن اعترفت ، وليس للرجم والتغريب ذكر في نص الكتاب ، فجعلهما النبي ﷺ من الكتاب لمَّا حكم هو بهما ، وهذا يبين لك أن كل ما يحكم به النبي ﷺ كان ذلك كما لو حكم به الكتاب نصّاً(٢) .

والكتاب على هذا التأويل المراد به القرآن(٣) .

ومعنى ﴿مَّا فَرَّطْنَا﴾ : ما ضيَّعنا ، وما تركنا ، وما قصَّرنا(٤) ، وقد ذكرنا هذا عند قوله تعالى : ﴿قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام :٣١] .

---

(١) حديث العسيف حديث متفق عليه أخرجه البخاري ٦٨٢٧ ، ٦٨٢٨ ، ومسلم ١٦٩٧ ، ١٦٩٨ ، كلاهما في كتاب : الحدود ، باب : الاعتراف بالزنا ، عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني ، قالا : «إن رجلاً من الأعراب أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله : أنشدك الله إلَّا قضيت لي بكتاب الله ، فقال الخصم الآخر وهو أفقه منه : نعم فاقضِ بيننا بكتاب الله وأْذَنْ لي ، فقال رسول الله ﷺ : «قل» . قال : إن ابني كان عسيفاً على هذا فزنى بامرأته ، وإني أُخبرت أن على ابني الرجم فافتديت منه بمئة شاة ووليدة ، فسألت أهل العلم فأخبروني : إنما على ابني جلد مئة وتغريب عام ، وأن على امرأة هذا الرجم ، فقال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله : الوليدة والغنم رد ، وعلى ابنك جلد مئة وتغريب عام ، واغدُ يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفَتْ فارجمها» . قال : فغدا عليها ، فاعترفَتْ ، فأمر بها رسول الله ﷺ» . اهـ لفظ مسلم . انظر : شرح الحديث في فتح الباري ١٢/ ١٣٧ـ١٤٢ .

(٢) ذكر قول الواحدي الرازي في تفسيره ١٢/ ٢١٧ ، والقاسمي في تفسيره ٦/ ٥١٧ـ٥٢١ . وانظر : البحث في هذا الموضوع في الموافقات للشاطبي ٢/ ٧٩ ، ٣/ ٣٣٦ .

(٣) وهو قول الجمهور ، ورجَّحه النحاس في إعراب القرآن ١/ ٥٤٦ ، وابن عطية في تفسيره ٥/ ١٩٤ ؛ لأنه هو الذي يقتضيه سياق الآية والمعنى . قال الرازي في تفسيره ١٢/ ٢١٥ : «هذا أظهر ؛ لأن الألف واللام إذا دخلا على الاسم المفرد انصرف إلى المعهود السابق ، والمعهود السابق من الكتاب عند المسلمين هو القرآن ، فوجب أن يكون المراد من الكتاب في هذه الآية القرآن» . اهـ . انظر : تفسير الماوردي ٢/ ١١٢ ، والبحر المحيط ٤/ ١٢٠ ، وتفسير القاسمي ٦/ ٥١٥ ، ٥١٦ .

(٤) انظر : مجاز القرآن ١/ ١٩١ .

وقوله تعالى: ﴿مِن شَيۡءٖ﴾؛ أي شيئاً، و﴿مِن﴾ زائدة[(١)]، مثل قولك: «ما جاءني من أحد»، وتقديره: ما تركنا في الكتاب شيئاً لم نبيِّنه؛ لأن معنى التفريط يعود إلى التقصير عن التقدم في ما يحتاج إلى التقدم فيه.

وقيل: «المراد بالكتاب هاهنا الكتاب الذي هو عند الله -عز وجل- المشتمل على ما كان ويكون، وهو اللوح المحفوظ»، وهو قول[(٢)] ابن عباس في رواية الوالبي[(٣)]، والآية على هذا التأويل عامة، وتدل على أن كل ما في الدنيا من

(١) انظر: التبيان ١/ ٣٣١، والفريد ٢/ ١٤٥، ١٤٦، والبحر ٤/ ١٢٠، ١٢١، والدر المصون ٤/ ٦١٢. نقل قول الواحدي الرازي في تفسيره ١٢/ ٢١٨، قال: «من للتبعض، فكأن المعنى: ما فرَّطنا في الكتاب بعض شيء يحتاج المكلف إليه، وهذا هو نهاية المبالغة في أنه تعالى ما ترك شيئاً مما يحتاج المكلف إلى معرفته في هذا الكتاب». اهـ

(٢) أخرجه الطبري ٧/ ١٨٨، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٨٦ بسند جيد عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٠٧ بسند جيد عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند جيد عن ابن زيد، وهو اختيار مقاتل ١/ ٥٦٠، والطبري والسمرقندي ١/ ٤٨٣، والبغوي ٣/ ١٤٢، والزمخشري ٢/ ١٧، وابن كثير ٢/ ١٤٧، وهو الظاهر -والله أعلم-. قال ابن القيم في بدائع التفسير ٢/ ١٤٧-١٥٠: «هو أظهر القولين وأظهر في الآية، والسياق يدل عليه». اهـ

(٣) تقدَّم أنه علي بن أبي طلحة، والوالبي: نسبة إلى والب بن الحارث بن ثعلبة بطن من بني أسد، ينسب إليه جماعة منهم: سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي، أبو محمد الكوفي، تابعي إمام عابد، وفضله ومناقبه وثناء الأئمة عليه كثير، قتله الحجاج سنة ٩٥هـ. ولم يكمل ٥٠ سنة. انظر: طبقات ابن سعد ٦/ ٢٥٦، والجرح والتعديل ٤/ ٩، والحلية ٤/ ٢٧٢، وتهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢١٦، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٢١، وتهذيب التهذيب ٢/ ٩.
هذا هو المشهور في الوالبي كما في اللباب ٣/ ٣٥٠، ولكن مراد الواحدي كما في أسباب النزول ٣٩، وشيخ الإسلام ابن تيمية كما في الفتاوى: ٨/ ١٥٠، ١٤/ ٢٣٨، وابن كثير في تفسيره ٢/ ١٤٧، أن الوالبي هو علي بن أبي طلحة، ولم أجد في ترجمته مَن نسبه إلى ذلك؛ وهو: علي بن سالم بن مخارق الهاشمي مولاهم أبو الحسن بن أبي طلحة الحمصي، أصله من الجزيرة، إمام صدوق مشهور برواية التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولم يسمع منه، ولكنه أخذه عن الثقات من أصحاب ابن عباس، وقد أشاد العلماء بصحيفته في التفسير، واعتمدوها في كتبهم، توفي سنة ١٤٣هـ. انظر: طبقات ابن سعد ٧/ ٤٥٨، والجرح والتعديل ٦/ ١٨٨، ومشاهير علماء الأمصار ١٨٢، وتاريخ بغداد ١١/ ٤٢٩، وميزان الاعتدال ٣/ ١٣٤، وتهذيب التهذيب ٣/ ١٧١، ومقدمة معجم غريب القرآن لمحمد فؤاد عبدالباقي.

حادث قد سبق به القضاء، وأثبت ذلك في اللوح المحفوظ كما قال ﷺ: «جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة»[(١)].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ قال ابن عباس: «يريد: للجزاء إمَّا ثواب وإمَّا عقاب»[(٢)]، وهذا قول المفسرين[(٣)] «أن هذه الأمم يحشرون مع الخلق إلى الموقف يوم القيامة للحساب والجزاء».

كما روينا عن أبي هريرة[(٤)]، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]، ومعنى ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾؛ أي إلى حيث لا يملك النفع والضُّر إلَّا الله جل[(٥)] وعز، إذا لم يُمكِّن منه كما مكَّنهم في دار الدنيا.

٣٩. وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾. قال ابن عباس: «يريد: ما جاء به محمد ﷺ، ﴿صُمٌّ وَبُكْمٌ﴾: قال: يريد ﴿صُمٌّ﴾ عن القرآن لا يسمعونه، ﴿وَبُكْمٌ﴾ عن القرآن لا ينطقون به»[(٦)] وقد أحكمنا شرح هذا في أول سورة البقرة.

---

(١) أخرج الإمام أحمد ٤/ ٢٨٦ـ٢٨٨، وابن أبي عاصم في السُّنة ١/ ١٣٧ـ١٣٩ حديثاً طويلًا عن ابن عباس، وفيه: قال النبي ﷺ: «قد جف القلم بما هو كائن...»، وصحَّحه أحمد شاكر، والألباني في تخريجهما لذلك.

(٢) ذكره القرطبي ٦/ ٤٢١، ونحوه في تنوير المقباس ٢/ ١٧.

(٣) هذا قول الجمهور كما في البحر ٤/ ١٢١، ورجَّحه القرطبي ٦/ ٤٢١. انظر: الطبري ٧/ ١٧١، والسمرقندي ١/ ٤٨٣، وابن عطية ٥/ ١٩٣.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) في (ش): (إلا الله تعالى).

(٦) انظر: تنوير المقباس ٢/ ١٨. وأخرج عنه الطبري ٧/ ١٩٠، وابن أبي حاتم ١/ ٥٣ تحقيق الغماري بسند جيد، قال: «﴿صُمٌّ وَبُكْمٌ﴾: لا يسمعون الهدى، ولا يبصرونه، ولا يعقلونه»، وانظر: مجاز القرآن ١/ ١٩١، وزاد المسير ٣/ ٣٦.

وقوله تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾ إلى آخر الآية دليل على أن هؤلاء صاروا صمّاً بكماً بمشيئة الله إضلالَهُم، وأنه من شاء أضل، ومن شاء هدى[١].

٤٠. قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ﴾ الآية. قال الفرَّاء: «للعرب في أرأيت لغتان ومعنيان، أحدهما: رؤية العين فإذا أردت هذا عدَّيت الرؤية بالضمير إلى المخاطب وتصرف سائر الأفعال، تقول للرجل: أرأيتك على غير هذه الحال، تريد هل رأيت نفسك، ثم تثني وتجمع فتقول: أرأيتما كما، وأرأيتموكم[٢]، وللنسوة أرأيتنكن[٣][٤].

والمعنى الآخر أن تقول: أرأيتك وأنت تريد أخبرني كما تقول: أرأيتك إن فعلت كذا ماذا تفعل؛ أي أخبرني، وتترك[٥] التاء إذا أردت هذا المعنى موحدة على كل حال تقول: أرأيتك، أرأيتكما[٦]، أرأيتكن[٧]؛ وإنما تركت العرب التاء واحدة؛ لأنهم لم يريدوا أن يكون الفعل واقعاً من المخاطب على نفسه، فاكتفوا من علامة المخاطب بذكره في الكاف، وتركوا التاء على المذكر والتوحيد إذ لم يكن الفعل واقعاً».

---

(١) انظر: الطبري ٧/ ١٩٠، والسمرقندي ١/ ٤٨٣، وابن عطية ٥/ ١٩٥، والقرطبي ٦/ ٤٢٢، وبدائع التفسير ٢/ ١٥٠.

(٢) في (ش): (وأريتموكم)، وهو تحريف.

(٣) في (أ): (أريتنكن)، وهو تحريف.

(٤) زاد الفرَّاء في معاني القرآن ١/ ٣٣٣: «وللمرأة -أرأيتك- فهذه مهموزة تخفض التاء والكاف، لا يجوز إلَّا ذلك»اهـ.

(٥) في (ش): (ويترك).

(٦) في (أ): (أريتكما)، وهو تحريف.

(٧) زاد الفرَّاء في هذا الوجه: «وتهمزها وتنصب التاء منها، وتترك الهمز إن شئت، وهو أكثر كلام العرب، وتترك التاء موحدة مفتوحة للواحد والواحدة والجميع في مؤنثه ومذكره». اهـ

قال : «والرؤية من الأفعال الناقصة التي يُعدِّيها المخاطب إلى نفسه بالمكنى مثل : ظننتني وحسبتني ورأيتني ، ولا يقولون ذلك في الأفعال التامة ، لا يقولون للرجل : قتلتك بمعنى قتلت نفسك ، ولا أحسنت إليك كما يقولون : متى تظنك خارجاً ومتى تراك . وذلك أنهم أرادوا الفصل بين الفعل الذي قد يُلغى وبين الفعل الذي لا يجوز إلغاؤه ، ألا ترى أنك تقول : أنا أظن خارجٌ فتلغي أظن ، وقال الله تعالى : ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق :٧] ، ولم يقل : رأى نفسه ، وجاء في ضرورة الشعر إجراء الأفعال التامة مجرى النواقص ، قال جِرَان العود[1] :

لَـقَدْ كَانَ لي في ضَرَّتَيْنِ عَدِمْتُني ... وما كنْتُ ألقـى منْ رُزينةَ أبرحُ[2]

والعرب تقول : عدمتني ووجدتني وفقدتني ، وليس بوجه الكلام»[3] ، وهذا كله صحيح ، ولم يخالف إلَّا في الكاف التي في أرأيتك بمعنى أخبرني ، فإنه قال : [«موضع الكاف نصب وتأويله رفع ؛ لأن الفعل محول عن التاء إليها ، وهي بمنزلة الكاف في دونك إذا أُغري بها ، كما تقول : دونك زيداً ، فتجد الكاف][4] في اللفظ خفضاً وفي المعنى رفعاً ؛ لأنها مأمورة ، فكذلك هذه الكاف موضعها

---

(١) عامر بن الحارث بن كلدة النُّمَيري ، شاعر إسلامي وصاف . وجِرَان العود لقب غَلب على اسمه ، وهو بالكسر وفتح الراء : جلد عُنُق الدابة ، سمي به ؛ لأنه اتخذ منه سوطاً ، وأورده في شعره . انظر : كنى وألقاب الشعراء لابن حبيب ٣٥ ، والشعر والشعراء ٤٨٠ ، والمبهج لابن جني ١٦٩ ، والصحاح (جرن) ٥/ ٢٠٩١ ، واللباب لابن الأثير ١/ ٢٦٩ ، وتاج العروس (جرن) ١٨/ ١٠٦ ، والأعلام ٣/ ٢٥٠ .

(٢) ديوانه ٣٩ ، ٤٠ ، والدر المصون ٤/ ٦٢٢ ، وهذه هي رواية الفرَّاء في معاني القرآن ١/ ٣٣٤ ، وفي المصادر :

لقدْ كانَ لي عنْ ضرتينِ عدمتَني ... وعَمَّا أُلاقي منهُما مُتَزَحْزَحُ

والشاهد : عدمتني : حيث جمع بين ضمير الفاعل والمفعول .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٣٣ ، ٣٣٤ بتصرف واختصار ، ونص الواحدي عند السمين في الدر ٤/ ٦٢١ ، ٦٢٢ عن الفرَّاء .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) .

نصب وتأويلها رفع»[١] . قال الزَّجَّاج : «وهذا القول لم يقله النحويون القدماء وهو خطأ ؛ لأن قولك : رأيتك زيداً ما شأنه لو تعدت الرؤية إلى الكاف وإلى زيد لصار المعنى : أرأيت[٢] نفسك زيداً ما شأنه ، وهذا محال . قال : والذي يذهب إليه النحويون الموثوق بعلمهم أن الكاف لا موضع لها ، وإنما المعنى : أرأيت زيداً ما حاله ، وإنما الكاف زيادة وهي المعتمد عليها في معنى الخطاب»[٣] .

قال أبو علي : «قولهم : أرأيتك زيداً ما فعل ، بفتح التاء في جميع الأحوال ، فالقول في ذلك أن الكاف في أرأيتك لا يخلو من أن يكون[٤] للخطاب مجرداً ومعنى الاسم مخلوع منه[٥] ، أو يكون دالًّا على الاسم مع دلالته على الخطاب ، فالدليل على أنه للخطاب مجرداً من علامة الاسم أنه لو كان اسماً وجب أن يكون الاسم الذي بعده في نحو قوله تعالى : ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ [الإسراء :٦٢] ، وقولهم : أرأيتك زيداً ما صنع لو كان الكاف اسماً ولم يكن حرفاً للخطاب لوجب أن يكون الاسم الذي بعده الكاف في المعنى ، ألا ترى أنَّ أرأيت يتعدى[٦] إلى مفعولين يكون الأول منهما هو الثاني في المعنى ، وفي كون المفعول الذي بعده ليس الكاف ، وإنما هو غيره دلالة على أنه ليس باسم ، وإذا لم يكن اسماً كان حرفاً للخطاب مجرداً من معنى الاسمية ، كما أن الكاف في ذلك وفي هنالك وأَبصَرَك زيداً للخطاب ، [وكما أن التاء في أنت كذلك ، فإذا ثبت أنه للخطاب][٧] ، معرى من الأسماء ، ثبت أن التاء لا يجوز أن يكون بمعنى الخطاب ، ألا ترى أنه لا ينبغي أن يلحق الكلمةَ علامتان للخطاب ، كما لا يلحقها علامتان للتأنيث ولا علامتان

---

(١) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٣٣ .

(٢) أي : يصير لها فاعلان هما التاء والكاف .

(٣) معاني القرآن ٢/ ٢٤٦ .

(٤) في (أ) : (لا تخلو من أن تكون) .

(٥) في (ش) : (منها) ، وهي في بعض نسخ الحجة لأبي علي ٣/ ٣٠٨ .

(٦) في (ش) : (تعدى) .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) .

للاستفهام ، فلمَّا لم يجز ذلك أفردت التاء في جميع الأحوال لما كان الفعل لا بد له من فاعل ، وجُعِل في جميع الأحوال على لفظ واحد ؛ لأن ما يلحق الكاف في معنى الخطاب يبين الفاعلين ، فيخصص التأنيث من التذكير والتثنية من الجمع ، ولو لحق علامة التأنيث والجمع التاء لاجتمع علامتان للخطاب مما كان يلحق التاء وما كان يلحق الكاف ، فلمَّا كان ذلك يؤدي إلى ما لا نظير له رُفِض وأجري على ما عليه سائر كلامهم في هذا النحو»[(١)] .

واحتج ابن الأنباري لمذهب الفرَّاء بأن قال : «لو كانت الكاف توكيداً لوقعت التثنية والجمع بالتاء كما يقعان بها عند عدم الكاف ، فلمَّا فتحت التاء في خطاب الجمع ، ووقع مِيْسَمُ الجمع لغيرها ، كان ذلك دليلاً على أن الكاف غير توكيد ، ألا ترى أن الكاف لو سقطت لم يصلح أن يقال لجماعة : أرأيت ، فوضح بهذا انصراف الفعل إلى الكاف ، وأنها واجبة لازمة مفتقر إليها»[(٢)] .

والصحيح مذهب البصريين ، وهذا الذي قاله يبطل بكاف ذلك وأولئك ؛ لأن ميسم الجمع يقع عليها ، وهي حرف للخطاب مجرد من معنى الاسمية[(٣)] .

(١) الحجة لأبي علي ٣/ ٣٠٨ـ٣١٠ ، وانظر : الحلبيات لأبي علي ٤٢ ، ٩٦ .

(٢) ذكره السمين في الدر ٤/ ٦٢١ ، وانظر : تفسير الرازي ١٢/ ٢٢٢ .

(٣) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢/ ٢٧٤ ، وتفسير الطبري ٧/ ١٩٠ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٤٧ ، ومعاني القراءات للأزهري ١/ ٣٥٣ ، والمشكل لمكي ١/ ٣٥١ ، والبيان ١/ ٣٢١ ، والتبيان ١/ ٣٣٢ ، والفريد ٢/ ١٤٦ ، والمغني لابن هشام ١/ ١٨١ .

واختلـف القرَّاء في هــذا الحرف، وما كان مــن بابه، ودخــل عليه ألف الاســتفهام، مثــل: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ [الأنعــام:٤٦]، و ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ [الأنعــام:٤٠]، و﴿أَرَءَيْتَ﴾ [الكهـف:٦٣]، و ﴿أَفَرَءَيْتُم﴾[١] [الشـعراء:٧٥]، فحذف الكسائي همزة الرؤيــة، فقرأ: (أريتكم)[٢] كأنه حذفها للتخفيــف، مثل قولهم: «ويلمه»[٣]، وكما أنشده أحمد ين يحيى:

إن لم أُقَاتِلْ فالْبِسُوني بُرْقُعا[٤]

[أراد][٥] فألبسوني بقطع الهمزة ثم حذفها.

---

(١) «قرأ نافع: (أرأيتكم) وما أشبهه مما قبل الراء همزة وبعدها همز، بهمز الأولى وتسهيل الثانية بين الهمز والألف لتكون كالمدة في اللفظ حيث وقع، وقرأ الكسائي بهمز الأولى وإسقاط الثانية، وقرأ الباقون بهمزها جميعاً». انظر: السبعة ٢٥٧، والمبسوط ١٦٨، والتذكرة ٢/ ٣٩٨، والتيسير ١٠٢، والنشر ١/ ٣٩٧.

(٢) في (أ): (أرأيتكم).

(٣) وَيْلِمِّه (بفتح، فســكون، وكسر اللام أو ضمها، وكسر الميم المشـــددة، وبعدها هاء): لفظ مركب يقال للمســتجاد ويلمه؛ أي ويل لأمه، أدغمت لام ويل في اللام الجارة ثم حذفت لكثرة الاستعمال فصار: وي لأمه، ثم حذفت الهمزة فصار ويلمه. انظر: الحلبيات ٤٣، واللسان (ويل) ٨/ ٤٩٣٩.

(٤) لم أعــرف قائله، وهو في الحجــة لأبي علي ٣/ ٢١١، ٦/ ٣٤٠، وكتاب الشــعر لأبي علي ١/ ٣٠٣، والمحتســب ١/ ١٢٠، والخصائص ٣/ ١٥١، والــرازي ١٢/ ١٨٤، والقرطبي ٥/ ١٠١، والبحر ٣/ ٢٠٦، والدر المصون ٣/ ٦٣٣، وهو رجز آخره:

فَتَخاتٍ في اليَدَينِ أَرْبَعا.

والشــاهد: فالبســوني، حيث حذف الهمزة، والأصل: فألبســوني. والفتخات (بفتح فسكون أو بفتحتين): خاتم يكون باليد والرجل.

(٥) لفظ: (أراد) ساقط من (ش).

وكقول أبي(١) الأسود(٢) :

يَا بَا المُغِيرَةِ رُبَّ أَمْرٍ مُعْضِلٍ(٣)

ومما يقوّي هذا المذهب قول الشاعر :

وَمَـنْ رَأ مـثلَ مَـعْدَان بْـنِ لَيْلَى إذا ما النسْـعُ طالَ عــلى المَطِيَّةْ(٤)

فهذا على أنه قلب الهمزة [ألفا](٥) كما قلبها في قوله :

لا هَـنَـــاكَ الـمَـرْتَـــعُ(٦)

---

(١) في (ش) : (ابن) ، وهو تحريف .

(٢) ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي أبو الأسود البصري ، مشهور بكنيته ، وفي اسمه ونسبه خلاف ، وهو إمام تابعي عابد فاضل نحوي مقرئ فقيه ، ثقة ، شاعر فارس شجاع ، واضع علم النحو ، وأول مَن نقط المصحف ، توفي سنة ٦٩هـ ، وله ٨٥ سنة . انظر : طبقات الزبيدي ٢١ ، وإنباه الرواة ١/ ٤٨ ، ومعجم الأدباء ٣/ ٤٣٦ ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٨١ ، وتهذيب التهذيب ٢/ ٢٤٩ ، والأعلام ٣/ ٢٣٦ .

(٣) ديوانه ١٣٤ ، والحجة لأبي علي ٣/ ٢١١ ، ٣٠٧ ، ٦/ ٣٤٠ ، والشعر لأبي علي ١/ ١٤٢ ، ٣٠٣ ، وأمالي ابن الشجري ٢/ ١٩٩ ، والمقرب ٥٥٩ ، والممتع ٢/ ٦٢٠ ، ورصف المباني ١٣٤ ، والبحر ٥/ ٥٢ ، والدر المصون ٤/ ٦١٧ ، وعجزه :

قَرَّبْتَه بالنُّكر مِنِّي والدَّهَا

والشاهد يا با ، حيث حذف الهمزة من أيا .

(٤) لم أعـرف قائله ، وهو في الحجة لأبي علي ٣/ ٣٠٧ ، ٦/ ٤٢٤ ، والحلبيات ٤٧ ، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٧٩١ ، واللسان (رأى) ٣/ ١٥٣٧ ، والدر المصون ٤/ ٦١٨ . النسع (بالكسر) : سير مضفر تشد به الرحال ، انظر : اللسان (نسع) ٧/ ٤٤١٠ . والشاهد (من رأ) حيث حذف ، والأصل رأى .

(٥) لفظ : (ألفا) ساقط من (ش) .

(٦) الشاهد للفرزدق في ديوانه ١/ ٤٠٨ ، والكتاب ٣/ ٥٥٤ ، والمقتضب ١/ ٣٠٣ ، والكامل ٣/ ٨٢ ، والأصول ٣/ ٤٦٩ ، وأمالي ابن الشجري ١/ ١٢٠ ، ٢/ ٤٦٤ ، وبلا نسبة في أضداد ابن الأنباري ٢٠٩ ، والحجة لأبي علي ١/ ٣٩٨ ، والعضديات ١٧٤ ، والشعر ١/ ١٤٥ ، والخصائص ٣/ ١٥٢ ، والمحتسب ٢/ ١٧٣ ، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٦٦٦ ، والمقرب ٥٣٨ ، وأوله :

وَمَضَتْ لمسْلَمَة الرِّكابُ مُوَدِّعاً فَارْعَـيْ فَـزَارَةُ ، لا هَنـاكَ المَرْتَـعُ =

واجتمعت مع المنقلبة عن اللام ، فحذفت إحداهما لالتقاء الساكنين .

وقرأ نافع بتليين همـــزة الرؤية ، فجعلها بين الهمـــزة والألف على التخفيف القيـــاسي ، والباقون قرأوا بتحقيـــق الهمزة ؛ لأن الهمزة عـــين الفعل ، ومذهب الكسائي حســـن ، وبه قرأ[١] عيسى بن . . . عمر[٢] ، وهو كثير في الشعر ، قد[٣] تكلمت في مثله العرب بحذف الهمزة ، قال عمر[٤] :

أَرَيْتُكَ إِذْ هُنَّا عَلَيْكَ أَلَمْ نَـخَـفْ رَقِيباً وَحَوْلِي مِنْ عَدُوِّكَ حُضَّرُ[٥]

= وهو من قصيدة قالها حين عُزل مسـلمة بن عبدالملك عن العـراق وتولاها عمر بن هبيرة الفزاري ، فدعا ألَّا يهنأ قومه بولايته . والشاهد : لا هناك ، والأصل : هنأك ، حيث أبدل الهمزة ألفاً ضرورة .

(١) لم أستطع تحديده ، وقد يكون : أـ عيسى بن عمر الأسدي الهمداني أبو عمر الكوفي ، إمام فاضل ثقة ، مقرئ أهل الكوفة في زمانه ، أخذ عن عاصم ، وأخذ عنه الكسائي ، توفي سنة ١٥٦هـ . انظر : الجرح والتعديل ٦/ ٢٨٢ ، ومعرفة القرَّاء ١/ ١١٩ ، وسير أعلام النبلاء ٧/ ١٩٩ ، وغاية النهاية ١/ ٦١٢ ، وتهذيب التهذيب ٣/ ٣٦٣ .

ب . عيســى بن عمر الثقفي ، أبو عمر البصري ، إمام صدوق نحـوي ، مقرئ من أئمة اللغة ، ومن أول مَن هذَّب النحو ورتَّبه ، أخذ عنه الخليل وسيبويه وأبو عمر بن العلاء ، توفي بعد سنة ٣/ ٣٦٤ . انظر : إنباه الرواة ٢/ ٣٧٤ ، ومعجم الأدباء ١٦/ ١٤٦ ، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٨٦ ، وسـير أعلام النبلاء ٧/ ٢٠٠ ، وغاية النهاية ١/ ٦١٣ ، وتهذيب التهذيب ٣/ ٣٦٤ .

(٢) ذكرهـا عنه أبو علي في الحجة ٣/ ٣٠٧ ، والنحاس في إعراب القرآن ١/ ٥٤٧ ، والرازي ١٢/ ٢٢٣ ، والقرطبي ٦/ ٤٢٣ .

(٣) في (ش) : (وقد) .

(٤) ديوان عمر بن أبي ربيعـة ١٢٥ ، والدر المصون ٤/ ١٦٦ . أريتـك : أخبرني ، وحضر : حاضرون . والشاهد : (أريتك) حيث خفف ، والأصل : أرأيتك .

(٥) في الديوان (وقيت) بدل (رقيبا) .

وأنشد أبو علي[(١)] :

أَرَيْـتَ إنْ جـئْـتُ بـهِ أُملـوداً مُـرَجَّـلاً وَيَـلْـبَـسُ الـبُـرُودا[(٢)]

فأمّا[(٣)] معنى الآية فقال ابن عباس : «﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ إِنْ أَتَـٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ ﴾ يريد : المـوت ، ﴿ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ ﴾[(٤)] يريد : القيامة ، ﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ ﴾ يريد : إلى مَن تتضرعـون[(٥)] إلى هذه الأصنام ، يريد : أنكم عنـد العذاب وعند الموت والشدائد تخلصون وتوحِّدون وأنتم اليوم لا تصدقوني»[(٦)] ، انتهى كلامه .

وقال أبو إسحاق : «﴿ ٱلسَّاعَةُ ﴾ اسم للوقت الذي يصعق فيه العباد ، واسم للوقت الـذي يبعث فيه العباد ، فالمعنـى : ﴿ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ التي وُعِدتم فيها البعث والفنـاء ؛ لأن قبل البعـث موت الخلق كلـه ، ﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ ﴾ ؛ أي أتدعون هذه الأصنام والأحجار التي عبدتموها[(٧)] من دون الله عز وجل ، فاحتج الله عليهم بما لا يدفعونه[(٨)] ؛ لأنهم كانوا إذا مسَّهم الضُّر دعوا الله»[(٩)] .

---

(١) الحجة ٣/ ٣٠٨ ، والحلبيات ٤٦ ، والعسكريات ١٠٧ .

(٢) الشاهد لرؤبة في ملحق ديوانه ١٧٣ ، ولرجل من هذيل في شرح أشعار الهذليين للسكري ٢/ ٦٥١ . وذكر السيوطي في شرح شواهد المغني ٢/ ٧٥٩ أنه لامرأة مجهولة ، وهو بلا نسبة في المحتسب ١/ ١٩٣ ، والخصائص ١/ ١٣٦ ، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٤٤٧ ، واللسان (رأى) ٣/ ١٥٣٨ ، والدر المصون ٤/ ٦١٦ . الأملود (بالضم) : الناعم اللين ، والمرجل (بالضم) : المُزَيَّن ، ، ورجل شـعره : سرحه ، والـبرود (بالضم) : ثوب فيـه خطوط من برود العصب والوشي . انظر : اللسـان (برد) ١/ ٢٥٠ . والشاهد : تخفيف أريت ، والأصل أرأيت .

(٣) انظر : توجيه القـراءات في إعراب القراءات ١/ ١٥٦ ، والحجة لابـن خالويه ١٣٩ ، والحجة لابن زنجلة ٢٥٠ ، والكشف ١/ ٤٣١ .

(٤) في (أ) : (أتيكم) ، وهو تحريف .

(٥) في (ش) : (يتضرعون) .

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٣٦ ، والبغوي ٣/ ١٤٣ ، وانظر : زاد المسير ٣/ ٣٧ .

(٧) في (أ) : (التي عبد من دون الله) ، وهو تحريف .

(٨) في (ش) : (بما لا يدفعون) .

(٩) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٤٦ .

وقال غيره[١] : «الآية حجة على مَن عبد غير الله بأنه إن أتاه عذاب من قِبَل الله جل وعز لم يلجأ في كشفه إلَّا إليه دون كل أحد سواه ؛ لأنه لا يملك كشف عظيم البلاء إلَّا هو» .

وقوله تعالى : ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ . . .[٢] . [قوله ؛ لأنه بمعنى أخبروا ، كأنه قيل لهم : ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾][٣] أخبروا مَن تدعون عند نزول البلاء بكم .

٤١. قوله تعالى : ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ . (بل) هاهنا نفي دعائهم غيرَ الله في الشدائد ، وإثباتُ دعائهم إياه[٤] .

وقوله تعالى : ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾ ؛ أي فيكشف الضُّر الذي من أجله دعوتم[٥] .

وقوله تعالى : ﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ قال ابن عباس : «يريد : تتركونهم فلا تدعونهم ؛ لأنه ليس عندهم ضرٌّ ولا نفع»[٦] ، وقال أبو إسحاق : «وجائز أن

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٧/ ١٩١ ، والسمرقندي ١/ ٤٨٣ ، وقال النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٢٢ ، ٤٢٣ : «في هذه الآية أعظم الاحتجاج ؛ لأنهم كانوا يعبدون الأصنام ، فإذا وقعوا في شدة دعوا الله» . اهـ

(٢) السياق يظهر أن فيه سقطاً ، وفي الوسيط ١/ ٣٦ ما يبينّ ذلك فقد قال : «وقوله : ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ جواب قوله : ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ ؛ لأنه بمعنى أخبروا . . .» .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٧/ ١٩١ ، والسمرقندي ١/ ٤٨٤ ، وقال الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٢٤٧ : «بل : استدراك وإيجاب بعد نفي ، أعلمهم الله جل وعز أنهم لا يدعون في حال الشدائد إلَّا إياه ، وفي ذلك أعظم الحجة عليهم ؛ لأنهم قد عبدوا الأصنام» . اهـ ملخصاً

(٥) هذا قول الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٢٤٧ ، والنحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٢٣ ، وانظر : تفسير السمرقندي ١/ ٢٨٤ ، والبغوي ٣/ ١٤٣ .

(٦) ذكره الرازي في تفسيره ١٢/ ٢٢٣ ، وفي تنوير المقباس ٢/ ١٨ ، ١٩ نحوه ، وانظر : تفسير السمرقندي ١/ ٤٨٤ ، والبغوي ٣/ ١٤٣ .

يكون المعنى : أنكـــم في ترككم دعاءهم بمنزلة مَن قد نســيهم»[١] ، وهذا قول الحســـن ؛ لأنه قال : «تعرضون[٢] عنه إعراض الناسي ؛ أي لليأس في النجاة من مثله»[٣] .

وقال أبو علي : «التقدير : ﴿وَتَنسَوۡنَ﴾ دعاء ﴿مَا تُشۡرِكُونَ﴾[٤] ، فحذف المضاف ؛ أي تتركون دعاءه[٥] والفزع إليه ، إنما تفزعون إلى الله سـبحانه» ، قال : «ويجوز أن يكون من النســيان خلاف الذكر ؛ كقوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ﴾ [الإسراء :٦٧] ؛ أي تذهلون فلا تذكرونه»[٦] انتهى كلامه ، والعائد إلى الموصول محذوف على تقدير : ما تشركون به ، وحذف به للعلم[٧] .

٤٢ . قوله تعالى : ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم﴾ . قال ابن عباس : «فكفــروا ﴿فَأَخَذۡنَٰهُم﴾»[٨] ، وقــال أهل المعــاني : «في الآية محذوف تقديره : رســلاً فخالفوهم فأخذناهم ، وحسن الحذف للإيجاز به من غير إخلال للدليل المفهوم من الكلام»[٩] .

(١) قــال الزَّجّاج في معاني القــرآن ٢/ ٢٤٧ : «﴿وَتَنسَوۡنَ﴾ هاهنا على ضربين : جائز أن يكون تنســون تتركون ، وجائــز أن يكون المعنى : أنكم في ترككم دعاءهم بمنزلة مَن يســهون» . اهـ ، ونحوه ذكر النحاس في إعراب القرآن ١/ ٥٤٨ .

(٢) في (ش) : (يعرضون) .

(٣) ذكره الرازي ١٢/ ٢٢٣ ، والقرطبي ٦/ ٤٢٣ .

(٤) لفظ : (تشركون) ساقط من (ش) .

(٥) في (ش) : (تركون الفزع إليه) .

(٦) الحجة لأبي علي ٢/ ١٩١ ، وانظر : الدر المصون ٤/ ٦٣٢ .

(٧) انظر : الدر المصون ٤/ ٦٣٢ .

(٨) لم أقف عليه .

(٩) هذا قول عامة أهل التفســير . انظر : تفســير الطبري ٧/ ١٩٢ ، والسمرقندي ٣/ ٢٣٠ ، وابن عطية ٥/ ١٩٨ ، وابن الجوزي ٣/ ٣٨ ، والرازي ١٢/ ٢٢٤ ، والقرطبي ٦/ ٤٢٤ .

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ . قال ابن عباس: «يريد الفقر[١] والأسقام»[٢] .

وقال الحسن: «البأساء: شدة الفقر من البؤس، ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: الأمراض والأوجاع»[٣] .

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ قال الزَّجَّاج: «لعل ترجٍّ، وهذا الترجي للعباد، والمعنى: فأخذناهم بذلك ليكون ما يرجوه العباد منهم من التضرع، كما قال في قصة فرعون: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]» . قال سيبويه: «المعنى:[٤] اذهبا أنتما على رجائكما، والله -عز وجل- عالم بما يكون وراء ذلك»[٥] . ومعنى

---

(١) في (ش): (الفقرا)، وهو تحريف.

(٢) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٢٨٨ عن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: «البأساء: الفقر، والضراء: السقم» . قال ابن أبي حاتم: «وروي عن ابن عباس، وأبي العالية، والحسن، ومرة الهمذاني، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك، والربيع بن أنس، والسُّدِّي، وقتادة، ومقاتل بن حيان نحو ذلك» . اهـ، وذكر ابن الجوزي في تفسيره ٣/ ٣٨، عن ابن عباس أنه قال: «البأساء: الزَّمانة والخوف، والضراء: البلاء والجوع» . اهـ، وذكر السيوطي في الدر ١/ ٣١٥ عن ابن عباس أنه قال: «البأساء: الخصب، والضراء: الجدب» .

وذكر أيضاً في الدر ١/ ٤٣٧ عنه أنه قال: «البأساء: الفتن، والضراء: السقم» . وقال ابن عطية في تفسيره ٥/ ١٩٨: «البأساء: المصائب في الأموال؛ والضراء: في الأبدان، هذا قول الأكثر، وقيل: قد يوضع كل واحد بدلاً من الآخر» . اهـ. انظر: مجاز القرآن ١/ ١٩١، وغريب القرآن لليزيدي ١٣٦، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٦٣، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٤٨، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٢٣ .

(٣) ذكره الرازي في تفسيره ١٢/ ٢٢٤، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٢٨٨ عن الحسن قال: «البأساء: البلاء، والضراء: هذه الأمراض والجوع ونحو ذلك»، وقال ابن أبي حاتم: وروي عن الحسن أنه قال: «البأساء: الفقر، والضراء: السقم» .

(٤) في (أ): (والمعنى) .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٤٨، وانظر: معاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٢٤، وتفسير ابن عطية ٥/ ١٩٩، ولم أقف عليه في الكتاب، وفيه ٢/ ١٤٨، ٣/ ٢٣٣: «لعل طمع وإشفاق» . انظر: أيضاً حروف المعاني للزَّجَّاجي ٣٠، ومعاني الحروف للرماني ١٢٣، والمغني لابن هشام ١/ ٢٨٦ .

التضرع : التخشع ، وهو حال ظاهرة(١) تنبئ عن الانقياد للطاعة ، وأصله من الضراعة وهي الذلة ، يُقال : «ضرع الرجل يضرع ضراعة ، وهو ضارع ، ورجل ضرع : ذليل ضعيف»(٢) .

قال أبو إسحاق : «أعلم الله نبيه أنه قد أرسل قبله إلى قوم بلغوا من القسوة إلى أن أخذوا بالشدة في أنفسهم وأموالهم ، فلم يخضعوا ولم يتضرعوا»(٣) ، وهذا يكون مثل التسلية لنبيه ﷺ ، فإن قيل : أليس قوله : ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام :٤١] يدل على أنهم تضرعوا ، وهاهنا يقول : ﴿قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنعام :٤٣] ولم يتضرعوا ؟ قلنا : حال أولئك [كانت](٤) بخلاف حال هؤلاء في التضرع ، وأولئك الذين تضرعوا عند نزول الشديدة غيرُ هؤلاء الذين وصفوا بالقسوة وترك التضرع . أو نقول :(٥) المراد [بالتضرع](٦) في قوله تعالى : ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ تضرعاً بالإنابة [وإخلاص الطاعة ، لا(٧)] تضرعاً بالدعاء في كشف البلية من دون إخلاص الإيمان(٨) .

---

(١) في (أ) : (ظاهر) .

(٢) قال أهل اللغة : «ضَرَعَ الرجل يضرع ضَرَعاً وضَرَاعَة إذا استكان وذل ، فهو ضارع بين الضَّرَّاعة ، وتَضَرَّع إلى الله ؛ أي ابتهل ، والضَّرَعُ بالتحريك : الضعيف» .
انظر : العين ١/ ٢٦٩ ، والجمهرة ٢/ ٧٤٧ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٢١١٥ ، والصحاح ٣/ ١٢٤٩ ، ومقاييس اللغة ٣/ ٣٩٥ ، والمفردات ٥٠٦ ، واللسان (ضرع) ٥/ ٢٥٨٠ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٤٨ .

(٤) لفظ : (كانت) ساقط من (أ) .

(٥) في (أ) : (أو يقول) .

(٦) لفظ : (بالتضرع) ساقط من (أ) .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) .

(٨) انظر : تفسير الرازي ١٢/ ٢٢٤ ، والفريد للهمداني ٢/ ١٤٨ ، وتفسير القرطبي ٦/ ٤٢٥ .

٤٣. وقولـه تعـالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾ الآية. لـولا[1] إذا دخلت على الاسم كان تعليلاً، مثل قولك: «لولا زيد لأتيتك»، فقد جُعِلت العلة المانعة من الإتيان مكان زيد، وإذا دخلت على الفعل كان تخصيصاً بمنزلة هلَّا، مثل قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [المنافقون: ١٠]، والتقدير في الآية: لولا تضرعوا ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا﴾؛ وهذا معنى قول الفـرَّاء[2]. قال ابن عباس[3] والحسن[4] في هذه الآية: «لولا بمنزلة هلَّا».

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ قال صاحب النظم: «قوله ﴿وَلَٰكِن﴾ معطوف على تأويل الكلام الأول دون اللفظ، وذلك أن في قوله: هلَّا تضرعوا طرفاً من الجحد، وذلك أنهم لو كانوا قد تضرعوا، ما قيل: هلَّا تضرعوا، فكأنه قال: فلمَّا جاءهم بأسنا لم يتضرعوا ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فأقاموا على كفرهم، ومعنى ﴿تَضَرَّعُوا۟﴾ تخشعوا وتذللوا وخضعوا»[5].

وقولـه تعـالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: معنى تزيين الشيطان: إغراؤه بالمعصية بما فيها من المتعة واللذة[6]. قال ابن عباس: «يريد زيَّن لهم الشيطان الضلالة التي هم عليها فأصروا على معاصي الله»[7].

---

(١) انظر: حروف المعاني للزَّجَّاجي ٣ـ٥، ومعاني الحروف للرماني ١٢٣، والمغني لابن هشام ١/ ٢٧٢.
(٢) انظر: معاني القرآن ١/ ٣٣٤، وفيه قال: «معنى ﴿فَلَوْلَآ﴾ فهلاً...».
(٣) تنوير المقباس ٢/ ١٩، وأخرجه ابن حسنون ٣٦، والوزان ١ ،ب في لغات القرآن بسند جيد عنه.
(٤) لم أقف عليه عن الحسن، وهو معنى ظاهر وموجود في عامة كتب التفسير. انظر: الطبري ٧/ ١٩٢، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٢٤، والسمرقندي ١/ ٤٨٤، وابن عطية ٥/ ١٩٩.
(٥) لم أقف عليه، وكتاب نظم القرآن للجرجاني (مفقود)، وعلى هذا تكون (لكن) استدراكاً على المعنى، ويكون التخصيص في معنى النفي، وهو ظاهر كلام الزمخشري في الكشـاف ٢/ ١٩، والعكبري في التبيان ١/ ٣٣٣، والهمداني في الفريد ٢/ ١٤٩، وانظر: الدر المصون ٤/ ٦٣٣.
(٦) انظر: تفسير الطبري ٧/ ١٩٣، وابن عطية ٥/ ١٩٩.
(٧) ذكره المؤلف في الوسيط ١/ ٣٧.

٤٤. قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ . قال ابن عباس : «تركوا ما وعظوا به»[١] ، وتأويله : تركوا العمل به ، وقال مقاتل : «تركوا ما دعاهم إليه الرسل»[٢] ، وقال أصحاب اللغة : «وإنما كان النسيان بمعنى الترك ؛ لأن التارك للشيء إعراضاً قد صيَّره بمنزلة ما قد نُسي»[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ قال ابن عباس : «بركات من السماء والأرض ، يريد النعمة والسرور»[٤] .

وقال مقاتل : «﴿ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ من الخير بعد الضُّر الذي كانوا فيه»[٥][٦] .

وقال الزَّجَّاج : «﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ كان مغلقاً عنهم من الخير ، ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا ﴾ ؛ أي حتى إذا ظنوا أنه ما كان نزل بهم لم يكن انتقاماً من الله ، وأنهم لمَّا فتح عليهم ظنوا أن ذلك باستحقاقهم ﴿ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً ﴾ ؛

---

(١) ذكره المؤلف في الوسيط ١/ ٣٧ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٣٩ ، وأخرج الطبري في تفسيره ٧/ ١٩٣ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٩٠ بسند جيد عن ابن عباس في الآية قال : «يعني : تركوا ما ذكروا به» ، وانظر : الدر المنثور ٣/ ٢٢ .

(٢) تفسير مقاتل ١/ ٥٦١ .

(٣) انظر : العين ٧/ ٣٠٤ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٥٦٥ ، والصحاح ٦/ ٢٥٠٨ ، ومقاييس اللغة ٥/ ٤٢١ ، والمفردات ٨٠٣ ، واللسان (نسي) ٧/ ٤٤١٦ .

(٤) قال الواحدي في الوسيط ١/ ٣٧ : «قال ابن عباس ومقاتل والسُّدِّي : رخاء الدنيا ويسرها وسرورها» . اهـ ، وجاء في تنوير المقباس ٢/ ١٩ : «﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ من الزهرة والخصب والنعيم» . اهـ . وأخرج الطبري في تفسيره ٧/ ١٩٣ بأسانيد جيدة عن مجاهد ، قال : «رخاء الدنيا ويسرها على القرون الأولى» ، وعن قتادة قال : «يعني الرخاء وسعة الرزق» ، وعن السُّدِّي قال : «يقول من الرزق» ، واللفظ عام يشمل الجميع .

(٥) تفسير مقاتل ١/ ٥٦١ .

(٦) هنا حصل اضطراب في ترتيب نسخة (ش) ، حيث وقع ١٠٠ ب في ١١٩ ب .

أي فاجأهم عذابنا من حيث لا يشعرون»[١]. قال الحسن: «في هذه الآية مكر بالقوم، ورب الكعبة»[٢].

وقال ﷺ: «إذا رأيت الله يعطي على المعاصي فإن ذلك استدراج من الله»، ثم تلا هذه الآية[٣].

قال أهل المعاني: «إنما أخذوا في حال الرخاء ليكون أشد لتحسرهم على ما فاتهم من حال السلامة والعافية والتصرف في ضروب اللذة إلى حال البلية والنقمة»[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ قال ابن عباس: «آيسون من كل خير»[٥]، وهو قول مقاتل[٦].

---

(١) معاني القرآن للزَّجّاج ٢/ ٢٤٨، وقال النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٢٤: «التقدير عند أهل اللغة: فتحنا عليهم أبواب كل شيء مغلقاً عنهم». اهـ. انظر: معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٣٥.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٤/ ١٢٩١ بسند ضعيف، وذكره أكثرهم. انظر: الوسيط ١/ ٣٨، وابن الجوزي ٣/ ٣٩، والرازي ١٢/ ٢٢٦، وابن كثير ٢/ ١٤٩، والبيضاوي ١/ ٣٠١، والفتح السماوي للمناوي ٢/ ٦٠٥، وفيه «أن البيضاوي جعله من قول النبي ﷺ، وقال السيوطي: لم أقف عليه مرفوعاً، وإنما هو من قول الحسن». اهـ

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٤٥، والزهد ١٨، وابن أبي الدنيا في كتاب الشكر ٨٠، رقم ٣٢، والطبري ٧/ ١٩٥، والدولابي في الكنى ١/ ٢١٧، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٩١، والطبراني في الكبير ١٧/ ٣٣١، رقم ٩١٣، والواحدي في الوسيط: ١/ ٣٨ من طرق جيدة يقوِّي بعضها بعضاً، وصحَّحه أبو حيان في البحر: ٤/ ١٣٠، وحسَّنه محقق مرويات أحمد في التفسير ٢/ ١٠٣، وقال الألباني في الصحيحة ١/ ٥/ ١٣، رقم ٤١٤: «هو عندي صحيح بالمتابعة». اهـ. انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ١٤٩، ومجمع الزوائد ٧/ ٢٠، ١٠/ ٢٤٥، والدر المنثور ٣/ ٢٢.

(٤) ذكره الرازي في تفسيره ١٢/ ٢٢٦.

(٥) تنوير المقباس ٢/ ١٩، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٣٩، وابن الجوزي ٣/ ٣٩، وابن كثير ٢/ ١٤٩، وروى أبو عبيد ٩٥، وابن حسنون ٣٦، والوزان ٦ أ، كلهم في اللغات في القرآن بسند جيد عنه، قال: «آيسون بلغة كنانة»، وفي البحر ٤/ ١٣١، عنه قال: «متحيرون».

(٦) تفسير مقاتل ١/ ٥٦١.

وقال الفرَّاء : «المبلس : اليائس المنقطع رجاؤه ، ولذلك قيل للذي يسكت عند انقطاع حجته أو لا يكون عنده جواب : [قد][١] أبلس[٢] .

قال العجاج :

يا صَاحِ هَلْ تَعْرِفُ رَسْماً مُكْرَسَا ... قَالَ نَعَمْ أَعْرِفُهُ وأَبْلَسَا[٣]

أي لم يُحِرْ إليَّ جواباً»[٤] .

وقال الزَّجَّاج : «المبلس : الشديد الحسرة اليائس الحزين»[٥] . فالإبلاس في اللغة[٦] يكون بمعنى اليأس من النجاة عند ورود الهلكة ، ويكون بمعنى انقطاع الحجة ، ويكون بمعنى الحيرة بما يرد على النفس من البلية ، وهذه المعاني متقاربة[٧] .

وقال ابن الأنباري : «في قوله : ﴿أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ عمَّ وجمع تأكيداً وتشديداً ، كما يقول القائل : أكلنا عند فلان كل شيء وكنَّا عنده في كل سرور» .

---

(١) لفظ : (قد) ساقط من (ش) .

(٢) في (ش) : (أبليس) ، وهو تحريف .

(٣) ديوانه ١/ ١٨٥ ، ومجاز القرآن ١/ ١٩٢ ، والكامل للمُبرِّد ٢/ ١٩١ ، والطبري ٧/ ١٩٥ ، ١١/ ٣٦٣ ، وتهذيب اللغة ١/ ٣٨٥ ، والصحاح ٣/ ٩٠٩ ، والماوردي ٢/ ١١٤ ، وابن الجوزي ٣/ ٤٠ ، والقرطبي ٦/ ٤٢٧ ، واللسان (بلس) ١/ ٣٤٣ ، (كرس) ٧/ ٣٨٥٤ . المكرس (بكسر فسكون) : المتلبد من آثار الأبوال والأبعار حتى صار طرائق بعضه على بعض ، وأبلس : سكت .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٣٠ ، والرجز فيه غير منسوب .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٤٩ .

(٦) انظر : العين ٧/ ٢٦٢ ، والجمهرة ١/ ٣٤٠ ، وتهذيب اللغة ١/ ٣٨٥ ، والصحاح ٣/ ٩٠٩ ، ومقاييس اللغة ١/ ٣٠٠ ، ومجمل اللغة ١/ ١٣٥ ، والمفردات ١٤٣ ، واللسان (بلس) ١/ ٣٤٣ .

(٧) هذا معنى كلام الطبري في تفسيره ٧/ ١٩٥ ، والسجستاني في نزهة القلوب ٤٢٢ ، وانظر : مجاز القرآن ١/ ١٩٢ ، وغريب القرآن لليزيدي ١٣٦ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٦٤ ، وذكر مثل كلام الواحدي الرازي في تفسيره ١٢/ ٢٢٦ .

يريد بهذا العموم تكثير مـا يصفه والإطناب فيه ، ومثله قوله تعالى : ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل :٢٣][(١)] .

٤٥. قوله تعـالى : ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ۚ﴾ الدابر : التابع[(٢)] [للشيء من خلفه ؛ كالولد للوالد .

قـال الليث : «الدبر التابع[(٣)]] يقال : دبر فلان القوم يدبرهم دبراً ودبوراً إذا كان آخرهم»[(٤)] .

قال أمية بن أبي[(٥)] الصلت :

فَاستؤصلُوا بِعَذَابٍ حَصَّ دَابِرَهُمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ صَرْفاً وَلا انْتَصَرُوا[(٦)]

وقال أبو عبيدة : «﴿دَابِرُ ٱلْقَوْمِ﴾ : آخرهم الذي يدبرهم[(٧)] ، وأنشد :

آلُ الـمُهَـلَّبِ جَـذَّ اللهُ دابِـرَهُمْ أَضْحَوْا رَمَاداً فلا أصْلٌ ولا طَرَفُ»[(٨)] .

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٣٩ .

(٢) انظر : جمهرة اللغة ١/ ٢٩٦ ، والصحاح ٢/ ٦٥٣ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٣٢٤ ، ومجمل اللغة ٢/ ٣٤٥ ، والمفردات ٣٠٧ ، وعمدة الحفاظ (دبر) ١٧٣ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٤) النص في العين ٨/ ٣٢ ، والرازي ١٢/ ٢٢٦ ، والدر المصون ٤/ ٦٣٥ بلا نسبة ، ولعل الواحدي تأثر برأي الأزهري في تهذيب اللغة ٢/ ١١٤٢ ؛ إذ زعم أن العين لليث وليس للخليل .

(٥) لفظ : (أبي) ساقط من (ش) .

(٦) ديوانـه ٣٨٩ ، والطبري ٧/ ١٩٦ ، والرازي ١٢/ ٢٢٦ ، والقرطبـي ٦/ ٤٢٧ ، والبحر ٤/ ١٤١ ، والدر المصون ٤/ ٦٣٥ . حص : لم يبق شيئاً ، والحص (بالفتح) : حلق الشعر . انظر : اللسان (حص) ٢/ ٨٩٩ .

(٧) مجاز القران ١/ ١٩٢ .

(٨) الشـاهد لجرير في ديوانه ٣٠٨ ، ومجاز القرآن ٢/ ٤٠ ، والكامل للمُـبرِّد ٣/ ١٣٥ . الجذ (بالفتح) : القطع المستأصل . انظر : اللسان (جذ) ١/ ٥٩١ .

وقال الأصمعي وغيره : «الدابر : الأصل ، يقال : قطع الله دابره ؛ أي أذهب الله أصله ، وأنشده[١] :

فِدًى لـكُـمَا رِجْلَيَّ رحـلي وناقتي غَــداةَ الــكُلَّابِ إذْ تُحَــزُّ الدَّوابِــرُ

أي يقتل القوم فتذهب[٢] أصولهم ولا يبقى لهم أثر»[٣] .

وقال ابن بزرج[٤] : «دابر الأمر : آخره . ودابر الرجل : عقبه ، وقولهم : قطع الله دابرهم : دعاء عليه[٥] بانقطاع العقب حتى لا يبقى أحد يخلفه»[٦] .

فأمَّا التفسير فقال الكلبي : «﴿دَابِرُ ٱلْقَوْمِ﴾ غابرهم الذي يتخلف في آخر القوم»[٧] ، ونحو ذلك قال قطرب[٨][٩] .

---

(١) الشاهد لوعلة بن الحارث الجرمي شاعر جاهلي ، في اللسان ٣/ ١٣١٨ ، والتاج (دبر) ٦/ ٣٨٨ ، وهو للحارث بن وعلة الجرمي في المفضليات ١٦٥ ، وبلا نسبة في الزاهر ١/ ٤٦٥ ، وتهذيب اللغة (دبر) ١٤/ ١١١ ، وفي هذه المصادر : (أمي وخالتي) بدل :(رحلي وناقتي) ، وفي الزاهر : (رجلاي) بدل مِن : (رجلي) . الكلاب (بالضم) : هو يوم كلاب الثاني بين تميم واليمن حيث أكثرت تميم من قتلهم وحز عراقيبهم ، وتحز : تقطع ، والدوابر الأصول : أي يقتل القوم فتذهب أصولهم ولا يبقى لهم أثر . انظر : حاشية المفضليات .

(٢) في (ش) : (فيذهب) .

(٣) النص عن الأصمعي في المصادر السابقة سوى المفضليات .

(٤) عبدالرحمن بن بزرج اللغوي ، تقدمت ترجمته .

(٥) في (ش) : (عليهم) .

(٦) تهذيب اللغة ٢/ ١١٤٢ .

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٣٩ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٤٠ ، ٤١ .

(٨) محمد بن المستنير بن أحمد اللغوي النحوي أبو علي البصري ، تقدمت ترجمته .

(٩) ذكره الثعلبي ١٧٧ ب .

وقال السُّــدِّي وابن زيد : «﴿دَابِرُ ٱلْقَوْمِ﴾ : أصل القوم»[١] ، والمعنى : قُطع خلفهم من نسـلهم وغيرهم ، فلم تبقَ[٢] لهم باقية ؛ لأنهم استؤصلوا بالعذاب . وأحسب الذين فسَّروا الدابر بالأصل ذهبوا إلى أن الأصل يبقى ببقاء النسل ، فإذا انقطع النسـل[٣] انقطع الأصل وذهب ، ففي قطع الدابر قطع الأصل ، وحقيقة تفسير الدابر الآخر[٤] والعقب والأصل معنى وليس بتفسير .

وقوله تعـالى : ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قـال الزَّجَّـاج[٥] : «حمد الله -عز وجل- نفسه على أن قطع دابرهم واسـتأصل شأفتهم»[٦] ، ومعنى هذا أن قطع دابرهم نعمة على الرسل الذين أرسل إليهم فكذبوهم ، فذكر الحمد هاهنا تعليم لهم ولِمَن آمن بهم ليحمدوا الله تعالى على كفايته إياهم شر الذين ظلموا ، وليحمد محمد ﷺ وأصحابه ربهم إذ أهلك المشركين المكذبين[٧] .

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ١٩٦ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٩٣ بسند جيد عن السُّدِّي ، ولفظه : «قطع أصل الذين ظلموا» ، وعن عبدالرحمن بن زيد ، ولفظه : قال : «اسـتؤصلوا» ، وذكره السـيوطي في الدر ٣/ ٢٣ .

(٢) في (ش) : (فلم يبق) .

(٣) في (ش) : (فإذا انقطع الأصل وذهب ففي قطع الدابر) .

(٤) هذا قول أكثر أئمة اللغة والتفسـير . انظر : المصادر السـابقة في دبر ، وانظر : غريب القرآن لليزيدي ١٣٧ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٦٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٢٥ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ٢٠١ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٤٩ ، وجاء بعده : «لأنه جل وعز أرسـل إليهم الرسـل ، وأنظرهم بعد كفرهم ، وأخذهم بالبأسـاء والضراء ، فبالغ جل وعز في إنذارهم وإمهالهم فحمد نفسه ؛ لأنه محمود في إمهاله مَن كفر به وانتظاره توبته» .

(٦) الشـأفة : قرحة تخرج في أسـفل القدم فتكوى فتذهب ؛ أي إذا قطعت مات صاحبها ، واستأصل الله شأفته : أذهبه كما تذهب تلك القرحة ، أو أزاله من أصله . انظر : القاموس (شأفه) ٨٢٢ .

(٧) انظر : تفسير الطبري ٧/ ١٩٦ ، والبغوي ٣/ ١٤٤ ، والرازي ١٢/ ٢٢٦ .

٤٦. قوله تعالى : ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ ، قال ابن عباس : «يريد : فلا يسمعون القرآن[١] ، ولا يبصرون[٢] سبل الهدى ، ولا يفهمون[٣] ثواباً ، ولا يخافون عقاباً»[٤] .

وقال الكلبي : «أي ﴿أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾ فلا تسمعوا موعظة ، ﴿وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ فلا تبصروا الحق ، ﴿وَخَتَمَ﴾ وطبع ﴿عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ فلم تعرفوا[٥] الحق ولم تعقلوا الهدى»[٦] ، ونحوَ هذا قال مقاتل[٧] .

وقوله تعالى : ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾ ﴿مَّنْ﴾ رُفِع بالابتداء وخبره ﴿إِلَٰهٌ﴾ ، و﴿غَيْرُ﴾ صفة له[٨] .

---

(١) في (أ) : (فلا تسمعوا القرآن) .

(٢) في (أ) : (ولا تبصرون سبيل الهدى) .

(٣) في (أ) : (ولا تفهمون) .

(٤) جاء في تنوير المقباس ٢/ ٢٠ ، قال : «﴿إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾ فلم تسمعوا موعظة ولا هدى ﴿وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ فلم تبصروا الحق ﴿وَخَتَمَ﴾ طبع ﴿عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ فلم تعقلوا الحق والهدى» . اهـ

(٥) في (ش) : (يعرفوا الحق) .

(٦) تنوير المقباس ٢/ ٢٠ ، وانظر : مجاز القرآن ١/ ١٩٢ .

(٧) قال مقاتل في تفسيره ١/ ٥٦١ : «﴿قُلْ﴾ لكفار مكة يا محمد ﴿أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ فلم تسمعوا شيئاً ﴿وَخَتَمَ﴾ يعني : وطبع ﴿عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ فلم تعقلوا شيئاً» . اهـ

(٨) انظر : التبيان ٣٣٤ ، والفريد ٢/ ١٥٠ ، والدر المصون ٤/ ٦٣٦ . وفيها : «﴿مَّنْ﴾ استفهام في موضع رفع بالابتداء ، و﴿إِلَٰهٌ﴾ خبر ، و﴿غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ صفة الخبر» . اهـ

وقوله تعالى : ﴿يَأْتِيكُم بِهِ﴾ قال الزَّجَّاج : «هذه الهاء تعود على معنى الفعل المعني ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم﴾ ما أُخذ منكم» ، قال : «ويجوز أن يعود على السمع ويكون ما عطف على السمع داخلاً في القصة معه إذا كان معطوفاً عليه»[(١)] .

قال الحسين[(٢)] بن الفضل[(٣)] : «المخاطبة للمؤمنين ؛ لأن الكفار كانوا صمّاً بكماً عمياً لا يعقلون ؛ لأن[(٤)] الله قد أخذها منهم ، وكأنه يقول للمؤمنين : أرأيتم إن أخذها الله منكم فمَن يردها عليكم»[(٥)] .

واختلفوا في قوله : ﴿بِهِ ٱنظُرْ﴾ ، فروى المسيبي[(٦)] عن نافع : (بِهُ انْظُرْ) بضم الهاء[(٧)] ، هو على لغة مَن يقرأ : ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص : ٨١][(٨)]

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٤٩ ، ولم يذكر إلاّ الوجه الأخير فقط ، وذكر الوجه الأول عن الزَّجَّاج ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٤١ ، وقد ذكر الوجهين الأخفش في معاني القرآن ٢/ ٢٧٥ ، والنحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٢٦ ، وذكر الفرَّاء في معاني القرآن ١/ ٣٣٥ : «أنها تعود على الجميع السمع والبصر والختم على الأفئدة» ، وقال : «وقد يقال : إن الهاء التي في «به» كناية عن الهدى ، وهو كالوجه الأول» . انظر : تفسير الطبري ٧/ ١٩٦ ، ١٩٧ ، والفريد ٢/ ١٥٠ ، والدر المصون :٤/ ٦٣٦ .

(٢) في (ش) : (الحسن) ، وقد ورد كذلك في بعض المصادر . انظر : مقدمة كتاب الأمثال له ١١ـ١٤ .

(٣) الحسين بن الفضل بن عمير بن قاسم بن كيسان البجلي ، تقدمت ترجمته .

(٤) في (أ) : (كان الله) .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) إسحاق بن محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله بن المسيب المخزومي أبو محمد المدني ، إمام جليل صدوق عالم بالحديث ، قيم في قراءة نافع ضابط لها ، محقق فقيه ، ورمي بالقدر ، توفي سنة ٢٠٦هـ . انظر : الجرح والتعديل ٢/ ٢٣٤ ، ومعرفة القرَّاء ١/ ١٤٧ ، وميزان الاعتدال ١/ ٢٠٠ ، وغاية النهاية ١/ ١٥٧ ، وتهذيب التهذيب ١/ ١٢٧ . المسيبي (بالضم ، وفتح السين ، والباء المشددة ، وبعدها ياء) : نسبة إلى الجد الأعلى . انظر : اللباب ٢/ ٢١٤ .

(٧) روى المسيبي عن نافع : (بِهُ انْظُرْ) بضم الهاء ، وقرأ الباقون بكسرها . انظر : السبعة ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، وإعراب القراءات ١/ ٧٢ ، والتذكرة ٢/ ٣٩٨ .

(٨) القراءة المشهورة بكسر الهاء من ﴿بِهِۦ وَبِدَارِهِ﴾ ، وقرأ شيبة بن نصاح المدني المقرئ بالضم فيهما . انظر : إعراب القراءات ١/ ٧٣ ، وذكر القراءة بالواو أبو علي في الحجة ٣/ ٣١٠ بلا نسبة .

فحذف الواو لالتقاء الساكنين فصار ﴿بِهِ ٱنظُرْ﴾ ، والباقون يكسرون الهاء[١] .

قال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾ ؛ «أي لا يقدر هؤلاء الذين تعبدون أن يجعلوا لكم أسماعاً وأبصاراً وقلوباً تعقلون[٢] بها وتفهمون»[٣] ، وهذا يدل على أن الآية في الكفار ، وكذلك باقي الآية يدل على هذا ، وحينئذٍ يحمل أخذ هذه الأعضاء على إذهابها أصلاً ، يقول : «إنْ أخذها حتى لا تبصروا ولا تسمعوا بتةً مَن يردها عليكم»[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ﴾ قال الكلبي : «يبين لهم في القرآن الآيات»[٥] .

وقال أهل المعاني : «معنى تصريف الآيات : توجيهها في الجهات التي تظهرها أتمَّ الإظهار» .

---

(١) ما تقدم قول أبي علي في الحجة ٣/ ٣١٠ ، وانظر : معاني القراءات ١/ ٣٥٤ ، والدر المصون ٤/ ٦٣٧ .

(٢) في (ش) : (يعقلون بها ويفهمون) .

(٣) جاء في تنوير المقباس ٢/ ٢٠ نحوه ، قال : «﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ (يعني : الأصنام) ﴿يَأْتِيكُم بِهِ﴾ بما أخذ الله منكم» . اهـ

(٤) الأولى العموم ، وهو قول الجمهور ، وأول ما يدخل في ذلك الكفار ، إلاّ أن ظاهر الآية والسياق يدل على أن المراد الكفار والله سبحانه يخبرهم أنه كامل القدرة ولا أحد يأتي بها أخذ منهم ، فيجب إفراده بالعبادة وقد يذهب الله تعالى المعاني القائمة في هذه الجوارح أو يذهب الجوارح والأعراض جميعاً فلا يبقي شيئاً ، وهو قول الأكثر . انظر : الطبري ٧/ ١٩٧ ، والسمرقندي ١/ ٤٨٦ ، والبغوي ٣/ ١٤٤ ، وابن عطية ٥/ ٢٠٢ ، والقرطبي :٦/ ٤٢٨ .

(٥) تنوير المقباس ٢/ ٢٠ .

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ قال الليث: «الصدوف: الميل عن الشيء»[(١)]، وقال أبو عبيد: «صدف، ونكب: عدل»[(٢)].

وقال ابن عباس[(٣)]، والحسن[(٤)]، ومجاهد[(٥)]، وقتادة[(٦)]، والسُّدِّي[(٧)] في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾: «يعرضون»[(٨)]. قال عدي بن الرقاع:

إِذَا ذَكَرْنَ حَدِيثاً قُلْنَ أَحْسَنَهُ ... وهُنَّ عَنْ كُلِّ سُوءٍ يُتَّقَى صُدُفُ[(٩)]

---

(١) تهذيب اللغة ٢/ ١٩٩٠، وانظر: العين ٧/ ١٠٢.

(٢) تهذيب اللغة ٢/ ١٩٩٠، وانظر: الجمهرة ٢/ ٦٥٥، والصحاح ٤/ ١٣٨٤، والمجمل ٢/ ٥٥٢، والمفردات ٤٧٨، واللسان (صدف) ٤/ ٢٤١٦.

(٣) أخرجه أبو عبيد: ص ٩٦، وابن حسنون ٢٤، والوزان ٣ ،ب؛ كلهم في اللغات بسند جيد، وهو في مسائل نافع بن الأزرق ١١٣، والوسيط ١/ ٤٠، والقرطبي ٦/ ٤٢٨، والبحر المحيط ٤/ ١٣٢، وأخرج الطبري في تفسيره ٧/ ١٩٧، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٩٤ بسند جيد عن ابن عباس قال: «﴿يَصْدِفُونَ﴾ يعدلون»، وذكره ابن كثير ٢/ ١٥٠، والسيوطي في الدر ٣/ ٢٣.

(٤) ذكره القرطبي ٦/ ٤٢٨، وأبو حيان في البحر ٤/ ١٣٢ عن الحسن البصري.

(٥) تفسير مجاهد ١/ ٢١٤، وأخرجه الطبري ٧/ ١٩٧، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٩٤ بسند جيد، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٢٤.

(٦) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ١/ ٢٠٦، ٢٠٧، والطبري ٧/ ١٩٧ بسند جيد، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٢٩٤ عن قتادة وأبي مالك، وذكره أيضاً الواحدي في الوسيط ١/ ٤٠، والقرطبي ٦/ ٤٢٨، وابن كثير ٢/ ١٥٠.

(٧) ذكره القرطبي ٦/ ٤٢٨، وأبو حيان في البحر ٤/ ١٣٢، وأخرج الطبري ٧/ ١٩٧، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٩٤ بسند جيد عن السُّدِّي قال: «﴿يَصْدِفُونَ﴾ يصدون»، وذكره ابن كثير في تفسيره ٢/ ١٥٠.

(٨) هذا قول أكثر أهل اللغة والتفسير. انظر: مجاز القرآن ١/ ١٩٢، وغريب القرآن لليزيدي ١٣٧، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١/ ١٦٤، وتفسير السمرقندي ١/ ٤٨٦، وابن عطية ٥٢/ ٢٠٢.

(٩) ديوانه ٦٣، والطبري ٧/ ١٩٧، وابن عطية ٥/ ٢٠٢، والقرطبي ٦/ ٤٢٨، والبحر ١/ ١١٧، والدر المصون ٤/ ٦٣٦. صدف؛ أي معرض.

قال أبو إسحاق : «أَعلَمَ الله -عز وجل- أنه يُصرف لهم الآيات ، وهي العلامات التي تدل على توحيده وصحة نبوة نبيه ﷺ ، ثم هم يعرضون عما وضح لهم وظهر عندهم»[(١)] .

٤٧. قوله تعالى : ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾ . قال ابن عباس والحسن : «ليلاً أو نهاراً»[(٢)] ، وقال الكلبي : «فجأةً أو علانيةً»[(٣)] .

قال أهل المعاني : «نقيض الجهرة الخفية ، وهاهنا قوبل بالبغتة ؛ لأن البغتة متضمنة معنى الخفية ؛ لأنه يأتيهم من حيث لا يشعرون ، فخفى[(٤)] سببه»[(٥)] .

وقوله تعالى : ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ قال ابن عباس : «يريد : الذين جعلوا لله شركاء»[(٦)] ، وقال الزَّجَّاج : «أي ﴿هَلْ يُهْلَكُ﴾ إلَّا أنتم ومَن أشبهكم ؛ لأنكم كفرتم وأنتم معاندون وقد علمتم أنكم ظالمون»[(٧)] .

٤٨. ٤٩ قوله تعالى : ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الآية . قال أبو إسحاق : «أي ليس إرسالهم أن يأتوا الناس بما يقترحون عليهم من الآيات إنما يأتون من الآيات بما يبين براهينهم ، وإنما قصدهم التبشير والإنذار»[(٨)] ، ثم

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٤٩ .

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٤١ ، والبغوي ٣/ ١٤٥ عن ابن عباس والحسن ، وذكره هود الهواري في تفسيره ١/ ٥٢٦ ، وابن عطية ٥/ ٢٠٣ ، والقرطبي ٦/ ٤٢٩ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ١٣٢ عن الحسن فقط ، وذكره الخازن في تفسيره ٢/ ١٣٤ عن ابن عباس فقط .

(٣) تنوير المقباس ٢/ ٢٠ .

(٤) في (ش) : (فيخفى) .

(٥) انظر : تفسير الرازي ١٢/ ٢٢٨ .

(٦) انظر : تفسير البغوي ٣/ ١٤٥ ، وتنوير المقباس ٢/ ٢٠ .

(٧) معاني القرآن ٢/ ٢٥٠ .

(٨) معاني القرآن ٢/ ٢٥٠ ، وانظر : معاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٢٧ .

ذكر ثواب المصدِّق في باقي الآية وعقاب المكذِّب في الآية الثانية، وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ﴾ [الأنعام: ٤٩]، ومعنى المسِّ[١] في اللغة: التقاء الشيئين من غير فصل، وقيل: ﴿يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ﴾ لأنه يحل فيهم وكأنه مُماسٌّ لهم، والفرق[٢] بينه وبين اللمس أن اللمس مماسه بحاسة، والمسَّ قد يكون بحاسة وبغير حاسة؛ لأن الحجر يماسُّ الحجر ولا يلمسه[٣].

٥٠. قوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ الآية. الخزائن[٤]: جمع الخِزانة، وهي اسم المكان الذي يُخزن فيه الشيء. وخَزْنُ الشيء إحرازُه بحيث لا تناله[٥] الأيدي، والخزانة أيضاً عمل الخازن[٦]. قال ابن عباس[٧]: «يريد: خزائن رحمة الله».

---

(١) المسُّ أصله: جَسُّ الشيء باليد ومسكه بها. انظر: العين ٧/ ٢٠٨، والجمهرة ١/ ١٣٥، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٣٩٨، والصحاح ٣/ ٩٧٨، ومقاييس اللغة ٥/ ٢٧١، والمفردات ٧٦٦، واللسان (مس) ٧/ ٤١٩٥.

(٢) في (أ): (في الفرق)، وهو تحريف.

(٣) اللمس: الجس أيضاً، وأصله: المس باليد ليعرف مَسَّ الشيء، ثم كثر حتى صار كل طالب مُلتمِساً. انظر: العين ٧/ ٢٦٨، والجمهرة ٢/ ٨٥٩، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٢٩٦، والصحاح ٣/ ٩٧٥، والمجمل ٣/ ٧٧٤، ومقاييس اللغة ٥/ ٢١٠، والمفردات ٧٤٧، واللسان (لمس) ٧/ ٤٠٧٢. قال العسكري في الفروق ٢٤٩، ٢٥٠: «الفرق بينهما أن اللمس يكون باليد خاصة لمعرفة الشيء، والمس يكون باليد وبالحجر وغير ذلك، ولا يقتضي أن يكون باليد». اهـ بتصرف

(٤) انظر: العين ٤/ ٢٠٩، والجمهرة ١/ ٥٩٦، والصحاح ٥/ ٢١٠٨، ومقاييس اللغة ٢/ ١٧٨، والمفردات ٢٨٠، واللسان (خزن) ٢/ ١١٥٤.

(٥) في (ش): (يناله).

(٦) هذا قول الأزهري في تهذيبه ١/ ١٠٢٧.

(٧) في تنوير المقباس ٢/ ٢١: «مفاتيح خزائن الله من النبات والثمار والمطر والعذاب». اهـ

وقال الكلبي[١] : «أي رزق الله» .

وقوله تعالى : ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ قال ابن عباس : «يريد : عاقبة ما يصيرون إليه»[٢] ، وقال الكلبي[٣] : «يعني : نزول ذلك الرزق عليَّ ، ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ﴾[٤] فتنكروا قولي وتجحدوا أمري» .

وقوله تعالى : ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ قال ابن عباس : «يريد : ما أخبركم إلَّا بما أنزله الله إليَّ»[٥] .

وقال الكلبي[٦] : «أي ما أعمل إلَّا بما ينزل عليَّ» .

وقال أبو إسحاق : «أعلمهم النبي -عليه السلام- أنه لا يملك خزائن الله التي منها يرزق ويعطي ولا يعلم الغيب فيخبركم بما غاب عنه مما مضى ومما سيكون إلَّا بوحي من الله -عز وجل- وليس بمَلك يشاهد من أمور الله -عز وجل- ما لا يشاهده البشر : ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾[٧] ؛ أي ما أنبأتكم به من غيب في ما مضى وفي ما سيكون فهو بوحي من الله عز وجل»[٨] .

---

(١) ذكره الماوردي ٢/ ١١٥ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ١٣٣ . والأولى العموم ، ويحمل ما ورد على بيان بعض الأنواع ، فالخزائن لفظ عام يشمل الغيب والرحمة والقدرة والعذاب وغيره . انظر : الطبري ٧/ ١٩٩ ، والسمرقندي ١/ ٤٨٦ ، والبغوي ٣/ ١٤٥ ، والقرطبي ٦/ ٤٣٠ .

(٢) في تنوير المقباس ٢/ ٢١ : «أي من نزول العذاب ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ﴾ من السماء» . اهـ

(٣) لم أقف عليه .

(٤) في النسخ : (وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ) ، وهو تحريف .

(٥) لفظ : (إلي) ساقط من (أ) ، والأثر لم أقف عليه .

(٦) تنوير المقباس ٢/ ٢١ .

(٧) في (أ) : «﴿إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ﴾ ؛ أي إلي ما أنبأتكم به» ، وهو تحريف .

(٨) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٥٠ ، وهذا قول الأكثر . انظر : أيضاً الطبري ٧/ ١٩٩ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٢٧ ، والسمرقندي ١/ ٤٨٦ ، والماوردي ٢/ ١١٦ ، والبغوي ٣/ ١٤٥ .

وقال أهل العلم[١] في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾: «يدل بظاهره على[٢] أن الرسل لا يجتهدون ولا يقيسون، والصحيح من مذهب الشافعي أنهم يقيسون ويجتهدون، وعنده أن القياس على النصوص بالوحي اتباع للوحي»[٣].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ قال ابن عباس: «يريد: بالأعمى: الكافر، ﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾ الذي قد أبصر دينه»[٤].

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾: «الكافر والمؤمن»[٥].

وقال سعيد بن جبير[٦] ومجاهد[٧]: «الضالُّ، والمهتدي»، وقيل: «الجاهل، والعالم»[٨].

---

(١) في (ش): (المعاني).

(٢) في (ش): (إلى)، وهو تحريف.

(٣) انظر: الرسالة للشافعي ٣٩، ٤٠، ٥٠٣-٥١١، وتفسير الرازي ١٢/ ٢٣١. قال القرطبي في تفسيره ٦/ ٤٣٠: «والصحيح أن الأنبياء يجوز منهم الاجتهاد والقياس على النصوص، والقياس أحد أدلة الشرع». اهـ

(٤) تنوير المقباس ٢/ ٢١، وذكره ابن الجوزي ٣/ ٤٣، والبحر ٤/ ١٣٤.

(٥) أخرجه الطبري ٧/ ١٩٩ وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٩٦ بسند جيد، وذكره أكثرهم. انظر: الوسيط ١/ ٤٢، والبغوي ٣/ ١٤٥، وابن الجوزي ٣/ ٤٣، والدر المنثور ٣/ ٢٤، وهو قول مجاهد كما ذكره النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٢٨، والقرطبي ٦/ ٤٣٠.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٤٢، وابن الجوزي ٣/ ٤٣، وأبو حيان في البحر ٤/ ١٣٤.

(٧) تفسير مجاهد ١/ ٢١٥، وأخرجه الطبري ٧/ ١٩٩، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٩٦ من طرق جيدة، وذكره أكثرهم. انظر: الوسيط ١/ ٤٢، والبغوي ٣/ ١٤٥، وابن الجوزي ٣/ ٤٣، والدر المنثور ٣/ ٢٤.

(٨) ذكره الماوردي ٢/ ١١٧، والبغوي ٣/ ١٤٥، والقرطبي ٦/ ٤٣٠، والظاهر العموم إلاّ أن السياق يرجِّح المؤمن والمهتدي والكافر والضال، وهو اختيار أكثرهم. انظر: تفسير مقاتل ١/ ٥٦٢ والطبري ٧/ ١٩٩، والسمرقندي ١/ ٤٨٦، وابن عطية ٥/ ٢٠٥.

(أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ) قال ابن عباس: «يريد: يعتبرون»[(١)][(٢)].

وقال مقاتل: «(أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ)[(٣)] أنهما لا يستويان»[(٤)].

٥١. قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ الآية. معنى الإنذار[(٥)]: الإعلام بموضع المخافة، وهو مما تقدم[(٦)] بيانه[(٧)]، وقوله تعالى: ﴿بِهِ﴾: قال ابن عباس: «يقول: خوِّف بالقرآن»[(٨)].

وقاله الزَّجَّاج[(٩)]، وقال الضحاك: «بالله»[(١٠)].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ﴾ قال ابن عباس[(١١)] والحسن[(١٢)]: «يريد المؤمنين يخافون يوم القيامة وما فيها من شدة الأهوال».

---

(١) في (ش): (تعتبرون).

(٢) انظر: تنوير المقباس ٢/ ٢١، والسمرقندي ١/ ٤٨٦.

(٣) في (أ): (يفكرون)، وهو تحريف.

(٤) تفسير مقاتل ١/ ٥٦٢.

(٥) انظر العين ٨/ ١٨٠، والجمهرة ٢/ ٦٩٥، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٥٤٧، والصحاح ٢/ ٨٢٥، ومقاييس اللغة ٥/ ٤١٤، والمفردات ٧٩٧، واللسان (نذر) ٧/ ٤٣٩٠.

(٦) في (ش): (يقدم)، وهو تحريف.

(٧) انظر: البسيط ٢/ ٤٦٤، ٤٦٥، تحقيق: محمد الفوزان.

(٨) تنوير المقباس ٢/ ٢٢، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٤٢، والرازي ١٢/ ٢٣٢.

(٩) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٥١.

(١٠) ذكره الثعلبي ١٧٧ ب، والرازي ١٢/ ٢٣٢، والأول أولى وهو قول الأكثر. قال الرازي: «هو أولى؛ لأن التخويف إنما يقع بالقول وبالكلام لا بذات الله تعالى»، وهو اختيار مقاتل ١/ ٥٦٢، والطبري ٧/ ٢٠٠، والنحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٢٨، والسمرقندي ١/ ٤٨٦، والبغوي ٣/ ١٤٥، وابن عطية ٥/ ٢٠٦. انظر: القرطبي ٦/ ٤٣٠، والبحر ٤/ ١٣٤.

(١١) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٤٢.

(١٢) ذكره القرطبي في تفسيره ٦/ ٤٣١.

وقال الضحاك[١] : «يعلمون ﴿أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾» .

قال الفرَّاء في قوله تعالى : ﴿يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ : «علماً بأنه سيكون ، ولذلك فسر المفسرون ﴿يَخَافُونَ﴾ : يعلمون»[٢] .

وقال الزَّجَّاج : المراد بالذين «﴿يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ﴾ كل معترف بالبعث من مسلم وكتابي» . قال[٣] : «وإنما خص الذين يخافون الحشر دون غيرهم وهو ﷺ كان ينذر جميع الخلق ؛ لأن ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ الحَشْرَ الحجةُ عليهم أوجب ؛ لاعترافهم بالمعاد»[٤] ، وقال غيره من أهل المعاني : «هم الكفار ؛ لأنهم يشكُّون في الحشر ، ولذلك قال : ﴿يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ﴾»[٥] .

وقوله تعالى : ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ ؛ أي إلى المكان الذي جعله ربهم لمجتمعهم[٦] .

---

(١) لم أقف عليه ، وذكر الطبري ٧/ ٢٠٠ هذا القول : «وضعت المخافة موضع العلم ؛ لأنه خوفهم كان من أجل علمهم بوقوع ذلك ووجوده من غير شك منهم في ذلك» ، وقال ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ١٩١ : «تأتي خاف بمعنى علم . وقوله : ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ ؛ لأن في الخشية والمخافة طرفاً من العلم» . اهـ ، وقال ابن عطية ٥/ ٢٠٦ : «يخافون على بابها وكونها بمعنى العلم غير لازم» . اهـ . انظر : البغوي ٣/ ١٤٥ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٣٦ .

(٣) لفظ : (قال) ساقط من (ش) .

(٤) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٥١ ، والنحاس ٢/ ٤٢٨ .

(٥) انظر : تفسير ابن عطية ٥/ ٢٠٦ ، والرازي ١٢/ ٢٣٢ . قال ابن عطية : «الآية تعمُّ بنفس اللفظ كل مؤمن بالبعث من مسلم وكتابي والنبي ﷺ مأمور بإنذار جميع الخلائق ، وإنما وقع التخصيص هنا بحسب المعنى الذي قصد ، ذلك أن في ما تقدم من الآيات نوعاً من اليأس في الأغلب عن هؤلاء الكفرة . فكأنه قيل له هنا : قل لهؤلاء الكفرة المعرضين كذا ، ودعهم ورأيهم لأنفسهم ، وأنذر هؤلاء الآخرين الذين هم مظنة الإيمان وأهل للانتفاع ، ولم يرد أنه لا ينذر سواهم ، بل الإنذار العام ثابت مستقر» . اهـ ملخصاً .

(٦) انظر : تفسير الرازي ١٢/ ٢٣٣ .

وقولــه تعــالى : ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ موضع ﴿لَيْسَ﴾ نصب بوقوعهــا موقع الحال ، كأنــه قيل : متخلِّين مــن ولي أو شــفيع ، والعامل فيه ﴿يَخَافُونَ﴾[(١)] . قال الضحاك في قوله تعالى : ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾ : «أي غير الله ﴿وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾»[(٢)] .

وقال أبو إسحاق : «إن النصارى واليهود ذكروا أنهم أبناء الله وأحباؤه فأعلم الله -عــز وجل- أن أهل الكفر ليس لهم من دون الله ولي ولا شــفيع»[(٣)] ، وهذا الذي قاله ظاهر في أهل الكفر .

وقــد أجمع المفسرون على أن هذه الآية في المؤمنين ، فيكون معنى قوله تعالى : ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ عــلى قولهم : «إن شــفاعة الرســل والملائكة للمؤمنــين إنما تكون بإذن الله لقوله تعالى : ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة :٢٥٥] ، وذلك راجع إلى الله لما كان بإذن الله»[(٤)] .

وقوله تعالى : ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ قال ابن عبــاس : «كي يخافوا في الدنيا وينتهوا عما نهيتُهم»[(٥)] .

٥٢. قولــه تعــالى : ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾ الآيــة . أخبرنا الشــيخ أبو بكر أحمد بن محمد الحارثــي ، أنبأ أبو محمد عبدالله

---

(١) واختار هذا الزمخشري في الكشــاف ٢/ ٢١ . انظر : تفســير ابن عطية ٥/ ٢٠٦ ، والفريد ٢/ ١٥٢ ، والبحر ٤/ ١٣٥ ، وذكر هذا القول الرازي ١٢/ ٢٣٣٠ عن الزَّجَّاج .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٥١ .

(٤) انظر : تفسير ابن عطية ٥/ ٢٠٦ ، والرازي ١٢/ ٢٣٣ .

(٥) ذكره الرازي ١٢/ ١٩٣ ، وفي تنوير المقباس ٢/ ٢٣ نحوه .

ابن محمد[(١)] بن جعفر ، حدثنا أبو يحيى عبدالرحمن[(٢)] بن محمد الدارمي[(٣)] ، حدثنا سهل بن عثمان[(٤)] العسكري ، حدثنا أسباط[(٥)] ابن محمد ، عن الأشعث[(٦)] بن سوار عن كُرْدُوس[(٧)] ، عن عبدالله بن مسعود قال : «مر الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وعنده صهيب[(٨)]

---

(١) عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري أبو محمد الأصبهاني المعروف بأبي الشيخ ، إمام ورع ثقة محدث مفسر ، له تصانيف جيدة ، توفي سنة ٣٦٩هـ ، وله ٩٥ سنة . انظر : ذكر أخبار أصبهان ٢/ ٩٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٧٦ ، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٩٤٥ ، وغاية النهاية ١/ ٤٤٧ ، وطبقات الداودي ١/ ٢٤٦ .

(٢) عبدالرحمن بن محمد بن سَلْم الرازي أبو يحيى الأصبهاني ، إمام ثقة كثير السماع ، وهو إمام جامع أصبهان ، وكان من أوعية العلم ، صنف التفسير والمسند ، وتوفي سنة ٢٩١هـ ، وله نحو ٨٠ سنة . انظر : طبقات المحدثين لأبي الشيخ ٣/ ٥٣٠ ، وذكر أخبار أصبهان ٢/ ١١٢ ، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٣٠ ، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٩٠ ، وطبقات الحافظ ٣٠٣ ، وطبقات الداودي ١/ ٢٨٨ .

(٣) في (أ) : (ابن الدارمي) ، وهو بفتح الدال ، وسكون الألف ، وكسر الراء ، وبعدها ميم نسبة إلى دارم ابن مالك بطن كبير من تميم . انظر : اللباب ١/ ٤٨٤ ، ولم أجد مَن نسبه إلى ذلك ، وقد جاء السند نفسه عند الواحدي في أسباب النزول ٢٢٠ ، وفيه : «أبو يحيى الرازي عن سهل» .

(٤) سَهْل بن عثمان بن فارس الكندي أبو مسعود العسكري نزيل الري ، إمام حافظ ثقة كثير الفوائد ، وله غرائب ، توفي سنة ٢٣٥هـ ، وله نحو ٨٠ سنة . انظر : الجرح والتعديل ٤/ ٢٠٣ ، وطبقات المحدثين ٢/ ١١٩ ، وأخبار أصبهان ١/ ٣٣٨ ، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٤٥٤ ، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٥٢ ، وتهذيب التهذيب ٢/ ١٢٥ .

(٥) أسباط بن محمد بن عبدالرحمن بن خالد القرشي أبو محمد الكوفي ، إمام ثقة محدث ، توفي سنة ٢٠٠هـ . انظر : طبقات ابن سعد ٦/ ٣٩٣ ، والجرح والتعديل ٢/ ٣٣٣ ، وتاريخ بغداد ٥/ ٤٦ ، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٣٥٥ ، وتهذيب التهذيب ١/ ١٠٩ .

(٦) أشعث بن سوار الكندي النجار القاصُّ ، أحد العلماء ، على لين فيه ، وقد ضعَّفه أكثر أئمة الجرح والتعديل ، توفي سنة ١٣٦هـ . انظر : طبقات ابن سعد ٦/ ٣٥٨ ، والجرح والتعديل ٢/ ٢٧١ ، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٧٥ ، وميزان الاعتدال ١/ ٢٦٣ ، وتهذيب التهذيب ١/ ١٧٨ .

(٧) كُرْدُوس بن عباس الثعلبي الكوفي القاصُّ ، اختُلِف في اسم أبيه ، وهو تابعي مقبول ، توفي بعد المئة . انظر : التاريخ الكبير للبخاري ٧/ ٢٤٢ ، والجرح والتعديل ٧/ ١٧٥ ، وتهذيب التهذيب ٣/ ٤٦٧ ، وتقريب التهذيب ١٧٣٤ .

(٨) صُهَيْبُ بن سِنان بن مالك النَّمِري ، أبو يحيى الرُّومي ، صحابيٌّ جليل ، تقدمت ترجمته .

وخبَّاب[١] وبلال[٢] وعمار وغيرهم[٣] من ضعفاء المسلمين ، فقالوا : يـا محمد ، رضيت بهؤلاء عـن قومك ، أفنحن نكـون تبعاً لهؤلاء[٤] الذين مَنَّ الله عليهـم ! اطردهم عنك فلعلـك إن طردتهم اتبعناك ، فأنزل الله هذه الآية»[٥] .

---

(١) خَبَّابُ بن الأَرَتِّ بن جَندلة بن سـعد التميمي أبو عبدالله ، نزيل الكوفة ، صحابي جليل فاضل عابد ورع شجاع ، شـهد المشـاهد ، وكان من كبار السـابقين البدريين والمعذبين بمكة ، وفضله ومناقبه وثناء الأئمة عليه كثير ، توفي سـنة ٣٧هـ ، وله ٧٣ سنة . انظر : طبقات ابن سعد ٣/ ١٦٤ ، والجرح والتعديل ٣/ ٣٩٥ ، والاسـتيعاب ٢/ ٢١ ، وسـير أعلام النبـلاء ٢/ ٣٢٣ ، والإصابة ١/ ٤١٦ ، وتهذيب التهذيب ١/ ٥٣٩ .

(٢) بلال بن رباح التيمي أبو عبدالله الحبشي ، صحابي جليل فاضل عابد ورع شـجاع ، شـهد المشـاهد ، وكان من كبار السـابقين البدريين والمعذبين بمكة ، وفضله ومناقبه وثناء الأئمة عليه كثير ، توفي سـنة ١٧هـ ، أو بعدها ، وله أكثر من ٦٠ سـنة . انظر : الجرح والتعديل ٢/ ٣٩٥ ، والاستيعاب ١/ ٢٥٨ ، وسير أعلام النبلاء ١/ ٣٤٧ ، والإصابة ١/ ١٦٥ ، وتهذيب التهذيب ١/ ٢٥٣ ، وتهذيب ابن عساكر ٣/ ٣٠٤ .

(٣) في (ش) : (وخباب وعمار وبلال) .

(٤) في (ش) : (نكون تبعاً لهؤلاء ، أهؤلاء الذين مَنَّ الله عليهم) .

(٥) أخرجه أحمد في المسـند ٦/ ٣٦ (٣٩٨٥) ، تحقيق : أحمد شـاكر ، والطبري ٧/ ٢٠٠ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٩٨ ، والواحدي في أسباب النزول ٢١٩ ، ٢٢٠ ، كلهم من هذا الطريق ، وصحَّح إسناده أحمد شـاكر في حاشية المسـند . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢١ : «رواه أحمد والطبراني ، ورجال أحمد رجال الصحيح ، غير كردوس ، وهو ثقة» . اهـ ، وذكره السـيوطي في الدر ٣/ ٢٥ ، وزاد نسبته إلى : «أبي الشيخ وابن مردويه ، وأبي نعيم في الحلية» . انظر : كشف الأستار للهيثمي ٣/ ٤٨ .

وقال خَبَّابُ بن الأَرَتِّ : «كنَّا مع النبي ﷺ أنا وعمار ، وصهيب ، إذ جاء عيينة بن[1] حصن[2] والأقرع[3] بن حابس . فقالا له : إنه[4] لا يحسن بنا الجلوس مع هؤلاء العبيد الفقراء ، فأَقِمْهُم عنك حتى نخلو بك ، فإن وفود العرب تأتيك ، فنستحي أن يرونا مع هؤلاء الأعبُد ، ثم إذا انصرفنا فإن شئت فأعِدهم إلى مجلسك ، فأجابهم النبي ﷺ إلى ذلك ، فقالا له : اكتب لنا بهذا على نفسك كتاباً ، فدعا بصحيفة وأحضر عليّاً -رضي الله عنه- ليكتب ، فأنزلت هذه الآية وما بعدها ، فنحّى رسول الله ﷺ الصحيفة ، وأقبل علينا ، ودنونا منه»[5] .

---

(١) في (ش) : (ابن) ، وهو تحريف .

(٢) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري أبو مالك ، من الأعراب الجفاة المؤلفة قلوبهم ، أسلم قبل الفتح ، وشهد فتح مكة وحنيناً والطائف ، وارتد وتبع طليحة الأسدي ، وقاتل معه ، وأُسِر ، وحُمِل إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فأسلم وتُرِك ، فعاش إلى خلافة عثمان رضي الله عنه . انظر : الاستيعاب ٣/ ٣١٦ ، وتهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٤٨ ، والإصابة ٣/ ٥٤ .

(٣) الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد المجاشعي التميمي ، واسمه فراس ، والأقرع لقبٌ لِقَرعٍ في رأسه ، وهو من المؤلفة قلوبهم ، أسلم وحسن إسلامه وشهد فتح مكة وحنيناً والطائف واليمامة والعراق ، وكان من الأشراف وسادات العرب ، استُشهِد في خراسان نحو سنة ٣١هـ . انظر : الاستيعاب ١/ ١٩٣ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٢٤ ، والإصابة ١/ ٥٨ ، وتهذيب ابن عساكر ٣/ ٨٩ ، والأعلام ٢/ ٥ .

(٤) في (ش) : (إنا لا يحسن) .

(٥) أخرجه ابن ماجه رقم ٤١٢٧ ، كتاب : الزهد ، باب : مجالسة الفقراء ، والطبري في تفسيره ١١/ ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، وابن أبي حاتم ٣/ ٧٢/ ب ، وأبو نعيم في الحلية ١/ ١٤٦ ، والبيهقي في الدلائل ١/ ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، والواحدي في الوسيط ١/ ٤٢_٤٤ ، وفي أسباب النزول ٢٢١ ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٢٥ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة ، وأبي يعلى ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه . وقد ذكر الحديث ابن حجر في المطالب العالية ١٤/ ٦٥١ ، ونقل الأعظمي في حاشيته عن الإمام البوصيري أنه قال : «رواه ابن أبي شيبة وأبو يعلى بسند صحيح» . اهـ

والسند هنا فيه أبو سعد الأزدي مقبول كما في التقريب ٦٤٣ (٨٨١٧) ، وفيه أبو الكنود الأزدي مقبول أيضاً كما في التقريب ٦٦٩ (٨٣٢٨) ، وعليه يحتاج إلى متابعة ، ولم أقف له على متابعة ، وقد ذكره ابن عطية ٥/ ٢٠٧ ، وقال : «هذا تأويل بعيد في نزول الآية ؛ لأنها مكية ، وهؤلاء لم يفدوا إلَّا في المدينة ، ويمكن أن يكون هذا وقع بعد نزول الآية بمدة ، اللهم إلَّا أن تكون الآية مدنية» . اهـ بتصرف ، وقال ابن كثير ٢/ ١٥١ : «هذا حديث غريب ، فالآية مكية والأقرع وعيينة إنما أسلما بعد =

قـال ابن الأنباري : «عظم الأمر في هذا على النبي ﷺ وخاف الدخول في جملة الظالمين ؛ لأنه كان قد همَّ بتقديم الرؤساء وأُولي الأموال على الضعفاء وذوي المسكنة ، مقدِّراً أنه يستَجِرُّ بإسلامهم إسلامَ قومهم وحلفائهم ومَن يلوذ بهم ، وكان -عليه السلام- لا يقصد في ذلك إلَّا قصد الخير ، ولا ينوي ازدراءً بالفقراء ولا احتقاراً ، فأعلمه الله تبارك وتعالى أن ذلك غير جائز»[(١)] .

وأمَّا التفسير فقال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ : «يعبدون ربهم بالصلاة المكتوبة يعني : صلاة الصبح وصلاة العصر»[(٢)] .

فالدعاء هاهنا العبادة في قول ابن عباس ، والحسن[(٣)] ، ومجاهد[(٤)] ، وقتادة[(٥)] ، والضحاك[(٦)] قالوا : «يعبدون الله بالصلاة المكتوبة» .

= الهجرة بدهر» . وذكر قول ابن كثير الشيخ أحمد شاكر في حاشية الطبري ، قال : «هذا هو الحق إن شاء الله» . اهـ

وأصل القصة ثابتة ، ولكن من دون تعيين الأقرع وعيينة ، فقد أخرج مسلم ٢٤١٣ ، كتاب : فضائل الصحابة ، باب : فضل سعد بن أبي وقاص ، وابن ماجه ٤١٢٨ ، والنسائي في تفسيره ١/ ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، والحاكم ٣/ ٣١٩ عن سعد بن أبي وقاص ، قال : «كنَّا مع النبي ﷺ ستة نفرٍ ، منهم أنا وابن مسعود وبلال ، فقال المشركون : تدني هؤلاء ، اطردهم لا يجترئون علينا فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء أن يقع فحدث نفسه فنزلت الآية» . اهـ ملخصاً . انظر : الدر المنثور ٣/ ٢٧٤ .

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٤٦ ، وابن الجوزي في المسير ٣/ ٤٧ ، وانظر : هذا المعنى عند الرازي ١٢/ ٢٣٥ ، والقرطبي ٦/ ٤٣١ .

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف ١٧٨ أ ، والبغوي ٣/ ٤٦ ، والرازي ١٢/ ٢٣٥ ، وأخرج الطبري ٧/ ٢٠٣ ، وابن أبي حاتم :٤/ ١٢٩٨ بسند جيد عن ابن عباس ، قال : «يعبدون ربهم بالصلاة المكتوبة» ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٢٦ .

(٣) أخرجه الطبري ٧/ ٢٠٣ بسند ضعيف ، وذكره هود الهواري في تفسيره ١/ ٥٢٧ ، والثعلبي ١٧٨ أ ، والرازي ١٢/ ٢٣٥ ، والقرطبي ٦/ ٤٣٢ ، وابن كثير ٢/ ١٥١ .

(٤) تفسير مجاهد ١/ ٢١٥ ، وأخرجه الطبري ١١/ ٧/ ٢٠٣ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٩٨ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٢٦ .

(٥) أخرجه الطبري ٧/ ٢٠٤ بسند جيد ، وذكره ابن الجوزي ٣/ ٤٦ ، وابن كثير ٢/ ١٥١ .

(٦) أخرجه الطبري ٧/ ٢٠٤ ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٢٩٨ .

وقال إبراهيم[١] : «الدعاء هاهنا الذكر ؛ أي يذكرون ربهم طرفي النهار»[٢] . وروي عن إبراهيم بخلاف هذا ، وهو أنه قال : «هذا في الصلوات الخمس»[٣] ، وهو قول جميع أهل التأويل[٤] قالوا : «هذا في الصلوات المكتوبات» .

وقرأ ابن عامر : «بِالْغُدْوَةِ»[٥] بالــواو[٦] ، وقال أبو علي : «الوجه قراءة العامة ﴿ بِٱلْغَدَوٰةِ ﴾ ؛ لأنها تســتعمل نكرة وتتعرف[٧] باللام ، فأمَّــا (غدوة) فمعرفة وهو علم صيغ له واســم موضوع[٨] للتعريف وإذا كان كذلك فلا ينبغي أن يُدخل عليه الألف واللام كما لا يُدخل على ســائر الأعــلام ، وإن كانت قد كتبت في المصحف بالــواو لم تدل على ذلك ، ألا ترى أنهم قد كتبوا (الصلوة) بالواو وهي ألف فكذلك (الغداة)» .

قال سيبويه : «غدوة وبكرة جُعِل كل واحد منهما اسماً للحين ، كما جعلوا أم حُبين[٩] اســـمًا لدابة معروفة» . قال : «وزعم يونس عن أبي عمرو أنك إذا قلت :

---

(١) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي ، تقدمت ترجمته .

(٢) أخرجه الطبري ٧/ ٢٠٥ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٩٨ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٢٦ .

(٣) أخرجه الطبري ٧/ ٢٠٤ بسند جيد ، وذكره الماوردي ٢/ ١١٧ ، وابن الجوزي ٣/ ٤٦ .

(٤) أخرجه الطبري ٧/ ٢٠٣ ، ٢٠٤ بسند جيد عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه ، وعن عبدالرحمن بن أبي عمرة الأنصاري ، وعن عامر الشعبي وغيرهم ، والظاهر عموم ذكر الله ، وأول ذلك الصلاة المكتوبة والنوافل وذكره تعالى طرفي النهار ، وهو اختيار الطبري ٧/ ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، وابن عطية ٥/ ٢٠٩ .

(٥) جاء في (أ) : (بالغداة) ، والرسم القرآني ﴿ بِٱلْغَدَوٰةِ ﴾ بالواو .

(٦) قرأ ابن عامر : (بِالْغُدْوَةِ) بضم الغين وســكون الدال وواو بعدها من غير ألف ، وقرأ الباقون بفتح الغين والدال وألف بعدها من غير واو . انظر : السبعة ٢٥٨ ، والمبسوط ١٦٨ ، والتذكرة ٢/ ٣٩٨ ، والتيسير ١٠٢ ، والنشر ٢/ ٢٥٨ .

(٧) في (ش) : (ويتعرف) ، ووضع عليها في (أ) طمس ، والتصحيح من الحجة لأبي علي ٣/ ٣١٩ .

(٨) في (أ) : (موضع) ، وهو تحريف .

(٩) أم حُبين : دويبة على خلقة الحرباء ، عريضــة الصدر عظيمة البطن ، وقيل : هي أنثى الحرباء . انظر : اللسان (حبن) ٢/ ٧٦٤ .

لقيتــه يوماً من الأيام غدوة أو بكرة وأنت تريــد المعرفة لم تنون»[(١)] ، وهذا يقوِّي قراءة العامة ، ووجه قراءة ابن عامر أن سيبويه[(٢)] قال : «زعم الخليل أنه يجوز أن يقول : أتيتك اليوم غدوةً وبكرةً ، فجعلهما بمنزلة ضحوة»[(٣)] .

وأيضاً فإن بعض أسماء الزمان جاء معرفة بغير ألف ولام ، ثم أجازوا دخول اللام فيه نحو ما حكاه أبو زيد من : «قولهم : لقيته فَيْنة[(٤)] غير معروف والفينة بعد الفينة[(٥)] ، فألحق لام المعرفة ما اســتعمل معرفةً ، ووجه ذلك أنه يقدر فيه التنكير والشيوع كما يقدر فيه[(٦)] ذلك إذا ثني ، [وذلك مستمر في جميع المعارف»[(٧)] انتهى كلامه ، وقوله : «يقدر فيــه التنكير كما يقدر فيه ذلك إذا ثني»[(٨)]] كلام يحتاج إلى شرح ، فنقول : «اعلم أن المعرفة : [لا يصح تثنيتها من قبل أن حد المعرفة[(٩)]] أنها ما خص الواحد من جنســه ولم يَشِع في أُمَّته ، فإذا شورك في اسمه فقد خرج عن أن يكون علماً معروفاً ، وصار مشتركاً فيه شائعاً ، وإذا كان الأمر كذلك فلا تصح التثنية إلَّا في النكرات دون المعارف ، وإذا صح هذا فإنك لم تُثَنِّ زيداً حتى ســلبته

---

(١) الكتاب ٣/ ٢٩٣ ، وفيه : «وهو قوله أيضاً وهو القياس . . . وكذلك تقول العرب» . اهـ

(٢) الكتاب ٣/ ٢٩٤ .

(٣) الضحوة (بفتح الضاد المشددة وسكون الحاء) : كعشية ارتفاع النهار ، ولا تستعمل إلاَّ ظرفاً إذا عنيتها من يومك ، فإن لم تعنِ بها ذلك صرفتها . انظر : اللسان (ضحا) ٥/ ٢٥٥٦ .

(٤) الفينة (بفتح فسكون) : الحين ، والساعة ، والوقت من الزمان ، عرف بالعلمية والألف واللام . انظر : اللسان (فين) ٦/ ٣٥٠٤ .

(٥) تهذيب اللغة (فان) ٣/ ٢٧٢٧ .

(٦) في (ش) : (كما يقدر ذلك فيه) .

(٧) الحجة لأبي علي ٣/ ٣١٩ ، ٦/ ١٤٠ ، مجموع منهما بتصرف واختصار . انظر : معاني القراءات ١/ ٣٥٩ ، وإعراب القراءات ١/ ١٥٨ ، والحجة لابن خالويه ١٤٠ ، والحجة لابن زنجلة ٢٥١ ، والكشف ١/ ٤٣٢ .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) .

تعريفه وأشـــعته في أُمَّته فجعلته من جماعة كل واحد منهم زيد ، فجرى لذلك[١] مجرى فرس ورجل في أن كل واحد منهما شائع لا يخص واحداً بعينه ، وصار كأنه بعد نزع التعريف عنه يجوز أن يقال : الزيد والعمر كما قال ابن ميادة[٢] :

وجدْنا الْوليدَ بْنَ اليَزيدِ مُبَارَكـاً شَـــدِيداً بأعْبَاءِ الخِلَافَــةِ كَاهِلُهْ[٣]

وكما أنشد ابن السكيت[٤] :

يا ليتَ أُمَّ العمرو[٥] كانتْ صاحبي

---

(١) في (ش) : (ذلك) .

(٢) الرَّمَّاح بن أَبْرَد بن ثَوْبَان بن سَرُاقَة المُرِّيُّ الغطفاني أبو شَرُحْبِيل ، مشـــهور بنسـبته إلى أمه مَيَّادة ، وهو شاعر مجيد هجَّاء ، عاصر الدولة الأموية والعباسـية ، ومدح الخلفاء ، توفي سنة ١٤٩هـ ، أو قبلها . انظر : الشـعر والشـعراء ٥٢٠ ، وطبقات الشـعراء لابن المعتز ١٠٥ ، ومعجم الأدباء ١١/ ١٤٣ ، وتهذيب ابن عساكر ٥/ ٣٣١ ، والأعلام ٣/ ٣١ .

(٣) ديوانــه ١٩٢ ، ومعاني القــرآن للفرَّاء ٢/ ٤٠٨ ، وليــس في كلام العرب لابــن خالويه ٧١ ، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٤٥١ ، وأمالي ابن الشـجري ٢/ ٥٨٠ ، والإنصاف ١/ ٣١٧ ، واللسان (زيد) ٣/ ١٨٩٨ ، وهو يمدح الوليد بن يزيد بن عبدالملك . الأعباء : جمع عبء (بالكسر وسكون العين) ، وهو الثقل ، وأراد أمور الخلافة الشــاقة ، والكاهل ما بين الكتفين . والشــاهد : (الوليد ـ واليزيد) حيــث أدخل (أل) فيهما للمح الأصل وتقدير التنكير ، وهي في الحقيقة زائدة . انظر : شرح شــواهد المغني للسيوطي ١/ ١٦٤ .

(٤) إصلاح المنطق ٢٦٢ . الشاهد لحميد بن ثور الهلالي ، شاعر مخضرم ، في اللسان (ضرب) ٥/ ٢٥٦٩ ، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ٣/ ٢١٠٦ ، والحلبيات ٢٨٨ ، وسر صناعة الإعراب ١/ ٣٦٦ ، والمنصف ٣/ ٢٣٤ ، وهو رجز آخره :

مكانَ منْ أنشَأَ على الرَّكائبِ

تمنى أن تكون مصاحبة له في سـفره ، معينة في رفع الأحمال على الجمال . أنشأ : ابتدأ السير ، والركوب والركائب من الركْب : أصحاب الإبل . انظر : شرحه في تهذيب إصلاح المنطق ٢/ ٧٢ .

(٥) في (ش) : (أم عمــر) بالعين المهملة ، وكذلك في المخصص ١/ ١٦٨ ، ١٣/ ٢١٦ ، واللســان (ربع) ٣/ ١٥٦٣ ، وفي إصلاح المنطق والمخصص ١١/ ٢٢٠ : «أم الغَمْر» بالغين ، قال ابن سـيدة : «هكذا رواه ابن السكيت ، وعليه لا شاهد فيه على زيادة أل» . اهـ ، وفي أمالي القالي ١/ ١٤٦ : «أم الفَيْض» ، وأكثر المصادر السابقة (أم العمرو) بالعين المهملة . والشاهد دخول أل على عمرو ، وهو عَلَم .

ويدلك[١] على أنه لا يثنَّى إلَّا بعد خلع التعريف عنه دخول اللام عليه بعد التثنية في قولك : الزيدان والعمران[٢] ، ولو كان التعريف الذي كانا يدلان عليه مفردين باقياً فيهما لما جاز دخول اللام عليهما بعد التثنية ، كما لا يجوز ذلك قبل التثنية في وجه الاستعمال وغالب الأمر ، وكما نزعوه التعريف بالتثنية نزعوه أيضاً بالإضافة ، قال الشاعر[٣] :

عَلا زَيْدُنَا يَوْمَ النَّقَا رأْسَ زَيْدِكُمْ   بِأَبْيَضَ مِنْ مَاءِ الحَدِيدِ يَمَانِ

فإضافة الاسم يدل على أنه قد كان خلع عنه ما كان فيه من تعريفه وكساه التعريف بإضافته إياه إلى الضمير[٤] فهذا معنى قول أبي علي : «يقدَّر فيه التنكير والشيوع كما يقدَّر فيه ذلك إذا ثنّى» ، وكل هذا يقوّي قراءة ابن عامر .

وقوله تعالى : ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء عنه : «يطلبون ثواب الله ويعملون ابتغاء مرضاة الله ، لا يعدلون بالله شيئاً»[٥] .

وقال أهل المعاني : في هذا قولين ؛ أحدهما أن معناه : يريدون طاعته[٦] ، كأنه بمعنى الوجه الذي وجههم فيه وهو طاعتهم له ، نحواً من هذا قال الزَّجَّاج فقال :

---

(١) في (ش) : (ويدل) .

(٢) في (أ) : (العمروان) .

(٣) الشاهد لزيد الطائي من ولد عروة بن زيد الخيل ، في الكامل للمُبرِّد ٣/ ١٥٧ ، وبلا نسبة في البصريات ٢/ ٤١٤ ، والحلبيات ٢٩٨ ، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٤٥٢ ، واللسان (زيد) ٣/ ١٨٩٨ ، ومغني اللبيب ١/ ٥٢ . النقا : الرمل الكثيب ، ويوم النقا : الوقعة التي كانت عند النقا ، والأبيض : السيف ، ويمان : منسوب إلى اليمن . والشاهد : زيدنا ، زيدكم ، حيث أجرى : (زيداً) مجرى النكرات فأضافه . انظر : شرح شواهد المغني للسيوطي ١/ ١٦٥ .

(٤) ما تقدم قول ابن جني في سر صناعة الإعراب ٢/ ٤٥٠_٤٥٢ بتصرف واختصار .

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٤٥ ، والبغوي ٣/ ١٤٧ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ١٣٦ ، وفي تنوير المقباس ٢/ ٢٣ ، قال : «يريدون بذلك وجه الله ورضاه» . اهـ

(٦) هنا وقع اضطراب في نسخة (ش) ، فوقع تفسير هذه الآية في ١٠٠ ب .

«أعلم الله أنهم يريدون ما عنده، وشهد لهم بصدق النيات، وأنهم مخلصون في ذلك له، فقال: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾؛ أي يريدون وجه الله -عز وجل- ويقصدون الطريق الذي أمرهم بقصده»(١)، وكان الزَّجَّاج قد ذهب في معنى الوجه إلى الجهة والطريق -وذكرنا هذا مشروحاً في قوله تعالى: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]- وعلى هذا ﴿وَجْهَهُۥ﴾: جهته التي أمر بقصدها. [و](٢) القول الثاني: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾؛ أي يريدونه، إلَّا أنه يؤتى بلفظ الوجه للتعظيم بتفخيم الذكر، كما يقال: هذا وجه الرأي، وأشار أبو إسحاق إلى هذا المعنى، فقال في سورة الكهف: «أي لا يقصدون بعبادتهم إلَّا إياه»(٣).

وقوله تعالى: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: «ما عليك من حساب المشركين من شيء ولا على المشركين من حسابك من شيء، إنما الله الذي يثيب أولياءه ويعذب أعداءه، وأنت وأصحابك قد غفر الله لهم وصاروا إلى رحمته»(٤)، انتهى كلامه. وعلى هذا الكناية في ﴿حِسَابِهِم﴾، و﴿عَلَيْهِم﴾ تعود إلى المشركين(٥) الذين قالوا للنبي ﷺ أن يطرد عنه الفقراء،

---

(١) انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٥١.

(٢) لفظ: (الواو): ساقط من (أ).

(٣) معاني القرآن ٣/ ٢٨١، وأكثرهم ذكر هذه الوجوه. قال الطبري ٧/ ٢٠٥: «أي يلتمسون بذلك القربة إلى الله والدنو من رضاه». اهـ. انظر: تأويل مشكل القرآن ٢٥٤، والماوردي ٢/ ١١٨، والبغوي ٣/ ١٤٧، وابن عطية ٥/ ٢١٠، وابن الجوزي ٣/ ٤٧، والرازي ١٢/ ٢٣٦، والقرطبي ٦/ ٤٣٢، وهذا مجاز وتأويل، والأولى الحمل على الحقيقة. قال السمرقندي ١/ ٤٨٧: «يعني: يريدون بصلواتهم وجه الله تعالى». اهـ، وقال ابن كثير ٢/ ١٥١: «أي يريدون بذلك العمل وجه الله الكريم». اهـ، وقال ابن القيم في مختصر الصواعق ٣/ ٩٩٢-١٠٢٣: «وجه الرب جل جلاله حيث ورد في الكتاب والسُّنة فليس بمجاز بل على الحقيقة، وصرفه عن هذا خروج عن الأصل، والظاهر بلا موجب، وحمله على الثواب المنفصل من أبطل الباطل، فإن اللغة لا تحتمل ذلك، ولا يعرف أن الجزاء يسمى وجهاً للمُجازى». اهـ ملخصاً، وانظر: المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات للمغراوي ٥٩-٧٤.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: تفسير السمرقندي ١/ ٤٨٧، والكشاف ٢/ ٢٢، وابن عطية ٥/ ٢١٠، ورجَّح عودة الضمير =

ومعنــاه : الإبعاد بينه وبينهم ، ونهي النبي ﷺ عن استـمالتهم بتقريبهم . يقول : «ليس عليك من حسابهم من شيء إن كفروا وكذبوا فتطرد الفقراء لتدني مجلسهم منك . ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ ؛ أي ليس ثوابك عليهم حتى تلين لهم» ، وهو معنى قول ابـن عباس : «إنما الله الذي يثيب أولياءه ويعذب أعداءه» ، فهذا وجـه ، والمفسرون[١] يـردُّون الكناية إلى ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ ، وهم الفقراء ، وذلك أشـبه بالظاهر ؛ لأن الكناية في قوله : ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ عائدة على الفقراء لا محالة ، فكذلك ما قبله من الكناية أشبه أن تعود عليهم ، وعلى هذا ذكروا في قوله تعالى : ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [قولين][٢] :

أحدهما : ما عليك من عملهم ومن حسـاب عملهم من شيء ، وهذا يروى عن الحسن[٣] وابن عباس[٤] .

قال أهل المعاني : «هذه القصة شـبيهة بقصة[٥] نوح -عليه السلام- إذ قال له قومه : ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء:١١١] ، فأجابهم نوح : ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ [الشعراء:١١٢ ، ١١٣] ، وعنَوا بقولهم : ﴿ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ الحاكة والمحترفين بالْحِـرف الوضيعة ، فقال نوح : ﴿وَمَا عِلْمِى﴾ بعملهـم ؛ أي وجه مكاسـبهم ، [ما حسـاب][٦] عملهم إلَّا على الله ، فوَّض دناءة مكاسـبهم إلى الله تعالى ؛ أي إنه أعلم بعملهم وما لي ولذلك ،

= في : ﴿حِسَابِهِم﴾ ، و﴿عَلَيْهِم﴾ عـلى المشركـين ، والضمـير في ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ عـلى الضعفاء من المؤمنين ، ويؤيده أن ما بعد الفاء سبب لما قبلها .

(١) رجَّح هذا القول الرازي ١٢/ ٢٣٦ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ١٣٧ ، والسمين في الدر ٤/ ٦٤٤ ، ٦٤٥ .

(٢) لفظ : (قولين) ساقط من (ش) .

(٣) ذكـره ابن الجوزي ٣/ ٤٧ ، وذكـره ابن عطية ٥/ ٢١١ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ١٣٦ عن الحسـن والجمهور .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) ذكره الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٢٥١ ، ٢٥٢ ، وانظر : تفسير الرازي ١٢/ ٢٣٧ .

(٦) لفظ : (ما حساب) ساقط من (أ) .

وكذلـــك في هذه الآية كان هؤلاء الفقراء يعملـــون بالنهار لقوتهم ويرجعون إلى مســـجد رســـول الله ﷺ، فازدراهم المشركون لفقرهم وحاجتهـــم إلى الأعمال الخسيسة لقوتهم، وهمَّ النبي ﷺ برفع المشركين عليهم في المجلس فقيل له: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [أي لا يلزمك عار بعملهم ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾».

وقولـــه تعـــالى: ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾][1] ذكر تأكيـــداً للمطابقة وازدواج الكلام، وإن كان مستغنًى عنه بالأول، وإلى هذا المعنى أشار الزَّجَّاج[2].

القول الثاني: ما عليك من حســـاب رزقهم مـــن شيء فتملهم وتطردهم، ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾؛ أي ليس رزقك عليهم ولا رزقهم عليك، وإنما يرزقك وإياهم الله الرازق، فدعهم يدنون منك ولا تطردهم[3].

وقوله تعـــالى: ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ جواب لقوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ﴾ في أول الآية[4]، ومعناه: فتكون من الضارين لنفسك بالمعصية، قاله ابن عباس[5].

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من أصل (أ)، وملحق بالهامش.

(٢) لم أقف عليه في معاني القرآن، وفي الكشاف ٢/ ٢٢ نحوه.

(٣) هذا اختيار الطبري في تفسيره ٧/ ٢٠٦.

(٤) هذا قول الطبري في تفسيره ٧/ ٢٠٦، والزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٢٥٢، والنحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٣٠، ومكي في المشكل ١/ ٢٥٣، وانظر: الدر المصون ٤/ ٦٤٦.

(٥) تنوير المقباس ٢/ ٢٣.

وهذا الظُّلمُ معناه النقصان ؛ أي ينقص ثوابك بطردهم لو طردتهم ، والظلم بمعنى النقص معروف في اللغة[(١)] ، يقال : ظلم حقه ، وهو كثير في القرآن -وقد ذكرنا ذلك- ، وقال ابن زيد[(٢)] : «﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (لهم بطردهم) ، وهذا قول حسن» ؛ أي إنهم لم يستحقوا منك الطرد فإذا طردتهم فقد ظلمتهم[(٣)] .

٥٣. قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ﴾ الآية . قال المفسرون[(٤)] : «أي وكما ابتَلَيْنا قبلك الغني بالفقير كما ذكرنا في قصة نوح ، وكما قال في قوم صالح : ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ﴾ لِلَّذِينَ[(٥)] اسْتُضعِفُوا : ﴿إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف :٧٦] ، ابتَلَيْنا أيضاً هؤلاء بعضَهم ببعضٍ ، كما قال تعالى : ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً﴾ [الفرقان :٢٠]» ، وهذا معنى قول ابن عباس[(٦)] في رواية عطاء .

---

(١) الظلم في اللغة : وضع الشيء في غير موضعه المختص به إمَّا بنقصان أو زيادة ، وإمَّا بعدول عن وقته أو مكانه . الظلم : الميل عن القصد ومجاوزة الحق . انظر : العين ٨/ ١٦٢ ، والجمهرة ٢/ ٩٣٤ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٢٤٨ ، والصحاح ٥/ ١٩٧٧ ، ومقاييس اللغة ٣/ ٤٦٨ ، والمجمل ٢/ ٦٠١ ، والمفردات ٥٣٧ ، واللسان (ظلم) ٥/ ٢٧٥٦ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٤/ ١٢٩٩ بسند جيد .

(٣) انظر : تفسير الرازي ١٢/ ٢٣٧ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٧/ ٢٠٦ ، والسمرقندي ١/ ٤٨٧ ، والماوردي ٢/ ١١٨ ، وأخرجه الطبري بسند جيد عن قتادة .

(٥) هكذا جاء سياق الآية ولعله وهم ، فليس فيها : للذين استضعفوا .

(٦) أخرج عنه الطبري ٧/ ٢٠٦ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٩٩ بسند جيد ، قال : «جعل بعضهم أغنياء وبعضهم فقراء ، فقال الأغنياء للفقراء : ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ﴾ ؛ أي هداهم الله ، وإنما قالوا ذلك استهزاء وسخرية» . اهـ . انظر : الدر المنثور ٣/ ٢٦ ، ومعاني الفتنة في تأويل مشكل القرآن ٤٧٢-٤٧٤ .

وقال الكلبي: «ابتلينا الشريف بالوضيع، وابتلى هؤلاء الرؤساء من قريش بالموالي، فإذا نظر الشريف إلى الوضيع قد آمن قبله حمي[١] آنفاً أن يسلم، ويقول: سبقني هذا بالإسلام فلا يسلم»[٢]. قال أهل المعاني: «وإنما قال: ﴿فَتَنَّا﴾ وهو تعالى لا يحتاج إلى الاختبار؛ لأنه عاملهم معاملة المُخْتَبَر»[٣].

وقوله تعالى: ﴿لِيَقُولُوٓاْ﴾ هذه اللام تسمى لام العاقبة[٤]، كأن المعنى: فعلنا هذا ليؤول أمرهم إلى هذا القول[٥].

وقوله تعالى: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ يعني: الضعفاء والفقراء، والاستفهام معناه الإنكار[٦]، كأنهم أنكروا أن يكونوا سبقوهم بفضيلة أو خصُّوا بمنَّة، فقال الله تعالى: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾؛ أي بالذين يشكرون نعمته إذا منَّ عليهم

---

(١) حمى (بفتح الحاء وكسر الميم) من الشيء حِمِيَّة، ورجل حمي الأنف: أنف أن يضام، وفلان ذو حمية: غضب وأَنَفَة. انظر: اللسان (حمى) ٢/ ١٠١٤، وأَنِف (بفتح الهمزة والنون): استنكف وكره، ويقال: «هو أنف بسكون النون للعضو؛ أي اشتد غضبه وغيظه من طريق الكناية»، والمراد هنا أخذته الحَمِيَّة من الغيرة والغضب. انظر: اللسان (أنف) ١/ ١٥٢.

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف ١٧٨ أ، والواحدي في الوسيط ١/ ٤٧، وابن الجوزي ٣/ ٤٧، وفي تنوير المقباس ٢/ ٢٣ نحوه.

(٣) انظر: المفردات (فتن) ٦٢٣، وبدائع التفسير لابن القيم ٢/ ١٥٠.

(٤) أي لبيان عاقبة الشيء ومآله، ويسميها الكوفيون لام الصيرورة، وبعضهم يسميها لام العلة؛ لأنها مستعارة لما يشبه التعليل. قال ابن هشام في المغني ١/ ٢١٤: «ومن معاني اللام الصيرورة وتسمى لام العاقبة ولام المآل. وأنكر البصريون ومَن تابعهم لام العاقبة». اهـ. انظر: اللامات للزَّجَّاج ١١٩، ومعاني الحروف للرماني ٥٦، والصاحبي ١٥٢، واللامات للهروي ١٨٢، ورصف المباني ٣٠١.

(٥) قال السمين في الدر ٤/ ٦٤٧: «الأظهر ـ وعليه أكثر المعربين والمفسرين ـ أنها لام كي، والتقدير: ومثل ذلك الفتون فتنا ليقولوا هذه المقالة ابتلاءً وامتحاناً. وقيل: إنها لام الصيرورة؛ أي العاقبة، ويكون ما بعدها صادراً على سبيل الاستخفاف». اهـ ملخصاً، وانظر: إعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٤٩، والمشكل ١/ ٢٥٣، والتبيان ١/ ٣٣٥، والفريد ٢/ ١٥٤، ورجَّح كونها لام العاقبة ابن عطية ٥/ ٢١١.

(٦) انظر: الفريد ٢/ ١٥٤.

بالهداية ؛ أي إنما يهدي إلى دينه مَن يعلم أنه يشكر نعمته ، هذا معنى قول المفسرين[١] ، والاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ ﴾ تقرير ؛ أي إنه كذلك[٢] ، مثل قول جرير :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المطَايَا[٣]

٥٤. قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ الآية . قال ابن عباس : «نزلت في أصحاب النبي ﷺ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم»[٤] .

---

(١) انظر : الطبري ٧/ ٢٠٧ ، والسمرقندي ١/ ٤٨٧ ، وابن عطية ٥/ ٢١٢ ، وبدائع التفسير ٢/ ١٥١ .

(٢) انظر : الفريد ٢/ ١٥٥ .

(٣) ديوانه ٧٧ ، ومجاز القرآن ١/ ٣٦ ، وطبقات فحول الشعراء ٢/ ٣٧٩ ، ٤١٠ ، ٤١٨ ، ٤٩٤ ، والشعر والشعراء ٣٠٧ ، والخصائص ٣/ ٢٦٩ ، واللسان (نقص) ٨/ ٤٥٢٤ ، والمغني لابن هشام ١/ ١٧ ، وبلا نسبة في المقتضب ٣/ ٢٩٢ ، والخصائص ٢/ ٤٦٣ ، ورصف المباني ١٣٦ ، وتكملته :

وَأَنْدَى العَالَمِينَ بطُونَ رَاحِ

المطايا : جمع مطية ، وهي الدابة ، وأندى : أسخى ، وراح : جمع راحة ، وهي الكف . والشاهد : (ألستم) حيث جاءت همزة الاستفهام للإيجاب والتقرير وتحقق الكلام ؛ أي أنتم خير مَن ركب المطايا . انظر : شرح شواهد المغني للسيوطي ١/ ٤٣ .

(٤) ذكره القرطبي ٦/ ٤٣٥ عن ابن عباس ، وذكره الثعلبي ١٧٨ أ ، والبغوي ٣/ ١٤٨ ، وابن الجوزي ٣/ ٤٨ ، والخازن ٢/ ١٣٨ عن عطاء .

وقال عكرمة(١) والحسن(٢) : «نزلت في الذين سأل المشركون طردهم» . قال عكرمة : «وكان النبي ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسلام ، ويقول : «الحمد لله الذي جعل في أُمَّتي مَن أمرني أن أبدأهم بالسلام »(٣) . وقوله : ﴿وَإِذَا جَآءَكَ﴾ ﴿إِذَا﴾ ظرف للقول ؛ أي قل سلام عليكم إذا جاءوك ، و﴿جَآءَكَ﴾ في موضع جر ؛ لأن ﴿إِذَا﴾ مضاف إليه بمنزلة(٤) حين ﴿عَلَى جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ ؛ أي يصدقون [بحججنا](٥) وبراهيننا .

قال الزَّجَّاج(٦) في قوله تعالى : ﴿فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ : «السلام(٧) هاهنا يحتمل تأويلين ؛ أحدهما : أن يكون مصدر سلمت تسليماً وسلاماً مثل : السراح من

---

(١) ذكره الثعلبي ١٧٨ أ ، والواحدي في أسباب النزول ٢٢١ ، والبغوي ٣/ ١٤٨ .

(٢) لفظ : (الحسن) ساقط من (ش) ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٤٨ ، وابن الجوزي ٣/ ٤٨ عن الحسن وعكرمة ، وذكره هود الهواري ١/ ٥٢٥ عن الحسن . قال أبو حيان في البحر ٤/ ١٣٩ : «هذا هو قول الجمهور ، والظاهر أنه يراد به المؤمنون من غير تخصيص» . اهـ

(٣) الحديث بهذا اللفظ لم أقف على سنده ، وفي الدر المنثور ٣/ ٢٥ ، قال : «أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال : أخبرت أن قوله ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ قال : كانوا إذا دخلوا على النبي ﷺ بدأهم فقال : «سلام عليكم» وإذا لقيهم فكذلك أيضاً» ، وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢١ في الآية «أن النبي ﷺ قال : «الحمد لله الذي جعل في أُمَّتي مَن أمرني أن أصبر نفسي معهم» ، قال : «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح» . اهـ

(٤) قال السمين في الدر ٤/ ٦٤٨ : «﴿إِذَا﴾ منصوب بجوابه ؛ أي ﴿فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ وقت مجيئهم ؛ أي أوقع هذا القول كله في وقت مجيئهم إليك ، وهذا معنى واضح» . اهـ ، وقال العكبري في التبيان ٣٣٥ ، والهمداني في الفريد ٢/ ١٥٥ : «العامل في ﴿إِذَا﴾ معنى الجواب ؛ أي إذا جاءوك سلم عليهم» ، وذكر هذا القول السمين في الدر ، قال : «لا حاجة تدعو إلى ذلك مع فوات قوة المعنى ؛ لأن كونه يبلغهم السلام والإخبار بأنه كتب على نفسه الرحمة وأنه من عمل سوءاً بجهالة غفر له لا يقوم مقامه السلام فقط ، وتقديره : يفضي إلى ذلك» . اهـ

(٥) في (أ) : (بحجتنا) .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٥٢ .

(٧) انظر : العين ٧/ ٢٦٥ ، والجمهرة ٢/ ٨٥٨ ، والصحاح ٥/ ١٩٥١ ، والمجمل ٢/ ٤٦٩ ، ومقاييس اللغة ٣/ ٩٠ ، والمفردات (سلم) ٤٢١ .

التسريح والأداء من التأدية ، ومعنى سلمت عليه سلاماً ؛ [أي][(١)] دعوت له بأن يَسْلم من الآفات في دينه ونفسه ، فالسلام بمعنى التسليم . الثاني : أن يكون السلام جمع السلامة ، فمعنى قولك : السلام عليكم [السلامة عليكم[(٢)]] ، ويؤكد هذا الوجه قول الشاعر[(٣)] :

تُحَيِّي بِالسَّلامَةِ أُمُّ بَكْرٍ وَهَلْ لَكِ بَعْدَ قَومِكِ مِنْ سَلامِ» .

والوجهان ذكرهما الزَّجّاج وابن الأنباري ، قال أبو بكر : «قال قوم : السلام الله[(٤)] تعالى ، ومعنى السلام عليكم : الله عليكم ؛ أي على حفظتكم»[(٥)] ، وهذا الوجه يبعد في هذه الآية لتنكير السلام في قوله تعالى : ﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾[(٦)] ، ولو كان معرفاً لصح هذا الوجه[(٧)] .

(١) لفظ : (أي) ساقط من (أ) .
(٢) لفظ : (السلامة عليكم) ساقط من (ش) .
(٣) الشاهد لأبي بكر بن الأسود بن شعوب الليثي ، وهو شداد بن الأسود ، في سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٠ ، والروض الأنف ٣/ ١١٧ ، ولعمرو بن سُمي بن كعب الليثي ، وقد ينسب إلى أمه شعوب الخزاعية في كتاب مَن نُسب إلى أمه لابن حبيب ٤٩ ، وبلا نسبة في تفسير غريب القرآن ١٧٠ ، واشتقاق أسماء الله للزَّجّاجي ٢١٥ ، وتهذيب اللغة ٢/ ١٧٤٢ ، وأمالي ابن الشجري ٢/ ٢٤-٢٨ ، واللسان (سلم) ٤/ ٢٠٧٧ .
(٤) السلام : اسم من أسماء الله تعالى مأخوذ من السلامة ، فهو سبحانه السالم من كل ما ينافي كماله ، ومن مماثلة أحد من خلقه . انظر : الأسماء والصفات للبيهقي ٥٣ ، والمقصد الأسنى للغزالي ٦٧ ، وشرح أسماء الله للرازي ١٨٧ .
(٥) الزاهر ١/ ٤٦ .
(٦) في (ش) : (قل سلام . . .) ، وهو تحريف .
(٧) انظر : تفسير الرازي ١٣/ ٣ .

وقال أبو الهيثم: «السلام والتحية بمعنى واحد، معناهما: السلامة من جميع الآفات»[(١)]، فأمَّا اللغات في السلام فقد ذكرنا ذلك في سورة هود في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سَلَـٰمًاۖ قَالَ سَلَـٰمٌ﴾ [هود:٦٩].

وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾. قال ابن عباس: «يريد: قضى [لكم][(٢)] ﴿رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾»[(٣)].

قال أبو إسحاق: «معنى ﴿كَتَبَ﴾: أوجب ذلك إيجاباً مؤكداً، وإنما خوطب الخلق بما يعقلون وهم يعقلون أن توكيد الشيء المؤخَّر إنما يُحفَظ بالكتاب»، قال: «وجائز أن يكون كتب ذلك في اللوح المحفوظ»[(٤)]، وقد سبق بيان هذا المعنى في أول السورة.

وقوله تعالى: ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ﴾ قال ابن عباس: «يريد: إن ذنوبكم جهل، ليس بكفر ولا جحود»[(٥)].

---

(١) تهذيب اللغة ٢/ ١٧٤٢، واللسان (سلم) ٤/ ٢٠٧٧. قال أبو علي في الحجة ٢/ ٢٩٨، ٤/ ٣٥٩ـ٣٦٣: «السلام مصدر سَلَّمْتُ، والسلام جمع سلامة، والسلام اسم من أسماء الله تعالى، والسلام شجر، والسلام البراءة، وأكثر استعماله بغير (أل) وذاك أنه في معنى الدعاء حمل غير المعهود، وجاء بأل محمول على المعهود». اهـ.

(٢) لفظ: (لكم) ساقط من (ش).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٤٨، وفي تنوير المقباس ٢/ ٢٤، قال في الآية: «أوجب ﴿رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ لمَن تاب». اهـ.

(٤) معاني القرآن ٢/ ٢٥٤، وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره ٢/ ١٥٢: «أي أوجبها على نفسه الكريمة تفضلاً منه وإحساناً وامتناناً». اهـ. انظر: تفسير ابن عطية ٥/ ٢١٤، والفتاوى: ١٨/ ١٤٨ـ١٥١، وبدائع التفسير ٢/ ١٤٢.

(٥) أخرج الطبري في تفسيره ٤/ ٢٩٩ بسند ضعيف عن ابن عباس، قال: «مَن عمل السوء فهو جاهل ومن جهالته عمل السوء»، وذكر القرطبي في تفسيره ٥/ ٩٢ نحوه عن ابن عباس، وقتادة، والضحاك، ومجاهد، والسُّدِّي.

وقال الحسن[١] ومجاهد[٢] والضحاك[٣] : «كل مَن عمل بخطيئة فهو جاهل» .

قال أبو إسحاق : «معنى الجهالة هاهنا يحتمل ، أمرين أحدهما : أنه عمله وهو جاهل بمقدار المكروه فيه ؛ أي لم يعرف أن فيه مكروهاً ، والآخر : أنه علم أن عاقبته مكروهة ، ولكنه آثر العاجل فجُعل جاهلاً بأنه آثر القليل على الراحة الكثيرة والعافية الدائمة»[٤] ، (قبل : والوجه الثاني)[٥] أقواهما ، ومثل هذه الآية قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ﴾ الآية [النساء :١٧] ، وقد ذكرنا ما فيه هناك .

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ ؛ أي رجع عن ذنبه ، ولم يصرَّ على ما فعل ، ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ عمله ، ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ .

واختلف القرّاء[٦] في قوله تعالى :﴿أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ﴾ فـ ﴿أَنَّهُۥ﴾ فقرأ بعضهم بالفتح فيهما ؛ أمَّا فتح الأولى فعلى التفسير للرحمة ، كأنه قيل :﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ﴾ .

---

(١) قال الماوردي في تفسيره ٢/ ١٢٠ : «قال الحسن ومجاهد والضحاك : الجهالة الخطيئة» . اهـ ، وقال ابن الجوزي في زاد المسير ٢/ ٣٧ : «قال الحسن وعطاء وقتادة والسُّدِّي في آخرين : إنما سُمُّوا جهالاً لمعاصيهم ، لا أنهم غير مميزين» . اهـ ، وذكر قول الحسن الرازي في تفسيره ١٣/ ٥ .

(٢) تفسير مجاهد ١/ ١٤٩ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٤/ ٢٩٩ ، ٧/ ٢٠٩ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٠١ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٢٦ ، ٢٧ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ٢٠٩ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٠١ بسند ضعيف .

(٤) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٥٤ .

(٥) انظر : تفسير ابن عطية ٥/ ٢١٦ ، والرازي ١٣/ ٥ .

(٦) «قرأ نافع ﴿أَنَّهُۥ﴾ بفتح الهمزة : (فَإِنَّهُ) بكسر الهمزة ، وفتحهما جميعاً عاصم وابن عامر ، وكسرهما الباقون» . انظر : السبعة ٢٥٨ ، والمبسوط ١٦٨ ، والتذكرة ٢/ ٣٩٨ ، والتيسير ١٠٢ ، والنشر ٢/ ٢٥٨ .

وأمَّا فتح الثانية فعلى أن تجعله بدلاً من الأولى، مثل قوله تعالى: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ﴾ [الحج: ٤]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٦٣]، وهذا معنى قول الفرَّاء[1] والزَّجَّاج[2]. قال أبو علي: «من فتح الأولى جعلها بدلاً من ﴿الرَّحْمَةَ﴾، وأمَّا التي بعد الفاء فعلى أنه أضمر له خبراً تقديره: فله أنه ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي فله غفرانه، أو أَضْمَرَ مبتدأ يكون (أن) خبره؛ كأنه: فأَمْرُهُ أنه ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وعلى هذا التقدير يكون الفتح في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾[3] [التوبة: ٦٣] تقديره: فله أن ﴿لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ وإن شئت قدَّرت، فأمره أن ﴿لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾، فيكون خبر هذا المبتدأ المضمر».

قال: «ومَن ذهب في هذه الآية إلى أن التي بعد الفاء تكرير للأولى لم يستقم قوله، وذلك أن ﴿مَن﴾ لا تخلو من أن [تكون][4] للجزاء الجازم الذي اللفظ عليه أو [تكون][5] موصولة فلا يجوز أن يقدر التكرير مع الموصولة؛ لأنها لو كانت موصولة لبقي المبتدأ بلا خبر ولا يجوز ذلك أيضاً في الجزاء الجازم؛ لأن الشرط يبقى بلا جزاء فإذا لم يجز ذلك ثبت أنه على ما ذكرنا من تقدير: فله أو فأمره وتكون الفاء جواب الشرط، وأيضاً فإن ثبات الفاء في قوله: ﴿فَأَنَّ لَهُ﴾ يمنع من أن يكون بدلاً، ألا ترى أنه لا يكون بين البدل والمُبدل منه الفاء العاطفة ولا التي للجزاء، فإن قلت: إنها زائدة بقي الشرط بلا جزاء، فلا يجوز إذن تقدير

---

(١) انظر: معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٣٦، ٣٣٧.

(٢) انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٥٣، ٢٥٤، والأخفش ٢/ ٢٧٥_٢٧٦، والنحاس ٢/ ٤٣١، ٤٣٢، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٣٨.

(٣) في (أ): (تعلموا) بالتاء.

(٤) في (ش): (يكون).

(٥) في (ش): (يكون).

زيادتها هنا وإن جاءت زائدة في غير هذا الموضع»[(١)] ، وأمَّا مَن كسرهما جميعاً فعلى مذهب الحكاية ، كأنه لما قال : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ قال : ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ، ودخلت الفاء جواباً للجزاء وكُسِرت إن ؛ لأنها على ابتداء وخبر ، كأنك قلت : فهو ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ، إلَّا أن الكلام بإن أَوْكَد ؛ هذا قول الزَّجَّاج[(٢)] .

وقال أبو علي : «أمَّا كسر إن في قوله تعالى : ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فلأن ما بعد الفاء حُكْمُه الابتداء ، ومن ثم حمل قوله تعالى : ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ [المائدة :٩٥] على إرادة المبتدأ بعد الفاء وحذفه ، وقرأ نافع الأولى بالفتح والثانية بالكسر أبدل الأولى من الرحمة واستأنف ما بعد الفاء»[(٣)] . قال الفرَّاء : «والكسر بعد الفاء حسن ؛ لأنه يحسن في موضع إن بعد الفاء هو ، ألا ترى أنه لو قيل : ﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ﴾ فهو ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لكان صواباً ، فإذا حسن دخول هو حسن الكسر»[(٤)] .

٥٥. قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ الآية . يقول : «وكما فصلنا لك في هذه السورة دلائلنا وأعلامنا على المشركين كذلك نميِّز ونبيِّن لك

---

(١) الحجة لأبي علي ٣/ ٣١١_٣١٣ .

(٢) معاني القرآن ٢/ ٢٥٣ ، ٢٥٤ . قال شيخ الإسلام في الفتاوى ١٥/ ٢٧٦ ، ٢٧٧ : «الأحسن في هذا أن يقال : كل واحدة من هاتين الجملتين جملة مركبة مؤكدة ، فهما تأكيدان مقصودان لمعنيين مختلفين ، ألا ترى تأكيد قوله :﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (بإنَّ) غيرُ تأكيد (مَن عَمِلَ سوءا) له (بأنَّ) ، وهذا ظاهر لا خفاء به ، وهو كثير في القرآن وكلام العرب» . اهـ ملخصاً

(٣) الحجة لأبي علي ٣/ ٣١١_٣١٣ .

(٤) انظر : معاني القرآن ١/ ٣٣٧ ، ومعاني القراءات ١/ ٣٥٥_٣٥٧ ، وإعراب القراءات ١/ ١٥٧ ، ١٥٨ ، والحجة لابن خالويه ١٣٩_١٤٠ ، والحجة لابن زنجلة ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، والكشف ١/ ٤٣٣ ، والدر المصون ٤/ ٦٥٠_٦٥٤ .

حجتنا وأدلتنا في كل حق ينكره أهل الباطل»[١] . ومعنى التفصيل[٢] : التمييز للبيان ، ولهذا فسر بالتبيين وهو قول ابن عباس[٣] وقتادة وابن زيد[٤] قالوا في تفسير ﴿نُفَصِّلُ﴾ : «نبيِّن» .

وقوله تعالى :﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ عطف على المعنى كأنه قيل ليظهر الحق [وليستبين][٥] ، فترك ذكر ما هو بيِّن من المعلوم ، وذكر ما يحتاج إلى بيانه[٦] .

واختلف القرَّاء في قوله : ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ﴾ ، فقرأ بعضهم[٧] بالتاء ، ورفع سبيل على أنها فاعل الاستبانة ، والسبيل[٨] يؤنث ويذكر ، فالتأنيث مثل قوله تعالى : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ [يوسف :١٠٨] ، والتذكير مثل قوله تعالى : ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف :١٤٦] ، ويقال : استبان الشيء[٩]

(١) انظر : تفسير البغوي ٣/ ١٤٨ ، والرازي ١٣/ ٦ ، والقرطبي ٦/ ٤٣٦ .

(٢) الفَصْل : إبانة أحد الشيئين من الآخر حتى يكون بينهما فُرجة ، ويستعمل في الأقوال والأفعال ، فهو أصل يدل على تمييز الشيء من الشيء وإبانته وتمييزه عنه ، ويقال : «تفصيل الآيات بيانها ، وتفصيلها بالفواصل» . انظر : العين ٧/ ١٢٦ ، والجمهرة ٢/ ٨٩١ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٧٩٤ ، والصحاح ٥/ ١٧٩٠ ، والمجمل ٣/ ٧٢٢ ، ومقاييس اللغة ٤/ ٥٠٥ ، والمفردات ٦٣٨ ، واللسان (فصل) ٦/ ٣٤٢٢ .

(٣) تنوير المقباس ٢/ ٢٤ .

(٤) أخرجه الطبري ٧/ ٢١٠ بسند جيد عن قتادة وابن زيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٢٧٦ .

(٥) في (ش) : ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ بالتاء .

(٦) انظر : تفسير الرازي ١٣/ ٦ .

(٧) قرأ نافع : ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ بالتاء ، و(سَبِيلَ) بالنصب ، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية : (وليستبين) بالياء ، و﴿سَبِيلُ﴾ بالرفع ، وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وعاصم في رواية : ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ بالتاء ، و﴿سَبِيلُ﴾ بالرفع . انظر : السبعة ٢٥٨ ، والمبسوط ١٦٩ ، والتذكرة ٢/ ٣٩٩ ، والتيسير ١٠٣ ، والنشر ٢/ ٢٥٨ .

(٨) انظر : المذكر والمؤنث للفرَّاء ٨٧ ، ولابن الأنباري ١/ ٤٢٣ ، ولابن التُّسْتَرِي الكاتب ٨١ .

(٩) هذه القراءات دائرة على تعدي استبان ولزومه وتذكير سبيل وتأنيثه ، وكل ذلك لغة فصيحة ، وتذكيره لغة تميم ونجد ، والتأنيث لغة الحجاز ، ويقال : «استبان الصبح واستبنت الشيء» ، والخطاب للنبي ﷺ ولأُمَّته ؛ أي لتستبينوا ﴿سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ . انظر : معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٣٧ ، والأخفش ٢/ ٢٧٦ ، والزَّجَّاج ٢/ ٢٥٤ ، والزاهر ٢/ ١٧٩ ، والدر المصون ٤/ ٦٥٥ .

واستبنته ، ومَن قرأ بالياء ورفع السبيل كان الفعل أيضاً مسنداً إلى السبيل إلَّا أنه ذكَّر السبيل ، وقرأ نافع ﴿وَلِتَسۡتَبِينَ﴾ بالتاء (سَبِيلَ) نصباً ، والتاء في هذه القراءة للخطاب ؛ أي ﴿وَلِتَسۡتَبِينَ﴾ أيها المخاطب[١] .

قال أهل المعاني : «وخص ﴿سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ بالذكر ، والمعنى : ﴿سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ وسبيل المؤمنين فحذف ؛ لأن ذِكْر أحد القبيلين يدل على الآخر ، كقوله تعالى : ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ [النحل :٨١] ، ولم يذكر البرد لدلالة الفحوى عليه» ، وهذا قول الزَّجَّاج[٢] وأبي علي[٣] .

ودل كلام الزَّجَّاج على وجه آخر هو : «أن يكون سبيل المؤمنين مضمناً به الكلام ؛ لأن ﴿سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ إذا بانت فقد بانت معها سبيل المؤمنين كما تقول : زيد ضاربٌ ، تضمن هذا الكلام ذكر المضروب»[٤] . قال ابن عباس : «﴿وَلِتَسۡتَبِينَ﴾ يا محمد ﴿سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ يريد : ما جعلوا لله في الدنيا من الشرك وما بيَّنت من سبيلهم يوم القيامة ومصيرهم إلى الخزي»[٥] .

٥٦. قوله تعالى : ﴿قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني : الأصنام ، ومعنى ﴿تَدۡعُونَ﴾ : تعبدون ، ويجوز أن يكون المعنى : تدعونهم[٦] في مهمَّات أموركم على معنى العبادة ، ومعنى ﴿مِن﴾ في قوله ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إضافة الدعاء إلى ﴿دُونِ﴾ بمعنى : ابتداء الغاية ؛

(١) ما تقدم قول أبي علي في الحجة ٣/ ٣١٤ـ٣١٦ بتصرف واختصار ، وانظر : إعراب القراءات ١/ ١٥٨ ، والحجة لابن خالويه ١٤١ ، والحجة لابن زنجلة ٢٥٣ ، والكشف ١/ ٤٣٣ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٥٥ .

(٣) الحجة لأبي علي ٣/ ٣١٦ .

(٤) ذكر هذا الوجه أيضاً النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، واقتصر عليه الأزهري في معاني القراءات ١/ ٣٥٨ .

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٥٠ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٥٠ .

(٦) أي الأصنام ، وقد ذكر الوجهين ابن عطية ٥/ ٢١٨ ، وابن الجوزي ٣/ ٥١ ، والقرطبي ٦/ ٤٣٧ .

لأن كل عبادة كانت لغير الله فهي من جملة عبادة مَن يُعبد من دون الله ، فجعل ﴿مِن دُونِ﴾[(١)] على جهة ابتداء الغاية[(٢)] .

وقوله تعالى : ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾ قال ابن عباس : «يريد : دينكم»[(٣)] .

قال أبو إسحاق : «إنما عبدتموها [على طريق الهوى لا][(٤)] على طريق البيِّنة والبرهان»[(٥)] .

وقوله تعالى : ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ معنى ﴿إِذًا﴾ الشرط ، المعنى : قد ضللت إن عبدتها[(٦)] ، وهو معنى قول ابن عباس «﴿قَدْ ضَلَلْتُ﴾ إن أنا فعلت[(٧)] ، ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ : من الذين سلكوا سُبُلَ الهدى»[(٨)] .

٥٧. قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ الآية . معنى البينة : الدلالة التي تفصل الحق من الباطل[(٩)] . قال ابن عباس : «يريد : على يقين من ربي»[(١٠)] .

وقال أبو إسحاق : «أنا على أمر بيِّن لا متَّبع لهوًى»[(١١)] .

---

(١) لفظ : من دون ساقط من (ش) .

(٢) ذكر هذا الوجه الهمداني في الفريد ٢/ ١٥٨ .

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٥٠ ، وفي تنوير المقباس ٢/ ٢٥ نحوه .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٥) معاني القرآن ٢/ ٢٥٥ .

(٦) هذا قول الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٢٥٥ ، وذكره ابن عطية ٥/ ٢١٨ ، وابن الجوزي ٣/ ٥١ .

(٧) تنوير المقباس ٢/ ٢٥ ، وفيه : «﴿قَدْ ضَلَلْتُ﴾ عن الهدى ﴿إِذًا﴾ إن فعلت ذلك» .

(٨) انظر : تفسير البغوي ٣/ ١٤٩ .

(٩) انظر : زاد المسير ٣/ ٥١ .

(١٠) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٥٠ ، وقال في تنوير المقباس ٢/ ٢٥ : «على بيان من ربي وبصيرة من أمري وديني» .

(١١) معاني القرآن ٢/ ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

وقال بعض أهل المعاني : «البيِّنة هاهنا المعجزة ، يعني : القرآن»[١] .

وقولـــه تعالى : ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦٓ﴾ هذه الهاء كناية عـــن البيان ؛ أي وكذبتم بالبيـــان ؛ لأن البيِّنة والبيان بمعنـــى واحد ، ويجوز أن تكـــون الكناية عن معنى البيِّنـــة ، وهو ما أتاهم به من القرآن ؛ لأنه هو البيِّنـــة ، فيكون المعنى : وكذبتم بما أتيتكم به ، هذا قول الزَّجَّاج[٢] .

وقال غيره : «معناه : وكذبتم بربي ؛ لأنه قد جرى ذكره»[٣] .

وقوله تعالى : ﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ قال ابن عباس[٤] والحسن[٥] : «يعنـــي : العذاب ، كانـــوا يقولون : يا محمـــد ، ائتنا بالذي تعدنـــا ، كقوله تعالى : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ [الحـــج :٤٧] ، وقوله تعـــالى : ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا﴾ [الأنفال :٣٢]» .

قال أبو إسحاق : «وجائز أن يكون الذي استعجلوا به الآيات التي اقترحوها عليه ، فأعلم الله أن ذلك عنده فقال : ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾»[٦] .

---

(١) انظر : تفسير ابن عطية ٥/ ٢١٨ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٥٦ .

(٣) هذا قـــول الطبري ٧/ ٢١١ ، ورجَّحه أبو حيـــان في البحر ٤/ ١٤٢ ، والســـمين في الدر ٤/ ٦٥٧ ، وانظر : ابن الجوزي ٣/ ٥١ ، والقرطبي ٦/ ٤٣٨ .

(٤) تنوير المقباس ٢/ ٢٥ ، وذكره الواحدي في الوســـيط ١/ ٥١ ، وابـــن الجوزي ٣/ ٥١ عن ابن عباس والحسن .

(٥) ذكره الماوردي ١/ ١٢١ .

(٦) معـــاني القرآن للزَّجَّـــاج ٢/ ٢٥٦ ، وأكثرهم عـــلى أن المراد العذاب ، والظاهـــر العموم من العذاب والآيات . انظر : تفســـير مقاتل ١/ ٥٦٤ ، والطبري ٧/ ٢١٣ ، ومعـــاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٣٢ ، والســـمرقندي ١/ ٤٨٩ ، وابن عطية ٥/ ٢١٩ ، والقرطبي ٦/ ٤٣٩ ، والبحر ٤/ ١٤٢ ، وابن كثير ٢/ ١٥٣ .

قال ابن عباس : «يريد : أن ذلك عند ربي»[١] .

قال أهل المعاني في قوله تعالى : ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ : «أي الحكم الذي يفصل به بين المختلفين بإيجاب الثواب والعقاب أو الحكم الذي يفصل كل حق من باطل لا يكون على هذا الإطلاق إلَّا لله جل وعز»[٢] .

وقوله تعالى : ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ ؛ أي يقول الحق ، ومعناه أن جميع ما أنبأ به وأمر به فهو من أقاصيص الحق[٣] ، مثل قوله تعالى : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف :٣] ، هذه قراءة أهل الحجاز[٤] ، وقرأ الباقون : «[يَقْضِ] الْحَقَّ»[٥] ، وكُتِب «[يَقْضِ][٦] الْحَقَّ» في المصاحف بغير ياء ؛ لأنها سقطت في اللفظ لالتقاء الساكنين[٧] كما كتبوا ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق :١٨] ، و﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [القمر :٥] .

وقوله تعالى : ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾[٨] قال أبو إسحاق : «فيه وجهان : جائز أن يكون ﴿ٱلْحَقَّ﴾ صفة للمصدر ، المعنى : يقضي القضاء الحق ، ويجوز أن يكون

---

(١) تنوير المقباس ٢/ ٢٥ وفيه : «ما الحكم بنزول العذاب إلاَّ لله» . اهـ

(٢) انظر : تفسير الرازي ١٣/ ٧ .

(٣) هذا قول الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٢٥٧ .

(٤) قرأ ابن كثير وعاصم ونافع : ﴿يَقُصُّ﴾ بضم القاف وصاد مهملة مشددة مرفوعة ، من القصص ، وقرأ الباقون بسكون القاف وضاد معجمة مخففة مكسورة من القضاء ، ولا خلاف أنه بغير ياء في الوصل . انظر : السبعة ٢٥٩ ، والمبسوط ١٦٩ ، والتذكرة ٢/ ٤٠٠ ، والتيسير ١٠٣ ، والنشر ٢/ ٢٥٨ .

(٥) في النسخ (يقضي) بالياء ، وهو خلاف الرسم .

(٦) في (أ) : (يقضي) بالياء ، وهو خلاف الرسم .

(٧) انظر : الحجة لابن خالويه ١٤٠ ، والكشف ١/ ٤٣٤ .

(٨) في النسخ (يقضي) بالياء .

(يَقْـضِ الحَقَّ) : يصنع الحق ؛ لأن كل شيء صنعه الله -عز وجل- فهو حق»[١] ، وعلى هذا يكون (الحق) مفعولاً به وقضى بمعنى : صنع ، كقول الهذلي[٢] :

وَعَلَيْهِـما مَسْرُودتانِ قَضاهُما

داوُدُ . . .[٣]

أي صنعهما داود ، واحتـج أبو عمرو لهذه القراءة[٤] بقوله تعالى : ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ ، قـال : «والفصل في القضاء ليس في القصـص»[٥] ، وقال أبو علي : «القصص هاهنا بمعنى القول ، وقد جاء الفصل في القول أيضاً في نحو قوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ [الطارق :١٣] ، وقوله تعـالى : ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [هود :١] ، وقولـه تعـالى : ﴿نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ [الأنعام :٥٥] ، فقد حمل الفصـل على القول ، واستعمل معه كما جاء مع القضاء»[٦] .

---

(١) معـاني القـرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٥٦ ، وفيـه زاد : «فهو حـق وحِكمـةٌ ، إلاَّ أن ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ يدل عـلى معنى القضاء الذي هو الحكـم ، فأمَّا قضى في معنى صنع فمثله قـول الهذلي . . .» . اهـ . وبمثـل قـول الزَّجَّاج قال الأزهـري في معاني القـراءات ١/ ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، وأبـو علي في الحجة : ٣/ ٣١٩ .

(٢) خُوَيْلد بن خالد بن مُحَرِّث الهذلي أبو ذؤيب ، تقدمت ترجمته .

(٣) شرح أشـعار الهذليين ١/ ٣٩ ، ومجاز القرآن ١/ ٥٢ ، ٢٧٥ ، ومعـاني القراءات ١/ ٣٥٩ ، والحجة لأبي عـلي ٣/ ٣١٩ ، ٤/ ٢٥٤ ، واللسـان (تبع) ١/ ٤١٨ ، والدر المصـون ٢/ ٨٦ ، وتكملته : «أو صَنَعُ السَّـوابغِ تُبَّعُ» ، وهو من قصيدة من عيون المراثي قالها في رثـاء أبنائه الذين أصابهم الطاعون . المسرودتان : درعـان ، وأصل السَّرْد الخرز في الأديم ، والصنع : الحـاذق بالعمل ، وتبع (بالضم) : ملك تصنع له الدروع . انظر : جمهرة أشعار العرب ٢٤٧ .

(٤) ذكـره أبو علي في الحجة ٣/ ٣١٨ ، وابن خالويه في إعراب القراءات ١/ ١٥٩ ، وابن زنجلة في الحجة ٢٥٤ .

(٥) معاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٣٤ ، ٤٣٥ .

(٦) الحجة لأبي علي ٣/ ٣١٨ ، ٣١٩ .

٥٨. قولـه تعـالى: ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾ الاستعجال: المطالبة بتعجيل الشيء قبل وقته، ولذلك كانت العجلة مذمومة[١]، والإسراع: تقديم الشيء في وقته، ولذلك كانت السرعة محمودة[٢]، [و][٣] قال ابن عباس: «يقول لمحمد: ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾ من العذاب لم أناظركم [ساعة][٤]، ولكن الله حليم ذو أناة لا يعجل لعجلتكم»[٥].

وقوله تعالى: ﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾؛ أي لا نفصل ما بيني وبينكم من مطالبتي لكم بإخلاص عبادة الله ومطالبتكم بتعجيل العقوبة، فلو كان الأمر بيدي لأتيتكم [بما][٦] تستعجلون به من العذاب[٧]، فلا يبقى بيننا مطالبة، هذا معنى قوله: ﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾، وقد ذكرنا معنى ﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ عند قوله ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [الأنعام: ٨].

وقال أهل المعاني[٨]: «في هذه الآية علم الله تعالى أن بعضهم يؤمن من هؤلاء الذين كانوا يستعجلون العذاب، فلذلك أخر العذاب عنهم، والنبي ﷺ كان لا يعلم باطن أمرهم؛ فلهذا كان يعجل عليهم بالعقوبة [لو][٩] كان الأمر بيده».

---

(١) انظر: تهذيب اللغة ٣/ ٢٣٤٢، والمفردات (عجل) ٥٤٨.
(٢) المفردات (سرع) ٤٠٧.
(٣) لفظ (الواو): ساقط من (ش).
(٤) لفظ (ساعة) ساقط من (أ).
(٥) ذكره المؤلف في الوسيط ١/ ٥١، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٥٢، وانظر: تنوير المقباس ٢/ ٢٥.
(٦) في (أ): (ما).
(٧) لفظ: (من العذاب) ساقط من (أ).
(٨) انظر: زاد المسير ٣/ ٥٢.
(٩) في (ش): (إذا).

وقولــه تعالى : ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال ابن عبــاس : «يريد : لا أحد أظلم منكم ما جهلتم شـيئاً من أمري ولا كنت عندكم منذ ولدت إلى اليوم كاذباً ولا ســاحراً ولا كاهناً ولا مفتريـًا»[١] ، يعني أنهم ظلمــوه إذ كذبوه ، وقالوا : إنه كاذب وســاحر بعد علمهم بصدقه وأمانتــه ، فيكون في قوله : ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [ضرب][٢] من الوعيد لهم .

وقال بعــض أصحاب المعاني في قوله تعــالى : ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ : «متصــل المعنى بالذي قبله كأنه قــال : أنا لا أعلم وقت عقوبــة الظالمين ، والله -عز وجل- يعلم ذلك ، فهو يؤخره إلى وقته»[٣] .

٥٩. قوله تعالى : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ الآية . المفاتح جمع مِفْتح وَمَفْتح ، فالمفتح بالكــسر : المفتاح الذي يفتح به ، والمفتح بفتح الميم : الخزانة ، وكل خزانة كانت لصنف من الأشياء فهي مَفْتح[٤] .

قــال الفرَّاء في قولــه تعــالى : ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ [القصص :٧٦] : «يعني : خزائنه»[٥] .

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) في (ش) : (ذر) .

(٣) انظر : البحر المحيط ٤/ ١٤٣ .

(٤) انظر : العين ٣/ ١٩٤ ، والجمهرة ١/ ٣٨٦ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٧٣٢ ، والصحاح ١/ ٣٨٩ ، ومجمل اللغة ٣/ ٧١٠ ، ومقاييس اللغة ٤/ ٤٦٩ ، والمفردات ٦٢١ ، واللسان (فتح) ٦/ ٣٣٣٩ .

(٥) معاني القرآن ٢/ ٣١٠ .

وقال السُّدِّي[(١)] والحسن[(٢)] : «﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ : خزائن الغيب» ، ونحو ذلك قال ابن عباس[(٣)] [والضحاك[(٤)] ومقاتل[(٥)] «في المفاتح أنها الخزائن» .

واختلفوا في معنى ﴿ٱلْغَيْبِ﴾ هاهنا ، فقال ابن عباس][(٦)] في رواية عطاء : «يريد : ما غاب عنكم من الثواب والعقاب ، وما يصير إليه أمري وأمركم»[(٧)] .

وقال مقاتل : «يعني : خزائن غيب العذاب متى ينزل بكم ﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾»[(٨)] .

وروي عن ابن عباس قوله : «خزائن الأرض والرزق ونزول العذاب»[(٩)] ، وهو قول الضحاك[(١٠)] .

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ٢١٢ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٠٤ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٢٧٧ .

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٥٢ عن ابن عباس ، والضحاك ، ومقاتل ، والسُّدِّي ، والحسن . قال القرطبي في تفسيره ٢/ ٧ : «قيل : المراد بالمفاتح خزائن الرزق ، عن السُّدِّي والحسن» . اهـ

(٣) ذكره الماوردي ٢/ ١٢١ ، والواحدي في الوسيط ١/ ٥٢ ، وابن الجوزي ٣/ ٥٣ ، وأخرج الطبري في تفسيره ٧/ ٢١٣ بسند ضعيف عن عطاء الخرساني عن ابن عباس : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ ، قال : «هن خمس : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ إلى قوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان : ٣٤]» ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٢٨ .

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف ١٧٨ ب ، والواحدي في الوسيط ١/ ٥٢ ، والبغوي ٣/ ١٥٠ ، والقرطبي ٧/ ٢ .

(٥) تفسير مقاتل ١/ ٥٦٤ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٧) لم أقف عليه .

(٨) تفسير مقاتل ١/ ٥٦٤ .

(٩) ذكره الماوردي ٢/ ١٢١ ، وابن الجوزي ٣/ ٥٣ ، وأبو حيان ٤/ ١٤٤ ، وفي تنوير المقباس ٢/ ٢٦ نحوه .

(١٠) ذكره الثعلبي في الكشف ١٧٨ ب ، والبغوي ٣/ ١٥٠ ، والقرطبي ٧/ ٢ .

وقال أبو إسحاق في قوله تعالى : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ : «أي عنده الوصلة إلى علم الغيب ، قال : وكل ما لا يعلم إذا استعلم يقال فيه : افتح عليَّ»[١] ، فعلى هذا المفاتح جمع [المفتح][٢] بمعنى الفتح ، كأن المعنى عنده فتوح الغيب ؛ أي هو يفتح الغيب على مَن يشاء من عباده بذكره والبيان عنه والدلالة عليه ، فيفتح لعباده ما [يشاء][٣] من ذلك بإعلامهم إياه ، ويغلق عنهم ما شاء منه بترك دلالتهم عليه .

وقوله تعالى : ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ قال مجاهد : «البر : الْقِفار ، والبحر : كل قرية فيها ماء»[٤] ، وهذا عام في كل ما في المياه والأرضين من البوادي والقفار ، لا يحدث فيها شيء إلَّا بعلم الله عز وجل .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ قال أبو إسحاق : «المعنى : أنه يعلمها ساقطة وثابتة ، كما تقول : ما يجيئك أحد إلَّا وأنا أعرفه ، فليس تأويله إلَّا وأنا أعرفه في حال مجيئه فقط»[٥] .

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٢٥٧ ، ونحوه ذكره النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٣٥ .

(٢) في (أ) : (المُفتح) بالضم ، وفي (ش) : (المَفْتَح) بسكون ثم فتح . قال السمين في الدر ٤/ ٦٦٠ ، وابن حجر في الفتح ٨/ ٢٩١ : «جوَّز الواحدي أنه جمع مفتح بفتح الميم على أنه مصدر» . اهـ ، وزاد ابن حجر : «وهو بمعنى : الفتح ؛ أي عنده فتوح الغيب ؛ أي يفتح الغيب على مَن يشاء من عباده ، ولا يخفى بعد هذا التأويل للحديث المذكور في الباب ، وأن مفاتح الغيب لا يعلمها أحد إلَّا الله» . اهـ . والحديث المقصود هو ما أخرجه البخاري في صحيحه ٤٦٢٧ ، كتاب : التفسير ، باب (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلَّا هو) عن عبدالله بن عمر عن النبي ﷺ قال : «مفاتح الغيب خمس : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾» [لقمان :٣٤] . انظر : الأحاديث في هذا الباب في مرويات الإمام أحمد في التفسير ٣/ ٣٧١ـ٣٧٤ .

(٣) في (أ) : (ما شاء) .

(٤) ذكره الثعلبي ١٧٨ ب ، والواحدي في الوسيط ١/ ٥٣ ، وابن الجوزي ٣/ ٥٤ . قال الماوردي ٢/ ١٢١ : «الجمهور وهو الظاهر أن : ما في البر ما على الأرض ، وما في البحر ما على الماء» ، وقال مجاهد : «البر : القفر ، والبحر : القرى لوجود الماء فيها ، فلذلك سميت بحراً» . اهـ بتصرف

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٥٧ ، ومثله ذكر النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٣٦ .

وقوله تعالى: ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ﴾ تقديره: ولا من ﴿حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ﴾، قالوا: «يعني في الثرى تحت الأرض»(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ قال ابن عباس: «يريد: ما ينبت وما لا ينبت»(٢)، وروي عنه أنه قال: «الرطب: الماء، واليابس: البادية»(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ قال صاحب النظم(٤): «تم الكلام عند قوله ﴿وَلَا يَابِسٍ﴾، ثم استأنف خبراً آخر بقوله تعالى: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ بمعنى: وهو ﴿فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ أيضاً؛ لأنك لو جعلت قوله ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ متصلاً بالكلام الأول فسد المعنى»، وبيان فساده(٥) في فصل طويل ذكرناه في سورة يونس في قوله: ﴿وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾(٦) [يونس: ٦١]، [ومعنى قوله: ﴿فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾(٧)]: قال أبو إسحاق: «يجوز أن يكون الله -عز وجل- أثبت

---

(١) انظر: الدر المصون ٤/ ٦٦١.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٥٣، وذكره الثعلبي في الكشف ١٧٨ ب، والبغوي ٣/ ١٥١ عن عطاء فقط.

(٣) تنوير المقباس ٢/ ٦٢، وذكره الثعلبي ١٧٨ ب، والبغوي ٣/ ١٥١، وانظر: زاد المسير ٣/ ٥٤.

(٤) كتاب نظم القرآن للجرجاني (مفقود)، وذكر قوله السمين في الدر ٤/ ٦٦٢، ورجَّحه الزمخشري ٢/ ٢٤-٢٥، وأبو حيان في البحر ٤/ ١٤٦؛ لأنه استثناء بعد استثناء للتأكيد. قال أبو حيان: «هذا الاستثناء جارٍ مجرى التوكيد؛ لأن قوله: ﴿وَلَا حَبَّةٍ﴾ ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ معطوف على قوله: ﴿مِن وَرَقَةٍ﴾، والاستثناء الأول منسحب عليها كما تقول: ما جاءني من رجل إلَّا أكرمته ولا امرأة، أي إلَّا أكرمتها، ولكنه لمَّا طال الكلام أعيد الاستثناء على سبيل التوكيد وحسنه كونه فاصلة». اهـ ملخصاً، وجعل بعضهم الاستثناء الثاني بدلاً من الأول. انظر: غرائب الكرماني ١/ ٣٦٣، والبيان ١/ ٣٢٤، والتبيان ١/ ٣٣٧، والفريد ٢/ ١٦١.

(٥) قال السمين في الدر ٤/ ٦٦٢: «فساد المعنى من حيث اعتقد أنه استثناء آخر مستقل، ولو جعله استثناء مؤكداً للأول لم يفسد المعنى، وكيف يتصور تمام الكلام على قوله: ﴿وَلَا يَابِسٍ﴾ ويبتدأ بإلَّا، وكيف تقع إلَّا هكذا؟». اهـ ملخصاً.

(٦) لفظ: ﴿وَلَآ أَكْبَرَ﴾ ساقط من (أ).

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

ذلك في كتاب من قبـــل أن يخلق كما قال جل وعز : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]، فأعلم جل وعز أنه قد أثبت ما خلق من قبل خلقه»(١) .

قال ابن الأنباري وغيره(٢) : «وفائدة كَتْـب الله ذلك في اللوح المحفوظ مع علمه أنه لا يفوته شيء هو أنه -عز وجل- كتَب هذه الأشـياء وأحصاها قبل أن تكون(٣) ؛ لتقف(٤) الملائكة على نفاذ علمه، وأنه لا يغيب عنه مما في السـماوات والأرض شيء، فيكون في ذلـك عبرة للملائكة الموكلين باللوح؛ لأنهم يقابلون به ما يحـدث من الأمور فيجدونه موافقاً له. قال أبـو بكر: ويجوز أن يقال: إن الله تبـارك وتعالى ذكر ما ذكر من الورقة والحبة تعظيماً على خلقِه أمر الحسـاب، وإعلاماً أنه لا يفوته من جميع ما يصنعون في الدنيا شيء؛ لأن الذي يثبت ويكتب مما لا ثواب فيه ولا عقاب كان ما فيه الثواب والعقاب أَولى بالْكَتْب.

فذكر ما ذكر تبارك وتعالى: [من هذا(٥)] معظماً ومخوفاً ودالًّا على أنه لا يغيب عنه من أعمال العباد شيء»(٦) ، وهذا معنى قول الحسن: «يكتبه الله رطباً، ويكتبه يابساً، لتعلم يا ابن آدم أن عملك أَولى بالإحصاء»(٧) .

---

(١) معـاني القرآن ٢/ ٢٥٧ . قال النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٣٧ : «أي إلاَّ يعلمه علمًا يقيناً، ويجوز أن يكون المعنى: إلَّا قد كتبه قبل أن يخلقه، والله أعلم بما أراد» . اهـ

(٢) انظر: تفسير الطبري ٧/ ٢١٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٣٧ ، وتفسير الرازي ١٣/ ١٠-١١ .

(٣) في النسخ (يكون) بالياء، والأولى تكون بالتاء.

(٤) في (ش): (ليقف).

(٥) لفظ: (من هذا) ساقط من (أ).

(٦) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٥٤ ، ٥٥ .

(٧) لم أقف عليه.

٦٠. قوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ قال ابن عباس : «يقبض أرواحكم في منامكم»[(١)] ، وقال أبو إسحاق : «معنى : ﴿يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ ؛ أي ينيمكم فيتوفى نفوسكم التي بها تميزون[(٢)] كما قال جل وعز : ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر :٤٢]»[(٣)] ، فالله جل وعز يقبض الأرواح عن التصرف بالنوم كما يقبضها بالموت .

وقوله تعالى : ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ قال ابن عباس : «يريد : ما كسبتم من العمل بالنهار»[(٤)] ، وقد مضى الكلام في معنى الجرح عند ذكر الجوارح[(٥)] .

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ قال ابن عباس : «يرد عليكم أرواحكم في النهار»[(٦)] ، وقال قتادة : «البعث هاهنا : اليقظة»[(٧)] ، وقال الزَّجَّاج : «أي ينبهكم في نومكم في النهار»[(٨)] .

وقوله تعالى : ﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ ؛ أي أعماركم المكتوبة ، وهو قوله : ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ [الأنعام :٢] .

---

(١) تنوير المقباس ٢/ ٢٦ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٥٤ ، وابن الجوزي ٣/ ٥٥ .

(٢) في (ش) : (يميزون) .

(٣) معاني القرآن ٢/ ٢٥٧ ، ومثله ذكر النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٣٧ .

(٤) تنوير المقباس ٢/ ٢٦ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٥٤ ، وأخرج الطبري في تفسيره ٧/ ٢١٤ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٠٥ بسند جيد عن ابن عباس ، قال : «ما اكتسبتم من الإثم» ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٣٠ .

(٥) انظر : البسيط (نسخة جامعة الإمام) ٣/ ١١ ب .

(٦) تنوير المقباس ٢/ ٢٦ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٥٤ .

(٧) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ١/ ٢٠٨ ، والطبري ٧/ ٢١٥ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٠٦ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٣٠ .

(٨) معاني القرآن ٢/ ٢٥٨ .

قال السُّـدِّي : «يعني : أجل الحياة إلى المـوت»[١] ، وهو قول المفسرين[٢] . قال الزَّجَّـاج : «أي يبعثكـم من نومكـم إلى أن تبلغوا آجالكـم»[٣] . ومعنى القضاء : فصل الأمر على تمام ، ومعنى قضاء الأجل : فصل مدة العمر من غيرها بالموت[٤] ، وفي هذه الآية حجة على النشأة الثانية ؛ لأن منزلتها بعد الأولى كمنزلة اليقظة بعد النوم في أن مَن قَدَر على أحدهما فهو قادر على الآخر[٥] .

٦١. قوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ الآية . ﴿فَوْقَ﴾ يستعمل في كل ما يسـتحق أن يوصف بأفعل ، ولا يراد به المـكان العالي ، كما يقال : هو فوقه في القدرة ؛ أي أقدر منه ، و[هو][٦] فوقه في العلم ؛ أي أعلم [منـه][٧] ، و[هو][٨] فوقـه في الجود[٩] ؛ أي أجـود ، يُعبِّر عن تلك الزيادة بهذه العبارة للبيان عنها[١٠] .

وقوله تعالى : ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ قال ابن عباس : «من الملائكة يحصون أعمالكم كقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ﴾ [الانفطار : ١٠]»[١١] .

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ٢١٥ بسند جيد .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٧/ ٢١٥ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٣٨ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٤٩٠ .

(٣) معاني القرآن ٢/ ٢٥٨ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (قضى) ٣/ ٢٩٨٦ .

(٥) ذكر هذا المعنى الثعلبي في الكشف ١٧٨ ب ، والقرطبي في تفسيره ٧/ ٦ .

(٦) لفظ : (هو) ساقط من(أ) .

(٧) لفظ : (منه) ساقط من (ش) ، وتكرر فيها لفظ (هو فوقه في العلم أي أعلم) .

(٨) لفظ : (هو) ساقط من (أ) .

(٩) في (ش) : (الجيد) ، وهو تحريف .

(١٠) انظر : تهذيب اللغة (فـوق) ٣/ ٢٧٢٤ ، وابن عطية ٥/ ٢٢٥ ، والقرطبي ٧/ ٦ ، وهذا تأويل وقول نفاة العُلوِّ ، والحق أنها تسـتعمل في فوقية المكان والمكانة ، والله مسـتعلٍ عـلى كل شيء بذاته وقدره وقهره ، وقد سبق الكلام في ذلك .

(١١) ذكره الواحدي في الوسـيط ١/ ٥٥ ، وابن الجوزي في زاد المسـير ٣/ ٥٥ ، وفي تنوير المقباس ٢/ ٢٧ نحوه .

وقال قتادة: «يحفظون عليك أجلك ورزقك»[١]، وروي عن السُّدِّي قوله: «يحفظون العبد من أمر الله الذي لم يُقدَّر له إلى الأمر الذي قُدِّر له»[٢].

قال الزَّجَّاج: «الحفظة: الملائكة، واحدهم حافظ»[٣].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ يعني: أعوان مَلك الموت، عن ابن عباس[٤] والحسن[٥]، وقتادة[٦]، وإبراهيم[٧]، والربيع[٨].

وقال أبو إسحاق: «﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾؛ أي هؤلاء الحفظة؛ لأنه قال: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾»[٩]، فجعل أبو إسحاق رسل الموت من الحفظة المرسلة

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ٢١٦، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٠٦ بسند جيد، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٣٠.

(٢) لم أقف عليه. وقد أخرج الطبري في تفسيره ٧/ ٢١٦، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٠٦ بسند جيد عن السُّدِّي، قال: «هي المعقبات من الملائكة يحفظونه ويحفظون عمله»، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٣٠، وانظر: زاد المسير ٤/ ٣١٢.

(٣) معاني القرآن ٢/ ٢٥٨، وفيه: «والجمع حفظة مثل: كاتب، وكتبة، وفاعل، وفعلة». اهـ

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ٢١٦، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٠٧ بسند جيد عن إبراهيم النخعي عن ابن عباس، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٣٠، وفي تهذيب التهذيب ١/ ٩٢: «النخعي لم يسمع من ابن عباس لكن مراسيله جيدة». اهـ

(٥) قال أبو حيان في البحر ٤/ ١٤٨، ١٤٩: «قال الحسن: إذا احتضر الميت احتضره خمس مئة مَلك يقبضون روحه فيعرجون بها»، وقال ابن عطية في تفسيره ٥/ ٢٢٥: «قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ يريد به على ما ذكر ابن عباس وجميع أهل التأويل ملائكة مقترنين بمَلك الموت يعاونونه ويأتمرون له». اهـ

(٦) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ١/ ٢٠٩، والطبري ٧/ ٢١٧، وأبو الشيخ في العظمة ٢١١ بسند جيد، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٣٠.

(٧) أخرجه سفيان الثوري في تفسيره ١٠٨، وعبدالرزاق ٢/ ١/ ٢٠٩، والطبري ٧/ ٢١٧، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٠٧، وأبو الشيخ في العظمة ٢١١ بسند جيد، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٣٠.

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ٢١٧، وأبو الشيخ في العظمة ٢٠٠، ٢٠١ بسند لا بأس به، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٣٠٠.

(٩) معاني القرآن ٢/ ٢٥٨.

للحفظ ، وعلى هذا يجب أن يكون ؛ لأن تقدير اللفظ : وهو الذي يرسل الحفظة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ توفَّوه ، يريد : أنه يرسلهم للحفظ في الحياة والتوفية عند مجيء الممات[(١)] ، و﴿حَتَّىٰٓ﴾ هاهنا هي التي يقع بعدها الابتداء[(٢)] والخبر ، وقد بيَّنَّا شرح[(٣)] ذلك عند قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ [يوسف : ١١٠] .

وقوله تعالى : ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ قال ابن عباس[(٤)] والسُّدِّي[(٥)] : «لا يضيعون» ، وقال الزَّجَّاج : «لا يغفلون ولا يتوانَون ، قال : ومعنى التفريط : تقدمة العجز ، والمعنى : أنهم لا يعجزون»[(٦)] .

٦٢. قوله تعالى : ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعني : العباد يردون بالموت إلى الله ﴿مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ . وقد مضى الكلام في معنى المولى عند قوله تعالى : ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ [البقرة : ٢٨٦] . ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ ؛ أي القضاء فيهم ، ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ ، يقول : إذا حاسب فحسابه سريع ، ومضى الكلام في معنى سرعة حساب الله تعالى عند قوله : ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [البقرة : ٢٠٢] في سورة البقرة .

---

(١) قال الفخر الرازي في تفسيره ١٣/ ١٦ : «الأكثرون أن الذين يتولون الحفظ غير الذين يتولون أمر الوفاة ، ولا دلالة في لفظ الآية تدل على الفرق» ، وقال أبو حيان في البحر ٤/ ١٤٨ : «الأكثرون على أن ﴿رُسُلُنَا﴾ عين الحفظة يحفظونهم مدة الحياة ، وعند مجيء أسباب الموت يتوفونهم» . اهـ

(٢) انظر : الفريد ٢/ ١٦٣ .

(٣) انظر : البسيط : (النسخة الأزهرية) ٣/ ٨٠ ب .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ٢١٨ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٠٧ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٣١٠ .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ٢١٨ بسند جيد .

(٦) معاني القرآن ٢/ ٢٥٨ . قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/ ١٩٤ : «أي لا يتوانون ولا يتركون شيئاً ولا يخلفونه ولا يغادرون» . اهـ . انظر : معاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٣٩ ، وقد تقدم بحث معنى فرط .

٦٣. قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ الآية. قُرئ[١] قوله: ﴿يُنَجِّيكُم﴾ بالتشديد، وكذلك قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم﴾ [«والتشديد والتخفيف لغتـان منقولتان من نجا، فإن شـئت نقلت بالهمز، وإن شـئت نقلت بتضعيف العين نحو: أفرحته وفرَّحته وأغرمته وغرَّمته وما أشبه ذلك، وفي التنزيل: ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [العنكبوت:٢٤]، ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ [الأعـراف:٦٤]، وفيه[٢]: ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [فصلت:١٨]، فإذا جاء التنزيل باللغتين جميعاً تبيَّنْت اسـتواء القراءتين في الحسن»[٣].

غير أن الاختيار التشديدُ؛ لأن ذلك كان لهم من الله غير مرةٍ[٤].

وقوله تعالى: ﴿مَن يُنَجِّيكُم﴾ سؤال توبيخ لهم، وتقرير أن الله يفعل ذلك[٥].

وقوله تعالى: ﴿مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ قال ابن عباس: «من أهوالهما وكرباتهما، قال: وكانت قريش تسافر في البر والبحر، فإذا ضلوا الطريق وخافوا الهلاك دعوا الله مخلصين فأنجاهم»[٦].

---

(١) قرأ أبو عمرو في روايـة ويعقوب: (قُلْ مَن يُنْجِيكُم) مخففة الجيم سـاكنة النون، وقرأ الباقون بفتح النون وتشـديد الجيم، وقرأ عاصم وحمزة والكسـائي (قُلِ الله يُنَجِّيكُم) بفتح النون وتشديد الجيم، وقرأ الباقون بإسـكان النون مع تخفيف الجيم. انظر: السـبعة ٢٥٩، والمبسـوط ١٦٩، والتذكرة ٢/ ٤٠٠، والتيسير ١٠٣، والنشر ٢/ ٢٥٨.

(٢) لفظ: (فيه) ساقط من (ش).

(٣) ما تقدم هو قول أبي علي في الحجة ٣/ ٣٢٢، ٣٢٣، وانظر: معاني القراءات ١/ ٣٦٢، والحجة لابن خالويه ١٤١، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ١٥٩، ١٦٠، والحجة لابن زنجلة ٢٥٥.

(٤) قال مكي في الكشـف ١/ ٤٣٦: «القراءتان متعادلتان، غير أن التشديد فيه معنى التكرير للفعل على معنى نجاة بعد نجاة». اهـ. انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٥٨، وتفسير الفخر الرازي ١٣/ ٢٠.

(٥) انظر: الفريد ٢/ ١٦٤، والدر المصون ٤/ ٦٦٩.

(٦) ذكره الواحدي في الوسـيط ١/ ٥٦، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٥٨، وأخرج الطبري في تفسيره ٧/ ٢١٩، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٠٨ بسند ضعيف من طريق العوفي، عن ابن عباس، قال: «يقول: إذا أضل الرجل الطريق دعا الله: ﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾».

قال أبو إسحاق[(١)] : «﴿ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ شدائد البر والبحر ، والعرب تُعبِّر عن الشـــدة بالظلمة ، يقولون لليوم الذي يلقى فيه شدة : يوم مظلم ، حتى أنهم يقولون : يوم ذو كواكب ؛ أي قد اشتدت ظلمته حتى صار كالليل ، وأنشد[(٢)] :

بَنِي أَسَـدٍ هَـلْ تَـعْلَمُونَ بَلاءَنـا إِذَا كَانَ يَـوْمَ ذَا كَواكِبَ مظلم» .

وقال غـــيره : «أراد ظلمة الليل وظلمة الغيم في الـــبر والبحر ، فجمع لفظه ليدل على معنى الجميع»[(٣)] .

وقوله تعـــالى : ﴿تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ﴾ تقديـــره : ﴿قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم﴾ داعين ﴿تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ﴾[(٤)] وقُـــرِئ ﴿وَخِفۡيَةٗ﴾[(٥)] ، وهما لغتان[(٦)] . قـــال ابن عباس[(٧)] والحسن[(٨)] : «﴿تَضَرُّعٗا﴾ علانية وخِفية (بكسر الخاء) سرّاً بالنية» .

---

(١) معاني القرآن للزَّجّاج ٢/ ٢٥٩ .

(٢) البيت لعمرو بن شـــأس الأســـدي شـــاعر مخضرم ، في الكتاب ١/ ٤٧ ، وبلا نســـبة في معاني القرآن للنحـــاس ٢/ ٤٤٠ ، والكشـــاف ١/ ٤٠٤ ، والقرطبي ٧/ ٨ ، والبحـــر ٤/ ١٢٢ ، ورواية الأكثر : أَشْنَعَا : مكان مظلم ، ويروى : أشهب . انظر : المعاني الكبير ٢/ ٩٧٣ .

(٣) انظر : تفســـير مقاتل ١/ ٥٦٥ ، والطـــبري ٧/ ٢١٩ ، والأولى العموم . قال ابـــن عطية ٥/ ٢٢٨ : «التخصيص لا وجه له ، وهو لفظ عام لأنواع الشدائد» . اهـ ملخصاً ، وانظر : البحر ٤/ ١٥٠ .

(٤) أي في محل نصب على الحال من مفعـــول ﴿يُنَجِّيكُم﴾ ، و﴿تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ﴾ مصدر في موضع الحال . انظر : الفريد ٢/ ١٦٥ ، والدر المصون ٤/ ٦٦٩ .

(٥) قـــرأ عاصم في روايـــة أبي بكر : (خِفْيَة) بكسر الخـــاء ، وقرأ الباقون بضمها . انظر : الســـبعة ٢٥٩ ، والمبسوط ١٧٠ ، والتذكرة ٢/ ٤٠٠ ، والتيسير ١٠٣ ، والنشر ٢/ ٢٥٩ .

(٦) انظر : معاني القراءات ١/ ٣٦٢ ، وإعراب القراءات ١/ ١٥٩ ، والحجة لابن خالويه ١٤١ ، والحجة لأبي علي ٣/ ٣١٧ ، والحجة لابن زنجلة ٢٥٥ ، والكشف ١/ ٤٣٥ .

(٧) تنوير المقباس ٢/ ٢٧ ، وقال السيوطي في الدر ٣/ ٣١ : «أخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾ [الأعراف :٥٥] قال : السر» .

(٨) ذكره أبو علي الفارسي في الحجة ٣/ ٣١٧ ، قال : «روي عن الحســـن : التضرع العلانية والخفية بالنية» . اهـ

قال أبو إسحاق : «المعنى : تدعونه مظهرين الضراعة ، وهو شدة الفقر إلى الشيء والحاجة ، وتدعونه خفية أي في أنفسكم تضمرون[١] فقركم وحاجتكم إليه كما تظهرون»[٢] .

وقوله تعالى : ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا﴾ وقرأ الكوفيون[٣] : ﴿لَّئِنْ أَنجَانَا﴾ حملوه على الغيبة لقوله قبله : ﴿تَدْعُونَهُ﴾ ﴿لَّئِنْ أَنجَانَا﴾[٤] ، وقوله بعده : ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم﴾ [الأنعام :٦٤] ، ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ﴾ [الأنعام :٦٥] ، فـ﴿أَنجَيْتَنَا﴾ أولى من (أنجَيْتَنا) لكونه على ما قبله وما بعده [من لفظ الغيبة ، وفيه إضمار على تقدير : يقولون : (لَئِنْ أَنجَيْتَنا) ، وهو في موضع الحال مثل ﴿تَدْعُونَهُ﴾ ، ومن قرأ : (لَئِنْ أَنجَيْتَنا) ، فالتقدير عنده : داعين وقائلين (لَئِنْ أَنجَيْتَنا) ، فواجه بالخطاب ، ولم يراع ما راعاه الكوفيون من المشاكلة بما قبله وما بعده][٥] . ويقوِّي هذه القراءة قوله في آية أخرى : ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس :٢٢] . وأمال[٦] حمزة والكسائي ﴿أَنجَانَا﴾ وهو مذهب حسن ؛ لأن هذا النحو من الفعل إذا كان على أربعة أحرف استمرت فيه الإمالة لانقلاب الألف إلى الياء في المضارع[٧] .

---

(١) في (ش) : (يضمرون) .

(٢) معاني القرآن ٢/ ٢٥٩ ، ونحوه ذكر النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٤٠ .

(٣) قرأ : عاصم وحمزة والكسائي (لَئِنْ أَنجَيْتَنا) بألف بعد الجيم من غير تاء ولا ياء ، وأمال الجيم حمزة والكسائي ، وفتح عاصم ، وقرأ الباقون : (لَئِنْ أَنجَيْتَنا) بالياء والتاء من غير ألف . انظر : السبعة ٢٥٩ ، والمبسوط ١٦٩ ، والتذكرة ٢/ ٤٠١ ، والتيسير ١٠٣ ، والنشر ٢/ ٢٥٩ .

(٤) جاء في (ش) : تكرار قوله : «حملوه على الغيبة ؛ لقوله قبله ﴿تَدْعُونَهُ﴾ ﴿لَّئِنْ أَنجَانَا﴾» .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) .

(٦) في (أ) : (وأما حمزة) ، وهو تحريف .

(٧) هذا قول أبي علي الفارسي في الحجة ٣/ ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، وانظر : معاني القراءات ١/ ٣٦٢ ، وإعراب القراءات وعللها ١/ ١٦٠ ، والحجة لابن خالويه ١٤١ ،١٤٢ ، والحجة لابن زنجلة ٢٥٥ ، والكشف ١/ ٤٣٥ . انظر : أيضاً تعريف الإمالة ومراجعها في ما سبق .

وقوله تعالى : ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ قال ابن عباس : «من المؤمنين»[(١)] ، وقال عطاء عنه : «يريد : من الطائعين»[(٢)] .

٦٤. وقوله تعالى : ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ «الكَرْبُ : الغم الذي يأخذ بالنفس[(٣)] ، يقال : كَرَبه الغم ، وإنه لمكروب ، والكربة : الاسم ، والكريب : المكروب ، وأمر كارب ، ذكر ذلك الليث»[(٤)] .

قال أبو إسحاق : «أعلمهم الله تعالى أن الله الذي دعوه وأقروا به هو ينجيهم ثم هم يشركون معه الأصنام التي قد علموا أنها من صنعتهم [و][(٥)] أنها لا تضر ولا تنفع ولا تقدر أن تنجي من كربة ويله[(٦)] . ثم أعلمهم أنه قادر على تعذيبهم ، فقال تعالى : ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام :٦٥]»[(٧)] .

قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد : من السماء كما حُصب قوم لوط وكما رمي أصحاب الفيل ، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ يريد : كما خُسف بقارون»[(٨)] .

---

(١) تنوير المقباس ٢/ ٢٧ ، ٢٨ ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٥٨ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) في (ش) : (يأخذ النفس) .

(٤) ذكره عن الليث الأزهري في تهذيب اللغة ٤/ ٣١١٩ ، وهو في العين للخليل ٥/ ٣٦٠ ، وانظر : جمهرة اللغة ١/ ٣٢٧ ، والصحاح ١/ ٢١١ ، ومجمل اللغة ٣/ ٧٨٣ ، ومقاييس اللغة ٥/ ١٧٤ ، والمفردات ٧٠٦ ، واللسان (كرب) ٧/ ٣٨٤٥ .

(٥) لفظ : (الواو) ساقط من (ش) .

(٦) (ويله) غير واضحة في النسخ ، ولم ترد عند الزَّجَّاج .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٥٩ بتصرف .

(٨) تنوير المقباس ٢/ ٢٨ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٥٨ ، وابن الجوزي ٣/ ٥٩ .

وهو قول السُّدِّي(١) وابن جريج(٢) ومجاهد(٣) ومقاتل(٤)، قالوا: «﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ الصيحة والحجارة والريح والغرق بالطوفان وكل عذاب من السماء، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ الرجفة والخسف».

وقال في رواية عكرمة: «﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ الأمراء، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ السفلة(٥)»، وهو قول الضحاك: «﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾: من قبل كباركم، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: من أسفل منكم»(٦)، ونحوَ هذا روى عبدالوهاب ابن مجاهد(٧) عن أبيه: «﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾: السلاطين الظَّلَمة، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: العبيد السوء»(٨).

---

(١) أخرجه الطبري ٧/ ٢٢٠ بسند جيد.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٥٨.

(٣) ذكره السيوطي في الدر ٣/ ٢٨٣، وأخرج عنه الطبري ٧/ ٢٢٠ بسند جيد، قال: «﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: الخسف».

(٤) تفسير مقاتل ١/ ٥٦٥.

(٥) ذكره الرازي ١٣/ ٢٢ عن عكرمة عن ابن عباس، وأخرج عنه الطبري ٧/ ٢٢٠ بسند جيد، قال: «﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾ يعني: من أمرائكم ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ يعني: سفلتكم»، وأخرج عنه الطبري وابن أبي حاتم ٤/ ١٣١٠، ١٣١١ بسند جيد، قال: «﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾: أئمة السوء، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: خدم السوء». اهـ، وانظر: الدر المنثور ٣/ ٣١.

(٦) ذكره النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٤٠، والثعلبي ١٧٩ أ، والبغوي ٣/ ١٥٣.

(٧) هو عبدالوهاب بن مجاهد بن جبر المخزومي القرشي، روى عن أبيه وعطاء، وروى عنه عبدالرزاق وغيره، وهو متروك، وقيل: لم يسمع من أبيه. انظر: الجرح والتعديل ٦/ ٦٩، وميزان الاعتدال ٢/ ٦٨٢، وتهذيب التهذيب ٦/ ٤٥٣، وتقريب التهذيب ٣٦٨ (٤٢٦٣).

(٨) ذكره الثعلبي ١٧٩ أ، والبغوي ٣/ ١٥٣، والقرطبي ٧/ ٩، والظاهر أن المراد بالعذاب من فوق الرجم وما أشبهه، ومن تحت الخسف وما أشبهه؛ لأنه هو المعروف عند العرب من معنى فوق وتحت، فحمله على الأغلب والأشهر أولى، وإن كان غيره له وجه من الصحة، وهذا اختيار أكثرهم. قال ابن عطية ٥/ ٢٣١: «الأقوال في الآية كلها أمثلة، لا أنها هي المقصودة؛ إذ هي وغيرها داخلة في عموم اللفظ». اهـ بتصرف، وانظر: معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٣٨، وتفسير غريب القرآن ١٦٤، والطبري ٧/ ٢٢٠، وابن كثير ٢/ ١٥٩، والبحر ٤/ ١٥١.

وقوله تعالى : ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ الشيع [(١)] : جمع شيعة ، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة ، والجمع شِيع وأشياع ، قال الله عز وجل : ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ [سبأ :٥٤] ، وأصله من التشـــييع ، وهو التتبع ، ومعنى الشيعة : الذين يتتبع بعضهم بعضاً .

قال الربيع بن أنس : «يخلطكـــم [(٢)] فرقاً» [(٣)] ، وقالوا [(٤)] جميعاً : «يعني : يبث فيكـــم الأهواء المختلفة فتصـــيرون فرقاً يقاتل بعضكم بعضـــاً ويخالف بعضكم بعضاً» ، وهو قول ابن عباس [(٥)] ، ومجاهد [(٦)] ، ومقاتل [(٧)] ، والسُّدِّي [(٨)] .

قال أبو إســـحاق : «معنى ﴿يَلْبِسَكُمْ﴾ : يخلط أمركم خلط اضطراب لا خلط اتفاق ، فيجعلكم فرقـــاً لا تكونون فرقة واحدة ، فإذا كنتم مختلفين قاتل بعضكم بعضاً ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾» [(٩)] .

---

(١) انظر : العين ٢/ ١٩٠ ، ومعـــاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣٠٨ ، وتهذيـــب اللغة ٢/ ١٨٠٨ ، والصحاح ٣/ ١٢٤٠ ، ومقاييس اللغة ٣/ ٢٣٥ ، والمفردات ٤٧٠ ، واللسان (شيع) ٤/ ٢٣٧٧ .

(٢) في (أ) : (يخلكم) ، ثم كتب فوقها : يجعلكم .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) يعني المفسرين ، قال ابن عطية ٥/ ٢٣١ : «قال المفسرون : هو افتراق الأهواء والقتال بين الأُمَّة» . اهـ

(٥) أخرجه الطبري في تفســـيره ٧/ ٢٢١ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣١١ بســـند جيد ، قال : «يعني بالشيع : الأهواء المختلفة» ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٣٢ .

(٦) تفســـير مجاهد ١/ ٢١٦ ، ٢١٧ ، قـــال : «يعني : ما فيهم مـــن الاختلاف والفتـــن» ، وأخرجه الطبري في تفســـيره ٧/ ٢٢١ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣١١ بســـند جيد ، وفي رواية عنـــد الطبري ، قال : «الأهواء المفترقة» .

(٧) تفسير مقاتل ١/ ٥٦٥ ، قال : «يعني : فرقاً أحزاباً أهواء مختلفة كفعله بالأمم الخالية» . اهـ

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ٢٢١ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣١٢ بسند جيد ، قال : «يفرق بينكم» .

(٩) انظر : معاني القرآن ٢/ ٢٦٠ ، وفيه زيادة ، قال : «يقال :لبَسْت الأمر ألبِسُه : لم أبينه ، وخلطت بعضه ببعض . ويقال : لبِستُ الثوب ألبَسه» . انظر : مجاز القرآن ١/ ١٩٤ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٦٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٤١ .

وقوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ﴾ نبيِّن لهم الآيات في القرآن، ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ يعلمون[١].

٦٦. قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ﴾ قال ابن عباس[٢] والحسن[٣] والسُّدِّي[٤]: «يريد: بالقرآن»، ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾. قال الحسن: «لست عليكم بحافظ حتى أجازيكم على تكذيبكم وأعمالكم، إنما أنا منذر، والله المجازي لكم بأعمالكم»[٥].

وقال [أبو][٦] إسحاق: «أي إنما أدعوكم إلى الله وإلى شريعته، ولم أؤمر بحربكم ولا أخذكم بالإيمان كما يأخذ الموكل بالشيء الذي يلزم بلوغ آخره»[٧]، وقيل: «لست[٨] عليكم بحفيظ: يمنعكم من أن تكفروا كما يمنع الوكيل على

---

(١) انظر: تفسير السمرقندي ١/ ٤٩٢، وتفسير ابن عطية ٥/ ٢٣٢، وتفسير القرطبي ٧/ ١١.

(٢) تنوير المقباس ٢/ ٢٨.

(٣) ذكره الماوردي في تفسيره ٢/ ١٢٨، والهمداني في الفريد ٢/ ١٦٦.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ٢٢٧، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣١٣ بسند جيد، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٣٧.

(٥) ذكره الماوردي ٢/ ١٢٨، والواحدي في الوسيط ١/ ٦٠، وابن الجوزي ٣/ ٦١٢.

(٦) لفظ: (أبو) ساقط من (أ).

(٧) معاني القرآن ٢/ ٢٦٠.

(٨) في (ش): (ليست)، وهو تحريف.

الشيء من إلحاق الضرر به»[١] . قال ابن عباس[٢] والمفسرون[٣] : «نَسَختْها آية[٤] القتال» .

٦٧. قولـه تعـالى : ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ المسـتقر يجـوز أن يكـون موضع الاسـتقرار[٥] ، ويجوز أن يكـون نفس الاسـتقرار ؛ لأن ما زاد على

---

(١) ذكره الماوردي في تفسيره ٢/ ١٢٨ عن بعض المتأخرين ، وانظر : البحر المحيط ٤/ ١٥٢ .

(٢) أخرجه النحاس في ناسـخه ٢/ ٣١٧ بسند ضعيف ، وذكره مكي في الإيضاح ٢٤٢ ، وابن العربي في ناسخه ٢/ ٢١١ ، وابن الجوزي في نواسخ القرآن ٣٢٤ ، والسيوطي في الدر ٣/ ٣٧ .

(٣) وهو قول مقاتل ١/ ٥٦٦ ، وابن سـلامة في ناسـخه ٦٧ ، وابن العـربي ٢/ ٢١١ ، وحكاه الرازي ١٣/ ٢٤ عن ابن عباس والمفسرين . قال ابن عطية ٥/ ٢٣٣ : «النسـخ متوجه ؛ لأن اللازم من اللفظ لست الآن ، وليس فيه أنه لا يكون في المستأنف» . اهـ ، وانظر : تفسير القرطبي ٧/ ١١ .

(٤) آية السـيف عند الجمهور ، وهو أصح الأقوال في سـورة التوبة ، الآيـة (٥) من قوله تعالى : ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ . انظر : النسـخ في القرآن لمصطفى زيد ٢/ ٥٠٤ ، والظاهر عدم النسخ ؛ لأن المعنى : لسـت عليكم حفيظـاً إنما أطالبكم بالظواهر من الإقـرار والعمل لا بالإسرار ، فهي خبر محكـم ، والخبر لا يجوز نسـخه ، ولعـدم التعارض فهذه الآيـة تحصر وظيفة الرسـول ﷺ في التبليغ والإنذار ، وآية السيف تبين الوظيفة الأخرى ، وهي القتال إذا تعين وسيلة للدعوة ، وهذا قول الأكثر . انظر : ناسخ النحاس ٢/ ٣١٨ ، والإيضاح لمكي ٢٤٢ ، والنواسخ لابن الجوزي ٣٢٤ ، والمصفى لابن الجوزي ٣١ ، وتفسير الرازي ١٣/ ٢٤ ، والنسخ في القرآن لمصطفى زيد ١/ ٤٢٦ـ٤٢٩ .
ينبغي التنبيه على أن النسـخ عند السـلف ـرضي الله عنهمـ في الإطلاق أعم منه عند الأصوليين ، فالسلف يسمون كل رفع نسـخاً ، سواء كان رَفْعَ حكمٍ أو رفع دلالة ظاهرة ، فيستعملونه في ما يظن دلالـة الآية عليه من عمـوم أو إطلاق أو غير ذلك ، ويطلقون على تقييـد المطلق وتخصيص العموم وبيان المبهم والمجمل ورفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر نسخاً ، سواء كان ذلك بدليل متصل أو منفصـل ، كل ذلك عندهم عام ومجمل ومشـترك في معنى واحد ، وهو مطلـق التغيير ، وهو في كلام الأصوليين رفع حكم شرعي بدليل شرعي آخر متأخر عنه ، أفاده شـيخ الإسـلام في الفتاوى ١٣/ ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ١٤/ ١٠١ ، والشـاطبي في الموافقـات ٣/ ١٠٨ ، ومصطفى زيد في النسـخ في القرآن ١/ ٧٣ .

(٥) المسـتقر : يكون مصدراً بمعنى الاستقرار ، واسـم مكان ؛ أي موضع الاستقرار ، واسم زمان ؛ أي وقت الاستقرار . انظر : الرازي ١٣/ ٢٤ ، والفريد ٢/ ١٦٧ ، والدر المصون ٤/ ٦٧٤ .

الثلاثي كان المصدر منه على زنة اسم المفعول نحو : المُدخَل والمُخرَج ، بمعنى الإدخال والإخراج ، وقول الشاعر :

إنَّ المُوقَّى مِثلُ مَا وُقِّيتُ[١]

يعنـــي التوقية . قال المفسرون : «يقول : لكل خبر يخبره الله وقت ومكان يقع فيه من غير خُلف ولا تأخير ، وإذا جعلت المستقر مصدراً كان المعنى : لكل وعدٍ ووعيدٍ من الله وقوع واستقرار لا بد ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ إذا نزل»[٢] .

قال الكلبي : «لكل قول حقيقة ما كان منه في الدنيا فستعرفونه ، وما كان منه في الآخرة فسوف يبدو لكم»[٣] .

وقـــال الضحاك : «لكل حديـــث وخبر منتهى وأجل يتبـــين فيه صدقه عند وقوعه»[٤] يعني : العـــذاب الذي وعدهم في الدنيا [و][٥] الآخرة ، ونظيره قوله تعالى : ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص٨٨] .

---

(١) هذا رجز لرؤبـة بن العجاج في ديوانه ٢٥ ، والكتـاب ٤/ ٩٧ ، والمخصص ١٤/ ٢٠٠ ، وتكملته : «أَنْقَذَنِي مِنْ خَوْفِ مَا خَشِـيتُ» . والشـاهد مجيء الموقى بمعنى التوقية . انظر : شرح أبيات سيبويه للنحاس ١٨٦ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٧/ ٢٢٧ ، وتفسير السمرقندي ٤/ ١٣١٤ ، وتفسير ابن عطية ٦/ ٧٢ ، وتفسير الرازي ١٣/ ٢١ .

(٣) تنوير المقباس ٢/ ٢٨ ، ٢٩ ، وذكره الثعلبي في الكشف ١٧٩ أ ، والبغوي ٣/ ١٥٤ ، وأخرج الطبري ١١/ ٤٣٥ ، وابن أبي حاتم ٣/ ٧٩ ب بسند جيد عن مجاهد مثله .

(٤) ذكره شيخ الإسلام في الفتاوى ١٧/ ٣٧٠ عن بعضهم .

(٥) لفظ : (الواو) ، ساقط من (أ) .

وقال الحسن : «لكل عمل جزاء ، فمَن عمل عملاً من الخير جوزي به الجنة ، ومَن عمل عمل سـوء جوزي به النار ، ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يا أهل مكة»[١] ، وقال السُّدِّي : «استقر بهم القرار [يوم][٢] بدر بما كان[٣] يعدهم من العذاب»[٤] .

قال أبو إسحاق : «يقول : لا آخذكم بالإيمان على جهة الحرب واضطراركم إليه ومقاتلتكم عليه ، فلكل ﴿نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ ؛ أي وقت معلوم ، ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ جائـز أن يكون وعدهـم بعذاب الآخـرة ، وجائز أن يكـون وعدهم بالحرب وأخذهم بالإيمان إن شاءوا أو أبَوا»[٥] ، هذا الذي ذكرنا قول جماعة المفسرين[٦] .

وقال ابن عبـاس في رواية عطاء ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ : «يريد : خبري وخبركم سـوف يسـتقر عند رب العالمين ، فيحكم بيني وبينكم ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ مَن له الحجة على صاحبه»[٧] .

٦٨. قوله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ الآية . قال المفسرون[٨] : «كان المشركون إذا جالسـوا المؤمنين وقعوا في رسـول الله والقرآن ،

---

(١) ذكره هود الهواري في تفسيره ١/ ٥٣٤ ، والثعلبي في الكشف ١٧٩ ب ، والماوردي في النكت والعيون ١/ ٥٣٤ ، وشيخ الإسلام في الفتاوى ١٧/ ٣٧١ .

(٢) لفظ (يوم) : ساقط من (ش) .

(٣) في (أ) : (بما هو يعدهم) .

(٤) أخرجه الطبري في تفسـيره ٧/ ٢٢٧ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣١٣ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٣٧ .

(٥) معاني القرآن ٢/ ٢٦٠ ، وفيه : «وأخذهم بالإيمان شاءوا أو أبوا ، إلاَّ أن يعطي أهل الكتاب الجزية» . اهـ

(٦) انظر : معاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٤٢ .

(٧) لم أقف عليه ، وأخرج عنه الطبري في تفسـيره ٧/ ٢٢٧ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣١٣ بسند جيد ، قال : «﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ يقول : حقيقة» ، وأخرج عنه الطبري بسند ضعيف ، قال : «فعل وحقيقة ما كان منه في الدنيا وما كان منه في الآخرة» ، وانظر : الدر المنثور ٣/ ٣٧ .

(٨) انظر : تفسـير الطبري ٧/ ٢٢٨ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٤٢ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٤٩٢ ، والكشف للثعلبي ١٧٩ أ ، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٧٣٩ .

فشتموا واستهزؤوا، فأمرهم الله أن لا يقعدوا معهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾» .

وهذا قول ابن عباس[١] وسعيد بن جبير والسُّدِّي[٢] ومقاتل[٣] وغيرهم[٤]، قالوا : «ومعنى : ﴿يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ ؛ أي بالتكذيب والاستهزاء» . قال ابن عباس : «أمر الله رسوله فقال : إذا رأيت المشركين يكذبون بالقرآن وبك ويستهزئون فاترك مجالستهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ يقول : حتى يكون خوضهم في غير القرآن»[٥] .

وقوله تعالى : ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ وقرأ ابن عامر[٦] : (يُنَسِّيَنَّكَ) بالتشديد، وفعَّل وأفعل يجريان مجرى واحداً كما بيَّنَّا ذلك في مواضع [و][٧] من التنزيل : ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ [الطارق :١٧]، والاختيار قرأه العامة لقوله تعالى[٨] :

---

(١) سوف يأتي تخريجه .

(٢) أخرجه الطبري ٨/ ٢٢٨ من طرق جيدة عن سعيد بن جبير، والسُّدِّي، ومجاهد، وأبي مالك غزوان الغفاري، وقتادة، وابن جريج، وأخرجه ابن أبي حاتم ٤/ ١٣١٤، ١٣١٥ من طرق جيدة عن سعيد ابن جبير، والسُّدِّي، وأبي مالك، ومقاتل بن حيان .

(٣) تفسير مقاتل ١/ ٥٦٧ .

(٤) وهو قول مجاهد في تفسيره ١/ ٢١٧، وأخرجه عبدالرزاق ١/ ٢/ ٢١٢ بسند جيد عن قتادة، وذكره عن عامة المفسرين السيوطي في الدر ٣/ ٣٩ .

(٥) تنوير المقباس ٢/ ٢٩، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٦١ . وأخرج عنه الطبري ٧/ ٢٢٨، وابن أبي حاتم ٤/ ١٤/ ١٣ بسند جيد، قال : «أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم إنما هلك مَن كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله» . اهـ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٣٧ .

(٦) قرأ ابن عامر : ﴿يُنسِيَنَّكَ﴾ بفتح النون الأولى وتشديد السين، وقرأ الباقون : بسكون النون الأولى وتخفيف السين . انظر : السبعة ٢٦٠، والمبسوط ١٧٠، والتذكرة ٢/ ٤٠١، والتيسير ١٠٣، والنشر ٢/ ٢٥٩ .

(٧) لفظ : (الواو)، ساقط من (ش) .

(٨) انظر : معاني القراءات ١/ ٣٦٣، وإعراب القراءات ١/ ١٦٠، والحجة لابن خالويه ١٤٢، والحجة لأبي علي ٣/ ٣٢٤، والحجة لابن زنجلة ٢٥٦، والكشف ١/ ٤٣٦ .

﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الكهف:٦٣] . قال ابن عباس : «يريد : إن نسيت فقعدت ﴿فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ وقم إذا ذكرت»(١) ، و﴿ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ : اسم للتذكرة ، قاله الليث(٢) .

وقال الفرَّاء : «الذكرى يكون بمعنى : الذكر ، كقوله تعالى : ﴿فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ يكون بمعنى : التذكير ، كقوله تعالى : ﴿وَلَٰكِن ذِكۡرَىٰ﴾ [الأنعام:٦٩] »(٣) ، والكلام في الذكرى موضعه في سورة هود(٤) عند قوله : ﴿ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود:١١٤] .

وقوله تعالى : ﴿مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال ابن عباس : «يعني : المشركين»(٥) .

٦٩. قوله تعالى : ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ﴾ . قال ابن عباس : «قال المسلمون : لئن كنَّا كلما استهزأ المشركون بالقرآن وخاضوا فيه قمنا عنهم لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام وأن نطوف بالبيت فنزل : ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ فرخص للمؤمنين في القعود معهم يذكرونهم ويفهمونهم ، قال : ومعنى الآية ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشرك والكبائر والفواحش ، ﴿مِنۡ حِسَابِهِم﴾ : من

---

(١) تنوير المقباس ٢/ ٢٩ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٦١ ، وابن الجوزي ٣/ ٦٢ .

(٢) تهذيب اللغة ٢/ ١٢٨٧ ، وانظر : العين (ذكر) ٥/ ٣٤٦ ، ومجاز القرآن ١/ ١٩٤ .

(٣) تهذيب اللغة ٢/ ١٢٨٧ ، وفيه : «يكون بمعنى : الذكر ، وبمعنى : التذكر» . ولم أقف عليه في معاني القرآن ، والذِّكْر والذِّكْرى بالكسر خلاف النسيان ، وكذلك الذُّكْرَة بالضم ، والذِّكر بالكسر : الصيت والثناء . قال الراغب في المفردات ٣٢٩ : «الذِّكرى كثرة الذِّكر وهو أبلغ من الذِّكر . والتَّذكِرة : ما يُتذكر به الشيء ، وهو أعم من الدلالة والأمارة» . انظر : الجمهرة ٢/ ٦٩٤ ، والصحاح ٢/ ٦٦٤ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٣٥٨ ، واللسان (ذكر) ٣/ ١٥٠٧ .

(٤) انظر : البسيط (النسخة الأزهرية) ٣/ ٤٨ ب .

(٥) تنوير المقباس ٢/ ٢٩ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٦١ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٦٢ .

آثامهم ﴿مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾ يقول: ذكَّرهم بالقرآن وبمحمد ﷺ، فرخص لهم في مجالستهم على ما أمروا به من المواعظ لهم»[(١)].

وقال أبو إسحاق: «أي[(٢)]: وما عليك أيها النبي وعلى المؤمنين ﴿مِّنْ حِسَابِهِم﴾؛ أي من كفرهم ومخالفتهم أمر الله عز وجل ﴿مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾، ولكن عليكم أن تذكروهم[(٣)]، قال: ﴿ذِكْرَىٰ﴾ يجوز أن تكون في موضع رفع من وجهين أحدهما: ﴿وَلَٰكِن﴾ عليكم ﴿ذِكْرَىٰ﴾؛ أي أن تذكروهم، وجائز أن يكون ﴿وَلَٰكِن﴾ الذين[(٤)] تأمرونهم به ﴿ذِكْرَىٰ﴾»، وعلى هذا التأويل الذكرى تكون بمعنى الذكر، وعلى الوجه الأول[(٥)] تكون بمعنى التذكير. قال: «يجوز أن يكون في موضع نصب على معنى: ذكروهم ﴿ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾؛ أي ليرجى منهم التقوى»[(٦)].

قال ابن عباس: «تعظونهم لعلهم يخافوني»[(٧)].

وقال مقاتل في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: «يقول: لعلهم إذا قمتم منعهم ذلك من الخوض والاستهزاء»[(٨)]، فعلى هذا يكون المعنى: ذكروهم

---

(١) تنوير المقباس ٢/ ٢٩، وذكره الثعلبي في الكشف ١٧٩ أ، والواحدي في الوسيط ١/ ٦١، ٦٢، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٦٢، والرازي في تفسيره ١٣/ ٢٦، والقرطبي ٧/ ١٥.

(٢) لفظ: (أي) ساقط من (أ).

(٣) في (ش): (يذكروهم).

(٤) في (ش): (الذي)، وما في (أ) هو الموافق لما عند الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٢٦١.

(٥) انظر: تفسير الفخر الرازي ١٣/ ٢٦.

(٦) معاني القرآن ٢/ ٢٦١، وقال الفرَّاء في معاني القرآن ١/ ٣٣٩: «قوله ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾ في موضع نصب بفعل مضمر، ولكن نذكرهم ذكرى، أو رفع على قوله: ولكن هو ذكرى». اهـ بتصرف، وانظر: إعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٥٥، والمشكل لمكي ١/ ٢٥٦، والبيان ١/ ٣٢٥، والتبيان ١/ ٣٣٩، والفريد ٢/ ١٦٧، ١٦٨، والدر المصون ٤/ ٦٧٦.

(٧) لم أقف عليه.

(٨) تفسير مقاتل ١/ ٥٦٧.

ذكرى بترك المجالسة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الخوض . ونحوَ هذا قال مجاهد في معنى هذه الآية : «﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ : إن قعدوا ، ولكن لا يقعدون»[١] ، وهذان[٢] جعلا قوله :﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾ ترك القعود .

قال مقاتل[٣] ، وسعيد بن جبير[٤] ، وابن جريج ، والسُّدِّي[٥] : «هذه الآية منسوخة بقوله تعالى : ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية التي في النساء ؛ لأن الله تعالى خوفهم فقال : إن قعدتم معهم ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء :١٤٠]» ، وقال غيرهم : «ليست بمنسوخة ، ولكن المعنى : ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ إذا قعدوا معهم بشرط التذكير والموعظة»[٦] .

---

(١) تفسير مجاهد ١/ ٢١٧ ، وأخرجه الطبري ٧/ ٢٣٠ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٣٩ .

(٢) في (ش) : (وهذا إن جعلا) ، والصواب ما أثبته ، والمراد : مجاهد ومقاتل .

(٣) تفسير مقاتل ١/ ٥٦٧ .

(٤) أخرجه ابن الجوزي في نواسخ القرآن ٣٢٥ بسند جيد عن أبي مالك وسعيد بن جبير .

(٥) أخرجه الطبري ٧/ ٢٣٠ بسند جيد عن ابن جريج والسُّدِّي ، وأخرجه النحاس في ناسخه ٢/ ٣١٩ بسند ضعيف عن الضحاك ، وذكره ابن كثير ٢/ ١٦١ عن مجاهد ، وهو قول ابن حزم في ناسخه ٣٧ ، وابن سلامة ٦٧ ، وأبي منصور البغدادي ١٠٢ ، وابن العربي ٢/ ٢١١ ، قالوا : «هذا صريح أمر ، وليس بخبر ، وهو مأمور أن يقوم عنهم إذا استهزؤوا بآيات الله ، ثم أمر بقتلهم وإقامة الحد عليهم في ذلك ، فهي منسوخة بأمره بالقتال» . انظر : الدر المنثور ٣/ ٣٨ .

(٦) هذا هو الظاهر ، واختيار النحاس في ناسخه ٢/ ٣١٩ ، ومكي في الإيضاح ٢٤٣ ، وابن الجوزي في النواسخ ٣٢٥ ، ومصطفى زيد في النسخ في القرآن ١/ ٤٤٠ ، قالوا : «الآية خبر ومحال نسخه ، والمعنى فيه بيِّن ؛ أي ما عليكم شيء من آثامهم إنما يلزمكم الإنذار والنهي عن المنكر ، ولا يقعد معه راضياً بقوله وفعله وإلا كان مثله» . انظر : ابن عطية ٥/ ٢٣٥ ، والقرطبي ٧/ ١٥ ، وانظر : أيضاً مفهوم النسخ عند السلف ٢٦٧ .

٧٠. قولــه تعــالى : ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ الآية . قال ابن عباس[١] والمفسرون[٢] : «يعني : الكفار الذين إذا ســمعوا آيات الله استهزؤوا بها وتلاعبوا عند ذكرها» .

وقال الفرَّاء : «يقال : ليس مــن قوم إلَّا ولهم عيد فهم[٣] يلهون في أعيادهم إلَّا أُمَّة محمد ، فإن أعيادهم برٌّ وصلاة وتكبير وخير»[٤] ، وهذا قول الكلبي[٥] ؛ فعلى القول الأول معنى قوله : ﴿دِينَهُمْ﴾ : الذي شرع لهم ، وعلى قول الفرَّاء المراد بالدين : العيد ؛ لأنه مما يتدين[٦] به فصار داخلاً في جملة الدين .

وقوله تعالى : ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾ قــال ابن عباس : «يريد : وَعِــظْ بالقرآن[٧] ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾ ، قال : يريد تُرْتَهَنُ في جهنم بما كسبت في الدنيا»[٨] ، وهو قول[٩] الفرَّاء ، قال : «﴿تُبْسَلَ﴾ : ترتهن» .

---

(١) ذكر نحوه من دون نسبة البغوي ٣/ ١٥٥ ، وابن الجوزي ٣/ ٦٤ .
(٢) انظر : الطبري ٧/ ٢٣١ ، والماوردي ٢/ ١٢٩ .
(٣) في (ش) : (عيد فلهم) ، وهو تحريف .
(٤) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٣٩ .
(٥) ذكره السمرقندي ١/ ٤٩٣ ، والقرطبي ٧/ ١٦ ، وذكره الرازي ١٣/ ٢٧ عن ابن عباس .
(٦) في (ش) : (مما تدين به) .
(٧) تنوير المقباس ٢/ ٣٠ ، وهو بلا نسبة في الوسيط ١/ ٦٢ ، والبغوي ٣/ ١٥٥ ، وابن الجوزي ٣/ ٦٤ .
(٨) ذكره الرازي ١٣/ ٢٨ ، وهو قول مقاتل ١/ ٥٦٨ ، والأخفش ، وذكره أيضاً السمرقندي ١/ ٤٩٣ .
(٩) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٣٩ .

وقال الحسن[١] ، ومجاهد[٢] ، وعكرمة[٣] ، والسُّدِّي : «تُسلم للهلكة» . قال الليث[٤] : «الإبسال : أن يُبسل الرجل فيخذل ، واستبسل الرجل للموت : إذا وطَّن نفسه عليه ، من هذا» .

وقال أبو الهيثم[٥] : «يقال : أبسلته بجريرته ؛ أي أسلمته بها» ، وينشد على هذا قول الشَّنْفَرَى :

سَجِيسَ اللَّيَالِي مُبْسَلاً بِالجَرَائِرِ[٦]

---

(١) أخرجه الطبري ٧/ ٢٣١ من طرق عدة جيدة عن الحسن ومجاهد وعكرمة ، وأخرجه الأزهري في تهذيبه ١/ ٣٣٦ بسند جيد عن الحسن .

(٢) تفسير مجاهد ١/ ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٣) ذكره الثعلبي ١٧٩ أ ، والماوردي ٢/ ١٣٠ عن الحسن وعكرمة والسُّدِّي وغيرهم ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٤/ ١٣١٨ بسند ضعيف عن ابن عباس ، وقال بعده : «وروي عن مجاهد وعكرمة والحسن والسُّدِّي مثل ذلك» . اهـ ، وهو اختيار ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ١/ ١٦٤ .

(٤) تهذيب اللغة ١/ ٣٣٦ ، وانظر : العين (بسل) ٧/ ٢٦٣ .

(٥) تهذيب اللغة ١/ ٣٣٦ ، واللسان (بسل) ١/ ٢٨٥ ، وزاد : «ويقال : جزيته بها» .

(٦) ديوانه ٤٨ ، ومجاز القرآن ١/ ١٩٥ ، والحماسة لأبي تمام ١/ ١٨٨ ، وإصلاح المنطق ٣٩٤ ، والشعر والشعراء ٣١ ، والزاهر ٢/ ٢١٣ ، والطبري ٧/ ٢٢٣ ، وتهذيب اللغة ١/ ٣٣٦ ، والثعلبي ١٧٩ أ ، واللسان (بسل) ١/ ٢٨٥ ، وصدره :

هُنَالِكَ لا أَرْجُو حَيَاةً تَسُرُّنِي

سجيس : أبد الليالي وطولها ، ومبسلاً : مسلماً ومرتهناً ، أسلم إلى عدوه بما جنى عليهم ، والجرائر : الجرائم والذنوب .

وقال آخر[١] :

وَإِبْسَالِي بَنِيَّ بِغَيْرِ جُرْمٍ بَعَوْنَاهُ وَلاَ بِدمٍ مُرَاقِ

أي إسلامي وتركي إياهم ، وهذا الوجه اختيار الزَّجَّاج ، قال : معنى ﴿تُبْسَلَ﴾ : تسلم بعملها غير قادرة على التخلص ، والمستبسل المستسلم الذي يعلم أنه لا يقدر على التخلص»[٢] .

وقال قتادة : «أن تحبس»[٣] ، وهو قول ابن الأعرابي ، قال في قوله تعالى : ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾[٤] : «أي تحبس في جهنم»[٥] .

وروى عن ابن عباس : «﴿تُبْسَلَ﴾ : (تُفضح (وأُبسِلوا) : أُفضحوا»[٦] .

---

(١) الشاهد لعوف بن الأحوص الكلابي ، شاعر جاهلي ، في المصادر السابقة سوى الحماسة والشعر ، وإصلاح المنطق ، وهو في النوادر لأبي زيد ١٥١ ، والمعاني الكبير ٢/ ١١١٤ ، والصحاح ٤/ ١٦٣٤ ، والمجمل ١/ ١٢٥ ، ومقاييس اللغة ١/ ٢٤٨ ، والماوردي ٢/ ١٣١ ، وبلا نسبة في تفسير غريب القرآن ١/ ١٦٥ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٦١ ، والجمهرة ١/ ٣٣٩ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٤٤ ، والمخصص ١٣/ ٧٩ . بعوناه : جنيناه ، والبعو : الجرم والجناية ، يقول : رهنت بني في الحرب وأسلمتهم من غير جرم .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٦١ ، وفيه أيضاً : «أي تسلم ، وقيل : ترتهن ، والمعنى واحد» . اهـ

(٣) أخرجه الطبري ٧/ ٢٣٢ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣١٨ من طرق جيدة بلفظ : «تؤخذ فتحبس» .

(٤) لفظ : (أن) ساقط من (ش) .

(٥) تهذيب اللغة ١٢/ ٤٣٩ ، واللسان (بسل) ١٢/ ٥٤ .

(٦) ذكره البخاري في صحيحه ٨/ ٢٨٦ ، كتاب : التفسير ، تفسير سورة الأنعام ، وأخرجه الطبري ٧/ ٣٣٢ ، وابن أبي حاتم ٣/ ٨١ ب ، و ٨٢ أ بسند جيد بلفظ : «تفضح - وفضحوا» . قال ابن حجر في الفتح ٨/ ٢٨٧ : «أفضحوا من الرباعي ، وهي لغة ، يقال : فضح وأفضح ، وروى عنه : فضحوا» . اهـ ملخصاً . وفي مسائل نافع بن الأزرق ١١٤ ، قال : «تبسل تحبس» . اهـ
وهذه الأقوال متقاربة ، وأكثرهم على أنه بمعنى : تسلم وترتهن ، ولعل تفسيره (تفضح) تفسير باللازم ؛ لأن من لازم أخذهم بالعذاب بما كسبوا أن يفضحوا .
قال النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٤٣ : «تُسلم حسن ، أي تسلم بعملها لا تقدر على التخلص ؛ لأنه يقال : استبسل فلان للموت ؛ أي رأى ما لا يقدر على دفعه» . اهـ ملخصاً ، وقال ابن كثير ٢/ ١٦٢ : «الأقوال متقاربة في المعنى ، وحاصلها الإسلام للهلكة والحبس عن الخير والارتهان عن درك المطلوب» . اهـ . =

ومعنى الآية : وذكرهم[١] بالقرآن إسلام الجانين بجناياتهم لعلهم يخافون فيتقون ، وليس قول من قال : معناه : وذكرهم كيلا ﴿تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾ بشيء ألبتة[٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ قال ابن عباس[٣] ، وقتادة[٤] ، والسُّدِّي[٥] ، وابن زيد[٦] : «وإن تُفْدِ كُلَّ فداء» ، وذكرنا هذا المعنى عند قوله تعالى : ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾[٧] [البقرة :١٢٣] ، وهؤلاء قالوا : «إن تفد كل فداء من جهة المال» . قال ابن عباس[٨] : «إن تفتدِ بالدنيا وما فيها لا يؤخذ منها»[٩] .

= انظر : المصادر المذكورة في الحواشي ، وغريب القرآن لليزيدي ١٣٧ ، والوسيط ١/ ٦٢ ، والكشاف ٢/ ٢٧ ، والبغوي ٣/ ١٥٦ ، وابن عطية ٥/ ٢٣٨ ، وابن الجوزي ٣/ ٦٥ ، والقرطبي ٧/ ١٦ ، والبحر ٤/ ١٥٥ ، والدر المنثور ٣/ ٣٩ ، وفيها ذكر عامة الأقوال ، وانظر : الفتاوى ١٣/ ٣٤٣ .

(١) لفظ : (الواو) : ساقط من (ش) .

(٢) لم أقف على هذا القول بنصه . وفي الطبري ٧/ ٢٣٣ ، قال : «ذكرهم كيلا تبسل نفس بذنوبها وكفرها بربها ، وترتهن فتغلق بما كسبت من إجرامها في عذاب الله» . اهـ ملخصاً ، وانظر : الرازي ١٣/ ٢٨ ، والبحر ٤/ ١٥٥ ، والدر المصون ٤/ ٦٧٩ .

(٣) أخرج عنه الطبري ١/ ٢٦٨ بسند جيد ، قال : «العدل : البدل ، والبدل : الفدية» ، وانظر : ابن كثير ٢/ ١٦٢ ، والدر المنثور ١/ ١٦٦ .

(٤) ذكره النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٥٥ ، والماوردي ٢/ ١٣١ ، وابن كثير ٢/ ١٦٢ ، وأخرج ابن أبي حاتم ٤/ ١٣١٩ ، وتحقيق الغماري بسند جيد عن أبي العالية ، قال : «العدل : الفداء» . قال ابن أبي حاتم : «وروي عن أبي مالك والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والربيع نحوه» . اهـ

(٥) أخرجه الطبري ٧/ ٢٣٣ بسند جيد عن السُّدِّي وابن زيد .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٤/ ١٣١٨ بسند جيد ، وذكره الماوردي ٢/ ١٣١ عن السُّدِّي وابن زيد .

(٧) لفظ : (الواو) : ساقط من النسخ .

(٨) في (أ) : (قال ابن عباس : قال) ، وهو تحريف .

(٩) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٦٢ ، وفي تنوير المقباس ٢/ ٣٠ نحوه .

وقال قتادة(١) : «لو جاءت بملء الأرض ذهباً لم يقبل منها» . [و](٢) روي عن الحسن أنه قال : «هذا الفداء من جهة الإسلام والتوبة ولا ينفعهم ذلك في الآخرة»(٣) .

وقوله تعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ﴾ يقول : أُسْلِموا للهلاك . قال العوفي : «أُسْلِموا إلى خزنة جهنم»(٤) .

وقال ابن عباس(٥) : «ارتهنوا بما كسبوا» ، ﴿لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ﴾ وهو الماء(٦) الحار .

قال المفسرون(٧) : «قوله تعالى : ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾ منسوخ بقوله تعالى :(٨)﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة :٥]» ، وقال مجاهد(٩) :

(١) أخرجه عبدالرزاق في التفسير ١/ ٢/ ٢١٢ ، والطبري ٧/ ٢٣٣ ، ٢/ ٣٤ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣١٩ من طرق عدَّةٍ جيدة .

(٢) لفظ : (الواو) : ساقط من (أ) .

(٣) ذكره الماوردي ٢/ ١٣١ .

(٤) ذكره الثعلبي ١٧٩ أ .

(٥) سبق تخريجه .

(٦) انظر : الطبري ٧/ ٢٣٤ ، والسمرقندي ١/ ٤٩٣ ، وابن الجوزي ٣/ ٦٦ .

(٧) هذا قول قتادة في ناسخه ٤٢ .
وأخرجه عبدالرزاق في التفسير ، والطبري ٧/ ٢٣١ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣١٧ ، والنحاس في ناسخه ٢/ ٣٢١ ، وابن الجوزي في النواسخ ٣٢٦ عنه من طرق جيدة ، وذكره ابن الجوزي في النواسخ ٣٢٦ ، عن السُّدِّي ، وهو قول ابن حزم في ناسخه ٣٧ ، وابن سلامة ٦٨ ، وأبي منصور البغدادي ١٠٢ ، وابن العربي ٢/ ٢١٢ .

(٨) في النسخ : (اقتلوا) ، وهو تحريف .

(٩) تفسير مجاهد ١/ ٢١٨ ، وأخرجه الطبري ٧/ ٢٣١ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣١٧ من طرق جيدة ، وهذا هو الظاهر ، وإن كان النسخ جائزاً ، لكن أكثرهم على أنه غير منسوخ ؛ لأنه تهديد ووعيد للكفار ، وليس هو بمعنى الإلزام ، والمعنى : ذرهم فإن الله معاقبهم ، وهو اختيار النحاس في ناسخه ٢/ ٣٢١ ، ومكي في الإيضاح ٢٤٤ ، وابن الجوزي في النواسخ ٣٢٦ ، ومصطفى زيد في النسخ ١/ ٤٨٠ . =

«ليست بمنسوخة ؛ لأن قوله : ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾ معناه : التهديد ، كقوله : ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾ [المدثر :١١]» .

٧١. قولـــه تعـــالى : ﴿قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ الآيـــة . ﴿أَنَدۡعُواْ﴾[1] هاهنا يجوز أن يكون معنـــاه : نطلب النجاح كالعبد إذا دعـــا الله تعالى بطلب نجاح حاجته[2] ، ويجـــوز أن يكون معناه : نعبد وهو الذي عليه المفسرون[3] .

قال ابن عباس : «يقول : أنعبد ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ما ليس عنده لنا منفعة ، وإن عصينـــا لم يكن عنده لنا مضرة»[4] ، وقال أهل المعـــاني : «المعنى : ما لا يملك لنا نفعاً ولا ضرَّ ؛ لأنه جماد لا يقدر على فعل شيء أصلاً»[5] .

وقوله تعالى : ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ قال الكلبي : «أي نرد وراءنا إلى الشرك بالله»[6] ، وقال أبو إســـحاق : «ويقال لكل مَن أدبر : رجع إلى خلف ، ورجع على عقبيه»[7] .

= انظر : الطبري ٧/ ٢٣١ ، وابن عطية ٥/ ٢٢٧ ، والقرطبي ٧/ ١٧ ، وانظر : أيضاً مفهوم النسخ عند السلف ٢٦٧ .

(١) لفظ : ﴿أَنَدۡعُواْ﴾ ساقط من (أ) .

(٢) قـــال ابن عطية ٥/ ٢٤١ ، في الآية : «الدعاء يعم العبادة وغيرها ؛ لأن مَن جعل شـــيئاً موضع دعائه فإياه يعبد وعليه يتكل» .

(٣) انظر : الطبري ٧/ ٢٣٥ ، والسمرقندي ١/ ٤٩٣ ، والبغوي ٣/ ١٥٦ .

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٦٣ ، وفي تنوير المقباس ٢/ ٣٠ نحوه ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٦٦ من دون نسبة .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٧/ ٢٣٦ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٤٥ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ٢٤١ .

(٦) تنوير المقباس ٢/ ٣٠ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٦٣ .

(٧) معاني القرآن ٢/ ٢٦٢ ، والنص فيه : «أي نرجع إلى الكفر ، ويقال لكل مَن أدبر : قد رجع إلى خلف ، ورجع القَهْقَـــرى» . اهـ . انظر : مجاز القـــرآن ١/ ١٩٦ ، وغريب القرآن لليزيدي ١٣٨ ، وتفســـير الطبري ٧/ ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٤٥ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ٢٤١ .

وقولـه تعـالى : ﴿كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِى الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ اختلف أهل اللغة في معنى[(١)] ﴿اسْتَهْوَتْهُ﴾ ، فقال الزَّجَّاج : «أي كالذي زيَّنت له الشياطين هواه»[(٢)] ، فعلى هذا معنى الاستهواء : الدعاء إلى الأمر بالهوى من هوى النفس ، وقال أبو عبيدة[(٣)] : «﴿اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾ استمالته» .

وقال الليث[(٤)] : «يقال للمستهام الذي يستهيمه الجن : استهوته الشياطين ، فهو حيران هائم» .

وقال غيره : «﴿اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾ بمعنى استغوته ودعته إلى الضلال واستتبعته[(٥)] ، فهوى ؛ أي أسرع ، والعرب تقول : استهوى فلان فلاناً ، واستغواه ، إذا دعاه إلى الغي ، وهو من قولهم : هوى يهوي إلى الشيء إذا أراده وأسرع إليه[(٦)] ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم :٣٧] ؛ أي تنزع إليهم وتقعدهم»[(٧)] .

---

(١) هوى أصل يدل على خُلُوٍّ وسقوط ، والهَوَى بالفتح مقصور : هوى النفس ، وهَوِيَ بكسر الواو : أَحَبَّ ، وهَوَى ، بالفتح أيضاً : سقط ، واستهواه الشيطان : اسْتَهَامه . انظر : البارع ١٦٦ ، والصحاح ٦/ ٢٥٣٧ ، والمجمل ٤/ ٨٩٣ ، ومقاييس اللغة ٦/ ١٥ . قال الراغب في المفردات ، ٧٤٩ : معنى الآية : «حملته على اتباع الهوى» .

(٢) معاني القرآن ٢/ ٢٦٢ ، ومثله ذكر النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٤٦ .

(٣) ذكره أبو علي في الحجة ٣/ ٣٢٥ ، وهو قول اليزيدي في غريب القرآن ١٣٨ ، وقال أبو عبيدة في المجاز ١/ ١٩٦ : «هو الحيران الذي يشبَّه له الشياطين فيتبعها حتى يَهْوَ في الأرض فيضل» . اهـ

(٤) تهذيب اللغة ٤/ ٣٨١٤ ، وانظر : العين (هوى) ٤/ ١٠٥ .

(٥) في (ش) : (فاستتبعته) .

(٦) انظر : تفسير القرطبي ٧/ ١٨ .

(٧) هذا قول الطبري في تفسيره ١٣/ ٢٣٤ ، وفي تفسير غريب القرآن ٢٣٧ ، قال : «هوت به وذهبت» .

قال أبو علي الفارسي : «أرى قولهم : استهواه كذا ، إنما هو من قولهم : هوى من حالق[١] إذا تـردى منه ، بَّ به الذي يَزِلُّ عن الطريق المستقيم ، كما أن زل إنما هو من العثار في المكان ، ثم يُشـَبه به المخطئ في طريقته ، وتقول : أزله غيره ، كما قال تعـالى : ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [البقرة :٣٦] ، وكذلك هوى هو وأهواه غيره ، وتقـول[٢] : أهويته واسـتهويته ، قال تعـالى : ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ [النجم :٥٣] ، كما تقول : أزله واسـتزله ؛ قال تعالى : ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [البقرة :٣٦] ، وقال : ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [آل عمران :١٥٥] ، فكما أن اسـتزله بمنزلة أزله ، كذلك استهواه بمنزلة أهواه ، كما أن اسـتجاب بمنزلة أجاب»[٣] . فأكثر أهل[٤] اللغة على أن : (اسـتهوى) من هوى يَهْوَ ، وعلى هذا يـدل[٥] كلام ابن عباس ؛ لأنه قال : «كالذي استفزته[٦] الغيلان[٧] في الهامة»[٨] .

وانفرد أبو إسحاق بقوله[٩] .

---

(١) في (ش) : (خالق) ، وهو تصحيف .

(٢) في (ش) : (ويقول) .

(٣) الحجـة لأبي علي ٣/ ٣٢٥ ، ٣٢٦ بتصرف يسـير . قال ابـن عطية ٥/ ٢٤٢ ، وأبـو حيان في البحر ٤/ ١٥٧ : «ذهب أبو علي إلى أنه بمعنى : أهوى من هوى يهوي إذا سقط من عُلوٍّ ؛ أي ألقته الشياطين في هُوَّة» . اهـ بتصرف

(٤) انظر : الجمهرة ٢/ ٩٩٨ ، واللسان (هوى) ٨/ ٤٧٢٨ ، والمصادر السابقة .

(٥) في (أ) : (وعلى هذا كلام ابن عباس : يدل) .

(٦) في (ش) : (استغوته) .

(٧) غيلان : جمع غول بالضم ، وهو شـيطان يأكل الناس ، وسـحرة الجن ، والداهية . انظر : القاموس (غول) ١٠٤٠ .

(٨) ذكره الثعلبي ١٧٩ ب بلفظ : «استفزته» ، والبغوي ٣/ ١٥٦ بلفظ : «استهوته» ، والسيوطي في الدر ٣/ ٤٠ بلفظ : «أضلته» ، وفي تنوير المقباس ٢/ ٣١ بلفظ : «استزلته» .

(٩) قـال الأزهري في تهذيبه ٤/ ٣٨١٣ : «جعله الزَّجَّاج من هَوِي بفتح الهاء وكسر الواو يَهْوَى بالفتح» ، فيكـون من هوى النفس ، وليس من هَوَى بالفتح يَهْوِي بكسر الواو إلى الشيء إذا أسرع إليه . قال أبو حيان في البحر ٤/ ١٥٥ : «جعله الزمخشري من الهوى ، وهو الميل والمودة ؛ أي أمالته الشـياطين عن الطريق الواضح إلى المهمه القفر» . اهـ بتصرف ، وانظر : الكشاف ٢/ ٢٨ ، والقرطبي ٧/ ١٨ .

وقوله تعالى ﴿حَيْرَانَ﴾ : قال الأصمعي[١] : «يقال : حار يَحار حيرةً وحيراً»[٢] ، وزاد الفرَّاء : «حيراناً وحيرورةً»[٣] .

ومعنى الحـيرة[٤] : التردد في الأمـر لا يهتدي إلى مخرج منـه ولا يتوجه له طريـق ، ومنه يقال : الماء يتحيَّر في الغيمِ ؛ أي يـتردد ، وتحيَّرت الروضة بالماء إذا امتلأت فتردد فيها الماء .

ومنه قول لبيدٍ[٥] :

حَتَّى تَحَيَّرَتِ الدَّبَارُ كَأَنَّهَا ... زَلَفٌ وأُلْقِـي قِتْبُها المَحْـزُومُ[٦]

يقول : امتلأت ماءً فتردد على جوانبها .

قال ابن عباس : «هذا مثل ضربـه الله للآلهة ومَن يدعو إليها وللدعاة الذين يدعون إلى الله ، كمثل رَجُلٍ تائه ضال عن الطريق له أصحاب يدعونه إلى الطريق : هلم يا فلان إلى الطريق ، فإن اتبـع الداعي الأول انطلق به حتى يلقيه في هلكة ، وإن أجاب مَن يدعوه إلى الطريق اهتدى . يقـول : مَثَلُ مَن يعبد هذه الآلهة مثل

---

(١) تهذيب اللغة (حار) ١/ ٦٩٥ .

(٢) في (ش) : (يحار ، حيرة وحيرة) ، ولعل حيرة الثانية تحريف عن : وحيراً .

(٣) ذكره الرازي ١٣/ ٣٠ ، والمصدر : حيرورة ، وذكره أيضاً القرطبي ٧/ ١٨ ، والشـوكاني ٢/ ١٨٨ ، وفي البحر ٤/ ١٤٤ ، قال : «حارَ يَحَارُ حَيْرَة وحَيْراً وحيراناً وحيرورةً» . اهـ . والنص عن الفرَّاء لعله من كتاب المصادر المفقود .

(٤) انظر : العـين ٣/ ٢٨٨ ، والصحاح ٢/ ٦٤٠ ، ومقاييس اللغـة ٢/ ٢٣ ، والمفردات ٢٦٣ ، وعمدة الحفاظ (حير) ١٤٥ .

(٥) ديوانه ١٥٣ ، وتهذيب اللغة ١/ ٦٩٨ ، واللسـان (حار) ٢/ ١٠٦٧ . تحـيرت : امتلأت وأقام فيها الماء ولم يشرب ، والدبار : جمع دبرة ، وهي السـاقية ومجاري المـاء في المزرعة ، والزلف : جمع زلفة ، وهي مصانع الماء ، والقِتْبُ (بالكسر) : السانية وأدواتها ، والمحزوم : المربوط بالحزام . انظر : اللسان (قتب) ٦/ ٣٥٢٤ .

(٦) في النسخ الديار . وفي (ش) : (المخزوم) ، وهو تصحيف وخلاف ما في المصادر .

مَن دعاه الغيلان في المفازة باســمه واسم أبيه فيتبعها ، ويرى أنه في شيء ، فيصبح وقد ألقته في هلكة أو في مضلة من الأرض يهلك فيها عطشاً ، فهذا مثل مَن أجاب الآلهة التي تعبد من دون الله»[(١)] .

وقال مجاهد[(٢)] : «هذا مثــل مَن ضل بعد الهدى» ، وقال ابن عباس في رواية عطــاء : «يعني بهذه الآية : عبدالرحمن[(٣)] بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، كان يدعــو أباه إلى الكفر وأبــوه يدعوه إلى الإســلام»[(٤)] ، فقوله : ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ يريد : عبدالرحمن بن أبي بكر . قال الكلبي : «اســتفزَّته الشــياطين فعمل بالمعاصي ﴿حَيْرَانَ﴾ : ضال عن الهدى ، ﴿لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا﴾ يعني أبويه وأصحاب محمد ﷺ»[(٥)] .

---

(١) أخرجه الطبري ٧/ ٢٣٦ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣١٢ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٢٥٩ .

(٢) تفســير مجاهد ١/ ٢١٨ ، وأخرج نحوه الطبري ٧/ ٢٣٦ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٢ من طرق جيدة ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٤١ .

(٣) عبدالرحمن بن عبدالله بن عثمان بن عامر التيمي القرشي أبو محمد ، صحابي جليل ، أكبر ولد الصديق ، وشقيق عائشة رضي الله عنهما ، أسلم قبيل الفتح ، وكان فارساً من أشجع قريش وأرماهم بسهم ، شهد اليمامة والفتوح ، توفي سنة ٥٣هـ ، أو بعدها . انظر : التاريخ الكبير للبخاري ٥/ ٢٤٢ ، والاستيعاب ٢/ ٣٨٢ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢٩٤ ، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٤٧١ ، والإصابة ٢/ ٤٠٧ ، وتهذيب التهذيب ٢/ ٥٢٥ .

(٤) تنوير المقباس ٢/ ٣١ ، وذكره الســمرقندي ١/ ٤٩٤ ، والماوردي ٢/ ١٣٢ ، وابن الجوزي ٣/ ٦٧ ، والقرطبي ٧/ ١٨ ، وذكره أكثرهم بلا نســبة . انظر : تفسير مقاتل ١/ ٥٦٨ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٦٢ ، والثعلبي ١٧٩ ب ، والكشاف ٢/ ٢٩ ، والرازي ١٣/ ٣٠ ، وضعَّف هذا القول ابن عطية ٥/ ٢٤٤ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ١٥٧ لما في صحيح البخاري ٤٨٢٧ ، كتاب : التفســير ، تفســير ســورة الأحقاف عن عائشــة رضي الله عنها ، قالت : «ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عُذري» ، وانظر : شرحه في فتح الباري ٨/ ٥٧٦ .

(٥) تنوير المقبــاس ٢/ ٣١ ، وفي معاني القرآن للفــرَّاء ١/ ٣٣٩ ، قال : «كان أبو بكــر الصديق وامرأته يدعوان عبدالرحمن ابنهما إلى الإسلام فهو قوله : ﴿إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا﴾ ؛ أي أطعنا» . اهـ

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ هذا جواب لعبدالرحمن حين دعا أباه إلى دين آبائه . قال ابن عباس في رواية عطاء : «وأبو بكر يقول : اتبع ديني ، ويخبره أن دين الله الهدى الذي هو عليه»[1] .

قال أهل المعاني : «الآية من أولها إلى قوله ﴿ٱئْتِنَا﴾ إنكار على مَن دعا إلى الضلال وعبادة الأصنام ، مَن آمن بالله وسلك طريق الهدى ، وتشبيه حاله لو أجاب داعي الضلال بتشبيه حال التائه بسلوكه غير المحجة» .

وقوله بعد هذا : ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ ردٌّ على مَن دعا إلى عبادة الأصنام ، وكأنه بمنزلة : لا تفعل[2] ذلك ؛ لأن ﴿هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ لا هدى غيره[3] .

وقوله تعالى : ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال أبو إسحاق[4] : «العرب تقول : أمرتك لتفعل ، وأن تفعل ، وبأن تفعل ، فمَن قال : بأن تفعل ، فالباء للإلصاق ، والمعنى : وقع الأمر بهذا الفعل ، ومَن قال : أن تفعل ، فعلى حذف الباء ، ومَن قال : لتفعل ، فقد أخبر بالعلة التي وقع لها الأمر»[5] .

---

(١) سبق تخريجه في الفقرة السابقة .

(٢) في (ش) : (يفعل) .

(٣) انظر : الطبري ٧/ ٢٣٨ ، والبغوي ٣/ ١٥٦ ، والبحر المحيط ٤/ ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٦٢ ، وزاد : «أي يدعونه ويقولون له : ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ؛ أي أمرنا للإسلام . . .» . اهـ

(٥) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٣٩ ، والأخفش ٢/ ٢٧٧ ، والطبري ٧/ ٢٣٨ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٥٦ ، والدر المصون ٤/ ٦٨٦ .

٧٢. وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾ قال الفرَّاء: «﴿وَأَنْ﴾ مردودة على اللام التي في قوله ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾، والعرب تقول: أمرتك لتذهب وأن تفعل كذا، فإن في وضع نصب بالرد على الأمر»[١].

وقال الزَّجَّاج[٢]: «موضع ﴿أَن﴾ نصب؛ لأن الباء لمَّا سقطت أفضى الفعل»[٣]، فعنده كأن التقدير: وبأن أقيموا ثم حذفت الجارَّة، وهو قريب من قول الفرَّاء.

٧٣. قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾؛ أي بكمال قدرته، وشمول علمه، وإتقان صنعه[٤]، وكل ذلك حق[٥]، وذكرنا وجهين آخرين في قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [يونس:٥].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ ذكر الزَّجَّاج في نصب ﴿يَوْمَ﴾ أوجهاً: «أحدها: أن يكون منسوقاً على الهاء في قوله: ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ [الأنعام:٧٢] في الآية الأولى، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي﴾ [البقرة:٤٨]، والثاني[٦]: أن يكون منصوباً

(١) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٣٩، وهو قول الطبري في تفسيره ٧/ ٢٣٨، وانظر: معاني القرآن للأخفش ٢/ ٢٧٨.

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٦٣. والنص فيه، قال: «فيه وجهان؛ أحدهما: أن تكون أمرنا لأن نسلم ولأن نقيم الصلاة، ويجوز أن يكون محمولاً على المعنى؛ لأن المعنى: أمرنا بالإسلام وبإقامة الصلاة، وموضع أن نصب؛ لأن الباء لمَّا سقطت أفضى الفعل فنصب، وفيه وجه آخر: يجوز أن يكون محمولاً على قوله ﴿يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا﴾، ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾؛ أي يدعونه أن أقيموا الصلاة». وقد ذكر هذه الأوجه النحاس في إعراب القرآن ١/ ٥٥٦، ومكي في المشكل ١/ ٢٥٦، والعكبري في التبيان ١/ ٣٤٠.

(٣) وهذا قول ابن الأنباري في البيان ١/ ٣٢٦، وانظر: تفسير ابن عطية ٥/ ٢٤٦، ٢٤٧، والفريد ٢/ ١٧١، والبحر ٤/ ١٥٩، والدر المصون ٤/ ٦٨٧.

(٤) في (ش): (صنعته).

(٥) انظر: تفسير ابن عطية ٥/ ٢٤٧.

(٦) وفيه ذكر أنه الأجود.

بإضمار : (واذكر) . قال : ويدل على هذا قوله بعده : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنعام :٧٤] والمعنى : اذكر ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ ، واذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾ ، والوجه الثالث : أن يكون معطوفاً على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ ، والمعنى : وخلق ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾ ، ويكون هذا إخباراً عن وقوعه وكونه ؛ لأن ما أنبأ الله تعالى بكونه فهو واقع لا محالة ، فجاز أن يقال : المعنى وخلق يوم يقول . وإن لم يأتِ يوم القيامة»[1] .

قال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾ : «يريد : يوم القيامة»[2] ، وذكر غير الزَّجَّاج من النحويين : «أن قوله : ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ ينتصب بإضمار : وقدَّر أو قضى ، والكلام دل على هذا ، فيكون ذلك المقدَّر معطوفاً على خلق»[3] ، وهذا أحسن من القول الثالث الذي ذكره الزَّجَّاج .

واختلفوا في أن الخطاب في قوله ﴿كُن﴾ لماذا ، فقال الفرَّاء[4] وحكاه الزَّجَّاج[5] : «المخاطبة للصورة خاصة ، المعنى : ويوم يقول[6] للصُّور كن فيكون» ، وقد ذكر الصور في هذه الآية ، وكان ذكره في ما بعدُ دليلاً على أن الخطاب له ، ويذكر الاختلاف[7] في الصور .

---

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٦٣ ، ومعاني القرآن للأخفش ٢/ ٢٧٨ ، وقد ذكر الأوجه الثلاثة النحاس في إعراب القرآن ١/ ٥٥٧ ، ومكي في المشكل ١/ ٢٥٦ .

(٢) تنوير المقباس ٢/ ٣٢ .

(٣) انظر : البيان ١/ ٣٢٦ ، والتبيان ١/ ٣٤٠ ، والفريد ٢/ ١٧٢ ، والدر المصون ٤/ ٦٩٠ . قال البغوي في تفسيره ٣/ ١٥٧ : «قيل : هو راجع إلى خلق السماوات والأرض ، والخلق بمعنى : القضاء والتقدير ؛ أي كل شيء قضاه وقدَّره قال له : كن فيكون» . اهـ

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٤٠ وفيه : «يقال : إنه خطاب للصور خاصة» . اهـ

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٦٣ .

(٦) في (أ) : (نقول) بالنون بدل الياء .

(٧) يريد الخلاف في معناه كما سيأتي .

وقال الزَّجَّاج وحـده : «وقيل : إن قوله : ﴿كُن﴾ فيه إضمار جميع ما يخلق في ذلـك الوقت . المعنى : و[(١)] يوم يقول[(٢)] للـشيء كن فيكون ، وهذا ذكر ليدل على سرعة أمر البعث والسـاعة ، كأنه قال : ويوم يقول للخلق موتوا فيموتون ، وانتشروا فينتشرون ، كأنه يأمر الحياة فتكون[(٣)] فيهم والموت فيحل بهم»[(٤)] ، وعلى هذين القولين يكون قوله بعد هذا[(٥)] : ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ رفع بالابتداء . وقالا معاً[(٦)] : «يجوز أن يكون الخطاب لقوله : ﴿ٱلْحَقُّ﴾ ، والمعنى : أنه يأمر فيقع أمره ، فيرتفع ﴿قَوْلُهُ﴾ باسـم كان و ﴿ٱلْحَقُّ﴾ نعته» . قال الزَّجَّاج : «وهذا كما تقول : قد قلت فكان قولك ، ليس المعنى : فكان الكلام إنما المعنى أنه كان ما دل عليه القول»[(٧)] .

وقولـه تعالى : ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ يجوز أن يكـون نصب ﴿يَوْمَ﴾ على[(٨)] ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ﴾ كما قال : ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر :١٦] ، ويجوز أن يكون

---

(١) لفظ : (الواو) : ساقط من (أ) .

(٢) في (أ) (نقول) .

(٣) في (ش) : (فيكون) .

(٤) معـاني القـرآن ٢/ ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، وذكره النحـاس في إعراب القرآن ١/ ٥٥٧ ، ومكي في المشـكل ١/ ٢٥٦ .

(٥) هـذا قول النحاس في إعراب القـرآن ١/ ٥٥٧ ، قال : «وعلى هذيـن الجوابين ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ ابتداء وخبر» . اهـ

(٦) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٤٠ .

(٧) معـاني القرآن للزَّجَّـاج ٢/ ٢٦٤ ، وخلاصة ما ذكره الواحدي رحمه الله تعـالى : «أن كان تامة ، وفي فاعلها أوجـه ؛ الأول : ضمير جميع ما يخلـق الله تعالى . والثاني : ضمير الصـور ، وعلى هذا يكون ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ مبتدأ ، وخبر ، أو ﴿قَوْلُهُ﴾ : مبتـدأ ، و﴿ٱلْحَقُّ﴾ : نعته ، والخبر : ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ ، أو : ﴿يَوْمَ يُنفَخُ﴾ . والوجه الثالث : الفاعل ، هـو : ﴿قَوْلُهُ﴾ ، و﴿ٱلْحَقُّ﴾ صفته» ، والواحدي عبَّر عن ذلك بقوله : «يرتفع باسم كان» . انظر : التبيان ٣٤٠ ، والفريد ١/ ١٧٣ ، والدر المصون ٤/ ٦٩١ .

(٨) أي ظـرف لقوله ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ ؛ أي وله الملك في ذلك اليوم . قـال الهمداني في الفريد ١/ ١٧٣ : «وهو المختار ؛ للقرب ولسلامته من الاعتراض» . اهـ

قولــه : ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ﴾ بدلاً من[1] قولــه : ﴿يَوۡمَ يَقُولُ﴾ ، ويجوز أن يكون منصوباً بقوله الحق ؛ المعنى : وقوله الحق يوم ينفخ في الصور .

فــإن قال قائل : لله الملــك في كل يوم وقوله الحــق في كل وقت ، فلِمَ خصَّ ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ﴾ ؟ فالجــواب أنه اليوم الذي لا يظهر فيه من أحد نفع لأحد ولا ضُر ، فكان كما قــال الله تعالى : ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار :١٩] ، والأمر في كل وقت لله عز وجل ؛ ذكر هذا كله أبو إســحاق[2] . وأمَّــا الصور فقال الفرَّاء والزَّجَّــاج : «يقال : إن الصور قرن ينفخ فيه ، ويقــال : الصور جمع صورة ينفخ في صور الموتــى –والله أعلم–»[3] . قال الزَّجَّــاج : «وكلاهما جائز ، وأثبتهما في الحديث والرواية أن الصور قرن»[4] .

وقال أبو عبيدة : «الصور جمع صورة مثل سورة البناء وسور»[5] .

---

(١) في (أ) : (عن) بدل (مِنْ) .

(٢) معــاني القرآن ٢/ ٢٦٤ ، ولم يذكر الوجه الثاني ، وهو كونه بدلًا . وقد ذكر الأوجه الثلاثة النحاس في إعراب القرآن ١/ ٥٥٧ ، وانظر : المشكل ١/ ٢٥٧ ، والتبيان ١/ ٣٤١ ، والدر المصون ٤/ ٦٩٢ .

(٣) معــاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٤٠ ، وفيه : «ويقال : هو جمع للصور ينفخ في الصور في الموتى . والله أعلم بصواب ذلك» . اهـ

(٤) معــاني القــرآن ٢/ ٢٦٤ ، وقال بعده : «والصور جمــع صورة ، أهل اللغة على هــذا» . انظر : العين ٧/ ١٤٩ ، والجمهرة ٢/ ٧٤٥ ، والصحاح ٢/ ٧١٦ ، والمجمل ٢/ ٥٤٥ ، ومقاييس اللغة ٣/ ٣٢٠ ، والمفردات ٤٩٨ ، وعمدة الحفاظ ٣٠٣ ، والتاج ٧/ ١١٠ ، وأكثرهم قال : «الصور بالضم : القَرْن ، ويقال : هو جمع صُورَة ، والصِّوَر بالكسر لغة في الصُّوَر جمع صُورة» .

(٥) مجــاز القــرآن ١/ ١٩٦ (٤١٦) ، ٢/ ١٦٢ ، ١٦٣ ، وهو قول الإمام البخــاري –رحمه الله تعالى– في صحيحه ٥/ ١٩٢ في كتاب : التفسير ، تفسير سورة الأنعام ، وحكاه البغوي في تفسيره ٣/ ١٥٧ عن قتادة ، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٦٩ عن الحسن ، وانظر : الزاهر ١/ ٤١٦ .

وأخبرني أبو الفضل العروضي قراءةً وسعيد بن العباس القرشي كتابةً ، قالا : «أنبأنا الأزهري قال : عن أبي الهيثم أنه قال : اعترض قوم فأنكروا[(١)] أن يكون الصور قرناً ، كما أنكروا[(٢)] العرش والميزان والصراط ، وادَّعوا أن الصور جمع الصورة كما أن الصوف جمع الصوفة والثوم جمع الثومة ، وروَا ذلك عن أبي عبيدة» . قال أبو الهيثم : «وهذا خطأ فاحش وتحريف لكلم الله عن مواضعه ؛ لأن الله قال : ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر :٦٤] ، وقال : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ [الكهف :٩٩] فمَن قرأها[(٣)] : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّوَرِ﴾ ، وقرأ[(٤)] : ﴿فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ﴾ فقد افترى الكذب ، وبدَّل كتاب الله ، وكان أبو عبيدة صاحب أخبارٍ وغريب ، ولم يكن له معرفة بالنحو» .

قال الفرَّاء[(٥)] : «كل جمع على لفظ الواحد المذكر سبق جمعُه واحدتَه فواحده بزيادة هاء فيه ، وذلك مثل الصوف والوبر والشعر والقطن والعشب ، فكل واحد من هذه الأسماء اسم لجميع جنسه ، فإذا أفردت واحدته[(٦)] زيدت فيها هاء ؛ لأن جمع هذا الباب سبق واحدته ، ولو أن الصوفة كانت سابقة للصوف لقالوا : صوفَةٌ وصُوَف وبُسْرة وبُسَر كما قالوا : غُرْفة وغُرَف وزُلْفَة وزُلَف . وأما

(١) في (أ) : (وأنكروا) .

(٢) جاء عند القرطبي ٧/ ٢٠ عن أبي الهيثم ، قال : «مَن أنكر أن يكون الصور قرناً فهو كمَن ينكر العرش والميزان والصراط وطلب لها تأويلات» . وهذا الكلام عن أبي الهيثم فيه مبالغة ونظر ، لا سيما أن إمام الحفاظ قد ارتضاه في صحيحه . قال السمين في الدر ٤/ ٦٩٤ : «ولا ينبغي أن ينسب ذلك إلى هذه الغاية التي ذكرها أبو الهيثم» . اهـ

(٣) يعني بفتح الواو ، وهي قراءة الحسن ، ومعاذ القارئ ، وأبي مجلز وأبي المتوكل ، وحكاها عمرو بن عبيد عن عياض ، وقراءة الجمهور بسكونها . انظر : معاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٤٨ ، ومختصر الشواذ ٣٨ ، وزاد المسير ٣/ ٦٩ .

(٤) يعني بسكون الواو : صُورَكم .

(٥) انظر : المذكر والمؤنث للفرَّاء ٦٩ ، ١٠١ ، والمذكر والمؤنث لابن التُّسْتَري ٥٢ ، والإغفال لأبي علي الفارسي ١١١٣ .

(٦) في (ش) : (واحد) ، وهو تحريف .

الصور : القرن فهو واحد لا يجـوز أن يقال : واحدتها صورَة ، وإنما تَجمع صورة الإنسان صوراً ؛ لأن واحدته سبقت جمعه»[(١)] .

قال الأزهري : «قد احتج أبو الهيثم فأحسن الاحتجاج ، ولا يجوز عندي غير ما ذهب إليه ، وهو قول أهل السُّـنة والجماعة ، والدليل على صحة ما قال أن الله تعالى إذا بعث الأموات ينشئهم كيف شاء ، ومَن ادَّعى أنه يصورهم ثم ينفخ فيهم فعليه البيان»[(٢)] انتهى كلامه .

وقد ذكرنا من كلام أبي الهيثم مثل ما ذكرها هنا في جمع السور في قوله تعالى : ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ﴾ [البقرة :٢٣] ، واحتـج أهـل التفسـير[(٣)] على أن المراد بالصور هاهنا القرن بقوله تعالى : ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ [الزمر :٦٨] ، ولم يقل : فيها ، وأيضاً فإنه لا ينفخ في الصور للبعث مرتين إنما ينفخ مرة واحدة ، وبما ورد في الأخبار من ذكر النفخ في القرن ؛ كقوله عليه السلام :

(١) تهذيب اللغة ٢/ ١٩٦٠ ، واللسان (صور) ٤/ ٢٥٢٤ ، ٢٥٢٥ ، وذكره عن الواحدي الرازي في تفسيره ١٣/ ٣٣ .

(٢) تهذيب اللغة ٢/ ١٩٦٠ ، وهذا القول هو الظاهر عند أكثر أهل العلم . قال الزَّجَّاجي في اشتقاق أسماء الله ٢٤٣ ، ٢٤٤ : «أهل اللغة على أن الصُّور جمع صورة ، وقيل : إنه قرن ، ومذهب أهل العربية غير فاسد ؛ لأنه جائز أن يُنفخ في القرن ثم يمتد النفخ بإرجاع تلك الأرواح إلى الصور فتحيا بإذن الله» . اهـ بتصرف ، وانظر : تفسير الطبري ٧/ ٢٣٩ وما بعدها ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٤٧ ، وابن عطية ٥/ ٢٤٩ ، والنهاية لابن الأثير ٣/ ٦٠ ، والقرطبي ٧/ ٢٠ ، وابن كثير ٢/ ١٦٣ ، وكلهم رجَّح أنه قرن ، وحكى السمرقندي ١/ ٤٩٤ إجماع المفسرين عليه .

(٣) انظر : الإغفال ١١١٣ .

«كيــف أَنْعَمُ وصاحب القرن قد التقمه»[١] . قــال الفرَّاء : «والعرب[٢] تقول : نفخ الصور ونفخ في الصور ، وأنشد[٣] :

لَوْلاَ ابْنُ جَعْدَةَ لَمْ يُفْتَحْ قُهُنْدُزُكُمْ وَلاَ خُرَاسَانُ حَتَّى يُنْفَخَ الصُّورُ»[٤] .

٧٤. قوله تعــالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ قال محمد بن إســحاق[٥] والضحاك[٦] والكلبي : «آزر : أبو إبراهيم ، وهو تارح[٧] مثل إسرائيل

---

(١) الحديث روي مــن طرق يقوِّي بعضها بعضاً عــن جماعة من الصحابة عن النبــي ﷺ ، فقد أخرجه ابن أبي شــيبة ٦/ ٧٧ (٢٩٥٨) ، وأحمد ١/ ٣٢٦ ، ٣/ ٧٣ ، ٤/ ٣٧٤ ، والترمذي ٢٤٣١ ، كتاب : صفة القيامة ، باب : ما جاء في شــأن الصور ، (٣٢٤٣) ، كتاب : تفســير القرآن ، باب : ومن سورة الزمر ، والنسائي في التفسير ١/ ٣٤٠ ، والحاكم ٤/ ٥٥٩ ، وقال الترمذي : «حديث حسن» ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٤٢ ، قال : «وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر والطبراني في الأوسط وأبي نعيم في الحلية والبيهقي في البعث» ، وأخرج أبو داود ٤٧٤٢ ، كتاب : السُّنة ، باب : في ذكــر البعث والصور ، والترمــذي ٢٤٣٠ ، كتاب : صفة القيامة ، باب : ما جاء في شــأن الصور (٣٢٤٤) ، كتاب : تفســير القرآن ، باب : ومن ســورة الزمر ، وأحمد ١٠/ ٩ ، ١١/ ٥٨ ، والدارمي ٣/ ١٨٤٤ (٢٨٤٠) ، والحاكم ٢/ ٤٣٦ ، ٥٠٦ ، ٤/ ٥٦٠ ، والنسائي في التفسير ٢/ ٢٤٤ من طرق جيــدة عن عبدالله بن عمرو ، أن أعرابيّاً ســأل النبي ﷺ عن الصور ، فقــال : «قرن ينفخ فيه» ، وقد حسَّــنه الترمذي ، وصحَّحه الحاكم ، ووافقه الذهبي ، وصحَّحه أحمد شاكر في حاشية المسند ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٤٢ ، وزاد نسبته إلى ابن المبارك في الزهد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي في البعث ، وهذا الحديث يُعَدُّ نصّاً في أن الصور قرن .

(٢) في (أ) : (والعرب تقول والعرب) ، وهو تحريف .

(٣) لم أقف على قائله ، وهو في تفســير الطبري ٧/ ٢٤١ ، والزاهر ١/ ٤١٦ ، والمعرب للجواليقي ٥١٢ ، والأنساب للسمعاني ٤/ ٥٦٦ ، والدر المصون ٤/ ٦٩٤ .
قهندز بالضم ، وقيــل بالفتح : كلمة أعجمية معربة تعني القلعة أو الحصــن . انظر : معجم البلدان ٤/ ٤١٩ ، والتــاج ٨/ ١٣٣ . وابن جعدة هو عبدالله بن جعدة بن هبيرة المخزومي . انظر : حاشــية الطبري .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٤٠ .

(٥) أخرجه الطبري ٧/ ٢٤٢ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٢٥ بسند جيد .

(٦) ذكره الثعلبي ١٧٩ ب ، والبغوي ٣/ ١٥٨ ، والقرطبي ٧/ ٢٢ عن الضحاك وابن إسحاق والكلبي .

(٧) في (ش) : (تارخ) ، وأكثر المصادر تذكره بالحاء المهملــة . قال ابن كثير في البداية والنهاية ١/ ١٤٢ : =

ويعقوب» ، وهو قول الحسن[١] والسُّدِّي[٢] قالوا جميعاً : «آزر : اسم أبي إبراهيم» ، وقال مقاتل بن حيان[٣] : «هو لقب [له]»[٤] .

وقال سليمان[٥] التيمي[٦] : «هو سبٌّ وعيب ، ومعناه في كلامهم : المعوج» .

قال أبو إسحاق[٧] : «وليس بين النسَّابين اختلاف أن اسم أبي إبراهيم تارح[٨] ، والذي في القرآن يدل على [أن][٩] اسمه آزر فكأن آزر لقب له ، وقيل : آزر عندهم ذمٌّ في لغتهم ، كأنه قيل : وإذ قال إبراهيم لأبيه المخطئ ، كأنه عابه بزيغِه وتعوُّجِه عن الحق» ، ونحو هذا قال الفرَّاء[١٠] سواء .

= «ابن عباس والجمهور على أن اسم أبيه تارح ، وأهل الكتاب يقولون : تارخ بالخاء المعجمة» . اهـ بتصرف ، وانظر : عرائس المجالس ٧٢ ، وتفسير مبهمات القرآن ١/ ٤٣١ .

(١) ذكره النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٤٨ ، وذكره الماوردي ٢/ ١٣٤ ، وابن الجوزي ٣/ ٧٠ عن الحسن والسُّدِّي .

(٢) أخرجه الطبري ٧/ ٢٤٢ بسند جيد ، وذكره السمرقندي ١/ ٤٩٥ عن السُّدِّي والكلبي .

(٣) ذكره الثعلبي ١٧٩ ب ، والبغوي ٣/ ١٥٨ ، وابن الجوزي ٣/ ٧١ ، والقرطبي ٧/ ٢٢ .

(٤) لفظ : (له) ساقط من (ش) .

(٥) سليمان بن طرخان القيسي التيمي أبو المعتمر البصري ، إمام عابد تابعي محدث علاَّمة ثقة ، أثنى عليه العلماء ، توفي سنة ١٤٣هـ ، وله ٩٧ سنة . انظر : طبقات ابن سعد ٧/ ٢٥٢ ، والجرح والتعديل ٤/ ١٢٤ ، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٩٥ ، وتذكرة الحفاظ ١/ ١٥٠ ، وتهذيب التهذيب : ٢/ ٩٩ .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٣٢٥ بسند ضعيف ، وذكره النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٤٨ ، والثعلبي ١٧٩ ، ب ، والبغوي ٣/ ١٥٨ .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٦٥ بتصرف ، وزاد : «وقيل : آزر : اسم صنم» .

(٨) في (ش) : (تارخ) ، بالخاء المعجمة ، وعند الزَّجَّاج بالمهملة .

(٩) لفظ : (أن) ساقط من (أ) .

(١٠) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٤٠ .

وقال ابن الأنباري : «قد يغلب على اسم الرجل لقبُه حتى يكون به أشهر منه باســمه ، فيمكن أن يكون آزر اســم أبي[١] إبراهيم الصحيح وتارح[٢] لقب له ، وجائز أن يكون آزر لقباً أَبْطَل الاســم لشــهرة الملقَّب به ، فخبَّر الله تعالى بأشهر اسميه ؛ لأن اللقب مضارع للاسم»[٣] .

٧٥. قولــه تعــالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ قال الزَّجَّــاج : «أي ومثل ما وصفنا من قصة إبراهيم من قوله لأبيه ما قال نريه ﴿ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٤] يعني : كما أريناه استقباح ما كان عليه أبوه وقومه من عبادة الأصنام نريه الملكوت للاعتبار» .

والملكــوت : بمنزلة الملك ، إلَّا أن[٥] التاء زيــدت للمبالغة ، كالرَّغَبُوت[٦] والرَّهَبُوت[٧] ، ووزنه من الفعل فعلوت[٨] ، كذلك قال أهل اللغة[٩] .

---

(١) جاء في (أ) : (أب) ، في كل المواضع السابقة .

(٢) في (ش) : (تارخ) ، في كل المواضع السابقة .

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٦٦ ، وابن الجوزي ٣/ ٧١ ، والراجح أن (آزر) اسم أبي إبراهيم ، وهو علــم وليس لقباً ؛ لأن ظاهر القرآن والمحفوظ عن أهل العلــم وغيره مجرد احتمالات ودعوى تحتاج إلى دليل ، وهو اختيار الطبري في تفســيره ٧/ ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، وابــن كثير ٢/ ١٦٨ ، وغيرهما . انظر : المعارف لابــن قتيبة ٣٠ ، وابن عطية ٥/ ٥٢٥١ ، والمعــرب للجواليقي ١٣٤ ، والرازي ١٣/ ٣٧ ، والقرطبي ٧/ ٢٢ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٦٥ .

(٥) في (أ) : (لأن التاء) .

(٦) الرغبوت (بفتح الراء والغين ، وضم الباء) : من رغب بمعنى أراد . انظر : القاموس (رغب) ٩٠ .

(٧) الرَّهَبُوت (بفتح الراء والهاء ، وضم الباء) : من رهب بمعنى خاف . انظر : القاموس (رهب) ٩٢ .

(٨) هــذا قول الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٢٦٥ . انظر : مجاز القرآن ١/ ١٩٧ ، ١٩٨ ، وتفســير الطبري ٧/ ٢٤٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٤٩ .

(٩) انظر : ملك في تهذيب اللغة ٤/ ٣٤٤٩ ، والصحاح ٥/ ١٦١٠ ، واللسان ٧/ ٤٢٦٧ .

واختلفوا في : ﴿ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ، ما هو ؟ فقال ابن عباس في رواية[(١)] عطاء : «يريد : أن الله أراه ما يكون في السماوات من عجائب خلق ربه من عبادة الملائكة ومن طاعتهم ومن خشوعهم وخوفهم من الله عز وجل ، وما في جميع الأرض من عصيان بني آدم وجرأتهم على الله ، فكان يدعو على كل مَن يراه في معصية فيهلكه الله ، فأوحى الله إليه : [يا إبراهيم][(٢)] أمسك عن عبادي ، أما علمت أنه من أسمائي أنا الصبور»[(٣)] .

وقد روى علي -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ[(٤)] في تفسير : ﴿ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ مثل هذا الذي ذكره ابن عباس .

(١) أخرج عنه الطبري ٧/ ٢٤٦ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٣٢٦ بسند ضعيف نحوه ، وأخرج الطبري ٧/ ٢٤٧ بسند ضعيف عن عطاء نحوه ، وأخرج الطبري ٧/ ٢٤٦ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٢٦ بسند جيد عن ابن عباس ، قال : «يعني به : الشمس والقمر والنجوم» . اهـ ، وفي رواية عند الطبري بسند جيد ، قال : «خلق السماوات والأرض» ، وانظر : الدر المنثور ٣/ ٤٥ .

(٢) لفظ : (يا إبراهيم) ساقط من أصل (أ) وملحق بالهامش .

(٣) الصبور صفة لله ، ومعناه : الذي يملي ويمهل ولا يعجل بالعقوبة ، وأكثرهم عَدَّه اسمًا من أسماء الله تعالى ، ولم يثبته محمد العثيمين في القواعد المثلى ٢١ ، ٢٢ . انظر : تفسير أسماء الله الحسنى للزَّجّاج ٦٥ ، والأسماء والصفات للبيهقي ٤٨١ ، والمقصد الأسنى للغزالي ١٣٣ ، وشرح أسماء الله الحسنى للرازي ٣٥٢ ، والحق الواضح للسعدي ٥٧ ؛ وكلهم عَدَّه من الأسماء .

(٤) ذكره البغوي ٣/ ١٥٨ ، والقرطبي ٧/ ٢٣ ، والسيوطي في الدر ٣/ ٤٥ . قال ابن كثير ٢/ ١٦٨ : «روى ابن مردويه في ذلك حديثين مرفوعين عن معاذ وعلي ، ولكن يصح إسنادهما» ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٠١ : «روى الطبراني في الأوسط عن جابر عن النبي ﷺ نحوه وفيه علي بن أبي علي اللهبي متروك» بتصرف .

وهو قول مجاهد[١] وسعيد[٢] بن جبير ، قالا : «إنه كشف له عن السماوات والأرض حتى العرش وأسفل الأرضين» .

وقال قتادة[٣] والضحاك[٤] : «﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ : الشمس والقمر والنجوم ، وملكوت الأرض الجبال والشجر والبحار ، وذلك أن الله تعالى أراه هذه الأشياء حتى نظر إليها معتبراً مستدلًّا بها على خالقها» .

وقوله تعالى : ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ قال أهل المعاني : «هو معطوف على المعنى ؛ لأن معنى الآية : نريه ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ليستدل به ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾[٥] ، وقيل : هو عطف جملة على جملة بتقدير : وليكون من الموقنين أريناه»[٦] . قال أبو علي الفارسي : «اليقين[٧] والتيقن : ضرب من العلم

---

(١) أخرجه الطبري ٧/ ٢٤٦ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٣٢٧ من طرق جيدة ، وفي تفسير مجاهد ١/ ٢١٨ ، قال : «الملكوت : الآيات» ، وأخرجه الطبري من طرق جيدة ، وأخرج عنه أبو الشيخ في العظمة ، ٢٩٧ بسند جيد ، قال : «الشمس والقمر» ، وقال ابن أبي حاتم : «وروي عن مجاهد أنه قال : يعني الشمس والقمر والنجوم» . اهـ . انظر : الدر المنثور ٣/ ٤٤ .

(٢) أخرجه الطبري ٧/ ٢٤٧ من طرق جيدة عن سعيد بن جبير وقتادة .

(٣) أخرجه عبدالرزاق ١/ ٢/ ٢١٢ ، ٢١٣ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٣٢٧ من طرق جيدة .

(٤) أخرجه الطبري ٧/ ٢٤٧ بسند ضعيف بلفظ : «الشمس والقمر والنجوم» . اهـ . وهذه الأخبار لا حجة فيها ، وتحتاج إلى مستند ، والأَولى حمل الآية على ظاهرها ، فالملكوت بمعنى الملك أراه الله سبحانه عظيم سلطانه ، وجلَّى له بواطن الأمور وظاهرها ، ويحتمل أن يكون كشف له عن بصره حتى رأى ذلك عياناً ، ويحتمل أن يكون عن بصيرته حتى شاهده بفؤاده وتحققه وعلم ما في ذلك من الحكم الباهرة والدلالات القاطعة ، وهذا اختيار الطبري ٧/ ٢٤٧ ، وابن كثير ٢/ ١٦٨ . انظر : السمرقندي ١/ ٤٩٥ ، وابن عطية ٥/ ٢٥٥ .

(٥) هذا ظاهر قول الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٢٦٥ ، قال : «أي نريه ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لما فعل وليثبت على اليقين» .

(٦) هذا قول النحاس في إعراب القرآن ١/ ٥٥٨ ، ومكي في المشكل ١/ ٢٥٨ ، وانظر : البيان ١/ ٣٢٨ ، والتبيان ٣٤٢ ، والفريد ٢/ ١٧٧ ، والدر المصون ٥/ ٧ .

(٧) اليقين في اللغة : العلم وتحقق الأمر وزوال الشك . قال العسكري في الفروق ٦٣ : «هو سكون النفس وثلج الصدر بما علم» ، وقال الراغب في المفردات ٨٩٢ : «هو من صفة العلم فوق المعرفة والدراية =

مخصــوص ، فكل علم ليس تيقناً وإن كان كل تيقن علــماً ؛ لأن التيقُّن هو العلم الذي قد كان عرض لعالمه إشــكال فيه ، يبــين[١] ذلك قوله تعالى : ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾»[٢] .

٧٦. [و][٣] قولــه تعــالى : ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ الآيــة . يقال : جنَّ عليــه الليل وأجنَّه الليل ، ويقال لكل ما ســتر : قد جنَّ وأجنَّ ، ويقال أيضاً : جَنت الليل[٤] ، ولكن الاختيار جنَّ عليه الليل ، وأجنَّه الليل[٥] ، هــذا قول جميع أهل اللغة ، ومعنى ﴿جَنَّ﴾ : ســتر ، ومنه الجَنَّة[٦] والجِنُّ والجُنُون والجَنان والجنين ، المجنُ والجنن والمُجن وهو

= وأخواتها ، وهو ســكون الفهم مع ثبات الحكم» . انظــر : العين ٥/ ٢٢٠ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٩٨ ، والصحاح ٦/ ٢٢١٩ ، ومقاييس اللغة ٦/ ١٥٧ ، واللسان (يقن) ٨/ ٤٩٦٤ .

(١) في (أ) : (تبين) بالتاء ، وهو تصحيف .

(٢) الحجة لأبي عــلي ١/ ٢٥٦ ، وزاد : «اليقين كأنه علم يحصل بعد اســتدلال ونظر لغموض المعلوم أو لإشكال ذلك على الناظر ، فليس كل علم يقيناً ؛ لأن من المعلومات ما يعلم ببداءة العقول والحواس» . اهـ ملخصاً .

(٣) لفظ : (الواو) : ساقط من (أ) .

(٤) «جن يســتعمل لازماً ومتعدياً ، وهو مما اتفق فيه أفعل وفعــل ، إلاَّ أن الأجود جن عليه الليل وأجنه الليل ، فيكون الثلاثي لازماً وأفعل متعدياً» . انظر : الدر المصون ٥/ ٨ .

(٥) هذا قول الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٢٦٦ .

(٦) هذه كلمات تحتاج إلى ضبط ، وهي على الترتيب كما يأتي :
الجَنَّة (بفتح الجيم والنون المشددة) : البستان كثير الشجر .
الجِنُّ (بكسر الجيم وتشديد النون) : خلاف الإنس والواحد ، جِنِّيٌّ .
الجُنُون (بضم الجيم والنون) ، يقــال : جُنَّ الرَّجُلُ جُنُوناً ، وأَجَنَّه الله ، فهو مَجْنُون . ويقال : جَنَّ عليه الليل يُجنُّ جُنوناً ؛ أي ستره ، وجَنَّ النباتُ جُنُوناً ؛ أي طال والتف .
الجَنَانُ (بالفتح) : القَلْبُ ، والرُّوحُ ، وظَلَامُ الليل .
الجنين (بفتح الجيم وكسر النون) : الولد في البطن ، وكل مستور .
المِجَنُّ (بكسر الميم وفتح الجيم) : التُّرْس ، وكل ما استُتِر به من السلاح .
الجَنَنُ (بالفتح) : القبر ، والميت ، والكفن .
والجُنُنُ ، (بالضم) : الجُنُونُ ، حذفت منه الواو . =

المقبور ، والجُنَّة والجِنَّة ، كل هذا يعود أصله إلى الستر والاستتار ، ويقال في مصدره : جَنَّ جَنّاً وجنوناً وجناناً(١) .

ويروى بيت دُريد(٢) بالوجهين :

وَلَوْلا جَنونُ اللَّيلِ أَدْرَكَ رَكْضُنَا

بِذِي الرَّمْثِ والأَرْطَى عِياضَ بنَ ناشِبِ(٣)

= المُجَنُّ : ضُبط في النسخ بضم الميم وفتح الجيم ، ولم أقف على أنه المقبور ، وفي الصحاح : «جُنَّ الرجل جنوناً وأجنَّه الله فهو مجنون ، ولا يقال مُجَنٌّ» .
الجُنَّة (بضم الجيم وفتح النون المشددة) : ما استُتِر به من السلاح ، وكل ما وَقَى .
الجِنَّة (بكسر الجيم) : الجنون ، وذلك أن يغطي العقل .
انظر : العين ٦/ ٢٠ ، والجمهرة ١/ ٩٢ ، وتهذيب اللغة ١/ ٦٧٣ ، والصحاح ٥/ ٢٠٩٣ ، والمجمل ١/ ١٧٥ ، ومقاييس اللغة ١/ ٤٢١ ، والمفردات ٣٠٣ ، واللسان ٢/ ٧٠٢ ، والقاموس (جن) ١١٨٧ .

(١) انظر : المصادر السابقة . قال الطبري في تفسيره ٧/ ٢٤٧ : «المصدر من جن عليه : جنّاً وجُنُوناً وجَنَاناً ، ومن أجن إجناناً . . .» . اهـ ، وقال السمين ٥/ ٨ : «مصدره جَنٌّ وجَنان وجُنون» . اهـ

(٢) دُرَيْد بن الصِّمَّة الجُشمي من هوازن ، شاعر جاهلي ، تقدمت ترجمته .

(٣) ديوانه ٢٩ ، ومجاز القرآن ١/ ١٩٨ ، والأصمعيات ١١٢ ، وإصلاح المنطق ٢٩٥ ، والجمهرة ١/ ٩٣ ، والأغاني ١٠/ ١٦ ، والمجمل ١/ ١٧٥ ، ومقاييس اللغة ١/ ٤٢٢ ، واللسان ٢/ ٧٠١ ، وهو لخفاف ابن ندبة السُّلَمي في ديوانه ١٣٠ ، والصحاح ٥/ ٢٠٩٤ .
الرمث والأرطى : نباتان معروفان ، وذو الرمث : وادٍ لبني أسد . يقول : لولا أن الليل سترنا لأدركنا عياض بن ناشب الفزاري بذلك المكان فقتلناه . انظر : تهذيب إصلاح المنطق ٢/ ١٢٩ ، ومعجم البلدان ٣/ ٦٨ ، واللسان (جن) ٢/ ٧٠١ .

ويروى[١] : «جنـــان الليل» . قال بعض النحويين : «﴿جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ ؛ أي أظلم عليه الليل[٢] ولهذا دخلت على ، كما تقول في أظلم ، فأمَّا جنَّه فستره من غير تضمين معنى أظلم»[٣] .

وقوله ﴿رَءَا﴾ فيه ثلاثة أوجه[٤] من القراءة : فتح الراء والهمزة ، [وفتح الراء وكـــسر[٥] الهمزة نحو الإمالة ، وكسر الراء والهمـــزة][٦] للإمالة ، فأمَّا مَن فتحهما جميعـــاً فعِلَّته واضحة ؛ وهي ترك الألف على الأصل نحـــو : رَعَى ورَمَى لمَّا لم يُمِل الألف لم يُمِل الفتحـــة التي قبلها ، كما يميلها مَن يـــرى الإمالة ليميل الألف نحو الياء .

وأمَّا مَن فتح الراء وكـــسر الهمزة فإنه أمال الهمزة نحو الكسرة لتميل الألف التـــي في رأى نحو الياء ، كما تمال الفتحـــة التي على الدال في هدى والميم من رمى لتميل الألف ، وترك الراء مفتوحة على الأصل .

---

(١) ذكره أكثرهـــم ، وهو في الديوان وأكثر المراجع : «ولولا جنان» ، وهمـــا بمعنى واحد ، وفي الأغاني : «ولولا سواد» بدل «جنان» .

(٢) لفظ : (الليل) ساقط من (ش) .

(٣) انظر : الفريد ٢/ ١٧٧ .

(٤) قرأ ابن عامـــر وعاصم وأبو عمرو وحمزة والكسـائي : «رِأى» بكسر الراء والهمـــزة ، وقرأ ابن كثير وعاصم : ﴿رَءَا﴾ بفتح الراء والهمزة ، وقرأها أبـــو عمرو بفتح الراء وكسر الهمزة ، وقرأها نافع بين الفتح والكسر . انظر : السبعة ٢٦٠ ، والمبسوط ١٧٠ ، والتذكرة ٢/ ٤٠٢ ، والتيسير ١٠٣ ، والنشر ٢/ ٢٥٩ .

(٥) في (ش) : (وكسرة) ، وهو تحريف .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

وأمَّا مَن كسرهما جميعاً فإنه كسر الراء من رأى ؛ لأن المضارع منه على يفعل ، وإذا كان المضارع على يفعل كان الماضي على فَعِل ، ألا ترى أن المضارع في الأمر العام إذا كان على يفعل كان الماضي على فَعَل ، وإنما فتحوا الماضي في حروف ذوات عددٍ اختص موضع العين منها واللام بأحد حروف الحلق ، وهي متسفلة المخارج ، فشابوا ذلك منها بشيء من التصعُّد وهو الفتحة في العين ، ليعتدل الكلام ، وإذا كان الماضي كأنه على فِعِلَ كسر[(1)] الراء التي هي فاء ؛ لأن العين همزة ، وحروف الحلق إذا جاءت في كلمة على زنة فِعِل كسرت فيها الفاء لكسرة العين في الاسم والفعل ، وذلك نحو قولهم في الاسم : حمار نِعِرٌ[(2)] ورجل محك[(3)] وماضغ لهم ، وفي الفعل نحو : شِهِدَ ولِعِبَ ونِعِمَ ، فكسرة الراء على هذا كسرة مخلصة محضة ، وليست بفتحة مُمالة ، وأمَّا كسرة الهمزة فإنه يراد بها إمالة فتحتها إلى الكسرة لتميل[(4)] الألف نحو الياء ، فإن قلت : إن الفاء إنما تكسر لتتبع الكسرة في نحو : شهد ، والهمزة في رأى مفتوحة ، فكيف أجيز كسره ، مع أن بعدها حرفاً مفتوحاً ؟

قيل : إنه في ما نزَّلناه وبيَّنَّاه بمنزلة الكسرة ، فأتبع الفتحة الكسرة المقدَّرة ، فإن لقي رأى ساكنٌ نحو : ﴿رَءَا ٱلْقَمَرَ﴾ و﴿رَءَا ٱلشَّمْسَ﴾ ، ففيه أيضاً ثلاثة أوجه من القراءة[(5)] :

---

(١) كذا في النسخ ، وفي الحجة لأبي علي ٣/ ٣٢٨ : «كسرة الراء» ، وهو الصواب ، وقد ورد في بعض نسخ الحجة كسر الراء كما في الحاشية .

(٢) النُّعَر : داء يأخذ الإبل في رؤوسها ، وحمار نَعِرٌ (بفتح النون وكسر العين) ؛ أي لا يستقر في مكان . انظر : الكتاب ٣/ ٥٨٥ ، واللسان (نعر) ٧/ ٤٤٧٢ .

(٣) رجل محك (بفتح الميم وكسر الحاء) : لَجوج عسر الخُلق . انظر : اللسان (محك) ٧/ ٤١٤٧ .

(٤) في (ش) : (ليميل) .

(٥) انظر : المصادر السابقة في قراءة (رأى) .

أحدهما : فتح الراء والهمزة معاً ، وهو قراءة العامة ، ووجه ذلك أنه الأصل على قراءة مَن فتحهما إذا لم يلقه ساكن ، وأمَّا مَن كان يكسرهما إذا لم يلقه ساكن ثم فتحهما عند الساكن مثل الكسائي ، فوجه ذلك أن إمالة الفتحة في الهمزة إنما كانت لِتَميل الألف نحو الياء ، فلمَّا سقطت الألف بطلت إمالتها لسقوطها ، ولمَّا بطلت إمالتها لسقوطها بطلت إمالة الفتحة نحو الكسرة لسقوط الألف التي كانت الفتحة المُمالة تميلها نحو الياء ، وأمَّا فتح الراء هاهنا وقد كسره في ﴿رَءَا كَوۡكَبٗا﴾ فلأنه أخذ باللغتين فكسر هناك لِما ذكرناه[1] وفتح هاهنا ؛ لأنه جعله بمنزلة الراء في رمى[2] ورعى .

الوجه الثاني في القراءة : كسر الراء وفتح الهمزة ، وهي قراءة حمزة وعاصم في رواية أبي بكر[3] ، أمَّا كسر الراء فإنما هو للتنزيل والتقدير الذي ذكرنا ، وهو معنى منفصل عن إمالة فتحة الهمزة ، ألا ترى أنه يجوز أن يُعمِل هذا المعنى مَن لا يرى الإمالة ، كما يجوز أن يُعمِله مَن يراها ، فإذا كان كذلك كان انفصال أحدهما عن الآخر سَائغاً غير ممتنع .

---

(١) في (ش) : (ذكرنا) .

(٢) في (أ) : (رما ، ورعا) . وكذلك جاء في بعض نسخ الحجة لأبي علي ٣/ ٣٣٠ .

(٣) أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الحناط الكوفي ، مشهور بكنيته ، مختلف في اسمه ، فقيل : كنيته هي اسمه ، وقيل : اسمه شعبة ، وهو إمام فاضل عابد ثقة مقرئ ، أتقن قراءة عاصم ، وعرض القرآن عليه ثلاث مرات ، توفي سنة ١٩٤هـ ، أو قبلها ، وله نحو ١٠٠ سنة .
انظر : الحلية ٨/ ٣٠٣ ، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٩٥ ، ومعرفة القرَّاء ١/ ١٣٤ ، وميزان الاعتدال ٦/ ١٧٣ ، وغاية النهاية ١/ ٣٢٥ ، وتهذيب التهذيب ٤/ ٤٩٢ .

وروى يحيى بن[1] آدم عن أبي بكر[2] : (رِأى القمر) : بكسر الراء والهمزة معاً ، أمَّا وجه كسر الراء فقد ذكرنا ، وأمَّا إمالة فتحة الهمزة مع زوال ما كان يوجب إمالتها من حذف الألف فلأن الألف محذوفة لالتقاء الساكنين ، وما يحذف لالتقاء الساكنين فقد ينزَّل تنزيل المثبت ، ألا ترى أنهم قد أنشدوا :

ولَا ذَاكِرِ اللهَ إلَّا قَلِيلاً[3]

فنصب الاسم بعد ذاكر ، وإن كانت النون محذوفة لمَّا كان الحذف لالتقاء الساكنين ، والحذف لذلك في تقدير الإثبات من حيث كان التقاؤهما غير لازم ، ومن ثم لم يرد الألف في نحو : رمت المرأة[4] .

---

(١) يحيى بن آدم بن سليمان الأموي أبو زكريا الكوفي ، إمام فاضل حافظ ثقة مقرئ فقيه ، من أوعية العلم ، له كتب جيدة ، توفي سنة ٢٠٣هـ ، وله نحو ٧٣ سنة . انظر : طبقات ابن سعد ٦/ ٤٠٢ ، والجرح والتعديل ٩/ ١٢٨ ، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٥٢٢ ، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٥٩ ، وغاية النهاية ٢/ ٢٦٣ ، وتهذيب التهذيب ٤/ ٣٣٧ .

(٢) في الحجة لأبي علي ٣/ ٣٣١ : «روى يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش عن عاصم» .

(٣) الشاهد لأبي الأسود الدؤلي في ديوانه ٥٤ ، والكتاب ١/ ١٦٩ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٠٢ ، والمقتضب ٢/ ٣١٢ ، واللسان (عتب) ٥/ ٢٧٩٣ ، وبلا نسبة في مجاز القرآن ١/ ٣٠٧ ، ومعاني القرآن للأخفش ١/ ٨٦ ، ومجالس ثعلب ١٢٣ ، والأصول ٣/ ٤٥٥ ، والشعر لأبي علي ١/ ١١٤ ، والخصائص ١/ ٣١١ ، والمنصف ٢/ ٢٣١ ، وأمالي ابن الشجري ٢/ ١٦٤ ، وصدره :

فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتِبٍ

الشاهد : حذف التنوين من ذاكر لالتقاء الساكنين أو ضرورة . انظر : شرح شواهد المغني للسيوطي ٢/ ٩٣٤ .

(٤) هذا قول أبي علي الفارسي في الحجة ٣/ ٣٢٦ـ٣٣٢ ، وانظر : معاني القراءات للأزهري ١/ ٣٦٤ ، وإعراب القراءات لابن خالويه ١/ ١٦١ ، والحجة لابن خالويه ١٤٢ ، والحجة لابن زنجلة ٢٥٦ ، والكشف ١/ ٤٣٦ .

فأمَّا قصة الآية ومعناها فقال السُّـدي[١]، ومحمد بن إسـحاق[٢] والعلماء بأخبـار الماضين: «لمَّا شـبَّ إبراهيـم في السرب [الذي ولد فيـه، قال لأبويه: أخرجـاني فأخرجاه، من السـرب][٣] وانطلقا به حين غابت الشـمس، فنظر إبراهيم إلى الإبل والخيل والغنم، فقال: ما لهذه بُدٌّ من أن يكون لها رب وخالق، ثم نظر وتفكر في خلق السـماوات والأرض، وقـال: إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسـقاني لربي، ما لي إله غيره، ثم نظر فإذا المشتري قد طلع، ويقال: الزهرة، وكانت تلك الليلة في آخر الشـهر، فرأى الكوكـب قبل القمر فقال: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾».

واختلفـوا في معنى قوله: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾، فقال أهل التحقيق من العلماء: «إن إبراهيم -عليه السـلام- لم يكن قط في ضلال وحـيرة، وكيف يتوهم ذلك على مَن عصمه الله وطهَّره في مسـتقره ومسـتودعه؟ وما زال في حكـم الله نبيّاً والله تعـالى يقـول: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافـات: ٨٤]؛ أي لم يشرك به قط»، كذلك قـال المفسرون، ويقول[٤]: «﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنعـام: ٧٥] أفترى اللهَ أراه الملكـوت ليوقن، فلما أيقن ﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾ فقال: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ على الحقيقة والاعتقاد! هذا ما لا يكون أبداً، وإنـما معنى قوله: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ أن قومه كانوا يعبدون النجوم ويعظمونها ويحكمون بها».

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه ١/ ٢٣٦ عن السُّـدِّي وابن إسحاق، وأخرجه ابن أبي حاتم ٤/ ١٣٢٩ عن السُّدِّي، وذكره الثعلبي في عرائس المجالس ٧٤ عن السُّدِّي وابن إسحاق.

(٢) أخرجه الطبري في تفسـيره ٧/ ٢٤٦، ٣٤٧ عن ابن إسحاق وقتادة، وانظر: نحوه في تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢/ ١٣٧، وهذا من الإسرائيليات، والآية ظاهرة واضحة، وليس تفسيرها في حاجة إلى هذه المرويـات. قال ابن كثير في تاريخه ١/ ١٤٣: «الظاهر أن الموعظـة لأهل حرَّان، فإنهم يعبدون الكواكـب، وهذا يرد قول مَن زعم أنه قال هذا حين خرج من السرب، لمَّا كان صغيراً، كما ذكره ابن إسحاق وغيره، وهو مستند إلى أخبار إسرائيلية لا يوثق بها، ولا سيما إذا خالفت الحق...». اهـ

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٤) لفظ: (الواو): ساقط من (أ).

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ رأى الزهرة ، فقال : ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ : يريد أن يستدرجهم بهذا القول ، ويعرفهم خطأهم ، وجهلهم في تعظيمهم شأن النجوم وقضائهم على الأمور بدلالاتها ، فأراهم أنه معظِّم ما عظَّموا ، وملتمس الهدى من حيث التمسوا ، وكل مَن تابعك على هواك وشايعك على أمرك كنت به أوثق وإليه أسكن وأركن ، فأنسوا واطمأنوا ، ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ أراهم النقص الداخل على النجم بالأفول ؛ لأنه ليس [ينبغي](١) [لإله](٢) أن يزول ولا أن يغيب فقال : ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾ ؛ أي لا أحب مَن كانت حالته أن يَطْلُع ويسير على هيئة يتبين معها أنه محدث منتقل من مكانٍ إلى مكانٍ ؛ أي لا أتخذ ما هذه حاله إلهاً ، كما أنكم لا تتخذون كل ما قد يجري مجرى هذا من سائر الأشياء آلهةً .

وقيل : إنه قال : ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ على جهة الاحتجاج على قومه لا على معنى الشك كأنه ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ عندكم وفي ما تظنون وفي زعمكم ، كما قال الله عز وجل : ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص :٦٢] ، فأضافهم إلى نفسه حكاية لقولهم ، وكقوله تعالى : ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان :٤٩] ؛ أي عند نفسك .

وجائز أن يكون هاهنا إضمار القول كأنه قال : [تقولون](٣) : ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ ، وإضمار القول كثير كقوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا﴾ [البقرة :١٢٧] ؛ أي يقولان : ربنا ، وقوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ [الزمر :٣] معناه : يقولون ما نعبدهم ، فكأن إبراهيم قال لقومه : [تقولون](٤) ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ ؛ أي هذا الذي يدبّرني ؛ لأنهم كانوا أصحاب

(١) في (أ) : (يتبغى) ، وهو تصحيف .
(٢) في (أ) : (للاله) .
(٣) في (ش) : (يقولون) .
(٤) في (ش) : (يقولون) .

نجوم يرون التدبير في الخليقة لها، فاحتج عليهم بأن الذي [تزعمون][(١)] أنه مُدَبِّر فيه أثر أنه مُدبِّر لا غير.

فهذه ثلاثة أوجه صحيحة في تأويل الآية ذكرها أهل المعاني؛ الوجه الأول قول الفرَّاء[(٢)]، واختيار عبدالله بن مسلم[(٣)]، والثاني والثالث ذكرهما الزَّجَّاج[(٤)] وابن الأنباري[(٥)]. وفي قوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ دلالة على أن ما غاب بعد ظهوره فليس برب، وفيه حجة على أن ما تغيَّر[(٦)] بالظهور تارة والأفول[(٧)] تارة كان حادثاً مدبَّراً مسخَّراً مصرفاً[(٨)]، وذلك ينافي صفة الإله المعظم.

---

(١) في (ش): (يزعمون).

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٤١.

(٣) تأويل مشكل القرآن ٣٣٥ـ٣٣٨، وقد نقل المؤلف نص كلامه.

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٦٧، وفيه قال: «والذي عندي في هذا القول أنه قال لهم: تقولون هذا ربي؛ أي هذا يدبرني؛ لأنه في ما يروى أنهم أصحاب نجوم فاحتج عليهم بأن الذي تزعمون أنه مدبر إنما يرى فيه أثر مُدبِّر لا غير»، وانظر: معاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٥٠.

(٥) ذكره المؤلف في الوسيط ١/ ٦٨، ٦٩، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٧٤، والصحيح في معنى الآية ما ذهب إليه الجمهور من أن هذا القول كان في مقام المناظرة لقومه؛ لإقامة الحجة عليهم في بطلان ما هم عليه من عبادة الكواكب والشمس والقمر؛ لأن الموافقة في العبارة على طريق إلزام الخصم من أبلغ الحجج وأوضح البراهين، ولأن الله تعالى قال في القصة نفسها: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ﴾ [الأنعام: ٨٠]، وهو اختيار الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره ٢/ ١٦٩. انظر: إعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٦٠، وتفسير البغوي ٣/ ١٦١، وتفسير ابن عطية ٥/ ٢٦١، وتفسير الفخر الرازي ١٣/ ٥٩، والبحر المحيط ٤/ ١٦٦.

(٦) في (ش): (يغبر)، وهو تصحيف.

(٧) في (ش): (وبالأفول). قال شيخ الإسلام في الفتاوى ٥/ ٥٤٧، ٦/ ٢٨٤: «اتفق أهل اللغة والتفسير على أن الأفول هو: التغيب والاحتجاب».

(٨) في (ش): (ومدبراً مسخراً ومصرفاً).

٧٧. قولـه تعـالى : ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا ﴾ يقال : بزغ القمـر إذا ابتدأ في الطلوع ، وبزغت الشمس إذا بدا منها[١] طلوع ، ونجوم بوازغ[٢] .

قال الأزهري[٣] : «كأنه مأخوذ من البزغ ، وهو الشـقُّ ، كأنه يشـق بنوره الظلمة شـقاً ، ومن هذا يقال : بزغ البيطارُ[٤] أشـعارَ الدابة إذا شق ذلك المكان منها [بمبزغه]»[٥] . قال الطرماح :

كَبزْغِ البِيَطْرِ الثَّقْفِ رَهْصَ الكوادِنِ[٦]

فأمَّا معنى الآية فإن إبراهيم -عليه السلام- اعتبر في القمر والشمس مثل ما اعتبر في النجم ، وكانت حجته فيهما على قومه كالحجة في الكواكب[٧] .

وقوله تعالى : ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ لا يوجب أنه لم يكن مهتدياً ؛ لأن معناه : لئن لم يثبتني على الهدى ، والأنبياء لم تزل تسأل الله ذلك

---

(١) في (ش) : (فيها) .

(٢) انظر : العـين ٤/ ٣٨٥ ، والجمهرة ١/ ٣٣٣ ، والبارع ٣٦٤ ، ومقاييـس اللغة ١/ ٢٤٤ ، والمجمل ١/ ١٢٤ ، والمفردات (بزغ) ١٢٢ .

(٣) تهذيب اللغة ١/ ٣٢٨ .

(٤) البَطْر : الشق ، وبه سُمِّي البَيْطار بَيْطاراً . انظر : اللسان (بطر) ١/ ٣٠١ .

(٥) في (ش) : بمبزعه : بالعين المهملة ، وهو تصحيف ، وعند الأزهري [بمبضعه] ، وفي اللسـان (بزغ) ١/ ٢٧٦ : «يقال للحديدة التي يشترط بها : مبزغ ومبضع» . اهـ

(٦) الشـاهد في ديوانـه ١٧٢ ، وتهذيب اللغة ١/ ٣٢٨ ، واللسـان (بطر) ١/ ٣٠١ ، وهو للأعشـى في الصحاح (بزغ) ٤/ ١٣١٥ ، وليس في ديوانه ، وأوله : يُساقطُها تَتْرَى بِكُلِّ خَمِيلَةٍ .
قال ابن منظور في اللسان (بزغ) ١/ ٢٧٦ : «هو للطرماح يصف ثوراً طعن الكلاب بقرنيه ، والرَّهْص جمع رَهْصة وهي أن يَدْوَى حافِر الدابة من حجر تطؤه ، والكوادن البراذين» . اهـ

(٧) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٦٧ .

وتعلم أنه لولا هداية الله[١] ما اهتدت، وإبراهيم يقول: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

٧٨. قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾. قال أبو بكر ابن الأنباري: «إنما قال هذا والشمس[٢] مؤنثة؛ لأن الشمس بمعنى: الضياء والنور، فحمل الكلام على تأويلها فذكَّر وأعان على التذكير أيضاً أن[٣] الشمس ليست فيها علامة التأنيث، فلما أشبه لفظها المذكر وكان تأويلها تأويل النور صلح التذكير من هاتين الجهتين»[٤]، وأنشد قول الأعشى[٥]:

وَلَا أَرْضَ أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا[٦]

(١) انظر: معاني القرآن للزَّجاج ٢/ ٢٦٨، وتفسير البغوي ٣/ ١٦٢-١٦٣.

(٢) انظر: المذكر والمؤنث للفرَّاء ٩٦، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ١٤٥، ٢١٩، والمذكر والمؤنث لابن التُّسْتَري ٨٧. قال ابن الأنباري في المذكر والمؤنث ١/ ٣٦٢: «قال الفرَّاء: العرب تجتري على تذكير المؤنث إذا لم تكن فيه الهاء»، ثم أنشد الشاهد، وهو في المذكر والمؤنث للفرَّاء ٨١، ومعاني القرآن للفرَّاء ١/ ١٢٧ مع الشاهد.

(٣) (أن): كأنها في النسخ، (إذ)، والأولى ما أثبته.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٦٩، وابن الجوزي ٣/ ٧٦. وذكر ابن الأنباري الشاهد في المذكر والمؤنث ١/ ٣٦٦، ونسبه إلى الأعشى وليس في ديوانه.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) الشاهد لعامر بن جوين الطائي، شاعر جاهلي، في الكتاب ٢/ ٤٦، ومجاز القرآن ٢/ ٦٧، والكامل للمُبرِّد ٢/ ٣٧٩، ٣/ ٩١، والأصول ٢/ ٤١٣، واللسان (أرض) ١/ ٦١، (بقل) ١/ ٣٢٨، (ودق) ٨/ ٤٨٠٠، وبلا نسبة في معاني القرآن للأخفش ١/ ٥٥، ٢/ ٣٠٠، والحجة لأبي علي ٤/ ٢٣٨، والمحتسب ٢/ ١١٢، والخصائص ٢/ ٤١١، والمخصص ١٦/ ٨٠، وأمالي ابن الشجري ١/ ٢٤٢، والمقرب ١/ ٣٠٣، وصدره:

فَلَا مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَها

المزن: السحاب، والودق: المطر، وأبقلت: أخرجت البقل. والشاهد: حذف التاء من أبقلت للضرورة؛ ولأن الأرض مؤنث مجازي.

فذكــر أبقل إذ كانــت الأرض عارية من علامة التأنيــث ، وقيل : أراد هذا الطالع وهذا الذي أراه ربي[(١)] .

وقولــه تعالى : ﴿ هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ ﴾ ؛ أي من الكواكب[(٢)] والقمر ، فلمَّا توجَّهت الحجة على قومه[(٣)] قال : ﴿ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾ .

٧٩. قوله تعالى : ﴿ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ . قال أبو إسحاق : «أي جَعلْتُ قصدي بعبادتي وتوحيدي لله عز وجل»[(٤)] ، وباقي الآية مُفسَّر في ما تقدم[(٥)] .

٨٠. قولــه تعالى : ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ ﴾ قال ابن عبــاس : «خاصمه وجادله في آلهتهم وخوفوه بها»[(٦)] .

وقال أبو إســحاق : «ومحاجتهم إياه كانت –والله أعلم– في ما عبدوا مع الله جل وعز من الكواكب والشمس والقمر والأصنام فقال : ﴿ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ ﴾ ؛ أي في توحيد الله عز وجــل ﴿ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ ﴾ ؛ [أي][(٧)] بيَّن لي ما به اهتديت»[(٨)] ، وهذا الاســتفهام معناه الإنكار للمحاجة في الصرف عن الهداية ، والتشديد على

---

(١) انظــر : معاني القرآن للأخفش ٢/ ٢٨٠ ، والطــبري ٧/ ٢٥١ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٥٩ ، والدر المصون ٥/ ١٤ .

(٢) في (أ) : (الكوكب) .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٧/ ٢٥١ .

(٤) معاني القرآن ٢/ ٢٦٨ .

(٥) انظر : البسيط (النسخة الأزهرية) ١/ ٩٠ أ .

(٦) تنوير المقباس ٢/ ٣٥ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٧٠ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٧٦ .

(٧) لفظ : (أي) ساقط من (ش) .

(٨) معاني القرآن ٢/ ٢٦٨ .

النون لاجتماع النونين وإدغام أحدهما[١] في الآخر. وقرأ[٢] نافع مخففة النون حذف إحدى النونين تخفيفاً، والتضعيف يُكرَه فيُتوصَّل([٣] إلى إزالته تارة بالحذف[٤] نحو: علماء بنو فلانٍ، وتارة بالإبدال نحو: ديوانٍ[٥] وقيراطٍ[٦] والمحذوف الثانية؛ لأن الاستثقال يقع بها، ولأن الأولى دلالة الإعراب، وقول عمرو:

تَرَاهُ كَالثَّغَامِ يُعَلُّ مِسْكاً   يَسُوءُ الْفَالِيَاتِ إِذَا فَلَيْنِي[٧]

فالمحذوفة المصاحبة للياء، ولا يجوز أن يكون الأولى؛ لأن الفعل يبقى بلا فاعل.

---

(١) أي إدغام نون الرفع في نون الوقاية.

(٢) قرأ ابن عامر ونافع: (أتحاجوني) بتخفيف النون، وشدَّدها الباقون. انظر: السبعة ٢٦١، والمبسوط ١٧١، والتذكرة ٢/ ٤٠٣، والتيسير ١٠٤، والنشر ٢/ ٢٥٩.

(٣) في (ش): (فتوصل).

(٤) في (ش): (وبالحذف)، وهو تحريف.

(٥) ديوان (بالكسر): مجتمع الصحف والدفتر الذي يكتب فيه، وأصله دوَّان بتشديد الواو عوض من إحدى الواوين ياء؛ لأنه يجمع على دواوين. انظر: اللسان من دون ٣/ ١٤٦١.

(٦) القيراط: وحدة وزن معروفة، وأصله قرط بتشديد الراء، أُبدل من إحدى حرفي تضعيفه ياء؛ لأن جمعه قراريط. انظر: اللسان (قرط) ٦/ ٣٥٩١.

(٧) ديوان عمرو بن معد يكرب ١٨٠، والكتاب ٣/ ٥٢٠، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٩٠، ومجاز القرآن ١/ ٣٥٢، والصحاح ٦/ ٢٤٥٧، واللسان (فلا) ٦/ ٣٤٧٠، وبلا نسبة في معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٣٥، والجمهرة ١/ ٤٥٩، والحجة لابن خالويه ١٤٣، والمنصف ٢/ ٣٣٧، والمغني ٢/ ٦٢١.
الثغام: نبات أبيض، ويعل: يطيب، والفاليات من الفلي، وهو إخراج القمل. والشاهد: حذف النون من فلينني.

وقد جاء حذف هذه النون في كلامهم، قال[١] :

أَبِالْمَوتِ[٢] الَّذِي لا بُدَّ أَنِّيَ مُلاقٍ لا أَبَاكِ تُخَوِّفِينِي[٣]

وقوله تعالى: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾ قال ابن جريج: «خوفوه آلهتهم أن يصيبه منها خبل فقال: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾»[٤]، وقال أبو إسحاق: «أي هذه الأشياء التي تعبدونها[٥] لا تضر[٦] ولا تنفع ولا أخافها ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا﴾؛ أي إلَّا أن يشاء أن يعذبني، وموضع (أن) نصب؛ أي لا أخاف إلَّا مشيئة الله»[٧]، والتقدير: لكن أخاف مشيئة ربي يعذبني[٨] و(إلَّا) هاهنا بمعنى لكن، والاستثناء[٩] منقطع، وهو كما تقول: «لا أخاف من السلطان شيئاً إلَّا أن يظلمني غيره».

---

(١) الشاهد لأبي حَيَّة النميري الهَيْثم بن الربيع، شاعر أموي عباسي، في مجاز القرآن ١/ ٣٥٢، ومعاني القرآن للأخفش ١/ ٢٣٥، والصحاح ٦/ ٢٤٥٧، واللسان (خعل) ٢/ ١٢٠٧، (أبى) ١/ ١٨، (فلا) ٦/ ٣٤٧٠، وبلا نسبة في المقتضب ٤/ ٣٧٥، والكامل للمُبرِّد ٢/ ١٤٢، ٣/ ٢١٨، والأصول ١/ ٣٩٠، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٩٧، واللامات للزَّجَّاجي ١٠٣، والخصائص ٢/ ١٤٢، ٣/ ٢١٨، والمنصف ٢/ ٣٣٧، وهو في أمالي ابن الشجري ٢/ ١٢٨ للأعشى، وليس في ديوانه.
والشاهد: حذف النون من تخوفينني.

(٢) جاء في هامش (أ) تصحيح: (أبا الموت) إلى (أبي الموت).

(٣) ما سبق قول أبي علي الفارسي في الحجة ٣/ ٣٣٣ـ٣٣٥ بتصرف. انظر: معاني القراءات ١/ ٣٦٧، وإعراب القراءات ١/ ١٦٢، والحجة لابن زنجلة ٢٥٧، والكشف ١/ ٤٣٦.

(٤) أخرجه الطبري ٧/ ٢٥٣ بسند جيد، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٤٩.

(٥) في (أ): (يعبدونها).

(٦) في (ش): (لا يضر ولا ينفع).

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٦٨، ٢٦٩، وانظر: بدائع التفسير ٢/ ١٥٢ـ١٥٦.

(٨) في (ش): (تعذبني).

(٩) انظر: إعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٦١، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٥٣، وابن عطية ٥/ ٢٦٦، والتبيان ٢٤٤، والفريد ٢/ ١٨٠، والدر المصون ٥/ ١٩.

وقال ابن عباس[١] : «يريد : أن المشيئة والأسقام والأمراض إليه» ، وهذا يدل على أنهم قالوا له : أما تخاف أن تمسَّك آلهتنا بسوءٍ .

٨١. قوله تعالى : ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ﴾ معناه الإنكار للخوف ، وهو سؤال تعجيز عن تصحيح الخوف بالبرهان .

وقوله تعالى : ﴿مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾ يعني : الأصنام[٢] ، ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد : ما ليس لكم فيه حجة»[٣] ، والسلطان قوة وحجة يتمكن بها ويتسلط ، وقد سبق القول فيه[٤] .

وقوله تعالى : ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ أي أحق بأن يأمن العذاب الموحِّد أم المشرك[٥] .

٨٢. قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال ابن عباس : «هذا من قول إبراهيم لقومه»[٦] ، يريد : أن هذا من تمام كلام إبراهيم في المحاجة ، كما يسأل العالم ويجيب نفسه .

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٧/ ٢٥٣ ، وابن عطية ٥/ ٢٦٦ .

(٣) تنوير المقباس ٢/ ٣٦ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٧١ ، وابن كثير في تفسيره ٢/ ١٧١ ، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٣٢ بسند جيد عن ابن عباس ، قال : «كل سلطان في القرآن حجة» ، وقال ابن أبي حاتم بعده : «وروي عن أبي مالك ، ومحمد بن كعب ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، والسُّدِّي مثله» . اهـ

(٤) انظر : البسيط (النسخة الأزهرية) ١/ ٢١٢ أ ، و(نسخة تشستربتي) ٢/ ٣٢ أ ، ٣٣ ب .

(٥) هذا قول الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٢٦٩ ، والنحاس ٢/ ٤٥٣ ، وانظر : بدائع التفسير ٢/ ١٥٣ .

(٦) ذكره القرطبي ٧/ ٣٠ ، وهو اختيار الرازي ١٣/ ٦٠ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ١٧١ ، وحكاه النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٥٣ عن مجاهد .

وقال ابن زيد(١) : «هذا من قول(٢) قوم إبراهيم لإبراهيم أجابوه لَمَّا سألهم : أيُّ الفريقين أحق بالأمن ؟ بما فيه حجة عليهم» .

وقال ابن جريج : «هذا من قول الله تعالى على جهة فصل القضاء بذلك بين إبراهيم ومَن خالفه»(٣) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ : قال ابن عباس : «لم يخلطوا إيمانهم بشرك»(٤) .

وقال سعيد بن جبير : «﴿بِظُلْمٍ﴾ ؛ أي بكفر وشرك»(٥) .

وروى علقمة عن ابن مسعود : «قال لَمَّا نزلت هذه الآية شقَّ ذلك على المسلمين ، فقالوا : يا رسول الله : وأينا لا يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله ﷺ :

---

(١) أخرجه الطبري ٧/ ٢٥٥ بسند جيد عن ابن جريج ، وذكره ابن عطية ٥/ ٢٦٧ ، والقرطبي ٧/ ٣٠ ، ولم أقف عليه عند ابن زيد .

(٢) لعله يريد المشركين منهم ، قال الطبري ٧/ ٢٥٥ : «لو كان من قول قوم إبراهيم الذين كانوا يعبدون الأوثان ويشركونها في عبادة الله لكانوا قد أقروا بالتوحيد واتبعوا إبراهيم على ما كانوا يخالفونه فيه من التوحيد» . اهـ

(٣) أخرجه الطبري ٧/ ٢٥٤ بسند جيد عن ابن زيد وابن إسحاق ، وذكره ابن عطية ٥/ ٢٦٧ ، ولم أقف عليه عن ابن جريج ، وأخشى أن يكون الناسخ أو الواحدي وَهِمَ في نسبة الأقوال ، فالقول الأول مشهور عن ابن جريج ، والثاني عن ابن زيد ، والظاهر أن الآية خبر من الله ، وهو اختيار الطبري ٧/ ٢٥٥ ، وابن عطية ٥/ ٢٦٨ ، وابن كثير ٢/ ١٧٠ ، قال ابن عطية : «هذا هو البين الفصيح الذي يرتبط به معنى الآية ويحسِّن رصفها» . اهـ ، وقال ابن القيم ، كما في بدائع التفسير ٢/ ١٥٣ : «في هذه الآية حَكَم الله –سبحانه– بين الفريقين بالحكم العدل الذي لا حكم أصلح منه» . اهـ

(٤) أخرجه الطبري ٧/ ٢٥٧ من طرق جيدة . انظر : الدر المنثور ٣/ ٤٩ ، وانظر : أيضاً معنى الظلم في الزاهر ١/ ١١٦ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٤/ ١٣٣٣ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٥٠ .

«ليس ذلك، إنما هو [الشرك][(١)]، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣]»[(٢)].

وقال ابن جريج: «لم يختلفوا في أن الظلم هاهنا الشرك»[(٣)]، وهذه الآية دليل أن مَن مات لا يشرك بالله وجب أن يكون عاقبته الأمن من النار[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ﴾ قال ابن عباس: «يريد: من العذاب، ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ يريد: أُرشِدوا إلى دين الله»[(٥)].

٨٣. قوله تعالى: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ﴾ الآية. أشار إلى ما جرى بينه وبين قومه من المجادلة وإلزامه إياهم الحجة حتى أفحمهم بها. قال الفرَّاء: «وذلك أنهم قالوا له: أما تخاف أن تخبلك آلهتنا لسبِّك إياها؟ فقال لهم: [أفلا][(٦)] تخافون أنتم ذلك منها إذ سويتم بين الصغير والكبير أن يغضب الكبير إذا سويتم به الصغير؟ ثم قال لهم: أمَن يعبد إلهاً واحداً

(١) في (ش): (شرك).

(٢) أخرجه البخاري في تفسير سورة لقمان، ومسلم ٤٧٧٦، ١٩٧، ١٩٨، مع بعض الاختلاف، وانظر: شرحه في شرح مسلم للنووي ٢/ ١٨٧، ١٨٨، والفتاوى لشيخ الإسلام ٧/ ٧٩، ٨٠، وفتح الباري ١/ ٨٧، ٨٩.

(٣) لم أقف عليه، وهو قول مشهور عن عامة السلف. قال ابن أبي حاتم ٤/ ١٣٣٣: «روي عن أبي بكر الصديق، وعمر، وسلمان، وحذيفة، وأبي بن كعب، وابن عمر، وعمرو بن شرحبيل، وابن عباس، وأبي عبدالرحمن السلمي، ومجاهد، والنخعي، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، والسُّدِّي أنهم قالوا: «الظلم هاهنا الشرك». اهـ، وأخرجه الطبري ٧/ ٢٥٧/ ٢٥٨ من طرق عن هؤلاء وغيرهم، ورجَّحه الطبري. انظر: الفتاوى لشيخ الإسلام ٧/ ٨٢، ٩٧، وبدائع التفسير ٢/ ١٥٣-١٥٧، والبحر ٤/ ١٧١.

(٤) لعل المراد الأمن من الخلود في النار. انظر: تفسير الطبري ٧/ ٢٥٩، والرازي ١٣/ ٦٠، والخازن ٢/ ١٥٤.

(٥) تنوير المقباس ٢/ ٣٧، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٧٣.

(٦) في (ش): (ألا).

أحق أن يَأمَنَ أمَّن يعبد آلهة شتَّى ؟ فقالوا : مَن يعبد إلهاً واحداً ، فقضوا على أنفسهم ، فذلك» .

قولـــه تعـــالى : ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ قـــال ابن عباس : «يريد : ألهمناها إبراهيم [وأرشدناه][1] إليها»[2] .

وقوله تعالى : ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ قال الحســين بن الفضل : «يعني : مراتبهم بالعلم والفهم والفضيلة والعقل»[3] .

٨٤. قوله تعالى : ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ قال عطاء عن ابن عباس[4] : «يريد : من ذرية إبراهيم» .

وقال الفرَّاء[5] وغيره[6] : «الهاء في ﴿ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ لنوح» .

قال الزَّجَّاج : «كلا القولين جائز ؛ لأن ذِكْر هما جميعاً قد جرى»[7] .

---

(١) في (ش) : (وأرشده) .

(٢) تنوير المقباس ٢/ ٣٧ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٧٥ .

(٣) لم أقف عليه ، وما ذكره هو اختيار البغوي في تفسيره ٣/ ١٦٤ ، والقرطبي ٧/ ٣٠ ، وانظر : زاد المسير ٣/ ٧٨ ، وتفسير الرازي ١٣/ ٦٢ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٤/ ١٣٣٦ بسند جيد ، وذكره القرطبي ٧/ ٣٠ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ١٧٣ ، والسيوطي في الدر ٣/ ٥٢ ، وهو في تنوير المقباس ٢/ ٣٨ ، وقول عطاء كما في الوسيط ١/ ٧٥ ، وزاد المسير ٣/ ٧٩ ، وذكره السمرقندي ١/ ٤٩٩ عن الضحاك .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٤٢ .

(٦) وهو قول مقاتل في تفسيره ١/ ٥٧٣ ، والكلبي ، وذكره السمرقندي ١/ ٤٩٩ ، وابن الجوزي ٣/ ٧٩ عن أبي صالح ، عن ابن عباس .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٦٩ .

قال العلماء بالنسب ؛ «الأَولى[١] أن تعود الكناية إلى نوح ؛ لأنه ذُكِر في جملة مَن عُدَّ من[٢] هذه الذرية يونس ولوط ، ولا شك أنهما لم يكونا من ذرية إبراهيم»[٣] .

٨٦. وقوله تعالى : ﴿وَٱلْيَسَعَ﴾ . وقرأ حمزة[٤] والكسائي : (والليسع) بتشديد اللام ، والمعنى واحد في أنه اسم لنبي معروف ، واللام الواحدة أشهر في اسمه .

قال الزَّجَّاج : «يقال فيه : اليسع والليسع بتشديد اللام وتخفيفه»[٥] .

قال الفرَّاء[٦] : «والتشديد أشبه بأسماء العجم من الذين يقولون : اليسع ولا تكاد العرب تُدخل الألف واللام في ما لا يجري مثل : يزيد ويعمر ، فإن أُدْخِلَت أُدخِلت للمدح بتفخيم الاسم على طريق النادر ، وأنشد :

وَجَدْنَا الوليدَ بنَ اليزيدِ مباركاً شديداً بأعباءِ الخِلافةِ كاهِلُهْ»[٧] .

---

(١) في (أ) : (الألى) ، وهو تحريف .

(٢) في (ش) : (في هذه) . ويونس ولوط -عليهما السلام- ذكرا في الآية ٨٦ من سورة الأنعام .

(٣) هذا اختيار الجمهور ، ومنهم الطبري ٧/ ٢٦٠ ، والبغوي ٣/ ١٦٥ ، وابن عطية ٥/ ٢٦٩ . قال ابن كثير في تفسيره ٢/ ١٧٣ : «عود الضمير إلى نوح ؛ لأنه أقرب مذكور ظاهر لا إشكال فيه ، وعوده إلى إبراهيم – لأنه الذي سيق الكلام من أجله – حسن ، لكن يشكل عليه لوط فإنه ليس من ذرية إبراهيم ، اللهم إلا أن يقال : إنه داخل في الذرية تغليباً» . اهـ ملخصاً ، وانظر : ابن الجوزي ٣/ ٧٩ ، والرازي ١٣/ ٦٤ ، والخازن ٢/ ١٥٥ .

(٤) قرأ حمزة والكسائي (والليسع) بلامين : الأولى ساكنة ، والثانية مفتوحة مشددة وسكون الياء ، وقرأ الباقون بلام واحدة ساكنة وفتح الياء . انظر : السبعة ٢٦٢ ، والمبسوط ١٧١ ، والتذكرة ٢/ ٤٠٤ ، والتيسير ١٠٤ ، والنشر ٢/ ٢٦٠ .

(٥) معاني القرآن ٢/ ٢٦٩ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٤٢ .

(٧) البيت لابن ميادة الرماح بن أبرد ، وقد سبق الكلام عليه .

قال أبو علي : «الأسماء الأعلام لا تدخل[١] عليها الألف واللام ، وذلك أن تعليقها على مَن تُعلَّق عليه وتخصيصها يغني عن الألف واللام ، فإنهما يدخلان للتعريف ولا حاجة إلى التعريف هاهنا ، فأمّا العباس والحارث[٢] والقاسم والحسن فإنما دخلت الألف واللام فيها على تقدير أنها صفات جارية على موصوفين ، فإن لم يقدَّر[٣] هذا التقدير لم يلحقوه الألف واللام ، وقالوا : حارث وعباس وقاسم على المذهبين ، جاء [ذلك][٤] في كلامهم ، وقد جمع الأعشى الأمرين في بيت واحد فقال[٥] :

أَتَانِي وَعِيدُ الحُوصِ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ
فَيَا عَبْدَ عَمْرٍو لَوْ نَهَيْتَ الأَحَاوِصَا

فجمع الأحوص على ضربين ، حيث جعله نعتاً جمعه على فُعْل نحو : أحمرٍ وحُمْرٍ ، وحيث جعله [اسماً][٦] محضاً جمعه على أفاعَل نحو : الأفاكل[٧]

---

(١) في النسخ : (يدخل) بالياء والأَولى بالتاء كما في الحجة ٣/ ٣٣٨ .

(٢) في (ش) : (الحرث والقسم) .

(٣) في (ش) : (تقدر) .

(٤) لفظ : (ذلك) ساقط من (أ) .

(٥) ديوانه ٩٩ ، وإصلاح المنطق ٤٠١ ، والاشتقاق ٢٩٦ ، وتهذيب اللغة ١/ ٧٠٥ ، والمبهج ٦٥ ، والصحاح ٣/ ١٠٣٤ ، والمخصص ١/ ١٠٢ ، واللسان (حوص) ٢/ ١٠٥١ . الحوص : هم قوم علقمة بن علاثة بن الأحوص ، والأحاوص : أولاده . وعبد عمرو بن الأحوص : زعيمهم . انظر : تهذيب إصلاح المنطق ٢/ ٣١٣ . والشاهد : جمع الأحوص على الحوص بالنظر إلى أنه في الأصل وصف ، وعلى الأحاوص بالنظر إلى الاسمية .

(٦) لفظ : (اسما) ساقط من (أ) .

(٧) الأفاكِل : أولاد أفكل أبو بطن من العرب ، والأفْكَل عمرو بن جُعَيد الدَّيل سيد ربيعة في الجاهلية ، ولَقَب للشاعر الجاهلي الأفوه الأوْدِيِّ لِرِعْدة كانت فيه .
انظر : الاشتقاق ٣٢٥ ، واللسان (فكل) ٦/ ٣٤٥٣ .

والأرامل(١)، وكذلك في الحارث والعباس الوجهان جميعاً، فأمَّا قول ابن مقبل(٢):

والتَّيمُ أَلأَمُ مَنْ يَمْشي وأَلأَمُهُمْ
ذُهْلُ بنُ تَيْمٍ بَنُو السُّودِ المَدانِيسِ(٣)

فإنه يحتمل أمرين: يجوز أن يكون بمنزلة العباس، وذلك أن التيم مصدر، والمصادر قد أجريت مجرى أسماء الفاعلين، ألا ترى أنه قد وُصِف بها كما وصف بأسماء الفاعلين نحو قولهم: رجل عدل، بمنزلة عادل، وجمع جمعَها، نحو: نور ونوار، وكما يقولون: مانع ومَنَّاع، وقالوا أيضاً: سيل وسوائل، كما يقال في جمع سائلة، فلمَّا كان مثلها أجراه مجراها، وعلى هذا قالوا: الفضل في اسم رجل، كأنهم جعلوه الشيء الذي هو خلاف النقص. والآخر: أن يكون تيمي وتيم كزنجي وزنج ويهودي ويهودٍ، وفي التنزيل: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ [البقرة:١١٣]،

---

(١) الأرامل: المساكين. انظر: اللسان (رمل) ٣/ ١٧٣٥. وجاء في (ش): (الأزامل).

(٢) تميم بن أُبيِّ بن مُقْبل العجلاني، شاعر جاهلي مخضرم، أدرك الإسلام فأسلم وعُمِّر طويلًا، تميز شعره بالمفردات الغريبة والأوصاف الجاهلية، وتوفي سنة ٢٥هـ، وله نحو ١٢٠ سنة. انظر: طبقات فحول الشعراء ١/ ١٤٣، والشعر والشعراء ٢٩٧، والإصابة ١/ ١٨٧، والأعلام ٢/ ٨٧، ومعجم شعراء لسان العرب ٣٤١.

(٣) الشاهد لجرير في ديوانه ٢٥٢، وكتاب الشعر ١/ ٣٨، والمخصص ١٦/ ١٠٢، واللسان (ضغبس) ٥/ ٢٥٩٠. المدانيس: جمع مدناس، وهو كثير الدنس؛ أي الوسخ في الثوب والعِرض. والشاهد: والتيم، وابن تيم: فألحق مرة ولم يلحق أخرى، وفي الديوان: «أوْلاد ذُهْلٍ بَنُو السود»، وعليه فلا شاهد فيه، ونسبتُه إلى ابن مقبل لعلها سبقَةُ نظر في النقل من الحجة للفارسي ٣/ ٣٤١، حيث ذُكر فيها شاهد لابن مقبل، ثم آخر لجرير، فذكَر الواحدي ابن مقبل، ثم انتقل نظره إلى بيت جرير، والله أعلم.

فاليهــود إنما هو جمع يهودي ولو لم يكن جمعــًا لم تدخل(١) اللام ؛ لأن يهود جرت عندهم اسماً للقبيلة ، وعلى هذا ينشد(٢) :

فَرَّتْ يَهُـودُ وأسْلَـمَتْ جيرانَـهـا صَمِّـي لِمَا فَعَـلتْ يَهُـودُ صَـمَامِ

وفي حديث القسامة(٣) : «تقسم(٤) يهود»(٥) .

ومن الصفات الغالبة التي تجري مجرى(٦) الحارث والقاسم قولهم : النابغة ، فالنابغة وصف جــرى مجرى الأعلام ، وغلب هــذا الوصف حتى جرى مجرى العلم وســدَّ مسدَّه فصار يعرف به كما يعرف بالعلم مثل الحارث ونحوه ، قد نزل منزلة الاسم العلم لمَّا غلب هذا الوصف على المسمى به ، فجرى الوصف الغالب

---

(١) في (ش) : (يدخل) .

(٢) الشــاهد للأســود بن يعفر النهشــلي شــاعر جاهلي ، في ديوانه ٦١ ، ومجالس ثعلب ٥٢١ ، وكتاب الشعر ١/ ٤ ، والعسكريات ١٤٤ ، والمستقصى للزمخشري ٢/ ١٤٤ ، واللسان (صمم) ٤/ ٢٥٠٢ .
وصمى : زيدي ، وصمام : اسم للداهية الشــديدة ، وهو مثل يضرب للداهية تقع فتستفظع . انظر : جمهرة الأمثال ١/ ٤٧٥ ، ومجمع الأمثال ١/ ٤٩٨ .

(٣) القســامة : مصدر أقْسَــمَ ، بمعنى حَلَف ، وهي الأيمان المكررة في دعوى القتل . انظر : المغني لابن قدامة ١٢/ ١٨٨ .

(٤) في (ش) : (يقسم) بالياء .

(٥) حديث القســامة متفق عليه ، أخرجه البخاري ٦٨٩٨ ، كتاب : الديات ، باب : القســامة ، ومسلم ١٦٦٩ ، ١٦٧٠ بألفاظ مختلفة ، وملخص الحديث : «أن عبدالله بن سهل الأنصاري وُجد مقتولاً في خيبر فاتهموا اليهود في قتله ، فقال رســول الله ﷺ : «أتحلفون وتستحقون دم صاحبكم» قالوا : لا ، قال : «فتحلف لكم يهود» ، قالوا : ليســوا بمسلمين ، فكره النبي ﷺ أن يبطل دمه فعقله من عنده» .
والشاهد في الحديث والبيت لفظ : يهود ، حيث لم يصرف على أنه علم للقبيلة ، وانظر : شرح الحديث في شرح مسلم للنووي ١١/ ١٤٣ ، وفتح الباري ١٢/ ٢٣١ .

(٦) في (أ) تكرار لفظ : (مجرى) .

مجرى العلم، ولمَّا سدَّ مسدَّه وكفى منه أجري مجراه في طرح الألف واللام منه كما قال:

ونابِغةُ الجَعْدِيِّ بالرَّمْلِ بَيتُهُ(٧)

فأمَّا لام اليسع فهي زائدة»(٨)، وقد ذكرنا زيادة هذه اللام في الذي والتي وبابهما، وفي الآن عند قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾(٩) [البقرة: ٧١]. ومما جاءت اللام فيه زائدة قولهم: اللات والعزَّى، وسنذكر(١٠) ذلك إذا انتهينا إليه إن شاء الله. وقولهم: الخَمْسَةَ العَشَرَ درهماً، حكاه الأخفش(١١)، ألا ترى أنها اسم واحد، ولا يجوز أن يتعرف اسم واحد تعريفين، وإذا كان كذلك علمْت

(٧) الشاهد لِمِسْكِين الدارمي، شاعر أموي، في ديوانه ٤٩، والكتاب ٣/ ٢٤٤، والمقتضب ٣/ ٣٧٣، وكتاب الشعر ٢/ ٥٣٢، والتكملة ٢٥٥، وأمالي ابن الشجري ٢/ ٣٦٠، واللسان (وسط) ٧/ ٤٨٣٤، وعجزه: عليهِ صَفِيحٌ مِنْ رُخامٍ مرصَّع. والشاهد: ونابغة؛ حيث حذف أل؛ لأنها كانت للمح الأصل، وهو الوصف بالنبوغ، فلما نظر إلى الأصل نزل منزلة الأعلام وغلبت عليه الاسمية فلم تدخل عليه أل.

(٨) الحجة للفارسي ٣/ ٣٣٧-٣٤٥ بتصرف واختصار. انظر: معاني القراءات ١/ ٣٦٨، وإعراب القراءات ١/ ١٦٣، والحجة لابن خالويه ١٤٤، والحجة لابن زنجلة ٢٥٩، والكشف ١/ ٤٣٨.

(٩) (لفظ قالوا): ساقط من (أ).

(١٠) ورد ذلك في سورة النجم، الآية ١٩، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾. قال الواحدي في البسيط: «اللام فيهما زائدة، وهو قول الأخفش وابن جني». اهـ

(١١) حكاه الفارسي في الحجة ٣/ ٣٤٨، ولم أقف عليه في معاني القرآن، وجزم الفارسي في الحلبيات ٢٨٩، ٢٩٠، بزيادة اللام في «اللات والعزى»؛ لأنها علم، وكذلك اللام في الخمسة العشر درهماً؛ لأنهما اسمان جعلا اسما واحداً، وانظر: الأصول ٢/ ٣١٢، والتكملة ٢٦٢، وسر صناعة الإعراب ١/ ٣٦٥.

زيادة اللام في الخمســة العشر درهماً ، ومما جاءت اللام فيه زائدة أيضاً ما أنشــده الفرَّاء[١] :

وجدْنَا الوليدَ بنَ اليزيدِ

وقد ذكرناه آنفاً ، فأمَّا (الليسع) فإنه ليسع أدخلت عليه الألف واللام ، وهما فيه كهما في اليسَع ، ألا ترى أنه لم يجئ في الأسماء الأعجمية في حال التعريف نحو : إســماعيل[٢] وإبراهيم شيء على هذا النحو ، وإذا كان كذلك كان الليسع بمنزلة اليسَع في أنه خارج عما كانت عليه الأسماء الأعجمية المعربة[٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَلُوطًا﴾ قال ابن عباس : «وهو ابن أخيه»[٤] يعني : ابن أخي إبراهيم صيَّره في هذا الموضوع ابنه .

وقوله تعالى : ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يعني : وكل الأنبياء ، على هذا دل كلام ابن عباس ، فقال : «يريد : المرســلين»[٥] ، وقيل : وكلاً من المذكورين هاهنا فضَّلنا على عالمي زمانهم[٦] .

٨٧. قولــه تعــالى : ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ﴾ قــال أبو إســحاق : «أي هدينا هــؤلاء الذين ذكرناهــم وهدينا بعــض آبائهم وذرياتهم

---

(١) معاني القرآن ١/ ٣٤٢ .

(٢) في (ش) : نحو (إبراهيم وإسماعيل) .

(٣) ما تقدَّم قول الفارسي في الحجة ٣/ ٣٤٨_٤٥٠ .

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره ٧/ ٣١ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ١٧٣ .

(٥) تنوير المقباس ٢/ ٣٨ ، وفيه قال : «كل هؤلاء الأنبياء فضلنا بالنبوة والإسلام» . اهـ

(٦) انظر : تفسير البغوي ٣/ ١٦٥ ، وابن الجوزي ٣/ ٨٠ .

وإخوانهم»(١) ، فَمِـنْ هاهنا للتبعيض(٢) ، وأعاد ذكـر الهداية في(٣) قولـه : ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ بعـد ما عطـف على الهدايـة في قوله : ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ﴾ ؛ لأنـه إذا طال الكلام حسـن أن يذكر المعنى الذي عليه الاعتماد(٤) .

٨٨. قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾ قال ابن عبـاس : «يريد : ذلك دين الله الـذي هم عليه ، ﴿يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ يريد : يرشـد إليه من يشـاء ، ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ يريد : من أوليائه ، ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟﴾ يريد : ولو(٥) عبدوا غـيري ، ﴿لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ ولكني عصمتك وعصمتهم ، واخترتك واخترتهم»(٦)(٧) .

٨٩. قوله عز وجل : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قال ابن عباس : «يعني : الكتـب التي أنزلها الله عليهـم التوراة والإنجيـل والزبور وصحف إبراهيم وموسى وكتباً أنزلها الله -تعالى- كثيرة ، وهو أعلم بها» .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٦٩ .

(٢) هذا قـول الجمهور ، وهو الظاهر ؛ لأن آبـاء بعضهم كانوا مشركين . وهو قول البغوي في تفسـيره ٣/ ١٦٥ ، وابن عطية ٥/ ٢٧٣ ، وابن الجوزي ٣/ ٨٠ ، والقرطبي ٧/ ٣٤ ، وانظر : الفريد ٢/ ١٨٦ ، والدر المصون ٥/ ٣٠ .

(٣) في (أ) : (وأعاد ذكر الهداية وقوله . . .) .

(٤) قال السمين في الدر ٥/ ٣٠ : «كرر لفظ الهداية توكيداً ، ولأن الهداية أصل كل خير . . .» .

(٥) لفظ (الواو) : ساقط من (أ) .

(٦) في (أ) : (واخترهم) ، وهو تحريف .

(٧) في تنويـر المقباس ٢/ ٣٩ نحوه ، وذكر الواحدي في الوسـيط ١/ ٧٧ ، وابن الجوزي في زاد المسـير ٣/ ٨٠ عن ابن عباس نحوه .

وقوله تعالى : ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ : قال : «يعني : العلم والفقه»[١] ، ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا﴾ ؛ أي بآياتنا ؛ قاله الفرَّاء[٢] والزَّجَّاج[٣] .

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ : يعني أهل مكة في قول ابن عباس[٤] وغيره[٥] ، وقال عطاء عنه : «يريد : الذين كذَّبوك»[٦] .

﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾ قال عبدالعزيز بن يحيى : «يعني : أرصدنا لها قوماً وفَّقناهم لها ، وفي هذا دليل على أنهم خلقوا للإيمان بها مخصوصين دون مَن كفروا فهم آمنوا بتوفيق الله ؛ لأنه قال : ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾ ولم يقل : فقد قام بها ، فأضاف ذلك إلى نفسه لا إليهم»[٧] ، واختلفوا في المعنى بقوله : (قوماً) ، فقال ابن عباس[٨] ، والضحاك ، والسُّدِّي ، وابن جريج[٩] ، والكلبي[١٠] : «يعني : أهل المدينة الأنصار» ، وهو اختيار الفرَّاء[١١] .

---

(١) ذكر نحوه في تنوير المقباس ٢/ ٣٩ ، وانظر : تفسير البغوي ٣/ ١٦٦ ، وزاد المسير ٣/ ٨١ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٤٢ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧٠ .
لم يصرح بأن المراد الآيات ، ولكن يظهر من كلامه ذلك ، فقد قال : «أي ٠٠ قد وكلنا بالإيمان بها» .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ٢٦٤ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٣٩ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٣١٢ .

(٥) منهم مقاتل في تفسيره ١/ ٥٧٤ ، الفرَّاء في معاني القرآن ١/ ٣٤٢ . وأخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ٢٦٤ عن قتادة والضحاك وابن جريج ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٣٩ عن سعيد بن المسيب ، وذكره النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٥٥ عن مجاهد ، واقتصر على هذا القول السمرقندي في تفسيره ١/ ٤٩٩ ، والبغوي ٣/ ١٦٦ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) لم أقف عليه ، وذكر نحوه الرازي ١٣/ ٦٨ بلا نسبة .

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم ٤/ ١٣٣٩ بسند جيد .

(٩) أخرجه الطبري ٧/ ٢٦٤ من طرق جيدة عن ابن عباس والسُّدِّي وابن جريج ، وبسند ضعيف عن الضحاك . انظر : الدر المنثور ٣/ ٥٢ .

(١٠) تنوير المقباس ٢/ ٣٩ .

(١١) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٤٢ .

وقال عطاء عن ابـن عباس : «﴿وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾ : اختصصنا بها المهاجرين والأنصار»[١] .

[وقال الحسن[٢] وقتادة[٣] : «هم الأنبياء الثمانية عشر الذين تقدَّم ذكرهم»][٤] ، وهذا القول اختيار أبي إسحاق قال : «يعني بذلك : الأنبياء الذي ذكروا ، آمنوا بما أتى به النبي في وقت مبعثهم ؛ لقوله تعالى بعد هذه الآية : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام :٩٠] ؛ أي اصبر كما صبروا ، فإن قومهم قد كذبوهم فصبروا على ما كُذبوا وأوذوا فاقتدِ بهم»[٥] .

وقال أبو رجاء : «يعني الملائكة»[٦] ، وهذا كالمستبعد ؛ لأن اسم القوم قَلَّ ما يقع على غير بني آدم[٧] .

وقال مجاهد : «هم الفُرْس»[٨] .

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٨١ ، والقرطبي ٧/ ٣٥ من دون نسبة .

(٢) ذكره الماوردي في تفسيره ٢/ ١٤٠ ، وابن عطية ٥/ ٢٧٤ ، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٣٩ عن الحسن ، قال : «الأنبياء والصالحون» .

(٣) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢١٣ ، والطبري ٧/ ٢٦٥ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٣٩ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٥٢ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧٠ ، وهذا أيضاً اختيار الطبري في تفسيره ٧/ ٢٦٦ ، والنحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٥٦ .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ٢٦٥ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٣٩ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٥٢ .

(٧) ونحو هذا قال الرازي ١٣/ ٦٨ ، وقال ابن القيم في بدائع التفسير ٢/ ١٥٨ : «هذا قول ضعيف جدّاً لا يدل عليه السياق وتأباه لفظة (قوماً) ، إذ الغالب في القرآن بل المطرد تخصيص القوم ببني آدم دون الملائكة» ، وانظر : اللسان (قوم) ١٢/ ٥٠٥ .

(٨) لم أقف عليه .

وقال الزهري : «هم العجم»[١] ، وقال أبو روق : «هم علماء أهل الكتاب الذين آمنوا»[٢] ، وقال ابن زيد : «كل مَن لم يكفر فهو منهم ملكاً كان أو نبياً ، ومن الصحابة كان أو من التابعين»[٣] .

قال أهل المعاني : «هذه الآية تتضمن البيان عن أن الله تعالى سيحُوط نبيه ﷺ ، وينصر دينه بهؤلاء المؤمنين الذين أرصدهم للإيمان به حتى يستعلي على كل مَن عاداه وناوأه ، ولا يضرُّه كفرُ هؤلاء ، وفيه تقريظ للمؤمنين ، وتقريع لهؤلاء الكافرين»[٤] .

٩٠. قولـه تعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ الآية . هذه الآية متصلة بالأولى على قول الحسن وقتادة والزَّجّاج ؛ لأنه في ذكر النبيين الذين تقدَّم ذكرهم ؛ إذ هم الموكلون بآيات الله ، وعلى قول الباقين رجع إلى ذكر النبيين[٥] ، وفي قوله ﴿هَدَى ٱللَّهُ﴾ دليل على أنهم مخصوصون بالهدى ؛

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) ذكره الرازي ١٣/ ٦٨ ، وفي تفسير مجاهد ١/ ٢١٩ قال : «النبيين والصالحين» ، وحكى البغوي في تفسيره ٣/ ١٦٦ عن مجاهد ، قال : «يعني : الأنصار وأهل المدينة» ، وذكره ابن القيم في بدائع التفسير ٢/ ١٦١ عن ابن عباس ومجاهد ، وقال الإمام أحمد كما في مروياته في التفسير ٢/ ١٢٠ : «هم أهل المدينة» . اهـ

(٣) ذكره الرازي ١٣/ ٦٨ ، والخازن ٢/ ١٥٦ ، والظاهر أن الآية عامة فيمَن كفر ومَن آمن إلى يوم القيامة ، ويحمل ما ورد على التمثيل ، وأول مَن يدخل كفار مكة ومَن آمن من المهاجرين والأنصار ، وهو اختيار ابن عطية ٥/ ٢٧٤ ، وابن كثير ٢/ ١٧٤ . قال ابن القيم في بدائع التفسير ٢/ ١٥٨ـ١٦٢ : «الإشارة بقوله : (هؤلاء) إلى مَن كفر به من قومه أصلاً ومَن عداهم تبعاً ، فيدخل فيها كل مَن كفر بما جاء به من هذه الأُمَّة ، والقوم الموكلون بها هم الأنبياء أصلاً ، والمؤمنون بهم تبعاً فيدخل كل مَن قام بحفظها والذب عنها والدعوة إليها ، ولا ريب أن هذا للأنبياء أصلاً وللمؤمنين بهم تبعاً ، وأحق مَن دخل فيها من أتباع الرسول خلفاؤه في أُمَّته وورثته ، فهم الموكلون بها وهذا ينتظم في الأقوال التي قيلت في الآية» . اهـ

(٤) انظر : تفسير الرازي ١٣/ ٦٩ ، والخازن ٢/ ١٥٦ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٧/ ٢٦٦ .

لأنه لو هدى جميع المكلفين لم يكن لقوله : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ﴾ فائدة وتخصيص[(١)] .

وقوله تعالى : ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ قال الكلبي : «فبشرائعهم وبسنَّتهم اعمل»[(٢)] ، وذكرنا قول أبي إسحاق[(٣)] في هذا ، ومعنى الاقتداء في[(٤)] اللغة : طلب موافقة الثاني للأول في فعله .

قال الليث : «القدو[(٥)] أصل البناء الذي [ينشعب][(٦)] منه تصريف الاقتداء ويقال : قِدوة[(٧)] وقُدوة لما يُقتدى[(٨)] به»[(٩)] ، وروى اللحياني عن الكسائي[(١٠)] : «يقال : لي بك قُدْوة وقِدْوة وقِدَة»[(١١)] .

---

(١) ذكره الرازي ١٣/ ٧٠ عن الواحدي .

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٧٨ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٨١ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧٠ .

(٤) انظر : الجمهرة ٢/ ٦٧٧ ، والصحاح ٦/ ٢٤٥٩ ، ومجمل اللغة ٣/ ٧٤٦ ، ومقاييس اللغة ٥/ ٦٦ ، واللسان (قدا) ٦/ ٣٥٥٦ .

(٥) القدو : بفتح القاف ، وسكون الدال وبعدها واو .

(٦) في (ش) : (يتشعب) .

(٧) قدوة : بكسر القاف وضمها ، وسكون الدال .

(٨) في (ش) : (ولمَّا يقتدى به) ، وهو تحريف .

(٩) "تهذيب اللغة" ٢٨٩٣/ ٣ . تهذيب اللغة (قدا) ٣/ ٢٨٩٣ .

(١٠) ذكره الماوردي في تفسيره ٢/ ١٤٠ ، وابن عطية ٥/ ٢٧٤ ، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٣٩ عن الحسن ، قال : «الأنبياء والصالحون» .

(١١) جاء في (ش) : «يقال : لي بك قدوة وقدوة وقدوة» ، وهو تحريف ، والصواب : قدوة (بكسر القاف وضمها) ، وقدة (بكسر القاف وفتح الدال بعدها هاء) ، كما ورد في المصادر السابقة .

واختلف القرَّاء(١) في الهاء من قوله : (اقتده) ، فالأكثرون أثبتوها في الوصل والوقف ساكنة ، والوجه الإثبات في الوقف والحذف في الوصل ؛ لأن هذه الهاء في السكت بمنزلة همزة الوصل في الابتداء في أن الهاء للوقف كما أن همزة الوصل للابتداء بالساكن ، فكما لا تثبت(٢) الهمزة في الصلة فكذلك ينبغي أن لا تثبت(٣) الهاء ، إلَّا أن هؤلاء الذين أثبتوا راموا(٤) موافقة المصحف ، فإن الهاء ثابتة في الخط فكرهوا مخالفة الخط في حالتي الوقف والوصل فأثبتوا .

والاختيار عند النحويين(٥) الوقف على قوله (اقتده) لتمام الكلام هاهنا ، ولأن(٦) الهاء ثابتة للاستراحة ، لأنك إن أدرجت بالهاء(٧) خالفت القياس المستمر في حذف حرف الاستراحة ، وإن أسقطت الهاء في الإدراج خالفت خط المصحف ، وأمَّا حمزة والكسائي فإنهما يقفان بالهاء ، ويصلان بغير هاء .

---

(١) قرأ حمزة والكسائي : «اقتدِ قل» بغير هاء في الوصل ، وقرأ ابن عامر : «اقتده قل» بكسر الدال وبشم الهاء الكسر في الوصل من غير بلوغ ياء ، وروي عنه : «اقتدهي قل» بياء بعد الهاء في الوصل ، وقرأ الباقون : ﴿ٱقْتَدِهْ﴾ بهاء ساكنة في الوصل والوقف ، ولا خلاف بينهم أنه بهاء ساكنة في الوقف . انظر : السبعة ٢٦٢ ، والمبسوط ١٧١ ، والغاية ٢٤٥ ، والتذكرة ٢/ ٤٠٤ ، والتيسير ١٠٥ .

(٢) في (ش) : (لا يثبت) بالياء .

(٣) في (ش) : (لا يثبت) بالياء .

(٤) نقل قول الواحدي الرازي في تفسيره ١٣/ ٧١ ، وهذا القول فيه نظر ؛ لأن القراءة سبعية مأخوذة بالرواية ، وقد ذكر هذا القول عن الواحدي القاسمي في تفسيره ٦/ ٦١٩ ، وذكر عن الخفاجي أنه قال : «إن هذا مما لا ينبغي ذكره ؛ لأنه يقتضي أن القراءة بغير نقل تقليد للخط ، فمَن قاله فقد وهم» . اهـ

(٥) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢/ ٢٨١ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧٠ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٦٤ .

(٦) في (أ) ، (ش) : (وليكون) ، والصواب : ولكون .

(٧) في (ش) : (أدرجت الهاء) .

قال أبو علي : «وقول حمزة والكسائي القياس ، وفي ترك قول الأكثر ضرب من الاستيحاش وإن كان الصواب والقياس ما قرأ»[(١)] .

وقرأ ابن عامر : (اقتدِه) بكسر الدال وبشمِّ الهاء الكسر من غير بلوغ ياء . قال أبو بكر بن مجاهد[(٢)] : «وهذا غلط لأن هذه الهاء هاء وقفٍ لا تعرب في حال من الأحوال وإنما تدخل لتتبين[(٣)] بها حركة ما قبلها»[(٤)] .

قال أبو علي : «ليس بغلط ، ووجهها أن تجعل الهاء كناية عن المصدر لا التي تلحق[(٥)] للوقف ، وحَسُن إضمار المصدر لذكر الفعل الدال عليه كما أضمر في قوله تعالى : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ[(٦)] ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾ [آل عمران : ١٨٠] ، وعلى هذا قول الشاعر[(٧)] :

هَـذَا سُرَاقَـةُ لِلـقُـرْآنِ يَـدْرُسُـهُ ... والمَـرْءُ عِنْدَ الرُّشَـا إنْ يَلْقَها ذِئبُ

---

(١) الحجة لأبي علي ٣/ ٣٥٢ .

(٢) أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي ، تقدمت ترجمته .

(٣) في (ش) : (يدخل لتبيين) . انظر : البغداديات ١٥٢ .

(٤) السبعة ٢٦٢ ، ونحوه قال النحاس في إعرابه ١/ ٥٦٤ ، وابن خالويه في إعراب القراءات ١/ ١٦٤ ، وفي الحجة لابن خالويه ١٤٥ ، قال : «وهذا قول ضعيف مردود ؛ لأنها قراءة سبعية» . قال أبو حيان في البحر ٤/ ١٧٦ : «تغليط ابن مجاهد غلط» . انظر : الدر المصون ٥/ ٣٢ .

(٥) في (ش) : (يلحق) ، وانظر : كتاب الشعر ٢/ ٥٠١ .

(٦) قراءة المصحف بالياء ، وهي قراءة الجمهور ، وقرأ حمزة بالتاء . انظر : السبعة ٢١٩ ، والحجة لأبي علي ٣/ ١٠٠ .

(٧) لم أقف على قائله ، وهو في الكتاب ٣/ ٦٧ ، والأصول ٢/ ١٩٣ ، وأمالي ابن الشجري ٢/ ٩١ ، والمقرب ١/ ١١٥ ، ورصف المباني ٣٢٠ ، ٣٨٢ ، واللسان (سرق) ٤/ ١٩٩٩ ، والدر المصون ٥/ ٣٢ . الرشا (بضم الراء وكسرها) جمع رشوة ، وهو يصف مقرئاً بقبول الرشوة والحرص عليها كحرص الذئب على فريسته . والشاهد : يدرسه ؛ إذ جاءت الهاء مفعولاً مطلقاً ترجع إلى المصدر المدلول عليه بالفعل وهو مضمون الدرس ؛ أي يدرس الدرس . انظر : شرح شواهد المغني للسيوطي ٢/ ٥٨٧ .

فالهاء كناية عن المصدر، ودل يدرسه على الدرس، ولا يجوز أن يكون ضمير القرآن؛ لأن الفعل قد تعدى إليه باللام فلا يجوز أن يتعدى إليه وإلى ضميره، كما أنك إذا قلت: أزيداً ضربته، لم تنصب[1] زيداً بضربت لتعديه إلى الضمير، فإذا لم يجز ذلك علمت أنه للمصدر، فكذلك قراءة ابن عامر: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ يكون: اقتدِ الاقتداء، فتضمر[2] الاقتداء لدلالة الفعل عليه، وقياسه إذا وقف أن يُسكن الهاء؛ لأن هاء الضمير تسكن في الوقف كما تقول: اشتره»[3].

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ قال ابن عباس: «يريد: مالاً تعطونيه»[4]، وقال [الكلبي][5]: «جُعْلاً على القرآن ولا رزقاً»[6]، ﴿إِنْ هُوَ﴾: يعني القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾: قال ابن عباس: «يريد: موعظة للخلق أجمعين»[7]. فالقرآن هو المُذكِّر بكل ما يحتاج إليه العباد في دينهم من حجة بيِّنة وموعظة بليغة[8]. قال أهل المعاني: «قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ممَّا أمر به من هدى النبيين والاقتداء بهم في ذلك، وذلك أن من الاقتداء بالنبيين ترك طلب الأجر من الناس على دعائهم إلى الله -عز وجل- وتبيين

---

(١) في (ش): (ينصب).

(٢) في (ش): (فيضمر).

(٣) الحجة ٢/ ٣٧٥، ٣/ ٣٥٢، ٣٥٣، وانظر: الحجة لابن زنجلة ٢٦٠، والكشف ١/ ٤٣٨، وقال الأزهري في معاني القراءات ١/ ٣٧٠ في توجيه قراءة ابن عامر: «جعلها اسماً ولم يجعلها هاء السكت؛ لأنها لو كانت عنده هاء السكت ما جرها، والمعنى: فبهداهم اقتدِ اقتداء، وهو مذهب حسن في اللغة». اهـ

(٤) لم أقف عليه، وأخرج عنه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٤٠ بسند ضعيف، قال: «يقول: لا أسألكم على ما أدعوكم إليه عرضاً من عرض الدنيا»، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٥٣.

(٥) لفظ: (الكلبي) ساقط من (أ).

(٦) انظر: تنوير المقباس ٢/ ٤٠.

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٧٩، وفي تنوير المقباس ٢/ ٤٠ نحوه.

(٨) انظر: تفسير الرازي ١٣/ ٧٢، والخازن ٢/ ١٥٧، والقاسمي ٦/ ٦١٩.

طريق الحق لَمن التمسه ، فكأنه يقول : فبهدى الأنبياء حيث لم يسألوا أجراً اقتدِ ، و﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ﴾[1] كما قالوا»[2] .

وقال أهل العلم : «وهذه الآية تدل على أن شريعة محمد ﷺ وشريعة الأنبياء الماضين[3] واحد[4] حيث أمر بالاقتداء بهم ، وكل شيء ثبت عن نبي من الأنبياء ما لم ينسخ فعلينا الأخذ به» .

٩١. قوله تعالى : ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ . قال ابن عباس : «يقول : ما عظموا الله حق تعظيمه»[5] .

وهو قول الحسن[6] والفرَّاء[7] والزَّجَّاج[8] ، وروي عن ابن عباس [أيضاً : «ما آمنوا أن الله على كل شيء قدير»[9] .

---

(١) جاء في (ش) : تكرار قوله : «اقتدِ وقل لا أسألكم عليه أجراً» .

(٢) انظر : الرازي ١٣/ ٧٢ ، والخازن ٢/ ١٥٧ .

(٣) أي في التوحيد ، أمَّا أعمال الشرائع فمختلفة . انظر : تفسير ابن عطية ٥/ ٢٧٦ ، والرازي ١٣/ ٧١ ، ٧٢ ، والقرطبي ٧/ ٣٥ ، ٣٦ ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في الفتاوى ١٩/ ٧ : «وشَرْعُ مَن قبلنا إنما هو شرع لنا في ما ثبت أنه شرع لهم دون ما روَوه لنا» . اهـ

(٤) الأولى : واحدة ؛ لأنها خبر عن الشريعة فتوافقها في التأنيث .

(٥) تنوير المقباس ٢/ ٤٠ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٧٩ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٨٣ ، والرازي في تفسيره ١٣/ ٧٢ ، والخازن ٢/ ١٥٧ ، وهو اختيار الطبري في تفسيره ٧/ ٢٦٦ ، والجوهري في الصحاح ٢/ ٧٨٦ ، وابن كثير ٢/ ١٧٤ . قال ابن فارس في مقاييس اللغة ٥/ ٦٣ في هذه الآية : «قال المفسرون : ما عظموا الله حق عظمته ، وهذا صحيح ، وتلخيصه أنهم لم يصفوه بصفته التي تنبغي له تعالى» . اهـ ، وانظر : مجمل اللغة (قدر) ٣/ ٧٤٥ .

(٦) ذكره الماوردي في تفسيره ٢/ ١٤١ ، وابن الجوزي ٣/ ٨٣ ، والقرطبي ٧/ ٣٧ .

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٤٣ .

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧١ .

(٩) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ٢٦٨ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٤١ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٥٣ .

وقال أبو العالية[(١)]] : «ما وصفوه حــق صفته»[(٢)] ، وهو قول الليث[(٣)] من أهل اللغة ، وقال الأخفش[(٤)] وأبو عبيدة[(٥)] : «ما عرفوه حق معرفته» .

ويقال : قدر[(٦)] الشيء إذا حزره وسبره ، وأراد أن يعلم مقداره ، يقدُره بالضم قَدْراً ، ومنه قوله عليه الســلام : «إن غمَّ عليكم فاقدروا له»[(٧)] ؛ أي فاطلبوا أن تعرفوه ، هذا أصله في اللغة ، ثم[(٨)] يقال لكل مَن عرف شــيئاً : هو يقدر قدره ، ولا يقدر قدره إذا لم يعرفه بصفاته ومــا هو منعوت به ، فقوله ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ صحيح في المعاني التي ذكرنا[(٩)] .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) .

(٢) ذكره الواحدي في الوســيط ١/ ٧٩ ، وابن الجوزي في تفسيره ٣/ ٨٣ ، والرازي ١٣/ ٧٢ ، والخازن ٢/ ١٥٧ .

(٣) تهذيب اللغة ٣/ ٢٨٩٧ ، وانظر : العين ٥/ ١١٣ .

(٤) ذكره الرازي في تفسيره ١٣/ ٧٢ ، والخازن ٢/ ١٥٧ ، ولم أقف عليه في معاني القرآن .

(٥) مجــاز القرآن ١/ ٢٠٠ ، وهو قول اليزيدي في غريب القرآن ١٣٩ ، وذكر هذا القول النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، قال : «هذا قول حســن ؛ لأن معنى قدرت الشيء وقدرته : عرفت مقداره ، ويدل عليه قوله جل وعــلا : ﴿إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ﴾ [الأنعام : ٩١] ؛ أي لم يعرفوه حق معرفته ، إذ أنكروا أن يُرســل رســولاً ، وقيل : المعنى : وما عظموا الله حق عظمته ، ومن هذا لفلان قَدرٌ ، والمعنيان متقاربان» . اهـ

(٦) قدر الشيء (بفتح القاف والدال) يَقْدِره ، قَدْراً . انظر : الجمهرة ٢/ ٦٣٥ ، واللسان (قدر) ٦/ ٣٥٤٧ .

(٧) الحديــث متفق عليه ، أخرجه البخاري ١٩٠٦ ، كتاب : الصوم ، بــاب : قول النبي ﷺ : «إذا رأيتم الهلال» ، ومسلم ١٠٨٠ ، كتاب : الصوم ، باب : وجوب صوم رمضان ، عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : «سمعت رســول الله ﷺ يقول : «إذا رأيتموه فصوموا ، وإذا رأيتموه فأفطروا ، فإن غُمَّ عليكم فَاقْدِرُوا له» . انظر : شرح مسلم للنووي ٧/ ٢٦٦ ، وفتح الباري ٤/ ١٢٠ .

(٨) لفظ : (ثم) ساقط من (ش) .

(٩) نقل قول الواحدي الرازي في تفسيره ١٣/ ٧٢ ، وذكر مثل قول الواحدي الخازن في تفسيره ٢/ ١٥٧ ، وقال ابن عطية في تفســيره ٥/ ٢٧٩ : «هو من توفية القدر والمنزلة فهي عامة يدخل تحتها مَن لم يعرف ومَــن لم يعظم وغير ذلك ، غير أن تعليله بقولهم : «ما أنزل الله» يقضي بأنهم جهلوا ولم يعرفوا الله حق معرفته إذ أحالوا عليه بعثة الرسل» . اهـ

انظر : تفســير غريب القرآن لابن قتيبــة ١/ ١٦٨ ، والفتاوى ١٣/ ١٦٠ـ ١٦٤ ، وبدائع التفســير ٢/ ١٦٢ .

وقوله تعالى : ﴿إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ قال ابن عباس : «كان مالك بن الضيف[(١)] رأس اليهود ، وكان سمناً ، فأتى رسول الله ﷺ بمكة ، فقال له رسول الله ﷺ : «أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله يبغض الحبر[(٢)] السمين ؟» ، قال : نعم . قال : «فأنت الحبر السمين ، قد سمنت من مأكلتك التي [يطعمك][(٣)] اليهود» ، فضحك القوم فغضب مالك ، وقال : ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾»[(٤)] ، وهذا قول الحسن[(٥)] وسعيد[(٦)] بن جبير وعكرمة[(٧)] وأكثر أهل التفسير[(٨)] ، وروي عن ابن عباس : «أن اليهود قالوا : يا محمد ، أنزل الله عليك كتاباً ؟ قال : «نعم» . قالوا : والله ما أنزل الله من السماء كتاباً ، فأنزل الله هذه الآية»[(٩)] .

---

(١) هو يهودي خاصم النبي ﷺ ، ويقال فيه : ابن الصيف بالصاد المهملة ، وهما روايتان فيه ، ذكره ابن هشام في السيرة النبوية ٢/ ١٧٤ .

(٢) حديث : «إن الله يبغض الحبر السمين» تكلم فيه أهل العلم ، فقال السخاوي في المقاصد الحسنة ١٢٥ : «ما علمته في المرفوع» . انظر : تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي ١/ ٤٤٣ ، والكاف الشاف ٦٢ ، وتمييز الطيب من الخبيث ٨٢ ، والفتح السماوي ٢/ ٦١١ ، وكشف الخفاء ١/ ٢٨٩ .

(٣) في (أ) : (تطعمك) .

(٤) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٨٢ ، والرازي ١٣/ ٧٤ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ١٧٦ ، وذكره أكثرهم بلا نسبة . انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧١ ، والنحاس ٢/ ٤٥٧ ، والسمرقندي ١/ ٥٠٠ ، وغرائب الكرماني ١/ ٣٧٠ ، وابن عطية ٥/ ٢٨٠ ، وفي تنوير المقباس ٢/ ٤٠ : قال : «نزلت الآية في مالك بن الصيف» . اهـ

(٥) ذكر هود الهواري ١/ ٥٤٢ ، والقرطبي ٧/ ٣٧ عن الحسن ، قال : «نزلت في اليهود» .

(٦) أخرجه الطبري ٧/ ٢٦٧ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٤٢ بسند ضعيف ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٥٤٠ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، وذكره الواحدي في أسباب النزول ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، والرواية فيها الحديث السابق ، فهو ضعيف ومرسل .

(٧) أخرجه الطبري ٧/ ٢٦٧ بسند ضعيف ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٥٤ .

(٨) منهم مقاتل في تفسيره ١/ ٥٧٤ ، وانظر : الرازي ١٣/ ٧٤ ، والخازن ٢/ ١٥٨ .

(٩) أخرجه الطبري ٧/ ٢٦٨ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٤٢ بسند جيد ، وأخرج الطبري من طرق جيدة عن محمد بن كعب وقتادة والسُّدِّي أنها نزلت في اليهود ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٥٤ ، وهو قول الزَّجَّاج ٢/ ٢٧١ . قال ابن كثير ٢/ ١٧٤ : «قال ابن عباس ومجاهد وعبدالله ابن كثير : نزلت =

وقوله تعالى: ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ﴾ قال المفسرون[١]: (أي تكتبونه في قراطيس مقطَّعة حتى لا تكون مجموعة لتخفوا منها ما شئتم ولا يشعر بها العوام). (تبدونها) يعني: القراطيس[٢] ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾. قال ابن عباس: «يريد: تظهرون بعض ما فيها، ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾: مما لا تهوون»[٣]. قرأ أبو عمرو وابن كثير: «يجعلونه» بالياء[٤] وكذلك: يبدون، «ويخفون»[٥]؛ لأنهم غيب، يدل على ذلك قوله[٦]: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟﴾، ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ﴾، (يجعلونه)، ومَن قرأ بالتاء فعلى الخطاب؛ أي قل لهم ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ﴾.

قال أبو علي: «ومعنى ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ﴾: تجعلونه ذوات[٧] قراطيس؛ أي تودعونه إياها.

= في قريش، واختاره الطبري، وهو الأصح؛ لأن الآية مكية، واليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء، وقريش والعرب قاطبة كانوا ينكرون إرسال محمد ﷺ (لأنه من البشر)». اهـ

(١) انظر: الطبري ٧/ ٢٦٩، وأخرج نحوه عن مجاهد وعكرمة.

(٢) انظر: الطبري ٧/ ٢٦٩، والسمرقندي ١/ ٥٠٠، والبغوي ٣/ ١٦٧، وابن الجوزي ٣/ ٨٤.

(٣) في تنوير المقباس ٢/ ٤٠ نحوه.

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «يجعلون قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً» بالياء في الأفعال الثلاثة على الغيبة، وقرأ الباقون بالتاء في الثلاثة على الخطاب. انظر: السبعة ٢٦٢، والمبسوط ١٧٢، والتذكرة ٢/ ٤٠٤، والتيسير ١٠٥، والنشر ٢/ ٢٦٠.

(٥) في (ش): (تجعلونه، وتبدون، وتخفون) بالتاء. وفي (أ): (يبدون)، والأولى (يبدونها).

(٦) لفظ: (قوله) ساقط من (ش).

(٧) فيكون على حذف مضاف. قال النحاس في إعرابه ١/ ٥٦٥: «تجعلونه في قراطيس»، وعليه يكون منصوب بنزع الخافض، وهو قول مكي في المشكل ١/ ٢٦٠، وابن الأنباري في البيان ١/ ٣٣١. انظر: التبيان ١/ ٣٤٦، والفريد ٢/ ١٨٨، والدر المصون ٥/ ٣٥.

وقوله تعـالى: ﴿تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ يحتمل موضعـه ضربين: أحدهما أن يكون صفـة للقراطيس؛ لأن النكـرة توصف بالجمـل[1]، والآخر أن تجعله حالاً من ضمـير الكتاب من قوله: ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ﴾ عـلى أن تجعل الكتاب: القراطيـس في المعنى؛ لأنـه مكتتب فيها[2]، ومَـن قرأ بالتـاء فحجته قوله: ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟﴾ [الأنعام: ٩١] فجاء على الخطاب فكذلك يكون ما قبله»[3].

وقال الفـرَّاء في هذه الآية: «[يقول]:[4] تبدون[5] ما تحبون وتكتمون صفة محمد ﷺ»[6].

---

(١) هذا قول العكبري في التبيان ١/ ٣٤٦. قال مكي في المشـكل ١/ ٢٦٠: «تبدونها» نعت للقراطيس، وقوله: «وتخفون» مبتدأ لا موضع له من الإعراب. اهـ، وانظر: الدر المصون ٥/ ٣٦.

(٢) قال السـمين في الدر ٥/ ٣٦: «وقد جوز الواحدي في: «تبـدون» أن يكون حالًا من ضمير الكتاب مـن قوله: ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ﴾ على أن تجعل الكتاب القراطيس في المعنى؛ لأنه مكتتب فيها. انتهى. وقوله: على أن تجعل اعتذاراً عن مجيء ضميره مؤنثاً، وفي الجملة فهو بعيد أو ممتنع». اهـ

(٣) الحجة لأبي عـلي ٣/ ٣٥٥، ٣٥٦، وانظر: توجيـه القراءة، ومعاني القـراءات ١/ ٣٧٠، ٣٧١، وإعـراب القراءات: ١/ ١٦٤، والحجة لابـن خالويه ١٤٥، والحجة لابـن زنجلة ٢٦٠، ٢٦١، والكشف ١/ ٤٤٠.

(٤) لفظ: (يقول) ساقط من (أ).

(٥) جاء في (أ): (يبدون ما يحبون ويكتمون...) بالياء بدل التاء.

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٤٣، وانظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧١.

وقوله تعالى : ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾ أجمع الأكثرون[١] على أن هذا خطاب لليهود ، يقول : ﴿وَعُلِّمْتُم﴾ على لسان محمد ﷺ ﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾ ، وقال الحسن في هذا : «جعل لهم علم ما جاء به محمد -عليه السلام- فضيَّعوه ولم ينتفعوا به»[٢] .

وقال مجاهد : «هذا خطاب للمسلمين [يذكرهم النعمة][٣] في ما علمهم على لسان محمد ﷺ»[٤] .

وقوله تعالى : ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ قال الفرَّاء : «هذا جواب لقوله : ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ ؛ أي الله أنزله»[٥] .

قال أبو بكر : «فلمَّا وضح معنى الإنزال لم يذكر إفراد الاسم ، ألا ترى أن الرجل يقول للرجل : إذا قيل لك : مَن قام ؟ فقل : زيد ، تريد[٦] فقل : زيد قام»[٧] .

---

(١) انظر : تفسير البغوي ٣/ ١٦٧ ، وابن الجوزي ٣/ ٨٤ . وهو اختيار الزمخشري في الكشاف ١/ ٣٥ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ١٧٨ .

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٨٠ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٦٧ .

(٣) في (ش) : (يذكرهم بالنعمة) .

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٨٠ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٦٧ ، وأخرج عنه الطبري في تفسيره ٧/ ٢٧٠ ، وابن أبي حاتم ٥/ ٢٨٢ بسند جيد ، قال : «هذه للمسلمين» ، وفي «الدر المنثور» ٣/ ٥٤ عن مجاهد قال : « (وعلمتم) معشر العرب ﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾» .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٤٣ .

(٦) في (ش) : (يريد) بالياء .

(٧) لم أقف عليه .

قال الفرَّاء[١] : «وإن شئت قلت : قل هو الله . . .»[٢] ، وقال أبو بكر : «فأضمر هو في هذا الموضع كما أضمر في قوله : ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف :٢٢] ، وفي قوله : ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ [النساء :٨١] »[٣] ، وقال أهل المعاني : «هذا من حسن تعليم السؤال والجواب» .

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ ﴿يَلْعَبُونَ﴾ حال تقديره : لاعبين[٤] ، يريد عاملين ما لا يجدي عليهم ، والعرب تقول لِمَن كان في عمل لا يجدي عليه : إنما أنت لاعب[٥] ، وحقيقة هذا الكلام التهدد[٦] .

قال المفسرون : «وقوله : ﴿ذَرْهُمْ﴾ منسوخ بآية السيف»[٧] .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٤٣ .

(٢) في (أ) : (قل هو الله أحد) ، ولعل زيادة (أحد) وهم من الناسخ .

(٣) لم أقف عليه ، وأجمع أكثرهم على أن المعنى : قل الله أنزله . قال شيخ الإسلام في الفتاوى ١٠/ ٥٥٩ : «المعنى : قل الله أنزل الكتاب ، وهو كلام تام وجملة اسمية مركبة من مبتدأ وخبر ، حذف الخبر لدلالة السؤال على الجواب ، وهو قياس مطرد كثير في كلام العرب» . اهـ ملخصاً ، ونحوه قال ابن القيم في بدائع التفسير ٢/ ١٦٣-١٦٦ : «هذا معنى الآية الذي لا تحتمل غيره» ، وقال ابن كثير ٢/ ١٧٥ : «قال ابن عباس : أي قل الله أنزله ، وهذا هو المتعين ، لا ما قاله بعضهم من أن المعنى لا يكون خطابك لهم إلَّا كلمة : الله ، وهذا أمر بكلمة مفردة من غير تركيب ، وهو في لغة العرب لا يفيد فائدة يحسن السكوت عليها» . اهـ بتصرف ، وانظر : الطبري ٧/ ٢٧٠ ، والسمرقندي ١/ ٥٠٠ ، وابن الجوزي ٣/ ٨٤ ، والدر المصون ٥/ ٣٦ .

(٤) انظر : المشكل ١/ ٢٦٠ ، والبيان ١/ ٣٣١ ، والتبيان ١/ ٣٤٧ ، والفريد ٢/ ١٨٩ ، والدر المصون ٥/ ٣٦ .

(٥) هذا قول الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٢٧١ .

(٦) انظر : الطبري ٧/ ٢٧١ .

(٧) هذا قول ابن حزم في ناسخه ٣٧ ، وابن سلامة ٦٨ ، وابن العربي ٢/ ٢١٢ . قال أبو حيان في البحر ٤/ ١٧٨ : «ظاهر الأمر أنه موادعة فيكون منسوخاً بآيات القتال ، وإن جعل تهديداً أو وعيداً خالياً من الموادعة فلا نسخ» ، والظاهر عدم النسخ وأنها تهديد ، وهو قول الجمهور . انظر : الناسخ والمنسوخ للنحاس ٢/ ٣٢١ ، والإيضاح لمكي ٢٤٤ ، وابن عطية ٥/ ٢٨٣ ، والنواسخ لابن الجوزي ٣٢٧ ، والمصفى ٣٢ ، والرازي ١٣/ ٧٨ ، والقرطبي ٧/ ٣٨ ، والنسخ في القرآن لمصطفى زيد ١/ ٤٨٣ .

٩٢. وقوله تعالى : ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ المبارك : الذي بورك فيه ، ومعنى البركة : الكثرة في كل خير[(١)] . قال الأزهري[(٢)] : «وأصل البركة الزيادة والنماء وثبوت الخير[(٣)] على الازدياد والنماء» ، وقال أهل اللغة[(٤)] : «وأصله الثبوت» ، وقال اللحياني[(٥)] : «يقال : بَارَكت على التجارة وغيرها ؛ أي داومت وواظبت» ، ومنه قول الشاعر[(٦)] :

ولا يُنْجِي مِنَ الغَمَرَاتِ إلَّا بَرَاكاءُ القِتَالِ[(٧)] أوِ الفِرَارُ

أي الثبوت في القتال ، ومنه قوله تعالى : ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف :٥٤] ؛ أي ثبت ما به استحق التعظيم في ما لم يزل ولا يزال . قال الكلبي : «﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ فيه مغفرة لذنوبهم ، وتوبة من أعمالهم»[(٨)] ، وقال أهل المعاني : «معنى قوله (كتاب) (مبارك) ؛ أي كثير خيره ، دائم منفعته ، يبشر بالثواب والمغفرة ، ويزجر عن القبيح والمعصية إلى ما لا يعد من بركاته»[(٩)] ، و(مبارك) : خبر الابتداء

---

(١) انظر : العين ٥/ ٣٦٨ ، والجمهرة ١/ ٣٢٥ ، والصحاح ٤/ ١٥٧٤ ، والمجمل ١/ ١٢١ ، ومقاييس اللغة ١/ ٢٢٧ ، والمفردات ١١٩ ، واللسان (برك) ١/ ٢٦٦ .

(٢) تهذيب اللغة ١/ ٣١٩ .

(٣) في (ش) : (وثبوت الحكم) .

(٤) انظر : الزاهر ١/ ٥٣ .

(٥) تهذيب اللغة ١/ ٣١٩ .

(٦) الشاهد لبشر بن أبي خازم الأسدي ، شاعر جاهلي ، في ديوانه ٦٩ ، والمفضليات ٣٤٥ ، والاشتقاق ٢٤٧ ، وجميع كتب اللغة السابقة في (برك) سوى المفردات . الغمرات (بالفتح) : الشدائد ، والبراكاء (بفتح الباء وضمها) : من البروك ، وهو الثبات في الحرب .

(٧) في (أ) : (للقتال) ، وهو تحريف .

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٨١ ، وفي تنوير المقباس ٢/ ٤١ نحوه .

(٩) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣٠٦ ، والوسيط للواحدي ١/ ٨١ ، والرازي ١٣/ ٨٠ .

فصل بينهما بالجملة والتقدير:[١] و[٢]هذا كتاب مبارك أنزلناه، كقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

وقوله تعالى: ﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قال ابن عباس: «يريد: جميع الكتب»[٣]، وقال الكلبي: «موافق لما بين يديه من التوراة والإنجيل وسائر الكتب»[٤]، ونحوه قال الحسن[٥] [وغيره][٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ هو عطف[٧] على معنى الكلام[٨]. قال أبو إسحاق: «المعنى: أنزلناه للبركة والإنذار، قال: ومعنى ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾: أهل أم

---

(١) هذا قول الثعلبي ١٨١ أ، وقال الكرماني في غرائبه ١/ ٣٧١، وابن عاشور في التحرير ٧/ ٣٦٩: «هو خبر بعد خبر»، وأجمع الجمهور على أنه صفة لكتاب، وقال السمين في الدر ٥/ ٣٨: «ما ذكره الواحدي لا يتمشى إلَّا على أن يكون خبراً ثانياً، لهذا هو بعيد جداً، وإذا سُلِّم ذلك فيكون: (أنزلناه) عنده اعتراضاً على ظاهر عبارته، ولكن لا يحتاج إلى ذلك بل يجعل (أنزلناه) صفة لكتاب، ولا محذور حينئذٍ على هذا التقدير، وبالجملة فالوجه كونه صفةً أو خبراً لمبتدأ مضمر». اهـ بتصرف. انظر: معاني القرآن للأخفش ٢/ ٢٨٢، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٨٢، وكتاب الشعر ٢/ ٥٠٥، والإيضاح العضدي ١/ ٢٨٧، وابن عطية ٥/ ٢٨٣، والتبيان ١/ ٣٤٧، والفريد ٢/ ١٩٠.

(٢) لفظ: (الواو): ساقط من (ش).

(٣) أخرج عنه الطبري ٧/ ٢٧١، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٤٤، وتحقيق الغماري بسند ضعيف: قال: «مصدق لما قبله من الكتب التي أنزلها الله والآيات والرسل الذين بعثهم الله بالآيات».

(٤) تنوير المقباس ٢/ ٤١.

(٥) ذكره الماوردي في تفسيره ٢/ ١٤٢.

(٦) في (ش): (وغيرهم)، وقد أخرج الطبري في تفسيره ٧/ ٢٧١ هذا القول عن قتادة والربيع بن أنس، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٤٤، وتحقيق الغماري عن أبي العالية، ورجَّحه ابن عطية في تفسيره ٥/ ٢٨٤.

(٧) في (ش): (هو معطوف).

(٨) انظر: الدر المصون ٥/ ٣٨، ٣٩.

القـــرى»(١) ، فعلى هذا هو من بـــاب حذف المضاف . قال ابن عبـــاس وغيره : «يريد : مكة»(٢) .

قال الزَّجَّاج : «وســـميت أم القرى ؛ لأنها قبلـــة جميع الناس يؤمونها ، قال : وجائز أن تكون سميت أم القرى ؛ لأنها كانت أعظم القرى شأناً»(٣) .

وقال المفسرون : «ســـميت مكـــة أم القـــرى ؛ لأن الأرض كلها دُحيت من تحتها ، فهي أصل للأرض كلها»(٤) .

وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ قال ابن عباس : «يريد : جميع الآفاق»(٥) ، وقال الكلبي : «سائر الأرضين»(٦) .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧١ ، وانظر : معاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٥٧ .

(٢) أخرجه الطبري في تفســيره ٧/ ٢٧١ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٤٥ بسند جيد ، وقال الرازي في تفسيره ١٣/ ٨١ : «اتفقــوا على أن هاهنا محذوفاً ، والتقدير : ولتنذر أهل أم القرى ؛ واتفقوا على أن أم القرى هي مكة» . اهـ

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧١ ، ولم يذكر إلاَّ الوجه الثاني فقط ، والوجه الأول نسبه إلى الزَّجَّاج ، ابن الجوزي في تفسيره ٣/ ٨٥ .

(٤) أخرجه عبدالرزاق ١/ ٢/ ٢١٣ ، والطبري ٧/ ٢٧٢ بســند جيد عن قتادة ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٤/ ١٣٤٥ عن عطاء وعمرو بن دينار ، وذكره ابن الجوزي ٣/ ٨٥ ، عن ابن عباس ، وهو قول مقاتل ١/ ٥٧٥ ، والثعلبي ١٨١ أ ، والبغوي ٣/ ١٦٨ ، وأخرج الطبري وابن أبي حاتم بســند جيد عن السُّــدِّي ، قال : «أم القرى مكة ســميت ؛ لأن أول بيت وضع بها» . اهـ ، وذكره ابن أبي حاتم عن جماعة من السلف . قال أبو حيان في البحر ٤/ ١٧٩ : «ســميت بذلك ؛ لأنها منشــأ الدين ، ولدحو الأرض منها ، ولأنها وسط الأرض ، ولكونها قبلة وموضــع الحج ، ومكان أول بيت وضــع للناس» . اهـ . انظر : الطــبري ٧/ ٢٧٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٥٧ ، والسمرقندي ١/ ٥٠١ ، والماوردي ٢/ ١٤٢ ، والكشاف ٢/ ٣٥ ، وابن عطية ٥/ ٢٨٤ .

(٥) أخرجه الطبري ٧/ ٢٧١ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٤٥ بســند جيد ، وهــذا المعنى متفق عليه . انظر : السمرقندي ١/ ٥٠١ ، وابن عطية ٥/ ٢٨٤ ، والرازي ١٣/ ٨١ .

(٦) تنوير المقباس ٢/ ٤٢ .

وقولـه تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ قـال الفرَّاء : «الهاء تكون لمحمـد وللتنزيل»[(١)] ، فـإن قيل : كثير ممـن يؤمن بالآخـرة لا يؤمن بمحمد ولا بالقـرآن ، فلِـمَ قـال : ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ ؟ قيـل : ذهب بعضهـم إلى أن هذا ممَّا أُريد به الخصوص بدليـل قوله تعالى : ﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام :٩٢] ، وهذا من صفـة المؤمنين . قال بعض أهـل المعاني : «لم يُعتَدَّ بإيمان أولئك الذين آمنوا بالآخـرة ولم يؤمنوا بمحمد ، وإنما يؤمن بالآخرة حقيقـةً مَن آمـن بمحمد وبكتابـه ، فلذلك وصـف المؤمنين بالآخـرة بأنهم يؤمنون بمحمـد والقرآن ، ألا ترى أنه قـال : ﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ فبيَّن أن إيمانهـم بالآخرة يدعوهم إلى الإيمان به والمحافظـة على صلاتهم»[(٢)] . وعامة القـرَّاء[(٣)] قرؤوا :﴿وَلِتُنذِرَ﴾ بالتاء خطاب للنبـي ﷺ ؛ لأن المأمور والموصوف بالإنـذار هو ، قـال الله تعـالى : ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾ [الرعد :٧] ، وقال سـبحانه : ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ ، وقـرأ أبـو بكر عن عاصم باليـاء جعل الكتاب هو المنـذر ؛ لأن فيه إنـذاراً ، ألا ترى أنه قـال : ﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾ [إبراهيـم :٥٢] ؛ أي بالكتاب ، وقـال تعـالى : ﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾ [الأنعام :٥١] ، وقـال عز وجل : ﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ [الأنبياء :٤٥] فلا يمتنع أن يسند الإنذار إليه على الاتساع[(٤)] .

٩٣. قوله[(٥)] تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ الآية . معنى ألفاظ هذه الحروف ، وهذا الاستفهام ذكرناه في رأس العشرين من هذه السورة .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٤٤ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٧/ ٢٧٢ ، والسمرقندي ١/ ٥٠١ ، وابن الجوزي ٣/ ٨٥ ، والرازي ١٣/ ٨٣ .

(٣) قـرأ عاصم في رواية أبي بكر بن عياش : «ولينذر» بالياء ، وقرأ الباقون بالتاء . انظر : السـبعة ٢٦٣ ، والمبسـوط ١٧٢ ، والتذكرة ٢/ ٤٠٤ ، والتيسـير ١٠٥ ، والنشر ٢/ ٢٦٠ ، ووقع في التيسـير نسبة القراءة بالياء إلى أبي عمرو ، ولعله تحريف أو وهم .

(٤) ما سـبق قول أبي علي في الحجة ٣/ ٣٥٦ ، وانظر : إعراب القراءات ١/ ١٦٤ ، والحجة لابن خالويه ١٤٥ ، والحجة لابن زنجلة ٢٦١ ، والكشف ١/ ٤٤٠ .

(٥) جاء في (أ) : تكرار لفظ (قوله) .

قال ابن عباس ، والمفسرون : «نزلت في مسيلمة[١] والأسود العنسي[٢] ادَّعيا النبوة»[٣] .

وقوله تعالى : ﴿أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَيَّ﴾ قال أبو بكر ابن الأنباري : «خصَّ بعد أن عمَّ ؛ لأنه ليس كل مَن يكذب على الله يدعي أن الله -عز وجل- أوحى إليه وحياً ، قال : ويجوز أن يكون الأمران من صفة مدعي النبوة وصفه الله -عز وجل- بأمرٍ بعد أمرٍ ليدل على لعنته وجرأته على الله»[٤] .

وقوله تعالى : ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ (مَـن) : عطف على (مَن) في قوله : ﴿مِمَّنِ﴾[٥] . قال ابن عباس : «يريد : المستهزئين»[٦] ، وهو قول الزَّجَّاج ، قال : «هذا جواب لقولهم : ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال :٣١]»[٧] .

---

(١) مسيلمة بن حبيب الحنفي ، أبو ثمامة الكذاب ، مشعوذ جبار متنبئ مُعمَّر ، قتله وحشي -رضي الله عنه- في موقعة اليمامة سنة ١٢هـ . انظر : سيرة ابن هشام ٢/ ٧٤ ، وجوامع السيرة ٢٥٩ ، ٣٤٠ ، والتعريف للسهيلي ٥٦ ، والأعلام ٧/ ٢٢٦ .

(٢) الأسود بن كعب بن عوف العَنْسي ، يعرف بعيهلة ، مشعوذ متنبئ جبار ، من أهل اليمن ، أسلم ثم ارتد وادَّعى النبوة ، وقتله فيروز الفارسي قبل موت النبي ﷺ بقليل . انظر : جوامع السيرة ١٠ ، ٣٣٩ ، والتعريف والإعلام ٥٥ ، ٥٦ ، والأعلام ٥/ ١١١ .

(٣) تنوير المقباس ٢/ ٤٣ ، وذكره النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٥٨ ، والقرطبي ٧/ ٣٩ ، وأخرجه عبدالرزاق ١/ ٢/ ١٣ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٤٦ بسند جيد عن قتادة ، وأخرجه الطبري ٧/ ٢٧٢ عن قتادة وعكرمة ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٥٦ عن ابن جريج ، وهو قول أكثرهم . انظر : معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٤٤ ، والزَّجَّاج ٢/ ٢٧١ ، والسمرقندي ١/ ٥٠١ ، والثعلبي ١٨١ أ ، وغرائب الكرماني ١/ ٣٧١ .

(٤) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٨٦ .

(٥) انظر : التبيان ١/ ٣٤٨ ، والدر المصون ٥/ ٤٠ .

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٨٢ ، والبغوي ٣/ ١٦٩ ، وابن الجوزي ٣/ ٨٦ ، ورجَّح السهيلي في التعريف ٥٦ أنها نزلت في النضر بن الحارث من المستهزئين .

(٧) معاني القرآن ٢/ ٢٧٢ .

وقال عامة أهل التفسير(١) : «نزلت في ابن أبي سرح(٢) ، وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ فأملَى عليه قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ﴾ [المؤمنون :١٢] إلى قوله : ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون :١٤] ، فقال ابن أبي سرح : ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ تعجباً من تفضيل خلق الإنسان ، فقال النبي ﷺ : «هكذا أنزلت» فشك وارتد ، وقال : لئن كان محمد صادقاً لقد أوحي إليَّ كما أوحي إليه ، ولئن كان(٣) كاذباً لقد قلت كما قال»(٤) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ يعني : الذين ذكرهم(٥) ، ﴿فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ : جمع غَمْرَةٍ(٦) ، وهي شدة الموت وما يغشى الإنسان من همومه وسكراته ، وغَمْرة كل شيء : كثرته ومعظمه ، ومنه غَمَرة الماء وغَمَرة الحرب ، ويقال : غَمَرَه الشيءُ : إذا علاه وغطاه .

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٧/ ٢٧٣ ، أخرجه عن عكرمة والسُّدِّي ، وأخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٤٥ ، ٤٦ عن شرحبيل بن سعد المدني ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٥٦ : «عن موسى بن خلف البصري وابن جريج» .

(٢) عبدالله بن سعد بن أبي سرح العامري أبو يحيى القرشي ، إمام فاضل فارس صحابي جليل ، أخو عثمان ابن عفان ـ رضي الله عنه ـ من الرضاع ، أسلم قبل فتح مكة ، وهاجر ، وكتب الوحي للنبي ﷺ ، ثم ارتد ، ثم أسلم يوم الفتح ، وحسن إسلامه ، وشارك في الفتوح ، توفي سنة ٣٦هـ . انظر : طبقات ابن سعد ٧/ ٤٩٦ ، والجرح والتعديل ٥/ ٦٣ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢٩٦ ، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣٣ ، والإصابة ٢/ ٣١٦ ، والأعلام ٤/ ٨٨ .

(٣) جاء في (ش) : تكرار (كان) .

(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول ٢٢٣ ، والقرطبي ٧/ ٤٠ من رواية الكلبي عن ابن عباس ، وذكره أكثرهم بلا نسبة . انظر : معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٤٤ ، والثعلبي ١٨١ أ ، والبغوي ٣/ ١٦٩ ، والرازي ١٣/ ٨٤ ، والظاهر أن الآية عامة يدخل تحتها كل ما ذكر ، قاله ابن عطية ٥/ ٢٨٦ ، وانظر : الفتاوى ٤/ ٨٦ ، ١٢/ ٢٥ ، ١٥/ ١٥٦ ، والكافي الشاف ٦٠ .

(٥) انظر : زاد المسير ٣/ ٨٧ .

(٦) انظر : العين ٤/ ٤١٦ ، والجمهرة ٢/ ٧٨١ ، والبارع ٣١٧ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٦٩٣ ، والصحاح ٢/ ٧٧٢ ، ومقاييس اللغة ٤/ ٣٩٢ ، والمفردات ٦١٤ ، واللسان (غمر) ٦/ ٣٢٩٤ .

قال الزَّجَّــاج : «يقال : لكل مَن كان في شيء كثير قــد غَمَره ذلك ، وغَمره الدَّينُ : إذا كثر عليه»[١] ، هذا هو الأصل ، ثم يقال للشدائد والمكاره : الغمرات ، وجواب (لو) محذوف ، وقد مضت هذه المسألة في هذه السورة[٢] بأبلغ بيان .

وقوله تعــالى : ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ قال ابن عباس : «يريد : ملائكة العذاب ﴿بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ بمقامع من الحديد»[٣] ، وقال الحسن[٤] والضحاك : «﴿بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ بالعذاب» .

قال الضحــاك : «﴿بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ : يضربونهم ويعذبونهــم ، كما يقال : بسط إليه يده بالمكروه»[٥] ، وقال مجاهد : «﴿بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ بالضرب يضربون وجوههم وأدبارهــم»[٦] ، وقال الفرَّاء : «ويقــال : ﴿بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ لإخراج أنفس الكفار»[٧] .

وقوله تعالى : ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ قــال الفرَّاء والزَّجَّاج : «أي يقولون : ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾»[٨] ، قــال الفرَّاء : «وإذا طرحت مــن مثل هذا الكلام

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧٢ .

(٢) قال الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٢٧٢ : «الجواب محذوف ؛ أي ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت لرأيت عذاباً عظيماً» ، وانظر : الدر المصون ٥/ ٤١ .

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ ، وأخرج الطبري في تفسيره ٧/ ٢٧٥ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٤٨ بسند جيد عن ابن عباس ، قال : «البسط : الضرب ، يضربون وجوههم وأدبارهم» . اهـ ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٨٥ .

(٤) ذكره الماوردي في تفسيره ١/ ٥٤٥ ، وابن الجوزي ٣/ ٨٧ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ١٨١ .

(٥) أخرجه الطبري في تفســيره ٧/ ٢٧٥ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٤٨ بسند ضعيف عن الضحاك ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٨٥ .

(٦) لم أقف عليه عن مجاهد .

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٤٥ ، وقال ابن عطية ٥/ ٢٨٨ في تفســير الآية : «﴿بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ كناية عن مدِّها بالمكروه ، وهو لا محالة أوائل العذاب وأماراته . وأمَّا البسط لمجرد قبض النفس فإنه يشترك فيه الصالحون والكفرة» . اهـ بتصرف

(٨) لا يوجــد هذا التقدير عن الفــرَّاء في معاني القرآن ، ولعله مفهوم من كلامــه ، وانظر : معاني القرآن للأخفش ٢/ ٢٨٢ .

أن ففيه القـــول مضمر»[١]، وذكر أبو إســـحاق في معنى قوله تعالى: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ وجهـين: أحدهما، قال: «جائز أن يكــون كما تقول للذي تعذبه: لأزهقن نفسك ولأخرجن نفسك، فهم يقولون: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ على هذا المعنى»[٢]، ومعنى هذا الكلام أن قول القائل إذا أراد تعذيب إنسان [يقول][٣]: «لأخرجن نفسك»، معناه لأذيقنك العذاب، ولأعذبنك أشد العذاب، كذلك قول الملائكة لهـم: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ﴾، معناه ذوقوا العذاب، وليس المراد من هذا أمرهم بإخراج أنفســهم؛ لأن أرواحهم ليســوا [هم][٤] مخرجيها حتى يؤمــروا بإخراجها، وإنــما [مخرجها][٥] ملك الموت وأعوانــه. قال بعض أهل المعــاني: «هذا تغليظ لحالهم؛ أي إنهم بمنزلة مَن تولى إزهاق نفســه إكراهاً له، وهو أغلظ عليه، فلذلك يؤمرون بإخراج أنفسهم»[٦].

وأمَّا أهل التفســير فإنهــم يقولون في هذا: «إن نفس المؤمن [تنشــط][٧] في الخروج للقاء ربه، ونفس الكافر [تكره][٨] ذلك، ويشــق عليها الخروج؛ لأنها [تصير][٩] إلى أشد العذاب[١٠] كما قال رسول الله ﷺ: «مَن أراد لقاء الله أراد الله لقــاءه، ومَن كره لقاء الله كره الله لقاءه»[١١]، وذلك يكون عند نزع الروح، وقد

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٤٥.
(٢) معاني القرآن للزَّجاج ٢/ ٢٧٢.
(٣) لفظ: (يقول) ساقط من (ش).
(٤) لفظ: (هم) ساقط من (أ).
(٥) في (ش): (مخرجيها).
(٦) انظر: تفسير الماوردي ٢/ ١٤٤، وابن الجوزي ٣/ ٨٧، ٨٨، والرازي ١٣/ ٨٥.
(٧) في (ش): (ينشط) بالياء.
(٨) في (ش): (يكره) بالياء.
(٩) في (ش): (يصير) بالياء.
(١٠) انظر: تفسير السمرقندي ١/ ٥٠١، والبغوي ٣/ ١٦٩.
(١١) حديث متفق عليه، أخرجــه البخاري في صحيحه ٦٥٠٧، ومســلم ٦٥٠٨، (٢٦٨٣_٢٦٨٦)؛ البخاري في كتاب: الرقاق، ومسـلم في كتاب: الذكر والدعاء، كلاهما في باب: مَن أحب لقاء الله =

بُيِّن ذلك في هذا الخبر ، فهــؤلاء الكفار [تُكرههــم][١] الملائكة على نزع الروح ويقولون لهم : أخرجوا أنفسكم كرهاً» .

والوجه الثاني الذي ذكره أبو إسحاق ، قال : «وجائز أن يكون المعنى :خلصوا أنفســكم ؛ أي لستم تقدرون على الخلاص»[٢] ، ومعنى هذا الكلام أنهم يقولون لهم : أخرجوا أنفســكم من العذاب على جهة التوبيخ ، وهذا قول الحســن[٣] ، وجائز أن يكون هذا القول منهم للكفار في نار جهنم ، وقد[٤] غشــيتهم شــدائد هــي كغمرات المــوت ، والملائكة يقولــون لهم على جهــة التوبيخ : ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ﴾ من هذا العذاب[٥] ، وجواب (لــو) هنا مضمر ؛ أي لرأيت عجباً أو لرأيت أمراً فظيعاً[٦] .

= أحب الله لقاءه ، ومَن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، من طرق عدة عن عبادة بن الصامت وعائشــة وأبي موسى الأشــعري ــرضي الله عنهم ــ عن النبي ﷺ ، قال : «مَن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومَن كره لقاء الله كره الله لقاءه» . اهـ

(١) في (أ) : (يكرههم) بالياء .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧٢ .

(٣) ذكره هود الهواري في تفسيره ١/ ٥٤٥ ، والماوردي ٢/ ١٤٥ ، وابن الجوزي ٣/ ٨٧ .

(٤) في (أ) : تكرار لفظ (قد) .

(٥) هذا قول الحسن البصري كما ذكرنا في المصادر السابقة ، وانظر : تفسير ابن عطية ٥/ ٢٨٨ .

(٦) أعاد المؤلف ــرحمه الله تعالى ــ ذكره مرة أخرى ، فقد ســبق بيانه في ٣٣٣ ، وقال ابن عطية في تفسيره ٦/ ١٠٩ : «جواب لو محذوف تقديره : لرأيت عجباً أو هولاً ، ونحو هذا ، وحذف هذا الجواب أبلغ من نصه ؛ لأن السامع إذا لم ينص له الجواب يترك مع غاية تخيله» . انظر : كتاب الشعر ٢/ ٣٩١ .

وقولــه تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ الْهُــون[١]: هَوَان الشيء الحقير الهين، قال الله تعالى: ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾ [النحل: ٥٩]، وقال ذو الإصبع[٢]:

اذهَبْ إلَيْكَ فَمَا أُمِّي بِرَاعِيَةٍ
تَرْعَى المَخَاضَ وَلَا أُغْضِي عَلَى الهُونِ[٣]

وقالت الخنساء:

تُهِينُ[٤] النُّفُوسَ وَهوْنُ النُّفُوسِ ... يَــوْمَ الكَــرِيهَـةِ أَبْقَـــى لَهَا[٥]

تريد: وإهانــة النفوس. قــال الزَّجَّــاج: «﴿عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾؛ أي العذاب الــذي يقع به الهوان الشــديد»[٦]، وقال عطاء عن ابن عبــاس: «يريد: الهَوَان

---

(١) الهون: بضم الهاء. انظر: العين ٤/ ٩٢، والجمهرة ٢/ ٩٩٦، والبارع ١٢٧، والصحاح ٦/ ٢٢١٨، والمقاييس ٦/ ٢١، والمجمل ٣/ ٨٩٥، والمفردات (هون) ٨٤٨.

(٢) هو حُرْثان بن الحارث بن محرث العَدْواني، شاعر جاهلي حكيم شجاع له وقائع مشهورة، لُقِّب بذي الإصبع؛ لأن حيَّة نهشت إصبع رجله فقطعها، وهو مُعمَّر ترك ثروة شعرية كبيرة فيها العظة والحكم والفخر. انظر: الشعر والشعراء ٤٧٣، والإكمال لابن ماكولا ١/ ٩٦، ونزهة الألباب ١/ ٢٧٨، والأعلام ٢/ ١٧٣، ومعجم الشعراء في لسان العرب ١٤٣.

(٣) البيت في تفســير الطــبري ٧/ ٢٧٧، والماوردي ٢/ ١٤٥، وابن عطية ٥/ ٢٨٨، واللســان (هون) ٨/ ٤٧٢٥، والدر المصون ٥/ ٤٣. المخاض: النــوق الحوامل، وأصله الطلق عند الولادة. انظر: اللسان (مخض) ٧/ ٤١٥٣.

(٤) في النسخ: (تَهين)، وفي الديوان بالنون، وفي بعض المراجع بالياء.

(٥) ديوانها ٨٤، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٦٩٩، واللسان (هون) ٨/ ٤٧٢٥، والدر المصون ٥/ ٤٣، وهو في الطبري ٧/ ٢٧٧ لعامر بن جوين الطائي، والمشهور أنه للخنساء. الكريهة الحرب، وأبقى لها؛ أي في الذكر وجميل القول. انظر: شرح ديوان الخنساء لثعلب ٤٦.

(٦) معــاني القــرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧٢، وقــال أبو عبيدة في مجــاز القــرآن ١/ ٢٠٠ واليزيدي في غريب القرآن ١٣٩، وابن قتيبة في تفســير غريــب القرآن ١٦٨، والنحاس في إعــراب القرآن ١/ ٥٦٥: «﴿عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾؛ أي الهوان»، وانظر: تفسير الطبري ٧/ ٢٧٧.

والخـــزي»[١] ، وقولـــه تعـــالى : ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ قال : «يريد : تزعمون أن الملائكـــة بناته . ﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ يريـــد : عن فرائضه والســـجود له لا تصلون»[٢] ، وقد قال رسول الله ﷺ : «مَن سجد لله سجدة بنية صادقة فقد برئ من الكبر»[٣] .

٩٤. قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ الآية . قال أهل المعاني : «هذا يكون على وجهين : أحدهما أنه على الحكايـــة أن يقال لهم في الآخرة هذا كما دلت الآية الأولى على الحكاية ، والثاني أن المعنى على الاستقبال كأنه : تجيئوننا فـــرادى إلَّا أنه جاء على لفظ الماضي ؛ لأنـــه بمنزلة ما قد كان لتحقيق الخبر به»[٤] .

---

(١) في مســـائل نافع بن الأزرق ١٣١ ، قال : «الهوان» ، وفي تنوير المقباس ٢/ ٤٣ ، قال : «الشديد» ، وفي الدر المنثور ٣/ ٥٩ عن ابن عباس ، قال : «الهوان الدائم الشديد» . اهـ .

(٢) لم أقـــف عليه ، وقـــال البغوي في تفســـير الآيـــة ٣/ ١٦٩ : «أي تتعظمون عن الإيـــمان بالقرآن ولا تصدقونه» ، وقال الرازي في تفسيره ١٣/ ٨٦ : «ذكر الواحدي أن المراد لا تصلون له ، قال ﷺ : «مَن سجد لله سجدة بنيَّة صادقة فقد برئ من الكبر» . اهـ .

(٣) ذكر الحديث صاحب كنز العمال ٧/ ٣٠٨ (١٩٠١٧) ، وعزاه إلى الديلمي من حديث ابن عباس ، ولم أقف عليه في المطبوع من مســـند الديلمي ، وقد ورد نحوه من قول جماعة من العلماء رحمهم الله تعالى ، فقد أخرج ابـــن أبي الدنيا في كتاب التواضع ٢١٧ ، ٢٢٧ ، ٢٣١ من طرق جيـــدة عن يحيى بن أبي جعدة المخزومي ، قال : «مَن وضع وجهه لله ـ عز وجل ـ ســـاجداً فقد برئ من الكِبْر» . اهـ ، وعن الحســـن البصري ، قال : «السُّـــجُود يَذْهَبُ بالكِبْر» . اهـ ، وعن يونس بن عبيد العبدي ، قال : «لا كِبْرَ مع السجود» . اهـ . وأخرج أبو نعيـــم في الحلية ٥/ ٦١ عن حبيب بن أبي ثابت الأســـدي ، قال : «مَن وضع جبينـــه لله تعالى فقد برئ من الكِبْر» . وقد ورد في فضل الســـجود أحاديث كثيرة ، منها ما أخرجه مســـلم ٤٨٨ عن ثوبان رضي الله عنه ، قال : «ســـألت النبي ﷺ عن أحب الأعمال إلى الله ، وعمل يدخلني الله به الجنة فقال : «عليك بكثرة الســـجود ، فإنك لا تسجد لله ســـجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة» . اهـ . انظر : مسند أحمد ٥/ ١٤٧ ، ١٤٨ ، ٢٧٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣ ، والدارمي ١٥٠٢ ، كتاب : الصلاة ، باب : فضل مَن سجد لله سجدة ، وابن ماجه ، كتاب : إقامة الصلاة ، باب : ما جاء في كثرة السجود ١٤٢٢ ـ ١٤٢٤ .

(٤) انظر : تفســـير الطبري ٧/ ٢٧٧ ، والماوردي ٢/ ١٤٥ ، وابن عطية ٥/ ٢٩٠ ، وابن الجوزي ٣/ ٨٨ ، والرازي ١٣/ ٨٦ ، وابن كثير ٢/ ١٨٦ .

وأمَّا ﴿فُرَادَىٰ﴾[(١)] فقال الفرَّاء : «﴿فُرَادَىٰ﴾ جمع ، قال : والعرب تقول : قوم فرادى ، وفراديا هذا ، فلا يُجْرونها[(٢)] شبهت بثُلاث ورباع . قال : وفرادى : واحدها فَرْد وفريد وفرد وفردان»[(٣)] .

وقال الليث : «الفَرْد : ما كان وحده ، يقال : فَرَد يَفْرد ، وأفردته : جعلته واحداً ، ويقال : جاء القوم فُرادى[(٤)] ، [وعددت][(٥)] الجوز [والدراهم][(٦)] أفراداً ؛ أي واحداً واحداً» .

وقال ابن قتيبة : «فرادى جمع فردان ؛ مثل : سكران وسكارى وكسلان وكسالى»[(٧)] ، وقال غيره : «فرادى جمع فريد مثل رديفٍ ورُدافَى»[(٨)] ؛ وذكرنا عن الفرَّاء هذين القولين وزيادة .

---

(١) انظر : العين ٨/ ٢٤ ، والجمهرة ٢/ ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، والصحاح ٢/ ٥١٨ ، ومقاييس اللغة ٤/ ٥٠٠ ، والمجمل (فرد) ٣/ ٧٢٠ .

(٢) قوله : فلا يجرونها ؛ أي يصرفونها .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٤٥ ، وفيه : «وفرادى واحدها فَرْد وفِرد وفريد ، وفراد للجمع ، ولا يجوز فرد في هذا المعنى» . اهـ . وأشار المحقق في الهامش إلى ورود لفظ فردان في بعض النسخ ، وكذلك جاء في تهذيب اللغة ٣/ ٢٧٦١ ، واللسان (فرد) ٦/ ٣٣٧٣ عن الفرَّاء لفظ : (فردان) .

(٤) النص في تهذيب اللغة ٣/ ٢٧٦١ ، وفيه : «جاء القوم فُراداً» بضم الفاء وفتح الراء مع التنوين . وجاء في اللسان ٦/ ٣٣٧٤ عن الليث أنه قال : «ويقال : جاء القوم فراداً وفرادى ، منوناً وغير منون ؛ أي واحداً واحداً» . اهـ

(٥) في (ش) : (وغدت) .

(٦) في (أ) : (الدرهم) .

(٧) تفسير غريب القرآن ١٦٨ ، وفيه : «فرادى فَرْد ، وكأنه جمع فردان ، كما قيل . . .» . اهـ

(٨) انظر : تفسير الطبري ٧/ ٢٧٧ ؛ ٢٧٨ ، والمفردات ٦٢٩ ، والدر المصون ٥/ ٤٤ .

وأمَّا التفسـير فقال ابـن عباس : «يريـد : بلا أهل ولا مـال ولا ولد ولا شيء قدمتموه»(١) ، وقال الحسـن : «فرادى كل واحدٍ على حدة»(٢) ، وقال ابن كيسـان(٣) : «ولقد جئتمونا مفردين ممَّا كنتم تعبدون ومن المظاهرين لكم»(٤) ، ونحو ذلك قال أبو إسحاق : «كل واحد منفرد عن شريكه في الغي وشقيقه»(٥) .

وقولـه تعالى : ﴿ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ قال ابن عبـاس : «يريد : حفاة عُرَاة كما خرجتم من بطون أمهاتكم»(٦) ، وذكر الزَّجَّاج وجهاً آخرَ تحتمله اللغة : «كما بدأناكم أول مرة ؛ أي كان بعثكم كخلقكم»(٧) .

---

(١) تنوير المقباس ٢/ ٤٤ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٨٤ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٨٨ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ١٨٢ .

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف ١٨١ أ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٨٨ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ١٨٢ .

(٣) محمد بن أحمد بن كيسان ، تقدمت ترجمته .

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف ١٨١ أ ، والواحدي في الوسيط ١/ ٨٤ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٨٨ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ٨٢ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧٣ ، وقوله : «وشقيقه» غير واضحة في الأصل وكأنها : وشفيعه .

(٦) لم أقف عليه ، وأخرجه البخاري ٦٥٢٤ ، كتاب : الرقاق ، باب : كيف الحشر ، ومسـلم ٢٨٦٠ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه سـمع النبي ﷺ يقول : «إنكم ملاقو الله مشـاة حُفاة عراة غُرْلاً» ، والمقصـود أنهم يحشرون كما خلقـوا لا شيء معهم ، ولا يفقد منهم شيء حتـى الغرلة ، وهي القلفة التي تقطع عند الختان تكون معهم . انظر : شرح مسـلم للنـووي ١٧/ ٢٨٠ـ٢٨٣ ، وفتح الباري ١١/ ٣٧٧ـ٣٨٨ .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧٣ ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٦٦ .

وقولــه تعــالى: ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾؛ أي ملكناكم، يقال: خوَّله الشيء؛ أي مَلَّكه إياه، والخَوَل[١] ما أعطى الله الإنسان من العبيد والنعم، قال أبو النجم[٢]:

كُومَ الذُّرَى مِنْ خَوَلِ الْمُخَوَّلِ[٣]

قــال ابن عباس في قوله تعــالى: ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ﴾: «يريــد: من النعيم والمــال والعبيد والربــاع[٤] والمــواشي»[٥]، ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾. قال ابن عبــاس: «يريد: شركاء لي»[٦]، و﴿شُفَعَاءَكُمْ﴾ قال المفسرون[٧]: «وذلك أن المشركين زعمــوا أنهم يعبدون الأصنام؛ لأنهم شركاء الله وشفعاؤهم عنده».

---

(١) الخول: بفتح الخاء والواو. انظر: الجمهــرة ١/ ٦٢١، والصحاح ٤/ ١٦٩٠، والمجمل ٢/ ٣٠٧، ومقاييس اللغة ٢/ ٢٣٠، والمفردات ٣٠٤.

(٢) الفضْل بن قدامة بن عبيد العِجْلي الكوفي، تقدمت ترجمته.

(٣) ديوانه ١٧٥، وهو من لاميته المشهورة في هشام بن عبدالملك، ومطلعها:

الحــمــدُ لله الــوَهُــوبِ الْمُــجْــزِلِ ... أَعْطَــى فَلَــمْ يَبْخَــلْ وَلَمْ يُبَخَّــلِ

كُومَ الـذُّرىَ مِـنْ خَـوَلِ المـخـولِ ... تَـبَـقَّـلَـتْ مِــنْ أَوَّلِ الـتَّـبَـقُّــلِ

انظر: طبقات فحول الشــعراء ٢/ ٤٧٨. كوم: جمع كوماء، وهي الناقة عظيمة الســنام، والذرى: جمع ذروة الســنام وأعلى كل شيء، والخول: مــا أعطى من النعم، والمخول (بتشــديد الواو وكسرها): الله خولهم النعم.

والشاهد في العين ٤/ ٣٠٥، والطبري ٧/ ٢٧٨، وتهذيب اللغة ١/ ٩٦٨، واللسان (خول) ٣/ ١٢٩٣.

(٤) الرِّبــاع (بالكسر): جمع الرَّبْع (بفتح الراء المشــددة وســكون الباء)، وهو المنــزل، والدار بعينها، والوطن، والموضع يرتعون فيه في الربيع. انظر: اللسان ٣/ ١٥٦٣، والقاموس (ربع) ٧١٨.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٨٤.

(٦) في تنوير المقباس ٢/ ٤٤ نحوه، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٨٩.

(٧) أخرج الطبري في تفســيره ٧/ ٢٧٩، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٥٠ بســند جيد، عن عكرمة والسُّــدِّي نحوه، وانظر: السمرقندي ١/ ٥٠٢.

وقوله تعالى : ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ قال الزَّجَّاج[(١)] : «الرفع[(٢)] أجود ، [و][(٣)] معناه : لقد تقطع وصلكم ، والنصب جائز ، والمعنى : لقد تقطع ما كنتم فيه من الشركة بينكم»[(٤)] .

قال أبو علي : «هذا الاسم يستعمل على ضربين ؛ أحدهما : أن يكون اسماً متصرفاً كالافتراق ، والآخر أن يكون ظرفاً ، والمرفوع في قراءة مَن قرأ : (بَيْنُكم) الذي كان ظرفاً ثم استعمل اسماً ، والدليل على جواز كونه اسماً قوله تعالى : ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت :٥] ، و ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف :٧٨] ، وقال[(٥)] مُهَلْهِل[(٦)] :

كَأَنَّ رِمَاحَهُمْ أَشْطَانُ بِئْرٍ ... بَعِيدٍ بَيْنُ جَالَيْهَا جَرُورِ[(٧)]

فلمَّا استعمل اسماً في هذه المواضع جاز أن يسند إليه الفعل الذي هو (تقطَّع) في قول مَن رفع» . قال : «ويدل على أن هذا المرفوع هو الذي استعمل ظرفاً ؛ لأنه لا يخلو من أن يكون الذي هو ظرف اتسع فيه ، أو يكون الذي هو مصدر ،

---

(١) في (ش) : تكرر (قال الزَّجَّاج : الرفع أجود ومعناه تقطع بينكم . . .) .

(٢) قرأ نافع والكسائي وعاصم في رواية : ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ بنصب النون ، وقرأ الباقون بالرفع . انظر : السبعة ٢٦٣ ، والمبسوط ١٧٢ ، والغاية ٢٤٥ ، والتذكرة ٢/ ٤٠٥ ، والتيسير ١٠٥ ، والنشر ٢/ ٢٦٠ .

(٣) لفظ : (الواو) ساقط من (أ) .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧٣ .

(٥) هذا الشاهد لا يوجد في الحجة لأبي علي .

(٦) مُهَلْهِل بن ربيعة التغلبي أبو ليلى ، من نجد ، شاعر جاهلي ، تقدمت ترجمته .

(٧) ليس في ديوانه ، وهو في مجاز القرآن ١/ ٢٠١ ، والكامل للمُبرِّد ١/ ٣٧٦ ، والطبري ٧/ ٢٨٠ ، والدر المصون ٥/ ٥٣ ، وبلا نسبة في مجالس الزَّجَّاجي ١١٠ ، وأمالي القالي ٢/ ١٣٢ ، وإعراب القراءات ١/ ١٦٥ ، والحجة لابن خالويه ١٤٥ ، والمحتسب ٢/ ١٩٠ ، واللسان (بين) ١/ ٤٠٣ . الأشطان : جمع شطن بالتحريك : الحبال الطويلة الشديدة الفتل ، والجال : الجانب والناحية ، والجرور : بعيدة القعر . والشاهد : بين ظرف في الأصل ، فصيَّره اسماً ورفعه .

فلا يجوز أن يكون هذا القسم ؛ لأن التقدير يصير : لقد تقطَّع افتراقكم ، وهذا خلاف القصد والمعنى [المراد][(١)] ، ألا ترى أن المراد : لقد تقطَّع وصلكم وما كنتم تتألفون عليه . فإن قلت : كيف جاز أن يكون بمعنى الوصل ، وأصله : الافتراق[(٢)] والتباين ؟ قيل : إنه لمَّا استعمل مع الشيئين المتلابسين في نحو : بيني وبينه شركة ، وبيني وبينه رحم وصداقة ، صارت لاستعمالها في هذه المواضع بمنزلة الوصلة ، وعلى خلاف الفرقة ، لهذا جاء ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ﴾ بمعنى : لقد تقطَّع وصلكم ، وحكى سيبويه : «هو أحمر بين العينين»[(٣)] ، وهذا يدل على جواز استعماله اسماً» .

فأمَّا مَن قرأ : ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ﴾ بالنصب ففيه مذهبان : أحدهما أنه أضمر الفاعل في الفعل ، ودل عليه ما تقدَّم من قوله تعالى : ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ﴾ ، ألا ترى أن هذا الكلام فيه دلالة على التقاطع والتهاجر ، فكأنه قيل : لقد تقطَّع وصلكم بينكم .

وقد حكى سيبويه أنهم قالوا : «إذا كان غداً فأتني»[(٤)] ، [فأضمر ما كانوا فيه من رخاء أو بلاء على معنى : إذا كان الرخاء أو البلاء غداً فأتني[(٥)]] ، فأضمر لدلالة الحال عليه ، وصار دلالة الحال بمنزلة جَرْي الذِّكر وتقدُّمه ،

---

(١) لفظ : (المراد) ساقط من (أ) .

(٢) هو من الأضداد ، يكون الْبَيْنُ الفراق ويكون الوصال . انظر : كتاب الأضداد لقطرب ١٣٨ ، والأضداد للأصمعي ٥٢ ، والأضداد لابن السكيت ٢٠٤ ، والأضداد لابن الأنباري ٧٥ ، وشرح القصائد لابن الأنباري ٤٣٣ .

(٣) الكتاب ١/ ١٩٥ .

(٤) "الكتاب" ١/ ٢٢٤ . هو من الأضداد ، يكون البين الفراق ويكون الوصال . انظر : كتاب «الأضداد» لقطرب ١٣٨ ، وللأصمعي ٥٢ ، ولابن السكيت ص ٢٠٤ ، ولابن الأنباري ص ٧٥ ، و«شرح القصائد» لابن الأنباري ص ٤٣٣

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) .

والمذهب الآخر من انتصاب البين : شيء يراه أبو الحسن[(١)] ، وهو أنه يذهب إلى : «أنه وإن نُصب يكون معناه معنى المرفوع لمَّا جرى في كلامهم منصوباً ظرفاً تركوه على ما يكون عليه في أكثر الكلام ، وكذلك يقول في قوله تعالى[(٢)] : ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة :٣] أنه على معنى الرفع ، وكذلك يقول في قوله تعالى : ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الجن :١١] فدون : في موضع رفع عنده»[(٣)] ، وإن كان منصوب اللفظ ، ألا ترى أنك تقول : «منَّا الصالحون[(٤)] ، ومنَّا الطالحون ؛ فترفع»[(٥)] ، وقد ذكر ابن الأنباري هذين الوجهين في علَّة النصب ، فقال : «التقدير : لقد تقطَّع ما بينكم ، فحُذِفت ما لوضوح معناها ، ونُصِبت بين على طريق المحل والصفة ، ومثله قول الشاعر :

ما بينَ عَوْفٍ وإبراهيمَ منْ نَسَبٍ ... إلَّا قرابةُ بينَ الزنجِ والرومِ[(٦)]

أراد : إلَّا قرابة ما بين الزنج والروم ، وقال آخر :

يُدِيرُونَنِي عَنْ سَالمٍ وأُدِيرُهُمْ ... وَجِلْدَةُ بَيْنَ العَيْنِ وَالأنْفِ سالِمُ[(٧)]

---

(١) سعيد بن مسعدة المجاشعي البصري الأخفش الأوسط ، تقدمت ترجمته .

(٢) في النسخ : (ويوم) ، وهو تحريف .

(٣) انظر : معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٣٧ ، والحجة لأبي علي ١/ ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٣/ ٢٦٢ ، ٥/ ٤٢٩ ، ٦/ ٢٨٥ ، وكتاب الشعر ١/ ٣٠٦ ، والمحتسب ٢/ ١٩٠ ، وفيها كلام الأخفش وشرحه .

(٤) في (أ) : (منَّا الطالحون ومنَّا الطالحون) ، وهو تحريف .

(٥) الحجة لأبي علي ٣/ ٣٥٧–٣٦١ بتصرف واختصار ، وانظر : معاني القراءات ١/ ٣٧١ ، وإعراب القراءات ١/ ١٦٤ ، والحجة لابن خالويه ١٤٥ ، والحجة لابن زنجلة ٢٦١ ، والكشف ١/ ٤٤٠ .

(٦) لم أقف على قائله ، وهو في الدر المصون ٥/ ٥١ .

(٧) البيت لأبي الأسود الدؤلي في ديوانه ٢٥٠ ، والدر المصون ٥/ ٥١ ، ولزهير في ديوانه ١٢١ ، وشرحه لثعلب ٢٥٠ ، وبلا نسبة في أمالي القالي ١/ ٥١ ، ونسب في العقد الفريد ٢/ ٢٧٣ ، ٦/ ١٣٧ إلى عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وقال البغدادي في الخزانة ٥/ ٢٧٢ ، ٢٧٣ : «هذا خطأ ، والصواب أنَّه تمثَّل به لا أنه قاله ، والبيت لزهير ، وهو ثابت في ديوانه» . اهـ

أراد : وجلـدة ما بـين العين» ، قـال : «وفيه وجه آخر ؛ وهـو : أن يكون [بـين][(١)] في موضع رفع وإن نصبت في اللفـظ ؛ لأن أصلها المحل ، فنابت عن الفاعـل المرفوع ، وأُقرَّت على أصلها من النصـب ، كما قالت العرب : قد افترُق بينَ عبدالله وزيد ، فجعلوا بين نائبـةً عن الفاعل ومقرةً على أصلها من النصب ، وقالوا أيضاً : هذا ثوب بينَ الثوبـين ، [وبينُ الثوبين][(٢)] ، فنصب بعضهم تغليباً للأصل وهو يحكم عليها بالرفع ، وأعطاها آخرون في اللفظ ما تستحقه من جهة المعنى»[(٣)] .

وأجاز الفرَّاء هذا الوجه أيضاً ، فقـال : «إذا جعل الفعل لبين ترك نصباً كما قالوا : أتاني دونك من الرجال فترك نصباً وهو في موضع رفع»[(٤)] .

وأمَّا التفسـير فقال ابن عباس في قوله تعـالى : ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ﴾ «يريد : وصلكم ومودتكم»[(٥)] ، وقال مقاتل : «﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ﴾ يعني : ما تواصلتم بينكم»[(٦)] ، وقال الحسـن : «لقد تقطَّع الأمر بينكم»[(٧)] ، وقال قتادة : «ما بينكم من الوصل»[(٨)] .

---

(١) لفظ : (بين) ساقط من (ش) ، وانظر : التبيان ١/ ٣٤٩ ، والفريد ٢/ ١٩٤ .

(٢) لفظ : (وبين الثوبين) الثانية ساقط من (ش) .

(٣) ذكره الواحدي ١/ ٨٥ ، وابن الجوزي ٣/ ٨٩ ، والرازي ١٣/ ٨٧ ، ٨٨ مختصراً .

(٤) معاني القرآن للفـرَّاء ١/ ٣٤٥ ، قال : «هو في موضع رفع لأنه صفـة . . .» ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٦٦ ، والمشكل ١/ ٢٦٢ ، والبيان ١/ ٣٣٢ .

(٥) تنوير المقباس ٢/ ٤٤ ، وذكره الواحدي في الوسـيط ١/ ٨٥ ، وأخرج الطبري في تفسيره ٧/ ٢٧٩ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٥٠ بسند جيد عن ابن عباس في الآية ، قال : «يعني : الأرحام والمنازل» ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٦٠ .

(٦) تفسـير مقاتل ١/ ٥٧٩ ، وفيه قال : «لقط تقطَّع بينكم وبين شركائكم ، يعني : من الملائكة من المودة والتواصل» . اهـ

(٧) ذكره هود الهواري في تفسيره ١/ ٥٤٦ ، والواحدي في الوسيط ١/ ٨٥ ، والسيوطي في الدر ٣/ ٦٠ .

(٨) الكتاب ١/ ٢٢٤ .

وقوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ قال ابن عباس: «ذهب عنكم ما كنتم تكذبون في الدنيا»[(١)].

٩٥. قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ الآية. قال ابن عباس في رواية عطاء: «يريد: بالنبات»[(٢)]، وقال الكلبي: «الحَب ما لم يكن له نوى كالبُر والشعير، والنوى: ما لم يكن له حَب مثل نوى التمر والخوخ وغيرهما، فَلَقهُما الله بالنبت»[(٣)].

وقال الحسن[(٤)]، وقتادة[(٥)]، والسُّدِّي[(٦)]، وابن زيد[(٧)]: «فلق الحبة عن السنبلة والنواة عن النخلة».

وقال أبو إسحاق: «أي يشق الحبة اليابسة والنواة اليابسة فيُخرج منهما ورقاً أخضرَ»[(٨)]، وقال مجاهد[(٩)] وأبو مالك: «يعني الشقين اللذين فيهما»[(١٠)]، وروي

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٨٥ من دون نسبة. انظر: تنوير المقباس ٢/ ٤٤.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٨٥، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٩٠.

(٤) ذكره هود في تفسيره ١/ ٥٤٦، والماوردي ٢/ ١٤٦، والواحدي في الوسيط ١/ ٨٥، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٧٠، وابن الجوزي ٣/ ٩٠، وذكره شيخ الإسلام في الفتاوى ١٧/ ٥٠٤ عن الحسن أنه قال: «الفلق: كل ما انفلق عن شيء، كالصبح والحَب والنوى». اهـ

(٥) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ١/ ٢١٤، والطبري ٧/ ٢٨٠، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٥١ بسند جيد، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٦١.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ٢٨٠، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٥١ بسند جيد.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ٢٨٠ بسند جيد.

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧٣.

(٩) تفسير مجاهد ١/ ٢١٩، ٢٢٠، وأخرجه الطبري ٧/ ٢٨١، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٥١ بسند جيد، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٦١.

(١٠) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ٢٨١ بسند جيد، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٦١.

عن ابن عباس[(١)]، وهو قول الضحاك ومقاتل: ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ «أي خالقهما»، ذهبوا بفالق مذهب فاطر.

قال مقاتل: «يعني خالق الحَب: البُر والشعير والذرة والحبوب كلها، ﴿وَٱلنَّوَىٰ﴾ يعني نوى كل ثمرة لها نوى الخوخ والتين والنبق والمشمش والغبيراء[(٢)] والإجاص[(٣)] وما كان من الثمار لها نوى»[(٤)].

قال الليث[(٥)]: «النَّوى نَوَى التمر وأشباهه من كُلٍّ[(٦)]، والواحدة نواة، ونَوَّت البسرة وأَنْوَت: إذا انعقدت نواتها».

وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ قال ابن عباس: «يخرج من النطفة بشراً حيّاً ثم يخرج النطفة الميتة من الحي»[(٧)]، وهو قول

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ٢٨١، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٥١ بسند ضعيف عن ابن عباس والضحاك.

(٢) الغبيراء (بضم الغين، وفتح الباء، وسكون الياء): شجرة معروفة من الفواكه، سميت بذلك للون ورقها وثمرتها. انظر: اللسان (غبر) ٦/ ٣٢٠٧.

(٣) الإجاص (بكسر الهمزة، وفتح الجيم المشدودة): فاكهة معروفة. انظر: اللسان (أجص) ١/ ٣٢.

(٤) تفسير مقاتل ١/ ٥٧٩، وانظر: تفسير الرازي ١٣/ ٩٠.

(٥) النص في العين ٨/ ٣٩٤، ونقل الأزهري في تهذيب اللغة ٤/ ٣٦٨٣ عن الليث قوله: «نَوَّت البُسرة وأَنْوَت إذا عقدت نواتها». انظر: اللسان (نوى) ٨/ ٤٥٩٠.

(٦) كذا في النسخ (من كُلٍّ)، ولعله من أُكلٍ.

(٧) ذكره النحاس في إعرابه ١/ ٥٦٦، وأخرج عنه الطبري ٧/ ٢٨٢ بسند جيد، قال: «يخرج النطفة الميتة من الحي ثم يخرج من النطفة بشراً حياً». اهـ، وأخرج عنه ابن أبي حاتم ٤/ ١٣٥٢ بسند ضعيف، قال: «﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾؛ أي يخرج النطفة بشراً». اهـ، قال: «وروي عنه أنه قال: ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾؛ أي يخرج النطفة الميتة من الرجل الحي». اهـ

الكلبي ومقاتل[١] ، قال الكلبي : «يخرج النسمة والفَرُّوجة[٢] والفرخ من النطفة والبيضة ، ثم يخرج النطفة والبيضة من الحي»[٣] .

وقـال ابن عباس في روايـة عطاء : «يخرج المؤمن مـن الكافر ، والكافر من المؤمن ، والعاصي من الطائع»[٤] ، وهو قول الحسـن[٥] ، وقال السُّدِّي : «يخرج النبات عن الحَب»[٦] ، وهذا اختيار أبي إسـحاق ، قـال : «معنى ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ : يخرج النبات الغض الطري الخضر من الحَب اليابس ، ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ ؛ [أي][٧] ويخرج الحَب اليابس من النبات الحي النامي»[٨] .

وقوله تعالى : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ قال ابن عباس[٩] : «يريد : الله وحده لا شريك له يفعل هذا فكيف [تكذبون] ؟»[١٠] .

---

(١) تفسير مقاتل ١/ ٥٧٩ ، ٥٨٠ .

(٢) الفروجة ، والفروج (بفتح الفاء ، وقد تضم وهي لغة ، وضم الراء المشـددة) : فرخ الدجاج . انظر : اللسان (فرج) ٦/ ٣٣٧٠ .

(٣) في تنوير المقباس ٢/ ٤٤ ، ٤٥ نحوه .

(٤) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٣٧٠ عن ابن عباس والحسن وعطاء ، وذكره الرازي ١٣/ ٩٢ عن ابن عباس ، وهو في الوسيط ١/ ٨٦ عن عطاء فقط .

(٥) أخرجه الطبري ٦/ ٣٠٦ ، ٣٠٨ من طرق جيدة ، وذكره ابن أبي حاتم ٤/ ١٣٥٢ عن الحسن وقتادة .

(٦) أخرجه الطبري ٧/ ٢٨٢ بسند جيد .

(٧) لفظ : (أي) ساقط من (ش) .

(٨) معاني القرآن للزَّجَّـاج ٢/ ٢٧٣ ، والآية عامة والأقوال متقاربة . قال ابن كثير ٢/ ١٧٧ : «يخبر تعالى أنه ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ ؛ أي يشقه في الثرى فتنبت منه الزروع على اختلاف أصنافها ، ولهذا فسره بقوله : ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ ؛ أي يخرج النبات الحي من الحَب والنوى الذي هو كالجماد الميت ، وقوله ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ﴾ معطوف على ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ﴾ ، وقد عبَّروا عن ذلك بعبارات كلها متقاربة مؤدية للمعنى وتشملها الآية» . اهـ بتصرف ، وانظر : السمرقندي ١/ ٥٠٢ ، وابن عطية ٥/ ٢٩٤ .

(٩) تنوير المقبـاس ٢/ ٤٥ ، وذكـره الواحدي في الوسـيط ١/ ٨٦ ، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسـيره ٤/ ١٣٥٣ بسند ضعيف ، قال : «﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ ؛ أي كيف تكذبون» .

(١٠) في (ش) : (يكذبون) بالياء .

قال الزَّجَّاج : «احتج الله عليهم بما يشاهدونه من خلقه ؛ لأنهم أنكروا البعث ، فأعلمهم أنه خلق هذه الأشياء ، وأنه قادر على بعثهم ، ثم قال : ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ ؛ أي فمن أين تصرفون عن الحق بعد هذا البيان ؟»[١] .

٩٦. قوله تعالى : ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ الآية . الفَلْق : مصدر فَلَقْتُ أفْلِق فَلْقاً ، ويقال : «سمعت ذاك من فَلْق[٢] فيه» ، ذكره ابن السكيت[٣] ، وأمَّا ﴿ٱلْإِصْبَاحِ﴾ فقال الليث[٤] : «الصُّبْح والصَّباح هما أول النهار ، وهو الإصباح أيضاً ، قال الله تعالى : ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ يعني الصبح ، وقال الشاعر :

أَفْنَى رِيَاحاً وذوي رِيَاحِ تَنَاسُخُ الإِمْسَاءِ وَالإِصْبَاحِ[٥]

يريد : المساء والصباح» ، وذكر الفرَّاء مثله في الإصباح[٦] ، وقال الزَّجَّاج : «الإصباح والصبح واحد»[٧] . وأمَّا التفسير فقال كثير من أهل التفسير في قوله

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧٣ .

(٢) من فَلْق : بفتح الفاء ، وقد تكسر . انظر : العين ٥/ ١٦٤ ، والجمهرة ٢/ ٩٦٥ ، والصحاح ٤/ ١٥٤٤ ، والمجمل ٣/ ٧٠٥ ، والمفردات ٦٤٥ ، واللسان (فلق) ٦/ ٣٤٦٢ .

(٣) إصلاح المنطق ١٩ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٨٢٩ ، وانظر : تهذيب إصلاح المنطق ١/ ٨٥ .

(٤) تهذيب اللغة ٢/ ١٩٦٩ ، وانظر : العين ٣/ ١٢٦ ، والجمهرة ١/ ٢٧٩ ، والصحاح ١/ ٣٧٩ ، ومقاييس اللغة ٣/ ٣٢٨ ، والمجمل ٢/ ٥٤٨ ، والمفردات (صبح) ٤٧٣ .

(٥) لم أعرف قائله ، وهو في تهذيب اللغة ٢/ ١٩٦٩ ، والكشاف ٢/ ٣٧ ، والرازي ١٣/ ٩٨ ، واللسان (صبح) ٤/ ٢٣٨٨ ، (البحر) ٤/ ١٨٥ ، والدر المصون ٥/ ٥٩ . الإمساء والإصباح بالكسر مصدر ، وبالفتح جمع مُسى وصُبْح ، وجاء عند الأزهري (رباحاً ، ورباح) بالباء بدل الياء .

(٦) هذه عبارة الأزهري في التهذيب ٢/ ١٩٦٩ ، وقال الفرَّاء في معاني القرآن ١/ ٣٤٦ : «والإصباح مصدر أصبحنا إصباحاً ، والإصباح صُبح كل يوم بمجموع» . اهـ ، ونحوه ذكر الأخفش في معاني القرآن ٢/ ٢٨٢ .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧٤ .

تعالى : ﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ ﴾ : «شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده»(١) ، ولا أدري كيف قالوا هذا ؛ فإن الليل يشق عن عمود الصبح لا الصبح عن الليل(٢) .

[وأمَّا](٣) ابن عباس(٤) والمحققون(٥) فقالوا في قوله تعالى : ﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ ﴾ : «أي خالق الإصباح كل يوم جديد» .

وقال الكلبي : «﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ ﴾ : خالق الصباح كل يوم»(٦) .

وقال أبو إسحاق : «﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ ﴾ جائز أن يكون خالق الإصباح ، وجائز أن يكون معناه : شاقّ الإصباح ، وهو راجع إلى معنى خالق»(٧) ، وقال في سورة الفلق : «الفلق الخلق ، وإذا تأمَّلت الخلق تبيَّنَ لك أن أكثره

---

(١) هذا قول الطبري في تفسيره ٧/ ٢٨٢ ، والثعلبي في الكشف ١٨١ ب ، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٧٠ ، وانظر : تفسير ابن عطية ٥/ ٢٩٥ ، والبيضاوي ١/ ١٤٥ .

(٢) قال الزمخشري في الكشاف ٢/ ٣٨ : «فإن قلت : فما معنى فلق الصبح والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح ؟ قلت : فيه وجهان : أحدهما أن يراد فالق ظلمة الصبح ، يعني : أنه على حذف مضاف . والثاني أن يراد فالق الإصباح الذي هو عمود الفجر عن بياض النهار وإسفاره . . .» . اهـ ملخصاً ، وانظر : تفسير الرازي ١٣/ ٩٨ ، والخازن ٢/ ١٦٣ .

(٣) لفظ : (الواو) ساقط من (أ) ، ولفظ : (قالوا) بعده الأولى أن يكون فقالوا .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ٢٨٣ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٥٤ بسند ضعيف عن العوفي عن ابن عباس ، قال : «خلق الليل والنهار» ، وأخرج الطبري وابن أبي حاتم بسند جيد عن ابن عباس ، قال : «يعني : بالإصباح ضوء الشمس بالنهار وضوء القمر بالليل» . اهـ

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ٢٨٣ بسند ضعيف عن الضحاك . وبه قال مقاتل في تفسيره ١/ ٥٨٠ ، والسمرقندي ١/ ٥٠٢ . انظر : الفتاوى ١٧/ ٥٠٥ . قال السمين في الدر ٥/ ٥٧ : «فسَّر بعضهم فالق هنا بمعنى : خالق . قيل : ولا يعرف هذا لغة ، وهذا لا يتلفت إليه ؛ لأن هذا منقول عن ابن عباس والضحاك ، أيضاً لا يقال ذلك على جهة التفسير للتقريب ؛ لأن الفرَّاء نقل في اللغة أن فطر وخلق وفلق بمعنى واحد» . اهـ . انظر : أيضاً البحر المحيط ٤/ ١٨٤ .

(٦) تنوير المقباس ٢/ ٤٥ .

(٧) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٢٧٤ .

عن انفــلاق»[١] ، وقد ذكرنا هذا المعنى في قولــه تعالى : ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام :٩٥] .

وقال الليــث : «الله تعالى فلق الصبح ؛ أي أبــدأه وأوضحه»[٢] ، فعلى هذا معنى قوله تعالى : ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ : مبديه وموضحه ؛ ذلك أن معنى الفلق راجع إلى الإبداء والإيضاح ؛ لأن الفلق يتضمن الإبداء[٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ السكن : معناه في اللغة ما سكنت إليه ، يريد أن الناس يســكنون في الليل ســكون الراحة ، بأن جعل الله تعالى ذلك لهم سكناً[٤] . قال ابن عباس : «يريد أن كل ذي روح يسكن فيه»[٥] ، وقال الكلبي : «يســكن فيه الخلق ويرجعون إلى أوطانهم»[٦] ، وهو مثل قوله تعالى : ﴿هُوَ[٧] ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ [يونس :٦٧] .

واختلف القرَّاء[٨] في قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ﴾ ، فقرأ الأكثرون (جَاعِلُ) بالألف ؛ لأن قبله اسم فاعل وهو [قوله][٩] : ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ﴾ ، و﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ .

---

(١) معاني الزَّجَّاج ٥/ ٣٧٩ .

(٢) النص في العين ٥/ ١٦٤ .

(٣) في (ش) : (الابتداء) ، وهو تحريف ، وانظر : المفردات ٦٤٥ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٧/ ٢٨٣ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٨٧ .

(٧) جاء في النسخ : (وهو الذي) بالواو ، وهو خطأ واضح .

(٨) قرأ عاصم وحمزة والكســائي ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ﴾ بفتح العين واللام من غير ألف بينهما على أنه فعل ماض و(الليل) ، بالنصب على أنــه مفعول به ، وقرأ الباقون : (جاعِلُ الليــلِ) بالألف وكسر العين ورفع الــلام ، و(الليلِ) بالخفض على الإضافة . انظر : الســبعة ٢٦٣ ، والمبســوط ١٧٢ ، والغاية ٢٤٥ ، والتذكرة ٢/ ٤٠٥ ، والتيسير ١٠٥ ، والنشر ٢/ ٢٦٠ .

(٩) لفظ : (قوله) ساقط من (ش) .

و(جاعل) هاهنا حسن ليكون المعطوف [مثل المعطوف][(١)] عليه، ألا ترى أن حكم الاسم أن يعطف على اسم مثله؛ لأن الاسم بالاسم أشبه من الفعل بالاسم، وقرأ أهل الكوفة: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ﴾؛ لأن اسم الفاعل الذي قبله بمعنى الماضي، فلمَّا كان فَاعِلٌ بمنزلة فَعَلَ في المعنى عطف عليه فعل؛ لموافقته له في المعنى، ويدلك على أنه بمنزلة فَعَلَ أنه نزل منزلته في ما عُطِفَ عليه، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ [الأنعام:٩٦]، ألا ترى أنه لمَّا كان المعنى فَعَلَ في (جاعل) حمل المعطوف على ذلك، فنصب (الشَّمْسَ [والْقَمَرَ][(٢)][(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗا﴾ قال ابن عباس: «يريد بحساب»[(٤)] مثل ما قال في سورة يونس ﴿لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَ﴾ [يونس:٥]، وقال الكلبي: «منازلهما بحساب لا يُجاوزانه حتى ينتهيا إلى أقصى منازلهما»[(٥)].

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٢) لفظ (القمر) مكرر في (أ).

(٣) ما تقدَّم قول الفارسي في الحجة ٣/ ٣٦١-٣٦٣، وانظر: معاني القراءات ١/ ٣٧٢، وإعراب القراءات ١/ ١٦٥، والحجة لابن خالويه ١٤٦، والحجة لابن زنجلة ٢٦٢، والكشف ١/ ٤٤١.

(٤) ذكره النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٦١، والقرطبي في تفسيره ٧/ ٤٥، وأخرج الطبري في تفسيره ٧/ ٢٨٤، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٥٤ بسند جيد عن ابن عباس، قال: «يعني: عدد الأيام والشهور والسنين». وعلى هذا يراد بالحسبان: الحساب، وهو قول الجمهور، كما ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٩١.

(٥) ذكره السمرقندي ١/ ٥٠٣.

وروى شيبان[(١)] عن قتادة قال: «[يدوران][(٢)] في حساب»[(٣)]. وأمَّا معنى الحساب فإن العروضي[(٤)] والقرشي[(٥)] أخبراني عن الأزهري قال: أخبرني المنذري[(٦)] عن أحمد بن يحيى، أنه حكى عن الأخفش أنه قال: «معناه: بحسابٍ، فحذف الباء»[(٧)]، والكلام مختصر تقديره: وجعل الشمس والقمر يجريان بحساب كقوله: ﴿لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء:٦١]؛ أي من طين، وقال ثعلب: «﴿حُسْبَانًا﴾ مصدر كما تقول: حَسَبْتُه أَحْسُبُه حُسْباناً وحِسَاباً»[(٨)]، وأنشد أبو عبيد عن أبي زيد:

على اللهِ حُسْباني إذا النَّفْسُ أَشْرَفَتْ ... على طَمَعٍ أَوْ خافَ شيئاً ضَمِيرُها[(٩)]

وجعله الأخفش[(١٠)] جمع حِسَابٍ، وهو قول أبي الهيثم[(١١)]: «الحُسبان جمع حساب مثل: رِكَابٍ ورُكْبَانٍ، وشِهَابٍ وشُهْبَانٍ، وكذلك أَحْسِبَة مثل:

---

(١) شَيْبان بن عبدالرحمن التميمي مولاهم أبو معاوية البصري، نزل الكوفة، إمام ثقة، محدث، نحوي مقرئ، أكثر عن قتادة والحسن وغيرهما، توفي سنة ١٦٤هـ. انظر: الجرح والتعديل ٤/ ٣٥٥، وتاريخ بغداد ٩/ ٢٧١، وإنباه الرواة ٢/ ٧٢، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٤٠٦، وتهذيب التهذيب ٢/ ١٨٤.

(٢) في (أ): (تدوران)، وهو تحريف.

(٣) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢١٤، والطبري ٧/ ٢٨٤، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٥٤ بسند جيد من طريق معمر عن قتادة، ولم أقف عليه من طريق شيبان عن قتادة.

(٤) أبو الفضل أحمد بن محمد الصفار، تقدمت ترجمته.

(٥) أبو عثمان سعيد بن العباس الهروي، تقدمت ترجمته.

(٦) أبو الفضل محمد بن أبي جعفر الهروي، تقدمت ترجمته.

(٧) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٢٨٢، وتهذيب اللغة ١/ ٨١١.

(٨) تهذيب اللغة ١/ ٨١٠. انظر: العين ٣/ ١٤٨، والجمهرة ١/ ٢٧٧، والصحاح ١/ ١٠٩، والمجمل ١/ ٢٣٣، ومقاييس اللغة ٢/ ٥٩، والمفردات (حسب) ٢٣٢.

(٩) لم أقف على قائله، وهو في تهذيب اللغة ١/ ٨١٠، واللسان (حسب) ٢/ ٨٦٥، والدر المصون ٥/ ٦٤.

(١٠) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٢٨٢.

(١١) خالد بن يزيد الرازي، تقدمت ترجمته.

شِـهَاب وأَشْـهِبَةٍ»[١] ، وهو قول أبي عبيـدة[٢] والمُبرِّد[٣] ذَكَـرا ذلك في قوله تعالى : «[الشَّـمسُ][٤] وَالقَمَرُ بِحُسْبَانٍ» [الرحمن :٥] ، ومَن جعل الحسبان مصدراً جعله كالرجحان والنقصان[٥] .

فأمَّا نصـب ﴿ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ فقال أبو إسـحاق : «النصـب على تأويل وجعـل الشـمس والقمـر ؛ لأن في ﴿جَاعِلُ﴾ معنـى جعـل ، وبـه نصبت ﴿سَكَنًا﴾ ، كـما تقول : هو معطي زيدٍ درهماً ، فنصب الدرهم محمول على تأويل أعطى»[٦] ، ونحو هذا قـال أبو علي[٧] . قال الفرَّاء : «الليـل في قوله (وَجَاعِلُ اللَّيْلِ) في موضع نصب في المعنى ، فرُدَّ ﴿ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ على معناه لمَّا فرَّق بقوله ﴿سَكَنًا﴾ ، فإذا لم تفرق بينهما بشيء آثـروا الخفض ، وقد يجوز أن ينصب وإن لم يحِلَّ بينهما بشيء»[٨] ، وأنشد :

بَـيْـنَـا نَـحْـنُ نَنظُره أَتَـانَـا ... مُعَلِّـقَ شِـكوةٍ وزِنَـادَ رَاعِ[٩]

---

(١) تهذيب اللغة ١/ ٨١١ ، وفيه قال : «الحسبان جمع حساب ، وكذلك أَحْسِبَةٌ مثل شِهاب وأَشْهِبَة» . اهـ
(٢) مجاز القرآن ١/ ٢٠١ ، ٢/ ٢٤٢ ، وانظر : أدب الكاتب ٦٧ ، والزاهر ٢/ ٧٦ .
(٣) ذكره السمين في الدر ٥/ ٦٤ ، وهو اختيار الطبري في تفسيره ٧/ ٢٨٥ .
(٤) في (ش) : (والشمس) ، وهو تحريف .
(٥) انظر : إعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٦٧ ، والدر المصون ٥/ ٦٤ .
(٦) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧٤ .
(٧) الحجة لأبي علي ٣/ ٣٦٣ .
(٨) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٤٦ ، وانظر : مجاز القرآن ١/ ٢٠١ .
(٩) الشاهد لنُصَيْب الأسود ، شاعر أموي في ديوانه ١٠٤ ، ولرجل من قيس عيلان في الكتاب ١/ ١٧٠ ، ١٧١ ، وبلا نسبة في المحتسب ٢/ ٧٨ ، وسر صناعة الإعراب ١/ ٢٣ ، والصاحبي ٢١٢ ، وأمالي ابن الحاجب ٢/ ٧٤ ، ورصف المباني ١٠٥ ، واللسان (بين) ١/ ٤٠٥ ، وللبيت روايات مختلفة . الشكوة : وعاء لتبريد الماء ، والزناد : ما تقدح به النار . والشـاهد : نصب زناد حملاً على موضع شكوة . انظر : شرح شواهد المغني ٢/ ٧٩٨ ، والخزانة ٧/ ٧٤ .

وقـد شرح ابن الأنباري هذا فقال : «العرب قد تجري اسـماً على الخفض ثم تعطـف عليه منصوباً ، وكذلك يقدِّمون المنصوب ثم يعطفون عليه المخفوض في باب فاعل ، فيقولون : هو ضارب عبدالله في الدار ومحمداً ، وهو ضارب عبدالله في الـدار ومحمدٍ ، إذا نصبوا بعد الخفض قـدَّروا أن المعطوف عليه منصوب وأن الفاعل منوَّن ، وذلك أن قولنا : هو ضارب عبدالله يجري مجرى ضارب عبدالله ، وإذا خفضوا بعد النصب قدَّروا أن المنصوب مخفوض وأن الاسم المبني على فاعل لا تنوين فيه ، وأنشد :

فـبَيْنَـا نَـحْـنُ نَنظُـره أَتَـانَـا مُعَلِّـقَ شِـكوةٍ وزِنَـادَ رَاعِ

فحمل على تأويل النصب أراد : معلقاً شِكوةً ، وقال امرئ القيس :

فَظَلَّ طُهَاةُ اللَّحْمِ [مِنْ بَيْنِ][1] مُنْضِجٍ
صَفِيفَ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعَجَّلِ[2]

فخفض القدير وهو نسـق على الصفيف تقديراً أن الصفيف مخفوض ، كأنه قال : من بين منضج صفيف»[3] .

---

(١) في (ش) : (ما بين) ، وهي رواية للبيت .

(٢) الشاهد في ديوانه ١٢٠ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٤٦ ، وجمهرة اللغة ٢/ ٩٢٩ ، والاشتقاق ٢٣٣ ، واللسـان (صفف) ٤/ ٢٤٦٣ . الطهاة : الطباخون ، وصفيف شواء : شرائح لحم مشوي ، وقدير : مطبوخ في قدْر . انظر : شرح المعلقات للنحاس ١/ ٤١ .

(٣) انظر : شرح القصائد السـبع لابن الأنباري ٩٧ ، ٩٨ ، وفي معـاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٤٦ ، والجمل للزَّجَّاجـي ٨٤ ، ٨٥ نحوه . قال مكي في المشـكل ١/ ٢٦٣ : «﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ﴾ انتصبا عطفاً على موضـع (الليل) لأنه في موضع نصب وقيل : على تقدير وجعل . وأمَّا على قراءة ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ﴾ فهو عطف على اللفظ والمعنـى» . اهـ . انظر : البيان ١/ ٣٣٢ ، والتبيـان ١/ ٣٤٩ ، والفريد ٢/ ١٩٨ ، والدر المصون ٥/ ٦١ .

وقوله تعـــالى : ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ قال ابن عباس : «يريد : الذي قدَّر الأقـــوات في كل زمان وما يصلح فيه»(١) ، وقال المفسرون : «يعني : ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ : في ملكه يصنع ما أراد ، ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ : بما قدَّر من خلقهما»(٢) .

٩٨. قوله تعـــالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ ، قـــال ابن عباس : «يريـــد : آدم»(٣) ، ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ : قال ابن الأنباري : «أي أراد : فلكم مســـتقر ومســـتودع ، وبهذا الإضمار يحســـن اتصال هذا الكلام بما قبله وحســـن الإضمار لأن الفاء يغلب على مـــا بعدها الاتصال بما يســـبقها ، فحذف ما يحذف بعد الفاء ؛ إنما هو لدلالة الذي قبلها عليه للمواصلة ، كقول العرب : إن تزرني فمحســـن ، وإن قصدتني فبار ، وهم يريدون : فأنت بار ، فيحذفون لوضوح المعنى»(٤) .

وأمَّا تفســـير المســـتقر والمســـتودع فقال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد : مستقر في الأرحام ومســـتودع في الأصلاب»(٥) ، وهذا التفسير على القراءتين(٦) في المستقر ، وقال في رواية سعيد بن جبير : «المستقر ما في الرحم ، والمستودع ما في الصلب»(٧) ، وهذا على قراءة مَن كسر القاف .

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١/ ٥٨٠ ، والطبري ٧/ ٢٨٥ ، والسمرقندي ١/ ٥٠٣ .

(٣) ذكره السيوطي في الدر ٣/ ٦٦ ، وذكره ابن أبي حاتم ٤/ ١٣٥٥ عن أكثرهم .

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٨٨ بلفظ : «أي فلكم مستقر ومستودع» فقط ، والباقي لم أقف عليه .

(٥) لم أقف عليه من رواية عطاء ، وهو في تفســـير عطاء الخراســـاني ٨٨ من قولـــه ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ٢٨٩ بسند جيد عن عطاء فقط .

(٦) قرأ ابن كثير وأبو عمرو : (فمُسْـــتَقِر) بكسر القاف وفتحها الباقون . انظر : السبعة ٢٦٣ ، والمبسوط ١٧٢ ، والغاية ٢٤٦ ، والتذكرة ٢/ ٤٠٥ ، والتيسير ١٠٥ ، والنشر ٢/ ٢٦٠ .

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ٢٨٧ ، ٢٨٨ من طرق عدة جيدة ، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٣١٦ ، قال : «هذا حديث صحيح على شرط الشـــيخين ولم يخرجاه» ، ووافقه الذهبي في التلخيص ، وذكره ابن حجر في فتح الباري ٨/ ٢٨٩ ، قال : «أخرجه سعيد بن منصور عن ابن عباس بإسناد صحيح» .

وقال كريب[١] : «كتب حبر تيماء[٢] إلى ابن عباس يسأله عن هذه ، فكتب إليه المستودع : الصلب ، والمستقر : الرحم ، ثم قرأ : ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ [الحج :٥]»[٣] ، وهذا التفسير على قراءة مَن فتح القاف ، وقال في رواية العوفي : «كل مخلوق قد فرغ من خلقه فهو المستقر ، والمستودع : ما في أصلاب الرجال الذي الله خالقه»[٤] ، ونحو هذا روى عكرمة عنه ، قال : «المستقر : الذي قد خُلق واستقر في الرحم ، والمستودع : الذي قد استودع في الصلب مما لم يخلق بعد»[٥] ، وقال الوالبي[٦] والضحاك عنه : «المستقر في الرحم ، والمستودع ما استودع في أصلاب الرجال والدواب»[٧] .

وقال سعيد بن جبير : «﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ في بطون الأمهات ، ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ : في أصلاب الآباء» ، قال : «وقال لي ابن عباس : أتزوجتَ يا ابن جبير ؟ قلت : لا ،

---

(١) كريب بن أبي مسلم ، أبو رشدين المدني ، الهاشمي ، مولى ابن عباس ، تابعي ، إمام ثقة ، موصوف بالخير والديانة ، لازم ابن عباس رضي الله عنهما ، وكان عنده عنه حمل بعير من الكتب ، توفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ٩٨هـ . انظر : طبقات ابن سعد ٥/ ٢٩٣ ، والجرح والتعديل ٧/ ١٦٨ ، وتهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٦٦ ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٧٩ ، وتهذيب التهذيب ٣/ ٤٦٨ .

(٢) تَيْماء : بالفتح والمد ، بلد في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى . انظر : معجم البلدان ٢/ ٦٦ .

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٨٨ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ٢٨٩ بسند ضعيف ، وفيه قال : «المستقر : الرحم ، ثم قرأ : ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ [الحج :٥] ، وقرأ ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ﴾ [البقرة :٣٦] ، قال : مستقرة فوق الأرض ، ومستقرة في الرحم ، ومستقرة تحت الأرض ، حتى يصير إلى الجنة أو إلى النار» . اهـ

(٤) أخرج الطبري في تفسيره ٧/ ٢٨٩ بسند ضعيف عن العوفي عن ابن عباس ، قال : «المستقر في الأرحام ، والمستودع في الصلب لم يُخلق وهو خالقه» . اهـ

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ٢٩٠ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٥٥ عن عكرمة عن ابن عباس .

(٦) علي بن أبي طلحة ، والأثر عنه أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ٢٨٩ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٥٧ بسند جيد .

(٧) لم أقف عليه من رواية الضحاك ، وقد أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ٢٨٩ بسند ضعيف عن الضحاك من قوله . وقال ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٥٧ ، روى عن الضحاك عن ابن عباس ، قال : «المستودع : المكان الذي تموت فيه» . اهـ

وما أريد ذلك يومي هذا . قال : فضرب ظهـــري ، وقال : أمَا إنَّه مع ذاك ما كان من مستودع في ظهرك فسيخرج»[١] .

وأكثـر أهل التفسـير والمعـاني على أن المسـتقر والمسـتودع في الأصلاب والأرحام[٢] وقد أحسـن أبو علي شرح الحرفين كل الإحسان ، مع ذكر اختلاف القراءتين في المسـتقر ، فقال : «قال سـيبويه : قالوا : قرَّ في مكانه واسـتقر[٣] ، فمَن كسر القاف كان المسـتقر بمعنى : القــارّ ، وإذا كان كذلك وجب أن يكون خبره المضمر منكم ؛ أي منكم مسـتقر ، كقولك : بعضكم مسـتقر ؛ أي مستقر في الأرحـام ، ومَن فتح القــاف فليس على أنه مفعول به ، ألا ترى أن اسـتقر لا يتعدى ، وإذا لم يتعد لم يُبْنَ منه اسـم مفعولٍ به ، وإذا لم يكن مفعولاً به كان اسم مكان ، فالمستقر بمنزلة المقرِّ ، كما كان المستقر بمنزلة القارِّ ، وإذا كان كذلك لم يجز أن يكون خبره المضمر منكـم ، كما جاز ذلك في قول مَن كسر القاف ، فإذا لم يجز ذلك جعلت الخبر المضمر لكم ، فيكون التقدير : لكم مَقَرٌّ .

فأمَّا المسـتودع فإنَّ اسـتودع فعـلٌ يتعـدى إلى مفعولين ، [تقـول][٤] : اسـتودعت زيداً ألفاً ، وأودعت مثله ، فاسـتودع مثل أَوْدَع ، كما أن اسـتجاب بمنزلة أجاب ، فالمسـتودع يجوز أن يكون الإنسـان الذي استودع ذلك المكان ، ويجوز أن يكون المكان نفسـه ، فمَن قرأ (فَمُسـتقَر) بفتح القاف جعل المستودع

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، والواحدي في الوسيط ١/ ٨٨ من طرق عدة جيدة .

(٢) قـال النحاس في إعراب القرآن ١/ ٥٦٨ : «أكثر أهل التفسـير يقولون : المسـتقر ما كان في الرحم ، والمسـتودع ما كان في الصلب» ، وهو قول الفرَّاء في معاني القرآن ١/ ٣٤٧ ، ونحوه قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٢٠١ ، واليزيدي في غريب القرآن ١٤٠ ، وابن قتيبة في تفسـير غريب القرآن ١٥٧ . قال ابن كثير في تفسيره ٢/ ١٧٨ : «وهذا القول أظهر والله أعلم» ، وانظر : تفسير ابن عطية ٥/ ٢٩٨ ، والقرطبي ٧/ ٤٦ .

(٣) الكتاب ٤/ ٧٠ .

(٤) في (ش) : (يقول) بالياء .

مكاناً ليكون مثل المعطوف عليه ؛ أي فلكم مكان استقرار ، ومكان استيداع ، ومَن قرأ (فمستقِر) فالمعنى : منكم مستقر في الأرحام ، ومنكم مستودع في الأصلاب ، فالمستودع اسم المفعول به ليكون مثل المستقر في أنه اسم لغير المكان»[١] .

٩٩. قوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ قال ابن عباس : «يريد : المطر الذي ينزل ، ليس من نقطة إلَّا ومعها مَلك»[٢] .

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ يعني : بالمطر ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ ذَكَر الفرَّاء فيه قولين : «أحدهما يقول : رِزْقُ كل شيء ، يريد : ما ينبت مما يصلح غذاء لكل شيء ، قال : وكذا جاء التفسير ، وهو وجه الكلام ، قال : وقد يجوز في العربية أن [تضيف][٣] النبات إلى ﴿كُلِّ شَىْءٍ﴾ وأنت تريد بكل شيء النبات أيضاً ، فيكون مثل قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ [حَقُّ][٤] ٱلْيَقِينِ﴾ [الواقعة :٩٥] واليقين هو الحق»[٥] .

(١) الحجة لأبي علي ٣/ ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، وانظر : معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٤٧ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧٤ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٦٨ ، ومعاني القراءات ١/ ٣٧٣ ، وإعراب القراءات ١/ ١٦٦ ، والحجة لابن زنجلة ٢٦٢ ، والكشف ١/ ٤٤٢ .

(٢) ذكره الرازي ١٣/ ١٠٧ عن الواحدي .

(٣) في (ش) : (يضيف) .

(٤) في (ش) : (الحق) ، وهو تحريف واضح .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٤٧ ، وعلى القول الأول يكون النبات مخصوصاً بالمتغذى به ، وعليه تكون الإضافة إضافة بين متباينين ؛ إذ يصير المعنى : غذاء كل شيء أو رزقه ، وعلى القول الثاني : يكون النبات عاماً في كل ما يتغذى بالماء من الحيوان والنبات ، وعليه تكون الإضافة راجعة في المعنى إلى إضافة شبه الصفة لموصوفها ، والمعنى : أخرجنا به كل شيء منبت ؛ لأن النبات بمعنى المُنبت . أفاد ذلك السمين في الدر ٥/ ٦٧ ، ٦٨ ، وانظر : تفسير الطبري ٧/ ٢٩٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٥٦٨ .

وقوله تعالى : ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ قال أبو إسحاق : «معنى خَضر كمعنى أَخْضَر ، يقال : اخْضَرَّ فهو أخضَرُ وخَضِرٌ ، مثل اعْوَرَّ فهو أَعْوَرُ وعَورٌ»(١) ، وقال غيره : «ومثله نَمِرَ بمعنى : أنمر ، تقولَ العرب : أَرِنيهَا نَمِرَةً أُرِكَهَا مَطِرَةً»(٢) .

وقال الليث : «الخضر في كتاب الله هو الزرع ، وفي الكلام كل نبات من الخُضر»(٣) . قال ابن عباس : «يريد : القمح والسلت(٤) والشعير والذرة والأرز»(٥) ، ويعني بهذا : ما كان رطباً أخضرَ مما ينبت من هذه الحبوب .

وقوله تعالى : ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ يعني : من الخضر نخرج ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ بعضه على بعض في سنبلة واحدة(٦) .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧٥ ، وانظر : غريب اليزيدي ١٤٠ .

(٢) هذا مثل قائله أبو ذؤيب الهذلي كما في اللسان (نمر) ٨/ ٤٥٤٥ ، وهو بلا نسبة في العين ٨/ ٢٧١ ، ومعاني القرآن للأخفش ٢/ ٢٨٣ ، والجمهرة ٢/ ٨٠٢ ، والطبري ٧/ ٢٩٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٦٨ ، والصحاح (خضر) ٢/ ٦٤٧ . نمرة (بفتح النون ، وكسر الميم) : السحابة التي فيها سواد وبياض ، وهو مثل يضرب في صحة مخيلة للشيء وصحة الدلالة عليه ، وإذا رأيت دليل الشيء علمت مما يتبعه . انظر : جمهرة الأمثال ١/ ٤٩ ، ومجمع الأمثال ١/ ٣٠٦ ، والمستقصى ١/ ١٤٤ .

(٣) النص في العين (خضر) ٤/ ١٧٥ ، وفي التهذيب (خضر) ١/ ١٠٤٤ . قال الليث : «الخَضِر في هذا الموضع الزرع الأَخْضَرُ» . اهـ . انظر : مقاييس اللغة ٢/ ١٩٥ ، والمفردات ٢٨٥ ، واللسان (خضر) ٢/ ١١١٢ .

(٤) السُّلْت (بالضم) : ضرب من الشعير أبيض لا قشر له . انظر : اللسان (سلت) ٤/ ٢٠٥٩ .

(٥) قوله : (الأرز) غير واضح في (أ) ، والأثر ذكره الرازي في تفسيره ١٣/ ١٠٨ ، والقرطبي ٧/ ٤٨ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٧/ ٢٩٢ ، والسمرقندي ٣/ ٥٠٣ .

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ﴾ قال أبو عبيد: «أَطْلَعَت النخلة إذا أخرجت طَلْعَها، وطَلْعُها كُفُرَّاها[1] قبل أن ينشق عن الإغريض[2]، والإغريض يسمى طَلْعاً أيضاً، قال: والطلع أول ما يرى من عذق النخلة، الواحدة طلعة»[3]، قال أبو زيد: «أَطْلَعَ النَّخْلُ الطَّلْعَ إطْلاعاً، وطَلَعَ الطَّلْع يَطْلعُ طُلوعاً»[4].

و﴿قِنۡوَانٞ﴾: قال الزَّجَّاج: «جمع قِنْو، مثل صِنْوٍ وصِنْوَانٍ، وإذا ثنيت القِنْو قلت: قِنْوانِ، بكسر النون»[5].

---

(١) كُفُرَّاها (بضم الكاف، وتشديد الراء المفتوحة، وفتح الفاء أو ضمها): وعاء الطلع، وقشره الأعلى. انظر: اللسان (كفر) ٧/ ٣٩٠١.

(٢) الإغريض (بكسر الهمزة، وسكون الغين): كل أبيض مثل اللبن، والطلع حين ينشق عنه كافوره. انظر: اللسان (غرض) ٦/ ٣٢٤٢.

(٣) النص عن أبي عبيد في الدر المصون ٥/ ٧٤، ونقله الرازي في تفسيره ١٣/ ١٠٨ عن الواحدي عن أبي عبيدة، والنص عند الأزهري في تهذيب اللغة ٣/ ٢٢٠٨ عن أبي زيد، وقوله: «والطلع أول ما يرى» في التهذيب من قول المفضل الضبي.

(٤) تهذيب اللغة ٣/ ٢٢٠٦، وانظر: العين ٢/ ١٢، والجمهرة ٢/ ٩١٥، والصحاح ٣/ ١٢٥٤، والمجمل ٢/ ٥٨٥، واللسان (طلع) ٥/ ٢٦٩١.

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧٥، وفيه: «والقنو: العذق، بكسر العين». اهـ، ونحوه ذكر الأخفش في معاني القرآن ٢/ ٢٨٣، قال: «وواحد القِنْوان قِنو، وكذلك الصنوان واحدها صِنو». اهـ، وقال النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٦٣: «القنوان: العذُوق عند أكثر أهل اللغة».

قال أبو عبيدة : « ثم جاء جمعه على لفظ الاثنين مثل صنو وصنوان ، والإعراب في النون للجمع ، وليس لهما في كلام العرب نظير»[١] . قال امرؤ القيس[٢] :

فَأَثَّتْ أَعَالِيهِ وآدتْ أُصُولُهُ وَمَالَ بِقِنْوانٍ مِنَ البُسْرِ أَحْمَرَا

قال أبو علي : «الكسرة التي في (قنوان) ليست التي كانت في قنو ، لأن تلك قد حذفت في التكسير ، وعاقبتها الكسرة التي [يجلبها التكسير ، وكذلك التي[٣]] في هجان[٤] ، وأنت تريد الجمع ليست الكسرة التي كانت في الواحد ، ولكنه مثل الكسرة في ظراف[٥] إذا جمعت عليه ظريفاً»[٦] ، وقد ذكرنا مثل هذا في الفُلك في [البقرة :١٦٤] ، ونظير هذا مما يوضحه الضمة التي في آخر مَنْصُور على قول مَن قال : يا جارُ[٧] ليست التي كانت فيه في قول مَن قال : يا جارِ[٨] . قال ابن عباس : «يريد : العراجين[٩] التي قد تدلَّت من الطلع ،

---

(١) انظر : مجاز القرآن ١/ ٢٠٢ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٦٨ .

(٢) ديوانه ٦٠ ، والطبري ٧/ ٢٩٣ ، وتهذيب اللغة (قنا) ٣/ ٣٠٥١ ، والماوردي ٢/ ١٤٩ ، وابن الجوزي ٣/ ٩٣ ، واللسان (قنا) ٦/ ٣٧٦٢ ، والبحر ٣/ ٤٤٣ ، والدر المصون ٥/ ٧٢ ، وفي الديوان :

سَوامقَ جَبَّارٍ أثيثٍ فرُوعُهُ وعالَينَ قِنْواناً مِنَ البُسْرِ أَحْمَرا

السوامق : العاليات ، والجبار : الذي فات الأيدي فلم تنله ، والأثيث : الكثير الملتف بعضه على بعض ، وآدت : تثنَّت ومالت .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) .

(٤) الهجان (بكسر الهاء) : من الإبل البيض الكرام الخالصة اللون . انظر : اللسان (هجن) ٨/ ٤٦٢٦ .

(٥) في (ش) : (في طراف إذا جمعت عليه طريفاً) بالطاء المهملة ، ولعله تصحيف .

(٦) انظر : كتاب الشعر لأبي علي ١/ ١٢٠ ، والدر المصون ٥/ ٧٢ .

(٧) يعني : بالضمة ، أفاده السمين في الدر ٥/ ٧٢ ، حين نقل قول الواحدي .

(٨) يعني : بالكسرة ؛ أي إننا حين نرخم منصوراً بقولنا : منصُ ، فإن الضمة فيه على لغتي الترخيم : مَن ينتظر ، ومَن لا ينتظر ، تختلف الواحدة منهما عن الأخرى في الفرض والتقدير ، أفاده أحمد الخراط في حاشية الدر المصون .

(٩) العرجون (بضم العين ، وسكون الراء) : العِذق عامة ، وقيل : هو العذق إذا يبس واعوج . انظر : اللسان (عرجن) ٥/ ٢٨٧١ .

﴿دَانِيَةٌ﴾ يريد : تدنو ممن يجتنيهـا»[(١)] ، وروي عنه أيضاً أنه قال : «يعني : قصار النخل اللاصقة عذوقها بالأرض»[(٢)] .

قال أبو إسحاق : «﴿دَانِيَةٌ﴾ ؛ أي قريبة المتناول ، قال ولم يقل : ومنها قنوان بعيدة ؛ لأن في الكلام دليلاً أن البعيدة السحيقة قد كانت غير سحيقة ، فاجتزأ بذكر القريبة عن ذكر البعيدة كما قال : ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل :٨١] ولم يقل : وسرابيل تقيكم البرد ؛ لأن في الكلام دليلاً على أنها تقي البرد ، لأن ما ستر من الحر ستر من البرد»[(٣)] .

وقوله تعالى : ﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ الوجه : كسر[(٤)] التاء ؛ لأنها في موضع نصب نسقاً على قوله (خَضِراً) ؛ أي فأخرجنا خَضِراً ﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ ، وروى الأعشى[(٥)] عن أبي بكر[(٦)] [«وجنات» رفعاً[(٧)] ، قال أبو بكر[(٨)]] ابن الأنباري : «وله مذهبان أحدهما : أن يكون الجنات مفعولة في المعنى رفعت بمضمر بعدها ،

---

(١) ذكره الرازي في تفسيره ١٣/ ١٠٨ ، وأخرج الطبري في تفسيره ٧/ ١٩٤ بسند ضعيف عن ابن عباس ، قال : «دَانِيَةٌ : تهدل العذوق من الطلع» . اهـ

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ١٩٤ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٥٨ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٦٧ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧٥ ، ونحوه ذكر النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٦٤ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٧٢ .

(٤) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢/ ٢٨٣ ، والزَّجَّاج ٢/ ٢٧٦ .

(٥) يعقوب بن محمد بن خليفة التميمي ، أبو يوسف الكوفي ، إمام عابد ، مقرئ ، تصدر للإقراء بالكوفة ، فقرأ عليه خلق كثير ، وهو من جلَّة أصحاب ابن عياش ، توفي نحو سنة ٢٠٠هـ . انظر : معرفة القرَّاء الكبار ١/ ١٥٩ ، وغاية النهاية ٢/ ٣٩٠ .

(٦) شعبة بن عياش الأسدي ، تقدمت ترجمته .

(٧) قرأ عامة القرَّاء ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾ بكسر التاء وموضعها نصب ، وروى يعقوب الأعشى وعبدالحميد البرجمي عن أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود : (وجناتٌ) بالرفع . قال النحاس في إعراب القرآن ١/ ٥٦٩ ، والقرطبي في تفسيره ٧/ ٤٩ : «وهو الصحيح من قراءة عاصم» . اهـ ، وانظر : تفسير الطبري ٧/ ٢٩٤ ، ومختصر الشواذ ٣٩ ، والمبسوط ١٧٢ ، والغاية ٢٤٦ ، والتذكرة ٢/ ٤٠٥ ، والإتحاف ٢/ ٢٤ .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) .

تأويله ﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ أخرجناها ، فجرى مجرى قول العرب : أكرمت عبدالله وأخوه ، يريدون : وأخوه أكرمته أيضاً ، ومثله [قول][1] : أكلت طعامك وطعام أخيك ، قال الفرزدق :

غَـداةَ أحلَّتْ لابْنِ أَصْرَمَ طَعْنَةٌ حُصَيْنٍ عَبيطَاتِ السَّدَائِفِ والْخَمْرُ[2]

فرفع الخَمر ، وهي مفعولة ، على معنى : والخمر أحلتها الطعنة ، والمذهب الآخر : رفع الجنات بالنسق على القنوان ؛ تغليباً لمعنى الجوار ، كما قال الشاعر :

وزَجَّجْنَ الْحَوَاجِبَ والعُيُونَا[3]

فنسق العيون على الحواجب تغليباً للمجاورة ، والعيون لا تزجج ، كما أن الجنات من الأعناب لا [يكنَّ][4] من الطلع»[5] .

وقوله تعالى : ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾ قال الفرَّاء : «يريد : شجر الزيتون ، وشجر الرمان ، كما قال : ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف :٨٢] يريد : أهلها»[6] .

---

(١) لفظ : (قول) ساقط من (ش) .

(٢) ديوانه ١/ ٣٥٤ ، والكامل ١/ ٣٧٠ ، والإنصاف ١٦٠ ، والدر المصون ٥/ ٧٦ . عبيطات : جمع عبيطة بفتح العين ، وهي السمينة الفتية ، والسدائف : جمع سديف وهو السنام .

(٣) الشاهد للراعي النميري ، شاعر أموي فحل ، في ديوانه ١٥٠ ، وتأويل مشكل القرآن ٢١٣ ، وشرح القصائد السبع لابن الأنباري ١٤٨ ، والخصائص ٢/ ٤٣٢ ، والإنصاف ٤٨٨ ، واللسان (زجج) ٣/ ١٨١٢ ، والدر المصون ٥/ ٧٧ ، وصدره :

إِذَا ما الغَانِياتُ بَرَزْنَ يَوْماً

وفي الديوان : «وهزة نشوة من حي صدق» . زججن : رققن . انظر : الزاهر ١/ ٥٢ .

(٤) في (ش) : (لا تكن) بالتاء .

(٥) ذكره السمين في الدر ٥/ ٧٦ ، ٧٧ عن ابن الأنباري ، وذكر الواحدي بعضه في الوسيط ١/ ٩٠ ، وانظر : معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٤٧ ، ومعاني القراءات ١/ ٣٧٤ ، والحجة لابن خالويه ١٤٦ ، والحجة لابن زنجلة ٢٦٤ ، والمشكل لمكي ١/ ٢٦٤ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٤٨ ، وانظر : تفسير الطبري ٧/ ٢٩٤ .

وقوله تعالى: ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ قال قتادة: «مشتبهاً ورقها مختلفاً ثمرها»[١]، وهو قول مقاتل[٢] وأكثر المفسرين[٣]، وقال الزَّجَّاج: «أي شجره، يشبه بعضه بعضاً ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ في الطعم»[٤].

وقوله تعالى: ﴿انظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾ قال عبدالعزيز بن يحيى: «نظر الاستدلال والعبرة»[٥]، وقال أبو روق: «اعتبروا واتعظوا»[٦]، ﴿إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾. قال الفرَّاء: «يقول: انظروا إليه أول ما يعقد»[٧]، والثمر: جمع ثمرة مثل: بقرة وبقر، وشجرة وشجر، وجزرة وجزر، وقد كسروها على فِعال، كما قالوا: أكمة وأكام، ورقبة ورقاب[٨].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ٢٩٤، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٥٩ بسند جيد، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٦٧.

(٢) تفسير مقاتل ١/ ٥٨١.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٧/ ٢٩٤، والسمرقندي ١/ ٥٠٣، والماوردي ٢/ ١٤٩، وابن عطية ٥/ ٣٠١، وابن الجوزي ٣/ ٩٤، والقرطبي ٧/ ٤٩.

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧٦، وفيه: «أي في الطعم وفيه ما يشبه طعم بعضه طعم بعض». انظر: معاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٦٤.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٩١ من دون نسبة. انظر: تفسير ابن عطية ٦/ ١١٩، والقرطبي ٧/ ٤٩.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٤٨.

(٨) انظر: الكتاب ٣/ ٥٨٣، والحجة لأبي علي ٣/ ٣٦٦.

وقرأ حمزة والكسائي : (ثُمُرِه) بضم الثاء[(١)] والميم ، وله وجهان : الأبين أن يكون جمع ثمرة على ثُمُر ، كما قالوا : خشبة وخُشُب ، قال الله تعالى : ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون :٤] ، وكذلك أكمة وأكم ، ثم يخففون [فيقولون][(٢)] : أكم[(٣)] قال الشاعر :

ترى الأُكْمَ منهُ[(٤)] سُجَّداً للحوافِرِ[(٥)]

ونظيره من المعتل ساحَة وسُوْح[(٦)] وقارَة وقور ، ولابة[(٧)] ولُوب ، وناقة ونُوق . والوجه الآخر : أن يكون جمع ثمرة على ثمار ، ثم جمع ثماراً على ثُمرٍ ، فيكون ثُمر جمع الجمع[(٨)] .

---

(١) قرأ حمزة والكسائي : (ثُمُرِه) بضم الثاء والميم ، وقرأ الباقون بفتحهما . انظر : السبعة ٢٦٢ ، والمبسوط ١٧٢ ، والتذكرة ٢/ ٤٠٦ ، والتيسير ١٠٥ ، والنشر ٢/ ٢٦٠ .

(٢) في (أ) : (فيقول) ، وهو تحريف .

(٣) في الحجة لأبي علي ٣/ ٣٦٧-٣٦٩ : «وكذلك أكمة وأُكُم ، وتخفيف العين كما قالوا : الأكْم في جمع أَكَمَةٍ» . اهـ

(٤) في (ش) : (فيه) .

(٥) الشاهد لزيد الخيل الطائي ، شاعر مخضرم فحل ، في المعاني الكبير ٢/ ٨٩٠ ، والكامل للمُبرِّد ٢/ ٢٠١ ، وبلا نسبة في تأويل مشكل القرآن ٤١٧ ، والأضداد لابن الأنباري ٢٩٥ ، وكتاب الشعر ١/ ١٨٣ ، والصحاح (سجد) ٢/ ٤٨٣ ، والصاحبي ٤٥٣ ، واللسان (سجد) ٤/ ١٩٤١ ، وصدره :

بجَيْشٍ تَضِلُّ البُلْقُ في حَجَرَاتِهِ

(٦) في النسخ : (ساجة – وسوج) بالجيم ، ولعله تصحيف .

(٧) اللاَّبة : الحرة والأرض التي كُسيت حجارة سوداء . انظر : اللسان (لوب) ٧/ ٤٠٩٢ .

(٨) ما تقدَّم قول أبي علي في الحجة ٣/ ٣٦٦-٣٦٩ (بتصرف) . انظر : معاني القراءات ١/ ٣٧٥ ، وإعراب القراءات ١/ ١٦٦ ، والحجة لابن خالويه ١٤٦ ، والحجة لابن زنجلة ٢٦٤ ، والكشف ١/ ٤٤٣ . وقراءة الجماعة بالفتح الثمر اسم جنس مفرده ثمرة ، أمَّا قراءة الضم فالجمهور على أنه جمع ثمرة . انظر : تفسير الطبري ٧/ ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧٦ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٧٠ ، والدر المصون ٥/ ٨٠ .

وقوله تعالى: ﴿وَيَنْعِهِۦٓ﴾ الينع: النضج[(١)]. قال أبو عبيدة: «يقال: يَنَع يَيْنَع بالفتح في الماضي والكسر في المستقبل»[(٢)]، وأنشد:

حَوْلَهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يَنَعَا[(٣)]

وقال الليث: «ينعت الثمرة، بالكسر، وأينعت، فهي [تينع][(٤)] وتونع إيناعاً، ويَنعاً بفتح الياء، ويُنعاً [بضمها][(٥)]، والنعت يانِع ومونِع»[(٦)].

---

(١) انظر: معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٤٨، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٦٤، والصحاح ٣/ ١٣١٠، ومجمل اللغة ٤/ ٩٤٣، والمفردات (ينع) ٨٩٤. قال الجوهري: «يَنَع الثمر يَيْنَع ويَيْنِعُ يَنْعاً ويُنْعاً ويُنُوعاً، أي نضج؛ وأَيْنَع مثله».

(٢) نقله بهذا اللفظ الرازي في تفسيره ١٣/ ١١١ عن الواحدي عن أبي عبيدة، وذكره السمين في الدر ٥/ ٨٢ عن أبي عبيد، وفي مجاز القرآن ١/ ٢٠٢ نحوه، لكنه ضبط بالمطبوعة بالفتح، قال: «ينعه مصدر من يَنع إذا أينع... واحده يانع، والجمع يَنْع، ويقال: ينَع يَيْنَع ينوعاً، فمنه اليانع، ويقال: ينعت وأينعت لغتان». اهـ ملخصاً

(٣) الشاهد مختلف في نسبته، وهو للأحوص الأنصاري، شاعر أموي، في ديوانه ٩١، وليزيد بن معاوية في الجمهرة ٢/ ٩٥٦، ونقل المُبرِّد في الكامل ١/ ٣٨٤ عن الأخفش أنه قال: «الصحيح أنه ليزيد». اهـ

ونسب في اللسان (دسكر) ٣/ ١٣٧٥ إلى الأخطل، وفي (ينع) ٨/ ٤٩٧١ إلى عبدالرحمن بن حسان، ونسب في التاج ١١/ ٥٥٨ إلى أبي دهبل الجمحي، وهو بلا نسبة في مجاز القرآن ١/ ٢٠٢، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧٧، وتفسير الطبري ٧/ ٢٩٥، وتهذيب اللغة (ينع): ٤/ ٣٩٨٨، وزاد المسير ٣/ ٩٥، والدر المصون: ٥/ ٨٢، وصدره: فِي قِبَابٍ حَوْلَ دَسْكَرَةٍ

الدسكرة: القرية، والبناء الضخم.

(٤) (تينع) غير واضحة في (أ) وكأنها (تيينع أو يينع).

(٥) في (أ): (بضمه).

(٦) ذكره الرازي في تفسيره ١٣/ ١١١ عن الواحدي عن الليث، وفي الدر المصون ٥/ ٨٢: «قال الليث بكسرها في الماضي وفتحها في المستقبل». اهـ

وفي العين ٢/ ٢٥٧: «يَنَعت الثمرة يُنعاً ويَنَعاً، وأَيْنَع إيناعاً، والنعت: يانِع ومُونِع».

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يريد : يصدِّقون أن الذي أخرج هذا النبات قادر على أن يحيي الموتى ويبعثهم .

قال أبو إسحاق[١] : «احتج الله -عز وجل- بتصريف ما خلق ، ونقله من حالٍ إلى حالٍ بما يعلمون أنه لا يقدر عليه [المخلوقون][٢] ، وأعلم أنه كذلك يبعثهم ؛ لأنهم كانوا ينكرون البعث فقال : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ، أعلمهم أن في ما قصَّ عليهم دليلاً [لِمَن صدَّق]»[٣] .

١٠٠. قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾ قال الحسن : «معناه : أطاعوا الشياطين في عبادة الأوثان»[٤] ، وهو اختيار الزَّجَّاج ، قال : «المعنى أنهم أطاعوا الجن في ما سوَّلت من شركهم فجعلوهم شركاء لله»[٥] .

وذكر الفرَّاء[٦] وأبو إسحاق[٧] في نصب (الجن) وجهين : «أحدهما : أن يكون الجن مفعولاً فيكون المعنى : وجعلوا لله الجن شركاء ، ويكون الشركاء مفعولاً ثانياً . والثاني[٨] : أن يكون الجن بدلاً من الشركاء ومفسراً للشركاء»[٩] .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧٧ .

(٢) في (أ) : (المخلوقين) ، وهو تحريف .

(٣) في (ش) : (لمن صدق قوله) .

(٤) ذكره الماوردي ٢/ ١٥٠ ، والواحدي في الوسيط ١/ ٩١ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٩٦ ، والقرطبي في تفسيره ٧/ ٥٣ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧٧ ، وانظر : معاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٦٥ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٤٨ .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧٧ ، وانظر : معاني القرآن للأخفش ٢/ ٢٨٣ .

(٨) جاء في (ش) : «والثاني أن يكون الجن بدلًا من الشركاء ، ويكون الشركاء مفعولًا ثانياً» ، ثم ذكر الوجه الثاني على الوجه الصحيح ، وهو تكرار وتداخل .

(٩) انظر : إعراب القرآن للنحاس ١/ ٧٥٠ ، والمشكل ١/ ٢٦٤ ، والدر المصون ٥/ ٨٣ .

وقوله تعالى: (وَخَلَقَهُمْ) يجوز أن تعـود الكناية على هؤلاء الذين جعلوا لله شركاء، والمعنـى: وجعلوا لله الذي خلقهـم شركاء لا يخلقون، ويجوز أن تعود الكناية على الجن، فيكون المعنى: والله خلق الجن، فكيف يكون الشريك لله -عز وجل-، المحدث الذي لم يكن ثم كان[(١)].

وقوله تعـالى: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾ قال المفـسرون[(٢)]: «يعني: كفار العـرب الذين قالوا: الملائكة بنات الله». قال ابن عباس: «يريد: افتعلوا له بنين وبنات»[(٣)].

وقال قتادة[(٤)]، وابن زيد[(٥)]، ومجاهد[(٦)]، وابن جريج[(٧)]: «كذبوا».

---

(١) هذا قول الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٢٧٧، وانظر: معاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٦٥.

(٢) قال ابن عطية في تفسيره ٥/ ٣٠٣: «الذين خرقوا البنين اليهود في ذكر عزير والنصارى في ذكر المسيح، وأمَّا ذاكرو البنـات فالعرب الذين قالوا للملائكة بنات الله، فـكأن الضمير في (جعلوا) (وخرقوا) لجميع الكفار، إذ فعل بعضهم هذا». انظر: تفسير الرازي ١٣/ ١١٦، والفتاوى ١٧/ ٢٧١.

(٣) أخرج الطبري في تفسـيره ٧/ ٢٩٧، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٦٠ بسـند جيد عـن ابن عباس، قال: «يعني: أنهم تخرصوا»، وأخرجا عنه بسـند ضعيف، قال: «جعلوا له بنين وبنات بغير علم»، وذكر السيوطي في الدر ٣/ ٦٨ أنه روي عن ابن عباس أنه قال: «وصفوا لله بنين وبنات افتراء عليه». اهـ

(٤) أخرج الطبري في تفسـيره ٧/ ٢٩٧، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٦١ بسـند جيد، وأخرج عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ١/ ٢٠١٥، والطبري ٧/ ٢٩٧ بسند جيد عن قتادة، قال (خرصوا). اهـ

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ٢٩٧، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٦١ بسند جيد.

(٦) تفسير مجاهد ١/ ٢٢٠.
وأخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ٢٩٧، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٦٠ بسند جيد، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٦٨.

(٧) ذكره الماوردي في تفسيره ٢/ ١٥١، والقرطبي ٧/ ٥٣، وأبو حيان في البحر المحيط ٤/ ١٩٤.

وقــال الفــرَّاء : «معنــى ﴿وَخَرَقُواْ﴾ : افتعلوا ذلــك كذباً وكفــراً ، قال : [وخَرَقوا][(١)] واخترقوا وخلقوا واختلقوا وافتروا واحد[(٢)] ، يقال[(٣)] : خلق فلان الكلمة واختلقها واخترقها وخرَّقها إذا افتعلهــا وابتدعها كذباً» ، وقال الليث : «تخرَّق الكذب وتخلَّقه»[(٤)] .

وقــال الزَّجَّاج : «معنى خرقــوا واختلقــوا : كذبوا»[(٥)] ، وقــرأ[(٦)] نافع : «وَخَرَّقُوا»[(٧)] مشــددة ، والاختيار التخفيف ؛ لأنها أكثر ، والتشــديد للمبالغة والتكثير[(٨)] . وزعمت النصارى أن المســيح ابن الله ، واليهود أن عزيزاً ابن الله ، فأعلم الله -عز وجل- أنهم اختلقوا ذلك ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍۚ﴾ ؛ أي لم يذكروه عن علم ،

---

(١) لفظ (الواو) ، ساقط من (أ) .

(٢) تهذيب اللغة ١/ ١٠١٦ ، واللســان (خــرق) ٢/ ١١٤٢ ، ولفظ : (افتراء) لم يــرد عندهما ، وذكرها الرازي في تفســيره ١٣/ ١١٦ ، وفي معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٤٨ قوله : «وخرقوا واخترقوا وخلقوا واختلقوا يريد افتروا» . اهـ . انظر : مجاز القرآن ١/ ٢٠٣ ، وغريب القرآن لليزيدي ١٤١ ، وتفســير غريب القرآن ١٦٩ ، وتفسير المشكل لمكي ٧٨ .

(٣) هذا قول أبي الهيثم خالد بن يزيد الرازي كما في تهذيب اللغة ١/ ١٠١٦ ، واللسان (خرق) ٢/ ١١٤٣ .

(٤) تفســير الرازي ١٣/ ١١٦ ، وفي العين (خرق) ٤/ ١٥٠ : «والاخــتراق كالاختلاق وتخرق الكذب كتخلقه» . اهـ

(٥) معــاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧٨ ، وفيــه : «معنى خرقوا : اختلقوا وكذبــوا» . اهـ . قال النحاس في معــاني القرآن ٢/ ٤٦٦ : «قال أهل اللغة : معنى (خرقوا) اختلقــوا وافتعلوا» . اهـ . انظر : الجمهرة ١/ ٥٩٠ ، والصحاح ٤/ ١٤٦٦ ، والمجمل ٢/ ٢٨٤ ، والمفردات (خرق) ٢٧٩ .

(٦) قرأ نافع : (وخرَّقوا) بتشــديد الراء ، والباقون بتخفيفها . انظر : الســبعة ٢٦٤ ، والمبســوط ١٧٣ ، والتذكرة ٢/ ٤٠٦ ، والتيسير ١٠٥ ، والنشر ٢/ ٢٦١ .

(٧) لفظ : (الواو) ساقط من (ش) .

(٨) انظــر : الحجة لأبي علي ٣/ ٣٧٢ ، ومعاني القراءات ١/ ٣٧٦ ، والحجة لابن خالويه ١٤٧ ، وإعراب القراءات ١/ ١٦٦ ، والحجة لابن زنجلة ٢٦٤ ، والكشف ١/ ٤٤٣ ، ونقل قول الواحدي في اختيار قراءة التخفيف ، الرازي في تفسيره ١٣/ ١١٧ .

إنما ذكروه تكذباً، قاله[١] الزَّجَّاج، وقال غيره: «معناه ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ منهم أنَّ هذا لا يجوز على القديم جل وعز، فهو داخل في الذم لهم»[٢].

١٠١. قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾؛ أي من أين يكون له ولد ولا يكون الولد إلّا من صاحبة، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ احتج جل وعز في نفي الولد بأنه خالق كل شيء، وليس كمثله شيء، فكيف يكون الولد لِمَن لا مثل له، وإذا نسب إليه الولد فقد جعل له مثل[٣]، فالآية متضمنة للحجة على استحالة أن يكون لله ولد؛ لأن ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لا مثل له، والولد لا يصح إلّا مع المماثلة.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ قال ابن عباس: «لأنه هو الخالق لخلقه»[٤].

١٠٢. قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ ارتفع ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ على أنه خبر ابتداء محذوف، كأنه قيل: هو خالق كل شيء، لأنه لمَّا تقدم ذكره استغنى عن هو[٥].

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧٨.

(٢) قال الطبري في تفسيره ٧/ ٢٩٨: «تخرصوا لله كذباً، فافتعلوا له بنين وبنات بغير علم منهم بحقيقة ما يقولون، ولكن جهلاً بالله وبعظمته». اهـ. انظر: تفسير السمرقندي ١/ ٥٠٤، والماوردي ١/ ١٥١.

(٣) ما تقدم هو نص كلام الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٢٧٨، ونحوه ذكره الطبري في تفسيره ٧/ ٢٩٨، والنحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٦٦.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٩٣ من دون نسبة.

(٥) انظر: معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٤٨، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٧١، والكشاف ٢/ ٤١، والتبيان ١/ ٣٥٢، والفريد ٢/ ٢٠٦، والدر المصون ٥/ ٩١.

وقولـــه تعـــالى : ﴿فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ قال ابـــن عبـــاس : «فأطيعـــوه»[١] ، وقيل : وحِّدوه[٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ قد ذكرنا معنى الوكيل[٣] في صفة الله تعالى ، وقال بعض أصحاب المعاني : «إنما جاز وصف القديم بأنه وكيل في ما هو مالك ، لأنه لمَّا كانت منافع مملوكاته لغيره وجلَّ عن أن تلحقه المنافع والمضار صحَّت هذه الصفـــة في هذه الجهة من حيث إن له أن يصرف ما هو مالك له ، ثم التصريـــف في ما يدبِّره بمنزلة ما يدبِّـــره الوكيل في ما تعود منافعه على غيره ، فهو على كل شيء وكيل بالحفظ له والتدبير»[٤] .

١٠٣. قولـــه تعـــالى : ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ الآية . احتج نفـــاة الرؤية[٥] بهذه الآية على أهل السُّـــنة[٦] فقالوا : «أخـــبر الله تعالى أن الأبصار لا تدركه ، وإنما قال هذا على سبيل التمدح ، وما نفى عن نفسه على سبيل التمـــدح به وجب أن يكون ذلك على التأبيـــد كقوله : ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ﴾ [الأنعام :١٦٣] ، و﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة :٢٥٥]»[٧] .

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٩٣ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٧٣ من دون نسبة .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفســيره ٤/ ١٣٦٢ عن ابن عباس ، وهو قول مقاتل في تفســيره ١/ ٥٨٢ ، وقال السمرقندي في تفسيره ١/ ٥٠٥ : «يعني وحِّدوه وأطيعوه» . اهـ

(٣) انظر : البسيط (النسخة الأزهرية) ١/ ٢٠٦ أ ، و ٢١٥ أ ، و ٢١٨ أ ، و ٢١٩ أ .

(٤) لم أقف عليه بعد طول بحث في كتب المعاني والتفسير ، وانظر : المقصد الأسنى للغزالي ١١٤ ، وشرح أسماء الله الحسنى للرازي ٢٩٣ ، واللسان (وكل) ٨/ ٤٩٠٩ .

(٥) نفاة الرؤية : هم الجهمية والمعتزلة والخوارج ، وبعض المرجئة ، قالوا : «لا يُرى الله تعالى في الدنيا ولا في الآخرة» . انظر : الفتاوى لابن تيمية ٢/ ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، وتفسير الخازن ٢/ ١٦٦ .

(٦) أهل الســنة والجماعة . . . . أخرجه الطبري في تفســيره ٧/ ٢٩٧ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٦١ بسند جيد ، وأخرج عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ١/ ٢١٥ ، والطبري ٧/ ٢٩٧ بسند جيد عن قتادة ، قال : «خرصوا» . اهـ

(٧) انظر : تفسير الرازي ١٣/ ١٠٤ .

والجواب [عن](١) هذا من وجوه:

أحدها: إن الإدراك غير الرؤية؛ لأنه يصح أن يقال: «رآه وما أدركه»، ويدل على هذا قوله تعالى إخباراً عن قوم موسى ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢]، وكان قوم فرعون قد رأوا قوم موسى ولم يدركوهم، [و](٢) الدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الشعراء: ٦١]؛ أي رأى أحدهما الآخر، وكان الله -تعالى- قد(٣) وعد موسى أنهم لا يدركونه بقوله تعالى: ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه: ٧٧].

وقولهم: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١] يريدون أنهم قد قربوا من إدراكهم إياهم، ألا ترى أن موسى نفى ذلك بقوله: (كلَّا)، وهذا مذهب جماعة من المفسرين(٤) قالوا: [معنى](٥) الإدراك: الإحاطة بكنه الشيء وحقيقته، فالأبصار ترى الباري ولا تحيط به، كما أن القلوب تعرفه ولا تحيط به. قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]. قال سعيد بن المسيب في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾: «لا تحيط به الأبصار»(٦).

---

(١) في (ش): (على).

(٢) لفظ الواو ساقط من (أ).

(٣) انظر: تفسير الطبري ٧/ ٢٩٩ وما بعدها، والبغوي ٣/ ١٧٤.

(٤) قال شيخ الإسلام في الفتاوى ١٧/ ١١١، في شرح الآية: «الإدراك عند السلف والأكثرين: هو الإحاطة، وقال طائفة: هو الرؤية، وهو ضعيف؛ لأن نفي الرؤية عنه لا مدح فيه...». اهـ، وانظر: الفتاوى ١٦/ ٨٧-٨٩.

(٥) في (أ): (معنا).

(٦) ذكره الثعلبي في الكشف ١٨٢ أ، والواحدي في الوسيط ١/ ٩٣، والبغوي ٣/ ١٧٤، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٩٨.

وقال ابن عباس في رواية عطاء : «كلَّت[١] أبصار المخلوقين عن الإحاطة به»[٢] ، وقال الزَّجَّاج : «معنى إدراك الشيء : الإحاطة بحقيقته ، وقد ينظر الرجل إلى الشيء ولا يدركه» ، ثم احتج على أن معنى الإدراك هاهنا الإحاطة بقوله تعالى : ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ [الأنعام:١٠٣] ، فقال : «أعلم الله تعالى أنه يدرك الأبصار ، وفي هذا الإعلام دليل أن خلقه لا يدركون الأبصار ؛ أي لا [يعرفون][٣] [كيف][٤] حقيقة البصر ، وما الشيء الذي صار به الإنسان يبصر من عينيه دون أن يبصر من غيرهما من سائر أعضائه ، فأعلم جل وعز أن خلقاً من خلقه لا يدرك المخلوقون كنهه ولا يحيطون بعلمه ، فكيف به جل وعز والأبصار لا تحيط به»[٥] . قال أصحابنا فعلى هذا نقول : «الباري يُرى ولا يُدرك» ؛ لأن معنى الإدراك هو : الإحاطة بالرؤية بالمرئي ، وإنما يجوز ذلك على مَن كان محدوداً وله جهات ، والقديم[٦] الذي لا نهاية لوجوده يُرى ولكن لا يُدرَك ، وعلى هذا القول فقد قلنا بظاهر الآية .

---

(١) كلَّت : يقال : كَلَّ بصره ، بفتح الكاف ؛ أي ثقل . انظر : اللسان (كلل) ٧/ ٣٩١٨ .

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٩٣ ، وذكره الثعلبي في الكشف ١٨٢ أ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٧٤ عن عطاء من قوله ، وأخرج الطبري في تفسيره ٧/ ٢٩٩ بسند ضعيف عن ابن عباس ، قال : «لا يحيط بصر أحد بالملك» . اهـ

(٣) في (أ) : (أي لا يدركون) .

(٤) في (ش) : (كنه) .

(٥) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧٨ ، وفيه : «فأمَّا ما جاء من الأخبار في الرؤية وصَحَّ عن رسول الله فغير مدفوع ، وليس في هذه دليل على دفعه ، لأن معنى هذه الآية معنى إدراك الشيء والإحاطة بحقيقته ، وهذا مذهب أهل السُّنة والعلم والحديث» . اهـ . انظر : معاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٤٦ـ ٤٦٧ .

(٦) أسماء الله توقيفية ، ولفظ القديم لا يرتضي السلف تسمية الله تعالى به ؛ لعدم ورود النص به ، لكن يصح الإخبار به عن الله تعالى ؛ لأن باب الإخبار والصفات أوسع من باب الإنشاء والأسماء ، والله أعلم . انظر : منهاج السُّنة ٢/ ١٢٣ـ١٣١ ، والفتاوى ١/ ٢٤٥ ، ١٧/ ١٦٨ ، ٩/ ٣٠٠ ، ومعجم المناهي اللفظية لبكر بن عبدالله أبو زيد ٤٣٦ .

الوجه الثاني: تخصيص الآية، وهو قول جماعة من المفسرين أيضاً. قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾: «ينقطع عنه في الدنيا»[(١)]، وقال مقاتل: «لا تراه الأبصار في الدنيا، وهو يُرى في الآخرة»[(٢)]، وعلى هذا القول لا فرق بين الرؤية والإدراك، وهو مذهب شيخنا أبي الحسن[(٣)]؛ لأنه لا يُفرِّق بينهما، قال: «معنى الآية ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ في الدنيا»، قال: «والدليل على أن هذه الآية مخصوصة بالدنيا قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢- ٢٣]، وهذه الآية مطلقة، وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ [القيامة: ٢٢] مقيد، والمطلق يحمل على المقيد، فلمَّا كان قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ يوجب نفي الرؤية، وقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] يوجب الرؤية، ولا يجوز التضاد، قلنا: الذي نفاه أراد به في الدنيا، والذي أثبته أراد به في الآخرة»[(٤)].

الوجه الثالث: ما قاله السُّدِّي: «البصر بصران، بصر معاينة، وبصر علم»[(٥)]، وكذا هو في اللغة. قال الليث: «البَصَر: العين، والبَصَر: نفاذ في

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف ١٨٢ أ، والواحدي في الوسيط ١/ ٩٣، والبغوي ٣/ ١٧٣، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٩٨.

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف ١٨٢ أ، والواحدي في الوسيط ١/ ٩٤، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٧٤، وفي تفسير مقاتل ١/ ٥٨٢: «يقول: لا يراه الخلق في الدنيا». اهـ. وأخرج الواحدي في الوسيط ١/ ٩٤ هذا القول عن الحسن البصري.

(٣) أبو الحسن شيخ الواحدي، لم أستطع تحديده، وفي مقدمة البسيط ذكر من شيوخ الواحدي: علي بن محمد بن إبراهيم الضرير أبو الحسن النحوي، وعمران بن موسى المغربي أبو الحسن، وعلي بن محمد الفارسي أبو الحسن.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٧/ ٣٠٢، وابن الجوزي ٣/ ٩٨، ٩٩. قال شيخ الإسلام في الفتاوى ٢/ ٣٣٥: «وقد اتفق أئمة المسلمين على أن أحداً من المؤمنين لا يرى الله بعينه في الدنيا، ولم يتنازعوا إلَّا في النبي ﷺ خاصة مع أن جماهير الأئمة على أنه لم يره بعينه في الدنيا، وعلى هذا دلَّت الآثار الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ والصحابة وأئمة المسلمين...». اهـ. انظر: مرويات الإمام أحمد في التفسير ٢/ ١٢١.

(٥) لم أقف عليه.

القلب» . قال : «فمعنى قولــه : ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ لا يدركه علم العلماء ، ونظيره ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه : ١١٠]»(١) ، وهذا وجه حســن . وأمَّا قولهم : إن هذا على ســبيل التمدح ، قلنا : ليس كذلك ؛ لأنه ليس في أن يستحيل أن يرى استــحقاق مدح ، ألا ترى أن كثيراً من الأشياء الناقصة يستحيل أن يرى كالكفر والجهل ، ثم لا يجب(٢) لها بذلك صفة مدح ، فليس بأن يســتحيل أن يرى تمدح ، وإنما معنى الآيــة : أنه منع الرائين من رؤيته في الدنيا ولا يقدر أحد على أن يمنعه من رؤيته له ، فهذا وجه التمدح ، وهــو معنى الآية ، وعلى هذا الوجه ، قال ابن عبــاس في قوله تعالى : ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ : «يَــرى ولا يُرى ، ولا يخفى عليه شيء ولا يفوتــه»(٣) . وإنما خص الأبصار بإدراكه إياها مــع أنه يدرك كل شيء تحقيقاً للمعنى الــذي ذكرنا ؛ لأن غير الباري لا يجــوز أن يرى البصر ، ولا يراه البصر ، وقد يرى غــير البصر ، ولا يراه البصر ، فلا يبعــد ذلك(٤) وذكرنا قول الزَّجَّاج في معنى ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ .

---

(١) تهذيب اللغة ١/ ٣٤٠ ، وفيه : «قال الليث : البَصُرَ : العَيْنُ ، إلاَّ أنه مذكر . والبَصرَ : نفاذ في القلب» . انظر : العين ٧/ ١١٧ ، واللسان (بصر) ١/ ٢٩٠ .

(٢) انظر : تفسير الرازي ١٣/ ١٢٥ وما بعدها ، والفتاوى لابن تيمية ١٦/ ٨٧_٨٨ ، ١٧/ ١١١ .

(٣) لم أقف عليه ، وفي تنوير المقباس ٢/ ٤٩ : «يرى ما لم يرَ الخلق ولا يخفى عليه شيء ولا يفوته» . اهـ

(٤) انظر : مســألة رؤية الله في الآخرة ، في الإبانة للأشــعري ١٣/ ٢١ ، وتفســير المــاوردي ٢/ ١٥٢ ، والقرطبي ٧/ ٥٤_٥٧ ، وبدائع التفسير ٢/ ١٦٧ .

وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ قال الأزهري : «اللطيف من أسماء الله -عز وجل- [ومعناه][(١)] الرفيق بعباده»[(٢)] ، وقال عمرو بن أبي[(٣)] عمرو ، عن أبيه[(٤)] : «اللطيف الذي يوصل إليك أَرَبَك في رفق»[(٥)] ، وقال أبو العباس[(٦)] عن ابن الأعرابي : «[يقال][(٧)] : لطف فلان لفلان يلطف : إذا رفق ، لطفاً ، ويقال : لطف الله لك ؛ أي أوصل إليك ما تحب برفق»[(٨)] ، وقال الليث : «اللَّطَف : البِرُّ والكرامة ، وأمٌّ لطيفةٌ بولدها ، وفلان لَطيفٌ بهذا الأمر أي رفيق»[(٩)] . قال ابن عباس : «﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ بأوليائه ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بهم»[(١٠)] .

١٠٤. قوله تعالى : ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ الآية . البصائر : جمع البصيرة ، وهي الدلالة التي توجب إبصار النفوس للشيء ، ومنه يقال للدم

---

(١) لفظ : (الواو) ساقط من (أ) .

(٢) تهذيب اللغة ٤/ ٣٢٦٧ . انظر : تفسير أسماء الله الحسنى للزَّجَّاج ٤٤ ، واشتقاق أسماء الله للزَّجَّاجي ١٣٨ ، والأسماء والصفات للبيهقي ٨٣ ، والمقصد الأسنى للغزالي ٩٢ ، وشرح أسماء الله الحسنى للرازي ٢٤٦ .

(٣) عمرو بن إسحاق بن مرار الشيباني ، إمام لغوي ثقة ، واسع الرواية ، أخذ علم أبيه ، سمع منه ثعلب وأبو إسحاق الحربي ، توفي سنة ٢٣١هـ ، أو بعدها . انظر : مقدمة تهذيب اللغة ١/ ٣٥ ، وإنباه الرواة ٢/ ٣٦٠ ، ومعجم الأدباء ٤/ ٤٧٣ .

(٤) إسحاق بن مرار الشيباني أبو عمرو الكوفي ، تقدمت ترجمته .

(٥) تهذيب اللغة ٤/ ٣٢٦٧ .

(٦) ثعلب أحمد بن يحيى ، تقدمت ترجمته .

(٧) لفظ : (يقال) ساقط من (ش) .

(٨) تهذيب اللغة ٤/ ٣٢٦٧ ، واللسان (لطف) ٧/ ٤٠٣٦ .

(٩) تهذيب اللغة ٤/ ٣٢٦٨ ، وانظر : العين ٧/ ٤٢٩ ، والصحاح ٤/ ١٤٢٧ ، وقد جاء في العين والتهذيب : «اللطف البر والتَّكرمة . . .» بدل والكرامة .

(١٠) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٩٥ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٧٤ ، والخازن ٢/ ١٦٨ ، وانظر : تفسير الطبري ٧/ ٣٠٤ ، والسمرقندي ١/ ٥٠٥ ، والماوردي ٢/ ١٥٣ .

الذي يستدل به[١] على القتيل : بصيرة[٢] . قال ابن عباس : «يريد : رشداً أو بياناً ، وهدًى من ربكم»[٣] ، وقال الكلبي : «يعني : بيِّنات القرآن»[٤] ، وقال الزَّجَّاج : «أي قد جاءكم القرآن الذي فيه البيان والبصائر»[٥] .

وقوله تعالى : ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ﴾ قال ابن عباس : «يريد : فمَن اهتدى فلنفسه ، ﴿وَمَنْ عَمِىَ﴾ يريد : عن سبيل الهدى ، فعليها»[٦] ، وقال الكلبي : «﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ صدَّق بالقرآن ، وآمن بمحمد ﷺ ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ عمل ، ﴿وَمَنْ عَمِىَ﴾ عن الحق فلم يصدِّق ، فعلى نفسه جنى العذاب»[٧] ، وقال الزَّجَّاج : «المعنى فلنفسه نفع ذلك ، ﴿وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَاۚ﴾ ؛ أي فعلى نفسه ضرر ذلك ؛ لأن الله جل وعز غني عن خلقه»[٨] .

وقوله تعالى : ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ قال عطاء عن ابن عباس : «يريد : ما أدفع عنكم ما يريد الله بكم»[٩] ، وقال الكلبي : «﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾

---

(١) لفظ : (به) ساقط من (أ) .

(٢) انظر : الجمهرة ١/ ٣١٢ ، وتهذيب اللغة ١/ ٣٤٢ ، والصحاح ٢/ ٥٩١ ، والمجمل ١/ ١٢٧ ، والمفردات ١٢٧ ، واللسان (بصر) ١/ ٢٩١ ، وفيها : «البصيرة جمع بصائر ، وهي البرهان والدلالة والعبرة» .

(٣) لم أقف عليه ، وفي تنوير المقباس ٢/ ٤٩ ، قال : «بيان من ربكم يعني : القرآن» ، وهو قول السمرقندي في تفسيره ١/ ٥٠٥ .

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف ١٨٢/ أ ، والواحدي في الوسيط ١/ ٩٥ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧٩ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) ذكره السمين في الدر ٥/ ٩٢ ، ٩٣ ، وانظر : تفسير السمرقندي ١/ ٥٠٥ ، والوسيط ١/ ٩٥ ، وتفسير البغوي ٣/ ١٧٥ ، وتنوير المقباس ٢/ ٤٩ .

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧٩ ، وانظر : تفسير الطبري ٧/ ٣٠٥ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٦٧ .

(٩) لم أقف عليه ، وذكر نحوه القرطبي في تفسيره ٧/ ٥٨ من دون نسبة .

[أي برقيب أحصي عليكم أعمالكم[(١)]] ؛ أي إنما أنا رسول أبلغكم عن ربي ، وهو الحفيظ عليكم الذي لا يخفى عليه شيء من أفعالكم»[(٢)] ، ونحو هذا قال الحسن : «أي برقيب على أعمالكم حتى أجازيكم بها»[(٣)] . قال أبو إسحاق[(٤)] : «أي لست آخذكم بالإيمان أخذ الحفيظ عليكم ، والوكيل ، وهذا قبل الأمر بالقتال ، فلمَّا أُمر[(٥)] بالقتال صار حفيظاً عليهم ، ومسيطراً على كل مَن تولى» .

١٠٥. قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ قال الزَّجَّاج : «موضع الكاف التي في أول (كذلك) نصب ، المعنى : ونصرف الآيات مثل ما صرفناها في ما تلي عليكم»[(٦)] ، وقال غيره من النحويين[(٧)] : «المعنى نصرف الآيات في غير هذه السورة مثل التصريف في هذه السورة ، فهو في موضع صفة المصدر ، كأنه قيل : تصريفاً مثل هذا التصريف»[(٨)] ، وذكرنا معنى تصريف الآيات في هذه السورة قبلُ .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) .

(٢) ذكره أهل التفسير من دون نسبة . انظر : تفسير الطبري ٧/ ٣٠٥ ، والبغوي ٣/ ١٧٥ ، والقرطبي ٧/ ٥٨ .

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٩٥ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ١٩٧ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧٩ .

(٥) انظر : تفسير السمرقندي ١/ ٥٠٥ ، والظاهر أن المعنى : لست رقيباً عليكم أحصي أعمالكم ، فالآية محكمة . وهو قول مكي في الإيضاح ٢٤٢ ، والرازي في تفسيره ١٣/ ١٣٤ ، وقال ابن حزم في ناسخه ٣٧ ، وهبة الله بن سلامة في ناسخه ٦٨ : «إن الآية تتضمن ترك قتال الكفار ثم نسخت بآية السيف» . انظر : نواسخ القرآن لابن الجوزي ٣٢٧ـ٣٢٨ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧٩ .

(٧) انظر : إعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٧١ ، والمشكل ١/ ٢٦٤ ، والتبيان ١/ ٣٥٢ ، والفريد ٢/ ٢٠٧ .

(٨) قال السمين في الدر ٥/ ٩٣ : «الكاف في محل نصب نعتاً لمصدر محذوف ، فقدَّره الزَّجَّاج : ونصرف الآيات مثل ما صرفناها في ما تلي عليكم . وقدَّره غيره : نصرف الآيات في غير هذه السورة تصريفاً مثل التصريف في هذه السورة» . اهـ

وقال ابن عباس في هذه الآية : «﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ﴾[١] نبيِّن الآيات في القرآن في كل وجه ندعوهم بها ونخوِّفهم»[٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ قال أبو بكر[٣] : «دخلت الواو في ﴿وَلِيَقُولُواْ﴾ عطفاً على مضمر ، التقدير : وكذلك نصرف الآيات لنلزمهم الحجة ﴿وَلِيَقُولُواْ﴾ فحذف المعطوف عليه لوضوح معناه»[٤] .

وأمَّا (دَرَسْتَ)[٥] فقال أبو زيد : «دَرَسْت أدرسُ دِراسةً وهي القراءة ، وقال : وإنما يقال ذلك إذا قرأت على غيرك»[٦] ، وقال ابن الأعرابي : « دَرَسْتُ الكتاب أدرسُه دَرْساً ودراسةً ؛ أي ذللته بكثرة القراءة»[٧] . قال الأصمعي : «أصل درس الكتاب من قولهم : درس الطعام إذا درسه يدرسه دِراساً ، والدِّراس الدِّياس بلغة أهل الشام» . قال : «وأنشدني ابن ميادة[٨] :

يكفيكَ منْ بعضِ ازديادِ الآفاقِ ... سَمْرَاءَ ممَّا دَرَسَ ابنُ مِخْرَاقْ[٩]

---

(١) في (ش) : (وكذلك نصر) ، وهو تحريف واضح .

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٩٦ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ١٠٠ .

(٣) ابن الأنباري محمد بن القاسم ، تقدمت ترجمته .

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٩٦ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ١٠٠ ، والسمين في الدر ٥/ ٩٥ ، وانظر : تفسير القرطبي ٧/ ٥٨ .

(٥) انظر : العين ٧/ ٢٢٧ ، و«ما اتفق لفظه واختلف معناه» لليزيدي ٢٦٦ ، والمفردات (درس) ٣١١ .

(٦) الحجة لأبي علي الفارسي ٣/ ٣٧٣ .

(٧) تهذيب اللغة ٣/ ١١٧٣ بلفظ : (دَرَسْتُ الكتاب أدرُسُه دِراسة) فقط .

(٨) في النسخ : (ابن أبي ميادة) ، وهو تحريف ، والصواب : ابن ميادة الشاعر المشهور الرماح بن أبرد الغطفاني ، تقدمت ترجمته .

(٩) ديوانه ٧٥ ، والحجة لأبي علي ٣/ ٣٧٣ ، والصحاح ٣/ ٩٢٧ ، واللسان (درس) ٣/ ١٣٦٠ ، ومن دون نسبة في الجمهرة ٢/ ٦٢٨ ، وتهذيب اللغة ٣/ ١١٧٤ ، والمجمل ٢/ ٣٢٢ ، ومقاييس اللغة (درس) ٢/ ٢٦٧ .

أي داس : يعني حنطةً سمراء» ، قال : «ودرس السورة من هذا ؛ أي يدرسها ، فيخف على لسانه»[(١)] ، وقال أبو الهيثم : «دَرَسْتُ الكتابَ ؛ أي ذللته بكثرة القراءة حتى خَفَّ حِفظه عليَّ ، من قولهم : دَرَسْتُ الثوبَ أدرُسه دَرْساً فهو مَدْرُوس وَدَرِيس ؛ أي أَخْلَقْتُه ، ومنه قيل للثوب الخَلَق : دِريس ؛ لأنه قد لان . وقال كعب بن زهير[(٢)] :

وفي الحِلْم إدْهانٌ وفي العَفْوِ دُرْسةٌ

وفي الصِّدقِ مَنْجاةٌ منَ الشرِّ فاصدُقِ[(٣)]

قال : الدُّرْسةُ : الرياضة ، ومنه دَرَسْتُ السورةَ حتى حفظتها»[(٤)] ، وهذا القول قريب مما قاله الأصمعي بل هو نفسه ؛ لأن المعنى فيهما يعود إلى التذليل والتليين[(٥)] .

---

(١) ذكره الرازي ١٣/ ١٣٥ عن الواحدي عن الأصمعي ، وفي جمهرة اللغة ٢/ ٩٢٧ ، والحجة لأبي علي ٣/ ٣٧٣ ، بعضه عن الأصمعي ، وهو في تهذيب اللغة ٣/ ١١٧٤ بلا نسبة .

(٢) كعب بن زُهَيْر بن أبي سلمى المزني أبو المضراب ، تقدمت ترجمته .

(٣) ديوانه ٢٥٢ ، وتهذيب اللغة ٢/ ١١٧٤ ، واللسان (درس) ٣/ ١٣٦٠ ، وفي الديوان : «وفي العفو دربة» بدل «درسة» ، وعليه فلا شاهد فيه .

(٤) تهذيب اللغة ٢/ ١١٧٤ .

(٥) نقله الرازي في تفسيره ١٣/ ١٣٥ عن الواحدي .

قال ابن عباس في قولـه تعالى : ﴿وَلِيَقُولُواْ﴾ : «يعني : أهـل مكة حين تقرأ عليهم القرآن ﴿دَرَسْتَ﴾ يقولون : تعلَّمت من يسار[١] [أبي فكيهة][٢] وجبر[٣] مولى قريش ، وقرأت علينا تزعم أنه من عند الله»[٤] ، وفي قول ابن عباس تعلَّمت دليل على أن معنـى ﴿دَرَسْتَ﴾ قرأْتَ على غيرك . وأخبرنا سـعيد بن[٥] محمد ـرحمه الله ـ أنبأ ابن مقسـم[٦] العطار ببغداد عن أبي إسحاق[٧] النحوي ، قال : «معناه : وليقولوا قرأت كتب أهل الكتاب»[٨] ، وقال الفرَّاء : «يقولون : تعلمت من يهود»[٩] ، وأخـبرني العروضي[١٠] عن الأزهري ، قال : أخبرني المنذري[١١] عن أبي العبـاس[١٢] في قول الله تعالى : ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ قال : «معناه وكذلك

(١) يسـار أبو فكيهة مولى صفوان بـن أمية ، عبد نصراني عالم بالكتب المتقدمة ، أسـلم بمكة ، وزعمت قريش أن النبي ﷺ يتعلم منه . انظر : السـيرة لابن هشام ١/ ٤٢٠ ، وتفسير مبهمات القرآن للبلنسي ١/ ١١٦ ، ٢٦٨ ، والإصابة ٤/ ١٥٦ .

(٢) في النسخ : (يسار بن فكيهة) ثم صحح في (أ) إلى (أبي) ، وهو الصواب .

(٣) جبر مولى بني عبدالدار ، نصراني أو يهودي ، قرأ الكتب المتقدمة ، وأسـلم بمكة ، وزعمت قريش أن النبي ﷺ يتعلم منه . انظر : السيرة لابن هشام ١/ ٤٢٠ ، وتفسير القرطبي ٧/ ٥٨ ، وتفسير مبهمات القرآن ١/ ١١٦ ، والإصابة ١/ ٢٢١ .

(٤) تنوير المقباس ٢/ ٤٩ ، ٥٠ ، وذكره الواحدي في الوسـيط ١/ ٩٦ ، والبغوي في تفسـيره ٣/ ١٧٥ ، والخازن ٢/ ١٦٩ ، وأخرج الطبري في تفسـيره ٧/ ٣٠٥ـ٣٠٨ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٦٥ من عدة طرق جيدة عن ابن عباس ، قال : «قرأت وتعلمت تقول ذلك قريش» . اهـ ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٧٠ .

(٥) سعيد بن محمد الحيري أبو عثمان الزعفراني ، إمام ، تقدمت ترجمته .

(٦) محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن العطار ، إمام مقرئ ، تقدمت ترجمته .

(٧) الزَّجَّاج إبراهيم بن السري ، تقدمت ترجمته .

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧٩ .

(٩) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٤٩ .

(١٠) أحمد بن محمد بن عبدالله السهلي أبو الفضل ، تقدمت ترجمته .

(١١) أبو الفضل محمد بن أبي جعفر الهروي ، إمام ، تقدمت ترجمته .

(١٢) ثعلب أحمد بن يحيى ، تقدمت ترجمته .

نبيِّن لهم الآيات من هنا وهنا لكي يقولوا إنك دَرَسْتَ ؛ أي تعلَّمت ، أي هذا الذي جئت به [عُلِّمتَ]»[(١)(٢)] .

وقرأ ابن كثير[(٣)] وأبو عمرو (دَارَسْتَ) ، وهو قراءة ابن عباس[(٤)] ومجاهد[(٥)] ، وفسَّرها : «قرأت على اليهود وقرؤوا عليك» .

وقال الزَّجَّاج[(٦)] وأبو علي : «أي دارست أهل الكتاب وذاكرتهم» ، ويقوِّي هذه القراءة قوله تعالى : ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ الآية [الفرقان :٤][(٧)] ، وقرأ ابن عامر : «دَرَسَتْ»؛ أي هذه الأخبار التي تلوتها علينا قديمة ، قد درست وانمحت ومضت ، من الدرس الذي هو تعفي الأثر وامحاء الرسم[(٨)] .

---

(١) في (ش) : (علمته) .

(٢) تهذيب اللغة ٢/ ١١٧٣ ، وانظر : مجالس ثعلب ١١٧ .

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو : (دَارَسْتَ) بألف بعد الدال وسكون السين وفتح التاء ، وقرأ ابن عامر بغير ألف وفتح السين وسكون التاء ، وقرأ الباقون بغير ألف وسكون السين وفتح التاء . انظر : السبعة ٢٦٤ ، والمبسوط ١٧٣ ، والتذكرة ٢/ ٤٠٦ ، والتيسير ١٠٥ ، والنشر ٢/ ٢٦١ .

(٤) أخرجه الطبري ٧/ ٣٠٥ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٦٥ من طرق جيدة عن ابن عباس ومجاهد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٦٩ ، ٧٠ .

(٥) تفسير مجاهد ١/ ٢٢١ ، وقال النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٦٨ : «قرأ علي بن أبي طالب (دارست) ، وهو الصحيح من قراءة ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، وأبي عمرو ، وأهل مكة» . اهـ . انظر : مختصر الشواذ ٤٠ ، والمحتسب ١/ ٢٢٥ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، وهو قول الأخفش في معاني القرآن ٢/ ٢٨٥ ، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ١٦٩ ، والسمرقندي في تفسيره ١/ ٥٠٥ ، ومكي في الكشف ١/ ٤٤٤ . قال النحاس في إعراب القرآن ١/ ٥٧٢ : «أحسن ما قيل في (دارست) أن معناه : دارستنا فيكون معناه كمعنى (دَرَسْتَ) وقيل : معناه دارست أهل الكتاب ، فهذا مجاز» . اهـ

(٧) الحجة لأبي علي ٣/ ٣٧٤ ، وانظر : الحجة لابن خالويه ١٤٧ ، وإعراب القراءات ١/ ١٦٦ ، والحجة لابن زنجلة ٢٦٤ .

(٨) هذا قول أبي علي في الحجة ٣/ ٣٨٥ .

قال الأزهري : «مَن قرأ (دَرَسْتْ)[١] فمعناه : تقادمت ؛ أي هذا الذي تتلوه علينا شيء قد تطاول ومرَّ ، من قولهم : درس الأثر يدرس درساً»[٢] .

فأمَّا معنى اللام في قوله تعالى : ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ فقال أبو بكر : «وأمَّا تصريف الآيات فليسعد بها قوم بفهمها والعمل بما فيها ، ويشقى آخرون بالإعراض عنها ، فمَن يقول للنبي : (دارست) أو (درست) فهو شقي ، ومَن يتبين الحق فيها ويعمل [بها][٣] سعيد»[٤] ، ويقوِّي هذا الذي قاله أبو بكر قوله تعالى : ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [الأنعام :١٠٥] . قال ابن عباس : «يريد : أولياءه الذين هداهم إلى سبيل الرشاد»[٥] ، وقال أبو إسحاق : «إن السبب الذي أدَّاهم إلى أن قالوا : (درست) هو تلاوة الآيات عليهم ، وهذه اللام يسميها أهل اللغة : لام الصيرورة[٦] ، وهو كقوله عز وجل : ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًا﴾ [القصص :٨] ، وهم لم يلتقطوه يطلبون بأخذه أن يعاديهم ، ولكن كانت عاقبة الأمر أن صار ﴿لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًا﴾ كما [يقول][٧] : كتب فلان هذا الكتاب لحتفه ، وهو لم يقصد بالكتاب أن يهلك

---

(١) يعني : قراءة ابن عامر بفتح السين ، وسكون التاء .

(٢) تهذيب اللغة ١٢/ ١١٧٤ ، ومعاني القراءات ١/ ٣٧٧ ، وهو قول الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٢٨٠ ، ومكي في المشكل ١/ ٢٦٤ ، وقال النحاس في إعراب القرآن ١/ ٥٧٢ : «أحسن ما قيل فيه أن المعنى : ولئلا يقولوا انقطعت وامحت وليس يأتي محمد بغيرها» . اهـ

(٣) لفظ (بها) ساقط من (أ) .

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٩٧ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ١٠٠ ، وذكره البغوي في تفسيره ٣/ ١٧٥ من دون نسبة .

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٩٧ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٧٥ .

(٦) أي التحول ، وهو من معاني اللام عند الكوفيين ، وعند البصريين تسمى لام العاقبة ، ويقال لها أيضاً : لام العلة والمآل والعرض . انظر : البيان لابن الأنباري ١/ ٣٣٤ ، وما سبق من هذا البحث ٢٣٨ .

(٧) في (ش) : (يقولون) .

نفسه، ولكن العاقبة كانت الهلاك»[(١)]، ومعنى هذا الكلام يعود إلى معنى قول أبي بكر؛ لأن المعنى: أن تصريف الآيات صار سبباً لمقالتهم هذه، وذلك للشقاوة التي لحقتهم وقضيت عليهم، وهذا يدل على أن الله تعالى جعل تصريف الآيات سبباً لضلالة قوم وشقوتهم بما قضى عليهم في الأزل من الضلالة، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥][(٢)].

١٠٧. قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟﴾ قال الزَّجَّاج: «أي لو شاء لجعلهم مؤمنين»[(٣)]، وهذا نص صريح في أن شركهم كان بمشيئة الله تعالى[(٤)].

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٨٠. انظر: معاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٦٩، ٤٧٠. قال أبو علي في الحجة ٣/ ٣٧٥: «مَن قال (درستْ): بسكون التاء، فالمعنى في (ليقولوا) لكراهة أن يقولوا، ولأن لا يقولوا: درست؛ أي فُصِّلت الآيات وأحكمت؛ لئلا يقولوا: إنها أخبار وقد تقدَّمت وطال العهد بها وباد مَن كان يعرفها كما قالوا: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الفرقان: ٥]، وأمَّا مَن قرأ: (دارستَ) و(درستَ)؛ أي بفتح التاء، فاللام على قولهم كالتي في قوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨] ولم يلتقطوه لذلك، كما لم تفصل الآيات ليقولوا (درست) و(دارست)، ولكن لمَّا قالوا ذلك أطلق هذا عليه في الاتساع». اهـ ملخصاً، وقال النحاس في إعراب القرآن ١/ ٥٧١، ٥٧٢، بعد ذكر قول الزَّجَّاج: «وفي المعنى قول آخر حسن، وهو أن يكون معنى: (نصرف الآيات) نأتي بها آية بعد آية ليقولوا: (درست) علينا، فيذكرون الأول بالآخر، فهذا حقيقة، والذي قال الزَّجَّاج مجاز». اهـ. انظر: المشكل ١/ ٢٦٤، والدر المصون ٥/ ٩٣ـ٩٦.

(٢) انظر: تفسير الرازي ١٣/ ١٣٨.

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٨٠، وهذا أظهر الأقوال، ورجَّحه الطبري في تفسيره ٧/ ٣٠٩، والبغوي ٣/ ١٧٦، وأخرجه الطبري في تفسيره، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٦٦ بسند جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) انظر: تفسير ابن عطية ٥/ ٣١٢، والرازي ١٣/ ١٣٨، والقرطبي ٧/ ٦٠.

وقوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ قال عطاء عن ابن عباس : «يريد : تمنعهم[١] مني»[٢] ، ومعنى هذا الكلام أنك لم تُبعث لتحفظ المشركين عن العذاب ، إنما بُعثت مبلِّغاً فلا تهتم لشركهم ، فإن ذلك بمشية الله[٣] ، وقال مقاتل : «﴿وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ رقيباً إن لم يوحِّدوا ، وما أنت عليهم بمسيطر ، نسختها آية السيف»[٤] .

١٠٨. قوله تعالى : ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الآية . قال [قتادة][٥][٦] والمفسرون[٧] : «كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فنهاهم عن ذلك ؛ لئلا يسبوا الله» .

وقال الزَّجَّاج : «نهوا في ذلك الوقت قبل القتال أن يلعنوا الأصنام التي كان يعبدها المشركون»[٨] .

---

(١) في (ش) : (يمنعهم) .

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف ١٨٢ أ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٧٦ ، والخازن ٢/ ١٦٩ عن عطاء فقط .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٧/ ٣٠٥ .

(٤) تفسير مقاتل ١/ ٥٨٣ ، وهو قول ابن حزم في ناسخه ٣٨ ، وهبة الله بن سلامة ٦٨ ، وحكاه ابن الجوزي في نواسخ القرآن ٣٢٨ عن ابن عباس ، والظاهر أنها محكمة ، ورجَّحه مكي في الإيضاح ٢٤٢ ، وانظر : الناسخ والمنسوخ لابن العربي ٢/ ٢١٢ .

(٥) لفظ : (قتادة) غير واضح في (أ) .

(٦) أخرجه عبدالرزاق ١/ ٢/ ٢١٥ بسند جيد .

(٧) أخرجه الطبري ٧/ ٣٠٩ ، وابن أبي حاتم ٥/ ٣١٢ من طرق جيدة عن ابن عباس وقتادة والسُّدِّي ، وهو قول مقاتل ١/ ٥٨٣ ، والسمرقندي ١/ ٥٠٦ ، وحكاه هود الهواري ١/ ٥٥١ عن الحسن والكلبي . انظر : أسباب النزول للواحدي ٢٢٥ ، والدر المنثور ٣/ ٧٢ .

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٨٠ .

وقال أبو بكر[(١)] ابن الأنباري : «هذه آية منسوخة أنزلها الله [عز وجل][(٢)] والنبيُّ بمكة ، فلمَّا قوَّاه بأصحابه نسخ هذه الآية ونظائرها بقوله : ﴿فَٱقْتُلُواْ[(٣)] ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة : ٥]»[(٤)] .

وقوله تعالى : ﴿فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًاۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ؛ أي فيسبوا الله ظلماً بالجهل ، يقال : عَدَا[(٥)] فلان عَدْواً وعُدُوّاً وعُدْواناً وعَدَاءً ؛ أي ظلم ظلماً جاوز القدر[(٦)] .

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) في (ش) : (جل وعز) .

(٣) في النسخ : (واقتلوا) ، وهو تحريف .

(٤) هذا قول ابن حزم في ناسخه ٣٨ ، و(ابن سلامة) ٦٩ ، والظاهر عدم النسخ ، وأن الآية محكمة ، وهو اختيار أكثرهم . قال ابن الجوزي في نواسخ القرآن ٣٢٩ : «لا أرى النسخ بل يكره للإنسان أن يتعرض بما يوجب ذكر معبوده بسوء أو نبيه» . اهـ ، وقال القرطبي ٧/ ٦١ : «قال العلماء : الآية حكمها باقٍ على كل حال ، فمتى كان الكافر في منعة وخيف أن يُسبَّ الإسلام أو النبي ﷺ أو الله -عز وجل- فلا يحل لمسلم أن يسب صلبانهم ، ولا دينهم ، ولا كنائسهم ، ولا يتعرض لما يؤدي إلى ذلك ؛ لأنه بمنزلة البعث على المعصية» . اهـ . انظر : أحكام القرآن للكيا الهراس ٣/ ٣٢٥ ، وابن عطية ٥/ ٣١٣ ، وابن كثير ٢/ ١٨٣ .

(٥) العَدَاء (بالفتح والمد) : تجاوز الحد والظلم والجور ، يقال : «عَدَا (بفتح العين والدال) فلان عَدْواً (بفتح العين وسكون الدال) ، وعُدُوّاً (بضم العين والدال وتشديد الواو المفتوحة) ، وعُدْوانا (بضم العين وسكون الدال) ، وعَدَاء (بفتح العين والدال)» . انظر : العين ٢/ ٢١٣ ، والجمهرة ٢/ ٦٦٦ ، والصحاح ٦/ ٢٤٢٠ ، والمجمل ٣/ ٦٥٢ ، ومقاييس اللغة ٤/ ٢٤٩ ، والمفردات ٥٥٣ ، واللسان (عدا) ٥/ ٢٨٣٢ .

(٦) هذا كلام الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٢٨١ ، والأزهري في تهذيب اللغة (عدا) ٣/ ٣٣٤٧ ، وانظر : الزاهر ١/ ٢١٦ .

قال السُّدِّي : «معناه : لا تسبوا الأصنام فيسبوا من أمركم بما أنتم عليه من عيبها»[(١)] .

وقال آخرون : «معنى ﴿ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ فيحملهم الغيظ والجهل على أن يسبوا مَن تعبدون ، كما سببتم مَن تعبدون»[(٢)] . هذا معنى ﴿ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ ﴾ لا أنهم كانوا يصرِّحون بسبِّ الله ؛ لأنهم كانوا يقرّون أن الله خالقهم وإن أشركوا به .

قال الزَّجّاج : «(وعَدْواً) منصوب على المصدر ؛ لأن المعنى : فيعدوا عدواً»[(٣)] ، قال : «ويكون بإرادة اللام[(٤)] والمعنى : فيسبوا الله للظلم»[(٥)] .

وقوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾ قال المفسرون[(٦)] : «يعني : كما زيَّنّا لهؤلاء المشركين عبادة الأصنام والأوثان وطاعة الشيطان بالحرمان والخِذلان ﴿ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾ من الخير والشر والطاعة والمعصية» . قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد : زيَّنت لأوليائي وأهل طاعتي محبتي وعبادتي ،

---

(١) أخرج عنه الطبري ٧/ ٣١٠ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٦٦ بسند جيد نحوه ، وذكره الماوردي ١/ ٥٥٢ ، والواحدي في الوسيط ١/ ٩٨ . قال ابن العربي في أحكام القرآن ٢/ ٧٤٣ : «اتفق العلماء على أن المعنى : لا تسبوا آلهة الكفار فيسبوا إلهكم ، وكذلك هو ، فإن السب في غير الحُجَّة فعل الأدنياء» . اهـ ، وقال ابن الجوزي ٣/ ١٠٢ : «المعنى : فيسبوا مَن أمركم بعيبها ، فيعود ذلك إلى الله تعالى لا أنهم كانوا يصرحون بسب الله تعالى ؛ لأنهم كانوا يقرُّون أنه خالقهم وإن أشركوا به» . اهـ . انظر : بدائع التفسير ٢/ ١٧٠ .

(٢) هذا قول الطبري في تفسيره ٧/ ٣٠٩ ، وانظر : مجاز القرآن ١/ ٢٠٣ ، ومعاني القرآن للأخفش ١/ ٢٨٥ ، وغريب القرآن لليزيدي ١٤١ .

(٣) عدواً : بفتح العين ، وسكون الدال ، وتخفيف الواو المفتوحة .

(٤) وعليه يكون مفعولًا من أجله ؛ أي لأجل العدو . انظر : إعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٧٣ ، والمشكل ١/ ٢٦٥ ، والتبيان ١/ ٣٥٣ ، والفريد ٢/ ٢١٠ ، والدر المصون ٥/ ١٠٠ .

(٥) معاني القرآن للزَّجّاج ٢/ ٢٨١ ، ومثله قال الأزهري في تهذيب اللغة (عدا) ٣/ ٢٣٤٧ .

(٦) وهو الأظهر وقول الأكثر . انظر : تفسير الطبري ٧/ ٣١١ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٧٢ ، والسمرقندي ١/ ٥٠٦ ، والبغوي ٣/ ١٧٧ ، وابن عطية ٥/ ٣١٣ ، وابن الجوزي ٣/ ١٠٣ ، وابن كثير ٢/ ١٨٤ .

وزيَّنـت لأعدائي وأهل معصيتي كفر نعمتـي وخذلتهم حتى أشركوا»[(١)] . قال الزَّجَّاج : «وهذا هو القول ؛ لأنه بمنزلة[(٢)] : ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة :٩٣] ، والدليل على هذا قوله تعـالى : ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر :٨]»[(٣)] .

وهذه الآية بتفسـير هؤلاء دليل على تكذيب القدريـة[(٤)] حيث قالوا : «لا يحسن من الله خلق الكفر وتزيينه»[(٥)] .

١٠٩. [قوله تعالى][(٦)] : ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ الآية . ذكرنا معنى القسم[(٧)] عند قوله تعالى : ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾ [النساء :٨] ، والاستقسام في سورة المائدة[(٨)] ، والإقسام من ذلك الأصل أيضاً ؛

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٩٨ ، والقرطبي ٧/ ٦١ ، ٦٢ .

(٢) في النسـخ : «بل طبع الله على قلوبهم» ، وهو تحريف . وفي سـورة النساء ، الآية ١٥٥ : ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ ، وفي معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٨١ : «الأجود أنه بمنزلة ﴿طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [النحل :١٠٨] ، فذلك تزيين أعمالهم ، قال الله ـعز وجلـ ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾» . اهـ

(٣) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٨١ .

(٤) القدرية تزعم أن العبد يخلق فعله ، والكفر والمعاصي ليسـت بتقدير الله تعالى ، وقولهم باطل . انظر : مذهبهم والرد عليهم في الإبانة للأشعري ٥٦ ، والشريعة للآجري ١٢٨ ، وشرح الطحاوية لابن أبي العز ٢/ ٣٥٥ .

(٥) ذكر نحوه القرطبي ٧/ ٦٢ ، والخازن ٢/ ١٧٠ ، وانظر : الفتاوى ١٤/ ٢٩٠ . قال ابن القيم في بدائع التفسير ٢/ ١٧٠ ، ١٧١ : «يضاف التزيين إليه سبحانه خلقاً ومشيئةً ، وحذف فاعله تارة ، ونسبه إلى سببه ، ومَن أجراه على يده تارة ، وهذا التزيين ابتلاء واختبار للعبد ، ليتميز المطيع منهم من العاصي ، وعقوبة منه له على إعراضه وإيثاره سيئ العمل على حسنه ، وحجة الله قائمة عليه بالرسالة وبالتعريف الأول ، فتزيين الرب تعالى عدل ، وعقوبته حكمة ، وتزيين الشيطان إغواء وظلم ، وهو السبب الخارج عن العبد ، والسبب الداخل فيه حبه وبغضه وإعراضه ، والرب سبحانه خالق الجميع ، والجميع واقع بمشيئته وقدرته» . اهـ ملخصاً

(٦) في (أ) : (قوله عز وجل) .

(٧) انظر : البسيط (النسخة الأزهرية) ١/ ٢٢٩ ب .

(٨) انظر : البسيط (صورة في مكتبة جامعة الإمام) ٣/ ٩ أ .

ذلك أن اليمين موضوعة لتوكيد الخبر الذي يخبر به الإنسان ؛ إمَّا مُثبتاً للشيء ، وإمَّا نافياً . ولمَّا كان الخبر يدخله الصدق والكذب لم يأمن المخبر بالشيء عن نفسه أن يرد خبره ولا يقبل ، فأكَّد خبره باليمين ، ولمَّا كان التنازع يكثر في الإقسام ، والدعاوى في الأشياء لا تنقطع إلَّا بالتوكيد ، اشتقوا لفظه من القسم ، وبنَوها على أَفْعَل ، فقالوا : أَقْسَم(١) فلان بالله ، يقسم إقساماً ، وأرادوا أنه حاز القسم الذي وقع التنازع فيه ، بذكر الله ، وبنَوا الفعل على أَفْعَل ؛ لأنهم قصدوا قصد رجل أمال الشيء إلى جانبه باليمين ، واسم اليمين القَسَم ، والجمع الأقسام .

وهــذا الذي ذكرنا في معنى القســم مذهب الزَّجَّاج وأبي علي الفســوي(٢) وغيرهما ممــن يوثق بعربيتهم . قال المفسرون : «لمَّا أُنزل قوله تعالى : ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ﴾ [الشعراء :٤] أقســم المشركــون بالله ﴿ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾ ، وســأل المسلمون رسول الله ﷺ أن ينزلها الله عليهم حتى يؤمنوا ، وعلم الله تعالى منهم أنهم لا يؤمنون ، فأنزل هذه الآية : ﴿ وَأَقْسَمُوا۟

---

(١) القَسَــم (بالفتح) : اليَمــين والحَلف ، وأصله من القَسَــامَة (بالفتح) ، وهي أيمان تقســم على أولياء المقتول ، ثم صار اسماً لكل حَلِف ؛ يقال : «أَقْسَم (بسكون القاف وفتح السين) يُقْسِم (بكسر السين) إقساماً ، والجمع أَقْسَام» .
انظر : العين ٥/ ٨٦ ، و(الجمهرة) ٢/ ٨٥٢ ، والاشتقاق لابن دريد : ٦٢ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٩٦٣ ، والصحاح : ٥/ ٢٠١٠ ، والمجمل ٣/ ٧٥٢ ، والمفردات ٦٧٠ ، واللسان (قسم) ٦/ ٣٦٣٠ .

(٢) ذكره الرازي في تفســيره ١٣/ ١١٧ عن الواحدي ، ولم أقف عليه عند الزَّجَّاج وأبي علي الفارسي بعد طول بحث .

﴿بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾»[(١)] . قال الكلبي[(٢)] ومقاتل[(٣)] : «إذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه» ، وقال الزَّجَّاج : «اجتهدوا في المبالغة في اليمين»[(٤)] ، وقال عطاء[(٥)] : «يريد : بأغلظ الأيمان» .

وقوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ؛ أي إنه هو القادر على الإتيان بها[(٦)] ، وقيل : «معناه : أنها عند الله يأتي بها متى شاء ، وليس لكم أن تتحكموا في طلبها»[(٧)] .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ قال أبو علي : «(ما) استفهام وفاعل ﴿يُشْعِرُكُمْ﴾ ضمير ما ، والمعنى : وما يدريكم إيمانهم ، فحذف المفعول ، وحذفُ المفعول كثير ، والتقدير : وما يدريكم إيمانهم ؛ أي هم لا يؤمنون مع مجيء الآية إياهم»[(٨)] .

---

(١) ذكره الفرَّاء في معاني القرآن ١/ ٣٤٩ ، والنحاس ٢/ ٤٧٤ ، والسمرقندي ١/ ٥٠٦ ، وقال ابن الجوزي في تفسيره ٣/ ١٠٣ : «رواه أبو صالح عن ابن عباس» . اهـ ، وحكاه الماوردي ٢/ ١٥٦ عن الكلبي . انظر : أسباب النزول للواحدي ٢٢٨ .

(٢) تنوير المقباس ٢/ ٥١ ، وذكره الثعلبي ١٨٢ ب ، والواحدي في الوسيط ١/ ٩٩ ، والبغوي ٣/ ١٧٧ ، والرازي ١٣/ ١٤٣ عن الكلبي ومقاتل .

(٣) تفسير مقاتل ١/ ٥٨٣ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٨١ ، وذكر النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٧٢ ، نحوه . الجهد (بفتح الجيم ، وسكون الهاء) : المبالغة والغاية ، وقيل : الوسع والطاقة ، وقيل : المشقة . انظر : اللسان (جهد) ٢/ ٧٠٨ .

(٥) ذكره ابن الجوزي ٢/ ٣٨٠ عن ابن عباس ، وذكره البغوي ٣/ ٦٩ بلا نسبة .

(٦) هذا قول الطبري في تفسيره ٧/ ٣١١ ، والثعلبي في الكشف ١٨٢ ب ، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٧٧ ، وابن الجوزي ٣/ ١٠٤ .

(٧) انظر : تفسير الرازي ١٣/ ١١٤ .

(٨) الحجة لأبي علي ٣/ ٣٧٧ : «وعليه تكون ما استفهاماً إنكارياً مبتدأ ، وجملة (يشعركم) خبرها . و(يشعركم) مضارع فاعله ضمير يعود على ما ، وكم مفعول أول ، والثاني محذوف ، والتقدير : وما يدريكم إيمانهم وقت مجيئها» . انظر : البيان ١/ ٥٣٠ ، والفريد ٢/ ٢١٠ ، والدر المصون ٥/ ١٠١ .

ونحـــو هـــذا ذكره ابـــن الأنبـــاري[(١)] ، فقـــال : «كأن الـــكلام انقطع عند ﴿يُشْعِرُكُمْ﴾ بتقدير مفعـــول معه يراد به : أيُّ شيء يشـــعركم إيمانهم ، ويوقع في أنفســـكم صحة ما حلف عليه الكفار ؟» ، وهذا معنى قول الزَّجَّاج : «أي لستم تعلمون الغيب ، ولا تدرون أنهم يؤمنون»[(٢)] ، ألا ترى أنه ذكر مفعول الإشعار . قال مجاهد : «وما يدريكم [أنكم][(٣)] تؤمنون ، ثم اســـتقبل يخبر فقال : ﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾»[(٤)] .

وقوله تعـــالى : ﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ، قرأ ابن كثـــير[(٥)] وأبو عمرو : (إنها) بكسر الهمزة على الاســـتئناف ، وهي القراءة الجيدة . قال سيبويه : «سألت الخليـــل عن هذه القراءة ، فقلـــت : ما منع أن تكون كقولك : مـــا يدريك أنه لا يفعل ؟ فقال : لا يحســـن ذلك في هذا الموضع إنما قال : ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ ، ثم ابتدأ

---

(١) لم أقـــف عليه ، وفي إيضاح الوقف والابتـــداء ٢/ ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، قال في الآية : «مَن قرأ (إنها) بالكسر وقف على (وما يشـــعركم) وابتدأ (إنها) ، ومَن قرأ (أنها) بالفتح كان له مذهبان ، أحدهما : أن يكون المعنى : وما يشـــعركم بأنهم يؤمنون أو لا يؤمنون ونحن نقلب أفئدتهم ، فعلى هذا المذهب لا يحســـن الوقف على (يشعركم) ؛ لأن (أن) متعلقة به ، والوجه الآخر أن يكون المعنى : وما يشعركم لعلها إذا جاءت لا يؤمنون ، فيحســـن الوقف على (يشـــعركم) والابتداء بأن مفتوحة . حكي عن العرب : ما أدرى أنك صاحبها ، المعنى : لعلك صاحبها ، وقُرِئ : (أنها إذا جاءت لا يؤمنون) على خطاب الكفرة إليكـــم» ، وقال في (الأضداد) ٢١١ـ٢١٦ : «لا جحد محض ، وأن دخلت إيذاناً بالقول إذ لم يتصرح لفظه ، وتكون لا بمعنى الإثبات وما للتوكيد ، والمعنى : أنها إذا جاءت يؤمنون» . اهـ ملخصاً

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٨٢ .

(٣) في (ش) : (أنهـــم يؤمنون) . وعليه يكـــون الخطاب للمؤمنين وهو أحد قولي مجاهد ، كما في تفســـيره ١/ ٢٢١ ، قال : «وما يدريكم أنهم يؤمنون ، ثم أوجب عليهم أنهم لا يؤمنون» . اهـ

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٧/ ٣١٢ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٦٨ من طرق عدة جيدة ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٧٣ .

(٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية : (إنها) بكسر الهمزة ، وقرأ الباقون بفتحها . انظر : الســـبعة ٢٦٥ ، والمبسوط ١٧٣ ، والتذكرة ٢/ ٤٠٧ ، والتيسير ١٠٦ ، والنشر ٢٦١ .

فأوجب فقال: (إنها إذا جاءت لا يؤمنون) ولو قال: (وما يشعركم أنها) بالفتح كان ذلك عذراً لهم»[١] انتهى كلامه.

ومعنى قوله: «كان [ذلك][٢] عذراً لهم» أنك لو فتحت أن وجعلتها التي في نحو: بلغني أن زيداً[٣] منطلق، لكان عذراً لمَن أخبر عنهم أنهم لا يؤمنون؛ لأنه إذا قال القائل: إن زيداً لا يؤمن، فقلت: وما يدريك أنه لا يؤمن، كان المعنى: إنه يؤمن، وإذا كان كذلك كان عذراً لمَن نفى الإيمان عنه، وليس المراد في الآية عذرهم وأنهم يؤمنون[٤]، ألا ترى أن الله -سبحانه- قد أعلمنا في الآية الثانية أنهم لا يؤمنون بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ﴾ إلى قوله: ﴿مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١]، وقرأ الباقون ﴿أَنَّهَآ﴾ بالفتح.

---

(١) الكتاب ٣/ ١٢٣.

(٢) لفظ: (ذلك) ساقط من (أ).

(٣) انظر: الكتاب ٣/ ١٢٢.

(٤) هذا شرح لأبي علي في الحجة ٣/ ٣٧٨، وقال السمين في الدر ٣/ ١٠٢: «وقد شرح الناس قول الخليل وأوضحوه فقال الواحدي وغيره»، ثم ذكر هذا الشرح. انظر: تفسير الرازي ١٣/ ١٤٥.

قال الخليل : «هي بمنزلة قول العرب : ائت السـوق أنك تشتري لنا شيئاً ؛ أي [لعلـك][(١)] فكأنه قال : لعلها إذا جاءت لا يؤمنـون»[(٢)] انتهى كلامه . وأن بمعنى[(٣)] لعل كثير في كلامهم ، مثل قوله الشاعر[(٤)] :

أَرِيني جَوَاداً مَـاتَ هَزْلاً لأَنَّني أَرَى مَـا تَرَيْـنَ أَوْ بَخِيـلاً مُخَلَّدا

وقال آخر[(٥)] :

هَـل أَنْـتُـمْ عَـائِـجُـونَ بِنَـا لأَنَّا نَـرَى العَرَصَـاتِ أَوْ أَثَـرَ الخِيَامِ

---

(١) في (ش) : (لعل) .

(٢) الكتاب ٣/ ١٢٣ .

(٣) من معاني أن المشـددة المفتوحة أنها تكون بمعنى لعل عند الأكثر . انظر : حروف المعاني ٥٧ ، ومعاني الحروف ١١٢ ، والصاحبي ١٧٦ ، ورصف المباني ٢٠٧ ، ومغني اللبيب ١/ ٤٠ .

(٤) الشـاهد مختلف في نسـبته ، وهو لحاتم الطائي في ديوانه ٤٠ ، ولمعن بـن أوس المزني في ديوانه ٨٠ ، ولدريد بن الصمة الجشـمي في ملحـق ديوانـه ١١٦ ، والطـبري ٧/ ٣١٣ ، والثعلبي ١٨٢ ب ، ولحطائط بن يعفر النهشـلي في مجاز القرآن ١/ ٥٥ ، والحماسـة لأبي تمـام ٢/ ٣٥٨ ، وعيون الأخبار ٣/ ١٨١ ، والشعر والشـعراء ١٤٧ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، والطبري ٣/ ٧٨ ، والحجة لأبي علي ٢/ ٢٢٥ ، والدر المصون :٢/ ١١٧ ، وذكر في اللسان (أنن) ١/ ١٥٨ نسبته إلى هؤلاء ، وهو بلا نسبة في الإبدال لابن السـكيت ٨٥ ، وأمالي القالي ٢/ ٧٩ ، وسر صناعة الإعـراب ١/ ٢٣٦ ، والرازي ١٣/ ١٤٤ . والشـاهد : (لأنني) أراد : لعلني ، وفي الدواوين وأكثر المراجـع : «لعلني» بدل (لأنني) ، وعليه فلا شاهد فيه .

(٥) الشاهد للفرزدق في ديوانه ٢/ ٢٩٠ ، والحجة لأبي علي ٣/ ٣٧٩ ، واللسان (لغن) ٧/ ٤٠٤٩ ، وهو لجرير في ملحق ديوانه ١٠٣٩ ، واللسـان (أنن) ١/ ١٥٨ ، والدر المصون ٥/ ١٠٣ ، وبلا نسـبة في الإنصاف ١/ ١٨٤ ، والقرطبي ٤/ ١٥٤ . عائجون : مائلون ، والعرصات : جمع عرصة ، وهو وسط الدار .

والشـاهد : لأنا يريد : (لعنا) ، وفي ديوانه الفرزدق وأكثر المراجع : (لعلنا) بدلٌ مِن (لأنا) وفي بعض المراجع (لِغنا) بالغين والفتح ، وهي لغة في لعل .

وقال عدي[١] بن زيد :

أَعاذِلَ ما يُدْرِيكِ أَنَّ مَنِيَّتِي
إلى ساعَةٍ في اليَومِ أَوْ في ضُحى الغَدِ[٢]

وفسَّر علي : لعل منيتي ، ويدل على صحة هذا وجودته في المعنى أنه قد جاء في التنزيل لعل بهذا[٣] العلم كقوله تعالى : ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [عبس :٣] ، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى :١٧] ، وهذا الذي ذكره الخليل من أن[٤] بمعنى لعل مذهب الفرَّاء أيضاً ، قال : «وللعرب لغة في لعل بأن ، وهو وجه جيد أن تجعل أن في موضع لعل»[٥] ، ثم ذكر وجهاً آخرَ لهذه القراءة : «وهو أن تجعل لا صلة قال : ومثله : ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف :١٢] معناه : أن تسجد ، فيكون التقدير : وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون»[٦] ، والمعنى على هذا : أنها لو جاءت لم يؤمنوا[٧] .

---

(١) عَدي بن زيد بن حماد بن زيد العبادي التميمي أبو عمير ، من أهل الحيرة ، شاعر جاهلي فصيح ، نصراني ، مقدَّم على شعراء عصره ؛ لأنه أول مَن كتب بالعربية والفارسية لدى كسرى ، قتله النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وقال ابن قتيبة : «علماؤنا لا يرون شعره حجة» . انظر : طبقات فحول الشعراء ١/ ١٣٥ـ١٤٠ ، والشعر والشعراء ١٣٠ ، ومعجم المرزباني ٧٣ ، والأعلام ٤/ ٢٢٠ .

(٢) ديوانه ١٠٣ ، والشعر والشعراء ١٣١ ، والطبري ٧/ ٣١٣ ، وجمهرة أشعار العرب ١٧٩ ، والمدخل للحدادي ٤٤٩ ، والثعلبي ١٨٢ ب ، والبغوي ٣/ ١٧٨ ، وابن الجوزي ٣/ ١٠٥ ، والرازي ١٣/ ١٤٤ ، والقرطبي ٧/ ٦٤ ، واللسان (أنن) ١/ ١٥٨ ، والخازن ٢/ ١٧٢ ، والدر المصون ٥/ ١٠٣ ، وابن كثير ٢/ ١٨٤ ، وفي (الديوان) : «إلا تظنُّنا» بدلٌ مِن «أن منيتي» ، وعليه فلا شاهد فيه .

(٣) في الحجة لأبي علي ٣/ ٣٨٠ (لعل بعد العلم) .

(٤) هكذا في النسخ ، والأولى : «من أن ـ أن بمعنى لعل» .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٥٠ ، وهو قول الأخفش في معاني القرآن ٢/ ٢٨٥ ، قال : «قرأ بعضهم (أنها) ، وبها نقرأ وفسِّر على : لعلها . . .» . اهـ

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٥٠ .

(٧) هذا قول أبي علي في الحجة ٣/ ٣٨٠ عند شرح هذا الوجه .

قال الزَّجَّاج : «والذي ذكر أن (لا) لغوٌ[(١)] غالط ؛ لأن ما كان لغواً لا يكون غير لغو ، ومَن قرأ : (إنها) بالكسرة ، لم يكن لا لغواً ، فليس يجوز أن يكون معنى لفظة مرة النفي ومرة الإيجاب»[(٢)] .

قال أبو علي : «يجوز أن يكون لا في تأويل زائدة ، وفي تأويل غير زائدة ، كقول الشاعر[(٣)] :

أَبَى جُودُه لا البُخْلَ وَاسْتَعْجَلَتْ بِهِ نعَم مِنْ فَتىً لا يَمْنَع الجودَ قَاتِلُهْ

ينشد : لا البخلِ ولا البخلَ ، فمَن نصب البخلَ جعلها زائدة كأنه قال : أبى جوده البخل ، ومَن قال : لا البخلِ أضاف لا إلى البخل» . ومثل هذه الآية في أن

---

(١) لغو : أي زائدة ، وانظر : الإغفال ٦٧٧ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٨٣ ، وحكى كونها زائد النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٧٣ عن الكسائي ، ثم قال : «وهذا عند البصريين غلط ؛ لأن أن لا تكون زائدة في موضع تكون فيه نافية» . اهـ ، وقال الزَّجَّاج في معاني القرآن : «قد أجمعوا أن معنى (أن) هاهنا إذا فتحت معنى لعل ، والإجماع أولى بالاتباع» . اهـ ، وقال شيخ الإسلام في الفتاوى ١٠/ ١٠ ، ١١ ، ١٣/ ٢٤٦ ، ١٤/ ٤٩٥ ، في شرح الآية : «هذا استفهام نفي وإنكار ؛ أي وما يدريكم (إنها إذا جاءت لا يؤمنون) وأنا ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ على قراءة مَن قرأ (إنها) بالكسر تكون جزماً بأنها ﴿إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ، وأشكلت قراءة الفتح على كثير بسبب أنهم ظنوا أن الآية بعدها جملة مبتدأة ، وليس كذلك ، لكنها داخلة في خبر أن ، والمعنى : إذا كنتم لا تشعرون أنها إذا جاءت لا يؤمنون وأنا أفعل بهم هذا لم يكن قسمهم صدقاً بل قد يكون كذباً ، وهو ظاهر الكلام المعروف . أنها : أن المصدرية ، ولو كان (ونقلب) إلى آخره كلاماً مبتدأ لزم أنَّ كل مَن جاءته آية قُلب فؤاده ، وليس كذلك بل قد يؤمن كثير منهم ، ومَن فهم معنى الآية عرف خطأ مَن قال : إنَّ (أن) بمعنى لعل واستشكل قراءة الفتح ، بل يعلم حينئذ أنها أحسن من قراءة الكسر» . انظر : تفسير ابن عطية ٥/ ٣١٦ ، وابن كثير ٢/ ١٨٤ .

(٣) لم أعرف قائله ، وهو في معاني القرآن للأخفش ٢/ ٢٩٤ ، والطبري ٨/ ١٢٩ ، والأضداد لابن الأنباري ٢١١ ، والإغفال ٦٩٠ ، وكتاب الشعر ١/ ١١٧ ، والخصائص ٢/ ٣٥ ، ٢٨٣ ، وأمالي ابن الشجري ٢/ ٥٣٧ ، ٥٤٢ ، وابن عطية ٥/ ٣١٦ ، واللسان (نعم) ٨/ ٤٤٨٥ ، (لا) ١٥/ ٤٦٦ ، ومغني اللبيب ١/ ٢٤٨ .

لا فيهـا يجوز أن يكون زائدة ، ويجوز أن لا يكون قوله تعالى : ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء :٩٥][(١)] ، وسنذكر الوجهين في الآية إذا انتهينا إليها إن شاء الله[(٢)] .

واختلفوا في قوله ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ، فقـرأ[(٣)] بعضهم بالياء ، وهو وجه القراءة ؛ لأن قوله : ([وَ][(٤)] أَقْسَمُوا بالله) الآية [الأنعام :١٠٩] إنما يراد به قوم مخصوصون ، يدلـك على ذلك قوله تعـالى : ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ الآية [الأنعام :١١١] ، وليس كل الناس بهذا الوصف ، [و][(٥)] المعنى : وما يشـعركم أيها المؤمنون لعلهم إذا جاءتهم الآية التي اقترحوا لم يؤمنوا ، فالوجه الياء ؛ لأن الذين نفى عنهم الإيمان هم الغُيَّب المقسمون ؛ أي لا يؤمنون هؤلاء الغُيَّب المقسمون ، وقرأ حمزة وابن عامر بالتاء ، وهو على الانصراف من الغيبة إلى الخطاب ، والمراد بالمخاطبين في (يؤمنون) هم الغُيَّب المقسمون الذين أخبر عنهم أنهم لا يؤمنون[(٦)] .

---

(١) الحجة لأبي علي ٣/ ٣٨٠ ، ٣٨١ ، وانظر : معاني القراءات ١/ ٣٧٩ ، وإعراب القراءات ١/ ١٦٧ ، والحجة لابن خالويه ١٤٧ ، والحجة لابن زنجلة ٢٦٥ ، والكشف ١/ ٤٤٤ .

(٢) انظر : البسيط (النسخة الأزهرية) ٣/ ٢٥٠ ب .

(٣) قرأ ابن عامر وحمزة : (لا تؤمنون) بالتاء ، وقرأ الباقون بالياء . انظر : السبعة ٢٦٥ ، والمبسوط ١٧٣ ، والتذكرة ٢/ ٤٠٨ ، والتيسير ١٠٦ ، والنشر ٢/ ٢٦١ .

(٤) لفظ : (الواو) ساقط من (أ) .

(٥) لفظ : (الواو) ساقط من (أ) .

(٦) مـا تقدَّم هو كلام الفـارسي في الحجة ٣/ ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، إلاَّ أنه لم يختر القـراءة بالياء بل وجَّه القراءة فقط . انظر : معاني القـراءات ١/ ٣٨٠ ، وإعراب القراءات ١/ ١٦٧ ، والحجة لابن خالويه ١٤٧ ، والحجة لابن زنجلة ٢٦٧ ، والكشف ١/ ٤٤٦ .

وذهب مجاهد وابن زيد(١) إلى أن الخطاب في قوله ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ للكفار الذين أقسموا، قال مجاهد: «وما يدريكم أنكم تؤمنون إذا جاءت»(٢)، وهذا يقوّي [قراءة](٣) مَن قرأ: (تؤمنون) بالتاء، على ما ذكرنا أولاً الخطاب في قوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ للمؤمنين، وذلك أنهم تمنوا نزول الآية ليؤمن المشركون، وهو الوجه؛ لأنه قيل للمؤمنين: تَمنَّون ذلك، وما يدريكم أنهم يؤمنون، على ما شرحنا وبيَّنَّا(٤).

١١٠. قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ﴾ قال المفسرون(٥): «نحول بينهم وبين الإيمان لو جاءتهم تلك الآية فلا يؤمنون، حُلنا بينهم وبين الإيمان أول مرة». قال ابن عباس في رواية عطاء: «﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ﴾ حتى يرجعوا إلى ما سبق عليهم من علمي»، قال: «وهذا كقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤]» قال: «يريد: يحول بين المؤمن وبين أن يكفر به وبين الكافر وبين أن يؤمن به»(٦). والتقليب(٧) والقلب واحد، وهو تحويلك(٨) الشيء عن وجهه، ومعنى تقليب [الأفئدة والأبصار](٩) هاهنا، هو أن الواجب من مقتضى الآية أن يؤمنوا إذا جاءتهم الآية فعرفوها بقلوبهم ورأوها

---

(١) ذكره ابن عطية في تفسيره ٥/ ٣١٥، والرازي ١٣/ ٢٤٥، والقرطبي ٧/ ٦٤، وأبو حيان في البحر ٤/ ٢٠١.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) لفظ: (قراءة) مكرر في (أ).

(٤) انظر: تفسير الرازي ١٣/ ١٤٥، فقد نقل عامة الأقوال التي ذكرها الواحدي، وكذلك نص كلام الواحدي في التوجيه، من دون نسبة.

(٥) انظر: تفسير الطبري ٧/ ٣١٤، والسمرقندي ١/ ٥٠٧، والماوردي ٢/ ١٥٦.

(٦) ذكره ابن القيم كما في بدائع التفسير ٢/ ١٧٢.

(٧) القلب (بفتح القاف وسكون اللام)، والتقليب (بفتح التاء وسكون القاف وكسر اللام): الصرف، وتحويل الشيء عن وجهه. انظر: تهذيب اللغة ٣/ ٣٠٢٧، والصحاح ١/ ٢٠٥، والمفردات ٦٨١، واللسان (قلب) ٦/ ٣٧١٣.

(٨) (تحويلك) غير واضح في (ش).

(٩) في (ش): (الأفئدة أو الأبصار).

بأبصارهم، فإذا لم يؤمنوا كان ذلك بتقليب الله تعالى قلوبهم وأبصارهم عن وجهها الـذي يجب أن يكون عليه، وهو معنى ما قاله المفسرون: «نحول بينهم وبين[1] الإيمان لو جاءتهم الآية»[2].

وقد أخبرنا أبو إبراهيم إسماعيل[3] بن أبي القاسم الصوفي -رحمه الله- [أنبأ][4] أبو عمرو محمد بن[5] جعفر بن مطر، أنبأ إبراهيم[6] بن شَرِيك، نبَّأ شهاب[7]، نبَّأ حماد[8] عن أيوب[9] وهشام[10] ومَعلَّى[11] بن زياد عن

---

(١) النسخ: (وبين أهل الإيمان). وفي (أ): ضرب على -(أهل)-، وهو الصواب.

(٢) ذكر ابن القيم نحوه كما في بدائع التفسير ٢/ ١٧٢. انظر: البغوي ٣/ ١٧٨، وابن الجوزي ٣/ ١٠٥، والقرطبي ٧/ ٦٥.

(٣) أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم بن محمد النصرأباذي الواعظ، تقدمت ترجمته.

(٤) في (أ): (أنا).

(٥) محمد بن جعفر بن محمد بن مَطَر النيسابوري، أبو عمرو الزاهد، إمام علاَّمة عابد، كان ذا حفظ وإتقان، متعففاً قانعاً، يحيي الليل ويجتهد في متابعة السُّنة، رحل إلى الآفاق المتباعدة، وسمع الكثير، وسمع منه الحفَّاظ الكبار، توفي سنة ٣٦٠هـ، وله ٩٥ سنة. انظر: سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٦٢، والبداية والنهاية ١١/ ٢٧١، وشذرات الذهب ٣/ ٣١.

(٦) إبراهيم بن شِرَيك بن الفَضل بن خالد الأسدي أبو إسحاق الكوفي نزيل، محدِّث ثقة، توفي سنة ٣٠٢هـ، أو قبلها. انظر: تاريخ بغداد ٦/ ١٠٢، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ١٢٠، وتاريخ الإسلام ٨٤، وشذرات الذهب ٢/ ٢٣٨.

(٧) شهاب بن عباد العبدي أبو عمر الكوفي، إمام ثقة، توفي سنة ٢٢٤هـ. انظر: التاريخ الكبير ٤/ ٢٣٥، والجرح والتعديل ٤/ ٣٦٣، وتهذيب التهذيب ٢/ ١٨١.

(٨) حماد بن زيد بن درهم الأزدي أبو إسماعيل البصري، إمام علاَّمة، عابد فاضل، فقيه، ثقة، ثبت، أجمعوا على جلالته، روى عن جماعة من التابعين، توفي سنة ١٧٩هـ، وله ٨١ سنة. انظر: طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٧، والحلية ٦/ ٢٥٧، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٤٥٦، وتهذيب التهذيب ١/ ٤٨٠.

(٩) أيوب بن كيسان السَّختيَاني، أبو بكر بن أبي تميمة البصري، إمام عابد، فقيه، ثبت، متقن، أجمعوا على إمامته ووفور علمه، روى عن جماعة من التابعين، توفي سنة ١٣١هـ، وله ٦٥ سنة. انظر: طبقات ابن سعد ٧/ ٢٤٦، والجرح والتعديل ٢/ ٢٥٦، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٨، وتهذيب التهذيب ١/ ٢٠٠.

(١٠) هشام بن حسان الأزدي أبو عبدالله البصري القردوسي، تقدمت ترجمته.

(١١) معلَّى بن زياد القُرْدُوسي أبو الحسن البصري، إمام عابد، زاهد صدوق، قليل الحديث، روى عن =

الحسن ، قال : «قالت عائشـــة رضي الله عنها : دعوةٌ كان رسول الله ﷺ يكثر أن يدعو بها : «يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك» ، فقلت : يا رسول الله ، دعوة كثيراً ما تدعو بها ؟ قال : «إنه ليس من عبد إلَّا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله ، فإذا شاء أن يقيمه أقامه ، [وإذا][(١)] شاء أن يزيغه أزاغه»[(٢)] .

وقوله تعـــالى : ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟﴾ دخلت الكاف على محـــذوف تقديره : فلا يؤمنون ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يعني : أول مرة أتتهم الآيات ، مثل انشقاق

= جماعة من التابعـــين ، وتوفي بعد المئة . انظر : التاريخ الكبير للبخـــاري ٧/ ٣٩٤ (١٧١٥) ، والجرح والتعديـــل ٨/ ٣٣٠ ، وميزان الاعتدال ٤/ ١٤٨ ، وتهذيب التهذيـــب ٤/ ١٢٢ ، وتقريب التهذيب ٥٤١ (٦٨٠٤) .

(١) في (أ) : (وإن شاء) .

(٢) ســـند الواحدي جيد لكنه مرسل . قال المزي في تهذيب الكمال ٦/ ٩٧ : «الحسن رأى عائشة ولم يصح له ســـماع منها» . اهـ . ذكر طريق الواحدي ابن القيم في بدائع التفســـير ٢/ ١٧٣ ، وأخرجه أحمد في المسند ٦/ ٩١ عن الحسن ، وأخرجه ابن أبي عاصم في السُّنة ١/ ١٠٠ ، رقم ٢٢٤ ، ٢٣٣ ، والآجري في الشريعة ٢٦٣ ، ٢٦٤ من طرق عن عائشة ، وأخرجه الآجري عن الحسن ، عن أمه ، عن أم سلمة ، وصحَّح طريق عائشة الألباني في تعليقه على السُّنة ١/ ١٠١ ، ١٠٤ . والحديث ثابت صحيح من طرق عدة أخرى ، فقد روي من طرق جيدة عن أنس ، والنواس بن سمعان ، وجابر ، وعبدالله بن عمرو ، وأم سلمة ، وأخرجه أحمد في المسند ٢/ ١٧٣ ، ١٦٨ ، و٣/ ١١٢ ، و١٥٧ ، و٤/ ١٨٢ ، و٦/ ٣١٥ ، وابن ماجـــه ١/ ٧٢ ، رقـــم ١٩٩ ، و٢/ ١٢٦٠ ، رقم ٣٨٣٤ ، والترمذي وحسَّـــنه ٤/ ٤٤٨ ، رقم ٢١٤٠ ، و٥/ ٥٣٨ ، رقم ٣٥٢٢ ، وابن أبي عاصم في السُّـــنة ١/ ٩٨ـ١٠٤ ، والآجري في الشريعة ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، والحاكـــم وصحَّحه ٢/ ٢٨٩ ، و ٤/ ٣٢١ ، وصحَّح أكثر طرقه الألباني في تعليقه على السُّنة . انظر : مجمع الزوائد ٧/ ٢١٠ ، وأخرج مسلم ٣/ ٢٠٤٥ ، رقم ٢٦٥٤ عن عبدالله بن عمرو ، قال : «سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن ، كقلب واحد يصرفه حيث شاء» ، ثم قال : «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك» . اهـ

القمر، وغيره من الآيات، والتقدير: فلا يؤمنون ثاني مرة بما طلبوا من الآيات، كما لم يؤمنوا أول مرة، وهذا معنى قول ابن زيد(١) ومجاهد(٢) والكلبي(٣).

والكناية في (به) يجوز أن تعود على القرآن، وعلى محمد، ويجوز أن تعود على ما طلبوا من الآيات(٤)، وقال بعضهم: «معنى الكاف في قوله ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ معنى الجزاء(٥)، ومعنى الآية: ونقلّب أفئدتهم وأبصارهم عقوبة لهم على تركهم الإيمان في المرة الأولى، يعني: كما لم يؤمنوا أول مرة، فكذلك نقلب أفئدتهم وأبصارهم في المرة الثانية، وعلى هذا لا محذوف في الآية»، وهو معنى

(١) أخرج عنه الطبري في تفسيره ٧/ ٣١٤، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٦٩ بسند جيد، قال: «نمنعهم من ذلك كما فعلنا بهم أول مرة»، وقرأ: «كما لم يؤمنوا به أول مرة». اهـ

(٢) أخرج عنه الطبري في تفسيره ٧/ ٣١٤، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٦٩ بسند جيد، قال: «نحول بينهم وبين الإيمان ولو جاءتهم كل آية فلا يؤمنون، كما حلْنا بينهم وبين الإيمان أول مرة». اهـ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٧٢.

(٣) انظر: تنوير المقباس ٢/ ٥٢.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٧/ ٣١٥، والسمرقندي ٣/ ٣٠٦، وابن الجوزي ٣/ ١٠٦.

(٥) انظر: تفسير ابن عطية ٥/ ٣١٩، ونقل الرازي ٣/ ١٤٨، السمين في الدر ٥/ ١١١، هذا القول عن الواحدي، وقال ابن القيم في بدائع التفسير ٢/ ١٧٢: «اختلف في قوله: ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، فقال كثير من المفسرين المعنى: نحول بينهم وبين الإيمان لو جاءتهم الآية كما حلْنا بينهم وبين الإيمان أول مرة. وقال آخرون: المعنى: ونقلّب أفئدتهم وأبصارهم لتركهم الإيمان به أول مرة، فعاقبناهم بتقليب أفئدتهم وأبصارهم، وهذا معنى حسن، فإنَّ كاف التشبيه تتضمن نوعاً من التعليل، كقوله: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧]، والذي حسّن اجتماع التعليل والتشبيه الإعلام بأن الجزاء من جنس العمل في الخير والشر. والتقليب: تحويل الشيء عن وجه إلى وجه، وكان الواجب من مقتضى إنزال الآية وصولهم إليها كما سألوا أن يؤمنوا إذ جاءتهم؛ لأنهم رأوها عياناً، وعرفوا أدلتها، وتحققوا صدقها، فإذا لم يؤمنوا كان ذلك تقليباً لقلوبهم وأبصارهم عن وجهها الذي ينبغي أن تكون عليه...». اهـ ملخصاً، وقال أبو حيان في البحر ٤/ ٢٠٤: «الكاف في (كما) الظاهر أنها للتعليل، وهو واضح فيها وإن كان استعمالها فيه قليلاً. وقالت فرقة: هي بمعنى المجازاة، وهو معنى التعليل إلَّا أن تسمية ذلك غريبة لا يعهد في كلام النحويين أن الكاف للمجازاة». اهـ ملخصاً

قول ابن عباس[(١)] والعوفي[(٢)]، وهذه الآية حجة على القدرية الذين يكذبون بقضاء الكفر[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: «يريد: أَخْذلُهم وأدعهم في ضلالتهم يتمادون»[(٤)].

١١١. قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ الآية. كان المشركون يقولون للنبي ﷺ: أرنا الملائكة يشهدون لك بالنبوة، أو ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم عنك: أحق ما تقول أم باطل؟ والمسلمون يتمنون آية تأتيهم لعلهم يؤمنون، فقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ كما شاءوا ورأوهم عياناً ﴿وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى﴾، فشهدوا لك بالنبوة[(٥)]. ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾، وقُرئ: (قِبَلاً)[(٦)]. قال أبو زيد: «يقال: لقيت فلاناً قِبَلاً ومُقَابَلَةً، وقَبَلاً وقُبُلاً وقِبليّاً وقَبيلاً، كله واحد، وهو المواجهة»[(٧)]، والمعنى في القراءتين على ما قاله أبو زيد

(١) أخرجه الطبري ٧/ ٣١٥، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧٠ بسند جيد، قال: «لو ردوا إلى الدنيا لحيل بينهم وبين الهدى كما حلْنا بينهم وبينه أول مرة وهم في الدنيا»، وأخرجا بسند ضعيف عن ابن عباس، قال: «لمَّا جحد المشركون ما أنزل الله لم تثبت قلوبهم على شيء وردت عن كل أمر». اهـ

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: تفسير الرازي ١٣/ ١٤٦، ١٤٧.

(٤) ذكره ابن القيم في بدائع التفسير ٢/ ١٧٣، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٠٠، والبغوي ٣/ ١٧٩ من قول عطاء، وأخرج الطبري ٧/ ٣١٥، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧٠، تحقيق أحمد الزهراني بسند جيد عن ابن عباس، قال: ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتمادون. انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ١٨٥.

(٥) هذا قول الفرَّاء في معاني القرآن ١/ ٣٥٠، والنحاس ٢/ ٤٧٥، والسمرقندي ١/ ٥٠٧، وأخرجه ابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧ بسند جيد عن مجاهد، وذكره هود الهواري ١/ ٥٥٢ عن الحسن، وذكره ابن الجوزي ٣/ ١٠٦، والرازي ١٣/ ١٥٠ عن ابن عباس.

(٦) قرأ ابن عامر ونافع: (قِبَلًا) بكسر القاف وفتح الباء، وقرأ الباقون بضمهما. انظر: السبعة ٢٦٥، ٢٦٦، والمبسوط ١٧٣، والتذكرة ٢/ ٤٠٨، والتيسير ١٠٦، والنشر ٢/ ٢٦١، ٢٦٢.

(٧) النوادر ٢٣٥، وقبلًا: بكسر القاف وفتح الباء، ومقابلةً: بضم الميم وفتح القاف والباء، وقبلًا بالفتح، وقبلاً: بالضم، وقبليّاً: بالفتح وتشديد الياء، وقبيلاً: بفتح القاف وكسر الباء.

واحـد وإن اختلف اللفظان، فأمَّا مَن قرأ: (قِبَلاً) بكسر القاف وفتح الباء، فقال أبو عبيدة[(١)] والفرَّاء[(٢)] والزَّجَّاج[(٣)] وجميع أهل اللغة[(٤)]: (معناه: عياناً، يقال: لقيته قِبَلاً؛ أي معاينةً).

قال ابن الأنباري[(٥)]: «قال أبو ذر[(٦)]: قلت للنبي ﷺ: أنبيّاً كان آدم؟ فقال: «نعم كان نبيّاً كَلَّمَهُ اللهُ قِبَلاً»[(٧)].

---

(١) مجاز القرآن ١/ ٢٠٤.

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٥١.

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٨٣، وهو قول الأخفش ٢/ ٢٨٦، واليزيدي في غريبه ١٤١، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ١/ ١٦٩، والطبري ٨/ ٢، ومكي في تفسير المشكل ٧٩.

(٤) انظر: العين ٥/ ١٦٦، والجمهـرة ١/ ٣٧٢، وتهذيب اللغـة ٣/ ٢٨٢٦، والصحاح ٥/ ١٧٩٥، والمجمل ٣/ ٧٤١، والمفردات ٦٥٣، واللسان (قبل) ٦/ ٣٥٢٠.

(٥) ذكره السمين في الدر ٥/ ١١٢.

(٦) أبو ذر: صحابي مشـهور، اختُلِف في اسـمه، والمشـهور: جندب بن جنادة بن السكن الغفاري، مشهور بكنيته، صحابي فاضل جليل، أحد السابقين إلى الإسلام، رأس في الزهد والصدق، والعمل والعلـم، لازم النبي ﷺ وجاهد معه، وفضله ومناقبه وثناء الأئمة عليه كثير، توفي -رضي الله عنه- سـنة ٣٢هـ. انظر: طبقات ابن سـعد ٤/ ٢١٩، والحلية ١/ ١٥٦، والاستيعاب ٤/ ٢١٦، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٤٦، والإصابة ٤/ ٦٢، وتهذيب التهذيب ٤/ ٥١٩.

(٧) أخرجه أبو الشيخ في العظمة ٤٤٩ بسـند ضعيف، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ١٩٨، وقال: «رواه الطبراني في الأوسـط، وأحمد بنحوه، وفيه المسعودي قد اختلط». اهـ، وأخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٧٨، و١٧٩، والبخاري في التاريخ الكبير ٥/ ٤٤٧ بلفظ: (آدم نبي مكلم)، وفيه: المسـعودي عبدالرحمن بن عبدالله بن عتبة الكوفي، إمام صدوق اختلط قبل موته كما في التقريب ٣٤٤ (٣٩١٩)، وعبيد بن الخشخاش. قال ابن حجر في التقريب (لين) ٣٧٦ (٤٣٧١)، وأبو عمر الدمشقي، قال ابن حجر في التقريب ٦٦٠ (٨٢٦٥): ضعيف. وأخرجه الحاكم ٢/ ٢٦٢ عن أبي أمامة بلفظ: (نبي معلم مكلم). قال الحاكم: «حديث صحيح على شرط مسـلم ولم يخرجاه». اهـ، وفيه: مطور الأسود أبو سـلام الحبشي. قال ابن أبي حاتم في المراسيل ٢١٥: «سمعت أُبي يقول: مطور الحبشي عن أبي أمامة مرسـل». اهـ، وانظر: الدر المنثور ١/ ١٠٤. قـال ابن الأثير في النهاية ٤/ ٨: «في حديث آدم إن الله كلَّمه قبلاً -بكسر القاف وفتح الباء- أي عياناً ومقابلةً، لا من وراء حجاب، ومن غير أن يولي أمره أو كلامه أحداً من ملائكته». اهـ. انظر: مرويات الإمام أحمد في التفسير ٢/ ١٢٤، ١٢٥.

ومَن قرأ (قُبُلاً)[1] فله ثلاثة أوجه ؛ أحدها : أن يكون جمع قَبِيل[2] الذي يراد به الكفيل ، يقال : قَبَلْتُ[3] بالرجل أَقْبَلَ قَبَالةً ؛ أي كفلتُ به ، ويكون المعنى : لو حُشر عليهم كل شيء فكفل بصحة ما تقول ما آمنوا[4] .

فإن قيل : إذا لم يؤمنوا مع إنــزال الملائكة إليهم وأن يكلمهم الموتى ، مع أن ذلك مما [يبهر][5] ظهوره ، ويضطرب مشــاهدته ، فكيف يؤمنون بالكفالة التي هــي قول لا يبهر ولا يضطر ، ويجوز أن لا يصدقــوا بكفالتهم ، وأيُّ أعجوبة في كفالتهم حتى تذكر مع إنزال الملائكة وكلام الموتى ؟ قيل : في الأشــياء المحشورة مــا ينطق ومــا لا ينطق ، فإذا نطــق بالكفالة مَن لا ينطــق كان ذلك موضع بهر الآية ، ومعنى ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ جمعنا[6] ﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ في الدنيا . الوجه الثاني : أن يكــون (قُبُلاً) جمع قبيل[7] بمعنى الصنــف ، المعنى : ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [قبيلاً قبيلاً][8] ، والأعجوبة في هذا هو جمع الأشياء جنساً جنساً ، وجمع الأشياء ليس في العرف[9] أن تجمع وتحــشر إلى موضع . الوجه الثالث : أن يكون (قُبلاً)

---

(١) أي بالضم .

(٢) قَبِيل (بفتح القاف وكسر الباء) كَرِغيف ورُغُف ، أفاده السمين في الدر ٥/ ١١٣ .

(٣) قَبَلْتُ : بالفتح ، أَقْبَل : بسكون القاف وفتح الباء ، قَبَالة : بالفتح ، أفاده السمين في الدر ٥/ ١١٣ .

(٤) ذكر هذا الوجه أكثرهم ، وهو اختيار الفرَّاء في معاني القرآن ١/ ٣٥٠ .

(٥) في (ش) : (يبهز) ، وهو تصحيف .

(٦) في (ش) : تكرر لفظ (جمعنا عليهم) .

(٧) قبيــل (بفتح القاف ، وكسر الياء) : الجماعة ، والصنف ، وهــذا الوجه قول الأخفش في معاني القرآن ٢/ ٢٨٦ ، وأبي عبيــدة في المجاز ١/ ٢٠٤ ، واليزيدي في غريب القرآن ١٤١ ، وابن قتيبة في تفســير غريب القرآن ١/ ١٦٩ ، ومكي في تفسير المشــكل ٧٩ . قال الإمام البخاري في صحيحه ٨/ ٢٩٦ ، مع فتح الباري : «قُبلاً جمع قبيــل ، والمعنى : أنه ضروب للعذاب ، كل ضرب منها قبيل» ، وقال ابن الأنباري في قصيدة ، في مشكل اللغة ، وشرحها في مجلة مجمع اللغة ٤/ ٦٤/ ٦٤٧ : «القبل ، بالضم : الضروب والجماعات من العذاب ، جمع قبيل» . اهـ

(٨) في (أ) : (قبلًا قبيلًا) ، ولعله تصحيف .

(٩) في الحجة لأبي علي ٣/ ٣٨٦ ، بعد ذكر ما تقدَّم ، قال : «فموضع ما يبهر هو اجتماعها مع أن ذلك ليس في العرف» .

بمعنى (قِبلًا)(١) ؛ أي مواجهةً ومعاينةً ، كما فسَّره أبو زيد(٢) ، وهذا في المعنى كالقراءة(٣) الأولى(٤) .

وقوله تعالى : ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ قال الزَّجَّاج(٥) : «أعلم الله جل وعز أنهم لا يؤمنون ، وهو كإعلام نوح في قوله تعالى : ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود :٣٦]» ، وقال عكرمة(٦) : «هذا في أهل الشقاء» ، وقال ابن جريج(٧) : «نزلت هذه الآية في المستهزئين الذين ذكروا في سورة الحجر»(٨) .

قال ابن عباس في هذه الآية : «أخبر الله -تعالى- نبيه ﷺ بما سبق في علمه وقضائه وقدره من الشقوة عليهم ، ليعزِّي رسوله ويصبِّره ، وذلك أنَّ حزن النبي ﷺ

---

(١) أي يكون قُبُلًا (بالضم) ، بمعنى قِبَلًا (بكسر القاف ، وفتح الباء) .

(٢) وكذلك المُبرِّد ، وحكاه عنه النحاس في إعراب القرآن ٥٧٤ .

(٣) ما تقدَّم هو قول أبي علي في الحجة ٣/ ٣٨٤ـ٣٨٧ بتصرف . انظر : معاني القراءات ١/ ٣٨٠ ، والحجة لابن زنجلة ٢٦٧ ، والكشف ١/ ٤٤٦ .

(٤) ذكر نحو ما تقدَّم أكثرهم . انظر : معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٥٠ ، والزَّجَّاج ٢/ ٢٨٣ ، والنحاس ٢/ ٤٧٥ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٠٧ ، وابن عطية ٥/ ٣٢١ ، وابن الجوزي ٣/ ١٠٧ ، والقرطبي ٧/ ٦٦ ، وذكره الرازي ١٣/ ١٥٠ ، والسمين في الدر ٥/ ١١٢ عن الواحدي .
وأظهر الأقوال توافق القراءتين بمعنى المعاينة والمقابلة ، وهو ظاهر كلام ابن كثير ٢/ ١٨٥ . قال أبو حيان في البحر ٤/ ٢٠٦ : «هذا القول عندي أحسن ؛ لاتفاق القراءتين» . اهـ ، وأخرجه الطبري ١٢/ ٤٩ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧٠ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٢٠٥ بسند جيد عن ابن عباس ، وأخرجه الطبري بسند جيد عن قتادة ، وحكاه الماوردي ٢/ ١٥٧ عن ابن زيد وابن إسحاق ، وأخرج ابن حسنون في اللغات ٢٤ ، والوزان ٣ ب بسند جيد عن ابن عباس ، قال : «قبلاً يعني : عياناً ؛ الضم بلغة تميم ، والكسر بلغة كنانة» . اهـ

(٥) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٢٨٣ ، ومثله ذكر السمرقندي ١/ ٥٠٧ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) أخرجه الطبري ٨/ ١ بسند جيد ، وذكره ابن عطية ٥/ ٣٢٠ ، وقال : «هذا لا يثبت إلاَّ بسند» . اهـ . انظر : الدر المنثور ٣/ ٧٢ .

(٨) يعني قوله تعالى : ﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ [الحجر :٩٠] ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر :٩٥] ، وانظر : سبب نزولها في زاد المسير ٤/ ٤١٧ـ٤٢١ .

اشتد حين كذَّبه قومه ، وكفروا بالله ، وصاروا إلى العذاب ، ولهذا قال الله تعالى له : ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ الآية [الكهف :٦]»[١] .

وقال ابن الأنباري : «أقسم الكافرون أن الآية متى [أنزلت][٢] آمنوا بها ، فقدَّر المؤمنون أن هذا القول صحيح منهم ، فدلهم جل اسمه على أن قولهم ليس بحقٍّ ، وأنه لو أحضرهم هؤلاء الآيات التي عددها ما كانوا ليؤمنوا ويعترفوا بصحة ما يشاهدون منها ، إلَّا أن يهديهم إلى ذلك ، ويسهل عليهم تبيُّن الآيات وقبولها ، وهو معنى قوله ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾»[٣] ، وهذا نص في تكذيب القدرية[٤] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ قال ابن عباس : «يجهلون الحق أنه من الله»[٥] ، وقيل : ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ أنهم لو أُتوا بكل آية ما آمنوا[٦] .

(١) أخرج البيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٢٥٠ بسند جيد عن ابن عباس ، قال : «إن رسول الله ﷺ كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ، ويبايعوه على الهدى ، فأخبره الله تعالى أنه لا يؤمن إلَّا مَن سبقت له من الله السعادة في الذكر الأول ، ولا يضل إلَّا مَن سبقت له من الله الشقاوة في الذكر الأول ، ثم قال لنبيه ﷺ : ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء :٣]» . اهـ

وأخرج عنه الطبري في تفسيره ٨/ ١ ، وابن أبي حاتم ٣/ ١٠٣ أ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ١٠٥ بسند جيد ، قال : «﴿مَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ﴾ وهم أهل الشقاء ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ وهم أهل السعادة الذي سبق لهم في علمه أن يدخلوا في الإيمان» . اهـ

(٢) في (ش) : (نزلت) .

(٣) لم أقف عليه ، وانظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٨٤ .

(٤) انظر : تفسير الرازي ١٣/ ١٥١ ، والبحر المحيط ٤/ ٢٦ . قال ابن عطية في تفسيره ٥/ ٣٢٠ : «وهذا يتضمن الرد على المعتزلة في قولهم بالآيات التي تضطر الكفار إلى الإيمان» . اهـ

(٥) تنوير المقباس ٢/ ٥٣ .

(٦) ذكره أكثر المفسرين . انظر : تفسير السمرقندي ١/ ٥٠٨ ، والماوردي ٢/ ١٥٧ ، وابن الجوزي ٣/ ١٠٧ ، والرازي ١٣/ ١٥١ ، والقرطبي ٧/ ٦٧ ، والبحر المحيط ٤/ ٢٠٦ .

١١٢. وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ الآية [الأنعام: ١١٢]، قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ منسوق على قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٨]؛ أي كما فعلنا ذلك ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾، وقيل[1]: «معناه: جعلنا لك عدوّاً، كما جعلنا لمَن قبلك من الأنبياء»، فيكون قوله ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ عطفاً على معنى ما تقدَّم من الكلام، وما تقدَّم يدل على معناه على أنه جعل له أعداء. قال المفسرون[2]: «وهذا تعزية للنبي ﷺ، يقول: كما ابتليناك بهؤلاء القوم فكذلك جعلنا لكل نبي قبلك عدوّاً ليعظم ثوابه على ما يكابد من أذاه».

قال الزَّجَّاج[3] وابن الأنباري: «وعدوٌّ[4] في معنى: أعداء»، وأنشد أبو بكر:

إذا أنا لَمْ أَنْفَعْ صديقي بودِّهِ ... فإنَّ عدوِّي لن يَضُرَّهُمْ بُغْضي[5]

---

(١) أجمع أكثرهم على أن الكاف في محل نصب نعتاً لمصدر محذوف، واختلفت عباراتهم في تقديره، فقال الطبري في تفسيره ٨/ ٣: «يقول: وكما ابتليناك يا محمد بأن جعلنا لك من مشركي قومك أعداء، كذلك ابتلينا مَن قبلك من الأنبياء والرسل بأن جعلنا لهم أعداء من قومهم». اهـ ملخصاً، وانظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٨٤، والنحاس ٢/ ٤٧٦، وتفسير الماوردي ٢/ ١٥٧، وابن الجوزي ٣/ ١٠٨، والتبيان ١/ ٣٥٤، والفريد ٢/ ٢١٥، وتفسير القرطبي ٧/ ٦٧. ونقل الرازي ١٣/ ١٥٢ قول الواحدي من دون نسبة، وذكره السمين في الدر ٥/ ١١٥ عن الواحدي.

(٢) ذكر ذلك أكثرهم. انظر: تفسير الطبري ٨/ ٣، وتفسير ابن عطية ٥/ ٣٢٢، وتفسير القرطبي ٧/ ٦٧.

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٨٤.

(٤) عَدُوٌّ: بفتح العين، وضم الدال. انظر: تهذيب اللغة ٣/ ٢٣٤٧، واللسان (عدا) ٥/ ٢٨٤٥.

(٥) الشاهد للنابغة الشيباني في ديوانه ١١٧، والزاهر ١/ ٢١٦، ٢١٧، وللنابغة الذبياني في ملحق ديوانه ٢٣١، وبلا نسبة في الرازي ١٣/ ١٥٤، والبحر ٤/ ٢٠٧، والدر المصون ٥/ ١١٦.

أراد: أعدائي، فأدَّى الواحد عن الجميع[(١)] كقوله عز وجل: ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤] جعل ﴿ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ وهو جمع نعتاً للضيف وهو واحد؛ لأنه أراد بالواحد الجمع، و﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾: منصوب على البدل من عدوٍّ ومفسر له، ويجوز أن يكون (عدوّاً) منصوباً على أنه مفعول ثانٍ. المعنى: وكذلك جعلنا شياطين الإنس والجن أعداء للأنبياء[(٢)].

واختلفوا في معنى ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ على قولين:

أحدهما: إن المعنى مردة الإنس والجن، والشيطان[(٣)] كل عاتٍ متمرد من الإنس والجن، وهذا قول ابن عباس في[(٤)] رواية عطاء ومجاهد[(٥)] وقتادة[(٦)] والحسن[(٧)]،

---

(١) الزاهر ١/ ٢١٦-٢١٨، ولم يذكر الآية، وذكر ذلك الرازي ١٣/ ١٥٤ عن ابن الأنباري.

(٢) هذا قول الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٢٨٤، والنحاس في إعرابه ١/ ٥٧٥، والأزهري في تهذيبه ٣/ ٢٣٤٧، وأجمع أكثرهم على أن في الآية وجهين: الأول: إن (عدوّاً) مفعول أول، و(لكل نبي) في موضع المفعول الثاني قُدِّم، و(شياطين) بدل من عدوٍّ. والوجه الثاني: أن المفعول الأول (شياطين)، و(عدوّاً) مفعول ثانٍ مقدَّم، و(لكل نبي) حال من (عدوّاً) لأنه صفته. قال الفرَّاء في معاني القرآن ١/ ٣٥١، والطبري ٨/ ٣: «نصب العدوَّ والشياطين بجعلنا»، وجوَّز ابن الأنباري في البيان ١/ ٣٣٥ جعل (شياطين) مفعولاً ثانياً لجعل. انظر: التبيان ١/ ٣٥٤، والفريد ٢/ ٢١٥، والدر المصون ٥/ ١١٥.

(٣) قال المُبرِّد في الكامل ٣/ ٩٦: «زعم أهل اللغة أن كل متمرد من جنٍّ أو إنس أو سبع أو حيَّة يقال له: شيطان، وأن قولهم: تشيطن، إنما معناه: تخبث وتنكر، وقد قال الله جل وعز: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾». اهـ. انظر: العين ٦/ ٢٣٧، والجمهرة ٢/ ٨٦٧، وتهذيب اللغة ٢/ ١٨٧٨، والصحاح ٥/ ٢١٤٤، والمجمل ٢/ ٥٠٢، ومقاييس اللغة ٣/ ١٨٣، والمفردات ٤٥٤، واللسان (شطن) ٤/ ٢٢٦٥.

(٤) ذكره الرازي ١٣/ ١٥٤، ونحوه تنوير المقباس ٢/ ٥٣، وأخرج ابن أبي حاتم ٣/ ٣٧١ نحوه، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٧٤.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٠٢، والبغوي ٣/ ١٧٩، والرازي ١٣/ ١٥٤ عن مجاهد والحسن وقتادة.

(٦) أخرج نحوه بسند جيد عبدالرزاق ١/ ٢/ ٢١٦، والطبري ٨/ ٥، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧١.

(٧) ذكره هود الهواري ١/ ٥٥٢، والماوردي ٢/ ١٥٨، وابن الجوزي ٣/ ١٠٨.

وهؤلاء قالوا : «إن من الجن شياطين ، ومن الإنس شياطين ، وإن الشيطان من الجن إذا أعياه المؤمن ، وعجز عن إغوائه ذهب إلى متمردٍ من الإنس ، وهو شيطان الإنس ، فأغراه بالمؤمن ليفتنه» . يدل على هذا ما روي من أن النبي ﷺ [قال](١) لأبي ذر : «هل تعوذت بالله من شر شياطين الجن والإنس ؟» قال : قلت : وهل للإنس من شياطين ؟ قال : «نعم ، هم شر من شياطين الجن»(٢) .

وقال مالك(٣) بن دينار : «إن شيطان [الإنس](٤) أشد عليَّ من شيطان الجن ، وذلك أني إذا تعوذت بالله يذهب عني شيطان الجن ، وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عياناً»(٥) .

---

(١) لفظ : (قال) ساقط من (أ) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٧٨ ، ١٧٩ ، والنسائي في سننه ٨/ ٢٧٥ في : الاستعاذة ، باب : الاستعاذة من شر شياطين الجن ، والطبري في تفسيره ٨/ ٥ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧١ من طرق عدة ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٥٩ ، ١٦٠ : «رواه أحمد والطبراني في الكبير ، ومداره على علي بن زيد ، وهو ضعيف ، ورواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط بنحوه ، وعند النسائي طرف منه ، وفيه المسعودي ، وقد اختلط» . اهـ . وقد ذكر ابن كثير في تفسيره ٢/ ١٨٦ طرقاً أخرى للحديث ، ثم قال : «فهذه طرق لهذا الحديث ومجموعها يفيد قوته وصحته والله أعلم» . اهـ . انظر : كشف الأستار ١/ ٩٣ ، والمطالب العالية ٤/ ٢٠٧ (٣٤٤١) ، والدر المنثور ٣/ ٧٣ ، وقوله : «قال : نعم ، هم شر من شياطين الجن» لم أقف عليها .

(٣) مالك بن دينار البصري ، أبو يحيى ، تابعي ، إمام عابد ، زاهد ، ثقة ، كان يكتب المصاحف ، توفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ١٣٠هـ ، أو نحوها . انظر : طبقات ابن سعد ٧/ ٢٤٣ ، والجرح والتعديل ٨/ ٢٠٨ ، وحلية الأولياء ٢/ ٣٥٧ ، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٦٢ ، وتهذيب التهذيب ٤/ ١١ .

(٤) لفظ (الإنس) ساقط من (أ) ، وملحق بالهامش .

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف ١٨٣ أ ، والواحدي في الوسيط ١/ ١٠٢ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٨٠ ، وابن الجوزي ٣/ ١٠٩ ، والقرطبي ٧/ ٦٨ .

وشرح ابن عباس هذا شرحاً شافياً، فقال[١] في رواية عطاء: «أمَّا عدوُّه من شـياطين الجن، فالأبيض الذي كان يأتي في صورة جبريـل[٢] يوحي إليه، وأمَّا الإنـس فالوليد بن المغـيرة[٣]، والعاص[٤] بن وائل، وأبـو جهل، وعتبة[٥]، وشيبة، وأُبي بن خلف، وأخوه أمية»[٦]، وذكر أسماء المستهزئين[٧].

---

(١) ذكر نحوه أبو حيان في البحر ٤/ ٢٠٧، وقوله: «أمَّا عدوه من شـياطين الجن...» لم أقف عليه بعد طول بحث.

(٢) عن عبدالله بن مسـعود قال: قال رسـول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلاَّ وقد وُكِّل به قرينه من الجن»، قالوا: وإياك يا رسـول الله؟ قال: «وإياي إلَّا أن الله أعانني عليه فأسْـلَم، فلا يأمرني إلَّا بخير». اهـ.
قال الإمام النووي: «فأسلم: برفع الميم وفتحها، وهما روايتان مشهورتان، فمَن رفع قال: معناه أسلم أنا من شرِّه وفتنته، واختلفوا على رواية الفتح، قيل: أسـلم من الإسـلام وصـار مؤمناً لا يأمرني إلَّا بخير، وهذا هو الظاهر، وقيل: أسـلم بمعنى استسـلم وانقاد. قال القاضي عياض: واعلم أن الأُمَّة مجتمعة على عصمة النبي ﷺ من الشـيطان في جسـمه وخاطره ولسـانه...». اهـ ملخصاً، وانظر: النهاية لابن الأثير ٢/ ٣٩٥.

(٣) الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر المخزومي أبو عبد شـمس القرشي، أحد المسـتهزئين المجاهرين بالأذى والعداوة للرسـول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، توفي بعد الهجرة بثلاثة أشـهر، وهو والد الصحابي الجليل وسيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه. انظر: سيرة ابن هشام ١/ ٢٨٣، وجوامع السير ٥٣، والكامل لابن الأثير ٢/ ٤٨، والأعلام ٨/ ١٢٢.

(٤) العاص بن وائل بن هاشـم السـهمي، أحد المسـتهزئين والمجاهرين بالعداوة والأذى للرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، توفي بعد الهجرة بشـهرين، وهو والد الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه. انظر: المصادر السابقة، والأعلام ٣/ ٢٤٧.

(٥) عتبة وشـيبة: ابنا ربيعة بن عبد شمس القرشي، من المستهزئين قُتلا في بدر. انظر: المصادر السابقة، والأعلام ٣/ ١٨١، ٤/ ٢٠٠.

(٦) أُبي، وأمية: ابنا خلف بن وهب الجمحي، من المسـتهزئين وأشـدهم، وأكثرهم أذى للرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، قُتل أمية في بدر، ورمى النبي ﷺ يوم أُحد أُبيّاً بحربة فقتله. انظر: جوامع السير ٥٤، والكامل في التاريخ ٢/ ١٤٨، والأعلام ٢/ ٢٢.

(٧) المستهزئون: طبقة لهم قوة ورياسة، اختُلِف في عددهم وأسمائهم وكيفية هلاكهم، وقد أخرج الطبري ١٤/ ٧٠-٧٣، والطبراني في الكبير ١١/ ١١٣، والبيهقي في سـننه ٩/ ٨، في الدلائل ٢/ ٨٥، ٨٦ من طرق جيدة عن ابن عباس، عددهم وأسـماءهم وكيفية هلاكهم، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٤٧، وقال: «رجاله ثقات»، وقال السيوطي في الدر ٣/ ٧٣: «أخرجه الطبراني، والبيهقي، وأبو نعيم، وابن مردويه بسـند حسـن، والضياء في المختارة»، وانظر: الماوردي ٢/ ١٥٧، والزمخشري ٢/ ٣٩٩، وابن الجوزي ٤/ ٤٢١، والقرطبي ١٠/ ٦٢، وابن كثير ٢/ ١٨٦.

القول الثاني: إن الجميع من ولد إبليس، وأضيف[(١)] الشياطين إلى الإنس؛ أي الذين يغوونهم، وهذا قول عكرمة[(٢)]، والضحاك[(٣)]، والسُّدِّي[(٤)]، والكلبي[(٥)] عن أبي صالح، عن ابن عباس[(٦)]، وهؤلاء قالوا: «معناه: شياطين الإنس التي مع الإنس، وشياطين الجن التي مع الجن، وذلك أن إبليس قسم جنده فريقين: فبعث منهم فريقاً إلى الجن، وفريقاً إلى الإنس، فالفريقان شياطين الإنس والجن»[(٧)].

وقوله تعالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾؛ أي يُلقي ويُسِرُّ[(٨)].

قال عطاء عن ابن عباس: «يناجي بعضهم بعضاً بكذب»[(٩)].

---

(١) قال السمين في الدر ٥/ ١١٥، ١١٦: «الراجح أنه من باب إضافة الصفة لموصوفها، والأصل الإنس والجن الشياطين، ويحتمل أن يكون من الإضافة التي بمعنى اللام، والمعنى: الشياطين التي للإنس والشياطين التي للجن، فإن إبليس قسم جنده قسمين: قسم متسلط على الإنس، وآخر على الجن، كذا جاء في التفسير». اهـ بتصرف

(٢) أخرجه الطبري ٨/ ٤، من طرق، عن عكرمة والسُّدِّي، وذكره السمرقندي ١/ ٥٠٨، وابن الجوزي ٣/ ١٠٨ عن عكرمة.

(٣) ذكره القرطبي ٧/ ٦٨، وأبو حيان في البحر ٤/ ٢٠٧ عن الضحاك والكلبي.

(٤) ذكره ابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧٢، وذكره الماوردي ٢/ ١٥٨ عن عكرمة والسُّدِّي.

(٥) ذكره هود الهواري ١/ ٥٥٢، وذكره البغوي ٣/ ١٧٩ عن عكرمة والضحاك والسُّدِّي والكلبي.

(٦) أخرجه الفرَّاء في معاني القرآن ١/ ٣٥١، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧٢ بسند ضعيف، وذكره النحاس في إعرابه ١/ ٥٧٥، وقال القرطبي ٧/ ٦٧: «قال النحاس وروى عن ابن عباس بإسناد ضعيف». اهـ

(٧) هذا قول غريب، وليس له وجه مفهوم، كما أفاده الطبراني في تفسيره ١٢/ ٥٢، والراجح: هو الأول عند أكثر أهل العلم، ومنهم الطبري، والقرطبي في تفسيره ٧/ ٦٨، وابن كثير ٢/ ١٨٦. قال النحاس في إعراب القرآن ١/ ٥٧٥: «ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١] فهذا يبيِّن معنى ذلك». اهـ، وقال ابن عطية في تفسيره ٥/ ٣٢٠: «قول السُّدِّي وعكرمة لا يستند إلى خبر ولا إلى نظر».

(٨) قال ابن الأنباري في الزاهر ٢/ ٣٤١: «المعنى: يسر بعضهم إلى بعض، وهذا أصل الحرف». اهـ

(٩) لم أقف عليه، وأخرج عنه ابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧٢ عن عطاء، قال: «يوسوس».

ومعناه على القـــول الأول : ما قاله مجاهد[١] وقتادة[٢] : «وهو أن شـــياطين الجن الذين هـــم من جند إبليس يوحـــون إلى كفار الإنـــس ومردتهم فيغوونهم بالمؤمنين» ، وقد ذكرنا آنفاً أن الشيطان من الجن إذا أعياه المؤمن أغرى به شيطاناً من الإنس .

وعلى القول الثاني معناه : ما قاله الكلبي : «إن إبليس جعل فرقة من شياطينه مع الإنس ، وفرقة مع الجن ، فإذا التقى شـــيطان الإنس وشـــيطان الجن ، قال : أضللـــت صاحبي بكذا وكذا ، فأضل به صاحبك ، ويقول له شـــيطان الجن مثل ذلك ، فهذا وحي بعضهم إلى بعض» .

قال الفرَّاء : «حدثني بذلك حبَّان[٣] ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس»[٤] .

وعلى القول الأول المراد بالجن : الشـــياطين من ولد إبليس ، والمراد بالجن في القول الثاني : [ولد][٥] الجان[٦] .

---

(١) أخرجه الطبري ٨/ ٣ ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٧٤ .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) في (ش) : حيان ، وكذا في معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٥١ ، وهو تصحيف ، والصواب حبان بالباء ، كما في معـــاني القرآن للفرَّاء ٣/ ٧ ، و٨ ، و٥٣ ، و٦٠ ، و٦٦ ، و٧٧ ، وهو : حِبَّان بن علي الْعَنَزِي أبو علي الكوفي ، إمام فاضل ، صالح فقيه ، ضعَّفه أئمة الجرح والتعديل ، توفي ســـنة ١٧١هـ ، وله ٦٠ سنة . انظر : الجرح والتعديل ٣/ ٢٧٠ ، وميزان الاعتدال ١/ ٤٤٩ ، وتهذيب التهذيب ١/ ٣٤٥ ، وتقريب التهذيب ١٤٩ (١٠٧٦) .

(٤) إسناده ضعيف ، وقد سبق تخريجه .

(٥) في (ش) : (والد) ، وهو تحريف .

(٦) الـــذي يظهر أنه على القول الأول : يكون المراد بالجن ولد إبليـــس والجان ، وعلى القول الثاني : المراد بالجن ولد إبليس ؛ لأنه قسمهم قسمين : قسم مع الإنس ، وقسم مع الجن ، والله أعلم . انظر : تفسير الرازي ١٣/ ١٥٤ ، فقد ذكر القول الثاني : ثم قال : «وعلى هذا القول ، فالشياطين نوع مغاير للجن ، وهم أولاد إبليس» . اهـ

وقوله تعالى : ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾ الزخرف : الباطــل[(١)] من الكلام الذي زُيِّن ووُشِّي بالكــذب ، يقال : فلان يزخــرف كلامه ، إذا زيَّنــه بالباطل والكذب ، وكل شيء حســنٍ مموَّهٍ فهو زخرف كالنقوش ، وبيت مُزَخْرَفٌ منقوش[(٢)] ، ومنه الحديث : «إن رســول الله ﷺ لم يدخل الكعبة حتى أمــر بالزخرف فنُحِّي »[(٣)] ، يعني بالزخرف : نقوشــاً ، وتصاوير زُيِّنت بها الكعبــة وكانت مموَّهة بالذهب ، فأمــر بها حتى حُتَّت[(٤)] . قال الزَّجَّاج : «والزخــرف في اللغة : الزينة ، المعنى أن بعضهم يُزيِّن لبعض الأعمال القبيحــة و﴿غُرُورًا﴾ منصوب على المصدر ، وهذا المصــدر محمول على المعنى ؛ لأن معنى إيحاء الزخــرف من القول معنى الغرور ،

(١) في (أ) : (الباطل من الباطل الكلام) ، وعلى الباطل الثانية ضرب ، وهو الصواب .

(٢) الزخرف (بضم الزاي المشــددة ، وسـكون الخاء ، وضم الراء) : الزِّينة . وأصله الذَّهَب ، ثم سُمِّي كل زينــة زخرفاً ، ثم شُــبِّه كل مُموَّه مُــزوَّر به ، وبيت مزخــرف : مزين . انظــر : العين ٤/ ٣٣٨ ، والجمهرة ٢/ ١١٤٤ ، والمنجد ٢١٩ ، والصحاح ٤/ ١٣٦٩ ، والمفردات ٣٧٩ ، واللسان (زخرف) ٣/ ١٨٢١ .

(٣) لم أقف على ســنده ، وهو في تهذيــب اللغــة ٢/ ١٥٢٠ ، والنهاية لابن الأثير ٢/ ٢٩٩ ، واللســان ٣/ ١٨٢١ ، وعمدة الحفــاظ ٢١٩ ، والدر المصون ٥/ ١١٦ ، وتاج العروس (زخرف) ١٢/ ٢٤٦ . ومن المشــهور أن البيت كان فيه تماثيل وصور ، فأمر النبي ﷺ بإخــراج التماثيل ، وطمس الصور . قال ابن حجر في فتح الباري ٨/ ١٧ : «روى عمر بن شــبة ، عن عمرو بن دينار ، بسند صحيح قال : «بلغنــي أن النبي ﷺ أمر بطمس الصور التي كانت في البيــت» . اهـ ، وأخرج البخاري في صحيحه مــع فتح الباري ٨/ ١٦ عن ابــن عباس ، قال : «إن النبي ﷺ لَمَّا قدم مكــة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة ، فأمر بها فأخرجت ، فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما من الأزلام . فقال النبي ﷺ : «قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها قط» . انظر : الصور والتماثيل التي كانت موجودة في البيت عند فتح مكة ، وأخبار مكة للأزرقي ١/ ١١٩_١٢٣ ، و١٦٥_١٦٩ ، والمصنف لابن أبي شيبة ٧/ ٤٠٣ (٣٦٨٩٤) ، ومجمع الزوائد ٦/ ١٧٦ ، والمطالب العالية ١٧/ ٤٦٩ (٤٣٠٣) .

(٤) هذا التوجيه ذكره أصحاب المصادر الســابقة ، وقوله : حُتَّت : بضم الحاء وتشــديد التاء المفتوحة ، والحَتُّ بفتح الحاء : الحَكُّ والقَشْر ، وفَرْكُ الشيء اليابس . انظر : اللسان (حتت) ٢/ ٧٦٧ .

فكأنه قال : [يَغُرّون][(١)] غُروراً»[(٢)] ، وهذا معنى قول الضحاك : «شياطين الإنس يوحون إلى الإنس ، وشياطين الجن يوحون إلى الجن»[(٣)] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ الهــاء تعود إلى إيحاء القول بالغرور ، والمدلول عليه بقولــه ﴿يُوحِى﴾ والفعل يدل على المصدر[(٤)] . قال الزَّجَّاج : «أي لو شاء لمنع الشياطين من الوسوسة للإنس والجن ، ولكن الله -عز وجل- يمتحن بما يعلم أنه الأجزل في الثــواب»[(٥)] . [وقوله تعالى][(٦)] : ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ قال ابن عباس : «يريد : ما زيَّن لهم إبليس وغرَّهم به»[(٧)] .

---

(١) في (أ) : (تغرون) .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّــاج ٢/ ٢٨٤ ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٧٥ ، والمشــكل ١/ ٢٦٦ ، والتبيــان ١/ ٣٥٤ ، والدر المصون ٥/ ١١٦ ، ونقل ذلك الرازي في تفســيره ١٣/ ١٥٥ ، ١٥٦ عن الواحدي .

(٣) ســبق تخريجه . قال شــيخ الإســلام -رحمه الله تعالى- في الفتاوى ١٨/ ٥٦ عند شرح الآية : «أخبر ســبحانه وتعالى أن جميع الأنبياء لهم أعداء ، وهم شــياطين الإنس والجن ، يوحي بعضهم إلى بعض القول المزخرف ، وهو المزين المحســن ، يغــرون به ، والغرور : التلبيس والتمويه ، وهذا شــأن كل كلام وعمل يخالف ما جاءت به الرســل من أمر المتكلمــة وغيرهم من الأولين والآخرين ، ثم قال : ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ فعلم أن مخالفة الرســل وتــرك الإيمان بالآخرة متلازمــان ، فمَن لم يؤمن بالآخــرة أصغى إلى زخرف أعدائهم ، فخالف الرســل كما هو موجود في أصناف الكفار والمنافقين في هذه الأُمَّة وغيرها . . .) . اهـ ، وانظر : بدائع التفسير ٢/ ١٧٣ .

(٤) انظر : التبيان ١/ ٣٥٤ ، والفريد ٢/ ٢١٦ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٨٤ ، وفيه : «يمتحن ما يعلم أنه الأبلغ في الحكمة ، والأجزل في الثواب ، والأصلح للعباد» . اهـ . انظر : تفسير الطبري ٨/ ٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٧٧ .

(٦) في (ش) : وقوله تعالى : (لله هم وما يفترون) ، وهو تحريف ظاهر .

(٧) تنوير المقباس ٢/ ٥٣ ، وذكره الرازي في تفسيره ١٣/ ١٥٦ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ٢٠٧ .

١١٣. وقوله تعالى: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ الآية.
الصغو في اللغة معناه: المَيْل، صغى إلى كذا يصغى إذا مال إليه[(١)]. روى أبو عبيد عن الكسائي: «صَغَوتُ أَصْغُو، وصغيْتُ أصْغَى [ثم وصغيْتُ أصغِي][(٢)]، وهو أكثر الثلاث»[(٣)]، وقال ابن السكيت: «صَغَيْتُ إلى الشيء، أصْغى صِغياً إذا ملْتُ إليه، وصَغَوْتُ أصغُو صُغُوّاً»[(٤)]، وقال الأصمعي: «وصَغا»[(٥)]، وزاد الفرَّاء: «صُغيّاً مشدداً وصُغُوّاً»[(٦)]، وأبو زيد[(٧)]: «يقال: صَغْوُهُ معه، وصِغْوُهُ

(١) انظر: العين ٤/ ٤٣٢، والجمهرة ٢/ ٨٩٠، والصحاح ٦/ ٢٤٠٠، والمجمل ٢/ ٥٣٤، ومقاييس اللغة ٣/ ٢٨٩، والمفردات (صغا) ٤٨٥.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٣) تهذيب اللغة ٢/ ٢٠٢٠، وفيه: «أبو عبيد عن الكسائي: صَغَوْتُ بالفتح، وصَغَيْتُ. وقال شمر: صَغَوت، وصغَيت بالفتح، وصغيت بكسر العين، وأكثره صغيت بالكسر». اهـ، ولعل الواحدي جمع بين القولين.

(٤) إصلاح المنطق ٢١٥، وتهذيب اللغة ٢/ ٢٠٢٠، وصَغَيْت بالفتح، أَصْغَى صُغِياً بالكسر، وصَغَوت أصغُو صُغُوّاً بالضم.

(٥) تهذيب اللغة ٢/ ٢٠٢١، وفيه: «صَغَا يَصْغو صَغْواً وصَغاً بالفتح».

(٦) ذكره السمين في الدر ٥/ ١١٩، وهو ليس في معاني القرآن للفرَّاء، ولعله من كتاب المصادر المفقود، وصُغياً بالضم، وكسر العين، وفتح الياء المشددة، وصغوا بالضم وفتح الواو المشددة.

(٧) تهذيب اللغة ٢/ ٢٠٢١، وفيه: «صَغْوه وصَغاه وصِغْوه معه» فقط، والباقي لابن السكيت، وصاغية بكسر الغين، وصَغْواء بفتح الصاد وسكون الغين.

والخلاصة أن الصَّغا مادة تدل على الميل، يقال: صغوت بالواو وفتح الغين، وصغيت بالياء وكسر الغين وفتحها، فاللام واو أو ياء، ومع الياء تكسر عين الماضي وتفتح، ومضارع الأفعال الثلاثة يصغى بفتح الغين، وحكى صغوت أصغو بالضم، ومصدر الأول: صَغْو، والثاني: صُغِيٌّ بكسر الغين، والثالث: صغا بالفتح، وحكى في مصدر صغا بالفتح يصغو صغا بالفتح، فهو ليس مختصّاً بكونه مصدراً لصغي بالكسر، وحكى صِغِياً بكسر الغين، وفتح الياء المشددة، وصغوا بضم الغين وفتح الواو المشددة. انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٨٤، والقرطبي ٧/ ٦٩، والبحر ٤/ ٢٠٥، والدر المصون ٥/ ١١٩.

وصَغَاهُ ، وصَاغِية الرجل الذين يميلون إليه ويغشونه ، وعين صَغْواء مائلة ، قال الأعشى[(١)] :

تَرَى عَيْنَها صَغْواءَ في جَنْبِ مُؤْقِهَا تُرَاقِبُ كَفِّي والقَطِيعَ المُحَرَّمَا» .

قال ابن عباس[(٢)] ، والسُّدِّي[(٣)] ، [وابن زيد[(٤)]] وغيرهم[(٥)] : «وَلِتَصْغَى» ، «ولتميل هواها» . قال ابن الأنباري : «اللام في (لتصغى) متعلقة بفعل مضمر تأويله : وفعلنا بهم ذلك لكي تصغى إلى الباطل أفئدتهم وليرضوا المذموم من أجل عنادهم الحق»[(٦)] ، وقال غيره من النحويين[(٧)] : «اللام متعلقة بقوله ﴿يُوحِي﴾

---

(١) ديوان الأعشى : ميمون بن قيس ١٨٧ ، وشرح القصائد السبع لابن الأنباري ٣٢٧ ، وتهذيب اللغة ٢/ ٢٠٢٠ ، والثعلبي ١٨٣ أ ، واللسان (صغا) ٤/ ٢٤٥٤ ، والدر المصون ٥/ ١١٩ ، وهو يصف الناقة . صغواء : مائلة ، والمؤق (بالضم) : طرف العين مما يلي الأنف . انظر : اللسان (مأق) ٧/ ٤١٢٠ ، والقطيع (بفتح القاف ، وكسر الطاء) : السوط يقطع من جلد ونحوه . والقطيع المحرم : السوط الذي لم يمرن ويُلَيَّن بعدُ . انظر : اللسان (قطع) ٦/ ٣٦٧٨ .

(٢) أخرجه الطبري ٨/ ٧ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧٣ بسند ضعيف بلفظ : (لتميل) ، وهو في مسائل نافع بن الأزرق ١٦٣ ، وأخرج عنه ابن حسنون في اللغات ٥٤ ، والوزان ٩ أ بسند جيد ، قال : «صغا مال بلغة خثعم» ، وفي تنوير المقباس ٢/ ٥٣ قال : «لكي تميل إلى هذا الزخرف والغرور» . اهـ . انظر : الدر المنثور ٣/ ٧٥ .

(٣) أخرجه الطبري ٨/ ٧ بسند جيد بلفظ : (تميل إليه قلوب الكفار) . اهـ ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٧٤ .

(٤) لفظ (ابن زيد) ساقط من (أ) ، والأثر أخرجه عنه الطبري ٨/ ٧ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧٣ بسند جيد ، بلفظ : (وليهووا ذلك ، يقول الرجل للمرأة : صغيت إليها : هَوِيتها) . اهـ

(٥) هو قول الأكثرين . انظر : تفسير مقاتل ١/ ٢٨٥ ، ومجاز القرآن ١/ ٢٠٥ ، وغريب القرآن ١٤٢ ، والطبري ٨/ ٧ ، والسمرقندي ١/ ٥٠٨ ، والماوردي ٢/ ١٥٩ .

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٠٣ ، ابن الجوزي ٣/ ١٠٩ .

(٧) هذا ظاهر كلام الطبري ٨/ ٤ ، والقرطبي ٧/ ٦٩ ، ورجَّحه الرازي ١٣/ ١٥٧ ، وأكثرهم على أنها لام كي الجارة ، وهي معطوفة على الغرور ؛ أي للغرور ، ولأن تصغى . قال ابن عطية ٥/ ٣٢٤ ، ٣٢٥ : «اللام في الأفعال الثالثة لام كي معطوفة على (غروراً) أو متعلقة بفعل مؤخر تقديره : فعلوا ذلك أو جعلنا ذلك ، فهي لام صيرورة ، قاله الزَّجَّاج : ولا يحتمل أن تكون لام الأمر وضمنها الوعيد» . اهـ =

[الأنعـام :١١٢] ، وتقديره : يوحي بعضهم إلى بعــض [ليغروهم][(١)] ﴿وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾» ، والكناية في (إليه) تعود إلى ﴿زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ﴾[(٢)] .

وقولــه تعالى : ﴿وَلِيَقۡتَرِفُواْ﴾ يقال : اقترف ؛ أي اكتســب[(٣)] . قــال الليث[(٤)] : «اقــترف ذنباً ، أي أتاه وفعله» ، وقال ابن الأنباري[(٥)] : «قَرَف واقْتَرَف إذا كســب ، وأنشد[(٦)] :

وإنِّي لآتٍ مَــا أَتَيْـتُ وإنَّـنِـي ... لِمَا اقْتَرفَــتْ نَفْسِي عَـلَيَّ لَـرَاهِبُ

= ملخصاً ، وقال ابن القيم في بدائع التفســير ٢/ ١٧٤ ؛ ١٧٥ : «اللام على بابها للتعليل وإن كانت تعليلاً لفعل العدو ، وهو إيحاء بعضهم إلى بعض فظاهر ، وعلى هذا فيكون عطفاً على قوله (غروراً) فإنه مفعول لأجلــه ؛ أي ليغروهم بهذا الوحــي ولتصغى إليه أفئدة مَن يلقى إليه فيرضــاه ويعمل بموجبه ، فيكون ســبحانه قد أخبر بمقصودهم من الإيحاء ، وهو أربعة أمور : غرور مَــن يوحون إليه ، وإصغاء أفئدتهم إليهــم ، ومحبتهم لذلك ، وانفعالهــم عنده بالاقتراف ، وإن كان ذلك تعليلاً لجعله ســبحانه ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ فيكون هذا الحكم من جملة الغايات والحكــم المطلوبة بهذا الجعل ، وهي غاية وحكمة مقصودة لغيرهــا ؛ لأنها مفضية إلى أمور هي محبوبة مطلوبة للرب ســبحانه ، وفواتها يســتلزم فوات ما هو أحب إليه من حصولها ، وعلى التقديرين ، فالــلام لام التعليل والحكمة» . اهـ . انظر : معاني القرآن للأخفش ٢/ ٣٣ ، والزَّجّاج ٢/ ٢٨٤ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٧٦ ، والعســكريات ١٠٠ ، وكتاب الشعر ١/ ٢٠٦ ، والمحتســب ١/ ٢٢٧ ، والبيان ١/ ٣٣٥ ، والتبيان ٣٥٥ ، والفريد ٢/ ٢١٦ ، والدر المصون ٥/ ١١٧ .

(١) في (أ) : (لتغروهم) .

(٢) انظر : الدر المصون ٥/ ١١٨ .

(٣) الاقتراف (بســكون القاف ، وكسر التاء ، وفتــح الراء) أصله قَشْرُ اللحــاء والجلدة عن الجرح ، ثم استعير للاكتساب حسناً كان أو سيئاً ، إلَّا أنه في السوء أغلب . انظر : الجمهرة ٢/ ٧٨٦ ، والصحاح ٤/ ١٤١٤ ، والمجمــل ٣/ ٧٤٨ ، ومعجــم مقاييس اللغــة ٥/ ٧٣ ، والمفردات ٦٦٧ ، واللســان ٦/ ٣٦٠٠ ، وعمدة الحفاظ (قرف) ٤٥٣ .

(٤) تهذيب اللغة ٣/ ٢٩٤١ ، وانظر : العين ٥/ ١٤٦ .

(٥) ذكره السمين في الدر ٥/ ١٢٢ ، وفي الزاهر ١/ ٤٤٦ ، قال في معنى الآية : «أي وليكتسبوا وليلصقوا بأنفسهم» . اهـ ، ثم أنشد البيت .

(٦) الشاهد للبيد في ذيل ديوانه ٢٢١ ، والكشف للثعلبي ١٨٣ أ ، وبلا نسبة في الدر المصون ٥/ ١٢٢ .

أي لما اكتسبت» ، ونحو ذلك قال ابن عباس[1] وابن زيد[2] : «وليكتسبوا» .

وقال الزَّجَّاج : «وليقترفوا» «أي ليختلقـوا وليكذبوا»[3] ، وهو معنى قول عطاء[4] : «ليخترقوا في القرآن مثل قولهم : ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل :١٠٣]» .

قال مقاتل : ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ﴾ : «ولتميل إلى ذلك الزخرف ولغرور قلوب الذين لا يصدقـون بالبعـث ، ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾ : ليحبـوه ، ﴿وَلِيَقْتَرِفُواْ﴾ : ليعملوا ما هم عاملون»[5] ، وهذه الآية دليل على تكذيب القدرية ؛ إذ قال الله تعالى : جعلنا لهم شياطين لتصغي قلوبهم إلى وحي الشياطين وليرضوه[6] .

---

(١) أخرجه الطبري ٨/ ٨ بسـند جيد ، وهـو في تنوير المقباس ٢/ ٥٣ ، والـدر المنثور ٣/ ٧٥ ، وهو في مسائل نافع بن الأزرق ١٦١ مع ذكر الشاهد للبيد .

(٢) ذكره القرطبي ٧/ ٧٠ عن ابن عباس والسُّـدِّي وابن زيد ، وأخرج الطـبري ٨/ ٨ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧٣ ، ١٣٧٤ بسند جيد عن ابن زيد والسُّدِّي ، قالا : «ليعملوا ما هم عاملون» . اهـ

(٣) معاني القـرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٨٥ ، وفيه ذكر القول الأول ثم ذكر هـذا ، وفي مجاز القرآن« ١/ ٢٠٥ ، قال : «مجازه التهمة والادعـاء» . اهـ ، وفي غريب القرآن لليزيدي ، قـال : «يدعون الكذب» ، وفي تفسـير غريب القرآن ١٥٨ ، وتفسير المشكل ٧٩ : «أي ليكتسـبوا ويدعوا» . اهـ ، وذكر هذا القول الماوردي ٢/ ١٥٩ ، وقال : «هذا قول محتمل» . اهـ

(٤) لم أقف عليه . وقوله : «وليخترقوا» : التَّخرُّق لغـةً في التخلُّق من الكذب ، وخَرَقَ الكذب وتَخَرَّقه : اختلقه وافتعله وافتراه . انظر : اللسان(خرق) ٢/ ١١٤٢ .

(٥) تفسير مقاتل ١/ ٥٨٥ .

(٦) انظر : تفسير الرازي ١٣/ ١٥٨ .

وحكى أبو بكر[(١)] مثل قول الزَّجَّاج، فقال: «وقال بعضهم: تأويله: وليختلقوا ما هم مختلقون»[(٢)]، ثم قال: «والأول هو الأثبت في اللغة»[(٣)].

١١٤. قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ قال ابن عباس[(٤)]: «يريد [قول النبي ﷺ] يعني أن هذا من[(٥)] قول النبي ﷺ». قال الكلبي: «قل لأهل مكة: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾»[(٦)]، والحكم[(٧)] والحاكم واحد عند أهل اللغة[(٨)] لا فرق بينهما، غير أن بعض أهل التأويل قال: «الْحَكَم أهل أن يُتحاكَم إليه، والحاكم من شأنه أن يحكُم، فالصفة بالحَكَم أمدح، وذلك أن صفة حاكم جارية على الفعل، فقد يحكم الحاكم بغير ما أنزل الله، فأما من يستحق صفة حكم فلا يحكم إلَّا

---

(١) محمد بن القاسم بن الأنباري، تقدمت ترجمته.

(٢) لم أقف عليه، وفي الزاهر ١/ ٤٦٥: «وقولهم: قد قَرف فلان فلاناً، معناه: قد ألصق به عيباً وأكسبه ذمّاً». اهـ

(٣) وهو الراجح عند الجمهور، ومنهم الفرَّاء في معاني القرآن ١/ ٣٥١، والطبري في تفسيره ٨/ ٨، والنحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٧٨، والسمرقندي في تفسيره ١/ ٥٠٨، والبغوي ٣/ ١٨٠، وابن الجوزي ٣/ ١٠٩، وحكى القول الثاني عن الزَّجَّاج الرازي في تفسيره ١٣/ ١٥٨، ثم قال: «والأول أصح». اهـ

(٤) تنوير المقباس ٢/ ٥٣، وفيه: «قل لهم يا محمد: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾».

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٠٣ عن الكلبي والعوفي، وذكر نحوه الماوردي في تفسيره ٢/ ١٦٠، وابن الجوزي ٣/ ١١٠ من دون نسبة.

(٧) مادة (حكم) بالفتح بمعنى المنع، ومنه الحكم (بضم الحاء، وسكون الكاف)، والحاكم (بفتح الحاء، وكسر الكاف)؛ لأنه يمنع من الظلم، ومنه الحكمة (بكسر الحاء، وسكون الكاف، وفتح الميم)؛ لأنها تمنع من الجهل. انظر: العين ٣/ ٦٦، والجمهرة ١/ ٥٦٤، وتهذيب اللغة ١/ ٨٨٥، ٨٨٦، والصحاح ٥/ ١٩٠١، والمجمل ١/ ٢٤٦، ومقاييس اللغة ٢/ ٩١، واللسان (حكم) ٢/ ٩٥١.

(٨) انظر: أيضاً: «ما اتفق لفظه واختلف معناه» لليزيدي ٢٤٣، وتفسير أسماء الله الحسنى للزَّجَّاج ٤٣، ٥٢، واشتقاق أسماء الله للزَّجَّاجي ٦٠، والنهاية لابن الأثير ١/ ٤١٨.

بالحق ؛ لأنها صفة تعظيم ومدح»[(١)] . قال العوفي : «﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا ﴾ قاضياً بيني وبينكم»[(٢)] .

وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ﴾ قال ابن عباس : «يريد : مبيناً»[(٣)] ، وقال مقاتل : «﴿أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن مبيناً فيه أمره ونهيه»[(٤)] ، وقال أهل المعاني : «التفصيل تبيين المعاني بما ينفي التخليط المعمي للمعنى ، وينفي أيضاً التداخل الذي يوجب نقصان البيان عن المعنى ، وذلك بالآيات التي تفصل المعاني بعضها من بعض»[(٥)] .

وقوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني : العلماء من أهل الكتابين ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ﴾ ، يعني : القرآن ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ ؛ أي إن كل ما فيه بيان عن الشيء على ما هو به ، كترغيبه وترهيبه ووعده ووعيده وقصصه وأمثاله ، وغير ذلك [مما فيه][(٦)] كله بهذه الصفة[(٧)] .

---

(١) ذكره أكثرهم . انظر : الفروق للعسكري ١٥٧ ، والماوردي ٢/ ١٥٩ ، والمفردات ٢٤٩ ، وابن عطية ٣٢٦ ، والفريد ٢/ ٢١٨ ، والقرطبي ٧/ ٧٠ ، وذكره الرازي ١٣/ ١٥٩ عن الواحدي ، وقال السمين في الدر ٥/ ١٢٣ : «الحكم أبلغ من الحاكم ، قيل : لأن الحكم من تكرر منه الحكم بخلاف الحاكم فإنه يصدق غيره ، وقيل : لأن الحكم لا يحكم إلّا بالعدل والحاكم قد يجوز» . اهـ ، وانظر : البحر ٤/ ٢٠٩ .

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٠٣ عن الكلبي وعطية العوفي .

(٣) تنوير المقباس ٢/ ٥٣ .

(٤) تفسير مقاتل ١/ ٥٨٥ .

(٥) انظر : تفسير الماوردي ٢/ ١٦٠ ، وابن عطية ٥/ ٣٢٦ ، وابن الجوزي ٣/ ١١٠ ، وبدائع التفسير ٢/ ١٧٦ .

(٦) لفظ : (مما فيه) غير واضح في (أ) .

(٧) هذا قول الأكثر . انظر : الطبري ٨/ ٨ ، والسمرقندي ١/ ٥٠٩ ، وابن الجوزي ٣/ ١١٠ .

وقوله تعـالى : ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ قال الفرَّاء : «من الشـاكِّين أنهم ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ﴾»(١) ، ومعنـى الامـتراء : طلب التشـكك مع ظهور الدليل ، وهو من مَرْيِ الضَّرع ، وهو مَسحه ليَدرَّ(٢) .

١١٥. قولـه تعالى : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ قال عطاء عـن ابن عباس : «يريد : مواعيد ربـك لأوليائه ، وأهل طاعتـه»(٣) ، وقال مقاتل : «﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أنه ناصر محمَّدٍ ببدرٍ»(٤) .

وقـال الكلبي : «﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ : وجبَ قول ربك صدقاً لقوله وعدلاً منه»(٥) ، وقـال أهل المعاني(٦) : «الكلمة والكلمات معناهـا والله أعلم : ما جاء من وعـدٍ ووعيدٍ وثوابٍ وعقـابٍ ، فلا تبديل فيه ولا تغيير لـه ، كما قال تعالى ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [ق :٢٩] والتقدير : وتمت ذوات الكلمات ؛ أي يخبر بها عنها ، فمَن قرأ(٧) (كلمات) بالجمع قال : لأن معناها الجمع ، فوجب أن يجمع في اللفظ ، ومَن قرأ عـلى الواحدة فلأنهم قد قالوا : الكلمة يراد بهـا الكثرة ، كقولهم : قال زهير في كلمته ، يعنون : قصيدته ، وقال قُسٌّ(٨) في كلمته ، يعنون : خطبته ، فقد وقع المفرد على الكثرة ، فلمَّا كان كذلك أغنى عن الجمع»(٩) .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٥١ .

(٢) انظر : الزاهر ١/ ٣٥٠ ، ٣٥١ ، وقد سبق الكلام عن معنى الامتراء .

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره ٧/ ٧١ ، وذكر نحوه أبو حيان في البحر ٤/ ٢٠٩ عن ابن عباس .

(٤) تفسير مقاتل ١/ ٥٨٥ .

(٥) تنوير المقباس ٢/ ٥٤ .

(٦) هذا قول أبي علي في الحجة ٣/ ٣٨٨ ، وذكره الرازي في تفسيره ١٣/ ١٦٠ عن أهل المعاني .

(٧) قرأ عاصم وحمزة والكسـائي (وتمت كلمت) على التوحيد ، وقرأ الباقون (وتمت كلمات) على الجمع . انظر : السبعة ٢٦٦ ، والمبسـوط ١٧٤ ، والغاية ٢٤٨ ، والتذكرة ٢/ ٤٠٨ ، والتيسير ١٠٦ ، والنشر ٢/ ٢٦٢ .

(٨) تقدمت ترجمته .

(٩) هـذا كلام الفارسي في الحجـة ٣/ ٣٨٨ـ ٣٩٠ ، وانظر : معاني القـراءات ١/ ٣٨١ ، والحجة لابن خالويه ١٤٨ ، والحجة لابن زنجلة ٢٦٨ ، والكشف ١/ ٤٤٧ .

وقوله تعالى: ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ قال ابن عباس: «يريد: لا خُلف لمواعيده ولا في أهل طاعته[١] ولا في أهل معصيته»، وقال قتادة[٢]، ومقاتل[٣]: «﴿صِدْقًا﴾ في ما وعد ﴿وَعَدْلًا﴾ في ما حكم»، وقال بعض المفسرين[٤]: «كلمة الله أقضيته وعِداته تمت على معنى قوله ﷺ: «سبق القضاء وجف القلم[٥] بالسعادة لِمَن آمن واتقى، والشقاوة لِمَن كفر وعصى»[٦]. قال أبو علي الفارسي: «و﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ مصدران ينتصبان على الحال من الكلمة، تقديره: صادقة عادلة»[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس: «يريد: لا رادَّ لقضائه، ولا مغيِّر لحكمه، ولا خلف لموعده»[٨]، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لتضرع

---

(١) جاء في (أ)، (ش): (ولا في أهل طاعته) بالواو، ولعله تحريف، والأثر ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٠٤.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٩، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧٤ بسند جيد، وذكره النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٧٨، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٨١.

(٣) تفسير مقاتل ١/ ٥٨٥.

(٤) ذكر هذا القول الثعلبي في الكشف ١٨٣ أ، والماوردي في تفسيره ٢/ ١٦٠، وابن الجوزي ٣/ ١١١ من دون ذكر الحديث.

(٥) هنا في (ش): وقع اضطراب في ترتيب الأوراق، فجاء تكملة الحديث في ١٢١ ،ب.

(٦) الحديث بهذا اللفظ لم أقف عليه بعد طول بحث، وفي معناه عدة أحاديث في مجمع الزوائد ٧/ ١٨٥ ـ ٢٠١، وأخرج البخاري في صحيحه ٥٠٧٦، كتاب: النكاح، باب: ما يكره من التبتل والخصاء، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ، قال: «جف القلم بما أنت لاق»، وأخرج مسلم في صحيحه ٢٦٤٨، عن جابر رضي الله عنه، قال: «جاء سراقة بن مالك فقال: يا رسول الله! بيِّن لنا ديننا كأنَّا خُلقنا الآن، فِيمَ العمل اليوم؟ أفي ما جفت به الأقلام وجرت به المقادير، أم في ما نستقبل؟ قال: «لا بل في ما جفت به الأقلام وجرت به المقادير»، قال: ففيمَ العمل؟ قال: «كل عامل ميسَّر لعمله». اهـ

(٧) الحجة لأبي علي ٣/ ٣٨٨، وانظر: إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٩٣، والمشكل ١/ ٢٢٦، والبيان ١/ ٣٣٦، والتبيان ٣٠٠، والفريد ٢/ ٢١٩، والدر المصون ٥/ ١٢٤.

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٠٤، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٨١.

أوليائه ولقول أعدائه واستهزائهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما في قلوب أوليائه من اليقين، وبما في قلوب أعدائه من الاستهزاء والشرك[١].

١١٦. قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قال المفسرون: «إن المشركين جادلوا رسول الله ﷺ في أكل الميتة»[٢]، وقال الفرَّاء: «[ذلك][٣] أنهم قالوا للمسلمين: أتأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل ربكم؟ فأنزلت هذه الآية: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾»[٤].

قال ابن عباس: «يريد: الذين هم[٥] ليسوا على دينك، وهم أكثر من المؤمنين، إن تطعهم في أكل الميتة ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يريد: عن دين الله الذي رضيه لك، وبعثك به»[٦].

وقوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ يعني: ظنهم في أكل الميتة. قال عطاء: «يريد: دينهم [الذي][٧] هم عليه ظنٌّ»[٨]، وقال أبو إسحاق: «ليس عند أنفسهم أنهم على بصائر؛ لأنهم اتبعوا أهواءهم، وتركوا التماس البصيرة من حيث يجب، واقتصروا على الظن والجهل»[٩].

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٨/ ٩.
(٢) ذكره الطبري في تفسيره ٨/ ١٠، والبغوي ٣/ ١٨١، وابن عطية ٥/ ٣٢٩، وابن الجوزي ٣/ ١١١.
(٣) في (ش): (وذلك) بالواو.
(٤) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٥٢.
(٥) في (ش): (الذين ليسوا هم على دينك).
(٦) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٠٥.
(٧) (الذي) ساقطة من (أ).
(٨) لم أقف عليه، وهو قول البغوي في تفسيره ٣/ ١٨١.
(٩) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٨٥، ٢٨٦، وانظر: معاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٧٨.

وقولـه تعـالى : ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ قال الأزهـري : «أصل الخرص : التظنِّي في ما لا تستيقنه ، ومنه قيل : [خرصتُ النَّخْـل خَرْصاً إذا حَزَرْته ؛ لأن الحزر فيه ظن لا إحاطة ، ثم قيل[1]] للكذب : خَرْص [لما يدخله][2] من الظُّنُونِ الكاذبة»[3] . قال ابـن عباس[4] : «﴿يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون ما أحلَّه الله ولا أنزله[5] في كتابه» ، وقال عطاء عنه : «يريد : يفترون»[6] .

١١٧. قولـه تعـالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ قـال بعـض الناس : «أعلم هاهنـا بمعنى : يعلم» ، ولا يجوز ذلك ؛ لأنه يطابق[7] ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ ، وقـال بعـض البصريـين : «موضع (من) نصب على حذف البـاء ؛ لأنه قد قال في موضع : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن [ضَلَّ][8]﴾ [النحل :١٢٥] بالباء ، وحذفت هاهنا»[9] .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) .

(٢) في (أ) : (لما تدخله) بالتاء .

(٣) تهذيب اللغة ١/ ١٠٠٩ ، والخرص (بفتح الخاء ، وسكون الراء) : الحزر في العدد والكيل ، والكذب ، وكل قول بالظن . انظـر : العين ٤/ ١٨٣ ، والجمهـرة ١/ ٥٨٥ ، والصحاح ٣/ ١٠٣٥ ، والمجمل ٣/ ٢٨٣ ، ومقاييس اللغة ٢/ ١٦٩ ، والمفردات ٢٧٩ ، واللسان (خرص) ٢/ ١١٣٣ .

(٤) تنويـر المقباس ٢/ ٥٥ ، وأخرج ابن حسـنون في اللغات ٤٢ ، ٤٤ ، والوزان ٧ بسـند جيد عن ابن عباس ، قال : «يخرصون يعني : يكذبون» .

(٥) كذا العبارة في الأصول ، ولعل الصواب : «ما أحله الله وأنزله في كتابه» .

(٦) لم أقف عليه ، وانظر : مجاز القرآن ١/ ٢٠٦ ، وغريب القرآن لليزيدي ١٤٢ ، وتفسـير غريب القرآن ١٦٩ ، وتفسير المشكل ٧٩ .

(٧) ذكره الطبري في تفسيره ٨/ ١٠ ، ١١ ، ورده بنحو ما ذكر الواحدي ، وذكره السمين في الدر ٥/ ١٢٦ عن الواحدي ، وقال : «على هذا أعلم ليست للتفضيل ، بل بمعنى : اسم الفاعل في قوته ، كأنه قيل : إن ربك هو يعلم» . اهـ

(٨) جاء في الأصول : (يضل) بالياء ، وهو خطأ واضح .

(٩) هذا قول الأخفش في معاني القرآن ٣/ ٢٨٢ ، وذكره الطبري في تفسـيره ٨/ ١٠ ، وانظر : المحتسب ١/ ٢٢٩ ، والمشـكل ١/ ٢٦٧ ، وفيه قال : «ولا يحسن تقدير حذف حرف الجر ؛ لأنه من ضرورات الشعر» ، وانظر : تفسير القرطبي ٧/ ٧٢ .

وقال الزَّجَّاج: «موضع (مَن) رفع الابتداء ولفظها لفظ الاستفهام. المعنى: إن ربك هو أعلم أيُّ الناس يضلُّ عن سبيله»، قال: «وهذا مثل قوله: ﴿لِنَعْلَمَ[1] أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ﴾ [الكهف: ١٢]»[2]. وهذا قول المُبرِّد[3] والكسائي والفرَّاء. قال الفرَّاء: «إذا كانت من بعد العلم والنظر والدراية، مثل: نظرت وعلمت ودريت، كانت في مذهب أيُّ، فإنْ كان بعدها فعل له رفعتَها به، وإن كان بعدها فعل يقع عليها نصبتها، كقولك: ما أدري مَن قام، ترفع مَن بقام»[4]، يريد أن مَن ترفع بالابتداء، وقام خبره، كذلك (مَن) ابتداء و(يضل) خبره في الآية، وتقول: «ما أدري مَن ضربت»، تنصب[5] (مَن) بـ(ضربت)؛ لأن بعدها [فعل][6] يقع عليها، وقال أبو علي الفارسي: «(مَن) معمول فعلٍ مضمر دل عليه (أعلم)، ولا يجوز أن يكون معمول (أعلم)؛ لأن المعاني لا تعملُ في المعمول به، ومثل هذا في أنه لا يكون إلَّا محمولاً على فعل ما أنشده أبو زيد[7]:

وأَضْرَب مِنهُ بالسُّيُوفِ القَوَانِسا[8]

---

(١) في (أ): (ليعلم) بالياء.

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٨٦، وهو اختيار الطبري في تفسيره ٨/ ١٠، والنحاس في إعراب القرآن ١/ ٥٧٧، والأزهري في معاني القرآن ١/ ٣٨١، ومكي في المشكل ١/ ٢٦٦، والكرماني في غرائب التفسير ١/ ٣٨٢، وضعَّف هذا القول أبو حيان في البحر ٤/ ٢١٠.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٠٥، والرازي في تفسيره ١٣/ ١٦٤، وأبو حيان في البحر ٤/ ٢١٠، والسمين في الدر ٥/ ١٢٧ عن المُبرِّد والكسائي.

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٥٢.

(٥) هذا المثال من كلام الفرَّاء في معاني القرآن ١/ ٣٥٢.

(٦) في (ش): (فعلًا).

(٧) أبو زيد البصري سعيد بن أوس الأنصاري، تقدمت ترجمته.

(٨) البيت للعباس بن مرداس السُّلمي، في ديوانه ٦٩، والنوادر لأبي زيد ٥٩، والأصمعيات ٢٠٥، والحماسة لأبي تمام ١/ ٢٤٦، واللسان (قنس) ٦/ ٣٧٥١، وبلا نسبة في البيان ١/ ٣٣٦، وأمالي ابن الحاجب ٢/ ١٥٨، والبحر ٤/ ٢١٠، والدر المصون ٥/ ١٥٧، ومغني اللبيب ٢/ ٦١٨، وصدره:

أَكَرَّ وأَحْمى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمُ =

فالقوانس محمولة على مضمر دون أضرب هذه الظاهرة» ، قال : «ولا يجوز أن يكون موضع (مَن) في قوله : ﴿أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ﴾ جراً ؛ لأن أفعل[(١)] لا يضاف إلَّا إلى ما هو بعض له ، كقولك : «أعلم الناس ، وليس ربنا بعض مَن يضل»[(٢)] .

١١٨. قوله تعالى : ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ الآية . هذا جواب لقول المشركين : أتأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل ربكم ؟[(٣)] ودخلت الفاء للعطف على ما دل عليه أول الكلام ، كأنه قيل : كونوا على الهدى ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ ؛ أي مما ذُكي على اسم الله تعالى[(٤)] . قال

= وفي المصادر : وأضرب منَّا ، بدل : منهم . القونس (بفتح القاف ، وسكون الواو ، وفتح النون) : أعلى البيضة من السلاح . انظر : اللسان (قنس) ٦/ ٣٧٥١ .

(١) لأنه يلزم عليه محذور عظيم ؛ ذلك أن أفعل التفضيل لا تضاف إلاَّ إلى جنسها ، فإذا قلت : «زيد أعلم الضالين» ، لزم أن يكون زيد بعض الضالين ، فهذا الوجه مستحيل في هذه الآية الكريمة . انظر : التبيان ٣٥٥ ، والفريد ٢/ ٢١٩ ، ٢٢٠ .

(٢) الحجة لأبي علي ١/ ٢٦ ، ٢٧ ، وانظر : المسائل البصريات ١/ ٥٤٢ ، وكتاب الشعر ٢/ ٥٤٥ ، والإغفال ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، وهذا الوجه هو اختيار ابن عطية في تفسيره ٥/ ٣٣٠ ، وابن الأنباري في البيان ١/ ٣٣٦ . قال السمين في الدر ٥/ ١٢٧ : «والراجح من هذه الأقوال نصبها بمضمر ، وهذا قول الفارسي ، وقواعد البصريين موافقة له» . اهـ

(٣) أخرجه أبو داود ، رقم ٢٨١٨ ، ٢٨١٩ ، وابن ماجه ، رقم ٣١٧٣ ، والترمذي ، رقم ٣٠٣٦ ، وقال : حسن غريب ، والنسائي في سننه ٧/ ٢٣٧ ، كتاب : الضحايا ، باب : تأويل قول الله عز وجل : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام :١٢١] ، وفي التفسير ١/ ٤٧٩ ، والطبري ٨/ ١١ـ١٣ ، والحاكم ٤/ ١١٣ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، وصحَّحه ووافقه الذهبي في التلخيص ، وأخرجه البيهقي في سننه ٩/ ٢٤٠ ؛ كلهم من طرق جيدة ، وبألفاظ متقاربة ، وأخرجه النحاس في ناسخه ٢/ ٣٥٤ ، وقال : «هذا من أصح ما مر ، وهو داخل في المسند» . جاء في بعض الروايات أن الآية نزلت في اليهود ، ويمكن الجمع بينهما بأن قول المشركين مبني على إيحاء اليهود ، وذكر ابن كثير ٢/ ١٨٨ طرقا عدة ، وقال : «إسناده صحيح ، وروي من طرق متعددة ليس فيها ذكر اليهود ، وهذا هو المحفوظ ؛ لأن الآية مكية ، واليهود لا يحبون الميتة» . اهـ

(٤) ذكره السمين في الدر ٥/ ١٢٨ عن الواحدي ، قال : «الظاهر أنها عاطفة على ما تقدَّم من مضمون الجمل المتقدِّمة ، كأنه قيل : اتبعوا ما أمركم الله من أكل المذكَّى دون الميتة فكلوا» . اهـ

الزَّجَّاج : «معناه : كلوا مما أخلصتم ذبحه لله»(١) ، وقد ذكرنا عند قوله تعالى(٢) : ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة :١٧٣] أنَّ التسمية لا تجب ، وإنها سنَّة مستحبة(٣) .

وقوله تعالى : ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ ترغيب في اعتقاد صحة الإذن في أكل المذكاة على اسم الله تعالى ، وتأكيد أن ما أباحه الشرع فهو طيب يحل تناوله ، ولا يجوز استقذاره حتى لو استقذره إنسان كان غير مؤمن بظاهر هذه الآية ، فإن عافت نفسه شيئاً بعد صحة عقيدته بكونه مباحاً غير مستقذر لم يضره ذلك(٤) .

١١٩. قوله تعالى : ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ الآية . هذا إبلاغ في إباحة ما ذبح باسم الله .

قال الزَّجَّاج : «وموضع أن نصب ؛ لأن في سقطت فوصل المعنى إلى أن فنصبها ، المعنى : وأيُّ شيء يقع لكم في أن لا تأكلوا ، وسيبويه(٥) يجيز أن يكون

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٨٦ .

(٢) انظر : البسيط (النسخة الأزهرية) ١/ ١٠٥ ب .

(٣) هذا قول الشافعي ، ورواية عن مالك وأحمد ، فمَن تركها عندهم عمداً أو سهواً لم يقدح في حل الأكل ، وذهب الجمهور إلى أنها شرط للإباحة مع الذكر دون النسيان ، فيجوز أكل ما تركت عليه التسمية سهواً لا عمداً ، وهو قول أبي حنيفة ورواية عن أحمد ومالك ، وذهب أحمد في رواية إلى أنها شرط مطلقاً ، وهذا القول هو الظاهر من نصوص الكتاب والسُّنة ؛ لأن الأدلة لم تفصل ، ولأنه علَّق الحل بذكر اسم الله تعالى ، وهو اختيار شيخ الإسلام في الفتاوى ٣٥/ ٢٣٩ ، والشيخ صالح بن فوزان الفوزان في كتاب الذكاة الشرعية ١٤ ، ١٥ ، والشيخ محمد بن صالح العثيمين في رسالة في أحكام الأضحية والذكاة ٨٢ ، ٨٦ . انظر : الناسخ والمنسوخ للنحاس ٢/ ٣٥٠ـ٣٥٥ ، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٧٤٦ ، والمغني لابن قدامة ١٢/ ٢٥٧ ، ٣٩٠ ، والقرطبي ٧/ ٧٥ ، والمجموع للنووي ٨/ ٤١٠ ، وتفسير ابن كثير ٢/ ١٨٩ ، ١٩٠ ، ونيل الأوطار ٨/ ١٥٢ .

(٤) انظر : الفتاوى ٢١/ ٥٣٤ .

(٥) انظر : الكتاب ٣/ ١٢٦ـ١٢٩ .

موضع أن خفضاً ، وإن سقطت في ، والنصب عنده أجود»(١) ، وقد ذكرنا هذا قديماً(٢) .

وقوله تعالى : ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ قُرئ(٣) بالضم في الحرفين وبالفتح فيهما ، وفي الأول بالفتح والثاني بالضم ، فمَن قرأهما بالضم فحجته قوله تعالى : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة :٣] وقوله(٤) ﴿حُرِّمَتْ﴾ تفصيل ما أجمل في هذه الآية ، فكما أن الاتفاق هاهنا على ﴿حُرِّمَتْ﴾ ، كذلك يكون الذي أجمل فيه وكما وجب (حُرِّم) بضم الحاء لقوله : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة :٣] كذلك ضم (فُصل) لأن هذا المفصل هو ذلك المحرم الذي قد أجمل في هذه الآية ، [وأيضاً](٥) فإنه قد قال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام :١١٤] [و(مفصلاً)](٦) يدل على (فُصِّل) ، ومَن فتحهما فحجته في (فَصَّل) قوله : ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾ [الأنعام :٩٧] ، وحجته في (حَرَّم) قوله : ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ﴾ [الأنعام :١٥١] ، ويؤكد الفتح قوله تعالى : ﴿مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾(٧) [الأنعام :١١٩] ، فينبغي أن يكون الفعل مبنيّاً للفاعل لتقدُّم ذكر اسم

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٨٦ ، وفيه قال : «ولا اختلاف بين الناس في أن الموضع نصب» ، وانظر : معاني القرآن للأخفش ٢/ ٢٨٦ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٧٨ ، والمشكل ١/ ٢٦٧ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) قرأ ابن عامر ، وابن كثير ، وأبو عمرو : (فصل) بضم الفاء وكسر الصاد ، وقرأ الباقون بفتح الفاء والصاد ، وقرأ نافع وعاصم في رواية : ﴿حَرَّمَ﴾ بفتح الحاء والراء ، وقرأ الباقون بضم الحاء وكسر الراء . انظر : السبعة ، ٢٦٧ ، والمبسوط ١٧٤ ، والغاية ٢٤٩ ، والتذكرة ٢/ ٤٠٩ ، والتيسير ١٠٦ ، والنشر ٢/ ٢٦٢ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) .

(٥) لفظ : (أيضاً) ساقط من (أ) .

(٦) لفظ : (ومفصلًا) ساقط من (ش) .

(٧) لفظ : (عليكم) ساقط من (ش) .

الله سبحانه، ومَن قرأ: (فَصَّل) بالفتح فحجته قوله: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾ [الأنعام:٩٧]، وحجته في ضَمِّ (حُرِّم) قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة:٣][(١)].

قال المفسرون[(٢)]: «ومعنى قوله تعالى: ﴿وَقَدْ[(٣)] فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ هو ما فصَّله في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾».

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ قال الزَّجَّاج: «أي دعتكم الضرورة لشدة المجاعة إلى أكله»[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم﴾ قال أبو علي: «أي يضلون باتباع أهوائهم[(٥)]، كما قال: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الأعراف:١٧٦]؛ أي يضلون[(٦)] بامتناعهم من

(١) ما تقدَّم هو قول أبي علي في الحجة ٣/ ٣٩٠، ٣٩١، وانظر: معاني القراءات ١/ ٣٨٢، وإعراب القراءات ١/ ١٦٨، والحجة لابن خالويه ١٤٨، والحجة لابن زنجلة ٢٦٩، والكشف ١/ ٤٤٨.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٨/ ١٢، ١٣، والسمرقندي ١/ ٥٠٩، والحجة لأبي علي ٣/ ٣٩١، ونسب هذا القول الرازي في تفسيره ١٣/ ١٦٦ إلى أكثر المفسرين، وذكره القاسمي في تفسيره ٦/ ٦٩٥، ٦٩٦، وقال: «ورد هذا بأن المائدة من آخر ما نزل بالمدينة والأنعام مكية، فالصواب أن التفصيل إمَّا في قوله تعالى بعد هذه الآية: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ الآية [الأنعام:١٤٥] فإنه ذكر بعدُ بيسير، وهذا القدر من التأخير لا يمنع أن يكون هو المراد، وإمَّا على لسان الرسول ثم أنزل بعد ذلك في القرآن». انظر: تفسير الرازي ١٣/ ١٦٦، وابن عاشور ٨/ ٣٤.

(٣) لفظ: (الواو) ساقط من (ش).

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٨٧، وانظر: تفسير الطبري ٨/ ١٢، والحجة لأبي علي ٣/ ٣٩١.

(٥) في (أ): (هوائهم)، وهو تحريف.

(٦) في الحجة لأبي علي ٣/ ٣٩٤_٣٩٥: «أي يضلون في أنفسهم من غير أن يضلوا غيرهم من اتباعهم بامتناعهم...». اهـ، وهذا في توجيه قراءة فتح الياء.

أكل ما ذكر اسـم الله عليه ، وغير ذلك مما يتبعونه ويأخذون به مما لا شيء يوجبه في شرع[(١)] نحو السائبة[(٢)] والبحيرة[(٣)] وغير ذلك مما كن يفعله أهل الجاهلية» .

ومَن قـرأ[(٤)] بضم [اليـاء][(٥)] فحجته أنه يدل عـلى أن الموصوف بذلك في الضلال أذهب ، ومن الهدى أبعد ، ألا ترى أن كل مضلٍّ ضالٌّ ، وليس كل ضالٍّ مضلاً ، [إذا[(٦)] كان] ضلاله مقصوراً على نفسـه لا يتعداه إلى سواه ، فالمضل أكثر استحقاقاً للذم ، وأغلظ حالاً من الضال لتحمله إثم مَن أضله[(٧)] . وقول أبي علي في تفسير : ﴿لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم﴾ موافق لقول ابن عباس ؛ فإنه قال : «أراد عمرو بن

---

(١) في الحجة ٣/ ٣٩٥ : «من شرع ولا عقل» . اهـ

(٢) السائبة : المهملة ، كان الرجل إذا برأ من مرضه ، أو قدم من سفر ، أو نجت دابته من مشقة سيب شيئاً من الأنعام للآلهة ، والبعير يدرك نتاج نتاجه فيسيب ويترك ولا يحمل عليه ، والناقة التي كانت تسيب في الجاهلية لنذر ونحوه أو كانت إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث سـيبت ، أو كان ينزع من ظهرها فقارةً أو عظماً ، وكانت لا تمنع عن ماء ولا كلأ ، ولا تركيب . انظر : اللسان (سيب) ٤/ ٢١٦٦ .

(٣) البحيرة : أصل البحر الشـقُّ ، وشـق الأذن ؛ كانوا إذا نتجت الناقة أو الشـاة عشرة أبطن بحروها وتركوها ترعى وحرموا لحمها إذا ماتت على نسائهم وأكلها الرجال ، أو التي خليت بلا راع ، أو التي نتجت خمسـة أبطن والخامس ذكر نحروه فأكله الرجال والنسـاء ، وإن كانت أنثى بحروا أذنها فكان حراماً عليهم لحمها ولبنها وركوبها ، فإذا ماتت حلت للنسـاء ، أو هي ابنة السائبة ، وحكمها حكم أمها ، أو هي في الشاة خاصة إذا نتجت خمسة أبطن بحرت ، وهي الغزيرة أيضاً .
انظر : اللسان (بحر) ١/ ٢١٦ .

(٤) قرأ عاصم وحمزة والكسـائي (ليضلون) بضـم الياء ، وقرأ الباقون بفتحها . انظر : السـبعة ٢٦٧ ، والمبسوط ١٧٤ ، والتذكرة ٢/ ٤٠٩ ، والتيسير ١٠٦ ، والنشر ٢/ ٢٦٢ .

(٥) في (أ) : (بضم التاء) ، وهو تصحيف .

(٦) في (ش) : (إذ كان) .

(٧) هذا قول أبي علي في الحجـة ٣/ ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، وانظر : معاني القراءات ١/ ٣٨٣ ، وإعراب القراءات ١/ ١٦٨ ، والحجة لابن خالويه ١٤٨ ، والحجة لابن زنجلة ٢٦٩ ، والكشف ١/ ٤٤٩ .

لحي[١] فمن دونه من المشركين، وهو أوَّل مَن غيَّر دين إسماعيل، واتخذ البحائر والسوائب وأكل الميتة»[٢]، وقد ذكرنا قصته[٣] في سورة المائدة.

وقوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [يريد][٤]: لا علم لعمرو بن لحي، وقال أبو إسحاق: «أي الذين يحلون الميتة ويناظرونكم في إحلالها، وكذلك كل ما يضلون فيه إنما يتبعون فيه الهوى والشهوة ولا بصيرة عندهم ولا علم»[٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ قال ابن عباس: «يريد: ما تعدَّى عمرو بن لحي حيث ملك مكة واتخذ الأصنام»[٦]، وقال المفسرون[٧]: «يعني: المجاوزين الحلال إلى الحرم».

١٢٠. قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ الآية. أكثر المفسرين[٨]: «على أن ﴿ظَاهِرَ الْإِثْمِ﴾ الإعلان بالزنا ﴿وَبَاطِنَهُ﴾ الاستسرار به»، فقال ابن عباس: «كانت العرب يحبون الزنا، وكان الشريف يتشرف أن يزني [فيسر[٩] ذلك]، وغيره لا يبالي أن يظهره، فحرَّم الله الزنا كله، فقال: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ مثل قوله تعالى:

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٠٦، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٨٢، والرازي ١٣/ ١٦٦ من دون نسبة.

(٣) انظر: البسيط (نسخة جامعة الإمام) ٣/ ٨٠ ب.

(٤) جاء في (أ): (قال يريد) وكأن القائل هو ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٨٧، وانظر: تفسير الطبري ٨/ ١٣.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) انظر: تفسير الطبري ٨/ ١٣، والسمرقندي ٣/ ٣١٥، والبغوي ٣/ ١٨٢.

(٨) حكاه عن أكثر المفسرين البغوي في تفسيره ٣/ ١٨٢، وهو قول مقاتل في تفسيره ١/ ٥٨٦، والفرَّاء في معاني القرآن ١/ ٣٥٢، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ١/ ١٦٩، والسمرقندي في تفسيره ١/ ٥١٠، ومكي في تفسير المشكل ٧٩.

(٩) في (ش): (فيستر ذلك).

﴿[وَ][١] لَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١] »[٢]، وقال الضحاك: «كان أهل الجاهلية يرون الزنا حلالاً ما كان سرّاً، فحرَّم الله -تعالى- بهذه الآية السر منه والعلانية»[٣]، وقال الكلبي[٤]: «﴿ظَاهِرَ الْإِثْمِ﴾ الزنا، ﴿وَبَاطِنَهُ﴾ المُخالَّة[٥]»، وقال السُّدِّي: «ظاهره الزنا في الحوانيت وهم أصحاب الرايات، ﴿وَبَاطِنَهُ﴾ الصديقة يزني بها سرّاً»[٦].

وذهب جماعة[٧] «إلى أن الآية عامة في كل إثم»، وهو قول مجاهد وقتادة، وجميع أصحاب المعاني، فقال مجاهد: «يعني: ما ينوي من الإثم وما هو عامله»[٨]، وقال قتادة: «سره وعلانيته»[٩]، وقال ابن الأنباري: «يريد: وذروا

---

(١) لفظ: (الواو) ساقط من النسخ.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٠٧، والثعلبي في الكشف ١٨٣ أ عن مرة الهمذاني، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٨٢، من دون نسبة، وفي تنوير المقباس ٢/ ٥٥، وزاد المسير ٣/ ١١٣ نحوه عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري ٨/ ١٤ بسند ضعيف، وذكره الثعلبي ١٨٣ أ، وابن الجوزي ٣/ ١١٤.

(٤) تنوير المقباس ٢/ ٥٥.

(٥) المخالة (بالضم): المصادقة، وأصل الخُلَّة والمحبة التي تخللت القلب فصارت في باطنه. انظر: اللسان (خلل) ١٢٥٢.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٤، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧٧ بسند جيد.

(٧) وهذا القول هو الراجح، وما ذكر من باب التمثيل، وهو اختيار أكثر المفسرين. انظر: تفسير الطبري ٨/ ١٥، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٨٠، وتفسير ابن عطية ٥/ ٣٣٢. قال الرازي في تفسيره ١٣/ ١٦٧: «هذا نهي عام في جميع المحرمات، وهو الأصح؛ لأن تخصيص اللفظ العام بصورة معينة من غير دليل غير جائز». اهـ، وقال القرطبي في تفسيره ٧/ ٧٤: «للعلماء فيه أقوال كثيرة، وحاصلها راجع إلى أن الظاهر ما كان عملاً بالبدن مما نهى الله عنه، وباطنه ما عقد بالقلب من مخالفة أمر الله في ما أمر ونهى...». اهـ

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٤ بسند جيد، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٧٨.

(٩) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢١٧، والطبري ٨/ ١٣، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧٧ من عدة طرق جيدة، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٧٨.

الإثم من جميع جهاتـــه ، كما تقول : ما أخذت من هذا المال [قليلاً[١] ولا كثيراً] ، يريـــد : ما أخذته من جميع الوجوه التي يجوز أن يؤخذ منها ، كذلك الذنوب كلها لا تخلو من هذين الوجهين»[٢] .

وقال أبو إســحاق : «الذي يدل عليه الكلام أن المعنى : اتركوا الإثم ظهر أو بطـــن ، أي لا تقربوا ما حرَّم عليكم جهـــراً ولا سرّاً»[٣] ، وقال غيره[٤] : «معنى الآية : النهي عن الإثــم مع البيان أنه لا يخرجه من معنى الإثم الاســتسرار به ، كما كانت الجاهليــة ترى في الزنا أنه إثم [إذا أعلن][٥] ، فإذا اســتتر به صاحبه لم يكن إثماً ، كما ذكره الضحاك»[٦] . وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ﴾ [إلى آخرها][٧] توعُّد على فعل الإثم بالجزاء[٨] .

١٢١. قوله تعالى : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ قال ابن عباس[٩] : «يريـــد : الميتـــة ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ [المائـدة :٣]»[١٠] ، وقال الكلبي : «يعني : ما لم يُذكَّ ومات قبل

---

(١) في (أ) : (قليلًا أو كثيراً) .

(٢) ذكره الواحدي في الوسـيط ١/ ١٠٧ ، وابن الجوزي في زاد المســير ٣/ ١١٤ ، والرازي في تفســيره ١٣/ ١٦٧ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٨٧ .

(٤) ذكره الرازي ١٣/ ١٦٧ ، وانظر : السمرقندي ١/ ٥١٠ .

(٥) في (أ) : (إذا علم) .

(٦) تقدم تخريجه .

(٧) في (أ) : (إلى آخره) .

(٨) انظر : تفسير الطبري ٨/ ١٥ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٨١ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥١٠ .

(٩) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٠٨ ، والبغوي ٣/ ١٨٣ ، وابن الجوزي ٣/ ١١٥ ، وأخرج الطبري في تفسيره ٨/ ١٨ ، ١٩ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧٨ بسند جيد ، عن ابن عباس ، قال : «يريد : الميتة» ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٧٨ .

(١٠) يشير إلى الآية الثالثة من سورة المائدة . المنخنقة : هي التي تموت بالخنق ، والموقوذة : هي التي تضرب بـــشيء ثقيل غير محدد حتى تمـــوت ، والمتردية : هي التـــي تقع من موضع عالٍ أو شـــاهق فتموت ، =

أن تـــدرك ذكاته أو ذبح لغير الله»[١] ، وقال الزَّجَّاج : «أي مما لم يخلص ذبحـــه الله»[٢] . وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٌۗ﴾ الهـــاء تعود على الأكل المدلول عليه ، يعني : وإن الأكل لفســـق ؛ أي أكل ما لم يذكر اسم الله عليه من الميتة[٣] .

قـــال [ابن عباس][٤] : «يريـــد : عصيان»[٥] ، ومعنى الفســـق في اللغة[٦] : الخروج عن الحق والدين[٧] .

وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ﴾ ؛ أي يوسوس الشـــيطان لوليه فيلقي في قلبه الجدال بالباطل ، وهو مـــا ذكرناه من أن المشركين جادلـــوا المؤمنين في الميتـــة[٨] ، وأجمع أكثر المفسرين : «على أن المراد بالشـــياطين هاهنـــا إبليس وجنـــوده ، وسوســـوا إلى أوليائهم من المشركـــين وأهل الضلالة

= والنطيحة : هي التي ماتت بســـبب نطـــح غيرها لها ، وقد كان بعض أهل الجاهلية يســـتحلون ذلك ويأكلونه ، فحرَّم الله ذلك على المؤمنين . انظر : السمرقندي ١/ ٤١٤ ، وابن كثير ٢/ ١٣ .

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٠٨ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٨٧ ، ومثله ذكره النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٨٠ .

(٣) انظر : معاني القـــرآن للفرَّاء ١/ ٣٥٢ ، وتفســـير الطبري ٨/ ٢٠ ، والســـمرقندي ١/ ٥١٠ ، والدر المصون ٥/ ١٣٢ .

(٤) لفظ : (ابن عباس) ساقط من (أ) ، وملحق بالهامش .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣/ ١٠٦ بسند ضعيف .

(٦) الفسق (بكسر الفاء ، وسكون السين) : الخروج عن الطاعة إلى العصيان ، والترك لأمر الله عز وجل ، والميل إلى المعصية . قال الراغب في المفردات ٦٣٦ : «وهو أعم من الكفر ، والفســـق يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير ، لكن تعورف في ما كان كثيراً ، وأكثر ما يقال الفاســـق لَمن التزم حكم الشرع وأقر به ثم أخـــل بجميع أحكامه أو ببعضه» . انظر : العـــين ٥/ ٨٢ ، والجمهرة ٢/ ٨٤٧ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٧٨٨ ، والصحاح ٤/ ١٥٤٣ ، والمجمل ٣/ ٧٢١ ، واللسان (فسق) ٦/ ٣٤١٤ .

(٧) هذا قول الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٢٨٧ ، وانظر : معاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٨٢ .

(٨) هذا نص كلام الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٢٨٧ .

ليخاصموا محمداً -عليه السلام- وأصحابه في أكل الميتة»[١] . قال عكرمة[٢] : «﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ ﴾ يعني مردة المجوس ﴿لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ من مشركي قريش» ، قال : «وذلك أن المجوس من أهل فارس لمَّا أنزل الله تعالى تحريم الميتة كتبوا إلى مشركي قريش -وكانوا أولياءهم في الجاهلية ، وكانت بينهم مكاتبة- أن محمداً وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله ثم يزعمون أن ما ذبحوا فهو حلال وما ذبح الله فهو حرام ، فوقع في أنفس ناس [من المسلمين][٣] من ذلك شيء ، فأنزل الله هذه [الآية]»[٤] .

ثم قال : «﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ يعني في استحلال الميتة» ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ ، وقال أبو إسحاق : «وفي هذا دليل أن كل من أحل شيئاً مما حرَّم الله ، أو حرَّم شيئاً مما أحل الله فهو مشرك ، وإنما سمي مشركاً ؛ لأنه اتبع غير الله عز وجل ، فأشرك به غيره»[٥] .

فإن قال قائل : كيف أبحتم ذبيحة المسلم التارك للتسمية والآية كالنَّص في التحريم ؟ قيل : إن جميع المفسرين فسروا الآية بالميتة ، وأشباهها ، مما ذكره ابن عباس ولم يحملها أحد على ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية ، وفي الآية أشياء تدل على أن الآية في تحريم الميتة ، منها قوله : ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ ، ولا يفسق أكل ذبيحة المسلم الذي ترك التسمية بالإجماع ، وإنما التفسيق في أكل الميتة مع اعتقاد

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٢٣ من طرق عدة ، عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وعبدالله بن كثير ، وقتادة ، والسُّدِّي ، والضحاك . انظر : الدر المنثور ٣/ ٧٨ ، ٧٩ .

(٢) أخرجه الطبري ٨/ ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧٩ بسند جيد ، وذكره الواحدي في أسباب النزول ٢٢٦ ، ورجَّح الطبري ٨/ ٢٣ ، ٢٤ العموم وتعاونهم في ذلك ؛ لأن الله تعالى جعل للأنبياء أعداء من شياطين الإنس والجن . انظر : تفسير ابن عطية ٥/ ٣٣٥ .

(٣) لفظ : (من المسلمين) مكرر في (ش) .

(٤) لفظ : (الآية) ساقط من النسخ ، وملحق في (أ) بأعلى السطر .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٨٧ ، وذكره النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٨٢ عن أهل النظر ، وانظر : تفسير الطبري ٨/ ١٥ وما بعدها ، والسمرقندي ١/ ٥١٠ .

التحريم ، ومنها قوله : ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ﴾ وهذه المناظرة إنما كانت في مسألة الميتة بإجماع من أهل التفسير ، لا في هذه المسألة ، ومنها قوله تعالى : ﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾ ، والشرك في [استحلال الميتة لا في[1]] استحلال الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها[2] .

١٢٢. قوله تعالى : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ قرأ نافع[3] : (مَيِّتاً) بالتشديد . قال أهل اللغة[4] : «المَيْت ، مخففاً : تخفيف ميِّت ، ومعناهما واحد ثُقِّل أو خُفِّفَ ، والمحذوف في[5] المخفف من الياءين الثانية المنقلبة عن الواو ، أُعلَّت بالحذف كما أُعلَّت بالقلب»[6] .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) .

(٢) ذكر مثل هذا الواحدي في الوسيط ١/ ١٠٩ ، والرازي في تفسيره ١٣/ ١٣٨ ، وقال الطبري في تفسيره ١٢/ ٨٥ : «الصواب أنَّ الله عنى بذلك ما ذبح للأصنام والآلهة ، وما مات أو ذبحه مَن لا تحل ذبيحته ، وأمَّا مَن قال : عنى بذلك ما ذبحه المسلم فنسي ذكر اسم الله فقول بعيد عن الصواب ؛ لشذوذه وخروجه عما عليه الحجة مجمعة من تحليله ، وكفى بذلك شاهداً على فساده» . اهـ . انظر : البغوي ٣/ ١٨٣ ، وابن عطية ٦/ ١٤٠ .

(٣) قرأ نافع : (مَيِّتاً) بتشديد الياء مع كسرها ، وأسكنها الباقون . انظر : السبعة ٢٦٨ ، والتذكرة ٢/ ٤٠٩ ، والتيسير ١٠٦ .

(٤) الموت : ضد الحياة ، يقال : ميت (بفتح الميم ، وكسر الياء المشددة) ، وأصله مَيْوِت على فيعل . وقيل : أصله مويت ثم أدغم ثم خفف ، فقيل : ميت (بفتح الميم ، وسكون الياء) ، والمعنى واحد . انظر : العين ٨/ ١٤٠ ، والجمهرة ١/ ٤١١ ، والبارع ٧٠٤ ، وتهذيب اللغة ١٤/ ٣٤٢ ، والصحاح ١/ ٢٦٦ ، ومقاييس اللغة ٥/ ٢٨٣ ، والمفردات ٧٨١ ، واللسان (موت) ٢/ ٩٠ .

(٥) في (أ) : (والمحذوف من المخفف في الياءين) .

(٦) هذا قول أبي علي في الحجة ٣/ ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، وانظر : معاني القراءات ١/ ٣٨٣ ، وإعراب القراءات ١/ ١٦٨ .

قال ابن عبـــاس[(١)] ومجاهد[(٢)] ومحمد بن كعب[(٣)] وجميع المفسرين[(٤)] : «يعني : مَن كان كافراً [ضالًّا][(٥)] فهدينا» .

قال أهـــل المعاني : «قد وصف الكفار بأنهم أموات في قوله تعالى : ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النحل :٢١] ، فلما جعل الكفر موتاً ، والكافر ميتاً ، جعـــل الهدى حياة ، والهداية إحياء ، وإنما جعـــل الكفر موتاً ؛ لأنه جهل ، والجهل يؤدي إلى الْحَـــيرة والهلكة ، والموت كالجهل في أنه لا يدرك به حقيقة ، والهدى علم وبصيرة ، والعلم يُهتدى به إلى الرشد ويدرك به الأمور كما يدرك الحياة»[(٦)] .

وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ قال ابن عباس : «يعني ديناً»[(٧)] ، وقال مجاهـــد : «يعني الهدى»[(٨)] ، وقال الكلبي : «إيماناً ﴿يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ مع المســلمين»[(٩)] ، وقال ابن زيد : «يعني الإسلام»[(١٠)] ، وهذه الأقوال

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ١٢/ ٩١ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٣٥١ ، ٣٥٢ .

(٢) تفســير مجاهد ١/ ٢٢٢ ، وأخرجه الطبري في تفســيره ١٢/ ٩٠ ، ٩١ من طــرق عدة جيدة ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٣٥٢ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) ومنهم مقاتل في تفســيره ١/ ٥٨٧ ، والفرَّاء في معاني القرآن ١/ ٢٥٣ ، وابن قتيبة في تفســير غريب القرآن ١٥٩ ، والطبري في تفسيره ١٢/ ٨٨ ، والسمرقندي ١/ ٥١١ ، ومكي في تفسير المشكل ٧٩ .

(٥) لفظ : (ضالًّا) ساقط من (أ) .

(٦) بعضــه في الحجة لأبي علي ٣/ ٩٨ ، وذكــره الرازي ١٣/ ١٧٣١ عن أهل المعــاني ، وانظر : الفتاوى ١٩/ ٩٤ ، وبدائع التفسير ٢/ ١٧٨ .

(٧) أخرجه الطبري في تفســيره ٨/ ٢٣ بسند جيد عن ابن عباس ، قال : «يعني بالنور : القرآن» ، وأخرج عنه بسند ضعيف ، قال : «يقول : الهدى» . قال السيوطي في الدر ٣/ ٨١ : «أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس قال : يعني بالنور القرآن» . اهـ

(٨) أخرجه الطبري في تفســيره ٨/ ٢٣ بسند جيد ، وذكره الســيوطي في الدر ٣/ ٨١ ، وفي تفسير مجاهد ١/ ٢٢٣ ، قال : «يعني الإيمان» . اهـ

(٩) لم أقف عليه ، وانظر : معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٥٣ .

(١٠) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٢٣ بسند جيد .

سـواء[١] . قال أصحاب المعاني الزَّجَّاج[٢] وأبو علي[٣] : «المؤمن مستضيء في الناس بنور الحكمة والإيمان فيراد بالنور هاهنا : نور الحكمة التي يؤتاها المسلم بإسلامه» ، وقال قتادة : «النور هاهنا كتاب الله بيِّنة من الله مع المؤمن ، بها يعمل ، وبها يأخذ ، وإليها ينتهي»[٤] ، وهو قول الحسن ، قال : «هو القرآن»[٥] . قال أبو علي : «ويجوز أن يراد به النور المذكور في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد :١٢] ، وقوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ إلى قوله : ﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد :١٣]»[٦] .

وقوله : ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ قال المفسرون : «يعني : الكافر [يكون][٧] في ظلمات الكفر والضلالة»[٨] . ومعنى : ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ كمَن هو في الظلمات ، والعرب[٩] تزيد مثل في الكلام ، ولا يريدون به التشبيه ، كقولهم : «أنا أُكرِم مثلَك» ؛ أي أنا أكرمك ، وعلى هذا يتوجه قوله تعالى : ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ [مِنَ ٱلنَّعَمِ]﴾[١٠] [المائدة :٩٥] فيمَن أضاف[١١] ؛ لأن معناه : فجزاء ما قتل ، لا جزاء مثله .

---

(١) انظر : تفسير الرازي ١٣/ ١٧٢ ، وابن كثير ٢/ ١٩٢ .
(٢) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٨٨ .
(٣) الحجة لأبي علي ٣/ ٣٩٩ .
(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٢٣ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٨١ .
(٥) ذكره الماوردي في تفسيره ٢/ ١٦٣ ، وابن الجوزي ٣/ ١١٧ .
(٦) الحجة لأبي علي ٣/ ٣٩٩ .
(٧) لفظ : (يكون) ساقط من (أ) .
(٨) ومنهم الطبري في تفسيره ٨/ ٢٣ ، وأخرجه من طرق عدة عن ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والسُّدِّي ، وابن زيد .
(٩) انظر : حروف المعاني للزَّجَّاجي ٢ ، ٣ .
(١٠) لفظ : (من النعم) ساقط من (أ) .
(١١) يعني : على قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر : (فجزاءُ مِثْلِ ما قتل) ، بضم (فجزاءُ) من غير تنوين مضافة ، وجر (مثل) . انظر : السبعة ٢٤٧ ، والمبسوط ١٦٣ ، ١٦٤ ، والتذكرة ٢/ ٣٩٠ .

ومن هــذا قل[١] في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ليس كهو شيء[٢]، والتقديــر في الآية: أفمَن جعلنا له نــوراً[٣] يمشي به كمَن هو في الظلمات، والْمِثْل والْمَثل[٤] واحد.

ويجوز أن يكون المعنى: كمَن مثله الذي هو شــبه له في الظلمات، وإذا كان مثله في الظلمات كان هو أيضاً فيها، فأخبر عن مثله؛ أي شبهه، والمراد به: الكافر لا شبيهه، وهذان القولان معنى ما ذكره أبو علي[٥] في هذه الآية، وقال غيره من النحويين[٦]: «معنى الآية: كمَن في الظلمات، وزِيد المثل لأنه يفيد أنه يُضرب به المثل في ذلك»، وقال بعضهم: «التقدير كمَن مثله مثل مَن في الظلمات؛ أي كمَن لو شبه بشيء كان شبيهه مَن في الظلمات»، وهذا قول الحسين بن الفضل[٧]، وهو أضعف هذه الأقوال.

وقولــه تعــالى: ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ قال الكلبي: «ليس بمؤمــن أبداً»[٨]، واتفق المفسرون على أن هذه الآية نزلت في مؤمن وكافر، وأجمعوا على أن الكافر أبو جهل[٩].

---

(١) كذا في النسخ، والأولى: (ومثل هذا قل في قوله).

(٢) انظر: معاني الحروف للرماني ٤٨، ٤٩، وسر صناعة الإعراب ١/ ٢٩١.

(٣) في (أ): (نوران)، وهو تحريف.

(٤) المثل (بكسر الميم، وسكون الثاء)، والمثل (بالفتح)، واحد، بمعنى: التسوية. انظر: اللسان (مثل) ٧/ ٤١٣٢.

(٥) انظر: الحجة لأبي علي ٣/ ٢٥٦، ٢٥٧، وهو نص كلامه مع زيادة شرح من الواحدي.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) ذكر هذا القول الثعلبي في الكشف ١٨٣ ب من دون نسبة.

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١١٢ من دون نسبة، وقال مجاهد في تفسيره ١/ ٢٢٣: «﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾؛ أي الضلالة أبداً».

(٩) حكى الاتفاق أيضاً ابن عطية في تفسيره ٥/ ٢٣٧.

واختلفوا في المؤمن ، مَن هو ؟

فقال ابن عباس : «يريد : حمزة بن عبدالمطلب ، وذلك أن أبا جهل رمى النبي ﷺ بفرث ، وحمزة يومئذٍ لم يؤمن ، فأخبره حمزة بما فعل أبو جهل وهو راجع من قنصه ، وبيده قوس ، فأقبل غضبان حتى [علا][(١)] ، أبا جهل بالفرس ، وهو يتضرع إليه ويستكين ، ويقول : أما ترى ما جاء به ، سفَّه عقولنا ، وسبَّ آلهتنا ، فقال حمزة : ومَن أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله ، أشهد أن لا إله إلا الله [وحده لا شريك له[(٢)]] وأن محمداً رسوله ، فأنزل الله هذه الآية»[(٣)] .

وقال مقاتل : «نزلت في النبي ﷺ وأبي جهل ، وذلك أنه قال : زاحمنا بنو[(٤)] عبد [مناف][(٥)] في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان[(٦)] قالوا : منَّا نبي يوحى إليه ، والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبداً ، إلَّا أن يأتينا وحي كما يأتيه ، فأنزل الله هذه الآية ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ ﴾ الآية [الأنعام :١٢٤] »[(٧)] .

---

(١) لفظ (علا) ، ساقط من أصل (أ) ، وملحق بأعلى السطر .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٣) ذكره أكثرهم .
انظر : الثعلبي ١٨٣ ب ، وأسباب النزول للواحدي ٢٢٤ ، والبغوي ٣/ ١٨٤ ، وابن الجوزي ٣/ ١١٦ ، والرازي ١٣/ ١٧٢ ، والقرطبي ٧/ ٧٨ ، وذكر القصة من دون ذكر الآية ابن هشام في السيرة ١/ ٣١٢ ، ٣٧٦ ، والحاكم في المستدرك ٣/ ١٩٢ ، ١٩٣ .

(٤) في (أ) : (بني) ، وهو تحريف .

(٥) لفظ : (مناف) ساقط من (ش) .

(٦) كَفَرَسي رهان : أي يتسابقان إلى غاية ، وفرس (بالفتح) : واحد الخيل ، ورهان (بالكسر) : المسابقة على الخيل . انظر : النهاية لابن الأثير ٣/ ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، واللسان (فرس) ٦/ ٣٣٧٨ ، (رهن) ٣/ ١٧٥٨ .

(٧) تفسير مقاتل ١/ ٥٨٧ .

قال الزَّجَّاج : «على هذا القول فالنبي ﷺ هُدى ، وأعطي نور الإسلام و[النبوة][(١)] والحكمة ، وأبو جهل في ظلمات الكفر»[(٢)] .

وقال عكرمة[(٣)] والكلبي[(٤)] : «نزلت في عمار بن ياسر ، وأبي جهل» .

وقال الضحاك[(٥)] ويمان : «نزلت في عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وأبي جهل»[(٦)] .

وقال الحسن[(٧)] : «الآية عامة [في كل مؤمن وكافر ، ولم تنزل في مؤمن وكافر مخصوصين» ، وهو قول الزَّجَّاج : «يجوز أن تكون هذه الآية[(٨)] عامة] لكل مَن هداه الله ، ولكل مَن أضله ، فاعلم أن مثل المهتدي مثل الميت الذي أُحيي ، وجُعل مستضيئاً في الناس بنور الحكمة والإيمان ، ومثل الكافر مثل مَن هو في الظلمات الذي لا يتخلص منها»[(٩)] .

---

(١) لفظ : (النبوة) ساقط من (أ) .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٨٨ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٢٢ بسند ضعيف ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٨١ ، وحكاه ابن الجوزي ٣/ ١١٦ عن ابن عباس .

(٤) تنوير المقباس ٢/ ٥٦ ، وذكره السمرقندي ١/ ٥١١ ، والثعلبي ١٨٣ ب ، والماوردي ٢/ ١٦٤ ، والبغوي ٣/ ١٨٥ عن الكلبي .

(٥) أخرجه الطبري ٨/ ٢٢ بسند ضعيف ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٨١ .

(٦) لم أقف عليه عن يمان ، وحكاه النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٨٣ عن السُّدِّي ، والماوردي ٢/ ١٦٣ عن مقاتل ، والواحدي في الوسيط ١/ ١١٢ عن زيد بن أسلم ، والسيوطي في الدر ٣/ ٨١ عن ابن عباس .

(٧) ذكره الماوردي ٢/ ١٦٣ ، والواحدي في الوسيط ١/ ١١٢ ، وابن الجوزي ٣/ ١١٦ .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) .

(٩) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٨٨ ، وهذا القول هو الراجح ، فالآية عامة يدخل فيها كل مؤمن وكافر ، وهو اختيار القرطبي في تفسيره ٧/ ٧٨ ، وابن كثير ٢/ ١٩٢ . قال النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٨٣ : «الذي يوجب المعنى أن يكون عامّاً إلَّا أن تصح فيه رواية» ، وقال الرازي في تفسيره ١٣/ ١٧٣ : «الحق أن الآية عامة ؛ لأن المعنى إذا كان حاصلاً في الكل كان التخصيص محض تحكم ، إلَّا إذا قيل : إن النبي ﷺ قال : «إن مراد الله تعالى من هذه الآية العامة فلان بعينه» . اهـ ملخصاً .

وقوله تعـالى : ﴿ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ قال ابن عباس : «يريـد : زيَّن الشـيطان لهم عبـادة الأصنـام»(١) . أمَّا وجه التشـبيه في قوله : ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ فالمعنى : زيَّن لهم الكفر فعملوه كما زيَّن لأولئك الإيمان ، فشُـبِّهت حال هؤلاء في التزيين بحال أولئك فيه(٢) .

وقال أبو إسـحاق : «موضع الكاف رفع ، المعنى : مثل ذلك الذي قصصنا عليك زيَّن للكافرين عملهم»(٣) .

١٢٣. قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا ﴾ ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ عطـف على ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ في الآية الأولى ؛ أي ومثل ذلك جعلنا في كل قرية ؛ أي كما زيَّنَّا للكافرين أعمالهم كذلك(٤) جعلنا .

قال المفسرون(٥) : «يعني : كما أن فسَّـاق مكة أكابرها ، كذلك جعلنا فسَّاق كل قرية أكابرها» .

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١١٣ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٨٥ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٨/ ٢٤ ، والسمرقندي ١/ ٥١١ ، وابن عطية ٥/ ٢٣٧ .

(٣) ذكره السمين في الدر ٥/ ١٣٤ ، وقال الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٢٨٨ ، عند قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ ﴾ : «موضـع الـكاف نصب معطوفة على ما قبلها وهـو قوله : ﴿ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ، المعنى : مثل ذلك الذي قصصنا عليك زين للكافرين عملهم وكذلك جعلنا» ، وقال الهمداني في الفريد ٢/ ٢٢٣ : «الكاف يحتمل أن يكون في موضع رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره : فعلنا لهذه الأشياء المتقدم ذكرها ، وهي إحياء الميت وجعل النور له ، وذكرنا لمن مثله في الظلمات مثل تزييننا للكافرين عملهم ، أو في موضع نصب على أنه نعت لمصدر محذوف ؛ أي فعلنا هذه الأشياء فعلاً مثل فعلنا للتزيين» . اهـ

(٤) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٨٨ ، وتفسير الطبري ٨/ ٢٤ .

(٥) انظر : تفسير السمرقندي ١/ ٥١١ ، والثعلبي ١٨٣ ب .

قال ابن عباس : «أكابر مجرمي مكة المستهزئون المقتسمون عقاب[١] مكة»[٢] .

قال الزَّجَّاج : «إنما جعل الأكابر المجرمين ؛ لأنهم بما هم فيه من الرئاسة والسعة أدعى لهم المكر والكفر ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى :٢٧]»[٣] .

والأكابر جمع الأكبر الذي هو اسم[٤] . والآية على التقديم والتأخير ، تقديره : جعلنا مجرميها أكابر ، ولا يجوز أن يكون الأكابر مضافة ؛ [لأنه][٥] لا يتم المعنى ، ويحتاج إلى إضمار المفعول الثاني للجعل ؛ لأنك إذا قلت : جعلت زيداً ، وتسكت لم يُفد الكلام حتى تقول : رئيساً أو ذليلاً ، أو ما أشبه ذلك ، لاقتضاء الجعل مفعولين ، ولأنك إذا أضفت الأكابر فقد أضفت النعت إلى المنعوت ، وذلك لا يجوز عند البصريين[٦] .

---

(١) عقاب (بكسر العين) : مرقى صعب من الجبال ، وكل طريق بعضه خلف بعض ، وعقب كل شيء : آخره . انظر : اللسان (عقب) ٥/ ٣٠٢٩ .

(٢) تنوير المقباس ٢/ ٥٧ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١١٣ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٨٨ ، وزاد أيضاً قوله تعالى : ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ [الزخرف :٣٣] ، وانظر : معاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٨٤ .

(٤) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢/ ٢٨٧ ، والطبري ٨/ ٢٤ ، والدر المصون ٥/ ١٣٦ .

(٥) لفظ : (لأنه) ساقط من (ش) .

(٦) ذكر نص كلام الواحدي الرازي في تفسيره ١٣/ ١٧٤٠ من دون نسبة ، وقال مكي في المشكل ١/ ٢٦٨ ، وابن الأنباري في البيان ١/ ٣٣٨ : «(مجرميها) مفعول أول لجعلنا ، و(أكابر) مفعول ثانٍ مقدَّم» ، وقال السمين في الدر ٥/ ١٣٤ـ١٣٦ : «جعل تصيير به ، فتتعدى لاثنين ، واختلف في تقديرهما ، والصحيح أن يكون (في كل قرية) مفعولاً ثانياً قدِّم على الأول ، والأول (أكابر) مضافاً لمجرميها . . .» . اهـ ، ثم ذكر قول الواحدي ، وقال : «هذان الوجهان اللذان ردَّ بهما الواحدي ليسا بشيء ، أمَّا الأول فلا نسلم أنَّا نضمر المفعول الثاني ، وأنه يصير الكلام غير مفيد ، وأمَّا ما أورده من الأمثلة فليس مطابقاً لأنَّا نقول : إن المفعول الثاني مذكور مصرَّح به ، وهو الجار والمجرور السابق ، وأمَّا الثاني فلا نسلم أنه من باب إضافة الصفة لموصوفها ؛ لأن المجرمين أكابر وأصاغر فأضاف للبيان لا لقصد الوصف» . انظر : غرائب التفسير ١/ ٣٨٣ ، والتبيان ٣٥٧ ، والفريد ٢/ ٢٢٤ .

وقوله تعالى: ﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ قال مجاهد: «هو أنهم أجلسوا على كل طريق أربعة، واقتسموا عقاب مكة، فذلك مكرهم»[(١)] . ومعنى قوله: جعلناهم[(٢)]﴿لِيَمْكُرُوا﴾ بيان أنهم لم يمكروا مُعاداة لله، بل جعلهم أكابر ليمكروا تكذيباً للقدرية في مسألة التعديل والتجوير[(٣)] .

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ قال ابن عباس: «يريد: ما يحيق هذا المكر إلَّا بهم؛ لأنهم بمكرهم يعذبون»[(٤)] ، كأنه قيل: ما يضرون بذلك المكر إلَّا أنفسهم؛ لأن وبال مكرهم يعود عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أنهم يمكرون بها[(٥)] . قال ابن عباس: «لأنهم يقتلون ويصيرون إلى العذاب»[(٦)] .

١٢٤. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ الآية. قد ذكرنا قول مقاتل في سبب نزول هذه الآية، وقال غيره من المفسرين: «إن الوليد بن المغيرة قال: والله لو كانت النبوة حقّاً، لكنت أَولى بها منك، لأني أكبر منك سنّاً وأكثر منك مالاً، فأنزل الله هذه الآية»[(٧)] ، وقال الضحاك: «سئل كل واحد من القوم أن يُخصَّ بالوحي والرسالة كما أخبر الله عنهم في قوله: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١١٣، وابن الجوزي في تفسيره ٣/ ١١٨، والقرطبي ٧/ ٧٩، وذكره البغوي ٣/ ١٨٥ من دون نسبة.

(٢) هكذا العبارة في النسخ، وهي لا تستقيم، ولعل فيه سقطاً، أو الصواب: ومعنى (ليمكروا) جعلناهم ليمكروا، وفيه بيان أنهم لم يمكروا.

(٣) انظر: تفسير الرازي ١٣/ ١٧٤.

(٤) لم أقف عليه، وهو نص كلام الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٢٨٨.

(٥) انظر: تفسير الطبري ٨/ ٢٤، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٨٤، وتفسير السمرقندي ١/ ٥١١.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١١٣.

(٧) ذكره أكثرهم. انظر: تفسير مقاتل ١/ ٥٨٨، والسمرقندي ١/ ٥١١، والثعلبي ١٨٣ ب، والبغوي ٣/ ١٨٥، والرازي ١٣/ ١٧٥، والقرطبي ٧/ ٨٠.

ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ [المدثر :٥٢][(١)] ، وظاهـر الآية يدل على هذا ؛ لأن الكناية في قوله : ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ﴾ تعود على الأكابر[(٢)] الذين جرى ذكرهم ، فعلى هذا أراد القوم أن تكون لهم النبوة والرسـالة كما كانت لمحمد عليه السلام» .

قـال ابن عباس : « ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ يريد : مَـن علم الغيب الذي أطلع الله نبيه عليه ممـا يخبرهم به ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ﴾ لن نصـدق ﴿حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ يريـد : حتى يوحي إلينـا ويأتينا جبريل فنصـدق»[(٣)] ، وعلى هذا : القوم لم يريـدوا النبوة ، وإنما طلبوا أن تخبرهم الملائكـة بصدق محمد كما قالوا : ﴿أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ [الإسراء :٩٢] ، وكما قالوا : ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الأنعام :٨] . والأول أقوى[(٤)] لقوله : ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ ، يعني أنهم ليسـوا لها بأهل ، وعلى قول ابن عباس يتوجه هذا على أن[(٥)] مَن أُرسل إليه المَلك وكلَّمه عياناً حصلت له منزلة الرسل ومرتبة الأنبياء ، وليسوا هم لهذا بأهل .

ومعنى قوله تعـالى : ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ هو أعلم بمَن يختص بالرسـالة . قال أبو علي : «لا يجوز أن يكون العامل في ﴿حَيْثُ﴾ ﴿أَعْلَمُ﴾ هذه الظاهـرة ، ولا يجوز أن يكـون ﴿حَيْثُ﴾ ظرفاً ؛ لأنه يصـير التقدير : الله أعلم في هذا الموضع ، ولا يوصف الله سـبحانه بأنه أعلـم في مواضع أو أوقات ؛ لأن علمـه لا يختلف بالزمان والمكان ، فإذا كان كذلك كان العامل في ﴿حَيْثُ﴾ فعلاً

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١١٣ ، وابن الجوزي في تفسيره ١٣/ ١٧٥ ، والرازي ١٣/ ١٤٣ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، وتفسير الرازي ١٣/ ١٧٥ .

(٣) تنوير المقباس ٢/ ٥٨ ، وذكره الواحدي في الوسـيط ١/ ١١٤ ، وابن الجوزي في تفسـيره ٣/ ١١٨ ، والرازي ١٣/ ١٧٥ ، والخازن ٢/ ١٨٠ .

(٤) وهو اختيـار القرطبي في تفسـيره ٧/ ٨٠ ، وقال الرازي في تفسـيره ١٣/ ١٧٦ : «القول الأول هو المشهور ، وقال المحققون : هو أقوى وأولى» . اهـ ملخصاً

(٥) لفظ : (أن) ساقط من (أ) .

يدل عليه ﴿أَعْلَمُ﴾ ، و﴿حَيْثُ﴾ لا يكون ظرفاً بل يكون اسـماً ، ويكون انتصابه انتصاب المفعول به [على الاتساع ، ومثل ذلك في انتصاب ﴿حَيْثُ﴾ على المفعول به][1] قول الشماخ :

وَحَلأَها[2] عَنْ ذي الأَراكَةِ عَامِرٌ
أَخو الْخُضْرِ يَرْمِي حَيْثُ تُكْوَى النَّواحِزُ[3]

فحيث مفعول به ، لأنه ليس يريد : أنه يرمي شيئاً حيث[4] تكوى النواحز ، إنما يريد أنه يرمي ذلك الموضع ، فحيث تكوى النواحز مفعول به»[5] .

وقال الحكماء : «الأبلغ في تصديق الرســل أن لا يكونوا قبل مبعثهم مطاعين في قومهم ؛ لأن الطعن كان يتسع عليهم ، فيقال : إنما كانوا أكابر رؤساء فاتبعوا ، فكان الله تعالى أعلم حيث جعل الرسالة ليتيم أبي طالب دون أبي جهل والوليد بن المغيرة ، وأكابر مكة»[6] .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) .

(٢) في النسخ : (وجلاهما) ، وهو خلاف ما في المراجع الآتية .

(٣) ديوانــه ٦٥ ، والمعاني الكبير ٢/ ٧٨٣ ، وجمهرة أشـعار العرب ٢/ ٨٢٨ ، والبحـر ٤/ ٢١٦ ، والدر المصون ٥/ ١٣٧ . حلأها : منع الحُمر من الماء ، انظر : اللســان (حلا) ٢/ ٣٨٢ ، وذو الأراكة : اسـم مكان ، وهو نخل وماء باليمامة ، انظر : معجم البلدان : ١/ ١٣٥ ، وعامر أخو الخضر : اسم وكنية لرامٍ من أمهر الرماة وقانص مشهور يقال له : الرامي . الخضر (بضم الخاء ، وسكون الضاد) : هم ولد مالك ابن مطرف المحاربي ، سموا بذلك لشدة سمرتهم ، انظر : الإصابة ٢/ ٢٦١ ، والنواحز : الإبل المصابة بالنحاز ، وهو داء من عوارضه سـعال شـديد ، وعلاجه الكي في الرقاب والأجناب . انظر : اللسان (نحز) ٧/ ٤٣٦٦ .

(٤) في (أ) : (حيث يكون تكوى) ، وهو تحريف .

(٥) انظر : الحجـة لأبي عـلي ١/ ٣٥ ، ٣/ ٢٤٤ ، وكتاب الشـعر ١/ ١٧٨ ، والتبيـان ٣٥٧ ، والفريد ٢/ ٢٢٥ ، والدر المصون ٥/ ١٣٧ .

(٦) هذا قول الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٢٨٩ ، وحكاه الواحدي في الوسيط ١/ ١١٤ ، وابن الجوزي في تفسيره ٣/ ١١٨ ، والخازن ٢/ ١٨٠ عن أهل المعاني .

وقولـه تعـالى : ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ الصغـار[١] هو الـذل الذي يصغر إلى المرء نفسـه . قال الليث : «يقال مـن الصغر ضد الكبر : صَغُر[٢] يَصْغُر صغَـراً ، فهو صغير ، وأمَّا الصَّغار فهو مصدر الصغير في القَدْر ، يقال منه : صَغِر[٣] يَصْغَر وصَغِر يَصغُر صَغَراً وصَغَاراً ، فهو صاغِرٌ ، ويقال أيضاً في المصدر : صَغَراً[٤] وهو الذل ، والصاغِرُ : الراضي بالذل ، والصُّغرِ»[٥] .

[قال أبو إسـحاق][٦] : «أي هم وإن كانوا أكابر في الدنيا فسيصيبهم صغار عند الله ؛ أي مذلة ، و﴿عِندَ﴾ متصلة بـ ﴿سَيُصِيبُ﴾ ، المعنى : سـيصيبهم عند الله صغـار» ، قال : «وجائـز أن يكون ﴿عِندَ﴾ متصلة بصغـار فيكون المعنى : سيصيب الذين أجرموا صغار ثابت عند الله لهم»[٧] .

---

(١) انظـر : الجمهرة ٢/ ٧٣٩ ، والبـارع ٢٩٣ ، والصحاح ٢/ ٧١٣ ، والمجمـل ٢/ ٥٣٤ ، والمفردات (صغر) ٤٨٥ .

(٢) صَغُر (بفتح الصاد ، وضم الغين) ، يَصْغُر (بضم الغين) ، صِغَراً (بكسر الصاد ، وفتح العين) . انظر : العين ٤/ ٣٧٢ .

(٣) صَغِر (بفتـح الصاد ، وكسر الغين) ، يَصْغَر : (بفتح الغَين) ، وصَغِـر (بفتح الصاد ، وكسر الغَين) ، ويصغُرُ (بضم الغين) ، وصُغْراً (بالفتح) ، وصغاراً (بالفتح) .

(٤) يقـال : صغر يصغر (بضم الغين) ، وصغراً (بضم الصاد ، وسـكون الغـين) ، ويقال : صَغر يصغَر (بفتح الغين) ، وصِغْراً (بكسر الصاد ، وسـكون الغين) . ويقال : صَغُر (بضم الغين وفتحها) ؛ من الذل . انظر : اللسان (صغر) ٤/ ٢٤٥٣ ، والدر السمين ٥/ ١٤٠ .

(٥) تهذيب اللغة ٨/ ٢٣ ، ٢٤ ، وفيه قال الليث : «يقـال : صَغِر يَصْغَر صَغَراً وصَغَاراً ، فهو صاغر ، إذا رضي بالضيـم وأقرَّ به . ويقال : من الصغر ضد الكبر : صَغُر يَصْغُر صِغَراً ، وأمَّا الصَّغَار فهو مصدر الصغير في القدر» . اهـ

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٨٩ .

قال أبو علي: «يحتمل أن يكون ﴿عِندَ﴾ متصلة بـ ﴿سَيُصِيبُ﴾ ومعمولاً له، كما قال[(١)]، [كأنه][(٢)] سيصيب عند الله الذين أجرموا صغار، ويجوز أن يكون ﴿عِندَ﴾ معمولاً لصغار، والعامل فيه صغار نفسه؛ لأنه مصدر فلا يحتاج إلى تقدير محذوف في الكلام كما قدَّره أبو إسحاق في قوله: صغار ثابت عند الله، لكن نفس المصدر يتناوله ويعمل فيه، والدليل على أن الصغار مصدر قول الشاعر:

وإذا تكُونُ[(٣)] شَديدَةٌ أُدْعَى لَهـا ... وإذا يُحاسُ الحَيْسُ يُدْعَى جُنْدَبُ

هَذَا لَـعَمْـرِكُـمْ الـصَّغَـارُ بَعَيْنِهِ ... لا أُمَّ لي إِنْ كَانَ ذاكَ ولا أَبُ[(٤)]

والتقدير فيه إذا كان مصدراً: أن يصغروا عند الله، وعلى هذا التأويل لا وجه لتقدير ثابت في الكلام؛ لأن الفعل[(٥)] نفسه يعمل فيه، ألا ترى أنك لو قلت: ضرب زيد خلفك عمراً[(٦)] حسن لكان المصدر يعمل في خلفك، ويعمل في عمرو وينتصب به، وكذلك صغار، والمعنى: صغارهم، ولم يضف المصدر إليهم؛ لأن في الكلام دليلاً عليه، كما حُذف المضاف إليه في قوله: ﴿دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ [فصلت: ٤٩]، و﴿بِسُؤَالِ[(٧)] نَعْجَتِكَ﴾ [ص: ٢٤]،

---

(١) قوله: (كما قال) يريد الزَّجَّاج، في تقديره السابق.

(٢) لفظ: (كأنه) ساقط من (ش).

(٣) في (ش): (يكون).

(٤) البيتان مختلف في نسبتهما، وهما في اللسان ٢/ ١٠٦٩. (حيس) لهنى بن أحمر الكناني، أو لزرافة الباهلي، أو لغيرهما كما في شرح شواهد المغني للسيوطي ٢/ ٩٢١، وهما بلا نسبة في معاني القرآن للفرَّاء ١/ ١٢١ـ١٢٢، والأول في الأضداد لابن الأنباري ١٢٠. والشاهد في: البيت الأخير، وهو لرجل من بني مذحج في الكتاب ٢/ ٢٩١، ٢٩٢، والأصول ١/ ٣٨٦، ولهنى الكناني في الكتاب ١/ ٣١٩، وبلا نسبة في معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٥، والمقتضب ٤/ ٣٧١، والجمل للزَّجَّاجي ٢٣٩، والحجة لأبي علي ١/ ١٩٠، ومعاني الحروف للرماني ٨٢، واللمع ٩٩، ورصف المباني ٣٣٨، والمغني ٢/ ٥٩٣. الحَيْسُ (بفتح الحاء وسكون الياء): الأقط يخلط بالتمر والسمن.

(٥) في (أ): (لأن الفعل يعمل نفسه يعمل فيه)، وهو تحريف.

(٦) في (أ): (عمرواً).

(٧) في النسخ: (وسؤال)، وهو تحريف.

هذا إذا جعلت صغاراً مصدراً ، فإن قدَّرته موصوفاً لم يكن ﴿عِندَ﴾ معمولاً لصغارٍ ولكن يكون متعلقاً بمحذوف ، ولا بد على هذا من تقدير ثابت ونحوه مما يكون صفة ثم حذف وأقيم الظرف مقامه للدلالة عليه ، وهذا كقولك وأنت تريد الصفة : هذا رجل خلفك ، فالمعنى : رجل ثابت أو مستقر خلفك ، وكلا الوجهين جائز ، ولا يجوز على واحد منهما تقديم ﴿عِندَ﴾ على ﴿صَغَارٌ﴾ كما جاز تقدير تقديمه إذا كان معمولاً لسيصيب ، إلَّا أن الوجه الأول من هذين الوجهين أعجب إليَّ ، وإن كان الثاني حسناً ؛ لأن صغاراً مصدر ، والمصادر تعمل عمل الفعل وتقوم مقامه ، فإذا أعملت عمل الفعل وقامت مقامه ، لم يحسن وصفه كما لا يحسن وصف الفعل»[(١)] .

١٢٥. قوله تعالى : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ﴾ الآية . قال الليث : «يقال : شرح الله صدره فانشرح ؛ أي وسَّع[(٢)] صدره لقبول الخير فتوسَّع»[(٣)] .

وقال غيره : «شرح فلان أمره إذا أوضحه وأظهره ، وشرح مسألةً إذا كانت مشكلةً فبيَّنها»[(٤)] .

وقال أبو العباس عن ابن الأعرابي : «الشرح : الفتح ، والشرح : البيان»[(٥)] ، فقد ثبت للشرح[(٦)] معنيان : أحدهما الفتح ، ومنه يقال : شرح الكافر بالكفر

---

(١) الإغفال ٩٦٥-٦٩٨ ، وانظر : معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٥٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٨٤ ، والفريد ٢/ ٢٢٥ ، والدر المصون ٥/ ١٤٠ .

(٢) في (ش) : (أي وسع الله) .

(٣) تهذيب اللغة ٢/ ١٨٥١ .

(٤) هذا في تهذيب اللغة ٢/ ١٨٥١ ، كأنه من قول الليث .

(٥) تهذيب اللغة ٢/ ١٨٥١ ، وفيه أيضاً : «الشرح الحفظ والفهم» .

(٦) انظر : العين ٣/ ٩٣ ، والجمهرة ١/ ٥١٣ ، والصحاح ١/ ٣٧٨ ، والمجمل ٢/ ٥٢٨ ، والمفردات ٤٤٩ ، واللسان (شرح) ٤/ ٢٢٢٨ .

صدراً ؛ أي فتحه لقبوله ، ومنه قول الله عز وجل : ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل :١٠٦] ، وقوله تعالى : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الزمر :٢٢] ؛ أي فتحه ووسَّعه له ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح :١] .

قال الكلبي : «﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ﴾ يوسِّع قلبه ويليِّنه ليقبل الإسلام»[١] .

والذي يدل على أن الشرح معناه الفتح والتوسيع ، وصف الكافر بضده من تضييق قلبه ، وهو قوله تعالى : ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام :١٢٥] . قال المفسرون : «ولمَّا نزلت هذه الآية سئل رسول الله ﷺ ، فقيل له : كيف يشرح صدره ؟ فقال : «بِنُور يقذف فيه حتى ينفسح وينشرح» ، فقيل له : وهل لذلك من أمارة يعرف بها ؟ فقال : «الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل نزول الموت»[٢] .

---

(١) تنوير المقباس ٢/ ٥٨ .

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد ١٠٦ ، ووكيع ١/ ٢٣٨ ، وعبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢١٧ ، وابن أبي شيبة في المصنف ٧/ ٩٨ (٣٤٣٠٣) ، وابن قتيبة في عيون الأخبار ٢/ ٣٢٨ ، والطبري ٨/ ٢٦ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٨٤ ، وأبو الشيخ في طبقات أصبهان ١/ ٤٥٢ ، والسمرقندي في تفسيره ١/ ٥١٢ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٣٩٨ ، من طرق معلولة بالإرسال أو الضعف ، وأصله مرسل ، يروى عن عبدالله بن المسور الهاشمي المدائني ضعيف متهم بالوضع . انظر : العلل المتناهية لابن الجوزي ٢/ ٣١٨ ، وشرح علل الترمذي لابن رجب ٢/ ٧٧٢ ، ولسان الميزان ٣/ ٣٦٠ . وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٨٣ ، وزاد نسبته إلى «سعيد بن منصور ، والفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن مردويه عن عبدالله بن المسور» . ذكر ابن كثير في تفسيره ٢/ ١٩٥ عدة طرق للحديث ثم قال : «هذه طرق لهذا الحديث مرسلة ومتصلة يشد بعضها بعضاً ، والله أعلم» .

روي[(١)] ذاك عن ابن عباس[(٢)]، ثم قال: «وكذلك كان أصحاب رسول الله ﷺ»[(٣)]، ويروي أن ابن مسعود[(٤)] كان السائل.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾. وقرأ ابن كثير[(٥)]: (ضيْقاً) ساكنة الياء، وهو من باب الميِّت والمَيْت في أن المخفف مثل المشدد في المعنى.

قال أبو علي: «والياء مثل الواو في الحذف، وإن لم تعتل بالقلب كما اعتلت الواو به اتبعت الياء الواو في هذا، كما اتبعت في قولهم: اتَّسَر من الميسر فجعلت بمنزلة اتَّعدَ»[(٦)].

وقال أبو بكر بن الأنباري: «الذي يثقل الياء يقول: وزنه من الفعل فَعِيل، والأصل فيه ضييق على مثال: كريم ونبيل، فجعلوا الياء الأولى ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها من حيث أعلُّوها في ضاق يضيق، ثم أسقطوا الألف لسكونها وسكون ياء فَعِيل، فأشفقوا من أن يلتبس فَعِيل بفعْل فزادوا ياء على الياء ليكمل بها بناء الحرف ويقع بها فرق ما بين فَعِيل وفَعْل، والذين خففوا الياء قالوا: قد

(١) لفظ: (روى) ساقط من (ش).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٤/ ١٣٨٤ بسند ضعيف.

(٣) هذه الزيادة لم أقف عليها.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٧/ ٩٨ (٣٤٣٠٣)، والطبري ٨/ ٢٦، والحاكم ٤/ ٣١١، وسكت عنه، وقال الذهبي في التلخيص: «فيه عدي بن الفضل ساقط»، وقال ابن كثير ٢/ ١٩٥: «أخرجه ابن أبي حاتم»، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٨٣، وزاد نسبته إلى ابن أبي الدنيا، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في الشعب من طرق عن ابن مسعود.

(٥) قرأ ابن كثير (ضيْقاً) بسكون الياء المخففة، وقرأ الباقون بكسر الياء المشددة. انظر: السبعة ٢٦٨، والمبسوط ١٧٤، والتذكرة ٢/ ٤١٠، والتيسير ١٠٦، والنشر ٢/ ٢٦٢.

(٦) الحجة لأبي علي ٣/ ٤٠٠، وزاد: «الضَّيْق والضَّيِّق مثل المَيْت والمَيِّت في أن المحذوف مثل المُتمِّ في المعنى». اهـ. انظر: معاني القراءات ١/ ٣٨٤، والحجة لابن خالويه ١٤٩، والحجة لابن زنجلة ٢٧١، والكشف ١/ ٤٥٠.

وضح أصل الحرف وعرف التشـديد فخفف عند الثقة بأنـه لا يلتبس بغيره» .
قـال : «وقال البصريون : وزنـه من الفِعل فَيْعِل فأدغمـت[١] الياء في الياء التي بعدها فوجب التشـديد ، ثم جاز التخفيف بعدُ» ، قـال : «وردَّ الفرَّاء وأصحابه هذا ، وقالوا : لا يعرف في كلام العرب اسـم على مثـال فَيْعِل ، إنما المعروف في كلامهم فَيْعَل[٢] نحو صيقل وهيكل ، فمتى ادَّعى مدعٍ في اسم معتلٍّ ما لا يعرف في السالم كانت دعواه مردودة غير مقبولةٍ»[٣] . والحرجُ : الشديد الضيق ، في قول جميع[٤] أهل اللغة ، ورجل حَرَج[٥] وحَرِج : ضيق الصدر ، قال :

لا حَرِجُ الصدرِ ولا عنيفُ[٦]

وقد حَرِج[٧] صدره ؛ أي ضـاق فلا ينشرح لخيرٍ ، وقُرِئ[٨] (حرجاً) بكسر الراء وفتحها[٩] .

---

(١) جاء في الأصول : (فاندغمت) ، وهو تحريف .

(٢) أي بفتح العين ، والتي قبلها بكسرها . انظر : الدر المصون ٥/ ١٤٢ .

(٣) الدر المصون ٥/ ١٤١ ، ١٤٢ ، وانظر : الإنصاف ٢/ ٧٩٥ . قال السـمين : «وزن ضيِّق فَيْعِل كميِّت وسـيِّد عند جمهور النحويين ، ثـم أدغم ويجوز تخفيفه» . اهـ . انظر : أيضـاً معجم مفردات الإبدال والإعلال للخراط ١٦٩ .

(٤) انظـر : الجمهـرة ١/ ٤٣٦ ، والصحـاح ١/ ٣٠٥ ، والمجمل ١/ ٢٣٠ ، ومقاييـس اللغة ٢/ ٥٠ ، والمفردات (حرج) ٢٢٦ .

(٥) (حرج) بفتح الحاء والراء ، وكسر الراء .

(٦) هذا رجز لم أهتدِ إلى تمامه وقائله ، وهو في العين ٣/ ٧٦ ، وتهذيب اللغة ١/ ٧٧٥ ، واللسـان (حرج) ٢/ ٨٢١ ، والدر المصون ٥/ ١٤٢ .

(٧) جاء في (أ) : (وقد أحرج صدره) ، ولعله تحريف ، وأصل العبارة من تهذيب اللغة (حرج) ١/ ٧٧٥ .

(٨) قرأ نافع ، وعاصم في رواية : (حرجاً) بكسر الراء ، وقرأ الباقون بفتحها .
انظر : السبعة ٢٦٨ ، والمبسـوط ١٧٥ ، والغاية ٢٤٩ ، والتذكرة ٢/ ٤١٠ ، والتيسير ١٠٦ ، والنشر ٢/ ٢٦٢ .

(٩) في (أ) : (وفتحه) .

قال الفَرَّاء: «وهـــو في كسره ونصبه بمنزلة الوَحَد والوَحِـــد والفَرَد والفَرِد والدَنَف[١] والدَّنِف»[٢].

وقال الزَّجَّاج: «الحرجُ في اللغة: أضيق الضيـــق، ومعناه: أنه ضيق جدّاً، فمَن قال: رجل حَرَج الصدر، فمعنـــاه: ذو حرج في صدره، ومَن قال: حَرِج جعله فاعلاً، وكذلك رجـــل دَنَف: ذو دَنَف، ودَنِفٌ نعت»[٣]، ونحو هذا قال أبـــو علي في القراءتين: «مَن[٤] فتح الراء كان وصفاً بالمصدر، مثل: قَمَن وحَرًى ودَنَفٍ، ونحو ذلك من المصادر التي يوصف[٥] بها، ولا يكون كبطل؛ لأن اسم الفاعـــل في الأمر العام من فَعِل إنما يجيء على فَعِـــل، ومَن قرأ (حَرِجاً) فهو مثل دَنِفٍ وفَرِقٍ»[٦].

---

(١) الدنف (بتشديد الدال المفتوحة، وفتح النون وكسرها): المرض. انظر: اللسان (دنف) ٣/ ١٤٣٢.

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٥٣، ٣٥٤، ومثله ذكر الطبري في تفســيره ٨/ ٢٩. انظر: شرح القصائد السبع لابن الأنباري ٥٨٠، والزاهر ٢٣٦.

(٣) تهذيـــب اللغة ٢/ ١٢٣٤، وفي معاني القرآن للزَّجَّـــاج ٢/ ٢٩٠، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٧٩ نحوه. قال الســمين في الدر ٥/ ١٤٢: «فـــرَّق الزَّجَّاج والفارسي بينهما، فقـــالا: المفتوح مصدر، والمكسور اسم فاعل». اهـ

(٤) قَمِـــنٌ: حَرِيّ، يقال: هو قَمَنٌ أن يفعل ذلك (بفتـــح الميم)؛ أي حَرِيٌّ وجديرٌ، فمَن قال بالفتح أراد المصدر، ومَن قال بالكسر أراد النعت. انظر: اللسان (قمن) ٦/ ٣٧٤٥.

(٥) في (أ): (توصف).

(٦) الحجة لأبي علي ٣/ ٤٠١، وانظر: معاني القراءات ١/ ٣٨٤، وإعراب القراءات ١/ ١٦٩، والحجة لابن خالويه ١٤٩، والحجة لابن زنجلة ٢٧١، والكشف ١/ ٤٥٠. الفَرَقُ (بالتحريك): الخوف، ورجل فرق: فزع شديد الفَرَق. انظر: اللسان (فرق) ٦/ ٣٤٠١.

وقال عبيد بن عمير[(١)] : «قرأ ابن عباس[(٢)] هذه الآية ، فقال : هل هاهنا أحد من بني بكر ؟ قال رجل : نعم ، قال : ما الحَرَجَة فيكم ؟ قال : الوادي الكثير الشجر المستمسك الذي لا طريق فيه ، فقال ابن عباس : كذلك قلب الكافر»[(٣)] ، وقال[(٤)] أبو الصلت الثقفي[(٥)] : «قرأ عمر بن الخطاب هذه الآية فقال : ابغوني رجلاً من كنانة ، واجعلوه راعياً ؟ فأتوه به ، فقال له عمر : يا فتى ، ما الحرجة فيكم ؟ قال : الحرجة فينا الشجرة تحدق بها الأشجار فلا تصل إليها راعية ولا وحشية ، فقال عمر : كذلك قلب الكافر لا يصل إليه شيء من الخير»[(٦)] .

---

(١) مبهم ، ولعله عبيد بن عمير بن قتادة الليثي أبو عاصم المكي ، إمام واعظ مفسرٌ ، مجُمَع على ثقته ، وُلد في حياة النبي ﷺ ، وروى عن أبيه وعمر وعلي وعائشة وغيرهم رضي الله عنهم ، توفي سنة ٧٤هـ ، أو قبلها . انظر : سير أعلام النبلاء ٤/ ١٥٦ ، وغاية النهاية ١/ ٤٩٦ ، وتهذيب التهذيب ٣/ ٣٨ ، وتقريب التهذيب ٤٣٨٥ .

(٢) أخرج عنه أبو عبيد في كتاب اللغات ٩٨ ، وابن حسنون ٢٤ ، والوزان ٣/ ب بسند جيد في الآية ، قال : «يعني : شاكّاً بلغة قريش» .

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف ١٨٣ ب ، والسمين في الدر ٥/ ١٤٣ ، وذكره الرازي في تفسيره ١٣/ ١٧٩ عن الواحدي .

(٤) لفظ : (الواو) ساقط من (ش) .

(٥) تابعي مقبول ، روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وروى عنه عبدالله بن عامر اليمامي . انظر : التاريخ الكبير للبخاري ، والكنى ٩/ ٤٤ ، والجرح والتعديل ٩/ ٣٩٤ ، وتهذيب التهذيب ٤/ ٥٤٠ .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٢٨ ، وذكره النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٨٦ ، ومكي في الكشف ١/ ٤٥٠ ، والثعلبي في الكشف ١٨٣ ب ، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٨٦ ، وذكره الرازي ١٣/ ١٨٣ عن الواحدي ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٨٤ ، وزاد نسبته إلى «عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ» .

وقال علماء اللغة[(١)] : «الأصل في الحرَج من الحرَجة : وهي شـجرة تحف بها الأشـجار حتى يمنع الراعي من أن يصل إليها ، وجمـع الحَرجة : حِرَجٌ ، وجمع الحِرَجِ : حِرَاجٌ»[(٢)] . وقال العجاج :

عَايَنَ حَيّاً كالحِرَاجِ نَعَمُهُ[(٣)]

حكاه ابن الأنباري[(٤)] .

وقال أبو الهيثم : «الحِرَاجُ : غِياض من شجر السَّلَم ملتفة ، واحدتها حَرَجَةٌ ، والحَرَجَـةُ من شـدة التفافها لا يقدر أحد أن يدخل فيها أو ينفذ» ، وأنشـد بيت العجـاج[(٥)] ومعناه : عَايَنَ حَيّاً نعمة كالحراج لكثرتها وانضمام بعضها إلى بعض ، وقال الليث : «أَحْرَجْتُ فلاناً صيَّرته إلى الحَرَج ، وهو الضِّيق»[(٦)] .

---

(١) انظر : الاشتقاق ٤١٩ ، والدر المصون ٥/ ١٤٣ ، ومصادر اللغة السابقة في معنى حرج .

(٢) قال السمين في الدر ٥/ ١٤٣ : «الحِراج : بكسر الحاء ، جمع حِرْج : بكسر الحاء ، وحرج : جمع حَرَجَة ، بالفتح» . اهـ

(٣) الشـاهد للعجاج في ديوانه ٢/ ١٤٢ ، وأمالي القـالي ١/ ٦٦ ، وتهذيب اللغـة ١/ ٧٧٥ ، والمجمل ١/ ٢٣٠ ، واللسان (حرج) ٢/ ٨٢٢ ، والدر المصون ٥/ ١٤٣ ، وصدره :

حَتَّى إذا اللَّيْلُ تَجَلَّتْ ظُلَمُهْ

وهو لرؤبـة في ديوانه ١٨٦ ، والصحاح :١/ ٣٠٦ ، وأوله : «فَصارَ إِذْ لَمْ يَبْقَ إِلَّا شِرْذِمُهْ» . قال القالي في شرحه : «يقول عايَنَ هذا الجيشُ الذي أتانا حَيّاً ، ويعني بالحيِّ : قومه بني سَعْد ، والنَّعَمُ : الإبل» . انظر : شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي ٢/ ٩٥ ، والخزانة ٧/ ٢٥٠ .

(٤) انظر : المذكر المؤنث لابن الأنباري ١/ ٢٥٨ـ٢٦١ .

(٥) تهذيب اللغة ١/ ٧٧٥ .

(٦) تهذيب اللغة ١/ ٧٧٥ .

قال ابن عباس في رواية عطاء : «﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ يريد : ضَيِّقاً إذا سمع ذكر الله اشمأز قلبه ونفسه ، وإذا ذكر شيء من عبادة الأصنام ارتاح إلى ذلك»[(١)] .

وقال أهل المعاني : «لمَّا كان القلب محـَلًّا للعلوم والاعتقادات ، ووصْف[(٢)] قلب الكافر بالضيق ، وأنه على خلاف الشرح والانفساح ، دلَّ أن الله تعالى صيَّره بحيث لا يعي علماً ولا استدلالاً على توحيد الله والإيمان به ؛ لأنه أضاف التضييق إلى نفسه فقال : ﴿ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ وهذا كما أن العرب إذا وصفت إنساناً بالجبن قالت : لا قلب له ، لما أريد به من المبالغة في وصفه بالجبن ؛ لأن الشجاعة محلها القلب ، فإذا لم يكن القلب الذي يكون محل الشجاعة لو كانت ، فأنْ لا يكون الشجاعة أولى ، وأنشد أبو زيد :

لَقَدْ أَعْجَبْتُمُونِي مِنْ جُسُومٍ وَأَسْلِحَةٍ وَلَكِنْ لا فُؤَادَا[(٣)]

وأنشد أيضاً :

وَلاَ وَقَّافَة والخَيْلُ تَرْدِي وَلاَ خَالٍ كَأنْبُوبِ اليَرَاعِ[(٤)]

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١١٦ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٨٦ ، والخازن ٢/ ١٨١ .

(٢) في (ش) : (وصف) .

(٣) الشاهد لبرج بن مسهر الطائي كما في النوادر لأبي زيد ٧٨ ، ولعامر بن جوين الطائي في الوحشيات ، والحماسة الصغرى لأبي تمام ٢٣٣ .

(٤) الشاهد لمرداس بن حصين الكلابي ، شاعر جاهلي في النوادر لأبي زيد ٥ ، ٦ ، وللطفيل بن عوف الغنوي ، شاعر جاهلي في الحماسة الصغرى ، والوحشيات لأبي تمام ١٢٥ . اليَراع : القصب ، ثم سُمِّي به الجبان والضعيف ، واليراع : أولاد بقر الوحش . والنعامة ، وطائر صغير ، ويقال لمزمار الراعي : يَراعة . انظر : اللسان (يرع) ٨/ ٤٩٥٥ .

وقال حسان:

أَلَا أَبْـلِـغْ أَبَـا سُـفْـيَـانَ عَـنِّي فَـأَنْـتَ مُجَـوَّفٌ نَخِبٌ هَـوَاءُ[(١)]

فلما وُصف الجبان بأنه لا قلب له وأنه مجوف هواء؛ لأنه إذا كان كذلك بعد من الشجاعة لعدمه القلب، كذلك وصف الكافر بأنه ضيِّق صدره على معنى: أنه غير مشروح للإيمان»[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي يتصعد[(٣)]، فأدغمت التاء في الصاد، ومعنى يتصعد: يتكلف ما يثقل عليه، وقرأ[(٤)] أبو بكر[(٥)] (يَصَّاعَد) وهو مثل يتصعد في المعنى، وقرأ ابن كثير (يصْعد) من الصعود[(٦)] والمعنى: أنه في نفوره عن الإسلام وثقله عليه بمنزلة مَن تكلف[(٧)] ما لا يطيقه، كما أن صعود السماء لا يستطاع، كذا قال المفسرون[(٨)] وأهل المعاني[(٩)].

قال مجاهد[(١٠)]: «﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ من شدة ذلك عليه»[(١١)].

---

(١) ديوانه ٢٠. المجوف والنخب والهواء: الجبان لا قلب له.

(٢) لم أقف على مَن ذكر هذا في ما لديَّ من مصادر. انظر: الحجة لأبي علي ٣/ ٤٠٣.

(٣) لفظ: (أي يتصعد) ساقط من (أ).

(٤) قرأ عاصم في رواية: (يَصَّاعَد) بتشديد الصاد، وألف بعدها، وتخفيف العين، وقرأ ابن كثير: (يصْعد) بإسكان الصاد، وتخفيف العين من غير ألف، وقرأ الباقون بتشديد الصاد والعين من غير ألف. انظر: السبعة ٢٦٨، والمبسوط ١٧٥، والغاية ٢٤٩، والتذكرة ٢/ ٤١٠، والتيسير ١٠٦، والنشر ٢/ ٢٦٢.

(٥) أبو بكر بن عياش أحد الرواة عن عاصم، تقدمت ترجمته.

(٦) انظر: إعراب القراءات ١/ ١٦٩، والحجة لابن خالويه ١٤٩، والحجة لابن زنجلة ٢٧١.

(٧) في (أ): (يكلف) بالياء، وأصل النص من الحجة لأبي علي ٣/ ٤٠٢.

(٨) انظر: تفسير الطبري ٨/ ٣٠، والسمرقندي ١/ ٥١٢، والكشف لمكي ١/ ٤٥١.

(٩) انظر: معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٥٤، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٨٧، ومعاني القراءات ١/ ٣٨٥.

(١٠) في (أ): (قال المجاهد)، وهو تحريف.

(١١) ذكره السيوطي في الدر ٣/ ٨٤، وقال: «أخرجه أبو الشيخ عن مجاهد»: اهـ.

وقال عطاء[1] : «مثله كمثل الذي لا يستطيع الرقي إلى السماء»[2] .

وقال أبو بكر : «إذا كان ممن[3] أضلَّه الله -عز وجل- أبغض الحق وعانده حتى يضيق منه صدره فكأنه يكلف بالشيء منه صعوداً إلى السماء يجد من ثقل ذلك عليه مثل ما يجد من الصعود إلى السماء»[4] .

وقال أبو إسحاق : «كأنه قد كُلِّف بأن يصعد إلى السماء إذا دعي إلى الإسلام من ضيق صدره عنه» ، قال : «ويجوز أن يكون كأنَّ قلبه يصَّاعد في السماء نبواً[5] عن الإسلام والحكمة»[6] .

وعلى هذا إنما شُبِّه بالذي ﴿يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ لبُعْده عن الإسلام ونفور قلبه ، كما جرت العادة أن يقال لَمن تباعد عن أمر ولم يلن له : فلان يَنْزُو[7] في اللوح ويذهب في السماء من هذا الأمر . قال أبو علي : «مَن قرأ (يصَّاعد) و(يَصَّعَّد) فهو من المشقة وصعوبة الشيء ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا

---

(١) عطاء بن أبي مسلم الخراساني أبو عثمان ، واسم أبيه ميسرة ، إمام محدِّث مفسرٌ واعظ عابد مجاهد صدوق ، يهم ويدلس ، توفي سنة ١٣٥هـ . وقد أفاد الحافظ في مقدمة فتح الباري ٣٧٥ ، ٣٧٦ : إن الرواية إذا جاءت عن ابن جريج ، عن عطاء في سورة البقرة وآل عمران ، فالمراد به عطاء بن أبي رباح ، وإذا جاء في غير ذلك فالمراد عطاء الخراساني . وابن جريج لم يسمع من عطاء الخراساني ، وإنما أخذ التفسير من ابنه عثمان بن عطاء . انظر : طبقات ابن سعد ٧/ ٣٧٩ ، والجرح والتعديل ٦/ ٣٣٤ ، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٤٠ ، وتهذيب التهذيب ٣/ ١٠٨ ، وتقريب التقريب ٣٩٢ (٤٦٠٠) .

(٢) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢١٨ ، والطبري ٨/ ٣٠ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٨٦ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٨٤ .

(٣) لفظ : (ممن) كذا جاء ، ولعل الصواب : (من) .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) في (ش) : (تبرأ) .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٩٠ .

(٧) ينزو : ينزع ، وأصل النَّزْو : الوثب . انظر : اللسان (نزا) ٧/ ٤٤٠٢ .

صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧]، ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه[(١)]: «ما تصَعَّدني شيء كما تصَعَّدني خِطْبَةُ النكاح»[(٢)]؛ أي ما شقَّ عليَّ مشقتها، وكأن ذلك لما يتكلفه الخطيب من مدحه وإطرائه لِلْمُمْلِك، فربما لم يكن كذلك، فيحتاج إلى تطلب الْمَخْلَص، فلذلك يشق، ومن ذلك قول الشاعر[(٣)]:

وإنَّ سِيَادةَ الأَقْوَامِ فاعْلَمْ ... لَهَا صُعَدَاءُ مَطلبُها شَدِيدُ[(٤)]

فكأن معنى (يصعد): يتكلف مشقة في ارتقاء صُعُداً، ولا يكون السماء في هذا القول المظلة للأرض، ولكن المراد به الارتفاع والسُّمك، ويستعمل السماء في الارتفاع كما قال سيبويه: «القيدود: الطويل في غير سماء»[(٥)]، يريد [به][(٦)] في غير ارتفاع»[(٧)].

---

(١) في (أ): (رحمه الله).

(٢) ذكره أبو عبيد في غريب الحديث ٢/ ١٠٣، والطبري في تفسيره ٨/ ٣١، والنحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٨٧، والأزهري في تهذيب اللغة ٢/ ٢٠١٤، وابن عطية في تفسيره ٥/ ٣٤٥، وابن الجوزي ٣/ ١٢١، وابن الأثير في النهاية ٣/ ٣٠.

(٣) الشاهد للأعلم الهذلي حبيب بن عبدالله الهذلي، في شرح أشعار الهذليين للسكري ١/ ٣٢٣، وتهذيب اللغة ٢/ ٢٠١٥، ومن دون نسبة في عيون الأخبار ١/ ٢٢٦، وجمهرة اللغة ٢/ ٦٥٤، واللسان (صعد) ٤/ ٢٤٤٦.

(٤) جاء في المصادر السابقة:

لَهَا صُعَداءُ مَطْلعُهَا طَوِيلُ

وفي بعضها: (وإن سياسة) بدل: (وإن سيادة).

(٥) الكتاب ٤/ ٣٦٥. القيدود (بفتح القاف، وسكون الياء، وضم الدال): الناقة الطويلة الظهر، وأصله من قاد يَقُود. انظر: اللسان (قدد) ٦/ ٣٥٤٤.

(٦) لفظ: (به) ساقط من (ش).

(٧) الحجة لأبي علي ٣/ ٤٠٣-٤٠٥، ولقد أثبت العلم الحديث أن الصاعد يضيق تنفسه في الصعود كلما ارتفع لنقص الأوكسجين، وهذا هو الوصف الدقيق لمعنى الآية الكريمة، فإن قلب الكافر والمنافق يضيق وينفر حين يدعى إلى الإسلام، أو يتأمل فيه كما يضيق صدر مَن يصعد نحو السماء. انظر: تفسير ابن عاشور ٨/ ٦٠، وكلام الصابوني في حاشية معاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٨٧.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٢٥]، قال بعض أصحاب المعاني: «وجه التشبيه في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أن جعله الرجس عليهم كجعله ضيق الصدر في قلوبهم»(١)، وقال الزَّجَّاج: «أي مثل ما قصصنا عليك ﴿يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾»(٢).

قال ابن عباس: «هو الشيطان؛ أي نسلِّطه(٣) عليهم»(٤)، وقال مجاهد: «الرجس ما لا خير فيه»(٥)، وقال عطاء(٦) عن ابن عباس وابن زيد(٧): «الرِّجْسُ: العذاب»، وقال الزَّجَّاج: «الرِّجْسُ: اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة»(٨).

(١) انظر: تفسير الطبري ٨/ ٣١، والسمرقندي ١/ ٥١٢، والرازي ١٣/ ١٨٤.

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٩٠، وذكر قول الزَّجَّاج السمين في الدر ٥/ ١٤٦، وقال: «أي فيكون مبتدأً أو خبراً أو نعت مصدر محذوف، فلك أن ترفع مثل وأن تنصبها بالاعتبارين عنده، والأحسن أن يقدَّر لها مصدر مناسب، كما قدَّره الناس وهو مثل ذلك الجعل؛ أي جعل الصدر ضيقاً حرجاً يجعل الله الرجس...»، وانظر: المشكل ١/ ٢٦٩.

(٣) في (ش): (هو الشيطان يسلِّطه عليهم).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٣١ بسند جيد، وذكره الثعلبي في الكشف ١٨٤ أ، والواحدي في الوسيط ١/ ١١٧، وهذا القول هو اختيار الطبري.

(٥) تفسير مجاهد ١/ ٢٢٣، وأخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٣١، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٨٦ بسند جيد، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٨٤.

(٦) ذكره الخازن في تفسيره ٢/ ١٨٢ عن ابن عباس، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١١٧، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٨٧، وابن الجوزي ٣/ ١٢١، والرازي ١٣/ ١٨٤ من قول عطاء.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٣١ بسند جيد، وهذا قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٢٠٦.

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٢/ ٢٩٠، وقال النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٨٨: «الرِّجْس عند أهل اللغة هو النَّتْن، فمعنى الآية -والله أعلم-: ويجعل اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة على الذين لا يؤمنون». اهـ

قال أصحابنا: «انقطع كلام أهل القدر عند هذه الآية وخرست ألسنتهم، فإنها قد صرَّحت بتعلق إرادة الله -تعالى- بالأمرين جميعًا الهداية والإضلال وتهيئته أسبابهما»[(١)].

١٢٦. قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗا﴾. قال ابن عباس: «يعني: التوحيد»[(٢)]، وقال ابن مسعود: «يعني: القرآن»[(٣)].

وقال عطاء عن ابن عباس: «يريد: هذا الذي أنت عليه يا محمد دين ربك مستقيماً»[(٤)].

وقال بعض أهل المعاني: «الإشارة وقع إلى البيان الذي جاء في القرآن»[(٥)]، وانتصب ﴿مُسۡتَقِيمٗا﴾ على الحال، والعامل فيه معنى (هذا)، وذلك أن ذا[(٦)] يتضمن معنى الإشارة، مثل قولك: «هذا زيد قائماً»، معناه: أشير إليه في حال قيامه، وإذا كان العامل في الحال معنى الفعل لا الفعل لم يجز تقديم الحال عليه، لا

---

(١) ذكر نحو هذا ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ١٢١، والرازي في تفسيره ١٣/ ١٨٥.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١١٨، وابن الجوزي في تفسيره ٣/ ١٢١، وأخرج الطبري في تفسيره ٨/ ٣٢ بسند ضعيف عن ابن عباس، قال: «يعني: الإسلام».

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف ١٨٤ أ، والواحدي في الوسيط ١/ ١١٨، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ١٢١.

(٤) ذكره الرازي في تفسيره ١٣/ ١٨٧ عن ابن عباس، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١١٨، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ١٢٢ من قول عطاء فقط، وجميع ما سبق معانٍ متقاربة، وقد أخرجها الطبري في تفسيره ١/ ٧١-٧٥، وابن أبي حاتم ١/ ٣٠ بأسانيد مختلفة عن هؤلاء الأئمة وغيرهم في تفسير سورة الفاتحة.

(٥) هذا قول الطبري في تفسيره ٨/ ٣٢.

(٦) في (ش): (وذلك إذ ذا)، وهو تحريف.

يجوز : «قائماً هذا زيد»[١] ، ويجوز : «ضاحكاً جاء زيد» ، ومعنى استقامة صراط الله أنه يؤدي بسالكه إلى دار الخلود في النعيم[٢] .

وقوله تعالى : ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ قال عطاء : «يريد : أصحاب النبي ﷺ قبلوا مواعظ الله وانتهوا عما نهاهم الله»[٣] .

١٢٧. قوله تعالى : ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ يعني : الجنة في قول جميع المفسرين[٤] . قال الحسن[٥] والسُّدي[٦] : «السلام هو الله تعالى ، وداره الجنة» ، ومعنى السلام في أسماء الله تعالى : ذو السلام ؛ أي السلامة من الآفات والنقائص[٧] ، فعلى هذا أضيف الدار إلى السلام الذي هو اسم الله تعالى على وجه التعظيم ، كما قيل للكعبة : بيت الله ، وللخليفة : عبدالله .

---

(١) لأنها حال مؤكدة ، وصراط الله تعالى لا يكون إلاَّ مستقيمًا ، بخلاف الحال المنتقلة ، نحو : جاء زيد راكباً ، ونحو : هذا زيد قائماً ، فيجوز أن يفارق زيد الركوب أو القيام . انظر : إعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٧٩ ، والمشكل ١/ ٢٧٠ ، وغرائب التفسير ١/ ٣٨٤ ، والبيان ١/ ٣٣٩ ، والتبيان ٣٥٨ ، والفريد ٢/ ٢٢٧ ، والدر المصون ٥/ ١٤٧ ، وقد نقل هذا القول الرازي في تفسيره ١٣/ ١٨٧ ، ١٨٨ عن الواحدي .

(٢) انظر : تفسير الخازن ٢/ ١٨٢ .

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١١٨ ، والخازن في تفسيره ٢/ ١٨٢ .

(٤) حكاه الخازن في تفسيره ٢/ ١٨٢ عن جميع المفسرين . انظر : تفسير المقاتل ١/ ٥٨٨ ، والطبري ٨/ ٣٢ ، والسمرقندي ١/ ٥١٣ ، والماوردي ٢/ ١٦٧ .

(٥) ذكره الماوردي في تفسيره ٢/ ١٦٧ ، والواحدي في الوسيط ١/ ١١٨ ، وابن الجوزي في تفسيره ٣/ ١٢٢ ، والخازن ٢/ ١٨٢ عن الحسن والسُّدِّي .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٣٢ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٨٤ ، وقال الثعلبي في الكشف ١٨٤ أ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٨٧ : «هذا قول أكثر المفسرين» . اهـ

(٧) انظر : تفسير أسماء الله الحسنى للزَّجَّاج ٣٠ ، ٣١ ، والزاهر ١/ ٦٤ ، وتهذيب اللغة ٢/ ١٧٤٢ ، والأسماء والصفات ٥٣ ، والمقصد الأسنى ٦٧ ، وشرح أسماء الله الحسنى للرازي ١٨٧ ، وقال السعدي ـ رحمه الله تعالى ـ في الحق الواضح المبين ٨١ : «السلام : السالم من مماثلة أحد من خلقه ، ومن النقصان ، ومن كل ما ينافي كماله» . اهـ

قال الزَّجَّاج: «ويجوز أن يكون الجنة سميت دار السلام؛ لأنها دار السلامة [الدائمة التي لا تنقطع»[١]، وعلى هذا السلام جمع سلامة أو بمعنى السلامة[٢]]. وقيل أيضاً: لذَاذ ولذَاذة ورضَاع ورضَاعة[٣]، كأنه دار السلام التي لا يلقون في حلولها عنتاً ولا تعذيباً، وسنذكر زيادة بيانٍ في معنى السلام في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥] إن شاء الله.

وقوله تعالى: ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾؛ أي مضمونة لهم عند ربهم حتى يوصلهم[٤] إليها[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾؛ أي يتولى إيصال المنافع إليهم، ودفع المضار عنهم، وهذا يوجب إخباراً عن أنه وليهم في الآخرة؛ لأنه قال: ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾؛ أي في الدنيا، وإن كان هو اليوم أيضاً ولي المؤمنين، وعلى هذا دل كلام ابن عباس؛ لأنه قال في قوله: ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾: «أنزل بهم المحبة والكرامة والرضوان وما[٦] لا يوصف من النعيم»[٧]، وكل هذا يكون في الآخرة[٨].

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٢/ ٢٩١، وذكر نحوه النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٨٨.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٣) قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٦: «يرى أهل النظر من أصحاب اللغة أن السلام بمعنى السلامة، كما يقال: الرَّضاع والرَّضاعة واللَّذاذُ واللَّذاذة، فسمى نفسه جل ثناؤه: سلاماً؛ لسلامته مما يلحق الخلق من العيب والنقص والفناء والموت». اهـ، ومثله ذكر الزَّجَّاجي في اشتقاق أسماء الله ٢١٥.
قال ابن القيم في بدائع التفسير ٢/ ١٨٠، ١٨١: «في إضافتها إلى السلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنها إضافة إلى مالكها السلام سبحانه. الثاني: أنها إضافة إلى تحية أهلها، فإن تحيتهم فيها سلام. الثالث: أنها إضافة إلى معنى السلامة؛ أي دار السلامة من كل آفة ونقص وشر. والثلاثة متلازمة، وإن كان الثالث أظهرها، فإنه لو كانت الإضافة إلى مالكها لأضيفت إلى اسم من أسمائه غير السلام، ولم يعهد ذلك في القرآن، فالأولى حمل الإضافة على المعهود في القرآن، وإضافتها إلى معنى السلامة أولى؛ لأنه أكمل أوصافها المقصودة على الدوام التي لا يتم النعيم إلّا به». اهـ ملخصاً

(٤) في (ش): (توصلهم)، وهو تصحيف.

(٥) انظر: تفسير الماوردي ٢/ ١٦٧، وابن الجوزي ٣/ ١٢٢، والرازي ١٣/ ١٨٩.

(٦) في (أ): (ومما لا يوصف).

(٧) في تنوير المقباس ٢/ ٥٩ نحوه.

(٨) انظر: تفسير الطبري ٢/ ١٦٧، والسمرقندي ١/ ٥١٣، والماوردي ٢/ ١٦٧.

١٢٨. قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ الآية. قال المفسرون[١]: «يعني: الجن والإنس يُجمعون في موقف [يوم][٢] القيامة».

قال عطاء عن ابن عباس: «يريد: هم وقرناؤهم من الشياطين»[٣].

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾ قال الزَّجَّاج: «المعنى: فيقال لهم: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾[٤]، ﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾؛ أي من إغواء الإنس وإضلالهم»، عن ابن عباس[٥]، والحسن[٦]، وقتادة[٧].

وروي عن ابن عباس في تفسيره: «يعني: أضللتم منهم كثيراً»[٨]، وهو قول الفرَّاء[٩].

وقال مجاهد: «كثر مَن أغويتم منهم»[١٠].

وقال أبو إسحاق: «﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم﴾ ممن أضللتموه من الإنس»[١١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٨/ ٣٣، والسمرقندي ١/ ٥١٣، والماوردي ٢/ ١٦٨.

(٢) لفظ: (يوم) ساقط من (ش).

(٣) في تنوير المقباس ٢/ ٥٩ نحوه.

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٢/ ٢٩١، ومثله قال النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٨٩.

(٥) ذكره الماوردي في تفسيره ٢/ ١٦٨، وابن عطية ٥/ ٣٥٢ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة.

(٦) أخرج الطبري في تفسيره ٨/ ٣٣ عن الحسن نحوه، وذكره هود الهواري في تفسيره ١/ ٥٥٩، والماوردي ٢/ ١٦٨، والسيوطي في الدر ٣/ ٨٥.

(٧) أخرج عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢١٨، والطبري ٨/ ٣٣، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٨٧ بسند جيد عن قتادة نحوه.

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٣٣، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٨٧ بسند جيد، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٨٥.

(٩) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٥٤.

(١٠) تفسير مجاهد ١/ ٢٢٣، وأخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٣٣، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٨٧ بسند جيد، وهو قول النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٨٩.

(١١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٢/ ٢٩١.

وقال غـيره: «﴿قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ﴾ بالإغواء والإضـلال»[١]، وهذه الأقـوال معناها واحـد، ﴿وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ﴾ يعني: الذيـن أضلوهم من الإنس.

﴿رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ﴾ قال[٢]: «معنى هذا الاستمتاع: هو أن الرجل كان إذا سافر فأمسى بأرض قفر فخاف على نفسه قال[٣]: أعوذ بسيد هذا الوادي من[٤] سـفهاء قومه، فيبيت آمناً في نفسه، فهذا اسـتمتاع[٥] الإنس بالجن[٦]، وأمَّا اسـتمتاع الجن بالإنس فهو: أن الإنس إذا عاذ بالجن كان ذلك تعظيماً منهم للجن، وذلك الجني[٧] يقول: قد سُـدْتُ الإنس والجن؛ لأن الإنسي قد اعترف له بأنه يقدر أن يدفع عنه».

---

(١) هذا قول الطبري في تفسيره ٨/ ٣٣.

(٢) كذا جاء في النسـخ، وفي تفسـير الثعلبي ١٨٤ أ، والبغوي ٣/ ١٨٨: (قال الكلبي): «والظاهر أن المراد بقوله: (قال) مقاتل؛ لأن النص في تفسيره ١/ ٥٨٩، أو الفرَّاء؛ لأنه في معاني القرآن ١/ ٣٥٤؛ ولأن الواحدي ذكر الرواية عن الكلبي في ما بعدُ».

(٣) في (أ): (فقال).

(٤) في (ش): (على).

(٥) في (أ): (فهذا الستمتاع)، وهو تحريف.

(٦) لفظ: (الجن)، غير واضح في (ش).

(٧) في (أ): (وذلك الجن).

وهذا قول الحسن[١] ، وابن جريج[٢] ، والكلبي[٣] ، وعكرمة[٤] ، وقد احتجوا على هذا بقوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن :٦] .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : «﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ : يريد في الدنيا ، وما كانوا يضلونهم»[٥] ، ومعنى هذا أن استمتاع الجن بالإنس طاعتهم لهم في ما يغرونهم به من الضلالة والكفر والمعاصي ، واستمتاع الإنس[٦] بالجن أن الجن زيَّنت لهم الأمور التي يهوَونها حتى يسهل عليهم فعلها ، وهذا القول اختيار الزَّجَّاج ؛ لأنه قال : «الذي يدل عليه اللفظ -والله أعلم- هو قبول الإنس

---

(١) ذكره الماوردي في تفسيره ٢/ ١٦٨ ، والرازي ١٣/ ١٩١ ، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٨٧ بسند جيد عن الحسن ، قال : «ما كان استمتاع بعضهم ببعض إلَّا أن الجن أمرت ، وعملت الإنس» ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٨٥ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٣٣ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٨٥ .

(٣) تنوير المقباس ٢/ ٦٠ ، وذكره هود الهواري في تفسيره ١/ ٥٥٩ ، والثعلبي في الكشف ١٨٤ أ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٨٨ ، والخازن ٢/ ١٨٣ .

(٤) ذكره الرازي في تفسيره ١٣/ ١٩١ عن الحسن ، وعكرمة ، والكلبي ، وابن جريج .

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١١٩ ، وابن الجوزي في تفسيره ٣/ ١٢٣ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ٢٢٠ .

(٦) في (ش) : (الأنسي) .

من الجن ما كانوا يغوونهم به ؛ لقوله : ﴿ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ . ومَن كان يقول من الإنس : أعوذ بالجن فقليل»(١) .

وقوله تعالى : ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ يعني : الموت في قول الحسن(٢) والسُّدِّي(٣) ، وأكثر المفسرين(٤) ، وقيل : هو البعث والحشر(٥) .

وقوله تعالى : ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ قال ابن عباس : «يريد : فيها مقامكم»(٦) .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٩١ ، وهو اختيار النحاس أيضاً في معاني القرآن ٢/ ٤٩٠ ، وإعراب القرآن ٢/ ٥٨٠ ، والظاهر أن الآية عامة ، وأن ما ذكر من باب التمثيل ، وهو اختيار شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- في الفتاوى ١٣/ ٨٠-٨٩ ، قال في تفسير الآية : «الاستمتاع بالشيء هو أن يتمتع به فينال به ما يطلبه ويريده ويهواه ، ويدخل في ذلك استمتاع الرجال بالنساء ، والذكور بالذكور ، والإناث بالإناث ، والاستمتاع بالاستخدام وأئمة الرياسة كما يتمتع الملوك والسادة بجنودهم ومماليكهم والاستمتاع بالأموال ، وفي الجملة استمتاع الإنس بالجن والجن بالإنس يشبه استمتاع الإنس بالإنس ، واتباع الهوى هو استمتاع من صاحبه بما يهواه ، وقد وقع في الإنس والجن هذا كله» . اهـ ملخصاً ، وقال أبو حيان في البحر ٤/ ٢٢٠ : «وجوه الاستمتاع كثيرة تدخل هذه الأقوال كلها تحتها ، فينبغي أن يعتقد في هذه الأقوال أنها تمثيل في الاستمتاع لا حصر في واحد منها» . اهـ

(٢) ذكره الماوردي ٢/ ١٦٨ ، وابن الجوزي ٣/ ١٢٤ عن الحسن والسُّدِّي .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٣٤ بسند جيد .

(٤) قال أبو حيان في البحر ٤/ ٢٢٠ : «هذا قول الجمهور وابن عباس والسُّدِّي وغيرهما» . اهـ ، وهو قول الطبري في تفسيره ٨/ ٣٤ ، والسمرقندي ١/ ٥١٣ .

(٥) ذكر هذا القول الماوردي في تفسيره ٢/ ١٦٨ ، وابن الجوزي ٣/ ١٢٤ ، وهو قول البغوي في تفسيره ٣/ ١٨٨ ، والزمخشري ٢/ ٥٠ . قال ابن القيم كما في بدائع التفسير ٢/ ١٨٢ ، ١٨٣ في الآية : «هذا يتناول أجل الموت وأجل البعث ، فكلاهما أجل الله تعالى لعباده ، وكأن هذا -والله أعلم- إشارة منهم إلى نوع استعطاف وتوبة ، فكأنهم يقولون : هذا أمر كان إلى وقت وانقطع بانقطاع أجله ، فلم يستمر ولم يدم ، فبلغ الأمر الذي كان أجله ، وانتهى إلى غايته ، ولكل شيء آخر ، فقال تعالى : ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ فإنه وإن انقطع زمن التمتع وانقضى أجله فقد بقي زمن العقوبة ، فلا يتوهم أنه إذا انقضى زمن الكفر والشرك وتمتع بعضكم ببعض أن مفسدته زالت وانتهت بانتهائه ، والمقصود أن الشيطان تلاعب بالمشركين حتى عبدوه واتخذوه وذريته أولياء من دون الله» . اهـ ملخصاً

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١١٩ ، وفي تنوير المقباس ٢/ ٦٠ نحوه .

قال الزَّجَّاج : «المثوى : المقام ، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ منصوب على الحال ، المعنى : النار مقامكم في حال خلود دائم»(١) .

قال أبو علي : «المثوى عندي في الآية اسم للمصدر دون المكان ، لحصول الحال في الكلام معملاً فيها ، واسم الموضع لا يعمل عمل الفعل ؛ لأنه لا معنى للفعل فيه ، فإذا لم يكن موضعاً ثبت أنه مصدر ، والمعنى : النار ذات إقامتكم فيها ، ﴿خَٰلِدِينَ﴾ ؛ أي هي أهل أن يقيموا(٢) فيها ويثووا خالدين ، فالكاف والميم في المعنى فاعلون ، وإن كان في اللفظ خفضاً بالإضافة ، ومثل هذا قول الشاعر :

وَمَا هِيَ إِلَّا في إِزَارٍ وَعِلْقَةٍ مُغَارَ ابْنِ هَمَّامٍ عَلَى حَيِّ خَثْعَمَا(٣)

وهذا يدل(٤) على حذف المضاف ، المعنى : وما هي إلَّا في إزارٍ وعلقة وقت إغارة ابن همام ، ألا ترى أنه عدَّاه بعلى إلى حيِّ خثعم ، وإذا عدَّاه ثبت أنه مصدر ، إذ أسماء المكان لا تتعدى ، فهو من باب قولك : أتيتك خفُوقَ النجمِ ، ومَقدَمَ الحاجِّ ، وخلافةَ فلان(٥) ، من المصادر التي استعملت في موضعِ الظروف للاتساع في حذف المضاف الذي هو اسم زمان على تقدير : زمان خفوق النجم أو ساعة أو وقت ، وما أشبه ذلك ، وإنما حسن ذلك في المصادر لمطابقتها الزمان في المعنى ، ألا ترى أنه عبارة عن مُنقَضٍ غير باقٍ ، كما أن الزمان كذلك ، ومن ثم

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٩١ ، ونحوه قال النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٩٠ ، وإعراب القرآن ١/ ٥٨٠ .

(٢) في (أ) : (تقيموا) ، وهو تصحيف .

(٣) الشاهد لحميد بن ثور الهلالي في الكتاب ١/ ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، وبلا نسبة في الكامل للمُبرِّد ١/ ٢٠١ ، والمقتضب ٢/ ١٢٠ ، والخصائص ٢/ ٢٠٨ ، والمحتسب ٢/ ٢٦٦ ، وأمالي ابن الحاجب ٢/ ٨٠ ، واللسان (علق) ٥/ ٣٠٧٢ ، والدر المصون ٥/ ١٥٠ . العلقة (بكسر العين) : قميص بلا كمين ، أو الثوب الصغير . انظر : اللسان (علق) ٥/ ٣٠٧٣ . والشاهد في البيت : نصب مغار على الظرفية ، وهو في الأصل مصدر ميمي .

(٤) في (ش) : (وهذا أيضاً على حذف المضاف) .

(٥) انظر : الكتاب ١/ ٢٢٢ ، والمقتضب ٤/ ٣٤٣ .

كثر إقامتهم، ما التي مع الفعل بمعنى المصدر مقام ظروف الزمان كقولهم: لا أكلمك ما حدا[١] ليلٌ نهاراً وما خالفت جِرَّة[٢] دِرَّةً ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة:١١٧] ونحو ذلك، حتى إن قوماً من النحويين[٣] يسمونها ما الوقت، وحقيقته ما أعلمتك»[٤] انتهى كلامه. وقول ابن عباس: «فيها مقامكم»[٥] يدل على صحة قول أبي علي.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ قال ابن عباس: «استثنى الله قوماً قد سبق في علمه أنهم يسلمون ويصدقون النبي ﷺ وما جاء به»[٦]، وعلى هذا القول يجب أن يكون (ما) بمعنى (مَنْ)[٧].

---

(١) حدا (بالفتح): تبع، يقال: ما حدا الليل النهار؛ أي ما تبعه. انظر: المستقصى للزمخشري ٢/ ٢٤٧، واللسان (حدا) ٢/ ٧٩٤.

(٢) الجِرَّة (بكسر الجيم، وفتح الراء المشددة): ما يخرجه البعير من بطنه للجنزار، والدِّرَّة (بكسر الدال المشددة، وفتح الراء المشددة): كثرة اللبن وسيلانه، وهما مختلفان: الدرة تسفل إلى الرجلين، والجرة تعلو إلى الرأس. انظر: مجمع الأمثال ٣/ ١٨٧، والمستقصي ٢/ ٢٤٥، واللسان (جرر) ١/ ٥٩٤، (درر) ٣/ ١٣٥٦.

(٣) انظر: حروف المعاني ٥٣، ومعاني الحروف للرماني ٨٦، والصاحبي ٢٦٩، ورصف المباني ٢٧٧، والمغني لابن هشام ١/ ٣٠٢.

(٤) الإغفال ٧٠٦-٧٠٩، وعليه يكون (خالدين) منصوباً على أنه حال مقدَّرة، والعامل فيها (مثواكم)؛ لأنه اسم مصدر من الثواء، وهو الإقامة. انظر: غرائب التفسير ١/ ٣٨٥، والبيان ١/ ٣٣٩، والتبيان ٣٥٨، والفريد ٢/ ٢٢٨، والدر المصون ٥/ ١٤٩.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١١٩، والبغوي ٣/ ١٨٩، والرازي ١٣/ ١٩٢، وأخرج عنه الطبري ٨/ ٣٤، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٨٨ بسند جيد، قال: «إن هذه الآية لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه لا ينزلهم جنة ولا ناراً»، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٨٥، وقال الخازن ٢/ ١٨٣: «نقل جمهور المفسرين عن ابن عباس أن هذا الاستثناء يرجع إلى قوم سبق فيهم علم الله أنهم يسلمون ويصدقون النبي ﷺ فيخرجون من النار، قالوا: و(ما) تكون بمعنى من على هذا التأويل».

(٧) أي التي للعقلاء، وساغ وقوعها هنا؛ لأن المراد بالمستثنى نوع وصنف، وما تقع على أنواع مَن يعقل، أفاده السمين في الدر ٥/ ١٥١.

وقال أبو إسحاق: «معنى الاستثناء عندي: إنما هو من يوم القيامة؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ هو يوم القيامة فقال: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ منذ يبعثون ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ من مقدار حشرهم من[1] قبورهم، ومقدار مدَّتهم في محاسبتهم»[2].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ قال ابن عباس: «حكم للذين استثنى بالتصديق والتوبة وعلم ما في قلوبهم من البر والتقوى والإيمان»[3].

قال أهل المعاني: «معنى هذه الآية: التحذير من إغواء الجن تزيينهم القبيح، فإنهم يقرنون مع أوليائهم من الإنس في النار»[4].

١٢٩. قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ قال المفسرون: «يقول: كما خذلنا عصاة الجن والإنس حتى استمتع بعضهم ببعض، كذلك نكِل بعضهم إلى بعض في النصرة والمعونة، ونسلِّط بعضهم على بعض، فيتولى بعضهم القيام بأمر بعض»[5]، وقال بعض أهل العلم: «إن الله تعالى ذكر في الآية الأولى استكثار الجن من الإنس بالاستضلال[6]

---

(١) في (أ): (في).

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٩١، ٢٩٢، وفيه: «ويجوز أن يكون إلاَّ ما شاء ربك مما يزيدهم من العذاب». انظر: تفسير الطبري ٨/ ٣٤، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٩٠، وإعراب القرآن للنحاس ٥٧٥، وتفسير السمرقندي ١/ ٥١٣، والمشكل ١/ ٢٧٠، والبيان ٢/ ٣٤٠، والتبيان ٣٥٨، والفريد ٢/ ٢٢٨، والدر المصون ٥/ ١٥٠ـ١٥٣، ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ١٢٢ـ١٢٨.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٢٠، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٨٩ من دون نسبة.

(٤) لم أقف على مَن ذكره في ما لديَّ من مصادر.

(٥) انظر: تفسير الطبري ١٣/ ٣٥، والسمرقندي ١/ ٥١٣، والماوردي ٢/ ١٦٩، والبغوي ٣/ ١٨٩.

(٦) في (ش): (بالإضلال).

والاســتزلال[١]، ثم بيَّن في هذه الآية أنه ولَّى بعضهم بعضاً حتى كان من شأنهم ما كان»[٢].

١٣٠. قوله تعــالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ الآية. قال أهل اللغة: «المَعْشَر: كل جماعة أمرهم واحد، والجميع: المعَاشِر»[٣]. وقوله تعالى: ﴿رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾: اختلفوا[٤]، هل كان من الجن رســول أم لا؟ فالأكثــرون[٥] عــلى أنه لم يكن من الجن رســول، وإنما كانت الرسل من بني آدم.

وقوله: ﴿رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ أراد من أحدكــم، وهو الإنس، فحذف المضاف، كقوله تعالى: ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ﴾ [الرحمن:٢٢]؛ أي من أحدهما، وهو الملح الذي ليس بعــذب، وجاز ذلــك؛ لأن ذكرهما قد جُمع في قولــه[٦]: ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾

---

(١) في (أ): (الاسترسال)، وهو تحريف.

(٢) لم أقف على مَن ذكره في ما لديَّ من مصادر.

(٣) هذا نص كلام الخليل في العين ١/ ٢٤٨، وفي اللسان (عشر) ٥/ ٢٩٥٥: «معشر الرجل، بفتح الميم والشين وسكون العين: أهله. والمعشر: الجماعة متخالطين كانوا أو غير ذلك. والمعشر والنَّفر والقوم والرَّهْط معناهم الجمــع: لا واحد لهم من لفظهم للرجال دون النســاء». اهـ. انظر: تهذيب اللغة ٣/ ٢٤٤٧، والصحاح ٢/ ٧٤٧، والمجمل ٣/ ٦٧٠، والمفردات (عشر) ٥٦٧.

(٤) في (ش): (واختلفوا).

(٥) ذكره عن الأكثر الرازي في تفسيره ١٣/ ١٩٥، والخازن ٢/ ١٨٤.

(٦) قال الشــنقيطي -رحمه الله تعالى- في أضواء البيان ٢/ ٢١١: «هــذا التوجيه في آية الرحمن غلط كبير لا يجــوز القول به؛ لأنه مخالف مخالفة صريحة لكلام الله تعالى؛ لأن الله ذكر البحرين الملح والعذب بقوله: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ﴾ [فاطر:١٢]، ثم صرح باســتخراج اللؤلؤ والمرجان منهما جميعــاً بقولــه: ﴿وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ﴾ [فاطــر:١٢]، والحلية المذكورة في اللؤلؤ والمرجان، فقصره على الملح مناقض للآية صريحاً كما ترى». اهـ

[الرحمن :١٩] ، وهذا جائز في كل ما اتُّفق في أصله ، كما اتَّفق الجن مع الإنس في باب التمييز ، فلمَّا ذُكرا[(١)] معاً جاز مخاطبتهما بما ينصرف إلى واحد .

وهذا قول الفـرَّاء[(٢)] ، والزَّجَّاج[(٣)] ، ومذهب أكثر أهـل[(٤)] العلم ، وعليه دل كلام ابن عبـاس ؛ لأنه قال : «يريد : أنبياء من جنسكم ولم يكن من جنس الجن أنبياء[(٥)] ، وإذا لم يكن من الجن أنبياء[(٦)] ورسل ، فكيف قال لهم مع الإنس : ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ﴾ ؟» . قال الكلبي : «كانت الرسل يبعثون إلى الجن والإنس»[(٧)] ، فعلى هذا قد بعث الرسـل إلى الجن ، ولكن لم تكن[(٨)] الرسـل من الجن ، وتأويل (منكم) ما ذكرنا .

وقال آخرون : «الرسل كانت من الإنس ، ولكن الله -تعالى- كان يسبِّب قوماً من الجن ليسمعوا كلام الرسل ، ويأتوا قومهم من الجن بما سمعوا وينذرونهم ، كما قال الله تعالى لمحمد ﷺ : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ الآية) [الأحقاف :٢٩]» ، وهذا مذهب مجاهد ، قال : «الرسل من الإنس والنذر من الجن»[(٩)] ، ونحو ذلك قال ابن جريج[(١٠)] وأبو عبيد[(١١)] : «هم الذين استمعوا القرآن فأبلغوه قومهم» ،

(١) في (ش) : (فلمَّا ذكر معاً) ، وهو تحريف .
(٢) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٥٤ ، وانظر : معاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٩٢ .
(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٩٢ ، وكلام الواحدي أقرب إلى نص الزَّجَّاج .
(٤) ذكر الخازن في تفسيره ٢/ ١٨٤ : «أن هذا مذهب جمهور أهل العلم» . انظر : تفسير الطبري ١٢/ ١٢ ، والماوردي ٢/ ١٧٠ ، وذكره عن الواحدي الرازي في تفسيره ١٣/ ١٩٥ .
(٥) ذكره الخازن في تفسيره ٢/ ١٨٤ عن الواحدي ، عن ابن عباس .
(٦) لفظ : (أنبياء) ساقط من (أ) .
(٧) تنوير المقباس ٢/ ٦١ ، وذكره الثعلبي في الكشف ١٨٤ أ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٩٠ .
(٨) في (ش) : (لم يكن) .
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره :٤/ ١٣٨٩ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٨٦ .
(١٠) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٣٦ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٨٦ .
(١١) لم أقف عليه .

وعلى هذا أولئك[(١)] الذين استمعوا[(٢)] وذهبوا إلى الجن فأنذروا لم يفعلوا ذلك بنص الله تعالى على إرسالهم، ولكن يجوز أن يضاف ذلك إلى الله، فيقال: هم رسل الله، كما سمى الله تعالى رسُل عيسى[(٣)] رسله، فقال: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾ [يس:١٤].

وقال الضحاك: «من الجن رسل كما من الإنس رسل»[(٤)]، والآية تدل على[(٥)] ذلك، والقول هو الأول، وهو ما ذكرنا أن رسل الجن لم يكونوا مرسلين بنص الله تعالى، وإنما كانوا نذراً على الوجه الذي بيَّنَّا[(٦)].

قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ يقول: شهدنا أنهم قد بلغوا، يقول الله تعالى: (وغرتهم[(٧)] الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين). قال مقاتل: «حين شهدت عليهم الجوارح بالشرك والكفر في الدنيا»[(٨)].

---

(١) في (أ): (وعلى هذا ؤلئك)، وهو تحريف.

(٢) في (أ): (استمتعوا)، وهو تحريف.

(٣) انظر: تفسير الرازي ١٣/ ١٩٥. وظاهر القرآن ـ وهو اختيار الجمهور، ومنهم ابن كثير في تفسيره ٢/ ١٩٨ ـ أنهم رسل الله بعثهم إلى أهل القرية. قال ابن الجوزي في تفسيره ٧/ ١١: «هذا هو ظاهر القرآن والمروي عن ابن عباس وكعب ووهب». اهـ

(٤) أخرجه الطبري ٨/ ٣٦ بسند جيد، وهو قول مقاتل في تفسيره ١/ ٥٨٩.

(٥) ذكره عن الضحاك الماوردي في تفسيره ٢/ ١٧٠، وابن الجوزي ٣/ ١٢٥، وقالا: «وهو ظاهر الكلام».

(٦) هذا هو الظاهر، وهو قول جمهور السلف والخلف، كما قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره ٢/ ١٩٨: «وساق عدة أدلة عدة من الكتاب والسُّنة على أن الرسل من الإنس فقط، ولم يكن في الجن رسل منهم»، وهو اختيار شيخ الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ في الفتاوى ١٦/ ١٩٢، قال في ٤/ ٢٣٤: «وقيل: الرسل من الإنس، والجن فيهم النذر، وهذا أشهر». اهـ

(٧) في (أ): (وغرتهم الله الحياة الدنيا)، وهو تحريف واضح.

(٨) تفسير مقاتل ١/ ٥٨٩.

١٣١. قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ﴾ الآية. قال الزَّجَّاج: «ذلك الذي قصصنا عليك من أمر الرسـل وأمر عذاب مَن كذَّب بها؛ لأنه لم يكن مهلك القرى بظلم»[(١)]، فعلى هذا الإشارة وقعت إلى العقاب الذي في قوله: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ [الأنعام:١٢٨]، وإلى إتيان الرسـل في قوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام:١٣٠]. وموضع ﴿ذَٰلِكَ﴾ رفع الابتداء على معنى: ذلك الأمر؛ أي العقوبة بعد تكذيب الرسـل، ويجوز أن يكون موضع (ذلك) نصباً على معنـى: فعل ذلك، وهذا معنى قول الفرَّاء[(٢)]، وسيبويه[(٣)]، والزَّجَّاج[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿أَن لَّمْ يَكُن﴾ (أن) هاهنا هي المخففة من الثقيلة، ويُقدَّر معها الخافض وإضمار الهاء على تقدير: لأنه لم يكن، وهي التي في قول الأعشى:

فِي فِتْيَةٍ كَسُيوفِ الهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا ... أَنْ هَالِكٌ كُلُّ مَنْ يَحْفَى وَيَنْتَعِلُ[(٥)]

وقوله تعالى: ﴿بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ قـال الكلبي: «يقول: لم يكن ليهلكهم بذنوبهم من قبل أن يأتيهم رسلهم فينهاهم فإن رجعوا وإلَّا أتاهم العذاب»[(٦)].

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٩٣.

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣٥٥، ومثله ذكر الطبري في تفسيره ٨/ ٣٧.

(٣) لم أقف عليـه في الكتاب، وقد ذكر الزَّجَّاج في معاني القـرآن ٢/ ٢٩٣، والنحاس في إعراب القرآن ١/ ٥٨٠: «عن سيبويه أنه في موضع رفع بمعنى: الأمر ذلك؛ لأن ربك لم يكن مهلك القرى بظلم»، ولم أجد مَن ذكر عنه وجه النصب.

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٩٢، ٢٩٣.

(٥) ديوان الأعشـى ٢٨٤، والكتاب ٢/ ١٣٧، ٣/ ٧٤–١٦٤–٤٥٤، والمحتسب ١/ ٣٠٨، والمنصف ٣/ ١٢٩، وأمالي ابن الشـجري ٢/ ١٧٧، ١٧٨، والإنصاف ١٦٧، ومن دون نسـبة في المقتضب ٣/ ٩، وتفسـير الطبري ٨/ ١٨٥، والخصائص ٢/ ٤٤١، ورصف المباني ١٩٦. والشاهد: إضمار اسم أن المخففة، والتقدير: أنه هالك، وعجز البيت في الديوان:

أَنْ لَيْسَ يَدْفَعُ عَنْ ذِي الحِيلَةِ الحِيَلُ

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٢١، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٩٠، والخازن ٢/ ١٨٥.

وقال الزَّجَّاج: «أي لا يهلكهم حتى يبعث إليهم الرسل كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]»(١)، وهذا قول جميع المفسرين(٢)، والظلم على هذا ظلمهم الذي هو ذنوبهم ومعاصيهم.

وقال الفرَّاء: «يجوز أن يكون المعنى: لم يكن ليهلكهم [بظلم منه وهم غافلون، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]؛ أي بظلم منه»(٣).

وعلى هذا يوهم(٤) أنه لو أهلكهم وهم غافلون قبل بعث الرسل لكان ظالماً، وكذلك لو أهلكهم وهم صالحون، وليس كذلك؛ لأن له أن يفعل ما يريد، لكنه أخبر أنه لا يعذب قبل بعثه الرسل، ولا يهلك الصالحين، ولو فعل ذلك لم يكن ظلماً، ولكنه يكون في صورة الظلم في ما بيننا، فأطلق عليه الظلم مجازاً لا حقيقة، والقول في معنى الآية هو الأول(٥) وقد بيَّنَّا القولين في سورة هود عند قوله تعالى: ﴿بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧].

١٣٢. قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ الآية. قال ابن عباس: «يريد: فضائل مما عملوا ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ يريد:

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٩٣.
(٢) انظر: الطبري ٨/ ٣٧، والسمرقندي ١/ ٥١٤، والماوردي ٢/ ١٧٢، وبدائع التفسير ٢/ ١٨٣، ١٨٤.
(٣) انظر: معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٥٥، وفيه قال: «وقوله: ﴿مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ يقول: لم يكن ليهلكهم بظلمهم وهم غافلون لمَّا يأتيهم رسول ولا حجة، وقوله في هود: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ يقول: لم يكن ليهلكهم بظلمهم يقول: بشركهم ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ يتعاطَون الحق في ما بينهم، هكذا جاء التفسير، وفيها وجه وهو أحب من ذا؛ لأن الشرك أعظم الذنوب، والمعنى ـ والله أعلم ـ: لم يكن ليهلكهم بظلم منه وهم مصلحون». اهـ
(٤) في (ش): (توهم).
(٥) انظر: تفسير الرازي ١٣/ ١٩٦، ١٩٧.

عمــل المشركين والدرجات للمؤمنين[١] ، فعــلى هذا أثبت الدرجات للمؤمنــين في[٢] أول الآية ، وأوعد المشركــين بأنه ليس ﴿ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴾ في آخــر الآية على معنى : أنه يجازيهــم به ، وتقدير الآية : ولكل عامــل بطاعة الله درجات جــزاء من أجل مــا عملوا» ، وقال آخرون : «هذا عــام في كل عامل[٣] عملاً طاعة كان أو معصية[٤] على تقدير : ولكل عامل بطاعة الله أو معصيته[٥] منازل في عمله» . ومُثِّلت الأعمال[٦] بالدرجات ليتبين أنه وإن عمَّ أحد قســميها صفة الحســن ، وعمَّ الآخر صفة القبح ، فليســت في المراتب سواء ، وأنه بحسب ذلك يقع الجزاء ، فالأعظم من العقاب للأعظم من السيئات ، والأعظم من الثواب للأعظم من الحســنات ، وجملة معنى الآيــة : أن بعضهم أوفر وأجــزل ثواباً من بعض عــلى قدر أعمالهم ، وبعضهم أشــد عذاباً من بعض[٧] على قدر أعمالهم في الدنيا[٨] .

وقوله تعــالى : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴾ ؛ أي لا يفوته شيء منها ولا من مراتبها حتى يجازي عليه بما يستحق من الجزاء[٩] .

---

(١) انظر : تنوير المقباس ٢/ ٦٢ ، وفي الوســيط ١/ ١٢١ نقل الواحدي عــن ابن عباس في الآية ، قال : «يريد عمل المشركين» .

(٢) لفظ : (في) ساقط من (أ) .

(٣) وهذا القول هو الظاهر ، وهو اختيار الطبري في تفســيره ٨/ ٣٨ ، والسمرقندي ١/ ٥١٤ ، والرازي ١٣/ ١٩٨ .

(٤) في (أ) : (أو معية) ، وهو تحريف .

(٥) في (أ) : (أو معيته) ، وهو تحريف .

(٦) لفظ : (الأعمال) مكرر في (أ) .

(٧) في (أ) : (بعضهم) .

(٨) انظر : تفسير الماوردي ٢/ ١٧٢ .

(٩) انظر : تفسير الطبري ٨/ ٣٨ ، والسمرقندي ١/ ٥١٤ .

١٣٣. قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ﴾ قال ابن عباس: «يريد: عن عبادة مَن تولَّى غيره»[(١)]، وقال مقاتل: «عن عبادة خلقه»[(٢)]، ومعنى الغنى عن الشيء أنه الذي يستوي عنده عدم ذلك الشيء ووجوده[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ قال ابن عباس: «بأوليائه وأهل طاعته»[(٤)]، وقال الكلبي: «ذو الرحمة بخلقه، وذو التجاوز»[(٥)]، وقال مقاتل: «ذو النعمة فلا يعجل[(٦)] عليهم بالعذاب، -يعني: كفار مكة-».

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ قال الكلبي: «وينشئ من بعدكم خلقاً آخرَ»[(٧)]، ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم﴾: مثل ما أنشاكم؛ أي خلقكم ابتداءً ﴿مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ -يعني: آباءهم الماضين-، وهذا وعيد لهم بالإهلاك[(٨)].

١٣٤. قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأَتٍ﴾ قال الحسن: «أي من مجيء الساعة؛ لأنهم كانوا يكذبون بالنشأة الثانية»[(٩)]، فيجوز أن يكون (توعدون) من الإيعاد؛ أي ما توعدون به من العقوبة في الآخرة، ويجوز أن يكون من الوعد، لاختلاط الخير بالشر، فيكون على

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) تفسير مقاتل ١/ ٥٩٠.

(٣) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزَّجَّاج ٦٣، واشتقاق أسماء الله للزَّجَّاجي ١١٧، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٧٠٤، والأسماء والصفات للبيهقي ١/ ٢٤.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٢١، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٩١، وابن الجوزي ٣/ ١٢٧.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٢١، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٩١.

(٦) تفسير مقاتل ١/ ٥٩٠، وقد جاء في (ش)، وتفسير مقاتل: (فلا تعجل) بالتاء.

(٧) انظر: تنوير المقباس ٢/ ٦٢.

(٨) انظر: تفسير الطبري ١٣/ ٢٠٢، والسمرقندي ١/ ٥١٤، ٥١٥.

(٩) ذكره الرازي في تفسيره ١٣/ ١٦٦، والقرطبي ٧/ ٨٨، وأبو حيان في البحر ٤/ ٢٢٥.

التغليب ؛ إذ مجيء الساعة خير للمؤمنين ، وشر على الكافرين . وقوله تعالى : ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ : أي بفائتين : يقال : أعجزني فلان ؛ أي فاتني وغلبني فلم أقدر عليه[١] .

قال ابن عباس : «يريد : وما يعجزني منكم أحد»[٢] .

١٣٥. قوله تعالى : ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ ، قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد : على حالاتكم التي أنتم عليها»[٣] ، وقال الزَّجَّاج : «المعنى : اعملوا على ما أنتم عليه ، يقال للرجل إذا أمرته أن يثبت على حاله : على مكانتك يا فلان ؛ أي اثبت على ما أنت عليه»[٤] .

وقال مقاتل : «على جديلتكم»[٥] ، وهذا القول راجع إلى ما ذكرنا ؛ لأن الجديلة[٦] معناها : الطريقة ، والطريقة يراد بها هاهنا : ما هم عليها ، ومثل هذا

---

(١) هذا قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٢٠٦ .

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ ، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٩٠ بسند ضعيف من طريق الضحاك عن ابن عباس ، قال : «﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي بسابقين» ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٨٨ .

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف ١٨٤ ب ، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٩١ من قول عطاء فقط ، وأخرج الطبري في تفسيره ٨/ ٣٩ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٩٠ بسند جيد عن ابن عباس ، قال : «يعني : على ناحيتكم» ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٨٨ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٩٣ ، وفيه : «المعنى : اعملوا على تمكنكم ، ويجوز أن يكون المعنى : اعملوا على ما أنتم عليه . . .» ، ثم ذكر ما ذكر الواحدي .

(٥) تفسير مقاتل ١/ ٥٩٠ .

(٦) الجديلة (بفتح الجيم ، وكسر الدال) : الطريقة ، والناحية ، والشاكلة . انظر : اللسان (جدل) ١/ ٥٧١ .

قول مجاهد : «على وتيرتكم»(١) ، وقول الكلبي : «على منازلكم»(٢) ، وقول يمان : «على مذاهبكم»(٣) .

وقال أبو إسحاق : «المعنى : اعملوا على تمكنكم وجهتكم التي تمكنتم عند أنفسكم في العلم بها»(٤) .

قال أبو علي : «المكانة في اللغة : المنزلة والتمكن ، كأنه اعملوا على قدر منزلتكم وتمكنكم في دنياكم فإنكم لن تضرونا(٥) بذلك شيئاً»(٦) . قال ابن عباس : «وهذا وعيد وتهدد»(٧) ، يريد أن هذا الأمر أمر وعيدٍ ، مثل قوله تعالى : ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾ [هود:١٢١] .

قال الزَّجَّاج : «ومعنى هذا الأمر : المبالغة في الوعيد ؛ لأن ما بعده يدل على الوعيد ، وقد أعلمهم بقوله : ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ أن مَن عمل بعملهم فالنار مصيره ، فكأنه قيل لهم : أقيموا على ما أنتم عليه من الكفران رضيتم بعذاب النار»(٨) .

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف ١٨٤ ب . الوتيرة (بفتح الواو ، وكسر التاء) : الطريقة ، والصفة . انظر : اللسان (وتر) ٨/ ٤٧٦٠ .

(٢) ذكره الثعلبي ١٨٤ ب .

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف ١٨٤ ب .

(٤) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٩٣ ، وفيه : «المعنى : اعملوا على تمكنكم» ، وانظر : أيضاً معاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٩٣ .

(٥) في (ش) : (يضرونا) .

(٦) الحجة لأبي علي ٣/ ٤٠٧ .

(٧) لم أقف عليه .

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٩٤ .

وقُرِئ (مكانتكم) و(مكاناتكم)[١]، والوجه الإفراد؛ لأنه مصدر، والمصادر في أكثر الأمر مفردة، وقد تجمع في بعض الأحوال، والأمر العام على الوجه الأول[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ قال مقاتل: «أي عامل على جديلتي التي أمرت بها»[٣]، يريد ﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ﴾ على مكانتي، فحذفت الثانية لدلالة الأولى في ذلك الجانب على الثانية في هذا الجانب، وجملة المعنى: اعملوا ما أنتم عاملون، إني عامل مما أمرني به ربي، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾: موضع (مَن) نصب بوقوع العلم عليه، ويجوز أن يكون رفعاً على معنى: تعلمون أينا ﴿تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ كقوله: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾ [الكهف: ١٢]، والوجهان ذكرهما الفرَّاء[٤].

قال ابن عباس: «﴿مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ يعني: الجنة. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ مَن له الجنة أنتم أم أوليائي وأهل طاعتي»[٥]، فإن قيل: أليس الكافر أيضاً له عاقبة في الآخرة، فكيف قيل: إن[٦] عاقبة الدار للمؤمنين؟ قيل:

---

(١) قرأ عاصم في رواية: (على مكاناتكم) بألف بعد النون على الجمع، وقرأ الباقون: ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ من دون ألف على التوحيد. انظر: السبعة ٢٦٩، والمبسوط ١٧٥، والغاية ٢٥٠، والتذكرة ٢/ ٤١١، والتيسير ١٠٧، والنشر ٢/ ٢٦٣.

(٢) هذا قول أبي علي في الحجة ٣/ ٤٠٧، ٤٠٨، وانظر: معاني القراءات ١/ ٣٨٦، وإعراب القراءات ١/ ١٦٩، والحجة لابن خالويه ١٤٩، والحجة لابن زنجلة ٢٧٢، والكشف ١/ ٤٥٢، ونقل قول الواحدي الرازي في تفسيره ١٣/ ٢٠٣.

(٣) تفسير مقاتل ١/ ٥٩٠.

(٤) انظر: معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٥٥، والنصب على أن (مَن) موصولة، فهي في محل نصب مفعول به، والرفع على أن (مَن) استفهامية، فتكون في محل رفع بالابتداء. انظر: إعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٨٠، والمشكل ١/ ٢٧١، والبيان ١/ ٣٤٢، والتبيان ٣٥٩، والفريد ٢/ ٢٣١، والدر المصون ٥/ ١٥٨.

(٥) تنوير المقباس ٢/ ٦٢، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٢٢.

(٦) في (ش): (فكيف قيل له عاقبة الدار للمؤمنين)، وهو تحريف.

العاقبة تكون على الكافر ولا تكون لـه، كما يقال: لهم الكرة، ولهم الظفر، وفي ضده يقال: عليهم الكرة والظفر[(١)].

وقُرِئ[(٢)]: (تكون) بالتاء، والياء؛ لأن العاقبة مصدر كالعافية، وتأنيثه غير حقيقي فمن أنَّث فكقوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [الحجر: ٧٣]، ومَن ذكَّر فكقوله: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [هود: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ﴾ [يونس: ٥٧]، وفي أخرى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ﴾ [البقرة: ٢٧٥][(٣)]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾. قال ابن عباس: «يريد: لا يسعد مَن كفر نعمتي وأشرك بي»[(٤)].

١٣٦. قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ الآية. قال ابن عباس[(٥)] والمفسرون[(٦)]: «كان المشركون يجعلون لله من حروثهم وأنعامهم وثمارهم نصيباً، وللأوثان نصيباً، فما كان للصنم أنفق عليه، وما كان لله أطعم الضيفان[(٧)] والمساكين، ولا يأكلون من ذلك كله شيئاً، فما سقط مما جعلوه لله في نصيب الأوثان تركوه،

---

(١) انظر: تفسير الرازي ١٣/ ٢٠٣.

(٢) قرأ حمزة والكسائي: (مَن يكون له عاقبة الدار) بالياء على التذكير، وقرأ الباقون ﴿مَن تَكُونُ﴾ بالتاء على التأنيث. انظر: السبعة ٢٧٠، والمبسوط ١٧٥، والغاية ٢٥٠، والتذكرة ٢/ ٤١١، والتيسير ١٠٧، والنشر ٢/ ٢٦٣.

(٣) هذا قول أبي علي في الحجة ٣/ ٤٠٨، وانظر: معاني القراءات ١/ ٣٨٧، وإعراب القراءات ١/ ١٧٠، والحجة لابن زنجلة ٢٧٢، والكشف ١/ ٤٥٣، ونقل قول الواحدي الرازي في تفسيره ١٣/ ٢٠٣.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٢٣، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٩٢، والخازن ٢/ ١٨٧.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٤٠، ٤١، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٩٠، والبيهقي في سننه ١٠/ ١٠ من عدة طرق جيدة، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٨٨.

(٦) أخرج الطبري ٨/ ٤١، ٤٢ من طرق جيدة عن مجاهد وقتادة والسُّدِّي نحوه، وذكر هود الهواري في تفسيره ١/ ٥٦٢ عن الحسن والكلبي نحوه، وهو قول مقاتل في تفسيره ١/ ٥٩١.

(٧) في (أ): (أطعم للضيفان).

وقالوا : إن الله غني عن هذا ، وإن سقط مما جعلوه للأوثان في نصيب الله التقطوه وردُّوه إلى نصيب الصنم ، وقالوا : إنه فقير ، فذلك قوله : ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾» . قال ابن عباس : «خلق ، ﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ﴾ قال : يريد التمر والقمح ، وجميع ما يؤكل ، (الأنعام) يريد : الضأن والماعز والإبل والبقر ، ﴿نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ يريد : بكذبهم»[1] .

وقد ذكرنا تفسير الزُّعم[2] والزَّعم في سورة [النساء : ٦٠] .

فإن قيل : أليس جميع الأشياء لله ؟ فكيف نسبوا إلى الكذب في قولهم : ﴿هَٰذَا لِلَّهِ﴾ ؟ قلنا : إفرازهم النصيبينِ نصيباً لله ، ونصيباً للشيطان ، وحكمهم بذلك كذب منهم[3] لم يأمر الله تعالى به ، وهم كانوا يفعلون ذلك تديناً وتعبداً واعتقاداً أن ذلك أمر به[4] الله تعالى ، وأنه يرضى به[5] . قال الزَّجَّاج : «وتقدير الكلام : جعلوا لله نصيباً ولشركائهم نصيباً ، ودل على هذا المحذوف تفصيله القسمين في ما بعدُ ، وهو قوله : ﴿هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾»[6] ، وجعل الأوثان شركاءهم ؛ لأنهم جعلوا لها نصيباً من أموالهم ينفقونها عليها فشاركوها في مالهم[7] .

---

(١) تنوير المقباس ٢/ ٦٣ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٢٣ .

(٢) يعني : بضم الزاي وفتحها . انظر : اللسان (زعم) ٣/ ١٨٣٤ .

(٣) لفظ : (منهم) ساقط من (ش) .

(٤) في (أ) : (ذلك أمره لله تعالى فإنه يرضى به) .

(٥) انظر : تفسير الرازي ١٣/ ٢٠٤ .

(٦) هذا قول النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٩٤ ، وذكره عن الزَّجَّاج الرازي في تفسيره ١٣/ ٢٠٤ ، ولم أقف عليه في معاني القرآن للزَّجَّاج .

(٧) انظر : إعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٨١ ، وتفسير الرازي ١٣/ ٢٠٤ .

وقوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾، معناه ما ذكرنا عن ابن عباس[(١)] أنه كان إذا اختلط شيء مما جعلوه لله بما جعلوه للأوثان لم يخرجوه ولم يردُّوه، وإذا كان على الضد ردُّوه.

وقال الحسن[(٢)] والسُّدِّي[(٣)]: «هو أنه إذا هلك الذي لأوثانهم أخذوا بدله مما لله، ولا يفعلون مثل ذلك في ما لله عز وجل».

وقال مجاهد: «هو أنه إذا انفجر من سقي ما جعلوه للشيطان في نصيب الله سدُّوه، وإن كان على ضد ذلك تركوه»[(٤)]، وزاد قتادة: «إذا أصابتهم السنة استعانوا بها جزأوا لله ووفروا ما جزأوا لشركائهم»[(٥)]، وزاد مقاتل: «وإن زكا ونما نصيب الآلهة ولم يزكِّ نصيب الله تركوه للآلهة وقالوا: لو شاء الله زكا نصيبه، وإن زكا نصيب الله ولم يزكِّ نصيب الآلهة قالوا: لا بد لآلهتنا من نفقة فأخذوا نصيب الله فأعطوه السدنة، فذلك قوله: ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ﴾ يعني: من تمام الحرث والأنعام ﴿فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعني: إلى المساكين»[(٦)]، وإنما قال: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ لأنهم كانوا يفرزونه لله ويسمونه نصيب الله، ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ﴾ من التمام فهو يصل إلى آلهتهم، ثم ذم الله فعلهم، فقال: ﴿سَآءَ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ذكره هود الهواري في تفسيره ١/ ٥٦٢، والماوردي ٢/ ١٧٤، والواحدي في الوسيط ١/ ١٢٤، وابن الجوزي ٣/ ١٢٩.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٤٠١، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٩٠ بسند جيد.

(٤) تفسير مجاهد ١/ ٢٢٣، وأخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٤٠، ٤١، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٩١ بسند جيد.

(٥) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢١٨، ٢١٩، والطبري ٨/ ٤١ بسند جيد.

(٦) تفسير مقاتل ١/ ٥٩١.

مَا يَحْكُمُونَ ﴾ ؛ أي ساء الحكم حكمهم حيث صرفوا ما جعلوا لله على جهة التبرر للأوثان[١] .

١٣٧. قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ الآية . قال الزَّجَّاج[٢] : «أي ومثل ذلك الفعل القبيح ﴿ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾»[٣] ، وقال أبو بكر : «وذلك إشارة إلى ما نعاه الله عليهم من قسمهم ما قسموا بالجهل ، فكأنه قيل : ومثل ذلك الذي أتوه في القسم جهلاً وخطأً ﴿ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ فشبه تزيين الشركاء بخطأهم في القسم»[٤] ، وهذا معنى قول الزَّجَّاج .

قال مجاهد[٥] : «﴿ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾ : شياطينهم أمروهم أن يئدوا أولادهم خشية العيلة»[٦] ، وسميت الشياطين شركاء ، لأنهم أطاعوهم في معصية الله فأشركوهم مع الله في وجوب طاعتهم ، وأضيفت الشركاء إليهم ، لأنهم اتخذوها ، كقوله تعالى : ﴿ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام :٢٢][٧] .

---

(١) في (ش) : (التبرر إلى الأوثان) .

(٢) في (أ) : (قال الزجل) ، وهو تحريف .

(٣) ذكره السمين في الدر ٥/ ١٦١ عن الزَّجَّاج ، ولم أقف عليه في معاني القرآن للزَّجَّاج .

(٤) ذكره السمين في الدر ٥/ ١٦١ عن ابن الأنباري .

(٥) تفسير مجاهد ١/ ٢٢٤ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٤٠/ ٤١ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٩١ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٨٨ .

(٦) العيلة (بفتح فسكون) : الفقر ، وشدة الحاجة . انظر : اللسان (عيل) ٥/ ٣١٩٤ .

(٧) كتبت الآية في النسخ خطأ بلفظ : (أين شركاؤكم الذين كنتم تدعون من دون الله) ، واستشهد الواحدي في الوسيط ١/ ١٢٥ على الموضوع بقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآية [فاطر :٤٠] .

وقال الكلبي[(١)] : «كان لآلهتهم سدنة وخدام هم الذين كانوا يزينون للكفار قتل أولادهم ، وكان الرجل يقوم في الجاهلية فيحلف بالله لئن وُلد له كذا غلاماً لينحرن أحدهم كما حلف[(٢)] عبدالمطلب على ابنه عبدالله»[(٣)] ، وعلى هذا القول الشركاء هم : السدنة سمَوها شركاء كما سميت الشياطين شركاء في قول مجاهد[(٤)] ، والشركاء رفع بالتزيين .

ولمَّا تقدَّم ذكر المشركين كنَّى عنهم في قوله : (شركاؤهم) ، كقوله تعالى : ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ [الأنعام :١٥٨] لمَّا تقدَّم ذكر النفس كنَّى عنها ، ومثله قوله تعالى : ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ﴾ [البقرة :١٢٤] ، وأضيف المصدر الذي هو القتل إلى المفعولين الذين هم الأولاد ، مثل قوله تعالى : ﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ [فصلت :٤٩] ؛ أي من دعائه الخير ، فحذف ذكر الفاعل ، كذلك التقدير في الآية : قتلهم أولادهم[(٥)] .

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف ١٨٤ ب ، والماوردي في تفسيره ٢/ ١٧٤ ، والبغوي ٣/ ١٩٢ ، ١٩٣ ، وابن الجوزي ٣/ ١٣٠ .

(٢) انظر : تفصيل ذلك في تاريخ الطبري ٢/ ٢٣٩_٢٤٣ .

(٣) عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم أبو قثم الهاشمي القرشي ، والد رسول الله ﷺ ، أصغر ولد عبدالمطلب وأحبهم إليه ، لُقِّب بالذبيح . انظر : تاريخ الطبري ٢/ ٢٣٩_٢٤٦ ، والأعلام ٤/ ١٠٠ .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) هذا قول أبي علي في الحجة ٣/ ٤١٠ .

وقرأ ابن عامر(١) : (زُيِّنَ) بضم الزاي ، (قَتْلَ) رفعاً ، (أَوْلادَهُم) بالنصب ، (شُرَكَائِهِم) بالجرِّ على تقدير : ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ﴾ شركائهم أولادهم ، ولكنه فصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به ، وهو الأولاد ، والمفعول به مفعول المصدر . قال أبو علي : «وهو قبيح ، قليل في الاستعمال ؛ لأنهم لا يفصلون بين المضاف والمضاف إليه بالظرف الذي توسعوا فيه ، وفصلوا به في كثير من المواضع ، نحو قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ [المائدة :٢٢] ،

ونحو قول الشاعر :

عَلَى أَنَّني بَعْدَ مَا قَدْ مَضى ... ثلاثُونَ لِلْهَجرِ حَوْلاً كَمِيلاً(٢)

---

(١) قرأ ابن عامر : «وكذلك زُيِّنَ (زَيَّنَ) لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم» : (زُيِّن) بضم الزاي وكسر الياء بالبناء للمفعول و(قَتْلُ) برفع اللام نائب فاعل (أَوْلاَدَهُم) بنصب الدال مفعول للمصدر (شُرَكَائِهِم) بهمزة مجرورة على إضافة المصدر إليه وهو من إضافة المصدر إلى فاعله . وقرأ الباقون : ﴿زَيَّنَ﴾ بفتح الزاي والياء مبيناً للفاعل ، و﴿قَتْلَ﴾ بنصب اللام على المفعولية ، ﴿أَوْلَٰدِهِمْ﴾ بجر الدال على الإضافة ، ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ بهمزة مرفوعة على الفاعلية . انظر : السبعة ٢٧٠ ، والمبسوط ١٧٥ ، والغاية ٢٥٠ ، والتذكرة ٢/ ٤١١ ، والتيسير ١٠٧ ، والنشر ٢/ ٢٦٣ـ ٢٦٥ .

(٢) الشاهد للعباس بن مرداس في ديوانه ١٣٦ ، وهو بلا نسبة في الكتاب ٢/ ١٥٨ ، والمقتضب ٣/ ٥٥ ، ومجالس ثعلب ٤٢٤ ، والمسائل الحلبيات ٢٥٨ ، والإيضاح العضدي ١/ ٢٤٢ ، والمسائل البصريات ٢/ ٨٣٥ ، والإنصاف ٢٦٥ ، والدر المصون ٥/ ١٦٣ ، ومغني اللبيب ٢/ ٥٧٢ .

كميلاً : أي كاملاً . والشاهد : الفصل بين ثلاثين وبين تمييزها ، وهو حولاً . انظر : شرح شواهد المغني للسيوطي ٢/ ٩٠٨ .

[فصل بين العدد والمعدود(١)] ، ونحو قوله :

فَـلا تَـلْحَني فيهـا فـإنَّ بِـحُـبِّهَـا أَخَاكَ مُصَابُ القَلْبِ جَمٌّ بَلابِلُهْ(٢)

ألا ترى أنه فصل بين أن واسـمها بها يتعلـق بخبرها ، ولو كان بغير الظرف لم يجـز ، ألا ترى أنهم لا يجيزون : إن زيداً عمراً(٣) ضـارب ، إذا نصبت زيداً(٤) بضارب(٥) ، فإذا لم يجيـزوا الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف في الكلام مع اتساعهم في الظرف في الكلام ، وإنما يجوز في الشعر ، كقول الشاعر :

كَـمَـا خُـطَّ الكِتَـابُ بِـكَفِّ يَوْماً يَـهُـودِيٍّ يُـقَـارِبُ أَوْ يُـزِيـلُ(٦)

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٢) لم أهتدِ إلى قائله ، وهو في الكتاب ٢/ ١٣٣ ، والأصول ١/ ٢٠٥ ، والمسـائل الحلبيات ٢٥٨ ، وكتاب الشعر ١/ ٢٤٠ ، ٢٧٠ ، والمقرب ١/ ١٠٨ ، والدر المصون ٥/ ١٦٣ ، ومغني اللبيب ٢/ ٦٩٣ . فلا تلحني ؛ أي تلمني ، وجَمٌّ (بفتح الجيم ، وتشديد الميم) : كثير ، وبلابله : جمع بلبلة بالفتح ، وهي شدة الهم ، والوسوسـة . والشـاهد : رفع مصاب على أنه خبر أن مع إلغاء الجار والمجرور ؛ لأنه من صلة الخبر وتمامه . انظر : شرح شواهد المغني للسيوطي ٢/ ٩٦٩ .

(٣) في (أ) : (عمرواً) .

(٤) في (أ) : (عمرواً) .

(٥) جاء في النسخ : إذا نصبت عمراً بضارب ، والتصحيح من الحجة لأبي علي ٣/ ٤١٢ .

(٦) الشـاهد لأبي حية النميري في الكتاب ١/ ١٧٨ ، ١٧٩ ، والإنصاف ٣٤٩ ، وبلا نسـبة في المقتضب ٤/ ٣٧٧ ، والأصـول ٢/ ٢٢٧ ، ٣/ ٤٦٧ ، والخصائـص ٢/ ٤٠٥ ، وغرائب التفسـير للكرماني ١/ ٣٨٨ ، وأمالي ابن الشـجري ٢/ ٥٧٧ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ٣٦٠ ، والقرطبي ٧/ ٩٣ ، والبحر المحيط ٤/ ٢٢٩ ، والدر المصون ٥/ ١٦٣ .
والشاهد : (بكف يوماً يهودي) حيث فصل بالظرف بين المضاف والمضاف إليه .

فأن لا يجوز في المفعول به الذي لم يتسع فيه بالفصل أجدر ، ووجه ذلك على ضعفه وقلة الاستعمال أنه قد جاء في الشعر [الفصل][(١)] على حد ما قرأه ، قال الطرماح :

يُطِفْنَ بِحُوزِي المَرَاتِعِ لَمْ يُرَعْ[(٢)] بِوَادِيهِ مِنْ قَرْعِ القِسِيِّ الكَنَائِنِ[(٣)]

وأنشد أبو الحسن[(٤)] :

زَجَّ القلوصِ أبي مزَادَةْ[(٥)]

---

(١) لفظ : (الفصل) ساقط من (أ) .

(٢) جاء في (ش) : حاشية على البيت ، قال : «أي بفحل منتحى المراتع قد حاز بمرتعه ناحية» .

(٣) الشاهد للطرماح في ديوانه ٤٨٦ ، وتهذيب اللغة (حاز) ١/ ٧٠٠ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ٣٦١ ، واللسان (حوز) ٢/ ١٠٤٦ ، والبحر المحيط ٤/ ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، والدر المصون ٥/ ٣٦٤ ، وبلا نسبة في الحجة لأبي علي ٣/ ١٢٣ ، والخصائص ٢/ ٤٠٦ ، والإنصاف ٣٤٧ .
والشاعر يصف بقر الوحش ، الحوزي : المتوحد : وهو الفحل منها ، وهو من حزت الشيء إذا جمعته أو نحيته ، والمراتع : موضع الرتع . ولم يرعَ ؛ أي لم يخفَ ، والقرع : الضرب ، والقسي : جمع قوس ، والكنائن : جمع كنانة : جراب يوضع فيه السهام . انظر : تهذيب اللغة (حاز) ١/ ٧٠٠ ، وحاشية الإنصاف .
والشاهد : الفصل بين المصدر المضاف (قرع) ، وفاعله المضاف إليه (الكنائن) بالمفعول به للمصدر وهو (القسي) .

(٤) أبو الحسن الأخفش الأوسط ، إمام لغوي ، تقدمت ترجمته .

(٥) الشاهد لم أهتدِ إلى قائله ، وصدره :
فَزَجَجْتُها بِمزَجَّةٍ . . .
وفي رواية : «فزججتها متمكناً» وهو في الكتاب ١/ ١٧٦ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٥٨ ، وتفسير الطبري ٨/ ٤٤ ، والخصائص ٢/ ٤٠٦ ، والمدخل للحدادي ٣٢١ ، والكشاف ٢/ ٥٤ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ٣٦١ ، والإنصاف ٣٤٧ ، والبيان ١/ ٣٤٢ ، وتفسير الرازي ١٣/ ٢٠٦ ، والفريد ٢/ ٢٣٣ ، والمقرب ١/ ٥٤ ، والقرطبي ٧/ ٩٢ ، والبحر المحيط ٤/ ٢٢٩ ، والدر المصون ٥/ ١٦٦ـ١٧٠ .
فزججتها : الضمير للراحلة ، والزج : الدفع بالرمح ، والقلوص : الناقة الفتية ، وأبو مزادة : كنية رجل . والشاهد : الفصل بين المضاف (زج) والمضاف إليه (أبي مزادة) بالمفعول ، وهو (القلوص) .
انظر : حاشية تفسير الطبري ١٢/ ١٣٨ ، طبعة شاكر .

وهـذان البيتان مثل قراءة ابن عامر، ألا ترى أنه فصل فيهما بين المصدرين والمضاف إليهما بالمفعول به، كما فصل ابن عامر بين المصدر وما حكمه أن يكون مضافاً إليه، وأضيف القتل في هذه القراءة إلى الشركاء وإن لم يتولوا ذلك؛ لأنهم هم الذين زيَّنوا ذلك ودعوا إليه فكأنهم فعلوا ذلك»[١].

وقوله تعالى: ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ قال ابن عباس: «يريد: في النار»[٢]، والإرداء في اللغة: الإهلاك[٣]، وفي القرآن: ﴿إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ [الصافات:٥٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ قال ابن عباس: «يدخلوا عليهم الشك في دينهم»[٤]، وقال الكلبي: «ليخلطوا ويشبهوا، وكانوا على دين إسماعيل فرجعوا عنه»[٥].

---

(١) الحجة لأبي علي ٣/ ٤٠٩-٤١٤، وانظر: إعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٨٢، ومعاني القراءات ١/ ٣٨٨، وإعراب القراءات ١/ ١٧١، والحجة لابن خالويه ١٥٠، والحجة لابن زنجلة ٢٧٣، والكشف ١/ ٤٥٣، والمشكل ١/ ٢٦٩. وقد ذكر قول أبي علي الفارسي وغيره، السمين في الدر ٥/ ١٦٦، وقال: «وهذه الأقوال التي ذكرتها جميعاً لا ينبغي أن يتلفت إليها؛ لأنها طعن في المتواتر، وإن كانت صادرة عن أئمة أكابر، وأيضاً فقد انتصر لها مَن يقابلهم، وأورد من لسان العرب نظمه ونثره ما يشهد لصحة هذه القراءة لغة». اهـ ثم ذكر عدة أقوال وشواهد عن كبار الأئمة في جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه إذا كان الفاصل معمولاً للمضاف المصدر. وهذا هو الحق؛ لأنها قراءة متواترة، والقراءة سنَّة متبعة تؤخذ بالنقل والسماع لا بالاجتهاد، فينبغي تصحيح قواعد العربية بالقراءة، ولا يلتفت إلى الاعتراض عليها.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٢٦، والرازي ١٣/ ٢٠٦، والخازن ٢/ ١٨٨.

(٣) الـرَّدَى (بالفتح): الهلاك. انظر: الجمهرة ٢/ ١٠٥٧، وتهذيب اللغة ٢/ ١٣٨٧، والصحاح ٦/ ٢٣٥٥، والمجمل ٢/ ٤٢٨، والمفردات ٣٥١، واللسان (ردى) ٣/ ١٦٣١.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٢٦، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٩٣، وابن الجوزي ٣/ ١٣١، والخازن ٢/ ١٨٨.

(٥) تنوير المقباس ٢/ ٦٤، وظاهر سياق الواحدي في الوسيط، والبغوي، وابن الجوزي، والخازن في تفاسيرهم أنه من قول ابن عباس. انظر: الحجة لأبي علي ٣/ ٢٨٠.

وقوله تعالى : (و[١] لو شاء الله ما فعلوه) أخبر أن جميع ما فعله المشركون كان ذلك بمشيئة الله ؛ إذ لو لم يشأ ما فعلوا[٢] .

وقوله تعالى : ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ قال ابن عباس : «يريد : وما يقولون أن لله شريكاً»[٣] .

١٣٨. قوله تعالى : ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ معنى الحجر في اللغة : الحرام ، وأصله[٤] من المنع ، ومنه سُمِّي العقل حجراً لمنعه عن القبائح ، وفلان في حجر القاضي ؛ أي منعه[٥] . قال أبو إسحاق : «المعنى : أنهم حرموا أنعاماً وحرثاً وجعلوه لأصنامهم فقالوا : ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ﴾ ، فأعلم الله -عز وجل- أن هذا التحريم زعم منهم ، لا حجة لهم فيه ، ولا برهان»[٦] .

﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ قال ابن عباس : «يريد : مما سيبوا لآلهتهم»[٧] .

---

(١) لفظ : (الواو) ساقط من (أ) .

(٢) انظر : تفسير السمرقندي ١/ ٥١٦ ، والرازي ١٣/ ٢٠٦ ، والقرطبي ٧/ ٩٤ .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٢/ ٦٥ .

(٤) الحجر (بكسر الحاء وضمها ، وسكون الجيم) : الحرام . انظر : العين ٣/ ٧٤ ، والجمهرة ١/ ٤٣٦ ، وتهذيب اللغة ١/ ٧٤٧ ، والصحاح ٢/ ٦٢٣ ، والمجمل ١/ ٢٦٤ ، والمفردات ٢٢٠ ، واللسان (حجر) ٢/ ٧٨٢ .

(٥) انظر : مجاز القرآن ١/ ٢٠٧ ، ومعاني القرآن للأخفش ٢/ ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، وغريب القرآن لليزيدي ١٤٣ ، وتفسير غريب القرآن ١٧١ ، وتفسير الطبري ٨/ ٤٦ ، وتفسير المشكل ٨٠ ، وتفسير الرازي ١٣/ ٢٠٧ ، والقرطبي ٧/ ٩٤ .

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ١٣٢ ، ولم أقف عليه في معاني القرآن للزَّجَّاج .

(٧) لم أقف عليه ، وهو ظاهر كلام القرطبي في تفسيره ٧/ ٩٥ .

قال الزَّجَّاج : «وهي نحو ما وصفنا من البحيرة والسـائبة والحامي الذي قد حمي ظهره أن يركب»[(١)] .

﴿ وَأَنْعَـٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ﴾ قال ابن عباس : «يريد : يقتلونها لآلهتهم ، إمَّا يقذفونها[(٢)] ، وإمَّا يخنقونها بالوتر»[(٣)] .

وقال الزَّجَّاج : «يذبحونها لأصنامهم ولا يذكرون اسم الله عليها ، فأعلم الله -عز وجل- أن ذلك افتراء[(٤)] ، فقال : ﴿ ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ﴾ ؛ أي يفعلون ذلك افتراء ، وهذا يسميه سيبويه مفعول له[(٥)] ؛ أي لا يذكرون اسم الله عليها للافتراء على الله ، وهو أنهـم زعموا أن الله أمرهم بذلك» ، قال الزَّجَّاج : «وحقيقته أن قوله تعالى : ﴿ لَّا يَذْكُرُونَ ﴾ بمعنى : يفترون ، كأنه قال : يفترون افتراء»[(٦)] .

١٣٩. قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَـٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا ﴾ ، قال ابن عباس[(٧)] والشعبي[(٨)] وقتادة[(٩)] : «يعني : ألبان البحائر ، كانت للذكور دون النساء ، فإذا ماتت اشترك في لحمها ذكورهم وإناثهم» .

---

(١) الذي عند الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٢٩٤ تعريف الحامي فقط .

(٢) في (أ) : (يقذوفها) ، وهو تحريف .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) في (ش) : (أن ذلك افتراء عليه ، أي يفعلون ذلك افتراء) ، وهو قريب من نص الزَّجَّاج .

(٥) أي مفعول لأجله . انظر : الكتاب ١/ ٣٦٧ ، وقال النحـاس في إعراب القرآن ١/ ٥٨٤ : «(افتراء) مفعول من أجله ومصدر» . انظر : المشـكل ١/ ٢٧٢ ، وغرائب التفسير ١/ ٣٨٩ ، والتبيان ٣٦٠ ، والفريد ٢/ ٢٣٦ ، والدر المصون ٥/ ١٨٢ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٩٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٩٦ ، ٤٩٧ .

(٧) أخرجه الطبري في تفسـيره ٨/ ٤٧ ، ٤٨ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٣٩٥ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٩٠ ، ٩١ .

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٤٨ بسند جيد ، وذكره الثعلبي في الكشف ١٨٤ ب ، وابن عطية في تفسيره .

(٩) أخرجه عبدالرزاق في تفسـيره ١/ ٢/ ٢١٩ ، والطبري ٨/ ٤٨ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٩٠ .

وقال غيرهم من المفسرين[١] : «يعني : أجنَّة البحائرِ والسوائب ، ما وُلد منها حيّاً فهو خالص للرجال دون النساء ، وما وُلد ميتاً أكله الرجال والنساء» .

وقوله تعالى : ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾ ذكر ابن الأنباري في تأنيث خالصة ثلاثة أقوال : قولين للفرَّاء ، وقولاً للكسائي :

«أحدها أن الهاء ليست للتأنيث ، وإنما هي للمبالغة في الوصف كما قالوا : راوية وعلَّامة ونسَّابة ، والداهية والطاغية ، وأنه لمنكر ومنكرة ، وكذلك تقول : هو خالصة لي ، وخالص لي ، وهذا قول الكسائي»[٢] .

وقال الفرَّاء[٣] : «وقد تكون (خالصة) مصدراً لتأنيثها كما تقول : العاقبة والعافية ، وهو مثل قوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ [ص :٤٦]»[٤] . قال أبو بكر : «فعلى هذا أُنِّثت الخالصة ؛ لأنها أُجريت مجرى المصادر التي تكون بلفظ التأنيث إخباراً عن الأسماء المذكرة كقولهم : عطاؤك عافية ، والمطر رحمة ، والرخص نعمة ، ومعروف عندهم الرجل خالصتي» . قال الشاعر[٥] :

كُنتَ أمنيتي وكَنتَ خَالصتي
وليسَ كلُّ امرئٍ بمؤتمنِ

---

(١) ومنهم مجاهد في تفسيره ١/ ٢٢٤ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٤٨ ، ٤٩ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٣٩٥ بسند جيد عن مجاهد والسُّدِّي ، وذكره السمرقندي في تفسيره ١/ ٥١٦ عن الكلبي ، وذكره البغوي في تفسيره ٣/ ١٩٤ عن ابن عباس وقتادة والشعبي ، والظاهر هو العموم من الأجنَّة والألبان ، وهو قول مقاتل في تفسيره ١/ ٥٩٢ ، والسُّدِّي ، كما ذكره ابن الجوزي في تفسيره ٣/ ١٣٢ ، ورجَّحه الطبري في تفسيره ٨/ ٤٩ .

(٢) ذكره النحاس في إعراب القرآن ١/ ٥٨٤ ، وفي معاني القرآن ٢/ ٤٩٨ عن الكسائي ، وهو اختيار الأخفش في معاني القرآن ٢/ ٢٨٨ ، والطبري في تفسيره ٨/ ٤٩ .

(٣) هذا هو القول الثاني .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٥٩ ، وهو اختيار الكرماني في غرائب التفسير ١/ ٣٨٨ .

(٥) لم أهتدِ إلى قائله ، وهو في الكشف للثعلبي ١٨٥ أ ، وغرائب التفسير ١/ ٣٨٨ ، والدر المصون ١/ ١٨٣ .

القول الثالث[١] للفرَّاء : «أن تأنيث (خالصة) لتأنيث (الأنعام)[٢] ، لأن ما في بطونها مثلها ، فأُنِّث لتأنيثها»[٣] ، وعلى هذا كأنه قيل : وقالوا الأنعام التي في بطون الأنعام ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾[٤] . قال الزَّجَّاج : «جُعل معنى (ما) التأنيث ؛ لأنها في معنى الجماعة كأنهم قالوا : جماعة ﴿مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾[٥] ، وأبين من هذا كله أن يقال : (ما) عبارة عن الألبان أو الأجنَّة ، وإذا كان عبارة عن مؤنث جاز تأنيثه على المعنى ، وتذكيره على اللفظ ، كما جُعل في هذه الآية فإنه أُنِّث خبره الذي هو (خالصة) لمعناه ، وذُكِّر في قوله (ومحرم) على اللفظ[٦] ، وهذا قريب مما قاله أبو إسحاق ؛ لأنه جعل (ما) بمعنى الجماعة ، وقد ذكر فيه أبو علي[٧] قولين : «أحدهما أن (خالصة) مصدر ، ويكون المعنى : ما في بطون هذه الأنعام ذو خلوص . والثاني أن يكون صفة ، وأُنِّث على المعنى لأنه كثرة ، والمراد به : الأجنَّة والمضامين»[٨] .

---

(١) جاء في النسخ : (القول الثاني) ، وهو تحريف .

(٢) حصل في (أ) تداخل في الأقوال ، فقد جاء قول أبي علي الفارسي بعد قوله : «لتأنيث الأنعام» ، وهو تحريف من الناسخ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٥٨ .

(٤) ذكره الرازي في تفسيره ١٣/ ٢٠٨ عن ابن الأنباري ، وذكر بعضه ابن الجوزي في تفسيره ٣/ ١٣٣ ، وانظر : الدر المصون ٥/ ١٨٣ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، واختاره الأزهري في تهذيب اللغة (خلص) ١/ ١٠٨١ .

(٦) وهذا القول هو اختيار النحاس في إعراب القرآن ١/ ٥٨٤ ، ومكي في المشكل ١/ ٢٧٢ ، وابن الأنباري في البيان ١/ ٣٤٣ .

(٧) الحجة لأبي علي ٦/ ٧٤ ، ونحوه قال ابن جني في المحتسب ١/ ٢٣٢ ، وانظر : أمالي ابن الشجري ٣/ ٣١ .

(٨) المضامين (بالفتح ، وكسر الميم) : ما في بطون الحوامل من كل شيء . انظر : اللسان (ضمن) ٥/ ٢٦١١ .

وقوله تعالى: ﴿وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ يعني: النساء. قال ابن عباس: «يريدون على نسائنا»[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً﴾ قرأ[(٢)] ابن كثير (يَكُن): بالياء، (مَيْتَةٌ) رفعاً.

قال أبو بكر: «الميتة: أريد بها الميت زيدت عليها الهاء للإبهام، كما قالوا: الدابة فارة، والشاة ذبحته، والأُرْوِيَّة[(٣)] عاينته، فيُذكِّرون إذا[(٤)] كان الحرف يقع على المذكر والمؤنث، وقراءة ابن كثير: (وإن يكن ميتة) فالميتة اسم الكون، وخبر الكون مضمر يراد به: وإن يكن لهم ميتة، أو وإن يكن هناك ميتة، وذُكِّر الفعل لأن الميتة في معنى الميت»[(٥)].

وقال أبو علي: «لم يلحق الفعلَ علامة التأنيث لمَّا كان الفاعل المسند إليه تأنيثه غير حقيقي، ولا يحتاج الكون إلى خبر؛ لأنه بمعنى: وإن وقع ميتة، أو حدث ميتة. وقرأ ابن عامر: (وإن تكُن) بالتاء (مَيْتَةٌ) بالرفع، ألحق الفعلُ علامة التأنيث لمَّا كان الفاعل المسند إليه في اللفظ مؤنثاً، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: (وإن تكُن) بالتاء (مَيْتَةً) بالنصب على تقدير: وإن تكن المذكورة أو المعينة ميتة، فأنَّث الفعل وإن كان المتقدم مذكراً؛ لأنه حمله على المعنى. وقرأ الباقون بالياء (ميتةً) بالنصب، تأويله: وإن يكن المذكور ميتة، ذكَّروا الفعل؛ لأنه مسند إلى

---

(١) تنوير المقباس ٢/ ٦٥.

(٢) قرأ ابن عامر وعاصم في رواية: (وإن تكن) بالتاء، وقرأ الباقون بالياء، وقرأ ابن عامر وابن كثير: (مَيْتَةٌ) بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب. انظر: السبعة ٢٧٠، ٢٧١، والمبسوط ١٧٥، ١٧٦، والغاية ٢٥٠، ٢٥١، والتذكرة ٢/ ٤١٢، والتيسير ١٠٧، والنشر ٢/ ٢٦٥، ٢٦٦.

(٣) الأروية (بضم الهمزة، وسكون الراء، وكسر الواو، وتشديد الياء المفتوحة): الأنثى من الوعول. انظر: اللسان (روى) ٣/ ١٧٨٧، وقال ابن الأنباري في المذكر والمؤنث ١/ ٥٤: «الأروية: شاة الجبل». اهـ.

(٤) في (ش): (إذ كان).

(٥) لم أقف عليه، وقد ذكره الرازي في تفسيره ١٣/ ٢٠٨ من دون نسبة. وانظر: معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٥٨، ومعاني القرآن للأخفش ٢/ ٢٨٨، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٨٥.

ضمير ما تقدَّم في قوله: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ [الأنعام:١٣٩] وهو مذكَّر، وانتصب الميتة لَمَّا كان الفعل مسنداً إلى الضمير»[(١)] .

وقوله تعالى: ﴿فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ﴾ . قال ابن عباس: «يريد: الرجال والنساء»[(٢)] ، وذكرت الكناية في قوله (فِيهِ) لَمَّا ذكرنا أن الميتة غير مختصة بالأنثى[(٣)] ؛ لأن المراد بالميتة هاهنا: الحيوان كيف ما كان[(٤)] .

وقوله تعالى: ﴿سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡ﴾ قال[(٥)] : «يريد: سيعذبهم بما وصفوا الله به، وما أحلوا مما حرَّم الله، وما حرَّموا مما أحل الله»[(٦)] .

وقال أبو إسحاق: «المعنى -والله أعلم-: سيجزيهم جزاء وصفهم الذي هو كذب»[(٧)] . وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ قال ابن عباس: «يريد: أنه أحكم وأعلم من أن يفعل هذا»[(٨)] .

---

(١) الحجة لأبي علي ٣/ ٤١٥ بتصرف. انظر: معاني القراءات ١/ ٣٩٠، ٣٩١، وإعراب القراءات ١/ ١٧١، ١٧٢، والحجة لابن خالويه ١٥١، والحجة لابن زنجلة ٢٧٤، ٢٧٥، والكشف ١/ ٤٥٤، ٤٥٥، والدر المصون ٥/ ١٨٦.

(٢) تنوير المقباس ٢/ ٦٥، وأخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٥٠، وابن أبي حاتم ٥/ ١٣٩٦ بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٩١.

(٣) في (ش): (ولأن) بالواو.

(٤) انظر: الدر المصون ٥/ ١٨٦، ١٨٧.

(٥) كذا ورد من دون نسبة، والظاهر أن المقصود ابن عباس رضي الله عنهما، ذكره عنه هود الهواري في تفسيره ١/ ٥٦٥، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٢٧ من دون نسبة.

(٦) قال مجاهد في تفسيره ١/ ٢٢٥: «يعني: قولهم الكذب في ذلك»، وأخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٥٠ من طرق عدة جيدة عن مجاهد وأبي العالية وقتادة، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ١٣٩٦ عن مجاهد، وقال: «وروي عن أبي العالية وقتادة نحو ذلك». اهـ

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٩٥، وقال النحاس في معاني القرآن ٢/ ٤٩٩: «التقدير عند النحويين: سيجزيهم جزاء وصفهم الذي هو كذب». اهـ

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٢٧ من دون نسبة، وانظر: تفسير الطبري ٨/ ٥٠.

١٤٠. قولــه تعــالى : ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَـٰدَهُمْ﴾ . قال ابــن عباس[(١)] والمفسرون[(٢)] : «يعني : الذين كذبوا يدفنون بناتهم أحياء في الجاهلية» ، وقوله[(٣)] تعالى : ﴿سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (سفهاً) منصوب على معنى اللام ؛ أي للسـفه ، مثل : فعلت ذلك حذر الشر ، ويجـوز أن يكون منصوباً على تأويل المصدر ؛ لأن قتلهم أولادهم سـفه ، فكأنه قال : قد سفهوا سفهاً ، والوجهان ذكرهما الزَّجَّاج[(٤)] .

وقوله تعــالى : ﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ﴾ قــال المفسرون[(٥)] : «يعني : البحيرة والسـائبة والوصيلة والحامي والحرث ، حرَّموها على أنفسهم ، وقالوا : إن الله أمرهم بها» ، ونصب (افتراء) مثل نصب (سفهاً)[(٦)] .

---

(١) تنويـر المقبـاس ٢/ ٦٦ ، وذكره ابن الجوزي في تفسـيره ٣/ ١٣٤ ، وأخرج البخـاري في صحيحه ٣٥٢٤ ، كتـاب : المناقب ، بـاب : قصة زمزم وجهل العرب ، عن ابن عبـاس ، قال : «إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومئة في سورة الأنعام ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَـٰدَهُمْ﴾ إلى قوله : ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾[الأنعام :١٤٠]» . اهـ

(٢) ومنهـم مقاتـل في تفسـيره ١/ ٥٩٢ ، والطبري ٨/ ٥١ ، والنحـاس في معاني القـرآن ٢/ ٤٩٩ ، والسـمرقندي في تفسـيره ١/ ٥١٧ ، وأخرجه الطبري في تفسـيره ٨/ ٥١ من طرق عدة جيدة عن عكرمة والسُّدِّي وقتادة . انظر : الدر المنثور ٣/ ٩١ .

(٣) لفظ : (وقوله) ملحق في أعلى السطر من (أ) .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّـاج ٢/ ٢٩٥ ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٨٥ ، والمشـكل ١/ ٢٧٤ ، والبيـان ١/ ٣٤٥ ، والتبيـان ٣٦١ ، والفريـد ٢/ ٢٣٨ـ٢٣٩ ، وقال السـمين في الدر ٥/ ١٨٧ : «(سـفهاً) نصب على الحال ، أي ذوي سفهٍ ؛ أو على المفعول من أجله وفيه بعد ؛ لأنه ليس علة باعثة ، أو على أنه مصدر لفعل مقدَّر ؛ أي سـفهوا سفهاً ، أو على أنه مصدر على غير الصدر ؛ لأن هذا القتل سفه» . اهـ

(٥) أخرجه الطبري في تفسـيره ٨/ ٥١ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٣٩٧ بسـند جيد عن قتادة . انظر : تفسير البغوي ٣/ ١٩٤ ، وابن الجوزي ٣/ ١٣٤ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٩٦ .

١٤١. قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ﴾ ذكر الزَّجَّاج وجه اتصال هذه الآية بما قبلها، فقال: «احتج الله عليهم، ونبَّه على عظيم ما أتوه في أن أقدموا على الكذب على الله، وَشرَّعوا من الدين ما لم يأذن به، فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ﴾، فكأنه قال: افتروا على الله، وهو المحدِث للأشياء، الفاعِل ما لا يقدر أحد على الإتيان بمثله، فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ﴾؛ أي أبدع»[(١)]. يقال: نشأ[(٢)] الشيء ينشأ نشأً ونشأةً ونشاءةً إذا ظهر وارتفع، والله ينشئه إنشاءً؛ أي[(٣)] يظهره ويرفعه، ويبتدئ خلقه.

قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ يقال: عَرَّشْتُ[(٤)] الكرم أَعْرِشُه عَرْشاً، وعَرَشْتُه تَعْرِيشاً إذا عطفت العيدان التي تُرسل عليها قُضبان الكَرْم، والواحد عَرْش، والجميع عُروش، ويقال: عَرِيش، وجمعه عُرُشٌ، واعْتَرَشَ العِنَبُ العَرِيشَ اعْتِراشاً إذا عَلاه[(٥)]. قال ابن عباس: «يريد: ما يعرش من الكروم. ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ يريد: أن كثيراً من الأعناب لا يُعرش»، هذا قوله في رواية

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٩٦.

(٢) الإنشاء: إيجاد الشيء وتربيتهِ، والنَّشْءُ والنَّشأةُ: إحداث الشيء وتربيته. يقال: نَشَأ (بالفتح) يَنْشأ نَشأ ونَشْأة ونشَاءة، وفي اللسان (نشأ) ٧/ ٤٤١٨: «نشأ يَنْشَأ نَشأ ونُشُوءاً ونَشَاءً ونَشْأةً ونَشَاءَةً: حَيي، وأنشأ الله الخلق؛ أي ابتدأ خلقهم». اهـ. انظر: العين ٦/ ٢٨٧، والجمهرة ٢/ ١٠٧٦، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٥٦٧، والصحاح ١/ ٧٧، والمجمل ٤/ ٨٦٨، والمفردات ٨٠٧.

(٣) في (أ): (أن يظهره) ثم صحح أعلى السطر (أي).

(٤) انظر: العين ١/ ٢٤٩، والجمهرة ٢/ ٧٢٨، والصحاح ٣/ ١٠٠٩، والمجمل ٣/ ٦٥٨، والمفردات ٥٥٨، واللسان (عرش) ٥/ ٢٨٨٢.

(٥) النص في تهذيب اللغة (عرش) ٣/ ٢٣٩٢.

عطاء[١]، وهو قول الضحاك[٢] والفرَّاء[٣]: «إن المعروشـــات وغير المعروشات كلاهما الكرم خاصة، منه ما عُرش، ومنه ما لا يُعرش».

وروي عـــن ابن عبـــاس أيضاً أنه قال: «﴿مَّعۡرُوشَٰتٖ﴾ ما انبســـط على وجه الأرض، وانتشر مما يعرش، مثل: الكروم والقرع والبطيخ، ﴿وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ﴾ ما قام على ساق وبسق[٤]، مثل النخل والزرع وسائر الأشجار»[٥].

وقولـــه تعالى: ﴿وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ﴾ فـــسَّر ابن عباس: «الـــزرع هاهنا بجميع الحبوب التـــي تقتات، ﴿مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ قال: يريد بـــكل شيء منها طعم غير

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٥٢، رقم ١٣٩٥٨ بسند ضعيف، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، وهو في تفسير عطاء الخراســـاني ٨٨، رقم ٢٠٨، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٩٢، وقال: «أخرجه أبو الشيخ، عن ابن عباس، وأخرج من وجه آخر عن ابن عباس (معروشات) قال: الكرم خاصة»، وعلَّق البخاري في صحيحه ٨/ ٢٨٧، في كتاب تفسير القرآن، سورة الأنعام، عن ابن عباس، قال: «(معروشـــات) ما يعرش من الكرم وغير ذلك»، وقال الحافظ بن حجـــر في فتح الباري ٨/ ٢٨٧، والعيني في عمدة القارئ ١٥/ ١٤٣: «وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: «﴿مَّعۡرُوشَٰتٖ﴾ ما يعرش من الكرم، ﴿وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ﴾ ما لا يعرش».

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٨٥ أ، والبغوي ٣/ ١٩٥، وابن الجوزي ٣/ ١٣٥.

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ٣٥٩، وقال الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٢٩٦: «ومعنى المعروشات هاهنا: الكروم». اهـ

(٤) بَسَـــق (بالفتح): طال، وارتفع. انظر: اللسان (بسق) ١/ ٢٨٤، وجاء الأثر عند البغوي في تفسيره ٣/ ١٩٥، وفيه (ونسق) بالنون بدل الباء، والنَّسَـــق: ما كان على طريقة نظام واحد. انظر: اللسان (نسق) ١٠/ ٧/ ٤٤١٢.

(٥) ذكـــره الثعلبي في الكشـــف ١٨٥ أ، والقرطبـــي ٧/ ٩٨، والخازن ٢/ ١٩٠، وأبـــو حيان في البحر ٤/ ٢٣٦، وأخـــرج الطبري في تفســـيره ٨/ ٥٢ بســـند جيد عن ابن عبـــاس، قال: «﴿مَّعۡرُوشَٰتٖ﴾ مســـموكات»، وفي روايـــة «﴿مَّعۡرُوشَٰتٖ﴾: ما عرش النـــاس ﴿وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ﴾: ما خرج في البر والجبال من الثمرات»، والظاهر أن المراد بالمعروشـــات: مـــا كانت مرفوعة على ما يحملها من دعائم كأشـــجار العنب وغيرها، وغير المعروشات هي المتروكة على وجه الأرض لم تعرش. وهو اختيار أبي عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٢٠٧، وأبي حيان في البحر ٤/ ٢٣٦، وفريد مصطفى ســـلمان في تفسير آيات الأحكام من سورتي الأنعام والأعراف ٨٥، ٨٦.

طعم الآخـــر»[١] . والأُكل كل ما أكل ، وهاهنا المراد بــه : ثمر النخل والزرع ، ومضى القول في الأُكل عند قوله تعالى : ﴿فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ [البقرة :٢٦٥] ، وانتصب (مختلفاً) على الحال[٢] ؛ أي أنشأه في حال اختلاف أُكله .

فإن قيل : كيف أنشـــأه في حال اختلاف أُكله وهو قد أنشـــأه من قبل ظهور أُكله ، وأُكله ثمره ؟ والجواب : ما ذكره الزَّجَّـــاج وابن الأنباري[٣] ، وهو : «أن الله تعالى قد دل على خلقه جميع الأشـــياء في غير موضع من كتابه ، فكان في ذلك دليل على إنشائه هذين قبل اختلاف أُكلهما ، ثم دل على أنه هو المنشئ لهما في حال اختلاف طعم الثمار ، فلم يجب بهذا أن يكون غير منشئ لهما في ما تقدَّم» .

قال الزَّجَّاج : «ويجوز أن يكون أنشأه ولا أُكل فيه ، ﴿مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ ؛ لأن المعنى : مقدِّراً ذلك فيه ، كما تقول : لتدخلن منزل زيدٍ آكلين شـــاربين ، والمعنى : أنكم تدخلون مقدِّرين ذلك ، وســـيبويه[٤] مثل هذا بقولهم : مررت برجل معه صقرا صائداً به غداً ، فنصب صائداً على الحال ، والمعنى : مقدِّراً به الصيد»[٥] .

وقـــال أبو بكر : «ويجوز أن يكون نصب ﴿مُخْتَلِفًا﴾ على القطع من ﴿وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ﴾ لا على الحـــال ، والقطع النعت ، فكأنه قال : ﴿وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ﴾ المختلف أكلهما فلـــَّما كان (مختلفاً) نكرةً ، ﴿وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ﴾ معرفتـــان ، لم تحمل نكرة على إعراب معرفة ، فقطعت من لفظهما ، أجاز الكسائي والفرَّاء[٦] : جاءني زيد أحمر

---

(١) ذكره الرازي في تفسيره ١٣/ ٢١٢ ، وانظر : تفسير الخازن ٢/ ١٩٠ ، والبحر المحيط ٤/ ٢٣٤ .

(٢) حال مقـــدَّرة ؛ لأن النخل والـــزرع وقت خروجهـــما لا أكل فيه ، حتى يقال فيـــه متفق أو مختلف . انظر : إعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٨٥ ، والمشـــكل ١/ ٢٧٤ ، وغرائب التفسير ١/ ٣٨٩ ، والبيان ١/ ٣٤٥ ، والتبيان ٣٦١ ، والفريد ٢/ ٢٣٩ ، والدر المصون ٥/ ١٨٧ .

(٣) لم أقف عليه عن ابن الأنباري .

(٤) الكتاب ٢/ ٥٢ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٩٦ .

(٦) قـــال الفرَّاء في معاني القرآن ١/ ١١ ، ١٢ ، في إعراب قوله تعـــالى : ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية :٢ البقرة] : =

يا هذا ، وقالا : أحمر ينتصب على القطع من زيد على أنه نعت في الأصل ، ودال على صاحبه ، فإن نصبت على الحال استحالت المسألة ، إذ كانت الحمرة في الرجل لا تنتقل كما ينتقل الركوب والقيام والجلوس ، فالذي ينصبُ (مختلفاً) على القطع يقول : معناه النعت» .

قال : «وأمّا توحيده الهاء[1] العائدة على ﴿وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ﴾ فلأنه اكتفى بإعادة الذكر على أحدهما من إعادته عليهما جميعاً ؛ كقوله عز وجل : ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ [الجمعة :١١] ، والمعنى : إليهما . وقوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾[2] [التوبة :٦٢] ، ويجوز أن تكون الهاء مخصوصاً بها النخل ؛ لأن أهل التفسير[3] قالوا في قوله : ﴿مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ ؛ أي منه الحامض والمر والحلو والجيد والرديء ، وكل هذا من نعت ضروب التمر»[4] .

وقوله تعالى : ﴿وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖ﴾ . قال أبو بكر -وهو قول غيره من المفسرين-[5] : «إن ورق الزيتون يشبه ورق الرمان في الشيوع ، في أن ورقه يشتمل على الغصن ويستره من أوله إلى آخره ، فأحدهما

= «في : (هُدى) النصب من وجهين : أن تجعل (الكتاب) خبراً ، لذلك فتنصب (هدى) على القطع ؛ لأن (هدى) نكرة اتصل بمعرفة قد تم خبرها فنصبتها ؛ لأن النكرة لا تكون دليلاً على معرفة ، وإن شئت نصبت (هدى) على القطع ، الحال من الهاء التي في (فيه) ، كأنك قلت : لا شك فيه هادياً» ، وانظر : معاني القرآن للفرّاء ١/ ٣٥٨ . قال السمين في الدر ٥/ ١٨٩ ، قال ابن الأنباري : «إن (مختلفاً) نصب على القطع ، فكأنه قال : والنخل والزرع المختلف أكلها ، وهذا رأي الكوفيين» . اهـ

(١) الضمير في (أكله) يعود على الزرع ؛ لأنه أقرب مذكور ولقرينة الحصد ، أو يعود على جميع ما سبق ؛ لأن التعميم أولى ، والمعنى : مختلف ما يخرج منه مما يؤكل من الثمر والحَب . وهو اختيار الطبري في تفسيره ٨/ ٥٢ ، وانظر : البحر المحيط ٤/ ٢٣٦ ، والدر المصون ٥/ ١٨٨ .

(٢) جاء في النسخ (أن ترضوه) بالتاء ، وهو خطأ واضح .

(٣) انظر : تفسير البغوي ٣/ ١٩٥ ، ولم أقف على مَن خصه بالنخل .

(٤) لم أقف عليه عن ابن الأنباري .

(٥) ومنهم ابن جريج ، فقد أخرج الطبري في تفسيره ٨/ ٥٢ بسند جيد عنه ، قال : «متشابهاً في المنظر ، وغير متشابه في الطعم» . اهـ . انظر : تفسير مقاتل ١/ ٥٩٣ ، والسمرقندي ١/ ٥١٨ ، وابن الجوزي ٣/ ٩٤ .

متشابه بالآخر في ورقه غير متشابه في ثمره ؛ لأن طعم الزيتون غير طعم الرمان ، ويجوز أن يكون التشـــابه وغير التشابه في كل واحد من الزيتون والرمان ، وذلك أن الرمان يشبه بعضه بعضاً في اللون والخِلقة ، ثم يختلف الطعم فمنه حلو ، ومنه حامض ، وكذلك الزيتون» ، وهذا قول الفرَّاء[(١)] ، وقد مرَّ القول في هذا .

وقوله تعالى : ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ أمر إباحة[(٢)] ، ومضى الكلام في الثَّمَر[(٣)] والثُّمُر .

وقولــه تعــالى : ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ . قال الأزهــري[(٤)] : «يريد -والله أعلم- يوم حَصْدِه» .

وقــال جميع أهل اللغة :[(٥)] «يقال : حِصَاد وحَصَــاد وجِزاز وجَزاز وقِطاف وقَطاف وجِداد وجَداد»[(٦)] ، وقال ســيبويه : «جاءوا بالمصادر حين أرادوا انتهاء الزمان على مثال فِعَال ، وربما قالوا فيه : فَعال»[(٧)] .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٥٩ ، والآية عامة ؛ أي متشــابه في المنظر ومختلف في الطعم ، كالنخل متعدد الأنواع والطعم ، والرمان منه الحلو والحامض ، أو متشــابه في الطعم ومختلف في المنظر ، والأول أدل على كمال قدرة الله وإبداع مخلوقاته .
انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٩٧ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٥٠٠ .

(٢) انظر : تفسير البغوي ٣/ ١٩٥ ، وابن عطية ٥/ ٣٧٠ .

(٣) انظر : البسيط ، تفسير سورة البقرة ٢٦٧ .

(٤) تهذيب اللغة (حصد) ٢/ ٨٩٤ .

(٥) انظر : العين ٣/ ١٢٢ ، والجمهرة ١/ ٥٠٣ ، والصحــاح ٢/ ٤٦٥ ، والمجمل ١/ ٢٣٨ ، والمفردات ٢٣٨ ، واللسان (حصد) ٢/ ٨٩٤ .

(٦) لفظ : (وجداد الثانية) ساقط من (ش) ، والمراد أن الجميع يقولون بفتح أوله وكسره ، ومعنى الحصاد والجــزاز والقطاف والجداد : هو قطع الثمر ووقت قطعه . انظر : اللســان (جدد) ١/ ٥٦٣ ، (جزز) ٢/ ٨٥٦ ، (قطف) ٩/ ٣٦٨٠ .

(٧) الكتاب ٤/ ١٢ ، وانظر : الحجة لأبي علي ٣/ ٤١٦ ، واللسان (جدد) ١/ ٥٦٣ .

واختلفوا في معنى قوله : ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾ ؛ أي حقٍّ هو ؟ فقال ابن عبــاس في رواية عطاء[١] : «يعني : زكاته ، يريد به : العشر ونصف العشر مما سقى بالســواني» ، وهذا قول طاووس[٢] ، والحسن[٣] ، وسعيد بن المسيب[٤] ، والضحاك[٥] ، وابن زيد[٦] ، وجماعة[٧] .

فإن قيل : كيف يؤدي الزكاة -على هذا- يوم الحصاد والْحب في السنبل ؟

فالجــواب : إن معناه قدِّروا إخراج الواجب منــه ، فإن وقت الحصاد قريب من زمان التنقية الذي هو وقت وجوب الإخــراج هذا في الزرع ، فأمَّا في النخل فلا اختلاف بين المســلمين أن ثمارها إذا حصدت وجب إخراج ما يجب فيها من الصدقة . وقوله تعالى : ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾ ظاهر في ﴿وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ﴾ ،

---

(١) ذكره الرازي في تفســيره ١٣/ ٢١٣ ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، وأخرج الطبري في تفســيره ٨/ ٥٣ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٣٩٨ ، والبيهقي في ســننه ٤/ ١٣٢ ، وابن الجوزي في نواسخ القرآن ٣٣٢ من طرق عدة جيدة عن ابن عباس ، قال : «العشر ونصف العشر» ، وأخرج أبو عبيد في ناسخه ٣١ ، والطبري في تفسيره ٨/ ٥٤ بسند جيد عن ابن عباس ، قال : «حقه زكاته المفروضة يوم يكال أو يعلم كيله» . اهـ

(٢) أخرجه عبدالرزاق في المصنف ٤/ ١٤٥ ، وفي التفســير ١/ ٢/ ٢١٩ ، والطبري في تفســيره ٨/ ٥٤ ، والبيهقي في سننه ٤/ ١٣٢ ، وابن الجوزي في نواسخ القرآن ٣٣٢ من طرق عدة جيدة .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٥٣ ، والنحاس في ناســخه ٢/ ٣٢٥ ، وابن الجوزي في نواسخ القرآن ٣٣٢ ، من عدة طرق جيدة ، وأخرج أبو عبيد في ناسخه ٣١ ، والطبري في تفسيره من طرق عدة جيدة عن الحسن ، قال : «هي الصداقة من الحَب والثمار» . اهـ

(٤) أخرجه عبدالرزاق في المصنف ٤/ ١٤٥ ، والطبري في تفسيره ٨/ ٥٤ بسند ضعيف .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٢/ ٤٠٨ (١٠٨٤) ، والطبري في تفسيره ٨/ ٥٤ بسند ضعيف .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٥٤ بسند جيد .

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٥٣ ، ٥٤ ، من عدة طرق ، عن أنس بن مالك ، وجابر ابن زيد ، ومحمد ابن الحنفية ، وقتادة ، وزيد بن أســلم . وزاد النحاس في ناســخه ٢/ ٣٢٥ نســبته إلى مالك ، وعطاء الخراساني . وزاد هود الهواري في تفسيره ١/ ٥٦٦ نسبته إلى سعيد بن جبير . وزاد ابن كثير في تفسيره ٢/ ٢٠٣ ابن جريج . قال الماوردي في تفســيره ٢/ ١٧٨ : «قال الجمهور : هي الصدقة المفروضة فيه العشر في ما سقي بغير آلة ، ونصف العشر في ما سقي بآلة» . اهـ

محمول عليه في وجوب الإخراج منه، إلَّا أنه لا يمكن ذلك عند الحصاد، فيؤخر إلى زمان التنقية[(١)].

وقال بعضهم: «هذا حق في المال سوى الزكاة، أمر الله تعالى به تأديباً وحضّاً على البر، فإن فُعل فحسن، وإن لم يُفعل فلا شيء على تاركه، وليس بأمرٍ حتمٍ».

وهذا قول عطاء[(٢)]، وحماد[(٣)]، والحكم[(٤)(٥)]، ومجاهد، وإبراهيم، والربيع. قال مجاهد: «إذا حصدت فحضرك المساكين فاطرح لهم منه، وإذا دسته وذريته فاطرح لهم منه، وإذا كدسته فاطرح لهم منه، فإذا عرفت كيله فاعزل زكاته»[(٦)]، وقال إبراهيم[(٧)]: «هو الضِّغْث»[(٨)]، وقال الربيع[(٩)]: «لقاط السنبل»[(١٠)]. وفي

---

(١) انظر: زاد المسير ٣/ ١٣٥ـ١٣٦.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في المصنف ٤/ ١٤٣، والطبري في تفسيره ٨/ ٥٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٣٩٨، والبيهقي في سننه ٤/ ١٣٢، وابن الجوزي في نواسخ القرآن ٣٣٣، ٣٣٤، من طرق عدة جيدة.

(٣) أثر حماد بن زيد الأزدي، أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٥٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٣٩٨ بسند جيد، وذكره الثعلبي في الكشف ١٨٥ أ، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٩٥.

(٤) الحكم بن عُتَيبَة الكندي أبو محمد الكوفي، إمام عابد، ثقة، ثبت، فقيه، من كبار أصحاب إبراهيم النخعي، توفي سنة ١١٣هـ، أو بعدها، وله نيف وستون سنة. انظر: الطبقات الكبرى ٦/ ٣٣١، والجرح والتعديل ٣/ ١٢٣، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢٠٨، وتذكرة الحفاظ ١/ ١١٧، وتهذيب التهذيب ١/ ٤٦٦، وتقريب التهذيب ١٤٥٣.

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف ١٨٥ أ، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٩٥.

(٦) تفسير مجاهد ١/ ٢٢٥، وأخرجه سفيان الثوري في تفسيره ١٠٩، وعبدالرزاق ١/ ٢/ ٢١٩، وفي المصنف ٤/ ١٤٤ـ١٤٥، وأبو عبيد في ناسخه ٣١ـ٣٢، وابن أبي شيبة في المصنف ٢/ ٤٠٨ (١٠٤٧٧)، والطبري في تفسيره ٨/ ٥٦، ٥٧، وابن أبي حاتم ٥/ ١٣٩٨، والبيهقي في سننه ٤/ ١٣٢، وابن الجوزي في نواسخ القرآن ٣٣٣ من عدة طرق جيدة، وبألفاظ مختلفة.

(٧) الأثر عن إبراهيم النخعي، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٢/ ٤٠٨ (١٠٤٨١)، والطبري في تفسيره ٨/ ٥٦ من طرق عدة جيدة.

(٨) الضِّغْث (بكسر فسكون): ملء اليد من النبات المختلط. انظر: اللسان (ضغث) ٥/ ٢٥٩١.

(٩) الأثر عن الربيع بن أنس، أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٥٧ بسند لا بأس به.

(١٠) لَقَاط السُّنبُل (بضم اللام وفتحها): ما يلتقطه الناس من نُثارة الثمر، والذي تخطته المنَاجِل فيلتقطه الناس. انظر: اللسان (لقط) ٧/ ٤٠٦١.

الآيــة قول ثالث ، هو : إن هذا كان قبل وجوب الزكاة فلمَّا فرضت الزكاة نســخ هذا ، وهو[(١)] قول ســعيد بن جبير[(٢)] ، وعطية[(٣)] ، والسُّــدِّي . قال السُّــدِّي : «نسخها العشر ونصف العشر»[(٤)] .

وقال مقسم عن ابن عباس : «نسخت الزكاة كل نفقة في القرآن»[(٥)] ، والقول هو الأول[(٦)] .

---

(١) في (أ) : (وهذا) .

(٢) أخرجــه أبو عبيد في ناســخه ٣٢ ، والطبري في تفســيره ٨/ ٥٨ ، والنحاس في ناســخه ٢/ ٣٢٢ ، والبيهقي في سننه من عدة طرق جيدة .

(٣) الأثر عن عطية العوفي . أخرجه ابن أبي شــيبة في المصنف ٢/ ٤٠٨ (١٠٤٨٥) ، والطبري في تفسيره ٨/ ٥٩ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٣٩٨ ، وابن الجوزي في نواسخ القرآن ٣٣٤ بسند جيد .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٢/ ٤٠٨ (١٠٤٨٠) ، والطبري في تفسيره ٨/ ٥٨ ، ٥٩ من طرق عدة جيدة .

(٥) أخرجه أبو عبيد في ناســخه ٣٣ بســند جيد ، وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف ٢/ ٤٠٨ (١٠٤٨٦) ، والطبري في تفسيره ٨/ ٥٨ ، والنحاس في ناسخه ٢/ ٣٢٣ بسند جيد عن ابن عباس ، قال : «نسخها العشر ونصف العشر» . اهـ . وقد أخرج ابن أبي شيبة في المصنف ، والطبري في تفسيره القول بالنسخ عن جماعة من السلف رضي الله عنهم ، ويحمل هذا على أن مفهوم النسخ عندهم أوسع كما بيَّنَّا .

(٦) الظاهر ـ وهو قول الجمهور ـ أن الآية محكمة ، وقد رجَّح هذا أبو عبيد في ناســخه ٣٣ـ٣٧ ، ومكي في الإيضاح ٢٤٤ـ٢٤٧ ، وابن العربي في ناسخه ٢/ ٢١٧ ، وابن عطية في تفسيره ٥/ ٣٧١ ، والرازي ١٣/ ٢١٣ ، ومصطفى زيد في ناســخه ٢/ ٧٢ـ٧٣ ، وغيرهم ؛ لأنــه لا تنافي بينهما وبين عامة آيات الزكاة ، ولا بينها وبين ما جاء في الســنَّة من تحديد أنصبة الــزكاة ومقاديرها ؛ إذ أصل الزكاة شرع في أول الإســلام من دون تحديــد ، وفي المدينة المنورة حدِّدت بمقاديرها المفروضــة . قال ابن العربي في أحــكام القرآن ٢/ ٧٦١ : «قد قــال مالك : إن المراد به : الزكاة المفروضــة ، وتحقيقه في نكتة بديعة ، وهــي أن القول في أنها مكية أو مدنية يطول ، فهبكم أنهــا مكية إن الله أوجب الزكاة بها إيجاباً مجملاً ، فتعين فــرض اعتقادها ووقف العمل بها على بيان الجنس والقدر والوقت ، فلم تكن بمكة حتى تمهد الإسلام بالمدينة فوقع البيان ، فتعين الامتثال ، وهذا لا يفقهه إلَّا العلماء بالأصول» . وقد نقل الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٢٩٧ عن قوم إنها مدنية ، وقال الحافظ ابن كثير في تفســيره ٢/ ٢٠٦ : «اختار ابن جريج النســخ ، وفي تسمية هذا نسخاً نظر ؛ لأنه قد كان شيئاً واجباً في الأصل ثم إنه فصل بيانه وبُيِّن مقدار المخرج وكميته ، قالوا : وكان هذا في الســنة الثانية من الهجرة ، فالله أعلم» . اهـ . انظر : معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٥٩ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٥٠٠ ، والبحر المحيط ٤/ ٢٣٧ .

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ قال أبو العباس[(١)] عن ابن الأعرابي: «السَّرَف تجاوز ما حُدَّ لك»[(٢)].

وقال شمِر: «سَرَف الماء ما ذهب منه في غير سقي ولا نفع، يقال: أرْوَت البئر النخيل وذهب بقيَّة الماء سَرَفاً»[(٣)]، فإن أخذت الإسراف مما قاله ابن الأعرابي فهو مجاوزة الحد، وإن أخذت من قول شمِر فهو الإنفاق في ما لا يجدي عليك[(٤)].

وقد فُسِّر الإسراف بالوجهين[(٥)] في هذه الآية.

وقال ابن عباس: «كان رجال يتبرعون عند الصرام، فيقول الرجل: لا أمنع سائلاً حتى أمسي، فعمد ثابت بن قيس بن شماس إلى خمس مئة نخلة فجدَّها ثم قسمها في يوم واحد، ولم يدخل منها إلى منزله شيئاً، فأنزل الله ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾؛ أي لا تعطوا كله»[(٦)].

---

(١) ثعلب أحمد بن يحيى، إمام، تقدمت ترجمته.

(٢) تهذيب اللغة ٢/ ١٦٧٥-١٦٧٦.

(٣) الإسراف لغةً: ضد القصد والإغفال والجهل والخطأ. وأصله مجاوزة الحد في كل فعل، وهو في الإنفاق أشهر، والإسراف في النفقة: التبذير، وأمَّا السرف الذي نهى الله تعالى عنه فهو: ما أُنفق في غير طاعة الله قليلاً كان أو كثيراً. انظر: العين ٧/ ٢٤٤، والجمهرة ٢/ ٧١٦، والصحاح ٤/ ١٣٧٣، ومجمل اللغة ٢/ ٤٩٣، والمفردات ٤٠٧، واللسان (سرف) ٤/ ١٩٩٦.

(٤) انظر: تفسير الماوردي ٢/ ١٧٨، ١٧٩، وابن الجوزي ٣/ ١٣٦.

(٥) ذكره أكثرهم. انظر: السمرقندي ١/ ٥١٩، والوسيط ١/ ١٢٩، والبغوي ٣/ ١٩٥، وابن الجوزي ٣/ ١٣٦، والقرطبي ٧/ ١١٠، والخازن: ٢/ ١٩١، وتنوير المقباس ٢/ ٦٨، وأخرجه الطبري ٨/ ٦١ بسند جيد عن ابن جريج، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٩٣، وأخرج عبدالرزاق في المصنف ٤/ ١٤٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٣٩٩ بسند جيد عن ابن جريج، قال: «جَدَّ معاذ بن جبل -رضي الله عنه- نخله، فلم يزل يتصدق حتى لم يبقَ منها شيء، فنزلت الآية». وهذا مرسل، والأول أشهر، لكنه ضعيف؛ لأن أكثرهم قد صرَّح أنه من رواية الكلبي.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٦١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٣٩٩ بسند جيد عن السُّدِّي، قال: «لا تعطوا أموالكم فتغدوا فقراء».

وهذا قول السُّــدِّي[١] ويمانٍ والفرَّاء[٢]، وحكاه الزَّجَّاج أيضاً، وقال[٣]: «فيكــون على هذا التأويل، أن الإنســان إذا أعطى كل ماله، ولم يوصل إلى عياله شــيئاً فقد أسرف؛ لأنه جاء في الخبر: ابــدأ بمَن تعول»[٤]، فهــذا مجاوزة حد الإعطاء.

وقال سعيد بن المسيب: «معناه: لا تمنعوا الصدقة»[٥]، وهذا يتوجه على أن تأويله: لا تتجاوزوا الحد في البخل والإمساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة، وهذا ضد القول الأول، ولكنهما راجعان إلى معنى مجاوزة الحد، فالأول: مجاوزة في الإعطاء. والثاني: مجاوزة في البخل.

وقال مقاتل[٦] وعطية: «معناه: لا تشركوا الأصنام في الحرث والأنعام»[٧]، وهــذا أيضاً من باب المجاوزة؛ لأن مَــن أشرك الأصنام في الحرث والأنعام فقد جــاوز ما حُدَّ له. روى عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا

(١) ذكره الثعلبي ١٨٥ بلفظ: (لا تبذروا تبذيراً). اهـ

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٥٩.

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٩٧.

(٤) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحــه ١٤٢٧، كتاب: الزكاة، باب: لا صدقة إلاَّ عن ظهر غنى، ومسلم ١٠٣٤، كتاب: الزكاة، حديث ١٠٣٤ـ١٠٣٦، عن حكيم بن حزام رضي الله عنــه، عن النبي ﷺ قال: «أفضل الصدقة أو خير الصدقة عــن ظهر غنى، واليد العليا خير من اليد الســفلى، وابدأ بمَن تعول». اهـ لفظ مسلم، وأخرج البخاري أيضاً عن أبي هريرة، ومسلم عن أبي أمامة نحوه.

(٥) أخرجه عبدالــرزاق في المصنف ٤/ ١٤٥، والطبري في تفســيره ٨/ ٦١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٣٩٩ بسند ضعيف.

(٦) تفسير مقاتل ١/ ٥٩٣.

(٧) ذكره الثعلبي في الكشف ١٨٥ أ، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ١٣٦ عن عطية العوفي.

﴿يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ : «لا تجعلوا الله شريكاً ، إنه لا يحب مَن جعل له شريكاً»[(١)] ، وهذا أيضاً من مجاوزة الحد .

وقال إياس بن معاوية[(٢)] : «ما جاوزت به أمر الله فهو سرف وإسراف»[(٣)] ، وهذا كله على الأصل الذي ذكره ابن الأعرابي ، وقال الزهري : «معناه : لا تنفقوا في معصية الله»[(٤)] ، وقال مجاهد : «لو كان أبو قبيس[(٥)] ذهباً فأنفقه رجل في طاعة الله لم يكن مسرفاً ، ولو أنفق درهماً في معصية الله كان مسرفاً»[(٦)] ، وهذا المعنى أراد حاتم الطائي[(٧)] حين قيل له : لا خير في السرف ، فقال : «لا سرف في الخير»[(٨)] ،

---

(١) تنوير المقباس ٢/ ٦٨ ، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ١٣٩٩ بسند جيد عن عطاء ، عن ابن عباس في قوله ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ ، قال : «في الطعام والشراب» ، وأخرج أيضاً بسند جيد عن طاووس ، عن ابن عباس في الآية ، قال : «أحل الله الأكل والشراب ما لم يكن سرفاً أو مخيلة» . اهـ ، واختار هذا القول ابن كثير في تفسيره ٢/ ٢٠٤ .

(٢) هو إياس بن معاوية بن قُرة بن إياس المزني أبو واثلة ، قاضي البصرة ، تابعي ، ثقة فقيه ، يضرب به المثل في الذكاء والدهاء والعقل والفطنة والفصاحة ، توفي سنة ١٢٢هـ ، وله ٧٦سنة . انظر : حلية الأولياء ٣/ ١٢٣ ، ووفيات الأعيان ١/ ٢٤٧ ، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٥٥ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٢/ ١٧٨ .

(٣) أخرجه الطبري ٨/ ٦١ ، وذكره الثعلبي ١٨٥ أ ، والبغوي ٣/ ١٩٦ ، والقرطبي ٧/ ١١٠ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ٢٣٨ ، والسيوطي في الدر ٣/ ٩٤ .

(٤) الأثر عن عطية العوفي . أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٢/ ٤٠٨ (١٠٤٨٥) ، والطبري في تفسيره ٨/ ٥٩ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٣٩٨ ، وابن الجوزي في نواسخ القرآن ٣٣٤ بسند جيد .

(٥) أبو قُبَيْس (بضم القاف ، وفتح الباء ، وسكون الياء ، بلفظ التصغير) : اسم الجبل المشرف على مكة من جهة الصفا . انظر : معجم البلدان ١/ ٨٠ .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ١٣٩٩ بسند جيد ، وذكره السمرقندي في تفسيره ١/ ٥١٩ ، والثعلبي ١٨٥ أ ، والبغوي ٣/ ١٩٦ .

(٧) حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي أبو عدي ، فارس جاهلي ، وشاعر مشهور بجوده وخلقه وسماحته ، ويضرب المثل بجوده ، تميز شعره بالإشادة بالسخاء والحكم الجميلة ، توفي في السنة الثامنة بعد مولد النبي ﷺ . انظر : الشعر والشعراء ١٤٣ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣/ ٤٢٤ ، والأعلام ٢/ ١٥١ .

(٨) ذكره الثعلبي في الكشف ١٨٥ أ ، والرازي ١٣/ ٢١٤ ، والقرطبي ٧/ ١١٠ .

وهذا على الأصل الثاني في معنى السرف ؛ ذلك أن مَن أنفق في معصية ، فقد أنفق في ما لا يجدي عليه[١] .

١٤٢. قوله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًاۚ﴾ الآية معناها : وأنشأ من الأنعام حمولةً وفرشاً ؛ لأن قوله : ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ نسق على قوله : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ﴾ [الأنعام:١٤١] ، قاله[٢] الفرَّاء[٣] وأبو إسحاق[٤] .

وأمَّا الحمولة فقال الفرَّاء : «الحمولة : ما أطاق العمل والحمل ، والفرش : الصغار»[٥] .

وقال ابن السكيت : «قال أبو زيد : الحمولة : ما احتمل عليه الحيُّ من بعير أو حمار أو غيره كانت عليها أحمال أو لم تكن ، وأنكر أبو الهيثم ما قاله أبو زيد ، وقال : الحمولة من الإبل التي تحمل الأحمال على ظهرها ، فأمَّا الحُمر والبغال فلا

---

(١) الظاهر أن الخطاب عام ، والمتبادر من الآية النهي عن تجاوز الحد في الإنفاق وفي الأكل والشرب ، والمسلم مطالب بالبُعْد عن الحرام أصلاً وليس بالإسراف فيه فقط ، وهذا هو اختيار الطبري في تفسيره ٨/ ٦١ ، والنحاس في ناسخه ٢ / ٣٣٦ ، وانظر : القرطبي ٧/ ١١٠ ، وابن كثير ٢/ ٢٠٤ ، وتفسير آيات الأحكام من سورتي الأنعام والأعراف لفريد مصطفى سلمان ٩٩-١٠١ .

(٢) في (ش) : (قال) ، وهو تحريف .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٥٩ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٩٨ ، وقال النحاس في إعراب القرآن ١/ ٥٨٦ ، ومكي في المشكل ١/ ٢٧٤-٢٧٥ : «قوله : ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًاۚ﴾ نصب على العصف على (جنات) ؛ أي وأنشأ من الأنعام حمولةً وفرشاً» . اهـ

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٥٩ .

تدخل في الحمولـــة»(١) ، وقال الليث : «الحمولة : الإبل التي تحمل الأثقال»(٢) ، وقال النابغة :

وأنـزلـت بـيـتي في يَـفَـاعٍ مُمَنَّعٍ نُـخَالُ بِهِ راعِـي الـحَمُولةِ طَـائِرَا(٣)

وقال عنترة :

مَـا رَاعَـني إلَّا حَمُـولَة أَهـلِـهَا وَسْطَ الدِّيارِ تَسَفُّ حَبَّ الخِمْخِمِ(٤)

وأمَّا الفرش فقال أبو إسحاق : «أجمع أهل اللغة(٥) على أن الفرش صغار الإبل» . قال : «وقال بعض المفسرين : الفرش صغار الأنعام ، وإن البقر والغنم من الفرش» ، قال : «ويدل على هذا قوله تعالى : ﴿ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام :١٤٣] ، فلمَّا جاء هذا بدلاً من قوله ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ جعله للبقر والغنم مع الإبل»(٦) .

---

(١) تهذيب اللغة (حمل) ١/ ٩٢٥ ، وفيه قال أبو الهيثم : «الحَمُولة من الإبل : التي تحمل الأحمال على ظهورها ، بفتح الحاء ، والحمولة بضم الحاء : هي الأحمال التي تحمل عليها ، واحدها حِمْل وأَحمال وحُمول وحُمولة . فأمَّا الحُمُر والبغال فلا تدخل في الحَمُولة» . اهـ

(٢) تهذيب اللغة ١/ ٩٢٥ ، وفيه ضبط (الحَمُولة) بالفتح ، وقال : «والحُمُول ، بالضم : الإبل بأثقالها» . انظر : العين ٣/ ٢٤٢ ، والجمهرة ١/ ٥٦٦ ، والصحاح (حمل) ٤/ ١٦٧٦ .

(٣) ديوان النابغة الذبياني ٤٧ ، والكتاب ١/ ٣٦٨ ، والأصول ١/ ٢٠٧ ، وتهذيب اللغة ١/ ٩٢٥ ، واللسان (حمل) ٢/ ١٠٠٤ ، والدر المصون ٥/ ١٩١ ، وجاء في هذه المصادر : (وحلت بيوتي) بدل (وأنزلت بيتي) . اليفاع : المُشْرِف من الأرض . انظر : اللسان (يفع) ٨/ ٤٩٦٣ . وقوله : يخال طائراً ؛ أي كالطائر في صغره لبُعْده في السماء ، أو كالطائر المحلِّق في الهواء .

(٤) ديوانه ١٧ ، والقرطبي ٧/ ١١٢ ، والدر المصون ٥/ ١٩١ ، وهو من معلقته المشهورة .
راعني : أفزعني ، وتسف : تأكل ، والخمخم : نبت تعلفه الإبل .
يقول : «لمَّا رأيت أهلها يتحملون راعني ذلك لفراقي إياها» . انظر : شرح القصائد لابن الأنباري ٣٠٤ ، والنحاس ٢/ ١٣ ، وجمهرة أشعار العرب ١٦١ .

(٥) انظر : الجمهرة ٢/ ٧٢٩ ، والصحاح ٣/ ١٠١٤ ، والمجمل ٣/ ٧١٥ ، والمفردات (فرش) ٦٢٩ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٩٨ .

قال الأزهري[١] : «ومما يحقق هذا قوله :

وَلَنا الحَامِلُ الحَمولـةُ والـفرشُ   منَ الضَّأنِ والْحُصُونُ السُّيوفُ»[٢] .

وقال الليث : «الفرش : من النعم التـي لا تصلح إلَّا للذبح ، وهي ما دون الْحَمولة»[٣] ، وقال الكسـائي[٤] : «الحمولة ما حمل ، والفرش الصغار»[٥] ، هذا قول أهل اللغة[٦] في تفسير الحرفين .

وأمَّا[٧] المفسرون فقـال عطاء عن ابن عبـاس : «﴿حَمُولَةً﴾ : الحوامل ، ﴿وَفَرْشًاۚ﴾ : الذي ليس بحامل»[٨] .

---

(١) تهذيب اللغة ٣/ ٢٧٦٩ .

(٢) لم أهتدِ إلى قائله ، وقد جاء في النسـخ ، وفي اللسـان (فرش) ٦/ ٣٣٨٣ عن الأزهري : «والحصون السُّـيوف» ، وفي تهذيب اللغة ٣/ ٢٧٦٩ : «الحصون الشُّيوف» بالشين بدل السين ، ولعله أصح لأن الشُّيوف : المرتفع المزين . انظر : اللسان (شوف) ٤/ ٢٣٦١ .

(٣) العين ٦/ ٢٥٦ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٧٦٩ .

(٤) لم أقف عليه عند الكسـائي بعد طول بحث ، وهو قول ثعلب في مجالسـه ٤٢٥ ، وابن السـكيت في إصـلاح المنطق ٣٣٥ . قال ابن الأنبـاري في شرح القصائد ٣٠٤ : «الحمولـة : الإبل التي تطيق أن يحمل عليها ، والفرش : الصغار التي لا تطيق الحمل عليها ، وقال بعض المفسرين : الحمولة : الإبل . والفرش : البقر والغنم ، وأهل اللغة على القول الأول» . اهـ .

(٥) لفظ : (الصغار) مكرر في (أ) .

(٦) انظر : مجاز القرآن ١/ ٢٠٧ ، وغريب القرآن لليزيدي ١٤٣ ، وتفسـير غريب القرآن ١/ ١٧٢ ، ونزهة القلوب للسجسـتاني ٢٠٢ ، ٣٥٢ ، وتفسـير المشـكل ٨٠ ، والظاهر أن الحمولة ما حمل من الأنعام ، والفرش : الصغار ؛ لأنها دانية من الأرض ، وهذا هو قول الجمهور ، واختاره الطبري في تفسيره ٨/ ٦٤ ، أو الفرش : ما يفرش للذبح أو ينسـج من وبره وصوفه وشـعره ، الفرش . وقد استحسـنه ابن كثير في تفسيره ٢/ ٢٠٥ ، وقال النحاس في إعراب القرآن ١/ ٥٨٦ : «ومن أحسن ما قيل : إن الحمولة المسخرة المذللة للحمل ، والفرش : ما خلقه الله ـ عز وجل ـ من الجلود والصوف مما يجلس عليه ويتمهد» . اهـ . انظر : معاني القرآن للنحاس ٢/ ٥٠٣ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ٣٧٣ ، والرازي ١٣/ ٢١٦ .

(٧) في (ش) : فأمَّا .

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٦٤ بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس .

وقال ابن مسعود: «الحمولة: الكبار، والفرش: الصغار»[(١)].

وقال الحسن: «الفرش: الحواشي»[(٢)].

وروي عن ابن عباس[(٣)]: «أن الحمولة: الإبل والخيل والبغال والحمير، وكل شيء يحمل عليه، وأمَّا الفرش: فالغنم»[(٤)]، وهذا مثل قول أبي زيد في الحمولة.

وقال مجاهد: «الحمولة: ما حمل عليها، والفرش: صغار الإبل»[(٥)]، وقال قتادة: «الحمولة: الإبل، والفرش: البقر والغنم»[(٦)]، وقال الربيع بن

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٦٢، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٠٠ بسند جيد، وأخرج الطبري في تفسيره ٨/ ٦٢، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٠٠، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣١٧، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي في التلخيص عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «الحمولة: ما حمل من الإبل، والفرش: الصغار»، وفي رواية عند الطبري قال: «الحمولة: الكبار من الإبل، والفرش: الصغار من الإبل»، وروي بسند جيد عن ابن مسعود مثله في تفسير مجاهد ١/ ٢٢٥، ٢٢٦، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٩٤، وانظر: مجمع الزوائد ٧/ ٢٢.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢١٩، ٢٢٠، والطبري ٨/ ٦٣ بسند جيد عن الحسن، قال: «الحمولة: ما حمل عليه، والفرش: حواشيها، يعني: صغارها».

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٦٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٠٠ بسند جيد، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٩٥، وعلَّق البخاري في صحيحه ٥/ ١٩٢ عن ابن عباس، قال: «حمولة ما يحمل عليها». اهـ، وأخرج الطبري في تفسيره ٨/ ٦٢ بسند ضعيف عن ابن عباس، قال: «الحمولة: الكبار، والفرش: الصغار من الإبل». اهـ، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ١٤٠١ بسند جيد عن ابن عباس، قال: «الفرش: صغار الإبل»، وذكر السيوطي في الدر ٣/ ٩٤ عن ابن عباس أنه قال: «الفرش: الصغار من الإبل»، وفي رواية: «الفرش: ما أكل منه». اهـ

(٤) في (أ) (وأمَّا الفرش الغنم)، وهو تحريف.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٦٢ من طرق عدة جيدة عن مجاهد، قال: «الحمولة: ما حمل من الإبل، والفرش: ما لم يحمل»، وفي رواية قال: «الفرش: صغار الإبل».

(٦) أخرج عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٢٠، والطبري ٨/ ٦٣ بسند جيد عن قتادة، قال: «الحمولة: الإبل والبقر، والفرش: الغنم»، ولم أقف عليه عن قتادة بلفظ: «الفرش: البقر والغنم».

أنس : «الحمولة : الإبل والبقر ، والفرش : الماعــز والضأن»(١) ، ونحو ذلك قال الكلبي(٢) .

وقوله تعالى : ﴿كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ قــال ابن عباس : «يريد :أحل الله لكم الذبائح مما ذكر اسم الله عليه»(٣) .

وقال أبو إسحاق : «أي لا تُحرِّموا ما حرَّمتم مما جرى ذكره»(٤) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾ يريد : ما زيَّن الشـيطان وشرع عمرو بن لحي ؛ قاله ابن عباس(٥) ، وقال الزَّجَّاج : «المعنى : لا تسـلكوا الطريق الذي يُسَوِّله لكم الشيطان»(٦) .

وقولــه تعالى : ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ قال ابن عبــاس : «يريد : بيِّن العداوة ، أخرج آدم من الجنة ، وهو القائل : ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء:٦٢]»(٧) .

١٤٣. وقولــه تعــالى : ﴿ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ الآية . انتصب (ثمانيــة) بالبدل من ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ في قــول الفرَّاء والزَّجَّاج(٨) . قــال الفرَّاء : «وإن

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٦٣ بسند لا بأس به .

(٢) تنوير المقبــاس ٢/ ٦٨ ، وفيه قال : «الحمولة : ما يحمل عليها ، مثل الإبــل والبقر . والفرش : ما لا يحمل عليها ، مثل الغنم وصغار الإبل» . اهـ

(٣) لم أقف عليه . انظر : معاني القرآن للنحاس ٢/ ٥٠٤ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ٣٧٣ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٩٨ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) معاني القــرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٩٨ ، وقال : «هذا هــو الذي تدل عليه اللغة» . انظر : تفســير الطبري ٨/ ٦٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٥٠٤ ، ٥٠٥ .

(٧) لم أقف عليه . في تنوير المقباس ٢/ ٦٨ ، قال : «ظاهر العداوة يأمركم بتحريم الحرث والأنعام» .

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٩٩ ، وهو قول الطبري في تفسيره ٨/ ٦٥ .

شئت أضمرت لها فعلاً»(١) ، وقال ابن قتيبة : «أي كلوا مما رزقكم الله ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾»(٢) .

قال الفرَّاء : «الذكر زوج ، والأنثى زوج»(٣) ، وهو قول ابن عباس : «يريد : بالزوج الواحد الذكر(٤) زوج ، والأنثى زوج»(٥) .

وقال ابن قتيبة : «والثمانية الأزواج : الضأن ، والماعز ، والإبل ، والبقر ، [فالضأن والماعز ذكرا في هذه الآية ، والإبل والبقر(٦)] في ما بعدها ، قال : وإنما جعلها ثمانية وهي أربعة ؛ لأنه أراد ذكراً وأنثى من كل صنف ، فالذكر زوج ، والأنثى زوج ، يقع على الواحد وعلى الاثنين(٧) ، ألا ترى أنك تقول للرجل : زوج وهو واحد ، وللمرأة زوج وهي واحدة ، قال الله تعالى : ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم : ٤٥]»(٨) .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٥٩ .

(٢) تأويل مشكل القرآن ٣٣٩ ، وفيه : «وإن شئت جعلته منصوباً بالرد إلى الحمولة ، والفرش تبييناً لها» ، وبعضهم قدَّر : وأنشأ ثمانية أزواج ، أو كلوا لحم ثمانية أزواج . انظر : معاني القرآن للأخفش ٢/ ٢٨٩ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٨٦ ، والمشكل ١/ ٢٧٥ ، والبيان ١/ ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، والتبيان ٣٦١ ، والفريد ٢/ ٢٤١ ، والدر المصون ٥/ ١٩٢ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٥٩ ، وقال الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٢٩٩ : «والزوج في اللغة : الواحد الذي يكون معه آخر» . انظر : معاني القرآن للنحاس ٢/ ٥٠٥ .

(٤) في (ش) : (يريد بالزوج : الذكر الواحد زوج ، وبالأنثى : زوج) .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) .

(٧) قال ابن الأنباري في الأضداد ٣٧٣-٣٧٥ : «مَن ادَّعى أن الزوج يقع على الاثنين ، فقد خالف كتاب الله جل وعز ، وجميع كلام العرب إذ لم يوجد فيهما شاهد له ، ولا دليل على صحة تأويله . وإنما يقال للاثنين : زوجان ، قال الله عز وجل ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ الآية فكان المعنى : ثمانية أفراد أنشأ من الضأن اثنين ، وكذلك ما بعدهما ، فالأزواج معناها : الأفراد لا غير» . اهـ ملخصاً ، وانظر : المذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ٥١٥-٥١٧ ، والزاهر ٢/ ١٩٨ .

(٨) تأويل مشكل القرآن ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، وانظر : معاني القرآن للأخفش ٢/ ٢٨٩ ، وتهذيب =

وقوله تعالى : ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ يعني : الذكر والأنثى ، والضأن : ذوات الصوف من الغنم(١) .

قال الزَّجَّاج : «وهي جمع ضائن وضائنة مثل : تاجرٍ وتَجرٍ»(٢) ، وتجمع الضأن أيضاً(٣) : الضِّئين والضَّئين بالكسر والفتح(٤) .

وقوله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ﴾ وقُرئ (المعَــز)(٥) بفتح العين ، والمْعْز والمْعَزُ ذوات الشعر من الغنم ، ويقال للواحد : مَاعِز ، وتجمع مِعزى ومَعِيزاً(٦) ، وحكى أبو زيد : (الأمعوز)(٧) ، وأنشد :

كالتَّيْسِ في أَمْعُوزِهِ المُتَرَبَّلِ(٨)

= اللغة ٢/ ١٥٧٥ ، واللســان (زوج) ٣/ ١٨٨٥ . وقد ذكر الأخفش في معــاني القرآن ، والطبري في تفسيره ٨/ ٦٥ : «أنه يقال للاثنين : هما زوج» .

(١) انظر : تهذيب اللغة ٣/ ٢٠٨٣ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٩٩ ، وفيه : «والضأن : جمع ضائن وضَأن مثل تاجر وتْجر» .

(٣) لفظ : (أيضاً) ساقط من (أ) .

(٤) أي بكــسر الضاد وفتحها ، قال القرطبي في تفســيره ٧/ ١١٣ ، ١١٤ : «الضأن : ذوات الصوف من الغنــم ، وهي جمع ضائن ، والأنثى ضائنة ، والجمع ضوائن ، وقيــل : هو جمع لا واحد له ، وقيل في جمعه : ضئين كعَبْد وعبيد ، ويقال فيه : ضِئين ، كما يقال في شَــعير : شِــعير ، كسرت الضاد إتباعاً» . اهـ . انظر : معاني القرآن للأخفش ٢/ ٢٨٩ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٥٠٥ ، واللســان (ضأن) ٤/ ٢٥٤٢ ، والبحر المحيط ٤/ ٢٣٥ ، والدر المصون ٥/ ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٥) قــرأ ابن عامر وابن كثير وأبو عمرو : (ومن المَعَز) بفتح العين ، وقرأ الباقون بســكون العين . انظر : الســبعة ٢٧١ ، والمبســوط ١٧٦ ، والغاية ٢٥١ ، والتذكــرة ٢/ ٤١٢ ، والتيســير ١٠٨ ، والنشر ٢/ ٢١٦ .

(٦) النص في تهذيب اللغة (معز) ٤/ ٣٤٢٠ . انظر : معاني القرآن للأخفش ٢/ ٢٨٩ .

(٧) جاء في النوادر لأبي زيــد ٧٨ : «والأُمْعُوز : القطيع من الضباء» ، وذكــره الأزهري في تهذيب اللغة ٤/ ٣٤٢١ ، وأبو علي في الحجة ٣/ ٤١٩ عن أبي زيد . انظر : اللسان (معز) ٧/ ٤٢٣٢ .

(٨) هذا عجز بيت لربيعة بن مقروم الضبي ، وصدره :

أَخْلَصْتُهُ صُنْعاً فآضَ مُحْمْلَجَا =

وقالوا[١] : المعيز كالكَليب والضئين ، قال الشاعر :

وَيَمْنَعها[٢] بنو شَمَجَى بنِ حَزْمٍ[٣] مَعِيزُهُـمُ حَنَانَـكَ ذَا الحَنَـانِ

وقال ابن شميل : «المِعْزى والمَعْزُ والمعيز للذكور والإناث»[٤] ، فمَن قرأ (المعَز) بفتح العين فهو جمع ماعز ، مثل خادم وخَدَم ، وطالبٍ وطَلَبٍ ، وحارسٍ وحَرَسٍ ، ومَن قرأ بسكون العين فهو جمع أيضاً ، جمع ماعز عليه ، كما قالوا : صاحِب وصَحْب ، وتَاجرٍ وتَجْرٍ ، وراكِبٍ ورَكْب[٥] . وأمَّا انتصاب (اثْنَيْنِ) فمحمول على ﴿أَنشَأَ﴾ [الأنعام:١٤١] ، التقدير :[٦] أنشأ ثمانية أزواج ؛ أنشأ من كذا اثنين ، ومن كذا اثنين ، قاله أبو علي[٧] .

= وهو في النوادر ٧٧ ، والحجة لأبي علي ٣/ ٤١٩ ، والدر المصون ٥/ ١٩٤ ، وقوله : محملجاً ؛ أي كثير اللحم ، يقال للعير الذي دوخل خلقه اكتنازاً : محملج . انظر : اللسان (حملج) ٢/ ١٠٠٦ ، وقوله : المتربل : الذي قد أكل الربل ، وهو ضرب من الشجر انظر : اللسان (ربل) ٣/ ١٥٧٢ .

(١) العبارة في الحجة ٣/ ٤١٩ ، وكليب جمع كلب ، وضئين جمع ضأن . انظر : الدر المصون ٥/ ١٩٣ .

(٢) الشاهد لامرئ القيس في ديوانه ١٦٩ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٨٧ ، والحجة لأبي علي ٣/ ٤١٩ ، وتفسير القرطبي ٧/ ١١٤ ، والدر المصون ٥/ ١٩٤ . وقوله : «وحنانك ذا الحنان» يعني : رحمتك يا ذا الرحمة .

(٣) كذا في الأصل ، وفي سائر المصادر السابقة . (ابن جرم) بدل (حزم) وهو المشهور ، وبنو شمجى (بالفتح) بن جَرْم : حي من قُضاعة . انظر : الاشتقاق لابن دريد ٣٩٤ ، واللسان (شمج) ٤/ ٢٣٢١ .

(٤) تهذيب اللغة ٤/ ٣٤٢١ ، وانظر : الجمهرة ٢/ ٨١٧ ، والصحاح (معز) ٣/ ٨٩٦ .

(٥) هذا قول أبي علي في الحجة ٣/ ٤١٨ ، ٤١٩ ، وانظر : معاني القراءات ١/ ٣٩٢ ، وإعراب القراءات ١/ ١٧٢ ، والحجة لابن خالويه ١٥٢ ، والحجة لابن زنجلة ٢٧٥ ، والكشف ١/ ٤٥٦ .

(٦) قوله : (التقدير أنشأ) مكرر في (ش) .

(٧) الحجة لأبي علي ٣/ ٤١٨ ، ٤١٩ ، وذهب الأكثر إلى أنه بدل من ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ . انظر : الكشاف ٢/ ٥٦ ، ٥٧ ، والبيان ١/ ٣٤٦ ، والتبيان ٣٦١ ، والفريد ٢/ ٢٤١ ، والدر المصون ٥/ ١٩٣ .

وقولـه تعـالى : ﴿ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ نصَـب (الذكرين)[١] بقوله : (حَرَّمَ) ، والاستفهام يعمل فيه ما بعده ، ولا يعمل فيه ما قبله[٢] .

قال المفسرون : «إن المشركين من أهل الجاهلية كانوا يقولون : ﴿هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ ، ﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾ الآيـة [الأنعام :١٣٩] ، كـما أخبر الله تعالى عنهم في الآيات التـي مضت أنهم كانوا يحرِّمون أجناسـاً من النعم بعضها على الرجال والنسـاء ، وبعضها على النسـاء دون الرجـال ، فاحتج الله عليهـم في هذه الآية والتي بعدها ، فقال : يُقايسـهم في تحريـم ما حرَّمـوا : ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ من الضـأن والمعز حـرَّم الله عليكم ﴿أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ ؟ فـإن كان حرَّم من النعم ذكورها فكل ذكورها حرام ، وإن كان حرَّم الأنثيين فكل الإناث حرام»[٣] .

وقال الفرَّاء : «يقـول : أجاءكم التحريم في ما حرَّمتـم من الذكرين أم من الأنثيين ؟ فلو قالوا : من قبل الذكر حرم كل ذكر ، ولو قالوا : من قبل الأنثى[٤] ، حرمت كل أنثى»[٥] .

---

(١) في (أ) : (الذكر) ، وهو تحريف .

(٢) أي الذكرين : مفعول به مقدَّم لحرم . انظر : الدر المصون ٥/ ١٩٥ .

(٣) ذكره عـن المفسريـن : الثعلبي في الكشـف ١٨٥ ب ، والبغـوي في تفسـيره ٣/ ١٩٧ ، والرازي ١٣/ ٢١٧ ، وأخرج الطبري في تفسـيره ٨/ ٦٨ من طرق عدة جيدة عـن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسُّـدِّي وابن زيد نحوه ، وهو قول الزَّجَّاج في معاني القـرآن ٢/ ٢٩٩ ، والنحاس في معاني القرآن ٢/ ٥٠٥ ، والنص أصله لابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٣٤٠ ، ٣٤١ .

(٤) في (أ) : (أنثى) .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٦٠ .

وقولــه تعــالى : ﴿أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ ما : في موضع نصب ، نصبته باتباعه[١] الذكرين والأنثيين ، يقول : «وإن كان ما اشــتملت عليه أرحام الأنثيين من المعز والضأن فقد حــرم الأولاد ، وكلها أولاد ، فكلها حرام» ، قاله الزَّجَّاج[٢] .

وقال الفرَّاء : «يقول : أحرَّم عليكم من قِبل اشــتمال الرحم ، فلو قالوا ذلك لحرَّم عليهم الذكر والأنثى ؛ لأن الرحم يشتمل على الذكر والأنثى»[٣] .

وقال ابن قتيبة : «يقول : فإن كان التحريم من جهة اشتمال الرحم ، فالأرحام تشتمل على الذكور ، وتشتمل على الإناث ، وتشتمل على الذكور والإناث ، فكل جنين حرام»[٤] ، وهذه الأقوال معناها واحد ، وذكرتها لزيادة البيان .

قال مجاهد : «يقول : إنــما الأنعام ثمانية أزواج ، فمن أين جاء التحريم : أمن قبل الذكر ، أم من قبل الأنثى ، أمَّا اشــتملت عليه الأرحام ، وهي لا تشتمل إلَّا على ذكــر أو أنثى ؟ فإن قالوا : من قبل الأنثيين جــاء التحريم ، حرم عليهم كل أنثــى . وإن قالوا : من قبل الذكرين حرم عليهم كل ذكر ، وعرفوا أن الأرحام لا تشتمل[٥] إلَّا على ذكر أو أنثى ، فلِمَ تحرِّمون بعضاً وتحلُّون بعضاً ؟»[٦] .

---

(١) هــذه عبارة الفرَّاء في معاني القرآن ١/ ٣٦٠ ، وأم عاطفــة ، وما موصولة في محل نصب معطوف على الأنثيين . انظر : الدر المصون ٥/ ١٩٥ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٩٩ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٦٠ .

(٤) تأويل مشكل القرآن ٣٤١ .

(٥) لفظ : (لا تشتمل) ساقط من (أ) .

(٦) لم أقف عليه عند مجاهد ، وأخرجه الطبري ٨/ ٦٦ عن ابن جريج فقط .

وهذا معنى قول ابن عباس[(١)] ، والكلبي[(٢)] ، ومقاتل[(٣)] .

وقوله تعالى : ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلۡمٍ﴾ قال أبو إسحاق : «أي فسِّروا ما حرَّمتم بعلم ؛ أي فأنتم لا علم لكم ، لأنكم لا تؤمنون بالكتاب»[(٤)] .

١٤٤. قوله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ إلى قوله ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ﴾ مُفسَّر في الآية الأولى .

قال أبو إسحاق في قوله : ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ﴾ : «أي هل شاهدتم الله قد حرَّم هذا إذ كنتم لا تؤمنون برسول»[(٥)] .

وقال ابن قتيبة : «﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ﴾ حين أمر الله بهذا ، فتكونون على يقين ، فلمَّا لزمتهم الحجة ولم تكن عندهم علَّة موجبة لتحريم ما حرَّموا ، بيَّن الله تعالى أنهم فعلوا ذلك كذباً على الله في قولهم ، كذا أمرنا الله فقال : ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ﴾»[(٦)] ، قال ابن عباس : «يريد : عمرو بن لُحيٍّ ومَن جاء بعده ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [قال : يريد : المشركين[(٧)]]»[(٨)] .

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٦٧ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٠٣ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٩٥ .

(٢) تنوير المقباس ٢/ ٦٨ ، ٦٩ ، وذكره هود الهواري في تفسيره ١/ ٥٦٩ عن الكلبي .

(٣) تفسير مقاتل ١/ ٥٩٤ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٩٩ ، ومثله ذكر النحاس في معاني القرآن ٢/ ٥٠٦ ، وانظر : تفسير الطبري ٨/ ٦٧ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٩٩ ، وانظر : معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٦٠ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٥٠٦ .

(٦) تأويل مشكل القرآن ٣٤١ ، وفيه : «أي حين أمر الله بهذا فتكونون على يقين ؟ أم تفترونه عليه وتختلقونه ؟ توبيخ ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ﴾» . اهـ

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٣٢ ، وابن الجوزي في تفسيره ٣/ ١٣٩ ، والرازي ١٣/ ٢١٧ ، وذكره من دون نسبة البغوي في تفسيره ٣/ ١٩٨ ، والخازن ٢/ ١٣٢ ، وابن كثير ٢/ ٢٠٥ ، والآية عامة =

١٤٥. قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ﴾ الآية.
قال المفسرون: «بيَّن الله تعالى أن المحرمات ممـا يُطعم ما ذكر في هذه الآية، لا ما حرَّموا هم على أنفسهم»[١].

وقال أبو إسحاق: «أعلم الله تعالى أن التحريم والتحليل إنما ثبت بالوحي والتنزيل، فقال: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾»[٢]؛ [أي شيئاً محرماً][٣] ﴿عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ﴾: على آكل يأكله.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً﴾؛ أي إلَّا أن يكون المأكول ميتة، أو إلَّا أن[٤] يكون الموجود ميتة يُضمر اسم كان مما تقدم، وقرأ[٥] ابن كثير وحمزة: (إلَّا أَنْ تَكُونَ) بالتاء (مَيْتَةً) نصباً على تقدير: إلَّا أن تكون العين، أو النفس، أو الجُثة ميتةً تضمر للمحرّم اسماً مؤنثاً، ألا ترى أن المحرّم لا يخلو من جواز العبارة عنه بأحد هذه الأشياء، وقرأ ابن عامر: (إلَّا أَنْ تَكُونَ) بالتاء (مَيْتَةٌ) بالرفع على معنى: إلَّا أن تقع ميتة أو تحدث ميتة[٦].

= يدخل فيها كل مَن أدخل في دين الله تعالى ما ليس فيه، وأول مَن يدخل في هذا الوعيد عمرو بن لحي؛ لأنه أول مَن غيَّر دين الأنبياء، كما سبق بيانه في ترجمته، وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره. انظر: تفسير مبهمات القرآن ١/ ٤٧١.

(١) انظر: تفسير الطبري ٨/ ٦٩، والسمرقندي ١/ ٥٢٠.

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣٠٠، وانظر: معاني القرآن للنحاس ٢/ ٥٠٧.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٤) لفظ: (أن) ساقط من (ش). انظر: معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٦٠، وإعراب القرآن ١/ ٥٨٨.

(٥) قرأ ابن عامر وابن كثير وحمزة: (إلاَّ أَنْ تَكُونَ) بالتاء، والباقون بالياء، وقرأ ابن عامر: (مَيْتَةٌ) بالرفع، والباقون بالنصب. انظر: السبعة ٢٧٢، والمبسوط ١٧٦، والتذكرة ٢/ ٤١٢، والتيسير ١٠٨، والنشر ٢/ ٢٦٦.

(٦) هذا قول أبي علي في الحجة ٣/ ٤٢٣، ٤٢٤، وانظر: معاني القراءات ١/ ٣٩٢، ٣٩٣، وإعراب القراءات ١/ ١٧٢، والحجة لابن زنجلة ٢٧٦، والكشف ١/ ٤٥٦، ٤٥٧.

وقولـه تعـالى : ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ قال ابن عبـاس : «مُهراقـاً»[١] ، وقال الضحاك : «سـائلاً»[٢] ، والسفح كالصبِّ ، يقال : سـفح الدم والدمع سفحاً ، وسفح[٣] هو سفوحاً إذا سال . وأنشد أبو عبيدة[٤] لُكثيِّر :

أَقولُ وَدَمْعي واكفٌ عِنْدَ رَسمِها عَلَيكِ سَلاَمُ اللهِ والدمعُ يَسْفَحُ[٥]

قال عطاء عن ابـن عباس : «يريد : ما خرج من الأنعـام وهي أحياء ، وما يخرج من الأوداج عند الذبح»[٦] .

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٧١ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٠٦ بسند جيد .

(٢) لم أقف عليه بعد طول بحث ، وهو قول اليزيدي في غريب القرآن ١٤٣ ، وابن قتيبة في تفسـير غريب القرآن ١٦٢ ، ومكي في تفسير المشكل ٨١ .

(٣) في (أ) (وسـفح وهو سـفوحاً) ، وقال الواحدي في الوسـيط ١/ ١٣٢ : «يقال : سفح الدم والدمع سـفحاً إذا صبه ، وسفح هو سفوحاً إذا سـال» . اهـ . انظر : العين ٣/ ١٤٧ ، والجمهرة ١/ ٥٣٢ ، وتهذيب اللغة ٢/ ١٦٩٩ ، والصحاح ١/ ٣٧٥ ، والمجمل ٢/ ٤٦٤ ، واللسان (سفح) ٤/ ٢٠٢٣ .
قال السمين في الدر ٥/ ١٩٨ : «السـفح : الصب ، وقيل : السيلان ، وهو قريب من الأول ، وسفح يستعمل قاصراً ومتعدياً ، يقال : سفح زيد دمعه ، ودمه ، أي أهراقه ، وسفح هو ، إلَّا أن الفرق بينهما وقع باختلاف المصدر ، ففي المتعدي ، يقال : سَفْح . وفي اللازم يقال : سُفُوح» . اهـ

(٤) لم يرد في مجاز القرآن ، وذكره عن أبي عبيدة الرازي في تفسـيره ١٣/ ١٢٢ ، والسمين في الدر ٥/ ١٩٨ ، وقال ابن الأنباري في شرح القصائد ٢٥ ، ٢٦ ، والزاهر ٢/ ١٦٦ : «مسفوحاً ، أي مصبوباً» ، ثم أنشد الشاهد .

(٥) ديوان كثير عزة ، وتفسـير الرازي ١٣/ ١٢٢ ، والدر المصون ٥/ ١٩٨ . كف (بالفتح) : سال ، وفي الديوان :
أقـولُ ونِـضْوِي وَاقِـفٌ عـندَ رمْسِها عليـكِ سـلامُ الله والعـينُ تنفـحُ

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٣٢ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ١٩٨ ، والرازي ١٣/ ١٢٢ .

قال أهل العلم: «فلا يدخل في هذا الكبد والطحال لجمودهما ولا ما يختلط باللحم [من الدم فإنه غير سائل والله تعالى حرَّم السائل منه»[(١)]، وسئل أبو مجلز[(٢)] عما يتلطخ من اللحم][(٣)] بالدم، وعن القدر يرى فيها الدم، فقال: «لا بأس به، إنما نُهي عن الدم [المسفوح»[(٤)].

وهو قول عكرمة[(٥)]، وإبراهيم[(٦)]، وقال أبو إسحاق][(٧)]: «المسفوح: المصبوب، وكانوا إذا ذبحوا أكلوا الدم كما يأكلون اللحم»[(٨)].

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره ٧/ ١٢٤، وقال: «وعليه إجماع العلماء». اهـ. انظر: أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٧٦٥، والفتاوى ١٧/ ١٧٩، وروى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «أحل لنا ميتتان ودمان، فأمَّا الميتتان فالحوت والجراد، وأمَّا الدمان فالكبد والطحال». أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٩٧، وابن ماجه رقم ٣٣١٤، والدارقطني في سننه ٤/ ٢٧٢، وصحَّحه الألباني في إرواء الغليل ٨/ ١٦٤ (٢٥٢٦).

(٢) لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي البصري، إمام تابعي، ثقة مشهور بكنيته، توفي سنة ١٠٩هـ، وقيل: قبل ذلك. انظر: الجرح والتعديل ٩/ ١٢٤، وتهذيب التهذيب ٤/ ٣٣٥، وتقريب التهذيب ٥٨٦ (٧٤٩٠).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٧١، ٧٢ بسند جيد، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٩٧.

(٥) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٢٠، والطبري ٨/ ٧١، ٧٢، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٠٧ بسند جيد، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٩٧.

(٦) قول إبراهيم النخعي، ذكره الثعلبي في تفسيره ١٨٥ ب، والبغوي ٣/ ١٩٨، والقرطبي ٧/ ١٢٤، والخازن ٢/ ١٩٥.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣٠٠.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ نسق على[(١)] ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾. قال ابن عباس: «يريد: كل ما ذبح على النصب»[(٢)].

قال الزَّجّاج: «فسمى ما ذكر عليه غير اسم[(٣)] الله فسقاً»[(٤)]، وهذا من المفعول الذي يسمى بالمصدر، والمراد: ما يفسق به عن الدين؛ أي يخرج أكله عن الدين[(٥)].

فإن[(٦)] قيل: المحرمات [من المطعومات][(٧)] أكثر مما ذكر في هذه الآية، فما وجهها؟ والجواب عنه من وجوه، أحدها أن المعنى: لا أجد محرَّماً مما كان أهل الجاهلية يحرِّمونه من البحائر والسوائب وغيرها، إلَّا ما ذكر في هذه الآية،

---

(١) انظر: إعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٨٨، والمشكل لمكي ١/ ٢٧٦. قال الزَّجّاج في معاني القرآن ٢/ ٣٠٠: «هو عطف على ﴿لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾ المعنى: ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ﴾ المأكول ﴿مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾ (أو فسقاً)». اهـ

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٣٣، وأخرج الطبري في تفسيره ٨/ ٦٩ عند قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣] بسند جيد عن ابن عباس، قال: «ما أهل به للطواغيت يعني: ما ذبح لغير الله من أهل الكفر غير اليهود والنصارى». اهـ

(٣) في (ش): (فسمى ما ذكر عليه اسم غير الله فسق).

(٤) معاني القرآن للزَّجّاج ٢/ ٣٠٠، وزاد فيه (أي خروجاً عن الدين). قال ابن القيم كما في بدائع التفسير ٢/ ١٨٥: «الضمير في قوله (فإنه) وإن كان عوده إلى الثلاثة المذكورة باعتبار لفظ المحرم، فإنه يترجح اختصاص لحم الخنزير به لثلاثة أوجه. أحدها: قربه منه. والثاني: تذكيره دون قوله: (فإنه رجس). والثالث: أنه أتى بالفاء وإن تنبيهاً على علة التحريم لتزجر النفوس عنه، ويقابل هذه العلة ما في طباع بعض الناس من استلذاذه واستطابته، فنفى عنه ذلك، وأخبر أنه رجس، وهذا لا يحتاج إليه في الميتة والدم؛ لأن كونهما رجساً أمر مستقر معلوم عندهم...». اهـ

(٥) انظر: الدر المصون ٥/ ١٩٨.

(٦) في (ش): (قال قيل)، وهو تحريف.

(٧) لفظ: (من المطعومات) ساقط من (أ).

وليست البحائر والسوائب من المحرَّمة بالوحي ، وهذا معنى قول مجاهد[١] وطاووس[٢] .

وقال الحسين بن الفضل : «وقت نزول هذه الآية لم يكن يحرَّم غير ما نص عليه في هذه الآية ، ثم وجدت بعد محرَّمات سوى هذا»[٣] .

وقال عبدالعزيز بن يحيى : «يعني : في وحي القرآن ، فأمَّا وحي السُّنة فقد حرَّم أشياء كثيرة ، وكل ما حرَّم النبي ﷺ مما لم يوجد في القرآن فهو محرَّم أيضاً بالوحي ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم :٣-٤]»[٤] .

وباقي الآية مُفسَّر في ما مضى[٥] .

---

(١) ذكره ابن الجوزي في نواسخ القرآن ٣٣٥ .

(٢) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٢٠ ، والطبري ٨/ ٦٩ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٠٥ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٩٦ .

(٣) لم أقف عليه ، وقد ذكره الرازي في تفسيره ١٣/ ٢٢٠ من دون نسبة .

(٤) لم أقف عليه . قال القرطبي ٧/ ١١٦ ، ١١٧ : «الصحيح أن هذه الآية مكية ، وكل محرَّم حرَّمه رسول الله ﷺ أو جاء في الكتاب مضموم إليها فهو زيادة حكم من الله -عز وجل- على لسان نبيه عليه السلام . على هذا أكثر أهل العلم من أهل النظر والفقه والأثر» . اهـ ، وهذا القول هو الظاهر ، والله أعلم .
انظر : الناسخ والمنسوخ للنحاس ٢/ ٣٣٨ ، والناسخ والمنسوخ لأبي منصور البغدادي ١٠٣ ، والإيضاح لمكي ٢٤٩ ، وأحكام القرآن للكيا الهراس ٣/ ٢٤٥ ، وتفسير البغوي ٣/ ١٩٨ ، والناسخ والمنسوخ لابن العربي ٢/ ٢١٨ ، والمصفى لابن الجوزي ٣٤ ، والفتاوى لشيخ الإسلام ٢١/ ٨ .

(٥) انظر : البسيط (النسخة الأزهرية) ١/ ١٠٥ ب .

١٤٦. وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ الآية. في الظفر لغات: (ظُفُر) بضم الفاء وهو أعلاها، و(ظُفْر) بسكون الفاء، و(ظِفْر) بكسر الظاء وسكون الفاء وهو قراءة الحسن[1]، و(ظِفِر) بكسرهما[2] وهو قراءة أبي السمال[3]، ويقال له: أُظْفُور[4]، قال الشاعر:

ما بَيْنَ لُقْمَتِهِ الأُولى إذا انحدرتْ ... وَبَيْنَ أَخْرَى تَليها قِيدُ أُظْفُورِ[5]

---

(١) ذكرها الثعلبي ١٨٥ ب، والرازي ١٣/ ٢٢٣، وأبو حيان في البحر ٤/ ٢٤٤، وأكثرهم ذكر سكون الفاء فقط. انظر: إعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٨٩، ومختصر الشواذ ٤١، وابن عطية ٥/ ٣٨٢، والقرطبي ٧/ ١٢٤، ١٢٥، وقال السمين في الدر ٥/ ٢٠١: «قرأ الحسن (ظفر) بضم فسكون، وفي رواية بكسر فسكون». اهـ بتصرف

(٢) ذكرها الثعلبي في الكشف ١٨٥ ب، والرازي في تفسيره ١٣/ ٢٢٣، والسمين في الدر ٥/ ٢٠١، وأكثرهم ذكر عنه كسر الظاء وسكون الفاء. انظر: إعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٨٩، ومختصر الشواذ ٤١، وتفسير ابن عطية ٥/ ٣٨٢، والقرطبي ٧/ ١٢٤، والبحر المحيط ٤/ ١٤٤.

(٣) في النسخ (ابن السمآل)، ونقله الرازي والسمين في الدر عن الواحدي بلفظ: (أبو السمال)، وهو الصواب كما في المصادر السابقة، وهو: (أبو السمال) بفتح السين المهملة، وتشديد الميم: مشهور بكنيته واسمه مُعتب بن هلال العَدَوي المقرئ البصري، وقيل: اسمه: مغيث. وقيل: قعنب بن أبي قعنب. قال الذهبي في الميزان ٤/ ١٤٢، ١٥٨: «له حروف شاذة، لا يعتمد على نقله ولا يوثق به، ضعَّفه الساجي، وكذَّبه الأزدي». انظر: غاية النهاية ٢/ ٢٧، ولسان الميزان ٦/ ٦٠، ٧٤.

(٤) انظر: التبيان ٣٦٢، والفريد ٢/ ٢٤٤، والدر المصون ٥/ ٢٠١، وقال ابن الأنباري في المذكر والمؤنث ٣٣٧، ٣٣٨: «الأظفار كلها مذكرة وفي واحدها ثلاث لغات: ظُفُر بالضم، وهي اللغة العالية، وعليها أكثر الناس، وظُفْر بضم فسكون، وبها قرأ الحسن، وأُظْفُور بضم الهمزة والفاء وسكون الظاء»، وفي اللسان ٥/ ٢٧٤٩، قال: «وأمَّا قراءة ظِفْر بالكسر فشاذ غير مأنوس به؛ إذ لا يعرف ظفر بالكسر». اهـ

(٥) الشاهد في الجمهرة ٢/ ٧٦٢، ١١٩٤، أنشدته أم الهيثم غيثة من بني نمر بن عامر بن صعصعة، ومن دون نسبة في كتب الفرق للأصمعي ٦١، ولأبي حاتم السجستاني ٢٨، ولثابت بن أبي ثابت ٢٢، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ٣٣٩، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٢٤٢، وزاد المسير ٣/ ١٤٢، واللسان ٥/ ٢٧٤٩، وبصائر ذوي التمييز ٣/ ٥٣٦، والدر المصون ٥/ ٢٠١، وتاج العروس (ظفر) ٧/ ١٦٢.

واختلفوا في ﴿كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ المحرَّم على اليهود، فقال ابن عباس: «هو البعير والنعامة»[(١)]، وهو قول مجاهد[(٢)]، واختيار الزَّجَّاج[(٣)].

قال ابن عباس: «النعام ذات ظفر كالإبل»[(٤)].

وقال قتادة: «كل ذي ظفر ليس بمشقوق الأصابع»[(٥)]، وهو قول ابن جريج: «كل ذي ظفر لم يفرِّج قوائمه من البهائم كالبعير والنعامة والبط والأوز وحمار الوحش، وما تفرَّجت قوائمه أكلوه كالدجاج والعصافير»[(٦)].

وقال عبدالله بن مسلم: «أي كل ذي مخلب من الطير، وكل ذي حافر من الدواب، كذلك قال المفسرون، قال: وسمى الحافر ظفراً على الاستعارة كما قال الآخر وذكر ضيفاً:

فما رَقَدَ الوِلْدَانُ حتى رَأَيْتُهُ ... على البَكْرِ يَمْرِيهِ بَساقٍ وحَافِرٍ[(٧)]

---

(١) أخرجه الطبري ٨/ ٧٢، والبيهقي في سننه ١٠/ ٨ بسند جيد، وعلَّقه البخاري في صحيحه ٨/ ٢٩٥، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٠٠.

(٢) تفسير مجاهد ١/ ٢٢٦، وأخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٧٣ من عدة طرق جيدة.

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣٠١، وهو اختيار الطبري في تفسيره ٨/ ٧٣.

(٤) سبق تخريجه، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ١٤١٠ بسند جيد عن ابن عباس، قال: «هو الذي ليس بمتفرج الأصابع، يعني: ليس بمشقوق الأصابع منها الإبل والنعام»، وذكره الحافظ في فتح الباري ٨/ ٢٢٩٥، وقال: «رواه ابن أبي حاتم، وإسناده حسن». اهـ

(٥) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٢١، والطبري ٨/ ٧٣ بسند جيد.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٧٣ بسند جيد عن ابن جريج عن شيخة القاسم بن أبي بزة المكي، وقال السيوطي في الدر ٣/ ١٠٠: «أخرجه أبو الشيخ عن ابن جريج».

(٧) البيت لجُبَيْهاء الأسدي يزيد بن عبيد في اللسان (حفر) ٢/ ٩٢٥، ومن دون نسبة في الحروف لابن السكيت ٩٥، والجمهرة ٣/ ١٣١٣، والصحاح ٣/ ٦٣٥، والصناعتين ٣٠١، والمخصص ٦/ ١٣٤، والمدخل للحدادي ٢١١، وهو لمُزرِّد بن ضرار الغطفاني في أسرار البلاغة ٢٣. يمريه: يستخرج ما عنده من الجري، والشاعر يصف ضيفاً أسرع إليه، واستعار الحافر للقدم.

فجعل الحافر موضع القدم»[١] . قال عطاء عن ابن عباس : «يريد الإبل»[٢] ، وهو قول ابن زيد : «هو الإبل فقط»[٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ قال المفسرون : «يعني : الثُّرُوب[٤] وشحم الكليتين»[٥] ، وهو معنى قول ابن عباس : «يريد : شحوم الجوف»[٦] .

وقوله تعالى : ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ قال ابن عباس : «إلَّا ما علق بالظهر من الشحم فإني لم أحرِّمه»[٧] ، وقال قتادة : «ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونها»[٨] .

وقوله تعالى : ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ هي المباعر والمصارين ، واحدتها حاوية ، وحَويَّة وحاوياء[٩] ، قال ابن الأعرابي : «هي الْحَوِيَّة والحاوِيةُ ، وهي الدُّوارة التي في بطن الشاة»[١٠] .

---

(١) تأويل مشكل القرآن ١٥٣ .

(٢) ذكره الرازي في تفسيره ١٣/ ٢٢٣ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٧٣ بسند جيد ، وذكره ابن عطية في تفسيره ٥/ ٣٨٢ ، وقال : «وهذا ضعيف التخصيص» . اهـ

(٤) الثروب (بالضم) : جمع ثَرْبٍ ، وهو الشحم المبسوط على الأمعاء والمصَارين والكَرِش . انظر : اللسان (ثرب) ١/ ٤٧٥ .

(٥) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٦٣ ، ومعاني القرآن للزَّجّاج ٢/ ٣٠١ ، وتفسير الطبري ٨/ ٧٤ ، والبغوي ٣/ ٢٠٠ ، وابن الجوزي ٣/ ١٤٢ .

(٦) تنوير المقباس ٢/ ٧١ .

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٧٥ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤١٠ ، والبيهقي في سننه ١٠/ ٨ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٠٠ ، ١٠١ .

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٣٤ ، وابن الجوزي في تفسيره ٣/ ١٤٢ ، والرازي ١٣/ ١٨٣ .

(٩) انظر : العين ٣/ ٣١٨ ، والجمهرة ١/ ٢٣١ ، والمجمل ١/ ٢٥٤ ، والمفردات (حوى) ٢٧١ .

(١٠) اللسان (حوا) ٢/ ١٠٦٣ ، والدر المصون ٥/ ٢٠٦ ، وفي تهذيب اللغة ١/ ٩٤٧ عن ابن الأعرابي ، قال : «هي الحَوَايةُ والحاوِية ، وهي الدوارة التي في بطن الشاة» . اهـ

وقال ابن السكيت: «يقال: حاويةٌ وحوايا مثل زَاوِية وَزَوَايا[(١)] ورَاوية وَرَوَايا، [قال: ومنهم مَن يقول: حَوِيَّة وحَوايا مثل الحَوِيَّة التي توضع على ظهر البعير ويركب فوقها][(٢)]. قال: ومنهم مَن يقول لواحدتها: حَاوياء»[(٣)]، وأنشد قول جرير:

تَضْغُو الخَنانيصُ والغُولُ التي أكلَتْ ... في حَاوِيَاءِ رَدُومِ الليلِ مُجْعَارِ[(٤)]

وأنشد ابن الأنباري[(٥)]:

كَأَنَّ نفيقَ الحَبِّ في حاويائِهِ ... نفيقُ الأفاعي أوْ نفيقُ العقاربِ[(٦)]

قال أبو علي الفارسي: «الحوايا واحدتها حويَّة وحاوياء[(٧)] وحاوية، فإن كان جمع حاوية[(٨)] أو حاوياء كان فواعل، وإن كان جمع حويَّة كان فعائل، فإن قلنا: إنه فعائل، فإنه كان في الأصل حوائي، والهمزة فيها كالهمزة في ترائب وسحائب

(١) لفظ: (زواية وزوايا) ساقط من (ش).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٣) ذكره الرازي في تفسيره ١٣/ ٢٢٤، والسمين في الدر ٥/ ٢٠٦ عن ابن السكيت، وهذا القول في تهذيب اللغة ١/ ٩٤٧، واللسان (حوا) ٢/ ١٠٦٣، لأبي الهيثم خالد بن يزيد الرازي.

(٤) ديوان جرير ٣١٣، وتهذيب اللغة ١/ ٩٤٧، واللسان (حوى) ٢/ ١٦٣، والدر المصون ٥/ ٢٠٦. تضغو: تصيح وتصوت. انظر: اللسان (ضغا) ٥/ ٢٥٩٣، والخنانيص: جمع الخِنَّوْص: ولد الخنزير. انظر: اللسان (خنص) ٣/ ١٢٧٨، وردوم: جمع ردم، وهو السد والصوت والضُّراط. انظر: اللسان (ردم) ٣/ ١٦٢٨، ومجعار، الجَعْر: ما تيبس في الدبر من العذرة. انظر: اللسان (جعر) ٢/ ٦٣٣.

(٥) الأضداد لابن الأنباري ٢٢٢، وقال: «وواحدة الحوايا: حاوياء، وحاوية، وحَوِية». اهـ. انظر: شرح القصائد السبع ٢١٢.

(٦) الشاهد لجرير في ديوانه ٦٨، واللسان (حوا) ٢/ ١٠٦٣، ومن دون نسبة في الصحاح ٦/ ٢٣٢٢، ومقاييس اللغة (حوى) ٢/ ١١٢، (فح) ٤/ ٤٣٧، وزاد المسير ٣/ ١٤٣، والدر المصون ٥/ ٢٠٦. وفي الديوان (نفيق) بدل (فحيح).

(٧) في النسخ: (وحوايا)، وهو تحريف.

(٨) في (ش): (جمع حاويا أو حاويا).

ونحوهـا مما هو بين هـذا الجنس ، واعتراض هـذه الهمزة ذكرنـا علته في قول ﴿مَعَٰيِشَۗ﴾ [الأعراف: ١٠][١] في قراءة مَن همزها ، فلمَّا جمعت حويَّة : حوائي وقعت في الطرف ياء مكسـور[٢] ما قبلها ، فلزم أن تقلـب ألفاً ؛ إذ[٣] قلبت في ما ليس قبلـه حرف اعتلال في هذا الجمع ، وذلك قولهم : مداري ومهاري[٤] ، وحروف الاعتلال في حوائـي[٥] أكثر منها في مداري ، فإذا قلب في مداري وجب أن يلزم هـذا الضرب القلب فيقـال : حواءا ، فيقع الهمز بين[٦] ألفـين ، وهي قريبة من ألف[٧] فيجتمع حروف متشابهة يُسـتثقل اجتماعهن ، فأبدلت الهمزة ياء [فصار حوايا ومثله مطايا وما كان في هذا القبيل ، وأمَّا قلت[٨] : وزنه فواعل قلبتها[٩]] من حيث همزت عواني[١٠] وأوائل ، فلمَّا اعترضت الهمزة فيه قلبتها ياء على ما بيَّنَّا في فعائِل»[١١] .

---

(١) انظر : الحجة لأبي علي ٤/ ٧ .

(٢) في (أ) : مكسورة .

(٣) في (أ) : (أن قلبت) ، وعليه علامة خطأ ، وجاءت في الإغفال ٧٧٩ : (إذا قلبت) .

(٤) في النسخ : (قولهم : مداراً ومهاراً) ، وفي الإغفال : (مدارى) فقط .

(٥) في النسـخ : (حـواى) ، وفي الإغفال ٧٩٩ : (وحـروف الاعتلال في مطائي وسـمائي أكثر منها في مداري . . .) . اهـ

(٦) في (أ) : (فيقع همز بين ألفين) .

(٧) كذا في النسخ ، وفي الإغفال ٧٩٩ : (وهي قريبة من الألف) .

(٨) كذا في (أ) ، والصواب : (وإن قلت) ، وفي الإغفال ٨٠٤ : (وإمَّا فواعل فإنك قلبتها من حيث) .

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) .

(١٠) كذا في النسخ ، وفي الإغفال ٨٠٤ : (من حيث همزات عوائر وأوائل) .

(١١) الإغفال ٧٩٨_٨٠٤ بتصرف . انظر : شرح ذلك في الدر المصون ٥/ ١٠٦ ، ومعجم مفردات الإبدال والإعلال للخراط ٩٠ .

قال قتادة: «أرادوا ما حملت الحوايا»(١)، وهو قول ابن عباس: «﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ من الشحم فإني لم أحرِّمه»(٢)، و(الحوايا) عطف على الظهور في موضع رفع(٣). قال الفرَّاء: «يجوز أن يكون في موضع نصب بتقدير حذف المضاف على أن تريد أو شحوم الحوايا، فتحذف الشحوم ويُكتفى بالحوايا، كما قال ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] يريد أهلها»(٤).

وحكى ابن الأنباري(٥) عن أبي عبيد أنه قال: «قلت للفرَّاء: هو بمنزلة قول الشاعر:

لا يَسْمَعُ المَرْءُ فِيهَا ما يُؤَنِّسُهُ ... باللَّيْلِ إلَّا نَئِيمَ البُومِ وَالضُّوعَا(٦)

فقال لي: نعم، يذهب إلى أن الضُّوَع عطف على النئيم، ولم يُعطف على البوم كما عطفت (الحوايا) على ما، ولم تعطف على الظهور»(٧).

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وأخرج الطبري ٨/ ٧٥، ٧٦ من طرق عن ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، والضحاك، والسُّدِّي، قالوا: «الحوايا: المباعر»، وقال ابن الأنباري في شرح القصائد ٢١٢: «قال المفسرون: الحوايا: المباعر، واحدها: حاوياء وحاوية». اهـ

(٢) سبق تخريجه.

(٣) هذا قول الطبري ٨/ ٧٥، وعليه يكون التقدير: وإلاَّ الذي حملته الحوايا فإنه غير محرَّم. قال أبو حيان ٤/ ٢٤٤، والسمين في الدر ٥/ ٢٠٣: «هذا هو الظاهر». اهـ

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٦٣.

(٥) قال ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٦٤٥: «﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ وقف غير تام؛ لأن (الحوايا) منسوقة على الظهور، كأنه قال: إلَّا ما حملت ظهورهما أو حملت الحوايا». اهـ. انظر: القطع والائتناف ١/ ٢٤٢.

(٦) الشاهد للأعشي في ديوانه ١٠٦، واللسان (ضوع) ٥/ ٢٦٢١، وذكره السمين في الدر ٥/ ٢٠٥ عن ابن الأنباري، والشاعر يصف قلاة. النئيم: صوت فيه ضعف كالأنين، وهو صوت البوم. انظر: اللسان (نأم) ٧/ ٤٣١٤.
والضُّوَع: طائر من طير الليل إذا أحس بالصباح صدح، وقيل: هو ذكر البوم، والضُّوَع صوته. انظر: اللسان (ضوع) ٥/ ٢٦٢٠، ٢٦٢١.

(٧) ذكره السمين في الدر ٥/ ٢٠٥، ٢٠٦ عن الواحدي، وقال بعده: «فمقتضى ما حكاه ابن الأنباري أن =

وقولـه تعـالى : ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ﴾ يعني : شـحم الأَلية في قول جميع المفسريـن[(١)] . قال ابن جريج : «كل شـحم في القوائم والجنـب والرأس [وفي العينين والأذنين][(٢)] . يقولون : قد اختلط بعظم فهو حلال لهم ، إنما حُرِّم عليهم الثرب وشحم الكلية»[(٣)] .

قال الفرَّاء : «و(ما) في موضع نصب نسـقاً على ما في الأولى التي هي نصب بالاسـتثناء في قوله : ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾»[(٤)] ، هذا الذي ذكرنا قول أكثر أهل التفسير[(٥)] في هذه الآية .

وقال أبو إسـحاق : «قال قومٌ : حرِّمت عليهم الثروب ، وأحل لهم ما حملت الظهور وصارت ﴿ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ نسقاً على ما حُرِّم لا على الاستثناء [في قوله ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾][(٦)] ، المعنى على هذا القول : حُرِّمت عليهم شـحومها أو الحوايا أو ما اختلـط بعظم إلَّا ما حملت الظهـور فإنه غير محرَّم ، وأُدخلـت على طريق الإباحة كـما قال عز وجـل : ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾

= تكون (الحوايا) عطفاً على ما المستثناة ، وفي معنى ذلك قلق بيِّن» . والنصب في (الحوايا) من وجهين : أحدهمـا العطف على ما في قوله (إلَّا ما حملت) ، والثاني العطف على قوله (شـحومها) ، وعلى وجه النصب تكون الحوايا محرَّمة عليهم بخلاف الرفع . انظر : المشكل لمكي ١/ ٢٧٦ ، والبيان ١/ ٣٤٨ ، والتبيان ١/ ٣٦٢ ، والفريد ٢/ ٢٤٤ ، والدر المصون ٥/ ٢٠٣ــ٢٠٦ .

(١) ذكره الواحدي في الوسـيط ١/ ١٣٤ ، والرازي في تفسـيره ١٣/ ٢٢٤ عن جميع المفسرين ، ورجَّح الطبري في تفسيره ٨/ ٧٦ أن المراد شحم الألية والجنب وما أشبه ذلك .

(٢) في (ش) : (وفي الأذنين والعينين) .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٧٦ بسند جيد ، وذكره النحاس في معاني القرآن ٢/ ٥١٠ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٦٣ ، وفيه قـال : «ما : في موضع نصب» ، وقال النحاس في إعراب القرآن ١/ ٥٨٩ : «في هذا أقوال هذا أصحها ، وهو قول الكسائي والفرَّاء وثعلب ، والنظر يوجبه أن يعطف الـشيء على ما يليه ، إلَّا أن لا يصح معناه أو يدل دليل على غيره» . اهـ ، واختاره الطبري في تفسـيره ٨/ ٧٣ .

(٥) انظر : زاد المسير ٣/ ١٤٣ ، ١٤٤ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) .

[الإنسان: ٢٤]، فالمعنى: كل هؤلاء أهل أن يعصى فاعصِ هذا، أو اعصِ هذا، (أو) بليغــة في هذا المعنى؛ لأنك إذا قلت: لا تطع زيــداً [وعمراً][(١)] فجائز أن تكون [نهيتني][(٢)] عن طاعتهما معاً في حالة، فإن أطعت زيداً على حدته لم أكن عاصياً، وإذا قلت: لا تطع زيداً أو [عمــراً][(٣)] أو خالداً، فالمعنى: أن هؤلاء كلهم أهل [أن][(٤)] لا يطاع، فلا تطع واحداً منهم، ولا تطع الجماعة، ومثله: جالس الحسن أو ابن ســيرين أو الشــعبي، فليس المعنى: إني آمرك [بمجالسة][(٥)] واحد منهم [ولكن معنى أو معنــى الإباحة، المعنى: كلهم أهل أن يجالس، فإن جالســت واحداً منهم[(٦)]] فأنت مصيب، وإن جالســت الجماعة فأنت مصيب»[(٧)]. هذا كلامه.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي ذلك التحريم ﴿جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾. قال مقاتل: «عقوبة لهم بقتلهم الأنبياء، وأخذهم الربا، واســتحلال أموال الناس بالباطل، فهذا البغي»[(٨)].

---

(١) في (أ): (وعمرواً).

(٢) في (ش): (يهتدي)، وهو تحريف.

(٣) في (أ): (عمرواً).

(٤) في (ش): (لأن).

(٥) في (ش): (مجالسة).

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٧) معاني القــرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣٠١، ٣٠٢، وقال أبو حيان في البحر ٤/ ١٤٥: «الأحســن في الآية إذا قلنا أن ذلك معطوف على (شــحومهما) أن تكون أو فيه للتفصيل، فصل بها ما حرَّم عليهم من البقر والغنم». اهـ. انظر: الدر المصون ٥/ ٢٠٤، ٢٠٥.

(٨) تفسير مقاتل ١/ ٥٩٥.

وقال الكلبي : «﴿جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ عاقبناهم بذنوبهم ، نظيره : ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ الآية [النساء : ١٦٠]»(١) .

وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ ؛ أي في الإخبار عن التحريم ، وعن بغيهم(٢) .

١٤٧. قوله تعالى : ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ قال الكلبي : «وذلك أن رسول الله ﷺ قال للمشركين : هذا ما أوحي إليَّ مما كان محرَّماً على اليهود ، وما حُرِّم على المسلمين في الآية الأولى ، وقالوا له : ما أصبت وكذَّبوه ، فقال الله تعالى : ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ في ما تقول ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ ، لذلك لا يعجل عليكم بالعقوبة ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾ : عذابه إذا جاء الوقت ، ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ يعني : الذين كذبوك بما تقول»(٣) .

وقال ابن عباس : «يريد : الملحدين»(٤) .

١٤٨. قوله تعالى : ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ الآية . أخبر الله -تعالى- عنهم بما سيقولونه(٥) إذا لزمتهم الحجة وتيقنوا باطل ما هم عليه من الشرك بالله ، وتحريم ما لم يحرِّمه الله .

---

(١) تنوير المقباس ٢/ ٧١ ، والمعنى متقارب . انظر : تفسير الطبري ١٢/ ٢٠٦ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٥١٣ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٢١ ، والبغوي ٣/ ٢٠٠ ، وابن الجوزي ٣/ ١٤٤ ، وابن كثير ٢/ ١٨٦ .

(٢) انظر : المصادر السابقة .

(٣) لم أجد مَن ذكر هذا السبب في نزول الآية ، وفي تنوير المقباس ٢/ ٧١ نحوه في شرح الآية .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) في (أ) : (بما سيقولوا إذا لزمتهم) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ عطف على المضمر المرفوع في ﴿أَشْرَكْنَا﴾ من غير توكيد للمضمر ، وهو قبيح لولا قوله : (ولا) ، فإنه قام مقام تأكيد المضمر[(١)] ، وهذه المسألة قد مضت بالاستقصاء[(٢)] .

قال المفسرون[(٣)] : «إن المشركين جعلوا قولهم : ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ حجة لهم على إقامتهم على الشرك ، فقالوا : إن الله رضي منَّا ما نحن عليه ، وأراده منَّا ، وأمرنا به ، ولو لم يرضه لحال بيننا وبينه ، فقال الله تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾» . قال ابن عباس : «يريد : الذين من قبل قومك كذَّبوا أنبياءهم ، وقالوا مثل ما قال هؤلاء»[(٤)] .

فإن قيل : لِمَ كذبوا في إضافة مشيئة شركهم إلى الله ؟

قيل : إنهم لم يكذبوا في ذلك ، ولو كذبوا في قولهم : ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ ، لقيل : ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ﴾ بالتخفيف[(٥)] ، ولكن المعنى : كما [كذبك هؤلاء][(٦)] كذب كفار الأمم الخالية أنبياءهم ، ولم يتعرض لقولهم : ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ ، ولكن قولهم : ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ لا يكون

---

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣٠٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٩٠ . وقد ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز العطف على الضمير المرفوع المتصل نحو (قمت وزيد) ، وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز إلَّا على قبح في ضرورة الشعر . وأجمعوا على أنه إذا وُجِد توكيد أو فصل فإنه يجوز معه العطف من غير قبح . انظر : الكتاب ٢/ ٢٧٧ ، والإنصاف ٣٨٠ ، والدر المصون ٥/ ٢١٠ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٨/ ٧٨٠ ، والسمرقندي ١/ ٥٢٢ ، والبغوي ٣/ ٢٠١ .

(٤) تنوير المقباس ٢/ ٧٢ ، وذكره ابن الجوزي في تفسيره ٣/ ١٤٥ .

(٥) القراءة المشهورة ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ﴾ بتشديد الذال ، قال الطبري في تفسيره ٨/ ٧٩ : «ولو كان ذلك خبراً من الله عن كذبهم في قيلهم : ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ لقال : (كَذَلِكَ كَذَبَ الذين من قبلهم) بتخفيف الذال ، وكان ينسبهم في قيلهم ذلك إلى الكذب على الله لا إلى التكذيب . . .» . اهـ . انظر : تفسير البغوي ٣/ ٢٠١ ، وابن عطية ٥/ ٣٨٨ ، والرازي ١٣/ ٣٢٥ .

(٦) لفظ : (كذبك هؤلاء) ساقط من (ش) .

حجة لهم على أن ما هم عليه من الدين حق ؛ لأن الأشياء كلها تجري بمشيئة الله تعالى ، فلو كانوا على صواب ؛ لأن ذلك بمشيئة الله تعالى لكان مَن خالفهم أيضاً وجب أن يكون عندهم على صواب ؛ لأنهم أيضاً على ما شاء الله ، فينبغي أن لا يقولوا إنهم ضالون ، فبان أنه لا حجة لهم في قولهم : ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ ، وإن كان الأمر على ما قالوا ؛ لأنهم تركوا أمر الله وتعلقوا بمشيئته ، وأمر الله تعالى بمعزل عن إرادته ؛ لأنه مريد لجميع الكائنات ، غير آمر بجميع ما يريد ، فعلى العبد أن يحفظ الأمر ويتبعه ، وليس له أن يتعلق بالمشيئة بعد ورود الأمر [بما يجب عليه](1) الانتهاء إليه ، وهذا معنى ما ذكره أبو إسحاق(2) وغيره من العلماء(3) .

وقال أبو علي الجرجاني : «احتج(4) المشركون بأنهم أشركوا بمشيئة الله ، والمراد بالمشيئة هاهنا : الأمر ، وترك النهي لا الإرادة التي يقولها المؤمنون ، أيضاً أن الشرك وكل كائن فهو بمشيئته ، وإنما يكون لهم تعلق بهذا إذا أرادوا بالمشيئة الأمر ، ألا ترى أن رجلاً لو كان معه حدث فعوتب عليه فقال : لو شاء فلان لم أفعله(5) ، لم يكن له في ظاهر هذا القول عذر ، ولا تعلق إلَّا أن يعني به أنه أمره به ، ومن عادة العرب الجارية بينهم في المحاورات إذ أمر الرجل بشيء ففعله ، فيتم عليه الأمر وعاتبه عليه أن يقول له : لو شئت أنت لم أفعله ؛ أي أنك أنت أمرتني به فلِمَ تنكره عليَّ ولو نهيتني عنه لم أفعله ، ويدل على صحة ما ذهبنا إليه من أن هذا محمول على الأمر قوله : ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [الأنعام:١٤٣] ، وهذا يدل على أنهم أضافوا ذلك التحريم إلى أن الله تعالى أمرهم به لا إلى مشيئته . ولو

---

(١) في (ش) : (بعد ورود الأمر لما يجب الانتهاء إليه) .

(٢) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣٠٢ .

(٣) ومنهم : الطبري في تفسيره ٨/ ٧٨ ، ٧٩ ، والنحاس في معاني القرآن ٢/ ٥١٣ ، ٥١٤ ، والثعلبي في تفسيره ١٨٥ ب ، والبغوي ٣/ ٢٠١ .

(٤) في (أ) : (حين احتج المشركون) .

(٥) في (ش) : (يفعله) .

أضافوا ذلك إلى المشيئة لقال -عز وجل- في الإنكار عليهم: قل أتحريم الذكرين شاء لكم أم تحريم الأنثيين، وكذلك قوله: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ﴾ [الأنعام: ١٤٤]، وهل تكون التوصية إلَّا أمراً ظاهراً لا مشيئة باطنة، ولم يكن الله ليطالبهم بأن يكونوا شهداء بمشيئته، ثم قال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ١٤٤] يعني قولهم(١): إن الله أمرنا بتحريم هذه الأنعام، وكذلك قوله: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾ [الأنعام: ١٥٠]؛ أي أمر بتحريمه فلمَّا دلت هذه الآيات على أنهم أضافوا ما كانوا عليه إلى أن الله تعالى أمرهم به كان.

قوله: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾، أي لو نهانا عن الشرك ولم يأمرنا به ﴿مَآ أَشْرَكْنَا﴾، فأضافوا شركهم إلى أمره، كما أضافوا التحريم، وقد صرَّح الله تعالى بهذا الذي ذكرنا في الإخبار عنهم في قوله: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨]، فالمرجع على ما رتَّبنا وبيَّنَّا في تأويل قوله: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ وجميع ما يتصل به إلى أنهم ادَّعوا على الله أنه أمرهم به، فكذَّبهم الله في ادِّعائهم أمره بذلك، لا أنه كذَّبهم في إضافتهم مشيئة ما هم فيه إليه، ومما جاء في القرآن من مثل هذا قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٦٩]، فهذا تبكيت لهم على قولهم (سَيُغْفَرُ لَنَا)(٢)؛ لأن الكذب لا يقع إلَّا فيه مما ذكر في(٣) هذه الآية، ومعنى قولهم ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ أنهم ادَّعوا أن الله وعدهم أن يغفر لهم، فكذَّبهم الله تعالى في ادِّعائهم الوعد، ولا يحسُن حمله إلَّا

---

(١) لفظ (قولهم)، ساقط من (أ).

(٢) في (ش): (لهم بدلٌ من (لنا).

(٣) لفظ: (في) ساقط من (ش).

على هذا الوجه ؛ لأنه لا يحسن أن ينكر عليهم حسن الظن بالله في الغفران وحسن الظن غير مذموم»[١] .

وقال أبو بكر ابن الأنباري : «إنما عابهم الله تعالى بردِّ المشيئة إليه حين استهزؤوا واحتجوا على المؤمنين ، وضَعَّفوا أمر الرسل بردِّ المشيئة إلى الله فقالوا للمؤمنين : ما نحتاج إلى اتباع الرسل ؛ لأن الذي نحن عليه بمشيئة ربنا ، وعلى أنه لو شاء نقلنا عنه ، فلمَّا لم يقولوه على جهة التعظيم لله [وقالوه][٢] طاعنين على المسلمين ، ومضعِّفين أمر الأنبياء نعاه الله -عز وجل- عليهم وبيَّن جهلهم فيه»[٣] .

وهذا قول الحسين بن الفضل : «أنهم قالوا هذه المقالة تكذيباً وتخرُّصاً وجدلاً من غير معرفة بالله وبما يقولون ، ولو قالوها تعظيماً وإجلالاً لله ومعرفة منهم به لما عابهم الله بذلك ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ۗ﴾ [الأنعام :١٠٧] ، والمؤمنون يقولونه ، ونظير هذا قوله : ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمۗ﴾ [الزخرف :٢٠] قال الله : ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ﴾ [الزخرف :٢٠] ؛ أي قولهم هذا من غير علمٍ منهم بالله ، والمؤمنون يقولونه بعلم بالله منهم»[٤] .

وقوله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ قال ابن عباس : «أي من كتاب نزل من عند الله في تحريم ما حرَّمتم»[٥] ، ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ ما تتبعون في ما أنتم عليه إلَّا الظن ، لا العلم واليقين ﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ وما أنتم إلَّا خارصين ، كاذبين ، والمراد بلفظ الاستقبال : الاسم كما تقول : رأيته

---

(١) لم أقف عليه عن أبي علي الجرجاني .

(٢) في (ش) : (وقالوا) .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف ١٨٥ ب ، والبغوي في تفسيره ٣/ ٢٠١ ، والخازن ٢/ ١٩٧ ، وقال ابن عطية في تفسيره ٥/ ٣٨٧ : «قال بعض المفسرين : إنما هذه المقالة من المشركين على جهة الاستهزاء ، وهذا ضعيف» . اهـ

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٣٦ ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ١٤٥ من دون نسبة .

يصلي ؛ أي مصلياً ، ويأكل ؛ أي آكلاً ، ونظير هذا قوله : ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام:١١٦]» ، وقد مضى في هذه السورة .

١٤٩. قوله تعالى : ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ قال الزَّجّاج : «حجته البالغة تبيينه أنه الواحد ، وإرساله الأنبياء بالحجج التي يعجز عنها المخلوقون أجمعون»[١] ، وهذا معنى قول المفسرين : لله الحجة البالغة بالكتاب والرسول والبيان[٢] .

﴿فَلَوْ[٣] شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ هذا يدل على أنه ما شاء إيمان الكافر ولو شاء لهداه ، والقدرية يحملون هذه الآية ونظائرها على الإلجاء ، وذلك باطل من وجوه :

أحدها : أنَّ هذا عدول عن الظاهر ، والظاهر لا يدل على أن المراد لو شاء لألجأهم إلى الإيمان حتى يؤمنوا .

والثاني : أنَّ عندهم الله -تعالى- أراد أن يؤمن الخلق اختياراً لا اضطراراً ، فإذا لم يؤمنوا اختياراً حتى يلجئهم لم يرتفع مراده .

والثالث : أنَّهم بعد الإلجاء يجوز أن يصبروا على مقاساة الشدة ولا يؤمنوا ، فلا يرتفع أيضاً مراده كمَن صبر على مطالبة ما يقدر على أدائه حتى يهلك ، وأيضاً فإن هذا الإلجاء إذا قدَر الله تعالى عليه ولم يفعل حتى يؤمنوا فشركهم كان بإرادته ،

---

(١) معاني القرآن للزَّجّاج ٢/ ٣٠٣ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٨/ ٧٩ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٥١٤ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٢٢ ، والبغوي ٣/ ٢٠٢ .

(٣) في النسخ : (ولو شاء) بالواو ، وقد جاء ذلك في سورة النحل ، الآية ٩ من قوله تعالى : ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ .

لأن عندهم لا يجوز أن يدخر الله تعالى شيئاً عن الخلق[١] لو فعله لآمنوا، فإذا كان إيمانهم إنما يحصل بالإلجاء ثم لم يفعل فقد أراد شركهم[٢].

١٥٠. قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ الآية. قال الليث: «هَلُمَّ كلمة دعوة إلى شيء، الواحد والاثنان والجميع والذكر والأنثى فيه سواء، إلَّا في لغة بني سعد[٣] فإنهم يحملونه على تصريف الفعل يقولون: هَلُمَّا هَلُمُّوا»[٤]، ونحو ذلك قال ابن السكيت في ما أخبرناه أبو الفضل العروضي، [أخبرنا][٥] الأزهري، عن المنذري، عن الحَرَّاني، عنه يقول: «هَلُمَّ يا رجل، وكذلك للاثنين والجميع والمؤنث مُوَحَّد، قال الله عز وجل: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٠]، وقال عز وجل: ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ [الأحزاب: ١٨] ولغة أخرى يقال للاثنين: هَلُمَّا، وللجميع: هَلُمُّوا، وللمرأة: هَلُمِّي، وللاثنين: هلُمَّا، وللجميع: هَلْمُمْنَ، والأول أصح وإذا قال لك: هَلُمَّ إلى كذا، قلت: [إلامَ أَهَلُمُّ، وإذا قال لك: هَلُمَّ كذا قلت:[٦]] لا أَهَلُمُّه مفتوحة الألف والهاء؛ أي لا أعطيكه»[٧] انتهى كلامه.

---

(١) في (ش): (على الخلق).

(٢) انظر: تفسير البغوي ٣/ ٢٠٢، وابن عطية ٥/ ٣٩٠، والرازي ١٣/ ٣٢٥، ٣٢٦.

(٣) هم بنو سعد العشيرة، حي من كهلان من القحطانية، وهم بنو سعد العشيرة ابن مالك، وهو مذحج بن أدد بن يزيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان. انظر: الاشتقاق ٣٩٧، ونهاية الأرب ٢٦٨.

(٤) تهذيب اللغة ٤/ ٣٧٨٨، وانظر: مجاز القرآن ١/ ٢٠٨.

(٥) في (أ): (انباء).

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٧) إصلاح المنطق ٢٩٠، وبعضه في تهذيب اللغة ٤/ ٣٧٨٨، وانظر: تهذيب إصلاح المنطق ٢/ ١٢٠، ١٢١.

قال النحويون[١] : «هلم على اللغة الأولى لا تصرف له وهو بمنزلة نعم وبئس ، وإذا زال التصرف لم يُبْن عليه في الجواب إلَّا أهلم[٢] وأهلم ، فإن هذا تصرف ، وإنما تصرف هذا إلى اللغة الثانية المجراة[٣] مجرى الأفعال المتصرفة في التثنية والجمع» . فأمَّا أصل هذه الكلمة وإعرابها فقال الخليل وسيبويه : «إنها هاء ضمت إليها لُمَّ ، ومعنى لُمَّ ؛ أي جمع ، ويكون معنى : ادنُ ، يقال : لفلان لمه ؛ أي دنو ، ثم جعلتا كالكلمة الواحدة»[٤] .

وقال الفرَّاء : «أصلها هل أُمَّ ، أرادوا بهل : أقبل ، وأُم ، أي اقصد»[٥] ، وهذا قول ابن دريد أيضاً[٦] .

وقال أبو إسحاق : «وفتحت هلم[٧] ؛ لأنها مدغمة كما فتحت رُدَّ في الأمر لالتقاء الساكنين ، ولا يجوز فيها هَلُمَّ بالضم كما يجوز في رُدَّ بالضم[٨] ؛ لأنها لا تتصرف» .

قال أبو علي الفارسي : «اعلم أن في قولنا : هلم لغتين ؛ إحداهما : وهو قول أهل الحجاز ولغة التنزيل : أن تكون في جميع الأحوال للواحد والواحدة والاثنين

---

(١) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢/ ٢٩٠ ، وتأويل مشكل القرآن ٥٥٧ ، والمقتضب : ٣/ ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، والأصول ١/ ١٤١-١٤٦ ، وحروف المعاني للزَّجَّاجي ٧٣ ، ٧٤ ، والخصائص ٣/ ٣٥ ، ٣٧ ، والصاحبي ٢٧٩ ، والمشكل ١/ ٢٧٧ ، والبيان ١/ ٣٤٨ ، والتبيان ١/ ٣٦٣ .

(٢) في (أ) : (في الجواب لا أهلم أو أهلم) . وقد ضُبط إلا أهلم بفتح الهاء وضم اللام ، وأهَلِم بكسر اللام .

(٣) في (ش) : (والمجراة) بالواو .

(٤) انظر : الكتاب ٣/ ٥٢٩ ، ٣/ ٣٣٢ ، ١/ ٢٤٦ .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٢٠٣ . انظر : الصاحبي ٢٧٩ .

(٦) جمهرة اللغة ٢/ ٩٨٨ .

(٧) في (ش) : (هل) ، وهو تحريف .

(٨) في معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣٠٣ : «كما يجوز في رُدَّ : الفتح والضم والكسر ؛ لأنها لا تتصرف» . انظر : إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٠٥ .

والثنتين ، والجماعة من الرجال والنساء على لفظ واحد ، لا يظهر فيه علامة تثنية ولا جمع ، فيكون بمنزلة رُوَيْدَ وصَهْ ومَهْ ونحو ذلك من الأسماء التي سميت بها الأفعال ، وتستعمل للواحد والجميع والتأنيث والتذكير على صورة واحدة ، والأخرى : أن تكون بمنزلة رُدَّ في ظهور علامات الفاعلين على حسب ما يظهر في رُدَّ وسائر ما أشبهها من الأفعال ، فأمَّا الهاء اللاحق بها أولاً فهي من هَاء التي للتنبيه لحقت أولاً ؛ لأن لفظ الأمر قد يحتاج له إلى استعطاف المأمور واستدعاء إقباله على الأمر ، فهو لذلك[(١)] يقرب من المنادى ، ومن ثم دخل حرف التنبيه في قوله : (ألا[(٢)] يسجدوا) [النمل :٢٥] ، ألا ترى أنه أمر كما أن [هذا أمر][(٣)] إلَّا أنه كثر الاستعمال مع هاء ، فغيِّر بالحذف ؛ لكثرة الاستعمال كأشياء [تغير][(٤)] لذلك بالحذف نحو : لم أُبَلْ[(٥)] ولا أَدْرِ ولم يَكْ ، وما أشبه ذلك مما يُغيَّر للكثرة ، ومما حسن حذف الألف من ها في هلم أنها في موضع كان يجب أن يسقط في الأصل لالتقاء الساكنين ، ألا ترى أن فاء الفعل[(٦)] كانت في موضع سكون قبل الإدغام ، وقد نجد الحركات التي تُلقى على الحرف لحرف غيره لا يخرج الحرف به عن أن يكون في نية سكون ، يدلك على ذلك تركهم قلب الياء في جيل ، فحسن الحذف لسكون الألف ، [ولأن][(٧)] الفاء كأنها ساكنة إذ حركتها لغيرها كما كانت الياء في

---

(١) في (ش) : فهو كذلك .

(٢) جاء في النسخ (أَلاَ يَا اسْجُدُوا) ، وقد قرأ الكسائي بتخفيف اللام ووقف (أَلاَ يَا) ثم ابتدأ (اسْجُدُوا) ، وقرأ الباقون : بتشديد اللام (أَلَّا يَسْجُدُوا) . انظر : السبعة ٤٨٠ ، والمبسوط ٢٧٩ ، والاستشهاد هنا على تخفيف (ألا) ، وأبو علي الفارسي يَعُدُّ (يا) لمجرد التنبيه . انظر : الحجة لأبي علي ٥/ ٣٨٣ ، وكتاب الشعر ١/ ٦٦ .

(٣) في (أ) : (هذا الأمر) ، وهو تحريف .

(٤) في النسخ (يغير) بالياء ، والأصح بالتاء كما في الإغفال ٧١٣ .

(٥) انظر : اللسان ١/ ٩ .

(٦) في الإغفال ٧١٥ (أفعل) ، وأشار المحقق في الهامش إلى ورود لفظ الفعل في بعض النسخ .

(٧) في (ش) : (لأن) .

جيلٍ كأنها ساكنة ، ولولا ذلك لوجب الإعلال والقلب فمن حيث لم يجب القلب حسن الحذف في الألف من هلم .

فأمَّا ما حُكي عن الفرَّاء أنه قال في هلم : أن أصله هَلْ أُمَّ ، فالدليل على فساد هذا القول وفَسالته أنَّ (هل) لا يخلو من أحد أمرين : إمَّا أن يكون بمعنى : قد ، وهذا يدخل في الخبر ، وإمَّا أن يكون بمعنى : الاستفهام ، وليس لواحد من الحرفين متعلق بهلم ولا له مدخل[(١)] ، ألا ترى أنه يراد بها الأمر دون غيره ، فلا وجه لها هنا ، ألا ترى أنه لا يكون هل أضرب وأنت تأمر ، وأيضاً فإن أُمَّ بعد هل لا يخلو من أن يكون مثله رُدَّ ومُدَّ وأنت تأمر ، أو يكون مثل فُعِلَ إذا أخبرت ، فلا يجوز على قوله أن يكون التي للأمر من حيث لا تقول : هل اضْرِبْ ، ولا هل اقْتُلْ ، ولا يجوز أن يكون بمعنى فُعِلَ ، لأن ذلك للخبر ، والخبر لا وجه له [هنا][(٢)] لأن المراد [الأمر] . وهذا قول فاسد جدّاً لا يجب أن يُعرَّج عليه ، والقول فيه ما قدَّمنا ذكره .

وأمَّا قول أبي إسحاق : فتحت ؛ لأنها مدغمة كما فتحت رُدَّ في الأمر لالتقاء الساكنين ، فليس يخلو الفتح فيه من أن يكون لالتقاء الساكنين كما قال ، أو من أن[(٣)] يكون ؛ لأنه بُني مع الحرف المضموم إليه على الفتح كخمسة[(٤)] ، فلو كان الفتح لالتقاء الساكنين كما قال لجاز أن يحرك بالكسر أيضاً لالتقاء الساكنين ، وإذا لقيتْه ألف[(٥)] ولام مثل غُضَّ الطرف فلمَّا لم يحركه لا التميميون الذين يجمعون ويثنون ولا الحجازيون الذين يفردون ولا يغيرون دل ذلك من أمرها على أن

(١) قال أبو علي في العضديات ٢٢٣ : «لا يجوز أن يكون للاستفهام لاستحالة دخول الاستفهام على الأمر ، ولا يجوز أيضاً أن يكون هل التي بمعنى قد التي تدخل على الخبر ؛ لأن تلك لا تدخل على الأمر ، لا يجوز قد أذهب» . اهـ

(٢) في (ش) : (هاهنا) .

(٣) لفظ : (أن) ساقط من (ش) ، وفي الإغفال ٧٢٠ : (أو يكون لأنه بُني) .

(٤) أي فتحت من أجل التركيب كما فتحت خمسة عشر وبابها . انظر : التبيان ١/ ٣٦٣ .

(٥) في (ش) : (الألف) ، وفي الإغفال ٧٢٠ : (إذا لقيته الألف واللام) . اهـ

الجميع أجمعوا فيها على البناء على فتحها وحركوها لذلك ، ولم يكن حركتها عند الجميع لالتقاء الساكنين ، ألا ترى أن ما كان حركته لالتقاء الساكنين من هذا الضرب لا يمتنع اختلاف الحركات فيه [وأن ذلك][(١)] مطرد في جميعه[(٢)] فيخصص هذا من بين ذلك كله دلالة على أن حركته لما قلنا دون ما ذهب إليه ، وهو مذهب سيبويه فإنه[(٣)] قال : لا يكسر هلم ألبتة»[(٤)] .

فأمَّا معنى ﴿ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ﴾ فقال الزَّجَّاج : «هاتوا شهداءكم [وقرِّبوا شهداءكم]»[(٥)(٦)] ، وهذه الكلمة تستعمل تارة بمعنى دعاء المخاطب كقولك : هلم إليَّ ؛ أي ادنُ مني وتعالَ ، وتارة تستعمل بمعنى التعدية كقولك : هلم الطعام والشراب ، وبالمعنيين ورد القرآن ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾ [الأحزاب :١٨] . وقال في هذه الآية : ﴿ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ﴾ ، فإذا كان بمعنى التعدية فاشتقاقه من اللم الذي هو الجمع ، وإذا[(٧)] كان بمعنى دعاء المخاطب فاشتقاقه من اللمم بمعنى الدنو[(٨)] .

---

(١) لفظ : (وأن ذلك) ساقط من (أ) ، وفي الإغفال ، ٧٢١ : (فإن ذلك مطرد) .

(٢) كذا في النسخ ، وفي الإغفال ، ٧٢١ : (جمعه) ، وأشار المحقق في الهامش إلى ورود (جميعه) .

(٣) الكتاب ٣/ ٥٣٤ .

(٤) هذا ملخص ما ذكره أبو علي في الإغفال ٧١١-٧٢١ ، ونحوه ذكر في المسائل العضديات ٢٢١ ، وانظر : الدر المصون ٥/ ٢١١-٢١٣ .

(٥) لفظ : (وقربوا شهداءكم) ساقط من (ش) .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣٠٣ .

(٧) في (ش) : (فإذا) .

(٨) انظر : الصحاح ٥/ ٢٠٦٠ ، والمجمل ٤/ ٩٠٧ ، والمفردات ٨٤٤ ، واللسان (هلم) ٨/ ٤٦٩٤ ، وقال السمين في الدر ٥/ ٢١٣ : «هلم تكون متعدية بمعنى أَحْضر ، ولازمة بمعنى أقبل ، فمَن جعلها متعدية أخذها من اللمِّ وهو الجمع ، ومَن جعلها قاصرة أخذها من اللّمَمِ وهو الدنو والقرب» . اهـ

١٥١. قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ قال الزَّجَّاج[١] وابن الأنباري[٢]: «موضع (ما) نصب بـ (أتْل؛ أي اتل الذي حرَّمه ربكم».

قال أبو إسحاق: «ويكون ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا﴾ منصوبة بمعنى طرح اللام؛ أي أبيِّن لكم الحرام لئلا تشركوا به شيئاً؛ لأنهم إذا حرَّموا ما أحل الله -عز وجل- فقد جعلوا غير الله في القبول منه بمنزلة الله -جل وعز- فصاروا بذلك مشركين».

قال: «ويجوز أن يكون ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ﴾[٣] محمولاً على المعنى، فيكون أتلو عليكم ألَّا تشركوا [والمعنى: أتلو عليكم تحريم الشرك، قال: وجائز أن يكون على معنى أوصيكم ألَّا تشركوا[٤]] به شيئاً؛ لأن قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ محمول على معنى: أوصيكم بالوالدين إحساناً»[٥].

قال أبو بكر: «وقال آخرون: موضع (أن) نصبٌ بعلى، على[٦] معنى الإغراء، والكلام انقطع عند قوله: ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ والابتداء ﴿عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا﴾ كما قال تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] قال: ويجوز أن يكون أن في موضع رفع بعلى، كما تقول: عليكم الصيام والحج»[٧].

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣٠٣.
(٢) لم أقف عليه.
(٣) في (ش): ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾.
(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).
(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣٠٤.
(٦) في (ش): (نصب بمعنى على معنى)، وهو تحريف.
(٧) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٣٨، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ١٤٧، والسمين في الدر ٥/ ٢١٦، ٢١٧، واستبعد أبو حيان في البحر ٤/ ٢٥٠، والسمين في الدر ٥/ ٢١٧ النصب على الإغراء. قال السمين: «هذا ضعيف لتفكك التركيب عن ظاهره، ولأنه لا يتبادر إلى الذهن». اهـ

وأمَّا موضع (تشركوا) فذكر الفرَّاء فيه قولين : «أحدهما : وهو الظاهر أنه نصب بأن ، ويجوز أن يكون في موضع جزم بلا على النهي ، كقولك : أمرتك ألَّا تذهبَ إلى زيد بالنصب وأن لا تذهبْ بالجزم ، كما قال الله تعالى ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ ﴾ [الأنعام :١٤] فنصَب أوله ، ونهى في آخره . قال : والجزم في هذه الآية أحب إليَّ لقوله : ﴿ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ [الأنعام :١٥٢] وأمَّا ما نسقته على ﴿ أَلَّا تُشْرِكُواْ ﴾ من قوله : ﴿ تَقْرَبُواْ ﴾ و﴿ تَقْتُلُوٓاْ ﴾ [الأنعام :١٥١] فجائز أن يكون نصباً وجزماً على ما ذكرنا ، وجائز أن يخالف بينهن فتحكم على بعضٍ بالنصب ، وعلى بعضٍ بالجزم»(١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ قد ذكرنا [أنه على](٢) معنى : أوصيكم ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ . قال أبو بكر : «التقدير : أن لا تشركوا به شيئاً وأن تفعلوا ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ فحذف الفعل لوضوح معناه»(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ﴾ قال ابن عباس : «يريد : مخافة الفقر»(٤) .

---

(١) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٦٤ ، وتفسير الطبري ٨/ ٨١ ، ٨٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ١٩١ ، والمشكل ١/ ٢٧٧ ، وغرائب التفسير ١/ ٣٩١ ، والبيان ١/ ٣٤٩ ، والتبيان ١/ ٣٦٤ ، والفريد ٢/ ٢٤٨ ، وأطال السمين في الدر ٥/ ٢١٣ـ٢١٨ في إعراب هذه الآية ، وذكر في (ما) ثلاثة أوجه : وفي محل (أن لا تشركوا) ثلاثة أوجه ، الجر من وجه واحد ، والرفع من ثلاثة أوجه ، والنصب من ستة أوجه .

(٢) لفظ : (أنه على) ساقط من (ش) .

(٣) لم أقف عليه . انظر : المشكل ١/ ١٠٢ ، والبيان ١/ ٨٤ .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٨٢ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤١٤ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٤/ ١٠٣ ، وهو في مسائل نافع بن الأزرق ١١٥ ، وتنوير المقباس ٢/ ٧٣ ، وأخرج أبو عبيد في اللغات ٩٨ ، وابن حسنون ٢٤ ، والوزان ٣ ب بسند جيد عن ابن عباس : قال : «يعني : من جوع بلغة لخم» . اهـ

وقال الزَّجَّاج: «أي من فقر؛ أي من خوف فقر»(١)، وقد صرَّح بذكر الخوف(٢) في قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]، وهذا في النهي عن [الوأد](٣) كانوا يدفنون البنات أحياء، بعضهم للغيرة، وبعضهم خوف الفقر، فضمن الله(٤) لهم الرزق في قوله: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١]. قال شمِر: «أمْلق لازم ومتعدٍّ، يقال: أَمْلَق الرجلُ فهو مُملق إذا افتقر، فهذا لازم، وأملق الدَّهرُ ما بيده إذا أفسده، والإملاق: الإفساد»(٥).

وقال ابن شميل أيضاً: «ومنه قول أوس بن حجر:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْعُدْمَ قَيَّدَ نَائِلِي ... وَأَمْلَقَ ما عِنْدي خُطُوبٌ تَنَبَّلُ(٦)

[أي تذهب بالمال تَنبلَّتْ بها عندي؛ أي ذهبت به(٧)].

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣٠٤، ونحوه في غريب القرآن لليزيدي ١٤٣، وتفسير غريب القرآن ١٦٣، وتفسير المشكل ٨١. قال الطبري في تفسيره ٨/ ٨٢: «الإملاق: مصدر من قول القائل: أملقت من الزاد، فأنا أملق إملاقاً. وذلك إذا فني زاده وذهب ماله، وأفلس». اهـ، وانظر: مجاز القرآن ١/ ٢٠٨.

(٢) قال في الأنعام: ﴿مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾؛ لأنه فقر واقع. وفي الإسراء: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾؛ لأنه فقر متوقع. انظر: ملاك التأويل ١/ ٣٥٣، وفتح الرحمن ١٨١.

(٣) في (ش): (الولد)، وهو تحريف.

(٤) لفظ: (الله) ساقط من (أ).

(٥) تهذيب اللغة ٤/ ٣٤٤٨، والظاهر من إيراد الأزهري أن البيت من كلام شمِر وليس من كلام ابن شميل، وأيضاً قوله: «والإملاق: الإفساد» من قول ابن شميل. انظر: معنى الإملاق في إصلاح المنطق ٤٦، ٢٧٥، والجمهرة ٢/ ٩٧٥، والصحاح ٤/ ١٥٥٦، والمجمل ٣/ ٨٤٠، واللسان (ملق) ٧/ ٤٢٦٥.

(٦) ديوانه ٩٤، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٤٤٨، واللسان (ملق) ٧/ ٤٢٦٥، والدر المصون ٥/ ٢١٨. العُدْم (بضم فسكون): فقدان الشيء وذهابه، والفقر، وغلب على فقد المال وقلَّته. انظر: اللسان (عدم) ٥/ ٢٨٤٨، والخطوب (بالضم): جمع خَطْب (بفتح فسكون)، وهو الشأن والأمر. انظر: اللسان (خطب) ٢/ ١١٩٤، وتنبل (بالفتح): تأخذ الأنبل. انظر: اللسان (نبل) ٧/ ٤٣٣٠.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (أ)، وملحق بالهامش.

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ . قال ابن عباس : «كانوا يكرهون أن يزنوا علانيةً فيفعلون ذلك سرّاً ، فنهاهم الله عن الزنا سرّاً وعلانيةً»(١) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ قال : «إلّا بالقود ، يريد : القصاص»(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ قال الزَّجَّاج : «هذا يدل على أن معنى ﴿وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ محمول على معنى : وصَّاكم بأن لا تشركوا»(٣) .

١٥٢. قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام :١٥٢] ، قال عطاء عن ابن عباس «يريد : إن كنت له وصيّاً فأصلحت في ماله وقمت لله في ضيعته(٤) أكلت بالمعروف إن احتجت إليه ، وإن كنت

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٨٣ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤١٦ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٠٤ ، وهذا من باب التمثيل ، والآية عامة ، وهو اختيار الجمهور ، وروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- كما في الدر المنثور ٣/ ١٠٤ . قال ابن عطية في تفسيره ٥/ ٣٩٤ : «الآية نهي عام عن جميع أنواع الفواحش وهي المعاصي ، وظهر وبطن حالتان تستوفيان أقسام ما جعلت له من الأشياء ، وذهب بعضهم إلى تخصيص لا تقوم عليه حجة ، بل هو دعوى مجردة» . اهـ ملخصاً ، وانظر : تفسير الطبري ٨/ ٨٣ ، والرازي ١٣/ ٢٣٣ ، والقرطبي ٧/ ١٣٣ .

(٢) (قال) كذا في النسخ ، والمراد ابن عباس -رضي الله عنهما- كما ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٣٩ ، وفي تنوير المقباس ٢/ ٧٣ : «﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ بالعدل يعني : بالقود والرجم والارتداد» . اهـ . ولعل ما ذكره الواحدي من باب التمثيل لبعض ما أباح الشارع به قتل النفس ، فهذه الآية نهي عن قتل النفس المحرمة مؤمنة كانت أو معاهدة إلّا بالحق الذي يوجب قتلها ، وقد بيَّنته الشريعة ، ومنها : الردة ، وقتل النفس ، والزنا بعد الإحصان ، والحرابة . انظر : تفسير الطبري ٨/ ٨٤ ، والبغوي ٣/ ٢٠٣ ، وابن عطية ٥/ ٣٩٥ ، والقرطبي ٧/ ١٣٣ ، وابن كثير ٢/ ٢١١ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣٠٤ . انظر : أيضاً أضواء البيان ٢/ ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، وفيه رجَّح هذا الوجه .

(٤) الضَّيْعة (بفتح فسكون) : الحرفة ، والصناعة ، والمال ، وسياسة الإبل والغنم . انظر : اللسان (ضيع) ٥/ ٢٦٢٤ .

غنيّاً عنه فعفَّ عن أكله، وقد قال في سورة البقرة: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ﴾ الآية [البقرة: ٢٢٠]»[١]، وقال الضحاك: «هو أن يبتغي له فيه من فضل الله ولا يأخذ من ربحه شيئاً»[٢].

وقال[٣] مجاهد: «هو التجارة فيه»[٤]. قال أبو إسحاق: «﴿ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ حفظ ماله عليه وتثميره بما يوجد السبيل إليه»[٥]، وهو قول السُّدِّي، قال: «التي هي أحسن التثمير له»[٦].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ قال[٧]: «حتى محمولة على المعنى؛ أي احفظوه عليه حتى يبلغ أشده، فإذا بلغ أشده فادفعوا إليه ماله»، وأمّا معنى الأشد وتفسيره[٨] فقال الليث: «الأشُدُّ: مبلغ الرجل الحُنكة[٩] والمعرفة»[١٠]،

---

(١) ذكره نحوه الواحدي في الوسيط ١/ ١٤٠، وفي تنوير المقباس ٣/ ٧٣، وزاد المسير ٣/ ١٤٩ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الطبري ٨/ ٨٤، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤١٩ بسند ضعيف، وذكره الثعلبي في الكشف ١٨٦ أ، والماوردي في تفسيره ٢/ ١٨٧، والبغوي ٣/ ٢٠٤.

(٣) في (أ): (وهو مجاهد هو التجارة فيه)، وفي (ش): (وقال مجاهد هو من التجارة فيه).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٨٤ بسند جيد، وذكره النحاس في معاني القرآن ٢/ ٥١٧، والثعلبي في تفسيره ١٨٦ أ، والماوردي ٢/ ١٨٧، والبغوي ٣/ ٢٠٣ـ٢٠٤.

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣٠٥، وفيه: «بما يوجد إليه السبيل».

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٨٤ بسند جيد، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ١٤١٩، ورجَّح هذا القول الطبري في تفسيره ٨/ ٨٤، والبغوي ٣/ ٢٠٣، وابن عطية: ٥/ ٣٩٦، وقال القرطبي في تفسيره ٧/ ١٣٤ في تفسير الآية: «أي بما فيه صلاحه وتثميره، وذلك بحفظ أصوله وتثمير فروعه، وهذا أحسن الأقوال في هذا، فإنه جامع».

(٧) كذا في النسخ: والمراد الزَّجَّاج حيث جاء النص في معاني القرآن ٢/ ٣٠٥.

(٨) انظر: العين ٦/ ٢١٣، والجمهرة ١/ ١١١، والصحاح ٢/ ٤٩٣، والمجمل ٢/ ٥٠٠، والمفردات (شد) ٤٤٨.

(٩) في (ش): (الحركة)، وهو تحريف.

(١٠) تهذيب اللغة ٢/ ١٨٤٣.

وقال أبو عبيد(١) : «قال الفرَّاء : الأشُدُّ واحدها شَدٌّ في القياس ، ولم أسمع لها بواحد ، وأنشد :

قدْ سادَ وَهوَ فَتًى حَتَّى إذا بَلَغَتْ ... أَشُدُّهُ وعَلا في الأَمْرِ واجْتَمَعَا»(٢) .

وقال أبو الهيثم : «واحدة الأشد : شِدَّة ، كما أن واحدة الأنعُم : نِعْمَة ، والشِّدَّة : القوة والجلادة ، والشديد : الرجل القوي ، قال : وكأن الهاء في النِّعْمَة والشِّدَّة لم تكن في الحرف إذ(٣) كانت زائدة وكأن الأصل نِعمٌ وشِدٌ فجمعا على أفعل(٤) كما قالوا : رِجل وأرْجُل ، وقِدح وأقْدُح ، وضِرس وأضْرُس» .

---

(١) تهذيب اللغة ٢/ ١٨٤٣ ، ولم أقف عليه في معاني القرآن للفرَّاء بعد طول بحث ، وهو في الغريب المصنف لأبي عبيد ١/ ٣٧٩ ، من قوله دون ذكر الفرَّاء ، وكذا في المخصص ١/ ٤١ ، وحكى ثعلب في مجالسه ٢/ ٥٤٠ عن الفرَّاء ، قال : «أشُدُّه : جمع شَدّ» ، وهو في الجميع بفتح الشين . قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٩٩ : «هو موضع جميع لا واحد له من لفظه ، وقال الفرَّاء والكسائي : واحد الأشد : شد . على فُعل وأفعل مثل بحر وأبحر ، وأشد مضعف مشدد» . اهـ . انظر : ١/ ٣٠٥ ، ١/ ٣٧٨ ، وتفسير الطبري ٨/ ٨٥ .

(٢) الشاهد لعدي بن الرقاع في الغريب المصنف ١/ ٣٧٩ ، والأفعال لأبي عثمان السرقسطي ٢/ ٣٣٢ ، والمخصص ١/ ٤١ ، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ٢/ ١٨٤٣ ، واللسان (شدد) ٤/ ٢٢١٥ ، والدر المصون ٥/ ٢٢١ ، ولم أقف عليه في ديوانه المطبوع .

(٣) في (ش) : (إذا كانت) .

(٤) انظر : الكتاب ٤/ ٢٤٥ ، وفي الخصائص ١/ ٨٦ ، حكى عن سيبويه (أنه جمع شِدة بالكسر) ، وهو قول أبي زيد في النوادر ٥٤ . انظر : تفسير المشكل لمكي ١١٢ ، ١١٣ .

وحكى ابن الأنباري عن بعض أهل اللغة[(١)] : «أن الأشد اسم واحد ، ولا واحد له بمنزلة الآنك[(٢)] وذُكر عن جماعة[(٣)] من البصريين : أن واحده : شُدَّ بضم الشين ، مثل قولك : هو وُدِّي[(٤)] وهم أَوُدِّى» .

قال الأزهري : «وبلوغ الأشد يكون من وقت بلوغ الإنسان مبلغ الرجال وإدراكه إلى أربعين سنة ، فبلوغ الأشد [محصور الأول][(٥)] محصور النهاية غير محصور ما بين ذلك ، قال الله تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف :١٥][(٦)] ، وفُسِّر بلوغ الأشد في هذه الآية بالاحتلام في قول يحيى[(٧)] بن يعمر[(٨)] والسُّدِّي»[(٩)] .

---

(١) في المذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ٥٩٧ ، ٥٩٨ : «قال الفرَّاء : أهل البصرة يزعمون أن الأشد اسم واحد مثل الآنك . . .» ، وقال أبو حيان في البحر ٤/ ٢٥٣ : «اختار ابن الأنباري في آخرين أنه مفرد لا جمع له وليس بمختار لفقدان أفعل في المفردات وضعاً» . اهـ

(٢) يعني : أنه مفرد لا جمع ، والآنك (بالمد ، وضم النون) : الرصاص القلعي ، أو خالصه ، والقزدير . انظر : تفسير الطبري ٨/ ٨٥ ، واللسان (أنك) ١/ ١٥٤ .

(٣) في المذكر والمؤنث ١/ ٥٩٧ ، حكاه عن يونس بن حبيب الضبي فقط ، وانظر : تفسير الغريب لابن قتيبة ٢١٥ ، ونزهة القلوب ٧٨ .

(٤) عند ابن الأنباري في المذكر والمؤنث ١/ ٥٩٧ : «بمنزلة قولهم : الرجل وُد والرجال أُود» . اهـ ، وفي اللسان (ودد) ٨/ ٤٧٩٣ . «الود : الحب يكون في جميع مداخل الخير» . اهـ

(٥) لفظ : (محصور الأول) ساقط من (ش) .

(٦) انظر : تهذيب اللغة ٢/ ١٨٤٣ ، وانظر : معاني القرآن للفرَّاء ٣/ ٥٢ ، وتفسير غريب القرآن ٢٥٤ .

(٧) أبو سليمان البصري قاضي مرو ، إمام تابعي ثقة ، فقيه مقرئ ، نحوي أديب فصيح عالم باللغة ، يقال إنه أول مَن نقط المصاحف ، مات قبل المئة ، وقيل بعدها . انظر : معجم الأدباء ٢٠/ ٤٢ ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٤١ ، وغاية النهاية ٢/ ٣٨١ ، وتهذيب التهذيب ٤/ ٤٠١ .

(٨) ذكره الثعلبي في الكشف ١٨٦ أ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ١٥٠ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ٢٥٢ .

(٩) أخرج الطبري في تفسيره ٨/ ٥٨ بسند جيد عن السُّدِّي ، قال : «الأشد : ثلاثون سنة ، ثم جاء بعدها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ﴾» [النساء :٦] ، وذكره ابن الجوزي في تفسيره ٣/ ١٥٠ ، وقال : «فكأنه يشير إلى النسخ» ، وعليه يكون المراد : الاحتلام ، والله أعلم .

وقال أبو إسحاق: «وبلوغ أشُدِّه أن يؤنس منه الرشدَ مع أن يكون بالغاً وحينئذٍ يجب دفع المال إليه»[(١)]، وقد ذكرنا هذا الفصل مستقصى في أول سورة النساء.

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ﴾ كل شيء بلغ تمام الكمال فقد وفى وتمَّ، يقال: درهم وافٍ، وكيل وافٍ، وأوفيته حقه ووفيته إذا تممته[(٢)]، وأوفى الكيل؛ أي أتمَّه ولم ينقص منه شيئاً[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾؛ أي وزن الميزان والوزن به؛ لأن المراد إتمام[(٤)] الوزن لا إتمام الميزان[(٥)]، كما أنه قال: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ﴾، ولم يقل: المكيال، فهو من باب حذف المضاف[(٦)].

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣٠٥، ورجَّح هذا القول ابن عطية في تفسيره ٥/ ٣٩٧، وقال: «هذا أصح الأقوال وأليقها بهذا الموضع»، وقال السمين في الدر ٥/ ٢٢١: «المراد ببلوغ الأشد بلوغ الحلم في قول الأكثر؛ لأنه مظنة ذلك»، ورجَّحه ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ١٥٠، والظاهر أن بلوغ الأشد في اليتيم مقيد بالبلوغ مع الرشد وزوال السفه، وأكثر أهل العلم على أن سن البلوغ خمس عشرة سنة. انظر: تفسير القرطبي ٧/ ١٣٤ـ١٣٦، وابن كثير ٢/ ٢١٢، والشنقيطي ٢/ ٢٧٩.

(٢) لعله: (إذا أتممته) كما في تفسير الرازي ١٣/ ٢٣٤، فقد نقل نص الواحدي من دون نسبة.

(٣) هذا من تهذيب اللغة ٤/ ٣٩٢٤، وانظر: الصحاح ٨/ ٤٨٨٥، واللسان (وَفَى) ١٥/ ٣٩٨.

(٤) في (ش): (لأن المراد تمام الوزن).

(٥) الميزان: اسم آلة، وأصله مصدر، ثم أطلق على الآلة. انظر: الجمهرة ٢/ ٨٣٠، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٨٨٦، والصحاح ٦/ ٢٢١٣، والمجمل ٤/ ٩٢٤، والمفردات ٨٦٨، واللسان (وزن) ٨/ ٤٨٢٨.

(٦) قال العكبري في التبيان ٣٦٤: «والكيل: هاهنا مصدر في معنى المكيل، والميزان كذلك، ويجوز أن يكون فيه حذف مضاف تقديره: مكيل الكيل، وموزون الميزان». اهـ، وذكر قول الواحدي والعكبري، السمين في الدر ٥/ ٢٢١، ٢٢٢، وقال: «ولا حاجة إلى ما ادَّعاه من وقوع المصدر موقع اسم المفعول، ولا من تقدير المضاف؛ لأن المعنى صحيح بدونها، وأيضاً فميزان ليس مصدراً إلَّا أن يعضد قوله ما قاله الواحدي، والظاهر عدم الاحتياج إلى ذلك، وكأنه لم يعرف أن الكيل يُطلق على نفس المكيال حتى يقول: ولم يقل المكيال، والكيل والميزان: هما الآلة التي يكال بها ويوزن، وأصل الكيل المصدر، ثم أطلق على الآلة، والميزان مِفعال من الوزن لهذه الآلة...». اهـ ملخصاً

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ ؛ أي بالعدل لا بخس ولا شطط[(١)] .

وقوله تعالى: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ قال عطاء عن ابن عباس: «يريد: قد علمت ما أحل لك، وحرَّم عليك، فكما تحب أن يوفيك مَن تشتري منه، فأوفِ مَن تبيع منه»[(٢)]، وقال أصحاب المعاني: «أمر الله تعالى المعطي بإيفاء ذي الحق حقه الذي هو له من غير زيادة، وأمر صاحب الحق بأخذ حقه من غير نقصان، فلم يكلف نفساً إلَّا ما يسعها ولا يضيق[(٣)] عنها، فلو كلف المعطي الزيادة لضاقت نفسه عنها، وكذلك لو كلف الآخذ الرضى بالنقصان»[(٤)] .

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ﴾ قال ابن عباس: «يريد: إذا شهدتم أو تكلمتم فقولوا الحق»[(٥)]، ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ : «يريد:[(٦)] ولدك وقرابتك أو مَن تحب فقل الحق واشهد به»، وهذا محذوف الاسم[(٧)] . قال الزَّجَّاج: «ولو كان المشهود له وعليه ذا قربى»[(٨)]، ومثله في المائدة: ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [المائدة: ١٠٦] .

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٨/ ٨٦، والسمرقندي ١/ ٥٢٤ .

(٢) لم أقف عليه. وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ١٤٢٠ بسند جيد عن ابن عباس في الآية، قال: «هم المؤمنون وسَّع الله عليهم أمر دينهم، فقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]». اهـ

(٣) في (أ): (تضيق) بالتاء .

(٤) هذا قول الطبري في تفسيره ٨/ ٨٦، وذكره الثعلبي في الكشف ١٨٦ أ عن أهل المعاني، وهذا يدل على أن الطبري من أهل المعاني عند الثعلبي والواحدي؛ إذ لم أجد هذا المعنى عند أحد من أهل المعاني في ما لديَّ من مصادر .

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٤١ .

(٦) كأنه من قول ابن عباس حسب السياق، وفي تنوير المقباس ٢/ ٧٤ نحوه .

(٧) أي اسم كان مستتر تقديره: هو؛ أي المقول فيه. انظر: الدر المصون ٥/ ٢٢٢ .

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٠٥، وفيه: «أي إذا شهدتم أو حكمتم فاعدلوا، ولو كان المشهود عليه أو له ذا قربى». اهـ

وقوله تعالى: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟﴾ ذكرنا معنى الوفاء بالعهد عند قوله: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ﴾ [البقرة: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي ذلك الذي تقدَّم من ذكر مال اليتيم، وأن لا يُقرَب إلَّا بالتي هي أحسن، وإيفاء الكيل والوزن، واجتناب البخس، والتطفيف فيهما، وتحري الحق على مقدار الطاقة والاجتهاد، وهو معنى قوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، والقول بالقسط والحق ولو كان المقول فيه ذا قربى، والوفاء بالعهد لينجز[(١)] ما وعد عليه من قوله: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]؛ هذا كله مما وصى به ليتذكروه[(٢)]، ويأخذوا به فلا يطرحوه[(٣)]. وتذكر مطاوع ذكر[(٤)]، تقول: ذكرته فتذكر، كما أن تَفاعَل مطاوعُ فاعل، والتذكر يستعمل في أشياء متكررة؛ تتذكر وقتاً بعد وقت، وحالاً بعد حال، كالذي في هذه الآية، فإنه أمر بأخذ بعد أخذ، ووقت[(٥)] بعد وقت. و(تذكَّرون) إنما هو تتذكرون[(٦)] مخفف بالإدغام لاجتماع[(٧)] المتقاربة.

(١) في (أ): (لتنجز) بالتاء.

(٢) في (أ): (لتتذكروه وتأخذوا به).

(٣) في (ش): (فلا يطرحوا)، وفي (أ): (فلا تطرحوه). وما ذكره هو نص كلام أبي علي في الحجة ٣/ ٤٢٨.

(٤) في (ش): (ذكَّره).

(٥) في النسخ (ووقتاً)، وأصل النص من الحجة ٣/ ٤٢٧، ٤٢٨، وأشار المحقق في الهامش إلى ورود (ووقتاً) في بعض النسخ.

(٦) في (ش): (يذكرون إنما هو يتذكرون) بالتاء.

(٧) يعني اجتماع المتقارب، وهو التاء والذال.

وقرأ حمزة[(١)] والكسائي (تذكرون[(٢)]) خفيفة الذال، خفف بالحذف، كما خفف غيرهما بالإدغام، ويمكن أن يقال: إن الحذف أَولى لأنه أخف في اللفظ، والدلالة على المعنى قائمة[(٣)].

١٥٣. قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ الآية. قال الفرَّاء: «تُفتح (أن) من وقوع (أتل) [الأنعام: ١٥١] عليها يعني: وأتل عليكم ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ قال: وإن شئت جعلتها خفضاً يريد: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وبأن[(٤)] هذا صراطي»، وقال أبو علي: «مَن فتح (أن) فقياس[(٥)] قول سيبويه أنه حملها على (فاتبعوه)، والتقدير: ولأن ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ كقوله: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً[(٦)]﴾ [المؤمنون: ٥٢]. قال سيبويه: ولأن هذه أمتكم، وقال في قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ [فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا][(٧)]﴾ [الجن: ١٨]، المعنى: ولأن المساجد لله[(٨)]، وقرأ ابن عامر[(٩)]: (وأن هذا) مفتوحة مخففة،

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتخفيف الذال، وقرأ الباقون بتشديدها. انظر: السبعة ٢٧٢، ٢٧٣، والمبسوط ١٧٦، والتذكرة ٢/ ٤١٢، والتيسير ١٠٨، والنشر ٢/ ٢٦٦.

(٢) في (ش): (يذكرون) بالياء.

(٣) هذا قول أبي علي في الحجة ٣/ ٤٣٠، وانظر: معاني القراءات ١/ ٣٩٤، وإعراب القراءات ١/ ١٧٣، والكشف ١/ ٤٥٧.

(٤) في معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٦٤: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى﴾، وفيه أيضاً قال: «تكسر إن إذا نويت الاستئناف...». انظر: الإيضاح لابن الأنباري ٢/ ٦٤٦، والقطع للنحاس ١/ ٢٤٣، والتبيان ٣٦٤، والفريد ٢/ ٢٥١، والدر المصون ٥/ ٢٢٤.

(٥) في (ش): (فقيا من قول).

(٦) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع: (وأن هذه) بفتح الهمزة وتشديد النون، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بالكسر وتشديد النون، وقرأ ابن عامر بالفتح وتخفيف النون. انظر: السبعة ٤٤٦، والمبسوط ٢٦٢.

(٧) لفظ: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ ساقط من (ش)، وانظر: القراءة في السبعة ٦٥٦، والمبسوط ٣٨٣.

(٨) الكتاب ٣/ ١٢٦، ١٢٧، وانظر: إعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٩٢.

(٩) قرأ ابن عامر بفتح الهمزة وتخفيف النون، وقرأ حمزة والكسائي بكسر الهمزة وتشديد النون، وقرأ =

والمخففة [هاهنا][(١)] كالمشدودة، وفيه ضمير القصة والحديث، وعلى هذه الشريطة يخفف، والتقدير: وأنه هذا، كقول الأعشى:

في فِتيةٍ كسيُوفِ الهندِ قدْ علمُوا أَنْ هـالِـكٌ . . .[(٢)]

أي قد علموا أنه هالك. قال: «والفاء التي في قوله (فاتبعوا) مثل الفاء التي في قولك: بزيد فامرر، ومَن كسر (إن) استأنف بها، والفاء[(٣)] في قوله عاطفة جملة على جملة، وعلى القول الأول زيادة»[(٤)]، وذكرنا وجه انتصاب قوله (مستقيماً) عند قوله: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ [الأنعام:١٢٦] في هذه السورة. قال ابن عباس في قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا﴾: «يريد: ديني دين الحنيفية أقوم الأديان وأحسنها»[(٥)].

وقال مقاتل: «الذي ذكر في هذه الآيات[(٦)] من أمره ونهيه ﴿صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُ﴾»[(٧)].

= الباقون بفتح الهمزة وتشديد النون. انظر: السبعة ٢٧٣، والمبسوط ١٧٦، ١٧٧، والتذكرة ٢/ ٤١٣، والتيسير ١٠٨، والنشر ٢/ ٢٦٦.

(١) لفظ: (هاهنا) ساقط من (ش).

(٢) ديوانه ١٤٧، وعجزه: أنْ هالكٌ كلُّ منْ يحفى وينتعلُ، وقد سبق تخريجه.

(٣) كذا في النسخ، وهو يريد الفاء في قوله: (فاتبعوه)، ويعني بقوله: والفاء في قوله؛ أي الفاء على قول مَن قال بالقول الثاني. وفي الحجة لأبي علي ٣/ ٤٣٧: «والفاء في قوله (فاتبعوه) على قوله عاطفة جملة على جملة، وعلى القول الأول زيادة». اهـ

(٤) انظر: الحجة ٣/ ٤٣٦، ٤٣٧، وانظر: أيضاً معاني القراءات ١/ ٣٩٥، وإعراب القراءات ١/ ١٧٣، والحجة لابن خالويه: ص ١٥٢، والحجة لابن زنجلة ٢٧٧، والكشف ١/ ٤٥٧، والمشكل ١/ ٢٧٧، والبيان ١/ ٣٤٩.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٤٢، ولم أقف عليه عند غيره.

(٦) في «ش» (الآية).

(٧) تفسير مقاتل ١/ ٥٩٧.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ . قال ابن عباس: «اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأوثان»[(١)] ، وهذا تفسير ما ذكره مجملاً في رواية عطاء، قال: «يريد: مثل الذي يسلك الطريق فيأخذ بنيات[(٢)] الطريق»[(٣)] ، وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ : «يعني: البدع والشبهات»[(٤)] ، وقال مقاتل: «يعني: طريق الضلالة في ما حرَّموا على أنفسهم من الأنعام والحرث»[(٥)] .

وقوله تعالى: ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ قال ابن عباس: «فتضل[(٦)] بكم عن دينه»[(٧)] ، وقال مجاهد: «أي تميل وتخالف، ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ في الكتاب ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ السبل»[(٨)] . وقال عطاء في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ :

---

(١) تنوير المقباس ٢/ ٧٤، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٤٢، وأخرج الطبري في تفسيره ٨/ ٨٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٢٢ بسند ضعيف عن ابن عباس، قال: «لا تتبعوا الضلالات». اهـ

(٢) بُنَيَّاتُ الطريق (بضم الباء، وفتح النون، والياء المشددة): الطُّرق الصغار تتشعب من الجادة، وهي الترهات. انظر: اللسان (بني) ١/ ٤٠٨.

(٣) لم أقف عليه، وأخرج الطبري في تفسيره ٨/ ٨٨ بسند جيد عن ابن عباس في الآية، قال: «أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله». اهـ

(٤) تفسير مجاهد ١/ ٢٢٧، وأخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٨٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٢٢ بسند جيد، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٠٦، وفي تفسير مجاهد زيادة لفظ: (والضلالات).

(٥) تفسير مقاتل ١/ ٥٩٧.

(٦) في (ش): (فيضل) بالياء.

(٧) في تنوير المقباس ٢/ ٧٤ نحوه.

(٨) لم أقف عليه، وهو في الوسيط ١/ ١٤٢ من دون نسبة، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ١٤٢٢ بسند جيد عن مجاهد في قوله: (لعلكم تتقون)، قال: (لعلكم تطيعوا). اهـ

«كي تخافوا»(١) ، وقال المفسرون(٢) : «هذه الآيات محكمات ، لم ينسخهن شيء في جميع الكتب ، وهن محرمات على بني آدم ، مَن عمل بهن دخل الجنة ، ومَن تركهن دخل النار» .

١٥٤. قوله تعالى : ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية . قال أبو بكر(٣) : «الذي بعد (ثم) مقدَّم على الذي قبلها في النِّية ، والتقدير : ثم كنَّا قد آتينا موسى الكتاب قبل إنزالنا القرآن على محمد ﷺ ؛ لأن التوراة أنزلت قبل القرآن» .

قال : «وجواب آخر وهو : أنَّ (ثم) أوجبت تأخير الخبر بعد الخبر الأول ؛ أي ﴿تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام :١٥١] إلى قوله : ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام :١٥٣] ثم قال بعد ذلك : ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ يريد : ثم أخبركم بعدما أخبرتكم به عن نزول القرآن على محمد «بنزول التوراة على موسى ، فدخلت (ثم) لتأخير الخبر لا لتأخير النزول»(٤) ، وهذا قول أبي

---

(١) لم أقف عليه . قال أهل العلم : «هذه آية عظيمة أمر الله تعالى فيها باتباع سبيله ، وحذر من اتباع السبل ، وهي تعم سائر أهل الملل والبدع والضلالات والأهواء والشذوذ في الفروع ، وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام ، هذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقد» . أفاده ابن عطية في تفسيره ٥/ ٤٠٠ ، والقرطبي ٧/ ١٣٧ ، ١٣٨ ، وانظر : تفسير ابن كثير ٢/ ٢١٣ .

(٢) أخرج الطبري في تفسيره ٨/ ٨٧ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤١٤ ، والحاكم وصحَّحه ٢/ ٢٨٨ ، ٢/ ٣١٧ عن ابن عباس ، قال : «هن الآيات المحكمات قوله : ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [الأنعام :١٥١]» . وأخرج ابن الضريس في فضائل القرآن ٩٤ ، ٩٥ بسند جيد عن كعب الأحبار ، قال : «أول ما نزل من التوراة عشر آيات من آخر الأنعام : ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ . . . إلى آخر السورة» . اهـ ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٠٣ . قال أبو الليث السمرقندي في تفسيره ١/ ٥٢٣ : «ويقال : هذه الآيات هن أم الكتاب ، وهن إمام في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، ولا يجوز أن يرد عليها النسخ» . اهـ

(٣) أبو بكر ابن الأنباري محمد بن القاسم ، تقدمت ترجمته .

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٤٣ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ١٥٢ .

إسحاق، وأنكر القول الأول فقال: «(ثم) لا يكون الذي بعدها معناه التقديم، وإنما دخلت ثم للعطف على معنى التلاوة، والمعنى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾، وأتلو عليكم لا تقتلوا أولادكم، ولا تقتلوا النفس التي حرَّم الله، ثم أتلو عليكم ما آتاه الله -جل وعز- موسى»[(١)].

وقوله تعالى: ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ كثر الاختلاف في هذا بين أهل المعاني، والذي يعتمد في تفسير هذا قولان مجمع على صحتهما:

أحدهما: أنَّ المعنى (تماماً) من الله -عز وجل- على المحسنين، و﴿الَّذِي أَحْسَنَ﴾ بمعنى: مَن أحسن، ومَن أحسن هو المحسن، كأنه قيل: تماماً على المحسن، والمحسن [يكون][(٢)] هاهنا في مذهب الجمع كما قال: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]، وهذا كما يقول الرجل: أوصي بمالي لمَن غزا وحج وللذي غزا وحج[(٣)]، يريد: الغزاة والحجاج، ويدل على صحة هذا التأويل قراءة ابن مسعود[(٤)] «تماماً على الذين أحسنوا». والمحسنون[(٥)] هم الأنبياء صلوات الله عليهم [أجمعين][(٦)]، أو المؤمنون. وتلخيصه: آتينا موسى الكتاب تتميماً مِنَّا على

---

(١) انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣٠٥، ٣٠٦، وانظر: أيضاً تفسير الطبري ٨/ ٨٩، ٩٠، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٥٢٠. ذكر أبو حيان أقوال في توجيه الآية، ثم قال: «وهذه الأقوال كلها متكلفة، والذي ينبغي أن يُذهب إليه أنها للعطف، كالواو من غير اعتبار مهلة، وقد ذهب إلى ذلك بعض النحاة». اهـ. انظر: معاني الحروف للرماني ١٠٥، وغرائب الكرماني ١/ ٣٩٢، والمغني لابن هشام ١/ ١١٧، ١١٨.

(٢) لفظ: (يكون) ساقط من (ش).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٤) ذكرها الفرَّاء في معاني القرآن ١/ ٣٦٥، وابن قتيبة في تأويل المشكل ٣٩٨، والطبري في تفسيره ٨/ ٩٠، والنحاس في معاني القرآن ٢/ ٥١٩، وابن خالويه في مختصر الشواذ ٤١.

(٥) في (ش): (فالمحسنون) بالفاء.

(٦) لفظ: (أجمعين) ساقط من (أ).

الأنبياء و[١] المؤمنين الكتب ، وتفصيلاً منَّا لكل شيء ، وإنما فسَّرنا التمام بالتتميم هاهنا لما يعود معناه إليك ؛ لأنك إذا قلت : أعطيتك الشيء تماماً ، كان معناه : تمَّمته لك[٢] .

القول الثاني : ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ﴾ ؛ أي على الذي أحسنه موسى من طاعة الله جل وعز واتباع أمره ، أو على الذي أحسنه موسى من العلم ، وكتب الله القديمة ، فيكون (أحسن) بمعنى : علم ، والتأويل ﴿ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا﴾ على ما أحسن من العلم والحكمة ، وكتب الله المتقدمة ، وأراد بقوله : (تماماً) على ذلك ؛ أي زيادة على ذلك ، والقولان ذكرهما الفرَّاء[٣] ، والزَّجَّاج[٤] ، وأبو بكر[٥] ، وأبو محمد بن قتيبة[٦] .

---

(١) في (أ) : (أو المؤمنين) .

(٢) هذا نص كلام ابن قتيبة في تأويل المشكل ٣٩٧ ، ٣٩٨ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٦٥ ، وقدَّم الوجه الأول .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ١٥٤ عن أبي بكر ابن الأنباري .

(٦) تأويل مشكل القرآن ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، تقرير الواحدي من نصه ، وانظر : تفسير الطبري ٨/ ٩٠ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٩٣ ، والمشكل لمكي ١/ ٢٧٨ . ذكر أبو علي الفارسي في العضديات ١٦٩ـ١٧١ ثلاثة أوجه في الآية ، قال : «ووجه ثالث وهو أبينها وأوضحها ، ولا يختلف في جوازه على ذلك ، وهو أن يكون المعنى : تماماً على الذي أحسنه ، فيكون في (أحسن) ذكر يعود على (موسى) ، وتكون الهاء العائدة إلى الموصول محذوفة من الصلة ، كأنه : على الأمر الذي أحسنه موسى ، ومعنى (أحسن) أن يكون على ضربين ، أحدهما : أن يكون أحسنه بمنزلة حسنه ؛ أي حسنه لهم عند دعاء قومه إليه ، وإقامته لهم البراهين والحجج عليه . والوجه الآخر : أن يكون (أحسن) بمنزلة علم ، كأنه : تماماً على الأمر الذي علمه . . .» . اهـ ملخصاً ، وانظر : الدر المصون ٥/ ٢٢٧ .

قال الزَّجَّاج: «و(تمامــًا) منصوب على مفعول له وكذلك ﴿وَتَفْصِيلًا﴾ المعنى: آتيناه لهذه العلة؛ أي للتمام والتفصيل»[١]، والمفسرون[٢] على هذين القولين، فالقول الأول قول مجاهد والحسن، قال مجاهد: «تماماً على المؤمنين المحسنين»[٣]، وقال الحسن: «تماماً على المحسنين، و﴿الَّذِي أَحْسَنَ﴾ هو المؤمن»[٤].

وقال الكلبي: «﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ﴾ الألواح، فيها التوراة ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي﴾ أحسنه من تبليغ رسالاته»[٥]، وهذا معنى القول الثاني.

وأجاز الفرَّاء[٦] والكوفيون[٧] قولاً آخرَ هو: أن يكون (أحسن) اسماً موضعه خفض على النعت للذي، وهو سادٌّ مسدَّ الصلة، ونائب عنها، يراد به: ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ من غيره، فحذفت من لبيان أمرها، وجرى (أحسن) على إعراب (الذي) كما قالت العرب: مررت بالذي أخيك، وجلست إلى الذي

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣٠٦، وانظر: المصادر السابقة.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٨/ ٩٠، ٩١، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٥١٩ وتفسير السمرقندي ١/ ٥٢٥.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٩٠ بسند جيد، بلفظ: (على المؤمنين والمحسنين)، وفي تفسير مجاهد ١/ ٢٢٨: «على المؤمن»، وأخرج عنه الطبري في تفسيره ٨/ ٩٠، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٢٣ بلفظ: (على المؤمنين)، وقال السيوطي في الدر ٣/ ١٠٦: «أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وأبو الشيخ عن مجاهد قال: (على المؤمنين المحسنين)» . اهـ

(٤) قال النحاس في معاني القرآن ٢/ ٥١٩: «قال الحسن: كان فيهم محسن وغير محسن، وأنزل الكتاب (تماماً على الذي أحسن)» . وقد ذكره الثعلبي في الكشف ١٨٦ أ، والقرطبي في تفسيره ٧/ ١٤٣ بلفظ: (تماماً على المحسنين)، وهي قراءة الحسن كما في الدر المنثور ٣/ ١٠٧، وقال الماوردي في تفسيره ٢/ ١٨٩، وابن الجوزي ٣/ ١٥٤ قال الحسن وقتادة: «تماماً لكرامته في الجنة على إحسانه في الدنيا» . اهـ

(٥) ذكر عنه الرازي في تفسيره ١٤/ ٤، قال: «أتم له الكتاب على أحسنه» .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٦٥، وذكره الطبري في تفسيره ٨/ ٩٠، ٩١، والنحاس في إعرابه ١/ ٥٩٣، وأبو علي في العضديات ١٦٩ .

(٧) انظر: الإغفال ٧٢٦ .

مثلك ، فحملوا على الذي إعراب الاسم بعده ، وجعلوه[١] يسدُّ مسدَّ صلته ، وأنشدوا :

إنَّ الزبيريَّ الذي مثلَ الحَلَمْ[٢]

فنصب مثلَ على الإتباع للذي ، وهي سادَّة مسدَّ صلته ، وإنما جاز حمل (أحسن) على (الذي) و(الذي) معرفة و(أحسن) في تأويل نكرة ؛ لأنه يطالب من ، ومن يؤدي عن الإضافة ، والمضاف معرفة ، ومن كلام العرب : مررت بزيد خير منك ، على أن خيراً نعت لزيد ؛ إذ كان كالمضاف من أجل صحبته من ، وهذا كلام أبي بكر[٣] ، ويدل على صحة هذا القول قراءة يحيى[٤] بن يعمر : (تماماً على الذي أحسنُ) ، والتقدير : على الذي هو أحسن ؛ أي الذي هو أحسن

---

(١) في (أ) : (وجعلوا) .

(٢) لم أهتدِ إلى قائله ، وعجزه :

مَشَّى بَأَسْلَابِكَ فِي أَهْلِ العَلَمْ

وهو في معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٦٥ ، وتفسير الطبري : ٨/ ٩٠ ، وفي العضديات ١٦٨ ، والشيرازيات : ٨/ ٨ أ :

إنَّ الدبيريَّ الذي مثلَ الزُّلَمْ مشى بأسلابكَ في أهلِ الحَرَمْ

الزُّلم (بالضم) : السهو ، عند الفرَّاء والطبري : إن الزبيدي بالزاء ، والدبيري : الذي يسنح أخيراً عند فوات الحاجة ؛ أي شره إذا أدبر الأمر وفات . انظر : اللسان (دبر) ٣/ ١٣٢١ ، (زبر) ٣/ ١٨٠٦ ، والحلم (بفتحتين) : دودة تقع في الجلد فتأكله . انظر : اللسان ٢/ ٩٨٠ ، والشاعر يصف هذا الزبيري الذي سلبه ثيابه وأمواله ، وهو يمشي في الناس بأنه قمئ قصير ، أفاده الشيخ محمود شاكر في حاشية تفسير الطبري ١٢/ ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٣) هو أبو بكر ابن الأنباري ، لم أقف على كلامه ، وانظر : المسألة في الكتاب ٢/ ١٠٥-١٠٩ ، و٤٠٤ ، وأمالي ابن الشجري ١/ ١١٢ ، والإنصاف ٥٨٥ .

(٤) القراءة برفع (أحسنُ) ، وقد أخرجها الطبري في تفسيره ٨/ ٩٠ بسند جيد ، وذكرها النحاس في معاني القرآن ٢/ ٥٢٠ ، وابن جني في المحتسب ١/ ٢٣٤ ، وابن الشجري في أماليه ١/ ١١٢ ، وذكرها سيبويه في الكتاب ٢/ ١٠٨ من دون نسبة ، وضعَّف ابن جني في المحتسب هذه القراءة ؛ لقبح حذف المبتدأ العائد على الذي .

الأشياء، وأحسن من غيره، وهذا يدل على أن (أحسن) هاهنا اسم، ويعضد هذا القول [أيضاً][(١)] ما روي عن ابن عباس أنه قال في تفسير قوله: ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾: «أتم له الكتاب على أحسنه»[(٢)]، فجعل الأحسن من نعت الكتاب نظيره ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[(٣)] [الأعراف:١٣٧]، وقال أبو إسحاق: «أجاز الكوفيون أن يكون (أحسن) في موضع خفض، وأن[(٤)] يكون من صفة (الذي)، وهذا عند البصريين خطأ؛ لأنهم لا يعرفون الذي إلَّا موصولاً، ولا توصف إلَّا بعد تمام صلتها»[(٥)]، وقوله تعالى: ﴿لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾: قال ابن عباس: «كي يؤمنوا بالبعث ويصدِّقوا بالثواب والعقاب»[(٦)].

١٥٥. قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ الآية، مضى الكلام في هذا في هذه السورة.

﴿فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: قال الزَّجَّاج: «أي لتكونوا راجين للرحمة»[(٧)].

قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ الآية [الأنعام:١٥٦]: (أنْ) عند الفرَّاء[(٨)] والكسائي[(٩)] متعلقة بأنزلناه على تقدير: أنزلناه؛ لأن لا تقولوا، ثم حذف

---

(١) لفظ: (أيضاً) ساقط من (أ).

(٢) لم أقف عليه، وذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ٤ عن الكلبي.

(٣) الحسنى: نعت للكلمة. انظر: إعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٩٣، والفريد ٢/ ٣٥١.

(٤) في (ش): (أو يكون)، وهو تحريف.

(٥) انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣٠٥.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٤٣، والبغوي في تفسيره ٣/ ٢٠٦، والخازن ٢/ ٢٠١.

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣٠٦.

(٨) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٦٦، وعليه يكون مفعولًا لأجله. انظر: المشكل ١/ ٢٧٨.

(٩) في الإيضاح لابن الأنباري ٢/ ٦٤٧. قال الكسائي: «﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾؛ لأن لا تقولوا وبأن لا تقولوا...»، وانظر: القطع للنحاس ١/ ٢٤٤. ذكر الثعلبي في الكشف ١٨٦ أ، والبغوي في تفسيره ٣/ ٢٠٦، والقرطبي ٧/ ١٤٤ عن الكسائي، قال: «معناه: أن تقولوا يا أهل مكة». اهـ

الجار وحرف النفي كقوله : ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ﴾ [النساء :١٧٦] ، وقوله : ﴿رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾ [النحل :١٥] ؛ أي لئلا ، وعند البصريين[(١)] معناه : أنزلناه كراهة أن تقولوا ، ولا يُجيزون إضمار لا ، لا يقولون : جئت أن أكرمك ، على معنى : أن لا أكرمك[(٢)] . وقد ذكرنا ما في هذا في آخر سورة[(٣)] النساء .

١٥٦. قال الفرَّاء : «ويجوز أن تكون ﴿أَن﴾ متعلقة باتقوا والتأويل : و[(٤)] اتقوا ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾»[(٥)] .

قال ابن عباس : «يعني : التوراة والإنجيل[(٦)] ﴿عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا﴾ وهم اليهود والنصارى[(٧)] ، ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ﴾ يريد : لم ندرس التوراة والإنجيل فتعرف[(٨)] ما فيها»[(٩)] ، وقال الزَّجَّاج : «المعنى : وما كنَّا إلَّا غافلين عن دراستهم ؛ أي كنَّا غافلين عن تلاوة كتبهم»[(١٠)] . قال المفسرون : «الخطاب لأهل مكة ، والمراد بالآية : إثبات الحجة عليهم بإنزال القرآن على محمد ؛ كيلا يقولوا

---

(١) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢/ ٢٩١ ، وتفسير الطبري ٨/ ٩٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٩٣ . قال النحاس في معاني القرآن ٢/ ٥٢١ : «أحسن ما قيل في هذا : كراهية أن تقولوا» . اهـ

(٢) هذا نص كلام الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٣٠٧ .

(٣) انظر : البسيط (نسخة تشستربتي) ٢/ ٣٩ ب .

(٤) لفظ : (الواو) ساقط من (ش) .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٦٦ ، وعليه تكون مفعولًا به ، العامل فيه : (واتقوا) ، وجملة : (لعلكم ترحمون) اعتراضية جرت مجرى التعليل . انظر : الفريد ٢/ ٢٥٤ ، والدر المصون ٥/ ٢٢٩ .

(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٤٤ ، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ١٥٥ ، والقرطبي ٧/ ١٤٤ من دون نسبة .

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٩٣ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٢٥ بسند جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٨) في (ش) : (فيعرف) بالياء .

(٩) أخرج الطبري في تفسيره ٨/ ٩٤ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٢٥ بسند جيد عن ابن عباس ، قال : «يقول وإن كنَّا عن تلاوتهم لغافلين» . اهـ

(١٠) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣٠٧ .

يوم القيامة إن التوراة والإنجيل أنزلا ﴿عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا﴾ وكنَّا غافلين عما فيهما، فقطع الله معاذيرهم بإنزال القرآن فيهم»[1]، وقال قتادة: «﴿دِرَاسَتِهِمۡ﴾ قراءتهم»[2].

١٥٧. وقال [الكلبي][3] والكسائي: ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ﴾ لا نعلم[4] ما هي؛ لأن كتابهم لم يكن بلغتنا، فأنزل الله تعالى كتاباً بلغتهم، وبعث منهم رسولاً يعرفون نسبه، ويعرفونه بالصدق، فقال: ﴿فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [الأنعام:١٥٧]؛ أي رسول من ربكم ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء:١٩٥] حين لم تعرفوا[5] دراسة الطائفتين، وحين قلتم لو جاءنا ﴿ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ﴾ [الأنعام:١٥٧][6].

١٥٨. قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ﴾. وذكرنا الكلام في هذا في[7] سورة البقرة في قوله: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية [البقرة:٢١٠]. قال ابن عباس: «﴿هَلۡ يَنظُرُونَ﴾ إذ كذبوك (إلَّا أن تأتيهم[8] الملائكة) عند الموت لقبض أرواحهم»[9]. ومعنى (ينظرون) ينتظرون[10]، و(هل)

(١) انظر: تفسير الطبري ٨/ ٩٣، ٩٤، والسمرقندي ١/ ٥٢٥، وابن الجوزي ٣/ ١٥٤، ١٥٥.
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٩٤ بسند جيد.
(٣) لفظ: (الكلبي) ساقط من (أ)، ولم أقف على قوله.
(٤) في: (ش): (لم يعلم).
(٥) في (ش): (لم يعرفوا).
(٦) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٤٤، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ١٥٥.
(٧) انظر: البسيط (النسخة الأزهرية) ١/ ١٢٦ ب.
(٨) في (أ): (يأتيهم) بالياء. وقد قرأ حمزة والكسائي: (إلاَّ أن يأتيهم) بالياء، وقرأ الباقون بالتاء. انظر: السبعة ٢٧٤، والمبسوط ١٧٧.
(٩) تنوير المقباس ٢/ ٧٦، وانظر: تفسير الطبري ٨/ ٩٦، والسمرقندي ١/ ٥٢٥.
(١٠) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٦٤.

استفهام معناه النفي[١] ؛ أي لا ينتظرون إلَّا ذلك ، وهو خبر معناه النهي ، مثل قوله : ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ [البقرة :٢٢٨] خبر معناه : الأمر ، وهو كثير في القرآن ، والمعنى : يجب أن لا ينظروا بعد تكذيبك (إلَّا أن تأتيهم[٢] الملائكة) عند الموت فيقعوا في العذاب ، وذكرنا وجهاً آخرَ عن صاحب النظم[٣] في نظير هذه الآية في[٤] سورة النحل[٥] .

وقوله تعالى : ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ . قال ابن عباس : «يتنزل أمر ربك فيهم»[٦] ، وهذا يُحمل على الأمر بقتلهم ، واستقصاء هذا مذكور في سورة البقرة[٧] ، وقال أبو إسحاق : «معنى ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أو يأتي إهلاك ربك إياهم ، وانتقامه منهم ، إمَّا بعذاب عاجل ، أو بالقيامة»[٨] .

---

(١) انظر : تفسير الرازي ١٤/ ٦ .

(٢) في (ش) : (يأتيهم) بالياء .

(٣) أبو علي الحسن بن يحيى الجرجاني ، تقدمت ترجمته ، وكتابه نظم القرآن (مفقود) . انظر : مقدمة تفسير البسيط .

(٤) يقصد قوله تعالى : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل :٣٣] .

(٥) انظر : البسيط (النسخة الأزهرية) ٣/ ١٢٤ أ .

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٤٥ ، والقرطبي في تفسيره ٧/ ١٤٤ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ٢٥٨ .

(٧) انظر : البسيط (النسخة الأزهرية) ١/ ١٢٦ ب .

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣٠٧ ، وانظر : معاني القرآن للنحاس ٢/ ٥٢٢ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، والأرجح أن ذلك يوم القيامة للفصل بين العباد ، وأن الله يأتي للفصل على وجه يليق بجلاله وعظمته ، وهو قول الطبري في تفسيره ٨/ ٩٦ ، وأخرجه من طرق جيدة عن مجاهد وقتادة وابن جريج ، واختاره البغوي في تفسيره ٣/ ٢٠٧ ، وابن كثير ٢/ ٢١٦ ، والشنقيطي ٢/ ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، وانظر : تفسير القرطبي ٧/ ١٤٥ ، وفتاوى شيخ الإسلام ٦/ ٣٩٨ـ٤٢٤ .

وقوله تعالى : ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ . قال المفسرون عامة : «يعني : طلوع الشمس من مغربها»(١) ، وهذا إنما ينتظره مَن تأخر في الوجود من مكذبي محمد «إلى ذلك الوقت ، والمراد بهذا بيان أن المشركين والمكذبين إنما يمهلون قدر مدة الدنيا ، فهم يتنعمون فيها ، فإذا ماتوا أو ظهرت أمارات القيامة لم ينفعهم الإيمان ، وحلَّت بهم العقوبة اللازمة لهم أبداً» . ثم قال : ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ ؛ «أي لا ينفعها الإيمان عند الآية التي تضطرهم إلى الإيمان ؛ لأن الله جل وعز بعث الرسل بالآيات التي تتدبر ، فيكون للمؤمن بها ثواب ، ولو بعث الله على كل مَن لم يؤمن عذاباً لاضطر الناس إلى الإيمان ، وسقط التكليف والجزاء»(٢) قاله أبو إسحاق .

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٩٦ ، ٩٧ من طرق عدة جيدة عن عبدالله بن مسعود ومجاهد وقتادة والسُّدِّي ، ورجَّحه الطبري في تفسيره ، وابن الجوزي ٣/ ١٥٧ ، وانظر : الدر المنثور ٣/ ١٠٨ ، وأخرج البخاري في صحيحه ٤٦٣٥ ، في كتاب التفسير ؛ الأنعام ، ومسلم رقم ١٥٧ ، كتاب : الإيمان ، باب : بيان الزمن الذي لا يقبل في الإيمان –حديث– عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أن النبي ﷺ قال : «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت آمن الناس أجمعون ، وذلك حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾» ، ثم قرأ الآية . اهـ

وأخرج مسلم أيضاً –حديث رقم ١٥٨– عن أبي هريرة قال : قال رسول الله : «ثلاث إذا خرجن ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض» . اهـ ، وقال ابن عطية في تفسيره ٥/ ٤٠٩ : «يصح أن يراد جميع ما يقطع بوقوعه من أشراط الساعة ثم خصص بعد ذلك بقوله : ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ الآية التي ترفع التوبة معها وقد بيَّنت الأحاديث أنها طلوع الشمس من مغربها وهو قول جمهور أهل التأويل ، وروي عن ابن مسعود أنها إحدى ثلاث : إمَّا طلوع الشمس من مغربها ، وإمَّا خروج الدابة ، وإمَّا خروج يأجوج ومأجوج ، وهذا فيه نظر ؛ لأن الأحاديث تردُّه وتخصص الشمس» . اهـ ملخصاً ، وانظر : تفسير الرازي ١٤/ ٧ ، وفيه : «أجمعوا على أن المراد بهذه الآيات علامات القيامة» .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣٠٨ .

وقولــه تعــالى : ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعـام :١٥٨] ، قــال ابن عباس : «﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ﴾ يــا[١] أهل مكة ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ بكم العذاب يوم القيامة ، أو قبلها في الدنيا»[٢] .

وقوله تعــالى : ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ﴾ دليل عــلى أن قولــه : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ[٣] إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ[٤] ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ استفهام معناه : النفي ، وذلك النفي خبر يتضمن النهي على ما بيَّنَّا ، ألَا ترى أنه أمرهم بانتظار هذه الأشــياء في آخر الآية ، والدليل على هذه الجملة أن المشركين والكفار في ذلك الوقت كانوا غافلين لاهين ما كانوا ينتظرون شيئاً مما ذكر في هذه الآية ، وكذلك في كل وقت .

١٥٩. قوله تعــالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ الآية . قال ابن عباس[٥] في رواية عطــاء : «يريد : المشركــون بعضهم يعبدون الملائكــة يزعمون بأنهم بنات الله ، وبعضهم يعبــد الأصنام ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[يونس :١٨]»[٦] .

---

(١) في (ش) : (قل انتظروا إنا أهل مكة إنا منتظرن . . .) ، وهو تحريف .

(٢) تنوير المقباس ٢/ ٧٦ ، وذكره الواحدي في الوسـيط ١/ ١٤٦ ، وهو في تفسـير البغوي ٣/ ٢٠٧ من دون نسبة .

(٣) في النسخ : (هل ينتظرون . . .) ، وهو تحريف .

(٤) في (أ) : (يأتيهم) بالياء .

(٥) أخرج ابن أبي حاتم في تفسـيره ٥/ ١٤٣٠ عن ابن عباس بسند جيد في الآية ، قال : «أمر الله المؤمنين بالجماعة ، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة ، وأخبرهم أنه إنما أهلك مَن كان قبلهم بالمراء والخصومات في ديــن الله» . اهــ ، وفي تنوير المقباس ٢/ ٧٧ ، قــال : «تركوا دينهم ودين آبائهــم وصاروا فرقاً ، اليهودية والنصرانية والمجوسـية» . اهـ . أخرج الطبري في تفسيره ٨/ ١٠٤ ، ١٠٥ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٣٠ ، والنحاس في ناسخه ٢/ ٣٥٦ عن ابن عباس بسند ضعيف ، قال : «اليهود والنصارى» . اهـ ملخصاً .

(٦) ذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ٧ .

فهذا معنى ﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ ؛ أي فرقاً وأحزاباً في الضلالة ، فتفريقهم دينهم أنهم لم يجتمعوا في دينهم الذي هو شرك على شيء واحد ، وقال مجاهد[(١)] وقتادة[(٢)] والكلبي[(٣)] : «هم اليهود والنصارى» ، وهو قول مقاتل[(٤)] أيضاً ، والسُّدِّي[(٥)] ، وأصح[(٦)] القولين[(٧)] ، واختيار الفرَّاء[(٨)] والزَّجَّاج .

قال الزَّجَّاج[(٩)] : «يعني : به اليهود والنصارى ، وذلك [أن النصارى][(١٠)] يُكفِّر بعضهم بعضاً ، وكذلك اليهود ، وهم أهل كتاب واحد ، وهو التوراة ، والنصارى يكفر اليهود ، واليهود يكفر النصارى»[(١١)] ، وعلى هذا معنى ﴿فَرَّقُوا

---

(١) ذكره هود الهواري في تفسيره ١/ ٥٧٧ ، والثعلبي في الكشف ١٧٨ أ ، والواحدي في الوسيط ١/ ١٤٦ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ٢٠٨ ، وفي تفسير مجاهد ١/ ٢٢٩ ، قال : «يهود» ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٠٥ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١١٨ .

(٢) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٢٢ ، والطبري ١٢/ ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، وابن أبي حاتم ٣/ ١٢٩ أ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١١٨ .

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٤٦ ، وهو في تنوير المقباس ٢/ ٧٧ .

(٤) تفسير مقاتل ١/ ٥٩٩ .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٠٥ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٣٠ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٤٠٣ .

(٦) في (ش) : (في أصح) ، وهو تحريف .

(٧) الظاهر أنَّ الآية عامة تشمل كل أهل الملل والنحل والأهواء والضلالات ، وهو اختيار الطبري في تفسيره ٨/ ١٠٥ ، والنحاس في إعراب القرآن ٢/ ١١٠ ، وابن كثير ٢/ ٢١٩ ، والشوكاني ٢/ ٢٥٩ .

(٨) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٢٦٦ .

(٩) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣٠٨ .

(١٠) لفظ : (أن النصارى) ساقط من (ش) .

(١١) كذا في النسخ ، والصواب : «والنصارى يكفِّرون اليهود ، واليهود يكفِّرون النصارى» . وعند الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٣٠٨ : «وبعضهم يكفِّر بعضاً ، أعني اليهود تكفِّر النصارى ، والنصارى تكفِّر اليهود» . اهـ

دِينَهُمْ﴾ ما قال يمان بن رئاب: «أخذوا [ببعض][(١)] وتركوا بعضاً، كما قال الله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾»[(٢)] [البقرة: ٨٥]، فهم خلاف المسلمين[(٣)] الذين وصفوا بالإيمان به كله في قوله: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ [آل عمران: ١١٩]، وقال في وصفهم أيضاً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ [النساء: ١٥٠].

ومعنى قوله ﴿دِينَهُمْ﴾ قال مقاتل: «هو الإسلام الذي أمروا به»[(٤)] يعني: دينهم الذي دعوا إليه وشرع لهم، فسمى شريعة الإسلام دينهم، وإن لم يجيبوا إليه، ولم يأخذوا به؛ لأنهم قد شرع لهم ذلك، ودعوا إليه، فلهذا الالتباس الذي لهم به جاز أن يضاف إليهم. وقرأ حمزة[(٥)] والكسائي: (فارقوا دينهم)[(٦)]؛ أي باينوه وخرجوا عنه، وهذا يؤول إلى معنى ﴿فَرَّقُوا۟﴾، ألا ترى أنهم لمَّا آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه فارقوه كله، فخرجوا عنه ولم يتبعوه، وعلى هذه[(٧)] القراءة: إن تأولنا الآية في المشركين كما قال ابن عباس[(٨)] رضي الله عنه، فالدين [الذي][(٩)] فارقه المشركون التوحيد الذي نصب لهم عليه أدلته؛ لأن المشركين لم يكونوا أهل كتاب، ولا ممسكين

---

(١) لفظ: (ببعض) ساقط من (ش).

(٢) لفظ: (وتكفرون ببعض) ساقط من (ش).

(٣) ذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ٨ من دون نسبة.

(٤) هذا نص كلام أبي علي في الحجة ٣/ ٤٣٨.

(٥) تفسير مقاتل ١/ ٥٩٩.

(٦) قرأ حمزة والكسائي: (فارقوا) بالألف مع تخفيف الراء، وقرأ الباقون: (فرقوا) بغير ألف مع تشديد الراء. انظر: السبعة ٢٧٤، والمبسوط ١٧٧، والتذكرة ٢/ ٤١٣، والتيسير ١٠٨، والنشر ٢/ ٢٦٦.

(٧) هذا نص كلام أبي علي في الحجة ٣/ ٤٣٨، وانظر: معاني القراءات ١/ ٣٩٦، وإعراب القراءات ١/ ١٧٣، والحجة لابن خالويه ١٥٢، والحجة لابن زنجلة ٢٧٨، والكشف ١/ ٤٥٨.

(٨) سبق تخريجه قريباً.

(٩) لفظ: (الذي) ساقط من (ش).

بشريعة ثم تركوها حتى يقال: «فارقوا دينهم»، ولكن إضافة الدين إليهم كإضافته إلى اليهود على ما بيَّنَّا، ومثل هذا قوله: ﴿وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ [الأنعام:١٣٧]؛ أي دينهم الذي دعوا إليه وشرع لهم، ألا ترى أنهم لا يلبسون عليهم دينهم الذي هو الإشراك.

وقال مجاهد في ما روى عنه ليث[(١)] في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾: «هم من هذه الأُمَّة»[(٢)].

وكذلك روي عن طاووس[(٣)] وعائشة[(٤)] وعن أبي هريرة[(٥)] روي مرفوعاً[(٦)]: أنهم أهل البدع والشبهات، وأهل الضلالة من هذه الأُمَّة؛ ذلك أنهم أبدعوا في الدين، وخالفوا الجماعة العظمى، وصاروا شيعاً مختلفين.

---

(١) ليث بن أبي سليم بن زنيم القرشي مولاهم، أبو بكر الكوفي، تقدمت ترجمته.

(٢) ذكره الرازي في تفسيره ١٤/٨.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٠٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٢٩، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١١٧، وصحَّح إسناده الشيخ أحمد شاكر في حاشية الطبري.

(٦) المرفوع جاء من ثلاث طرق:
الأولى: عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أن الرسول ﷺ قال: «يا عائشة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ هم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء وأصحاب الضلالة من هذه الأُمَّة، ليست لهم توبة. يا عائشة، إن لكل صاحب ذنب توبة غير أصحاب البدع والأهواء ليس لهم توبة، أنا منهم بريء وهم مني براء». أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ١٤٣٠، والطبراني في الصغير ١/ ٢٠٣، والواحدي في الوسيط ١/ ١٤٧، وذكر السيوطي في الدر ٣/ ١١٧، وزاد نسبته إلى: «الحكيم الترمذي وأبي الشيخ وأبي نعيم في الحلية وابن مردويه وأبي نصر السجزي في الإبانة والبيهقي في شعب الإيمان»، وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/ ٢١٩، وقال: «رواه ابن مردويه وهو غريب ولا يصح رفعه». اهـ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٢، وقال: «رواه الطبراني في الصغير وإسناد جيد»، وقال في ١/ ١٨٨: «رواه الطبراني في الصغير، وفيه بقية بن الوليد ومجالد بن سعيد، وكلاهما ضعيف»، وقال الحافظ في التقريب ١/ ١٠٥: «بقية صدوق كثير التدليس عن الضعفاء، علَّق له البخاري، وروى له الباقون». =

قال أبو إسحاق : «وفي هذه الآية حث على أن تكون كلمة المسلمين واحدة ، وأن لا يتفرقــوا في الدين ولا يبتدعوا البــدع»[(١)] . وقوله تعالى : ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ : قال الكلبي : «لست من قتالهم [في شيء]»[(٢)] ، وقال السُّدِّي : «يقول : لم تؤمر بقتالهم ، فلمَّا أمر بقتالهم نسخ هذا»[(٣)] ، كذلك قال ابن عباس[(٤)] ومجاهد[(٥)] والكلبي والسُّــدِّي : إن قوله : ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ منسوخ ، نسخه السيف في سورة براءة[(٦)] .

= الثانية : عن أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي ﷺ في قوله : «﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ ، قـال : هم أهل البدع ، وأهل الشـبهات وأهــل الضلالة من هذه الأُمَّة» . اهــ ، أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٠٥ ، وذكره السـيوطي في الدر ٣/ ١١٧ ، وزاد نسبته إلى : «الحكيم الترمذي والطبراني والشـيرازي في الألقـاب وابن مردويه» ، وذكره ابن كثير في تفسـيره ٢/ ٢١٩ ، وقـال : «رواه ابن جرير ، وإسـناده لا يصح ، فيه عباد بن كثير ، متروك الحديث» . اهـ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٢ ، ٢٣ ، وقال : «رواه الطبراني في الأوسـط ، ورجاله رجـال الصحيح ، غير معلل بن نفيل ، وهو ثقة» . اهـ

الثالثة : عن أبي أمامة –رضي الله عنه– ، عن الرســول ﷺ في قوله عز وجل : «﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ ، قال : هم الخوارج» . أخرجه ابن أبي حاتم في تفسـيره ٥/ ١٤٢٩ ، وذكره السـيوطي في الـدر ٣/ ١١٧ ، وزاد نسـبته إلى : النحاس وابن مردويه ، وذكره ابن كثير في تفسـيره ٢/ ٢١٩ ، والشوكاني ٢/ ٢٦٠ ، وقالا : «لا يصح رفعه» . اهـ

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣٠٨ ، وذكر مثله السمرقندي في تفسيره ١/ ٥٢٧ ، وانظر : تفسير ابن عطية ٥/ ٤١٠ ، والقرطبي ٧/ ١٤٩ .

(٢) تنوير المقباس ٢/ ٧٧ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٠٦ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٣١ بسند جيد .

(٤) أخرجه النحاس في ناسخه ٢/ ٣٥٦ بسند ضعيف .

(٥) لم أقف عليه ، وهو قول الفرَّاء في معاني القرآن ١/ ٣٦٦ ، والسمرقندي في تفسيره ١/ ٥٢٧ .

(٦) آية السـيف في أصح الأقـوال هي قولـه تعـالى : ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سـورة التوبة :٥] . انظر : النسـخ في القـرآن الكريم لمصطفى زيد :٢/ ٥٠٤ .

قال ابـن الأنباري: «معنـى[(١)] ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[(٢)] أنت منهم بريء، وهم منك بـرآء[(٣)] لم تلتبس بشيء مـن مذاهبهم، والعرب تقـول: إن كلَّمت فلاناً فلسـت منك ولسـت مني، يريـدون: كل واحد منَّا بـريء من صحبه. قال النابغة:

إِذَا حَـاوَلْتَ في أَسَـدٍ فُـجُوراً ... فَإِنِّي لَسْتُ مِنْـكَ وَلَـسْتَ مِنِّي[(٤)]

وقال النبي ﷺ: «مَن غشنا فليس منَّا»[(٥)] معناه[(٦)]: فنحن منه برآء»[(٧)].

---

(١) في (أ): (يعني).

(٢) لفظ: (في شيء) ساقط من (ش).

(٣) في (ش): (وهم منك براء، وتأويلهم لم تلتبس بشيء من مذاهبهم).

(٤) ديوان النابغة الذبياني ١٢٧، والكتاب ٤/ ١٨٦، وتفسـير الماوردي ٢/ ١٩٣، والقرطبي ٧/ ١٥٠، والبحـر المحيط ٤/ ٢٦٠، والـدر المصون ٥/ ٢٣٦، ٢٣٧. الفجور (بالضـم): الريبة والكذب، والشاعر يريد نقض الحلف. انظر: اللسان (فجر) ٧/ ٣٣٥٢.

(٥) أخرجه أحمد في المسـند ٢/ ٥٠، والدرامي ٣/ ١٦٥٥ (٢٥٨٣)، ومسـلم في صحيحه ١٦٤، وأبو داود ٣٤٥٢، وابـن ماجه ٢٢٢٤، ٢٢٢٥، والترمذي ١٣١٥، وقال: «حديث حسـن صحيح»؛ كلهم في السـنن، كتاب: البيوع، باب: النهي عن الغش، ومسلم، باب: الإيمان؛ باب قول النبي ﷺ: «مَن غشنا فليس منَّا»، وابن ماجه، كتاب: التجارات، باب: النهي عن الغش.

(٦) قال ابن الأثير في النهاية ٣/ ٣٦٩: «الغش: ضد النصح من الغشـش، وهو المشرب الكدر، وقوله: «ليس منَّا»؛ أي ليس من أخلاقنا ولا على سنَّتنا». اهـ

(٧) لم أقف عليه عن ابن الأنباري، وعلى هذا القول تكون الآية محكمة غير منسوخة، وهو الظاهر؛ لأنها خبر، والمعنى: أنت بريء منهم، وهم منك براء، وليس إليك شيء من أمرهم، وإنما أمرهم إلى الله، وهو اختيار الطبري في تفسـيره ٨/ ١٠٦، ١٠٧، والنحاس في ناسخه ٢/ ٣٥٦، ومكي في الإيضاح ٢٤٧، وابن عطية في تفسـيره ٥/ ٤١١، والرازي ١٤/ ٨. انظر: الناسخ والمنسوخ لابن حزم ٣٨، والناسـخ والمنسوخ لابن العربي ٢/ ٢١٣، ونواسـخ القرآن لابن الجوزي ٣٣٧، والنسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد ١/ ٤٤١.

١٦٠. قولـه تعـالى : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ قال ابـن عباس[١] وقتـادة[٢] والسُّـدِّي[٣] ومجاهد[٤] والضحـاك : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ : «يريد : شهادة أن لا إله إلا الله» ، وقال عطاء عن ابن عباس : «يريد : مَن عمل من المصدقين حسنة كتبت له عشر حسنات»[٥] ، وحذفت الهاء من ﴿عَشْرُ﴾ . والأمثال جمع مثل[٦] ، والمثل مذكر ؛ لأنه أريد : عشر حسنات أمثالها ، ثم حذفت الحسـنات وأقيمت الأمثال التي هي صفتها مقامها ، وحـذف الموصول كثير في الـكلام ، يقوِّي هذا قراءة مَـن قرأ :(عَشْرٌ أَمثالُها) بالتنوين والرفع[٧] ، وقـال أبو علي : «اجتمع هاهنا أمران ، كل

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٠٩ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١١٩ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ١٤٣١ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، وقال بعده : «وروي عن ابن عباس ، وأبي هريرة ، وعلي بن حسـين ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وعطاء ، ومجاهد ، وأبي صالـح ذكوان ، ومحمد بن كعب القرظي ، والنخعي ، والضحـاك ، والزهري ، وعكرمة ، وزيد بن أسلم ، وقتادة نحو ذلك» . اهـ

(٣) لم أقف عليه ، وقد رواه الطبري في تفسيره ٨/ ١٠٨ ، ١٠٩ من طرق عن جماعة من السلف رضي الله عنهم .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٠٩ بسند لا بأس به عن مجاهد والضحاك .

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٤٨ ، وابن الجوزي في تفسيره ٣/ ١٥٩ .

(٦) المِثْل (بكسر فسكون) : كلمة تسوية ، ويقال : مَثَل (بالفتح) : يراد به الشبه ، والصفة ، والشيء الذي يضرب لشيء مثلاً فيجعل مثله . انظر : اللسان (مثل) ٧/ ٤١٣٣ .

(٧) قـرأ يعقوب الحضرمي والحسـن والأعمـش وغيرهم : (عـشْرٌ) بالتنوين (وأمثالـُهـا) برفع اللام ، صفـة لعشر ؛ أي فله عشر حسـنات أمثال تلك الحسـنة ، وقرأ الجمهـور : ﴿عَشْرُ﴾ بغير تنوين ، ﴿أَمْثَالِهَا﴾ بالخفـض على الإضافة . انظر : تفسـير الطـبري ٨/ ١١٠ ، وإعـراب القرآن للنحاس ١/ ٥٩٥ ، ومختصر الشواذ ٤١ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٢٧ ، والمشكل ١/ ٢٧٨ ، والبحر المحيط ٤/ ٢٦١ ، والنشر ٢/ ٢٦٦_٢٦٧ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢٢٠ .

واحدٍ منهما يوجب التأنيث، فلمَّا اجتمعا قوي التأنيث، أحدهما: أنَّ الأمثال في المعنى حسنات، فجاز التأنيث، مثل قول الشاعر[١]:

ثَلاثُ شُخُوصٍ كاعِبَاتٍ[٢] ومُعْصِرُ

فأراد بالشخوص: نساء[٣]، والآخر: أنَّ المضاف إلى المؤنث قد يؤنث وإن كان مذكراً كقول مَن قرأ[٤]: «تلتقطه بعض السيارة» [يوسف: ١٠]»[٥]. والأمثال يراد بها حسنات أمثالها من جهة المجانسة تثبت[٦] لصاحبها، ثم الجزاء يقع لصاحبها على تلك العشر، وليس في الآية ذكر الجزاء بالحسنة، إنما ذكر أن لصاحب الحسنة الواحدة عشر حسنات[٧].

---

(١) الشاهد لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ١٢٦، والكتاب ٣/ ٥٦٦، والكامل للمُبرِّد ٢/ ٢٥١، والخصائص ٢/ ٤١٧، والمخصص ١٧/ ١١٧، وصدره:

فَكَانَ مِجَنِّي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَّقي

الكاعب (بالكسر): التي نهد ثديها. انظر: اللسان (كعب) ٧/ ٣٨٨٨، والمُعْصِر (بضم، فسكون، وكسر الصاد): التي بلغت عصر شبابها. انظر: اللسان (عصر) ٥/ ٢٩٦٩، والمجن: الترس. والشاهد: معاملة شخوص معاملة المؤنث؛ لأنه أراد النساء.

(٢) هكذا في النسخ: (كاعبات)، ولم أقف عليه بهذا اللفظ، وفي المصادر: (كاعبان) بالنون.

(٣) في (ش): (نسباً)، وهو تحريف.

(٤) قراءة العامة (يلتقطه بعض السيارة) بالياء، وقرأ مجاهد والحسن وقتادة: (تلتقطه) بالتاء لتأنيث المعنى، ولإضافته إلى مؤنث. انظر: إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٢٦، ومختصر الشواذ ٦٧، والدر المصون ٦/ ٤٤٧، والإتحاف ٢٦٢.

(٥) التكملة لأبي علي ٢٧٠، وانظر: تفصيل ذلك في الكتاب ٣/ ٥٦١ـ٥٦٧، ومعاني القرآن للأخفش ٢/ ٢٩١، والفرَّاء ١/ ٣٦٦، ٣٦٧، والزَّجَّاج ٢/ ٣٠٩، وتفسير الطبري ٨/ ١١٠، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٩٥.

(٦) في (ش): (يثبت) بالياء.

(٧) انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣١٠، وتفسير القرطبي ٧/ ١٥١.

[و][١] قوله تعالى : ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ قال ابن عباس : «يريد : الخطيئة ، قال : وهذا للمؤمنين»[٢] ، ومعنى : ﴿إِلَّا مِثْلَهَا﴾ : إلَّا جزاء مثلها ، يوازيها ويماثلها ، لا يكون أكثر منها ، وروى أبو ذر «أن النبي ﷺ قال : «إن[٣] الله تعالى قال : الحسنة عشر ، أو أزيد ، والسيئة واحدة أو أغفر ، فالويل لَمَن غلبت آحاده أعشاره»[٤] .

وقال ﷺ : «يقول الله : إذا هَمَّ عبدي بحسنة فاكتبوها له حسنة ، وإن لم يعملها ، فإن عملها فعشر أمثالها ، وإن هَمَّ بسيئة فلا تكتبوها ، فإن عملها فسيئة»[٥] .

---

(١) لفظ : «الواو» ساقط من (ش) .

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٤٨ ، والراجح أن المراد بالحسنة والسيئة العموم ، وأصل الحسنات التوحيد ، وأسوأ السيئات الشرك ، وهو اختيار ابن عطية في تفسيره ٥/ ٤١٢ ، والرازي ١٤/ ٨ ، وانظر : تفسير ابن كثير ٢/ ٢٢٠ .

(٣) لفظ : (إن الله تعالى قال) ساقط من (ش) .

(٤) في الباب أحاديث كثيرة ثابتة في الصحاح والسنن . انظر : صحيح مسلم رقم ٢٠٣-٢٠٨ ، وتفسير ابن كثير ٢/ ٢٢٠ ، ٢٢١ ، والدر المنثور ٣/ ١١٩ ، ١٢٠ . والأقراب إلى نص الواحدي هو ما أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٨٠ ، ومسلم ٢٦٨٧ ، والحاكم في المستدرك ٤/ ٢٤١ عن أبي ذر -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : «يقول الله عز وجل : الحسنة عشراً أو أزيد ، والسيئة واحدة أو أغفرها . . .» . ولفظ : (فالويل لَمَن غلبت آحاده أعشاره) ذكره الثعلبي في الكشف ١٨٧ أ ، والقرطبي في تفسيره ٧/ ١٥١ .

(٥) أخرج مسلم في صحيحه ٢٠٣ عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله عز وجل : إذا همَّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فإن عملها فاكتبوها سيئة ، وإذا همَّ بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فإن عملها فاكتبوها عشراً» . اهـ ، وأخرج مسلم رقم ٢٠٧ ، والبخاري ٧/ ١٨٧ ، كتاب : الرقاق ، باب : مَن همَّ بحسنة أو سيئة ، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ في ما يرويه عن ربه عز وجل ، قال : «إن الله كتب الحسنات والسيئات ، ثم بيَّن ذلك ، فمَن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، وإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة» . اهـ

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ قال ابن عباس: «لا ينقص ثواب أعمالهم»[١].

١٦١. قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا﴾، قال أبو إسحاق: «أمَّا نصب ﴿دِينًا﴾ فمحمول على المعنى؛ لأنه لمَّا قال: ﴿هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ دل على عرَّفني، فكأنه قال: عرفني ﴿دِينًا﴾، قال: ويجوز أن يكون على البدل من معنى ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ لأن معناه: هداني صراطاً مستقيماً ديناً، كما قال: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢]»[٢].

وقوله تعالى: ﴿قِيَمًا﴾ قال ابن عباس: «يريد: مستقيماً»[٣]، ونحو ذلك قال الأخفش[٤] والزَّجَّاج[٥] في القيم، وهو من باب الميت[٦] والصيب ونحوه، وقرأ أهل[٧] الكوفة ﴿قِيَمًا﴾ مكسورة القاف خفيفة الياء. قال الزَّجَّاج: «وهو مصدر كالصغر[٨] والكبر والحول والشيع». قال أبو علي: «وكان القياس أن يصحح

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٥٠، وفي تنوير المقباس ٢/ ٧٧ نحوه.

(٢) انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣١١، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٩٦، والحجة لأبي علي ٣/ ٤٤٠، والمشكل ١/ ٢٧٩، والدر المصون ٥/ ٢٣٨.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٥١.

(٤) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٢٩٢.

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣١٠، وهو قول الطبري في تفسيره ٨/ ١١١، والنحاس في معاني القرآن ٢/ ٥٢٥.

(٦) يريد قيم وزنه فَيْعِل وأصله قَيْوِم، اجتمعت الياء والواو، والأُولى ساكنة، فقلبت الواو ياء وأدغمت، ثم خفف اللفظ إلى قِيَم بكسر القاف وفتح الياء، ومثله مَيِّت وصَيِّب وسَيِّد ونحوه. انظر: اللسان (قوم) ٦/ ٣٧٨٥.

(٧) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع: (قَيِّمًا) بفتح القاف وكسر الياء مشددة، وقرأ الباقون بكسر القاف وفتح الياء مخففة. انظر: السبعة ٢٧٤، والمبسوط ١٧٧، والتذكرة ٢/ ٤١٤، والتيسير ١٠٨، والنشر ٢/ ٢٦٧.

(٨) انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣١٠، ٣١١، والنص فيه: «مصدر كالصغر والكبر» فقط، ولفظ: (شيع) من الحجة لأبي علي ٣/ ٤٣٩، وانظر: العضديات ١٢٢.

فيه الواو كالعوض والحول ، ولكنه شــذ عن القياس نحو ثيرة[١] وجياد في جمع جواد وكان القياس الــواو[٢] ، كما قالوا : طويل وطــوال»[٣] ، وهذا مما ذكرناه مستقصى[٤] في أول سورة النساء .

وقوله تعالى : ﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ﴾ ﴿مِّلَّةَ﴾ بدل عن ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ ، و﴿حَنِيفًاۚ﴾ منصوب على الحال من ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ ، والمعنى : هداني وعرَّفني ملة إبراهيم في حال حنيفيته ، وهو هاهنا لإبراهيم أحسن منه لغيره لقوله : ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ؛ قاله[٥] أبو إسحاق[٦] .

١٦٢. وقوله[٧] تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ قال أهل اللغة[٨] : «النســك : العبادة من كل نوع ، والنسك الذبيحة بعينها ، تقول : مَن فعل كذا فعليه نسك ؛ أي دم يهريقه» ، وروى ثعلب عن ابن الأعرابي ، قال : «النسك : سبائك الفضة ، كل سبيكة منها نســيكة ، وقيل للمتعبد : ناسِك ؛ لأنه

---

(١) ثِيرَة (بكسر الثاء ، وفتح الياء) : جمع ثور ذكر البقر ، قلبوا الواو ياء . انظر : اللسان (ثور) ١/ ٥٢٢ .

(٢) قال مكي في المشــكل ١/ ٢٧٩ : «مَن قرأ : (قَيِّمًا) مشــدد فأصله قَيْوِم على فَيْعِل ، ثم أبدل من الواو يــاء ، ثم أدغم ، ومَن خففه بناه على فعل ، وكان أصله أن يأتي بالواو فيقول : قوماً ، كما قالوا : عوض وحول ، ولكنه شذ عن القياس» . اهـ

(٣) الحجة لأبي عــلي ٣/ ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، وانظر : معاني القراءات ١/ ٣٩٨ ، وإعراب القراءات ١/ ١٧٤ ، والحجة لابن خالويه ١٥٢ ، والحجة لابن زنجلة ٢٧٩ ، والكشف ١/ ٤٥٩ .

(٤) انظر : البسيط (النسخة الأزهرية) ١/ ٢٢٩ أ .

(٥) في (ش) : (قال) ، وهو تحريف .

(٦) انظر : معاني القرآن للزَّجّاج ٢/ ٣١١ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٩٦ ، والمشكل ١/ ٢٧٩ .

(٧) وقــع في نســخة : (ش) اضطــراب في ترتيــب الأوراق ، فجــاء الــكلام عــلى هــذه الآيات في : ص١٤٦ ب .

(٨) النُّسْك (بضم فســكون) : العبادة ، والطاعة ، وكل ما تُقرِّب به إلى الله تعالى ، واختص بأعمال الحج . والنُّسُــك (بالضم) والنســيكة : الذبيحة . انظر : العين ٥/ ٤١٣ ، والجمهرة ٢/ ٨٥٦ ، والصحاح ٤/ ١٦١٢ ، والمجمل ٣/ ٨٦٥ ، والمفردات ٨٠٢ ، واللســان (نسك) ٧/ ٤٤١٢ . ونص الواحدي في تهذيب اللغة ٤/ ٣٥٦٢ ، وفيه : «النُّسْك ، بضم فسكون : الذبيحة» . اهـ

يخلِّص نفسه من دنس الآثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث»(١) ، وذكرنا طرفاً من هذا(٢) عند قوله : ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة:١٢٨] .

قال ابن عباس : ﴿وَنُسُكِي﴾ : «يريد : ذبيحتي»(٣) ، [وقال مقاتل : «نسكي : حجي»(٤) ، وقال مجاهد : «ذبيحتي](٥) في الحج والعمرة»(٦) ، وقال الزَّجَّاج : «النسك كل ما تقربت به إلى الله -عز وجل- إلَّا أن الغالب عليه أمر الذبح»(٧) .

وقوله تعالى : ﴿وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى﴾ ؛ أي حياتي وموتي لله ؛ أي هو يحييني وهو يميتني ، وقرأ نافع :(وَمَحيايْ)(٨) ساكنة الياء ، ونصبها في (ومَماتيَ) ، وإسكان الياء في ﴿وَمَحْيَاىَ﴾ شاذ غير مستعمل ؛ لأن فيه جمعاً بين ساكنين لا يلتقيان على هذا الحدِّ في نثرٍ ولا نظمٍ(٩) .

---

(١) تهذيب اللغة ٤/ ٣٥٦٢ .

(٢) انظر : البسيط (النسخة الأزهرية) ١/ ٨٧ أ .

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٥١ ، وابن الجوزي في تفسيره ٣/ ١٦١ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ٢٦٢ .

(٤) لعل المراد مقاتل بن حيان ، فقد أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ١٤٣٤ بسند جيد عنه ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٥١ ، وفي تفسير مقاتل بن سليمان ١/ ٩٠٠ ، قال : «يعني : ذبيحتي» . اهـ

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من : (ش) .

(٦) تفسير مجاهد ١/ ٢٢٩ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١١٢ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٣٤ بسند جيد .

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٥١ ، وابن الجوزي في تفسيره ٣/ ١٦١ ، وفي معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣١١ : (النسك : الذبح ، والنسك : ما يُتقرَّب به إلى الله جل وعز) . انظر : معاني القرآن للنحاس ٢/ ٥٢٥-٥٢٦ .

(٨) قرأ نافع : (مَحْيَايْ) بسكون ياء المتكلم ، (ومَمَاتِيَ) بفتح الياء ، وقرأ الباقون ﴿وَمَحْيَاىَ﴾ بفتح الياء ، و﴿وَمَمَاتِى﴾ ساكنة الياء . انظر : السبعة ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، والمبسوط ١٧٧ ، والتذكرة ٢/ ٤١٥ ، والتيسير ١٠٨ ، ١٠٩ ، والنشر ٢/ ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٩) هذا قول أبي علي في الحجة ٣/ ٤٤٠ ، ٤٤١ ، وانظر : معاني القراءات ١/ ٣٩٩ . وتسكين الياء له توجيهات عدة ، فيحتمل أنه عدل بها عن أصلها استثقالاً للحركة عليها ؛ لأن الياء حرف ثقيل ، فإذا حُرك ازداد ثقلاً إلى ثقله ، أو أجرى الوصل فيه مجرى الوقف . قال ابن خالويه في إعراب القراءات ١/ ١٧٤ : «وإنما صلح الجمع بين ساكنين ؛ لأن الألف حرف لين» . اهـ، وقال مكي في المشكل ١/ ٢٧٩ : «حق الياء الفتح ، لكن الحركة في الياء ثقيلة ، فمن أسكنها فعلى الاستخفاف ، لكنه جمع بين =

قال الزَّجَّاج : «أما ﴿وَمَحْيَايَ﴾ فلا بد من فتحها ؛ لأن قبلها ساكناً»[(١)] ، ووجه هذه القراءة ما حكى بعض البغداديين : «أنه سمع : التقت حلقتا البِطان[(٢)] بإسكان الألف مع سكون لام المعرفة» ، حكى أيضاً : «له[(٣)] ثلثا المال» . ومثل هذا ما جوَّزه يونس[(٤)] من قوله : «اضربان زيداً واضربنان زيداً»[(٥)] ، وسيبويه[(٦)] ينكر هذا من قول يونس[(٧)] . قال الزَّجَّاج : «ومعنى الآية : أنه يخبر بأنه إنما يتوجه بالصلاة[(٨)] وسائر المناسك إلى الله -عز وجل- لا إلى غيره ، كما كان المشركون يذبحون لأصنامهم ، فأعلم أنه لله وحده لا شريك له»[(٩)] .

١٦٣. وقوله تعالى : ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ قال ابن عباس : «يقول : بذلك أوحى الله إلي . ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ قال : يريد : أول مَن أسلم لله بقلبه ولسانه

= ساكنين ، والجمع بين ساكنين جائز إذا كان الأول حرف مد ولين ؛ لأن المد الذي فيه يقوم مقام حركة يستراح عليها فيفصل بين الساكنين» . اهـ ، وقال النحاس في إعراب القرآن ١/ ٥٩٦ : «قرأ أهل المدينة : (ومحيايْ) بإسكان الياء في الإدراج ، وهذا لم يجزه أحد من النحويين إلَّا يونس ؛ لأنه جمع بين ساكنين ، وإنما أجازه لأن قبله ألفاً ، والألف المدة التي فيها تقوم مقام الحركة ، ومَن أراد أن يَسْلم من اللحن وقف على (محيايْ) فيكون غير لاحن عند جميع النحويين» . اهـ ملخصاً . انظر : الحجة لابن خالويه ٩٥ ، والبحر المحيط ٤/ ٢٦٢ .

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣١١ .

(٢) البِطان (بالكسر) : الحزام الذي يجعل تحت بطن البعير ، وفيه حلقتان ، فإذا التقتا فقد بلغ الشَّدُّ غايته ، يُضرب مثلاً في الحادثة إذا بلغت النهاية في الشدة والصعوبة . انظر : الكامل للمُبرِّد ١/ ١٨ ، وجمهرة الأمثال ١/ ١٨٨ ، ومجمع الأمثال ٣/ ١٤٧ ، والمستقصى للزمخشري ١/ ٣٠٦ .

(٣) لفظ : (له) مكرر في (ش) .

(٤) يونس بن حبيب الضبي ، إمام ، تقدمت ترجمته .

(٥) الكتاب ٣/ ٥٢٧ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٩٦ .

(٦) قال في الكتاب ٣/ ٥٢٧ : «هذا لم تقله العرب ، وليس له نظير في كلامها ، لا يقع بعد الألف ساكن إلاَّ أن يدغم» . اهـ

(٧) ما سبق في توجيهه القراءة هو قول أبي علي في الحجة ٣/ ٤٤٠ .

(٨) في : (ش) : (إنما يتوجه الصلاة) ، وهو تحريف .

(٩) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣١١ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٥٢٥ ، ٥٢٦ .

وجوارحه»[١]، وقـال قتادة: «﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأُمَّة»[٢]، وقـال الكلبي: «أول مَن أطاع الله -عز وجـل- من أهل زمانه»[٣]، وقال مقاتل: «أول المخلصين من أهل مكة»[٤].

١٦٤. قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾ [قال ابن عباس: «يريد سـيِّداً وإلهاً وهو سـيد كل أحد»[٥]، وقـال غـيره: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾][٦] «من الأوثان أعبدهـا، وهو رب كل شيء»[٧]، وقـال الزَّجَّاج: «أي هو ابتدع الأشياء كلها، ولا يقدر أحد على ابتداع شيء واحدٍ منها»[٨].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾؛ أي لا تجني نفس [ذنباً][٩] إلَّا أُخذت به، وكان إثمه على الجاني نفسـه. ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾: [ذكرنا معنى الوزر[١٠] عند قولـه: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١]. قال عطاء عن ابن عباس: «يريد: الوليد بن المغيرة، وكان يقول: اتبعوا سـبيلي أحمل

---

(١) ذكر الواحدي في الوسـيط ١/ ١٥٢ عن ابن عباس، قال: «بذلـك أوحي إليَّ». اهـ، ولم أقف عليه عند غيره.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٢٣، والطبري ٨/ ١١٢، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٣٥ بسند جيد.

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف ١٨٧ أ، وأبو حيان في البحر ٤/ ٢٦٢.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٥٢، وفي تفسير مقاتل ١/ ٦٠٠: «يعني: المخلصين من أهل مكة». اهـ

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٥٣، والبغوي في تفسيره ٣/ ٢١٢.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٧) انظر: تفسير مقاتل ١/ ٦٠٠، والطبري ٨/ ١١٣.

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣١١.

(٩) لفظ: (ذنباً) ساقط من (ش).

(١٠) انظر: البسيط.

أوزاركم فقيل : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾»][١] ؛ أي لا تؤخذ [كل][٢] نفس آثمة بإثم أخرى ، لا يؤخذ أحد بذنب غيره»[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد : إنك يا محمد تخاصمهم عندي يوم القيامة بما كذبوك»[٤] .

١٦٥. قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ الآية . ذكرنا [ما][٥] في الخليفة في سورة البقرة .

قال المفسرون : «﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ﴾» يا أُمَّة محمد ﴿خَلَائِفَ﴾ الأمم الماضية بأن أهلكهم[٦] وأورثكم الأرض بعدهم ، فمحمد «خاتم الأنبياء ، وأُمَّته خلفوا سائر الأمم»[٧] . وقوله تعالى : ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ :

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) .

(٢) لفظ : (كل) ساقط من (أ) .

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٥٣ ، ١٥٤ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ٢١٢ ، والقرطبي ٧/ ١٥٧ ، والخازن ٢/ ٢٠٨ ، وقال السيوطي في الدر ٣/ ١٢٣ : «أخرج الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس في الآية ، قال : لا يؤخذ أحد بذنب غيره» . انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣١٢ .

(٤) لم أقف عليه ، وانظر : تنوير المقباس ٢/ ٧٩ .

(٥) لفظ : (ما) ساقط من (ش) .

(٦) في (ش) : (أن أهلكتهم) .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ١/ ٦٠٠ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٦٧ ، وتفسير الطبري ٨/ ١١٤ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣١٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٥٢٦ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٢٩ .

[قال الكلبي: «فضائل في المعـاش»(١)، وقال مقاتل: «درجات»](٢) في الفضل والغنى»(٣)، وقال السُّدِّي: «في الرزق»(٤).

وقولـه تعـالى: ﴿لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ قـال أبو إسـحاق: «دل بقوله: ﴿وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ﴾(٥) أنـه فضَّل بعض الناس على بعض في الرزق ليختبرهم في ما رزقهم، وهو -جل وعز- عالم [بما يكون](٦) منهم قبل ذلك إلَّا أنه اختبرهم ليظهر منهم ما يكون عليه الثوابَ والعقاب»(٧).

وقوله تعـالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ﴾ قـال ابن عباس: «يريـد: لأعدائه بعـد النبي ﷺ بهلاكهم وقتلهـم. ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾ يريد: غفور لأوليائه رحيم بهم»(٨)، وقال غيره(٩): ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ﴾: «أراد في الآخرة وجعله سريعاً؛ لأن كل ما هو آت قريب»؛ وهو معنى قول الزَّجَّاج(١٠).

* * *

(١) تنوير المقباس ٢/ ٧٩ وفيه: (فضائل بالمال والخدم). اهـ. قال الواحدي في الوسـيط ١/ ١٥٤: «في المعاش والغنى والرزق. قال الكلبي ومقاتل والسُّدِّي».

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٣) تفسير مقاتل ١/ ٦٠٠، ٦٠١، وفيه: (يعني: الفضائل والرزق...). اهـ

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١١٤، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٣٦ بسند جيد.

(٥) لفظ: «الواو» ساقط من (ش).

(٦) لفظ: (بما يكون) ساقط من (ش).

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣١٢، وانظر: تفسير الطبري ٨/ ١١٤، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٥٢٧.

(٨) في تنوير المقباس ٢/ ٧٩ نحوه، وذكر البغوي في تفسـيره ٣/ ٢١٢ عن عطاء، قال: «سريع العقاب لأعدائه، غفور لأوليائه رحيم بهم». اهـ. انظر: تفسير الطبري ٨/ ١١٤.

(٩) ذكره الماوردي في تفسيره ٢/ ١٩٧، واللفظ عام يشمل الدنيا والآخرة.

(١٠) انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣١٢، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٥٢٧.